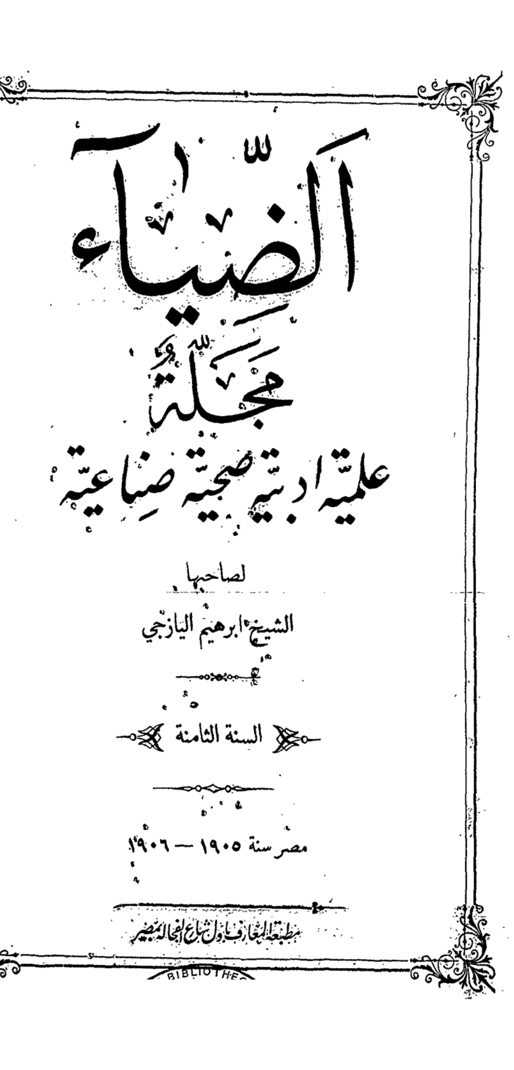
1905

à

1906



الضياء

مجلة

علمية ادبية صحية صناعية

لصاحبها

الشيخ ابرهيم اليازجي

السنة الثامنة

مصر سنة ١٩٠٥ — ١٩٠٦

مطبعة المعارف باول شارع الفجالة بمصر

فهرست المواد

روايات الضياء

فهرست اسمآء المكاتبين

اصلاح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	صوابهُ
٣٢٦	١٩	في الاماكن	الا في الاماكن
٣٥٤	١٠	فقولهُ انصلح	يريد بقوله انصلح مطاوع اصلح وهو
٣٦٣	٨	تحسيتها	تحسيفها
٣٨٩	٢	فقولهم	فقولهُ
٤٨٣	١٩	شجًى	شجًى
٥٧٩	٤	فيها	فيهما
٥٨٥	١٦	على دائرة البروج	على فلكه
٥٩٣	١	الصحيحة	الصحية



الحياة

هي السرّ الذي حارت في كشفهِ بصائر الحكماء ووقفت من دون كُنههِ مدارك العلماء فهو الظاهر الخفيّ الذي حُجبت عن الوقوع عليهِ ثواقب الأبصار والقريب البعيد الذي قصّرت دون البلوغ اليهِ سوابق الافكار وما عسى ان يدرك الانسان من امرٍ لا صورة لهُ في الوجود فتتعلق بهِ الحواس ولا ماهيّة لهُ في التصوُّر فيتناولهُ القياس انما هي افعالٌ غاب فاعلها وآثارٌ اشتبهت دلائلها فلا تزداد على البحث الا التباساً وإشكالاً ولا تزيد الباحث فيها الاّ حيرةً وضلالاً

ولقد طالما كان امر الحياة شغلاً شاغلاً لأرباب العقول الكبيرة في ماضي العصور وحاضرها فلم يدَعوا سبيلاً من طُرُق الاستدلال العقلي والمشاهدات الحسّية الاّ سلكوهُ . وقد تباينت اقوالهم في تعريفها وافترقوا على مذاهب يتعذر الجمع بينها ولا تخرج بجملتها عما يوحيهِ الظاهر من

الوجوه المختلفة التي تتنازعها الظنون من كل طبقة . قال ارسطو هي القوة الذاتية التي تتمّ بها التغذية والنماء والذبور . ويعني بالذاتية العاملة بذاتها على ما هو معلوم من مذهبهِ ولا يخفى ان هذا زائد على التعريف لانهُ من باب الحكم الذي لا مدخل لهُ في التعاريف . وخالفهُ ابن سيناء فعرَّفها بانها القوة الحافظة لاجزاء الجسم من التفرق والبلى . قال وهي غير قوة الحسّ والحركة وغير قوة التغذية بدليل ان الحياة توجد في العضو المفلوج مع فقدهِ قوة الحسّ والحركة وفي العضو الذابل مع عدم قوة التغذية فيهِ . وقال بيشات هي مجموع الوظائف المقاومة للموت وهو نحو تعريف ابن سيناء . وقال غيرهُ ان الحياة ليست بعاملٍ متصرّف وانما هي نتيجة العمل الآليّ في الجسم وهو مذهب طائفةٍ من علماء منافع الاعضاء . ولا يخفى ما في هذا القول من الابهام اذ لم تبيَّن فيهِ حقيقة هذا العمل ولا ما الفرق بينهُ وبين العمل المختصّ بالموادّ غير الآليَّة كالتبلوُر مثلاً . وهناك اقوال اخر لا نطيل باستقصائها وكلها ترجع الى ذكر شيء من الافعال الملابسة للحياة او مما يميز الحياة عن سائر القوى العاملة في الحيّ دون شرح ماهيتها وهو الامر الذي تقاصرت عنهُ الافهام ولم تبلغ اليهِ مدارك العلم والفلسفة . ولذلك ذهب كلود برنار الى ان الحياة مما لا سبيل الى تعريفهِ من طريق الحدّ ولكن لا بدَّ من الوقوف فيها عند الرسم اي ان يُجتزأ بوصف الاعمال الحيوية التي يتميز بها الحيّ عن غير الحيّ

على ان وصف الاعمال الحيوية ليس بالامر القريب المنال ولا هي مما يستوي فيهِ جميع الاحياء لبُعد ما بينها من التفاوت باعتبار كثرة الاعمال

وقلّتها وما يعرض فيها من التركيب والتداخل لكثرة الأنسجة وتنوُّع اعمالها ولا سيما في الانواع الراقية في سُلَّم الحيوانية او النباتية. وحينئذٍ فلا بدَّ من المصير الى ابسط تلك الاعمال واعمّها مما يتناول الاحيآء بانواعها ويشمل الانسجة على اختلاف تركيبها وليس عندنا وصفٌ يجمع ذلك كلهُ الاَّ التمثيل اي تمثيل الاعضآء للغذآء واحالتهُ الى نسيجها. وذلك ان جميع الاجسام الحية مؤلّفة من حوَيصِلات متضامّة ومنها ما لا يشتمل الا على حويصلة واحدة وكل واحدة من هذه الحويصلات مفردةً كانت او داخلةً في تركيب الجسم تبلغ تمام كيانها وتثبت عليهِ بما تمثّلهُ من المواد العنصرية او العضوية التي تمتصّها مما حولها وتحيلها الى مادّة نسيجها. ثم ان كل عملٍ تمثيلي يقارنهُ عملٌ تحليلي بهِ يُفرَز من الموادّ ما لم يمثَّل او ما فقد صفتهُ التمثيلية من الموادّ الهالكة وبهذين العملين يتميز الجسم الحيّ عن الجماد. وحينئذٍ فالحياة تُرسَم بانها القوّة التي يتمّ بها التمثيل والتحليل وهذا الرسم موافقٌ لتعريف ارسطو الذي سبق ذكرهُ في صدر هذا المقال وهو يتناول الحيوان والنبات. وبقي وراء ذلك ما يتمّ في الانواع الراقية من النمآء والتوليد والحسّ والحركة وهي امور كمالية تتفاوت بين نوع وآخر ويقتصر النبات منها على النمآء والتوليد والحيوان يتناول الجميع

على ان ما ذُكر من خصائص الحيوان انما هو اغلبيٌّ لا عامٌّ فان من طبقاتهِ الدنيا ما لا يتعدَّى الحياة النباتية ومثل هذا يشكل التمييز بين كونهِ حيواناً او نباتاً ولذلك لا يمكن ان يوضع حدٌّ معلوم يفصل بين افق النبات وافق الحيوان. اما الفرق بين نمآء الاجسام العضوية وما يشبه

النمآء في البلّورات المعدنية فهو أن البلّورة تنمو من الخارج بان يتراكب عليها اجزآءٌ اخر هي من نوع مادّتها والحويصلة من الجسم العضويّ انما تنمو من داخلها بما تجهّزهُ لنفسها من الموادّ وتحيلهُ الى مماثلة تركيبها . وهناك فرقٌ آخر في شكل كلٍّ من الطرفين فان البلّورات لاتكون الاّ ذات زوايا وبخلافها الاجسام العضوية فان اطرافها تكون الى الاستدارة .وفضلاً عن ذلك فان الموادّ القابلة التبلوُر لا تدخل في تركيب انسجة الاجسام الحيّة واذا اتفق ان تدخل البنية مع الغذآء لم تمثل فيها وكانت من جملة الفضلات التي تدفعها الى الخارج .

واذا رجعنا الى الاجسام ذات الحويصلات المتعددة كان الفرق اعظم من ذلك بما لا يقاس لما هناك من تعدُّد وظائف الحويصلات واختلافها. واعتبر ذلك في ذوات الأثدي مثلاً فان من الحويصلات فيها ما يتألف لبنآء العظام ومنها ما يتألف لبنآء العضل او الاوعية الدموية او الكبد او الكليتين او العصب او غير ذلك ثم ان الكرُيّات الدموية التي هي من جملة الحويصلات تنتقل في خلال هذه الاعضآء كلها تحمل اليها الاكسيجين والموادّ الغذآئية وتحمل عنها الفضلات التي لا خير فيها. وكل واحدة من هذه الحويصلات على انواعها لها عملٌ لا تتعدّاهُ وهي تنمو وتحيا حياةً مستقلّة وتتولد وتموت فيحلّ غيرها محلها بحيث ان المادّة التي يتركب منها الجسم لا تبقى فيهِ ولكنها تمر في خلال انسجتهِ وتخرج منها فيخلفها سواها حتى يقال ان جسم الانسان لا تاتي عليهِ بضع سنوات حتى يتغير باسرهِ فلا يبقى فيهِ جوهرٌ واحد مما كان من قبل . وكذا يقال

في الحويصلات التي يتألف منها فانها تحيا فيهِ وتموت وتتبدل بغير انقطاع وذلك بدون ان تتوقف الانسجة التي تتركب منهــا عن العمل لحظة . فالحياة والموت مستمرّان في الجسم على الدوام مع ان ادقّ اجزآئهِ تبقى على حالها لا يقع فيها ادنى خلل في صورتها ولا عملها وكل حويصلةٍ جديدة تحلّ محل القديمة وتخلفها في جميع خصائصها لا تشذّ عنها في شيء

لا جرَم ان ثبوت الجسم على حالة واحدة مع هذا التبدُّل الدائم ومع كثرة اختلاف الاجزآء المركَب منهــا وتنوُّع وظائفها لمن عجيب الامور واعجبُ منهُ ان جميع الحويصلات التي يتألف منها الجسم تنبت في الاصل من حويصلة واحدة فلا تمرّ بضعة اشهر بل بضعة اسابيع حتى تبلغ ألوف الملايين وتتباين اشكالاً ووظائف فيتركب من مجموعهــا اجهزة واعضآء لا تختلف في شيء عن حويصلات الاصل . ولا محل هنا لوصف كيفية تولد هذه الحويصلات بعضها من بعض وبيان طُرُق تطوُّرها مما اطال فيهِ اصحاب علم الهستولوجيا اي علم الانسجة ومما لا يتعدى مجرَّد وصف الناموس الذي تجري عليهِ دون الالمام بعلة هذا التولد والتطوُّر والعامل فيهما

وقد اشتغل علمآء القرن التاسع عشر في البحث عن سر الحياة وظهورها في بعض السائلات العضوية وما يترتب على ذلك من امر التولد الذاتي الاّ ان مباحثهم لم تسفر عن حقيقة ثابتة لتعارُض الادلّة وعدم ابتنآئها على اساسٍ راسخ ولبث الخلاف بينهم حتى جآء بستور في اواخر القرن فاثبت وجود الجراثيم المنتشرة في الهوآء وان كل ما يوهم انهُ متولد من تلقآء نفسهِ هو في الحقيقة من نقف تلك الجراثيم ومذ ذاك انقلب العلمآء الى

البحث في تلك المتولدات فاتفقوا على تقرير الامور الآتية

اولاً ان الحياة لا تكون الاّ في الاجسام العضوية وان الفرق بين الحيّ واللاحيّ انما هو في الصورة التي هي العضويّة لا في المادّة التي تتركب منها الاجسام

ثانياً ان الاجسام العضوية تنتهي الى حويصلة واحدة

ثالثاً ان جميع الاجسام الحيّه مركبة من حويصلات متماثلة او متباينة

رابعاً ان الحويصلة هي جسم مركب لان فيها الغلاف والمادة المستبطنة لهُ المسمّاة بالپروتوپلاسما وهي المادة الحية والهُنَيَّة التي في مجوفها المسماة بالنواة

خامساً انَّ تمثيل الحويصلة للمواد الغذآئية يتم بان تتناول المواد التي حولها وتدخلها في بنيتها ولكن كل حويصلة تتضمن شبه معمل تحال فيهِ المواد المستمدّة من الخارج الى مثل مادة الحويصلة فيتحد جزء من هذه المادة بالپروتوپلاسما او بالنواة وما بقي يُدفع الى الخارج

سادساً ان العمل الكيماوي في كل حويصلة هو عمل نوعي بمعنى ان حويصلات النوع الواحد ينشأ عنها مفاعيل كيماويّة واحدة وتصدر عنها المفرزات بعينها

سابعاً ان الحويصلة ينمو حجمها بالتمثيل ولكن هذا النمو لا يتجاوز حدًّا معلوماً فاذا ازداد الغذآء عن مبلغ النمو المحدود انقسمت الى اثنتين او اكثر وبهذا يتم تولُّد بعض الحويصلات من بعض

ثامناً ان الحويصلات المتولّدة عن حويصلةٍ ما تشبه الحويصلة

الاصلية في جميع خصائصها الا انهُ قد يطرأ عليها فرقٌ طفيف ثم يزداد هذا الفرق في عقب بعد عقب حتى تفارق اصلها في مدةٍ من الزمن تطول او تقصر. والى هذا يرجع تكوُّن العضويات المركبة التي تتألف من اجتماع ما لا يُحصَى من الحويصلات المختلفة

تاسعاً كل حويصلة تنشأ من حويصلة تشبهها فلم يُرَ قطّ حويصلة نشأت من تلقاء نفسها في سائل من السوائل ما كان ولكن لا بد ان تكون حويصلة اخرى قد ألقتها فيه

عاشراً يمكن ان تعلَّق حياة بعض الحويصلات فتكون الحياة فيها كامنة واذ ذاك تشبه الاجسام الجمادية فلا تغتذي ولا تنمو وقد تلبث على ذلك مدةً مستطيلة ولكنها تكون غير ميتة لانها في حال ما تصادفها بيئة موافقة تستيقظ فيها الاعمال الحيوية . انتهى ما ذكروهُ ببعض اختصار

(ستأتي البقية)

الكسوف الاخير

كان اليوم ٣٠ من شهر اوغسطس الماضي موعد الكسوف الكلي للشمس فتوافد علماء الهيئة على القطر المصري ليرصدوا هذا الكسوف من أُسوان وكانوا ثلاثة وفود احدها من روسيا ويرأسهُ الدكتور روبنسكي ومُهمّتهُ البحث عن قوة المجاري المغناطيسية مدة احتجاب الشمس بجرم القمر . والثاني اميركاني كبيرهُ الدكتور هنّي ومعهُ الدكتور وّست من اساتذة المدرسة الكلية في بيروت وعملهُ ينحصر في تصوير خطوط

الظل والبحث عن سببها . والمراد بهذه الخطوط طرائق متموجة من الظل يتخللها طرائق من النور تظهر قبل تمام الكسوف او بعده بدقائق قليلة وتنتقل على وجه الارض متتابعة بسرعة ولذلك تسمى الخطوط الطيّارة ايضاً . والوفد الثالث انكليزي يتقدمهُ الدكتور رينولدس وهو موكل برصد الاكليل الذي يظهر محيطاً بالشمس عند تمام الكسوف وما يحدث عنهُ من التأثير في الارض . وهنالك تحقيقات أُخَر تتعلق بجوار الشمس اهمُّها الكشف عن وجود جوٍّ لعطارد . والبحث عن السيّار الذي ذكرهُ لفرّياي ولُومِس وغيرهما بين الشمس وعطارد مما لم يتحقق وجودهُ الى الآن

وقد تألفت وفود أُخَر من العلماء تفرقت في مواضع مختلفة على خطّ الكسوف التام فانتشر فريقٌ منهم في اسپانيا وآخر في كندا وكل واحد من هذه الوفود استصحب معهُ جميع آلات الرصد والتصوير حتى اذا رجعوا الى مواطنهم وطبعوا الرسوم التي يأخذونها قابلوا بعضها ببعض واستثبتوا تلك الحقائق من مجموعها . فاذا وجدوا فرقاً بين صورة الاكليل مثلاً في كندا وصورتهِ في اسپانيا او أسوان عرفوا ان شكلهُ قد تغير في اثناء المدة التي عبر فيها الكسوف من احد هذه المواضع الى الآخر . وكذا اذا رأوا صورة كوكب الى غربيّ الشمس او شرقيّها في الصورة التي اخذوها في أسوان ورأوا صورة ذلك الكوكب في الصور المأخوذة في الموضعين الآخرين وقد اختلف موقعهُ بالقياس الى الشمس قرباً او بعداً علموا انهُ السيّار الذي يبحثون عنهُ وان لم يختلف موقعهُ بين صورة واخرى

جزموا بانهُ من الثوابت . على انهُ قد يتفق ان لا يُرَى البتة فلا يُقطَع بعدم وجودهِ لاحتمال ان يكون في اوان الكسوف امام الشمس فيكون محجوباً عنا بجرم القمر او وراءها فيكون محجوباً بها . ومهما يكن فان هذا وغيرهُ من الامور المشار اليها لا يتحقق الا بعد طبع الصور المختلفة في الامكنة الثلاثة كما قدَّمناهُ

والذي علمناهُ الى الآن من نتائج بحثهم لا يتعدى وصف مقدمات العمل وشيءٍ يسيرٍ مما يدلّ على مبلغ نجاحهم فيهِ . فمن ذلك ما جاء في رسالةٍ لمكاتب جريدة التيمس الانكليزية في اسوان نلخصهُ في هذا الموضع حتى لا يفوت القرآء علمٌ بامرٍ من اشهر الامور التي عُني بها العلماء في هذه السنين

قال ان الهوآء كان على أحسن ما تمنى الراصدون في اسوان يوم الكسوف وكان الجوّ خالياً من الغيوم فجاءت الصور على اتمّ ما يرام من الدقة والوضوح ولكن النتائج ستبقى مجهولة الى ان يرجع العلماء الى بلدانهم ويطبعوا رسومهم ويبدوا احكامهم بعد المقابلة بينها . وقد ابقى الروس الصور التي اخذوها لتُكشف في بطرسبرج واما الاساتذة الاميركان فكشفوا صورهم في اسوان والانكليز كشفوها في مصر لان قلم المساحة الجيولوجية التابع للحكومة المصرية عرض غرفةَ المظلمة في مصر على الدكتور رينولدس فوجد انها فسيحة قليلة الحرّ فكشف صورهُ فيها ولم يجد شيئاً من الصعوبات التي تعترض المصورين حين تعلو درجة الحرّ . وقد عانى الدكتور هسي الاميركاني في اسوان كثيراً في سبيل غايتهِ لانهُ

كان يكشف صورهُ في أبرد ساعات الليل وكان يؤتى بالثلج مقادير وافرة ليبرّد بها غُرَفهُ المظلمة فلم يتلف من صفائحهِ غير واحدة وظهرت البقية على تمام الوضوح

على ان فوز العلماء في اسوان غير كافٍ لبلوغ النتيجة المطلوبة لان هذه النتيجة تتوقف على فوز بقية الراصدين في كندا واسپانيا وعلى وضوح الصور في المواضع الثلاثة حتى تمكن المقابلة المطلوبة بين الرسوم . وقد حبطت المساعي في كندا وفي اسپانيا جميعاً لان الغيوم اعترضت الاكليل ساعة الكسوف فلم يمكن تصويرهُ واضحاً كما امكن في اسوان واذ ذاك فلا بد ان يُرجأ موعد الحكم في أمر الاكليل الى ان تكسف الشمس كسوفاً كلياً مرةً اخرى فيحاول القوم الظفر بما فاتهم هذه المرة بعد ان استعدّوا لهُ هذا الاستعداد الكبير . على ان الغيوم التي في اسپانيا كانت خفيفةً فهم يؤمّلون ان يظهر في الصور من خلالها ما يحقق لهم وجود السيّار الجديد ان كان ثمة سيّار

وكان اكثر اشتغال الوفد الاميركاني بامر خطوط الظلّ والبحث عن حقيقتها وسببها مما اختلفت فيهِ اقوال الباحثين السابقين وكلّ الذي هم عليهِ الى الآن انها ظواهر سائرة تنتقل فوق سطح الشمس واما جهة سيرها ومبلغ سرعتها وتأثير وجودها فمما لم يتوصلوا الى معرفتهِ وفيما يذهب اليهِ بعضهم انها تنتقل تبعاً لحركة الرياح . وقد ظهر من الصور التي أُخذت في اسوان انها كانت على غاية البطء ويقول الاستاذ هسي ان الريح كانت ساكنة في اسوان ساعة الكسوف فهو يعلل بطء انتقالها بما ذُكر . اه

وجاء في بعض المجلات الفرنسوية ان اكثر الاماكن التي قصدها وفود العلماء لرصد الكسوف المذكور كانت السماء فيها غائمة او ذات دجن او عاصف او ضباب او مطر فلم يستطيعوا في الاماكن التي كانت كذلك ان يثبتوا شيئاً . غير ان الجوّ كان صافياً في صَفاقس وبرشلونة وبَلَنْسية فظهر الاكليل باهر اللمعان وكانت النتوءات المتشعبة منهُ ظاهرة للعين المجردة . وقد هبط بعضهم بئراً في بواسيّ عمقها عشرون متراً ليراقب فيها تأثير الكسوف على الآلات المغناطيسية وكان قد راقبَ حركة الابرة مدة عشرة ايام قبل حدوث الكسوف ثم عاد الى مراقبتها عدّة ايام بعدهُ فظهر لهُ ان الانحراف قد حدث فيهِ اضطراب في مدة الكسوف وتذبذبت الأبرة فيما تبلغ سعتهُ ٤ وكذلك الميل حدث فيهِ تغيُّر محسوس . ورُقبت الحرارة في ثلاثة مواضع فوُجد انها هبطت في اوان الكسوف مقدار درجةٍ ونصف

هذا جلّ ما وقفنا عليهِ الى الآن من نتائج هذا العمل الكبير واذا انتهى الينا بعد ذلك ما يهمّ الاطّلاع عليهِ بادرنا الى نشرهِ افادةً للقرّاء

اكتشاف القطب

بقلم حضرة الكاتب الاريب اسكندر افندي شاهين صاحب جريدة الرأي العام ورئيس تحرير جريدة الوطن

قالوا ان ملوك الزمان وامراءهُ حولوا الفكر الى القطب واهتموا لاكتشافهِ اهتمام بقية الباحثين حتى ان الدوك دورليان وهو الذي يطالب بتاج دولة الفرنسيس دأب من أشهر على إعداد باخرة تحملهُ الى ذلك

الصقع أو ما حواليهِ . وسبقهُ الى مثل هذه الهمة امير مشهور من آل ساڤوا هو الدوك دابروزي ابن عم ملك الطليان يقال انهُ بلغ اقصى ما بلغ السائحون في دائرة الشمال . وأهمّ منهما ملك البلجيك ليو پولد الثاني فانهُ اعلن بالامس انهُ تولى زعامة الباحثين والساعين في اكتشاف القطبين وطلب اليهِ كلّ ذي علم وخبرة بهذا الشأن ليشاورهم في الامر وهو يرجو ان يتم اكتشاف القطبين او احدهما على يديهِ

ولقد طال زمان البحث عن القُطب الشمالي والسعي في الوصول اليهِ وراحت نفوس ونفائس لاحصر لها في هذه السنين فما زال القطب الشمالي من قدم غاية اهل العزم من الفرنجة يفعل في عقولهم فعل الجاذب الساحر ويجرّهم الى جهتهِ فيهلك بعضهم في سبيل الاكتشاف ويعود البعض بحكايات قليلة عما رأوا من الثلج والجليد وما انتابهم من آيات الهول والعناء قبل الرجوع الى الاوطان . فقصتهم واحدة عرفها الجمهور والفها ولكنهم ما برحوا يعاودون الكرّة الى هذا القطب على غير جدوى أو نفع معروف . وقد سئل عميدهم الدكتور نانسن وهو النروجي الذي سبق كل ساعٍ في الوصول الى القطب الشمالي عمّا يدعو الناس الى هذا الهوس ويجرّهم الى المخاطرة في امرٍ لا نفع منهُ عاماً بعد عام فقال انهُ عناد الآدميين لا يطيقون ان يبقى امام عيونهم مثل هذا السرّ فلا بدّ لهم من الوصول الى القطب يوماً ولو كلفهم الوصول فوق ما يحسبون . والنفع من اكتشاف هذا القطب ينحصر في رجوع الناس عنهُ بعد بلوغهِ والتغلب على مصاعب طريقهِ واماّ وهم لم يبلغوهُ فلا نفع من نصحهم بالعدول .

ويلوح لنا ان الرجال اصاب في قولهِ فان ابن آدم مسُوق بحكم طبعهِ الى المخاطرة في سبيل العلم بالمجهول فما دام القطب محتجباً عن الانظار ظلت النفوس متعلقة على رؤيتهِ واما اذا رآهُ بعضهم فان هذا الشغف ينقضي زمانهُ وتبطل ضحايا المتمدنين على مذبح الاكتشاف القطبي. فالذي يهتدي الى بلوغ القطب يوماً يُعَدُّ خادماً للناس ومنقذاً لنوابغهم من هذا الخطر الجاذب الذي يودي ببعضهم في كل عام

والظاهر ان زمان هذا السرّ السّاحر للعقول قد قرُب من الختام لان ملك البلجيك لم يعنَ بامرهِ ويعلن انهُ تولى رئاسة الباحثين عن طريق القطبين الاّ وعزم الناس على بلوغ هذه الغاية اصبح امراً لا بدَّ منهُ في المستقبل القريب . وقد قام الباحثون الى القطب من عدة جوانب حتى ان في جوارهِ الآن بعضاً منهم مثل اوتو سفردروب الاسوجي وروبرت پيري وادورد بولدون الاميركيين والكبتن برنييه الكندي وسيقصدهُ الدوك دورليان بعد قليل وقد يقوم في اوائل الصيف القادم غير هؤلاء بعد ان صار زعيم المكتشفين ملكاً وقويت العزائم وبدأ اصحاب الملايين ينفقون ألوفهم في هذا السبيل "

وطُرُق الوصول الى القطب الشمالي ثلاثة أولها طريق الجليد فوق البر والبحار المتجمدة وثانيها طريق الهوآء وثالثها طريق البحر من تحت سطح المآء فهم يحاولون الوصول بكل هذه الطرق الثلاثة . فاما طريق البر فقد طرقهُ معظم السائحين وبلغ فيهِ نانسن النروجي ابعد الغايات ولكنهُ قصر عن ادراك القطب والوقوف فوق تلك النقطة التي تُعَدّ مركز

الارض وموضع القوة الجاذبة لنفوس المكتشفين . فقام بعدهُ الكبتن اوتو سفردروب في سفينة زميلهِ نانسن ليسير بها حيث يمكن السير وينجز بقية السفر في الزحافات على الجليد تجرها كلاب الشمال وهي اذا أُحسن تدبيرها قوية على مثل هذه الاعمال . وقد ذهب الرجل من طريق جرينلاند وفي جهة الشمال الغربي من شطوطها وقد مرَّت اعوام والناس لاتدري ما ذا تمَّ لهُ ولرفاقهِ ولكنهم يرجحون انهُ اذا قصَّر عن بلوغ القطب راد أنحاء جرينلاند وهي بلادٌ مجهولٌ اكثرها الى الآن ولعلهُ يرجع منها ببعض الشيء المفيد . وقد استعدَّ سفردروب للبعد ٥ سنين في مثل هذه السياحة واخذ معهُ مئة كلب لجرّ العربات الزحّافة وهو على ما يقال اقدر المكتشفين في هذا الزمان على احتمال اهوال الشمال . وقد ذهب الكبتن پيري الاميركي بعد زميلهِ بسنة وعاد من السياحة بلا نتيجة تذكر وكان جل اعتمادهِ في الاكتشاف على قبائل الاسكيمو الضاربة في الاصقاع المتجمدة ولكنهُ بلغ موضعاً عَسُرَ على هؤلاء المساكين ان يتجاوزوهُ ورأى ان مجاري الماء في الانحاء القطبية جارية في غير طريقهِ وان نقل الزاد اعسر مما خمَّن يوم حسب حساب هذا السفر في نيويرك فاضطر الى الرجوع كما رجع غيرهُ والقطب الشمالي بعيد عن الانظار . هذا غير ان البرد الشديد هرأَ بعض بدنهِ ففقد سبعاً من اصابع رجليهِ . وقام بعد ذلك العلامة بولدون الاميركي بمال صديق لهُ من سراة الاميركان اسمهُ زيغلر فسلك سبيل الدوك دابروزي وهو الذي جاب الاقطار الشمالية سنة ١٨٩٩ عن طريق كرستيانا وارض فرنسيس يوسف وهي طريق السفر

رأساً ويظنون انها لا تفيد في الوصول الى غاية الباحثين . وقد اخذ بولدون معهُ ٤٠٠ كلب من كلاب الشمال ومئة حصان روسي من التي تعودت السير على الجليد وانفق من ملايين صاحبهِ زيجلر بلا حساب على المؤن والمعدات وكان يؤمل بلوغ القطب على العربات الزحافة من ناحية اوربا والرجوع الى عالم الحضارة عن طريق اميركا في جهة جرينلاند التي ذكرناها قبل الآن

ولا حاجة الى وصف بقية ما فعل السائحون الذين يقصدون القطب فوق البرأو البحر فانهم كثير عديدهم وفي جملتهم افراد ما زالوا حتى الساعة في سياحتهم لا نضمن لهم السلامة واذا هم رجعوا فان النفع من اتعابهم غير مضمون . واما السفر الى القطب الشمالي في الهوآء فقد خطر لكثير من الناس هذه السنين واستعدّ لهُ عشرات من اصحاب الهمم ولكنهُ لم يقم لهذه الغاية في الهوآء غير رحالة نروجي ذاع صيتهُ في الاقطار هو الاستاذ اندريا ذهب من نحو ٨ سنين في منطاد مع بعض الرفاق وهو يؤمل بلوغ الغاية القصوى والرجوع على عجل فانقطعت اخبارهُ والناس يرجحون انهُ اصاب منطادهُ مكروه فوقع الى الارض وهلك مع رفاقهِ الاشدآء لانهُ لو كان حيًّا لما عسر عليهِ ان يبلغ خبر بقآئهِ ومعهُ حمام الزاجل وغيرهُ من وسائل المراسلة التي استعدّ لها قبل سفرهِ الغريب

واما الوصول الى القطب في المآء الكائن تحت الجليد الذي يفشو في البحار الشمالية فانهُ من آرآء بعضهم وهم يظنون ان الغوّاصات السريعة تبلغ القطب من شواطئ اوربا الشمالية على اهون سبيل غير ان هذه

الطريقة لم يجرّبها احد حتى اليوم فلا حاجة الى الاسهاب فيها

ومن الطرق التي اقترحها الباحثون طريقة الاميرال مخاروف الروسي وهو الذي قُضي عليهِ في معارك پورت ارثر البحرية بين الروس واليابانيين وكان يزعم ان الوصول الى القطب ممكن عن طريق البحار الشمالية وفي باخرة مثل التي صنعتها حكومة الروس لمثل هذا الغرض واسمها ارماك تسير فوق الجليد وتكسّرهُ وهي سائرة على مهلٍ فلا يردها الجليد عن بلوغ المراد. ومن رأي الكبتن برنييه الكندي ان طريقة مخاروف ممكنة وهو ينوي تجربتها يوماً وسيأخذ في سفينتهِ آلة التلغراف المركوني حتى يرسل اخبارهُ الى مراكز الحضارة ساعةً بعد ساعة ويدعو الناس الى انجادهِ اذا لزم الانجاد . وفي ظننا ان تلغراف مركوني هذا سيكون من اكبر الوسائل المسهّلة لبلوغ القطب لانهُ يقدر المكتشف معهُ ان يُعلِم الناس بمركزهِ واحوالهِ كما تقدم القول وقد كان معظم الخطر في السياحات السابقة من انقطاع السائحين في وسط الجليد بلا معين ولا زاد ولا سبيل الى مراسلة الآخرين . وهم لا يحسبون للمرض حساباً في تلك الاصقاع لان الهواء مقوٍ للابدان والامراض لا تنمو جراثيمها لشدّة البرد حتى انهُ ليمكن ان يقال ان الانحاء القطبية خالية من هذه المكروبات التي اقلقت راحة الناس في بقية الاقطار ونشرت في مدائنهم الاوباء القتالة واودت بهناء الوجود

هذا الذي رأينا ان نبسطهُ الآن عن طرق الوصول الى القطب ولعلنا سنسمع بطرقٍ اخرى وحملات جديدة في هذه الاثناء فانهُ لا بد

للناس من الاستمرار على طلب الغاية البعيدة والسر المجهول الى ان يتم لهم المراد . ولقد كان الناس من قدم يرمون الى هذه الغاية حتى ان الملك ألفرد الانكليزي ارسل قوماً لاكتشاف « سقف العالم » على ما يقولون وروى الروم قصصاً عن بحري من كبارهم قديم اسمهُ بثياس سافر الى الشمال لمثل هذه الغاية ولم يذكروا الى اي حد ذهب ولكنهم قالوا انهُ بلغ موضعاً ابت الشمس فيهِ ان تشرق على الارض فهالهُ الامر ورجع من فورهِ الى بلاد الانس والشمس . ويؤخذ من هذا ان الرحالة الرومي القديم سبق رجال اوربا الى النواحي القطبية بقرون . وقالوا في رواية صاحبنا بثياس انهُ بلغ في اول امرهِ ارضاً لا تغيب الشمس عنها فسحرهُ هذا النهار الدائم وتقدم الى الشمال ايضاً فبلغ ارضاً لا تشرق الشمس فيها وهنالك تولاهُ الرعب فعاد ولكنهُ رأى قبل رجوعهِ سوراً عظيماً هائلاً يحيط بالارض هو على ما ظن حد العالم والفاصل بينهُ وبين ما لا يعلم العالمون . واهل هذا الزمان يعلمون ما جهل بثياس واهل زمانهِ عن موعد شروق الشمس وغروبها في القطب ولكنهم يجهلون موضع هذا القطب جهل الاقدمين غير انهم عقدوا العزائم على بلوغهِ وحل لغزهِ فالامل انهم يفوزون بعد ما تقدم من شرح طرقهم وجهادهم في هذا السبيل

الكلية الشرقية

تلقينا الكتاب السنوي لهذه المدرسة الزاهرة عن سنتها السابعة وهو يتضمن بيان تاريخها وعدد تلامذتها وفرقها واسماء اساتذتها وما

يدرَّس فيها من اللغات والعلوم فآنسنا فيهِ من دلائل التقدُّم المستمرّ ما تعوّدنا ان نتلو أنبآءهُ عنها كل سنة بين زيادةٍ في عدد الطلاب وتوسيع نطاق الدروس وتوفير المواد العلمية والفنّية بحيث اصبحت على حداثة عهدها من احفل مدارس الوطن واكملها استعداداً. وحسبك ان عدد تلامذتها بلغ في السنة الماضية فوق المئتين بعد ان كانوا في السنة الاولى لا يزيدون على ٩٤ تلميذاً ولذلك اضطُرّت في السنة الاخيرة ان تزيد في ابنيتها الى ما يؤوي ٢٥٠ تلميذاً فما فوق . ولا ريب عندنا انها مع ما صادفتهُ الى الآن من ثقة اهل الوطن بها واقبالهم عليها ومن تعهُّد اوليآء الامور لها بالمؤازرة والتعضيد مع ما هو مشهور من عناية حضرة رئيسها الفاضل وبراعة اساتذتها لا تلبث ان تبلغ اقصى ما يتمناهُ لها كل وطنيّ من الشهرة والنجاح

وفي هذا المقام نكرّر جميل ثنآئنا على حضرة الرئيس المشار اليهِ لما يبذلهُ من الدأب والسهر في سبيل نجاحها والبلوغ بها الى تحقيق الغرض الذي أُنشئت لاجلهِ ألا وهو اخراج شبانٍ ذوي علمٍ صحيح ووطنيةٍ صادقة يستطيعون ان ينتفعوا بعلمهم ويكونون من رجال الوطن القائمين بنصرتهِ وتعزيزهِ كما نثني على رجال هذه الرهبانية الكريمة التي تقدمت سائر رهبانيات البلاد في اقامة هذا المعهد العلميّ الجليل ونرجو ان تكون قدوةً لغيرها من سائر الرهبانيات بحيث تكون كلها يداً واحدة في العمل على رفع شأن الوطن وكفّ الايدي العائثة فيهِ والله لا يضيع أجر العاملين .

مطالعات

طريقة جديدة لعمل الخبز — تألفت شركة في لندرة باسم شركة شريدِد هويت اعلنت انها تعالج الحنطة وتحوّلها الى خبز بدون ان يُضطرّ الى طحنها . وذلك انهُ بعد ان ينقّى الحبّ يُغلَى مدة ٣٠ دقيقة الى ان يلين واذ ذاك يُجعَل بين اسطوانتين قد حُزّزت إحداهما حزوزاً لولبية فاذا أُديرت احدى هاتين الاسطوانتين على الاخرى خرجت الحبوب على شكل خيوط متصلة فتعجَن هذه الخيوط وتُجعَل رغفاناً او اقراصاً او غير ذلك

فرائس الحيوانات الضارية في الهند - جآء في احصآء رسمي في الهند ان قد بلغ عدد الذين قتلتهم الفهود في الهند الانكليزية في السنين الخمس الاخيرة ٤٩٢٥ نفساً وعدد الذين افترستهم الذئاب في المدة عينها ١٩٩٦ . اما الاسود فلم تفترس الاّ شخصين فقط على ان الاسود قد قلّت كثيراً في تلك البلاد واصبحت محصورة في غابة تُعرَف بغابة جير وهي لا تزيد على ٢٠٠ اسد وصيدها مخصوص براجوات الناحية وقد حُظِر على الاهالي وعلى قنّاصي الاوربيين ان يتعرضوا لها

جائزة الكلاب — جآء في احدى المجلات الفرنسوية ان جمعية الدفاع عن الحيوانات اجازت كلبين بطوقي شرف لانهما انقذا بعض المسافرين من خطر الغرق .

آثار ادبيّة

حضارة الاسلام في دار السلام — اهدى لنا حضرة الكاتب البارع جميل افندي المدوَّر نسخةً من مؤلفٍ لهُ بهذا العنوان وصف فيهِ الحضارة الاسلامية في خلال المئة الثانية للهجرة فجعل ذلك على لسان رحّالةٍ من الفُرس جاب البلاد الاسلامية وطاف في مدن العراق والشام والمغرب ومصر والحجاز فكتب ما عنّ لهُ في عشر رسائل ضمّنها وصف ما شاهدهُ في كل واحدة من تلك المدن من أبنية وقصور ومعابد واسواق وبساتين وذكر ما حدث لوقتهِ من الوقائع التاريخية وما دار من الاحاديث بينهُ وبين من لقيهُ من رجال السياسة واكابر اهل الدولة وما شهدهُ من مجالس العلم ومواقف الخطابة . وتكلم على الخلفاء واخلاقهم ووصف دورهم ومجالسهم ومواكبهم وما بلغت اليهِ دولتهم من الفخامة والأبَّهة وامتداد الفتوح وما حدث لعهدهم من اتّساع العمران وما كان لهم من الرغبة في العلم والاشتغال بهِ الى ما يتصل بكل ما ذُكر من طرائف الاخبار وحقائق التأريخ مما لا يُعثَر عليهِ الاّ بمطالعة الكثير من المجلَّدات ولا يُظفَر بالكثير منهُ الاّ في المكاتب الكبرى . وقد نقل ذلك كلهُ عن مصنَّفات التأريخ والشرع وكتب الممالك والبلدان والسيَر وغيرها مما تبلغ جملتهُ زيادةً على ٨٠ سفراً من كتب المتقدمين فجاء كتابهُ كانهُ وصف مُشاهدٍ من اهل ذلك العصر رأى بعينهِ وسمع باذنهِ فوصف كل شيءٍ وصفاً مدقَّقاً

وقد طُبع هذا الكتاب الطبعة الثانية في مطبعة المؤيد مضافاً اليهِ

زيادات لم تكن في الطبعة الاولى ومصححاً فيهِ بعض الروايات والاخبار فجآء فيما يقرب من ٤٠٠ صفحة وهو يباع في المطبعة المشار اليها وثمنهُ ٢٥ غرشاً مصريًّا خلا اجرة البريد وهي ٤ غروش ٠

تاريخ التمدن الاسلامي — صدر الجزء الرابع من هذا المؤلَّف الجليل الذي عني بتأليفهِ حضرة رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغرآء ٠ وهذا الجزء يتضمن الكلام على دُوَل الخلفآء الراشدين ومن تلاهم من خلفآء الامويين فالعباسيين فخلفآء بني امية بالاندلس والفاطميين بمصر وسياسة كل دولةٍ منهم وما كان بينهم من المنازعات على السلطة وانتقال الامر من دولةٍ الى دولة حتى خرج من ايدي العرب بتةً .ثم الكلام على الدول الفارسية والتركية والكردية والعصر المغولي وما تخلل جميع ذلك وتلاهُ من الحوادث مع الالماع الى اسباب تلك الحوادث ومسببَّاتها مما اقتضى ولا ريب جهداً عظيماً في المطالعة والتنقيب وقد شفع كل حادثٍ بشواهدهِ من الكتب القديمة ٠ فنثني على حضرة الرصيف الفاضل لما يعانيهِ في هذا الكتاب ونحض القرآء على مطالعتهِ وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة منهُ عشرة غروش مصرية

ديوان الرافعي — صدر الجزء الثاني من هذا الديوان لحضرة ناظم عقدهِ مصطفى صادق افندي الرافعي الشاعر المشهور وقد تصفحنا الجانب الاكبر منهُ فوجدناهُ كصنوهِ الذي سبقهُ مشتملاً على كثيرٍ من الحسنات

واللطائف والمعاني المخترعة . وهو مقسوم الى ابواب اولها في التهذيب والحكمة والثاني في النسآئيات والثالث في الوصف والرابع في المديح والخامس في الغزَل والنسيب والسادس في الاغراض والمقاطيع . وقد صدَّرهُ بمقدّمة بليغة في سرقة الشعر وتوارد الخواطر احسن فيها لولا انها تومئ الى اغراض كان يحسن ان يختار لها غير هذا الموضع ولولا ان فيها نظراتٍ قد لا يحتجب عنها بعض ما في الديوان .. ومن حسناتهِ في باب الغزل قولهُ

قاسوكِ يا شمس الضحى　　بالبدر ظلمًا والهلالِ
يأبى جمالكِ ان يُقا　　سَ وانتِ مقياس الجمالِ

على ان الناظم لم يبرأ من ذلك الظلم غير ان الذي يشفع فيهِ انهُ رفعها عن البدر والهلال وقاسها بالشمس . ومن رقيق نظمهِ قولهُ وهو من بحر المتدارَك استعملهُ صحيح الاجزآءِ الاَّ انهُ نصّف اشطرهُ فاكسبهُ بذلك خفةً وعذوبة

شفَّني بُعدُ من　　لم يَئِنْ قُربُهُ
شادنٌ لم يزل　　قاسيًا قلبُهُ
إن يقولوا لهُ　　مَضَّهُ حبُّهُ
قال عذري الهوى　　والهوى ذنبُهُ

فنشكر حضرتهُ على ما اطرفنا بهِ من هذه الهدية النفيسة ونثني على قريحتهِ الفياضة. والديوان يباع في المكتبة الازهرية بالسكة الجديدة بالقاهرة وفي سائر المكاتب المشهورة وثمنهُ خمسة غروش مصرية

فكاهات

الكولونيل جيرار (١)

— ٨ —

لما كان ما نشرناهُ في السنة الماضية من روايات جيرار وشرلوك قد صادف احسن وقع في نفوس القرآء وآنسنا منهم الميل الى المزيد منها لانها على غير النغم المعروف عادةً في الروايات رأينا ان نعود على ذلك البدء فنسرد لهم سلسلة اخرى من حكايات جيرار اللطيفة عن نفسهِ ثم نعقبها بسلسلةٍ من روايات شرلوك التي تتضمن من مهمّ الوقائع وغريبها ما عرفوهُ فضلاً عما فيها مما يفيد المطالع بصيرةً ودربةً في الامور فنقول

بعد ان اتمّ الكولونيل جيرار حكاياتهِ السابقة رجع الى بلدتهِ في غسقونيا ولكنهُ لم يلبث ان سئم الوحدة وملّ من السكون . وكانت لا تزال تنتابهُ افكار الحرب ويتخيل المواقع التي خاض غمارها محفوفاً بالجنود والفرسان تصم آذانهم اصوات الموسيقى وقرع الطبول ودويّ المدافع فنسي انهُ اصبح شيخاً طاعناً في السن وترآءى لهُ ان واجباتهِ العسكرية تدعوهُ الى الانضمام تحت لوآء فرقتهِ . فاخذ عصاً يتوكا عليها وقد خالها سيفهُ البتار ثم واصل السير بالسرى الى ان بلغ باريس فوجد فيها السلام بدل الحرب وضروبَ القصف والملاهي عوضاً عن المعامع فقلب شفتهُ علامة عدم الارتضاء وسدد خطواتهِ الى النادي الذي كان يزورهُ سابقاً . وما دخلهُ حتى رآهُ بعض الضباط الذين سمعوا حكاياتهِ السابقة فاسرعوا لملاقاتهِ وصافحوهُ بمنتهى الشغف والاحترام وكادوا يحملونهُ الى داخل النادي حيث

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

اجلسوهُ وطلبوا لهُ شراباً ثم تألبوا من حوله ِ مسرورين بلقياهُ . اما جيرار فسرهُ ما رأى من اهتمامهم بهِ فرفع رأسهُ ونصب صدرهُ ثم فتل شاربيهِ ولمعت في عينيهِ نار التيه والخيلاَء وقال حِسناً تفعلون ايها الاحباَء في اكرام شيخ نظيري لانكم بذلك تكرمون انفسكم وتكرمون فرنسا وطنكم لانني لست كما ترونني رجلاً نظير بقية الرجال بل انا التاريخ بعينهِ بل انا امثل لكم بقية اولئك الابطال الذين دوخوا البلاد وقضوا عشرين سنة يعلمون اوروبا كيف تكون الحرب ودخلوا برلين ونابولي وفينا ومدريد ولسبون وموسكو فجعلوها اصطبلات لخيولهم . نعم يحق لكم ان تفتخروا بي وان ترسلوا اولادكم بباقات الازهار ليلقوها امام قدميَّ لانني رفعت اعلام فرنسا على مدنٍ وعواصم لن تصل اليها من بعد

. انكم تودون سماع حديثي اما انا فيسرني ان اقص عليكم ما يثير في صدوركم نيران الحماسة والشجاعة فلذلك لا اقص عليكم ما نلتهُ من الفخر والرتب والاوسمة بل ما قاسيتهُ من الشدائد وما ركبتهُ من المخاطر

بعد ان اخذنا دانزيك أُرسلت مع الماجور لجاندر الى بروسيا لاحضار اربعمائة ركوبة عوضاً عن التي فقدتها الفرسان في معركة ايلو لا بسبب بسالة العدوّ بل من شدة البرد . وكنت كما اخبرتكم سابقاً مولعاً بالخيل عارفاً بصفاتها اعرف قوة الجواد وسرعة سيرهِ وخصالهُ من مجرد نظري اليهِ . فسرنا في هذه المهمة حتى اجتزنا نهر فستولا وبلغنا رِيسنبرج فدخلنا فندقاً لتناول الطعام . وبعد قليل دخل عليَّ الماجور لجاندر وعلامات القنوط على وجههِ فقال يسوءُني يا جيرار انني تلقيت الساعة امراً من الجنرال لاسال يطلب حضورك حالاً الى روسل . ولا تسألوا عن سروري بهذا الطلب لانني علمت ان الجنرال لاسال ينوي القيام بمعركة هائلة وقد عرف ان فرقتي لا تكون كاملة بدوني فتوقعت النصر وكدت اطير فرحاً . ولا انكر ان شيئاً واحداً ساءَني وهو ان صاحب الفندق كان لهُ ابنة جميلة الصورة لها بشرة كالعاج وشعر كالليل كنت اود ان لا افارقها غير ان الاوامر العسكرية لا تخالف فاسرعت الى جوادي رتابلان فامتطيتهُ وسرت تاركاً شيئاً من قلبي عند تلك الفتاة .

وكنت امرّ على قرى البولنديين بلباسي الجميل وشبابي الفتان ويزيد في جمالي هيئة جوادي الذي كنتِ قد انتخبتهُ كبقية خيولي من بين المئات . فكنت ارى في نوافذ البيوت عيون النسآء تتخاطف النظر اليَّ وكأنهنَّ يتمنينَ ان اقيم بينهنَّ وهنَّ لا يعلمنَ ان الجندي غير مطلق القياد فكنت الثم يدي وارسل لهنّ قبلة في الهوآء ثم احرك لجام جوادي فيطير بي كالسهم

ولما تناصف النهار بلغت سالفيلد وسرت من هناك في غابٍ كثيف فمررت في طريقي بشرذمة من فرسان الهوسار فسررت بمشاهدتهم وخصوصاً عند ما حيوني التحية العسكرية . ثم تقدم اليَّ رئيسهم وكان فتًى جميل الصورة تلوح عليهِ دلائل الشجاعة فحييتهُ وقلت انني انا الملازم اتيان جيرار . وتبين لي من اسارير وجههِ انهُ لا يجهل اسمي فتبسم وقال انا اسمي ديروك ولم اكن قد سمعت باسمهِ قبلاً . فقلت يظهر انك حديث عهدٍ بالخدمة قال نعم فقد أُلحقت بالجيش منذ الاسبوع الماضي وكنت قد لاحظت ذلك من عدم اهتمامهِ بحفظ نظام رجالهِ . ثم سألتهُ عن وجهتهم فقال انهُ مع رجالهِ مسؤولون عن حراسة الطريق بين ذلك الموضع ومحلة ارنسدورف . فقلت يسرني اذاً ان ارافقكم الى هنالك ولبثنا سائرين جميعاً وانا وديروك في الامام يتبعنا الجنودُ الستة وكانوا عند ما القيتُ عليهم نظري قد شعروا انهم امام ضابط خبير فساروا بنظام وسكون

ومررنا في طريقنا على قرية هاينو فمال ديروك الى محل البريد وسأل الوكيل هل يوجد في تلك الجهات رجل يدعى البارون سترو بنتال فقال لا . ولم أهتمّ انا بهذا السؤال حتى رأيت ديروك يكررهُ في كل موقع بريد فسألتهُ من هو هذا البارون الذي تسأل عنهُ . فقال هو رجل لهُ عندي رسالة مهمة ، ففهمت ان في الامر ما لا يود ان يطلعني عليهِ فامسكت عنهُ . ولما قاربت الشمس المغيب بلغنا اكمة اشرفنا منها على قرية عن يميننا والى يسارنا قصرٌ ضخم البنآء محاط بالاشجار الكبيرة الكثيفة . ومر بنا فلاح يجر مركبةً صغيرة فسألهُ ديروك عن اسم القرية فقال انها ارنسدورف . فقال هي المكان التي يجب ان ابيت فيهِ الليلة . ثم سأل الفلاح هل

يعرف رجلاً في تلك الجهات يدعى البارون سترو بنتال . فقال الفلاح نعم اعرفهُ فهو المشهور بصاحب القصر المخيف وهذا قصرهُ واشار الى القصر الذي كنا قد رأيناهُ بين تلك الادغال . وما سمع ديروك الجواب حتى كاد يثب عن جوادهِ وبانت على وجههِ علامات يتجاذبها السرور والغضب حتى خاف الفلاح وهمّ بالمسير فاستوقفتهُ وقلت لماذا تسمونهُ صاحب القصر المخيف . فقال لما نسمع عما يجري في قصرهِ من الامور المخيفة من مدة اربع عشرة سنة . فقلت وهل هو من اشراف بولندا . قال كلا بل هو فرنسوي . فقال ديروك وهل هو اشقر الشعر . فقال الفلاح نعم حتى يكاد يبلغ الحمرة . فصاح ديروك قائلاً الحمد لله فهو الرجل الذي اطلبهُ وقد قادتني يد العناية اليهِ فهلمّ معي ياسيدي جيرار لانهُ يجب ان اوصل رجالي الى محل نزولهم قبل ان اتفرغ لقضاء اشغالي الخاصة . ثم مضينا في طريقنا حتى بلغنا القرية ودخلت الفرسان الى محل اقامتها . اما انا فعزمت ان لا ابيت تلك الليلة هنالك وان اتابع مسيري حتى اصل الى الجنرال روسل وانضمّ الى فرقتي فلما عرف ديروك قصدي نظر اليَّ مستعطفاً وقال اتتركني يا سيدي في مثل هذه الحالة . قلت انني اجهل ما انت فيهِ فاية مساعدة يمكنني ان اقدمها لك . فقال اني قد سمعت عنك كثيراً يا مولاي مما يؤكد لي انك الرجل الوحيد الذي استطيع ان استعين بهِ فاذا بقيت هنا في هذه الليلة اوليتني فضلاً عظيماً وانقذت شرفي وشرف اسرتي . ولست اكتمك انني ساجتاز خطراً شخصيًّا قد يذهب بحياتي . فلما سمعت كلمة الخطر ادركت ان في الامر شيئاً مما احب ممارستهُ فوثبت عن ظهر رتابلان الى الارض وامرت الخادم ان يدخلهُ الاصطبل ودخلت مع ديروك فجلسنا الى مائدة وسألتهُ عن امرهِ وماذا يروم مني ان افعل . فقال ان والدي هو خريستوفور ديروك صاحب المصرف المشهور الذي قتلهُ الشعب في مذابح ستمبر التي لا تنسى . ولا يخفى عليك ان الشعب هجم في ذلك الوقت على السجون وألّف محكمة قضاتها ثلاثة منهم لاعدام الشرفاء المسجونين فاذا صدر الحكم كانوا يمزقونهم على الطريق قبل وصولهم الى محل الاعدام . اما والدي فكان محسناً الى الجميع وكان الشعب يحبهُ

فطلب كثيرون ان لا يحكم عليهِ ولا سيما لانهُ كان قد مرض في سجنهِ بالحمى فحملوهُ بسريرهِ كالميت الى كرسي القضآء . وكان اثنان من القضاة يودان اطلاق سراحهِ اما الثالث وكان أولئك القتلة قد جعلوهُ رئيساً لهم لقوة جسمهِ وشراسة خلقهِ فانهُ نهض ورمى والدي عن سريرهِ ثم رفسهُ برجلهِ مراراً الى ان اوصلهُ الى الباب وكانت الجموع تنتظر في الخارج وقد استولى عليهم جنون من كثرة الدمآء التي اهرقوها فما بلغ جسم والدي الخارج حتى هجموا عليهِ بدون ان يعرفوهُ ومزقوهُ قطعاً .

ولما راقت الحال وعاد الامن اخذ اخي الاكبر يبحث عن قاتل والدي وكنت لا ازال صغيراً فسمعت الحديث بين افراد اسرتنا وعلمت ان الوحش الذي فعل تلك الفعلة الشنعآء هو احد رجال الحرس واسمهُ كارابين وانهُ كان بين الشرفآء سيدة اجنبية تدعى البارونة سترو بنتال سعى كارابين بخلاصها على شرط ان تتزوجهُ وتهبهُ املاكها وثروتها فقبلت ثم تزوج بها وهرب من فرنسا . وكان يسهل علينا ان نجدهُ بعد معرفة اسمهِ وصفاتهِ غير ان تلك الثورة المشؤومة كانت قد افقدتنا جميع مالنا ثم جآءت الامبراطورية وانت تعلم ان نابوليون كان يعاقب بشدة كل من يذكر او يجلب ذكرى تلك الايام الماضية فلزمنا السكوت . وفي تلك الاثنآء دخل اخي الجندية وكانت خدمتهُ في جنوبي اوربا فلم يفتر عن السؤال عن البارون سترو بنتال غير انهُ لما كان شهر اكتوبر الماضي سقط قتيلاً في معركة جينا فاخذت على نفسي القيام بذلك ودخلت الخدمة وقد ساعدتني التقادير ان اعثر على غريمنا وزيادةً على ذلك ان يكون مرافقاً لي جيرار الشهير الذي لم يرد ذكر اسمهِ قط الا مقروناً بالاعمال المجيدة التي قام بها والمخاطر الشديدة التي خاضها سالماً

وكنت اسمع حديث ديروك الى نهايتهِ فسرني ما قالهُ اخيراً من الحقائق فقلت لهُ وماذا تروم مني ان افعل . قال ان تأتي معي الساعة الى قصر هذا اللعين وهناك اعلم ماذا يجب ان افعل . ولم تخفَ عليَّ جسامة الامر وكان ذلك ما احب الدخول فيهِ فقلت اني لا اكون الا عند ظنك بي فهلمَّ . وللحال انطلقنا تحت جنح الظلام

ولم نستصحب خيولنا بل حملنا سلاحنا ووضعت غدارتي في جيبي لانني ايقنت انهُ لا بد من حصول امر خطير في تلك الليلة . وكان القصر المذكور يبعد نحو ميل عن محل اقامتنا فاتبعنا الطريق وهي ملتفة بين الادغال حتى واجهنا القصر فالفيناهُ مظلماً الا غرفةً واحدة و بلغنا بابهُ فكان مصفحاً بالحديد لا جرس فيهِ ولا حلقة فجعلنا نقرعهُ بمقابض سيوفنا حتى فتح لنا رجل ضعيف الجسم لهُ لحية كثيفة تغطي وجههُ و بيدهِ مصباح و باليد الاخرى زمام كلب شرس كانهُ النمر . فقال الرجل ان البارون سترو بنتال لا يستقبل زائرين في مثل هذه الساعة . فقال رفيقي انني جئت من مسافة ثماني مئة غلوة لاراهُ فلست براجع قبل اقابلهُ . فقال الرجل ان شئتم الحقيقة فالبارون سكران في هذهِ الليلة فلا تسرون بمحادثتهِ . وكان الباب قد فتح قليلاً فرأينا في الغرفة ثلاثة رجال قباح الصورة ومع احدهم كلب آخر فوثب ديروك الى الداخل قائلاً حسبك يا هذا فلا بد من مقابلة مولاك وتبعتهُ انا مسروراً من شجاعتهِ. ثم طلب من احد الرجال ان يوصلنا الى غرفة البارون فسار امامنا الى ان ادخلنا غرفةً صغيرة في وسطها مائدة ولها بابٌ آخر غير الباب الذي دخلنا منهُ وعند طرف المائدة رجل غليظ الجسم لهُ رأس كرأس الاسد مغطى بشعر كثيف برتقالي اللون ولهُ لحيــة اثيثة كعرف الجواد اما هيئتهُ فوحشية لم أرَ اقبح منها وكان رأسهُ يميل من السكر . فلما صرنا امامهُ قال هل لديكما ايها الفتيان اخبار عن باريس فقد سمعت انكم اتيتم لتحرروا بولندا فاصبحتم جميعكم اسرى فيها يقودكم رجل صغير لا عقل لهُ . وكان ديروك قد تقدم حتى صار بقربهِ فقال لهُ يا جان كارابين . . . وقبل ان يتم كلامهُ اذا بالرجل قد جحظت عيناهُ واتقدت فيهما نيران الجحيم وقال من انت يا من يُدعوني بهذا الاسم . فقال ديروك يا جان كارابين انني من زمن طويل جدًّا اجتهد في مقابلتك فاعلم انني انا ديروك . . . واجتهد الرجل ان يتبسم غير ان دلائل الخوف كانت بادية على وجههِ فثبت جأشهُ وقال ما مضى فقد مضى يا عزيزي وقد كنتُ ووالدك ضدَّين من حزبين مختلفين فنجوت انا وسقط هو فهذه نتائج الحروب و . . .

فقاطعهُ ديروك قائلاً كفى كفى فاني لو اغمدت سيفي الآن في صدرك لما كنت فعلت الا العدل ولكنني اشين شرف سيفي لو فعلت فانهض ودافع عن نفسك

فقال هازئاً يسرني ان ارى في دم الفتيان مثل هذه الحدة ولو كانت في غير وقتها . واذ ذاك هجم ديروك فلطم البارون على وجههِ لطمة شديدة رأيت بعدها الدم يتدفق من فم البارون على لحيتهِ فنهض وقال ستموت يا هذا بسبب هذه اللطمة فانتظرني ريثما احضر سيفي . ولما قال هذا خرج من الغرفة وللحال فُتح الباب الآخر ودخلت منهُ فتاة في مقتبل العمر وتمام الجمال وعليها علامات الخوف فنظرت الى ديروك وقالت عافاك الله يا سيدي فدعني اقبل يدك التي لطمتهُ بها . فقلت لها ولمَ ذلك . قالت لانها اليد التي ستنتقم من هذا الوغد الظالم فانني ابنة البارونة سترو بنتال التي تزوج بها هذا الوحش الضاري حتى امتلك كل مالها ثم قتلها هنا كما قتل كثيرين غيرها وتركني في هذا السجن اقاسي اصناف العذاب . وسمعنا وقع اقدام البارون راجعاً فاختفت الفتاة كما ظهرت واذا بهِ قد دخل و بيدهِ سيف ومعهُ الرجل الذي فتح لنا الباب فقال ان هذا شاهدي فاستعدّ للموت . ثم نظر الى الغرفة فقال ان وجود المائدة يعوقنا عن البراز بسهولة فهلمَّ بنا الى غرفة اوسع ثم سار امامنا فتبعناهُ حتى بلغ باباً فتحهُ وتنحى مشيراً الينا بالدخول فدخلنا قبلهُ ولم تطأ اقدامنا العتبة الداخلية حتى اقفل علينا الباب من الخارج وتركنا مسجونين ليهلكنا بتلك الطريقة الدنيئة . اما انا فطار صوابي واسرعت الى الباب اقلقلهُ وارفسهُ وانادي بأعلى صوتي شاتماً لاعناً ولكن لا سميع ولا مجيب . ولم يكن للغرفة سوى نافذة صغيرة جدًّا لا يستطيع الشخص ان يخرج رأسهُ منها وكانت عالية عن الارض فوثبت على برميل كان بالقرب ونظرت من النافذة فرأيت طريقاً ضيقاً بين الادغال وابصرت فارساً يحث جوادهُ فعلمت انهُ رسول اوفدهُ البارون يستدعي بعض رفاقهِ في اللصوصية ليفتكوا بنا . وكان في الغرفة مصباح صغير اخذتهُ بيدي وجعلت ابحث في سجننا فالفيتهُ مستودع مؤونة القصر ملآن بالبراميل واكثرها فارغة ثم وجدت بعض الماكولات وكنت جائعاً فاكلت وشربت قليلاً من الخمر . امــا

ديروك فكان كاللبوءة الفاقدة اشبالها يسير في ارض الغرفة ذهاباً واياباً وهو كمن فقد رشده. ثم اني جعلت ألوم نفسي على ذهابي معهُ وقلت ان انا مت هنا فمن يدري كيف مات جيرار ومن يقوم بعدي بالاعمال العظيمة التي كان من نصيبي ان أقوم بها . وكأن ديروك خطر لهُ ما خطر لي فجعل يعتذر اليَّ عما أوقعني فيهِ فقلت لهُ دع هذا الآن ولنفكر في طريقة للنجاة . قال ما رأيك لو اشعلنا النار واحرقنا الباب . قلت لا اسهل من ذلك فهذا برميل الزيت ولدينا نور المصباح ولكن من يضمن لنا ان لا نشوي لحمنا في هذا الحريق . واذ ذاك سمعنا من النافذة صوتاً رخيماً فنظرنا فاذا بالفتاة وهي تقول اسرعا فانهم ارسلوا يستدعون القوزاق وانما هالكان . ثم صاحت بخوف الويل لي فقد هلكت . واذ ذاك سمعنا وقع اقدام ثقيلة وصوتاً راجفاً يقول لها تبًّا لكِ من خائنة ثم اختفت عن نظرنا و بقينا وحدنا . وكنت قد شعرت ان الفتاة القت بشيءٍ الى الغرفة فبحثت فوجدت مفتاحاً اختطفهُ ديروك من يدي واسرع بهِ لمعالجة القفل فوجدهُ صغيراً جدًّا يدخل كلهُ في الثقب بدون فائدة فعاد حزيناً وهو يقول تبًّا لهم فسيقتلوننا لا محالة . اما انا فلم اكن لافقد درايتي وحكمتي وعلمت ان لا بد للمفتاح من نفع والا لما احضرتهُ لنا الفتاة تحت ذلك الخطر . فجعلت ابحث في جميع الجدران وارفع البراميل من محل الى آخر حتى ظهر لي وراء احدها باب يكاد يمحى رسمهُ فوضعت فيهِ المفتاح وعالجتهُ ففتح فطارت انفسنا من الفرح . ثم دخلت مع ديروك فوجدنا اننا صرنا الى مخزن البارود وفيهِ براميل عديدة احدها مفتوح والبارود فيهِ وكان لهذا المخزن باب آخر لكنهُ مقفل ايضاً . فقال ديروك وما الفائدة وليس معنا المفتاح الثاني . فقلت قد صار لدينا عدة مفاتيح فاننا بهذا البارود نفتح اي باب شئنا . ولما قلت هذا اسرعت الى صندوق صغير ملأتهُ من البارود وكان ديروك يساعدني وهو لا يعلم قصدي و بعد ان ملأناهُ جيداً حملناهُ الى الغرفة الاخرى فوضعتهُ امام الباب ثم وضعت عليهِ اثقالاً من البراميل وقوالب الجبن حتى اصبح ملاصقاً للباب تماماً وفتحت في اسفل الصندوق ثقباً صغيراً جعلت فيهِ طرف شمعة وجدناها هناك فاتممنا عملنا بغاية الدقة حتى لو

رآهُ امهر مهندسي كتائبنا لقدم لنا عبارات الشكر . ثم اوقدنا الشمعة واسرعنا الى مخزن البارود فاقفلنا بابهُ ورآءنا و بتنا ننتظر النتيجة . ولم يكن يخفى علينا ما في ذلك من الخطر ونحن بين القناطير العديدة من البارود غير ان الخطر اذا لم يكن منهُ مفرّ فمن الجبن تحاشيهِ. وكانت الدقائق تظهر لنا اعواماً وانا اخشى ان يمر الوقت فيصل القوزاق و يفتكوا بنا . ثم خطر لي ان تكون الشمعة قد انطفأت وحدثت نفسي ان اذهب لاراها واذا بصوتٍ يصمّ الآذان فانفتح باب المخزن الذي نحن فيهِ وقد تكسر قطعاً فرأينا قطع البراميل المكسرة وقطع الجبن المتفرقة وانواع المأكولات وقد غرقت الغرفة بالزيت والخمر . واسرعت لارى النتيجة فوجدت ان عملنا قد نجح وقد فتح باب سجننا ولزيادة الحظ ساعدتنا التقادير بقتل السجانين ايضاً فانا لما خرجنا وجدنا اول كل شيء احد الرجال ملقى على الارض و بيدهِ فأس كبيرة وقد انشقت جمجمتهُ وسالت دماؤهُ ثم رأيت الكلب وقد بُقر بطنهُ وهو في نزع الموت . اما الكلب الثاني فكان لا يزال حيًّا فوثب الى ديروك فاستقبلهُ بسيفهِ فقطعهُ نصفين . وللحال قرع آذاننا صوت الفتاة في الغرفة المقابلة فاسرعنا اليها وفي مرورنا صادفنا رجلين ايضاً لكنهما لم يستطيعا التقدم امام سيوفنا المصلتة . واسرعنا الى الغرفة فوجدنا الفتاة مطروحة على كرسي وهي تنتحب والى جانبها البارون وقد ظهر بهيئة ابالسة الجحيم فلما رآنا انتضى سيفهُ وهجم فقابلهُ ديروك واشتبك الاثنان في قتال عنيف ولم استطع مساعدة رفيقي لضيق المكان واشتغال نظري بالفتاة . . وكان البارون رشيق الحركة فضايق ديروك كثيراً ثم رفع يدهُ ليضربهُ الضربة القاضية فوثبت ملاقياً ضربتهُ بقفا سيفي وقلت مهلاً يا هذا فان اتيان جيرار يروم امتحان قوتك . فوقف البارون هنيهةً وقال لست انت عدوي ولا سبب بيننا للخصام . قلت كفاني انك سجنتني واهنت هذه الفتاة فاسترح قليلاً واستعدّ . ولما لم يرَ مندوحة عن القتال هجم وكانهُ كان يجهل بأسي فأريتهُ في الضربتين الاوليين ان جيرار اعظم مما ظنهُ واخذت اصاولهُ مدةً وانا اهزأ بهِ حتى ايقن انهُ مائت لا محالة فضاعف همتهُ . وكنت اود ان اطيل عذابهُ ولكنني لم انسَ القوزاق وخفت من سرعة

حضورهم فاهويت عليهِ بالضربة القاضية واذ ذاك رأيت جسمهُ الثقيل يسقط كالطود الى الارض والدم يتفجر من صدرهِ . وفي تلك الدقيقة شممت رائحة الدخان ولمع حولنا نور احمر علمت معهُ للحال ان القصر يحترق فاسرعت الى الباب فوجدت ان اللغم الذي كان سبباً لنجاتنا قد الهب الزيوت والاخشاب في المخزن فاتقد القصر ثم خطر لي انهُ عن قريب ستصل النار الى مخزن البارود فلا يبقى لنا مقدار ذرة من الامل في النجاة . وكان ديروك ملقى على الارض منهوك القوى من بعض جراح اصابتهُ فحملتهُ كالولد الصغير وادركت الفتاة سبب خوفي فساعدتني في حملهِ واسرعتُ في الخروج وما زلت كذلك الى ان بلغنا طرف الغابة واذا بصوت كالرعد القاصف قد اصمّ آذاننا وتبعهُ صوت آخر اقوى منهُ فسقطت الى الارض لا اعي شيئاً وقد فقدت الشعور

ولما عاد اليّ رشدي وجدت نفسي في فندق ارنسدورف وقد مرَّت عليَّ فيهِ عدة اسابيع بعد تلك الحادثة . واخبرني ديروك ان الصوت الاول الذي سمعناهُ كان انفجار مخزن البارود والصوت الثاني كان سقوط القصر وقد نُسف من آساسهِ وان شظية خشب اطارها الانفجار سقطت على رأسي فشقتهُ والقتني صريعاً وكانت الفتاة قد اسرعت وحدها الى ارنسدورف فاحضرت جنودنا فوصلوا في الوقت الذي فيهِ كان القوزاق قد اقتربوا منا ليوقعوا بنا

اما الفتاة فلم اعرف عنها كثيراً في ذلك الحين لان اول همي كان ان اصل الى حيث طلبني الجنرال روسل ولكنني لما عدت الى باريس بعد سنتين قابلت ديروك فدعاني الى بيتهِ ولم احتج الى ان يعرّفني بزوجتهِ لانها كانت هي نفس تلك الفتاة التي خلصت حياتنا مرتين . اما ديروك نفسهُ فاحرز لقب بارون سترو بنتال واستولى على املاك والدة زوجتهِ فكان ذلك من اعجب ما رأيت من استحالة الاحوال وعبر الايام والليال

الحياة

(تابع لما في الجزء الاول)

هذا مُجمَل ما تحصّل لهم بعد الامعان في البحث الى آخر ما أوصلتهم اليهِ ذرائع العلم الحالي وكلهُ كما ترى لا يتعدى خصائص الحوصلة المفردة وهي أبسط المميزات التي يُفرَق بها بين الجسم العضوي وغير العضوي .

وهناك بحثٌ آخر في حقيقة الافعال الحَيَويّة وهل هي من نوع الافعال الطبيعية او الكيماوية المتصرفة في المواد العنصرية او هي أفعالٌ اخر خاصّة بالاجسام العضوية . فذهب فريقٌ منهم الى ان القوى التي تصدر عنها الافعال الحيوية لا تختلف عن القوى العاملة في المادّة وان الحياة ليست الاَّ نتيجة تفاعل كيماوي بين العناصر المؤلفة منها الاجسام الحية وانها اول ما ظهرت في مركَّبٍ خاص من الكربون والاكسيجين والازوت وهي الموادّ التي نشأت من تألّفها البروتوبلاسما الاولى ثم نمت بالإرث والتحوُّل . وذهب غيرهم الى أن الحياة ليست في شيءٍ من النواميس المعروفة في المادّة انما هي قوةٌ خاصّة بالكائنات الآليّة تختلف مفاعيلها تبعاً لما توجد فيهِ من الانسجة والاعضاء فتنشأ عنها الحركة في العَضَل والحِسّ في العَصَب وافراز الصفراء في الكبد وتحويل الاغذية في المسالك الهضمية الى مادّةٍ حيّة وهلمَّ جرًّا . وقد كان لهم في هذا المعنى مباحث طويلة ومناقشاتٌ دقيقة دفعت اصحاب المذهب الاول الى مزاولة كل غريبٍ من الامتحانات حتى وصلوا بعد تكرار التجارب والامعان في تحليل

الاجسام الآليّة وفحصها الى تركيب عدة موادّ نباتية وحيوانية فجاءت كالتي تركّبها الطبيعة الّا انهم وقفوا عند هذا الحدّ فلم يتجاوزوهُ . ولا يخفى ان تركيب المادّة التي هي محلّ الحياة شيء وايجاد الحياة العاملة في تلك المادّة شيءٌ آخر وبعبارةٍ أخرى لا يمكن ان يقاس بين صنع مادّةٍ يشبه تركيبها تركيب شيءٍ من الانسجة النباتية او الحيوانية وصنع حويصلةٍ حيّة تصدر عنها افعال ذوات الحياة من التمثيل والافراز وغيرهما مما تقدم ذكرهُ . وقد افرغوا جهدهم في البحث عن مادّةٍ تتوسط بين الاجسام الحيّة وغير الحيّة كما وُجد بين الحيوان والنبات اي ان يجدوا مادّةً تتوسط بين الهُلام مثلاً والحُوَيصلة الحيّة فلم يعثروا على شيء من ذلك بل جاء الامر على عكس ما كانوا يؤملون لانهم كانوا كلما تعمقوا في المباحث الحيوية ازداد سرّ الحياة غموضاً وبَعُدَ الشبه بينها وبين سائر القوى العاملة في الموادّ العنصرية . والظاهر أن وجود هذا الوسط مما لا مطمع فيهِ بل المذهب الغالب اليوم بين علماء الطبيعة ان الحياة بمعزل تام عن النواميس الطبيعية والكيماوية ولها مصدر غير مصادر تلك النواميس بحالها .

اذا ثبت ذلك بقي أن يُبحَث عن مصدر الحياة وكيفية اتصالها بالمادّة وهي المعضلة الكبرى التي عجزوا عن حلها على وجهٍ تجيزهُ المبادئ العلمية . وذلك ان جميع علماء الهيئة وعلماء طبقات الارض متفقون على ان الارض كانت في أول امرها جذوةً سائلةً وغازاً مشتعلاً وكانت قبل ذلك سديماً منتشراً في الفضاء فكانت في الحالين غير صالحة للحياة ولذلك عدلوا فيها الى مفروضاتٍ بعيدة الاحتمال ولو بالقياس الى مبلغ العلم الحالي . فزعم بعضهم

ان الحياة وُجدَت منذ البدء حتى في السائلات الملتهبة والغازات المنتشرة في السديم الاول. وانها كانت على شكل يخالف شكلها المعروف اليوم ثم تبدلت مظاهرها شيئاً فشيئاً تبعاً لاقتضاء البيئة وفي هذا القول من البعد ما لا يخفى . وزعم آخرون ان جرثومة الحياة هبطت الى الارض مع النيازك اي الحجارة المنقضّة من الفضآء يذهبون بذلك الى احد الاقوال في اصل النيازك وانها آتية من جرم من الاجرام السماوية انفجر بسبب من الاسباب فتناثرت قِطَعهُ في الفضآء وحملت معها جراثيم الحياة . ومهما يكن في هذا القول فلا أقلّ من انهُ يتضمن فرض وجود الحياة في أحد الاجرام قبل وجودها في الارض فبقيت المسئلة في موضعها من الغموض والجهل . وذهب جماعةٌ الى ان التولد الذاتي الذي يُعَدّ اليوم من المستحيلات قد كان ممكناً في الزمن الاول وقد وافقتهُ احوالٌ هي معدومة اليوم وايسر ما في هذا الزعم انه قولٌ لا دليل عليهِ . على أن من العلمآء من لم ينقطع عن البحث فيهِ ومراقبة ما يلد الاتفاق من غوائب الحوادث وما يمرّ في اثنآء التجارب العديدة التي يزاولونها في هذا السبيل وغيرهِ رجآء أن يبدو لهم ولو شعاعٌ ضعيف يتخذونهُ مبدأً للوصول الى اثباتهِ . وقد نشرنا في الجزء التاسع عشر من مجلد السنة الماضية (ص ٥٩٣) ماكان من الاكتشاف الذي سنح للمستر بُورك مما ان صحّ على الوجه الذي نقلوهُ ثبتت منهُ صحة التولد الذاتي بلا ريب وعُرِف من سرّ الحياة ما طالما خبط فيهِ العلمآء والفلاسفة من أول الدهر .

وقد جآء في بعض المجلات الانكليزية زيادةً على ما نقلناهُ هناك

ان المكتشف المذكور نقل بعضاً من الجراثيم التي يقول انها تولدت بواسطة الراديوم فوضعها في سائل آخر عقّمهُ وتركهُ خالياً من الراديوم فنمت فيهِ ايضاً وانقسمت كما كانت منها في المرة الاولى فثبت لهُ ان الراديوم كان وسيلةً لتولُّد الحياة فيها وانها بعد ذلك تستمرّ حيّةً بدونهِ

وقرأنا في أحدى الجرائد الفرنسوية نبأ اكتشاف آخر من قبيل اكتشاف المستر بُورك وهو ان المسيو إيف دُلاّج توصل في مُختبَرهِ في رُوسكُوف الى تلقيح بيض السمك المعروف بالكوكب (astérie) بواسطة الحامض الكربونيك . ولا يخفى أنّ تولُّد السمك من البيض على هذا الوجه لا يُفرَق عن تولُّد الجراثيم الحيّة من الجلاتين بل هو اغرب من ذاك لان المتولّد منهُ حيوان ذو أعضاء وأجهزة مختلفة لا حُوَيصلة مفردة كالذي رُوِي عن اكتشاف بُورك

هذا ما ذكروهُ من نبأ هذين الاكتشافين الغريبين نرويهِ على وجههِ ونحن لا نقطعُ بصحة شيء منهما لجواز أن يكون ثمة ما لم يتنبه لهُ المكتشفان . على أن المسئلة الآن قد اصبحت محلاًّ لفحص مئاتٍ من جهابذة العلماء في أوربا واميركا ولعلهُ لا يأتي الاّ زمن قصير حتى يُبَتّ احد وجهيها بما يقطع الريب

من كلام بعض الحكماء الحذر من الكريم اذا اهنتهُ واللئيم اذا اكرمتهُ والعاقل اذا احرجتهُ والاحمق اذا مازحتهُ والفاجر اذا عاشرتهُ

خطب كالبريا والزلازل في العالم

ماذا عسى ان يبلغ هذا القلم من وصف ذلك الخطب الهائل والذين سمعوا بآذانهم ورأوا بعيونهم اعترفوا بالعجز عن وصفهِ ولكن حسب المطالع ان يتصور الوفاً عديدة من المنازل قد تهدمت جدرانها او تزعزعت اركانها فلا تصلح لمأوى ولا تليق لملجأ ويتصور نحواً من الفي قتيلٍ وجريح سقطوا ولا مسعف ولا معين فقضى اكثر الجرحى لقلة العناية والحاجة الى العلاج واكثر من مئتي الف نفس غطآؤهم الهوآء وسقفهم السمآء وفراشهم الغبرآء وبطونهم مطويّة على الطوى وصدورهم تلتهج بنيران الحزن على اثر ذاك الخطب الجلل وبين هؤلآء الخلائق المنكوبة عجائز وشيوخ واطفال يدمي منظرهم الفؤاد ويحرك قلب الجماد · واني اكتب الآن للضيآء وكانما عيني ترى أولئك المساكين باكين ضارعين الى ولاة الامور او ملتفّين حول ملكهم الغيور حين خاطر بنفسهِ وزار البلاد المنكوبة ليسمع باذنهِ ويرى بعينهِ وقد امتلأ الكيرينال (وهو مقام الملك بايطاليا) من تلغرافات الملوك وارباب التيجان ورؤسآء الحكومات وانهالت العطايا من انحآء اوربا واميركا وآسيا وافريقيا على أولئك البائسين ولكنها لم تخفف الا بعض المصائب · ولم تبرح الحكومة الايطاليـة حتى الساعة تهتمّ بتشييد المنازل وتجديد المعاهد وتقديم ما تجد اليهِ سبيلاً من العون والاسعاف لعلها تلطف من الويل وتخفف من الشقآء المخيّم

وقد قرأت في احدى المجلات العلمية فصلاً لبعض مكاتبيها شرح فيهِ بعض تفاصيل ذلك الزلزال فرأيت ان اعرّبهُ ليقف عليهِ قرآء الضياء قال

حدث في ايطاليا زلزالٌ عنيف نادر الشدّة دمّر الولايات الجنوبية منها وقد تكرر دفعاتٍ عديدة توالت من ٨ شهر ستمبر الى آخرهِ . وكانت اول رجفةٍ في اليوم المذكور بعد نصف الليل بساعتين و ٤٢ دقيقة واستمرت ١٣ دقيقة فدمّرت كل شيء على مسافة ١٠٠ كيلومتر طولاً فيما يزيد على ٢٠ كيلومتراً عرضاً وقد انشقّت الارض في بعض الاماكن وخسفت قرًى بكمالها فلم يبن لها أثر وكان القتلى مئاتٍ كثيرة والجرحى ألوفاً : وليعلم المطالع مقدار البلآء الذي نزل بهذه الناحية نقول انهُ في الرجفة الاولى وُجد عدد الموتى على ما قدّروا ٥٠٠ نفس والجرحى ٢٥٠٠ على ان هذا ينبغي ان يكون دون الحقيقة بكثير لان قرية مرتيرانو واهلها لا يزيدون على ٣٠٠٠ نفس سقط منهم في تلك الرجفة ٢٢٠٠ نفس بين قتلى وجرحى

أما المنازل التي كانت على الشاطئ فخرب معظمها بقوة اندفاع الامواج وقد غمرتها المياه بجملتها وتخرّب كثير من خطوط السكك الحديدية . وشعر الناس بالرجفة من جهة الشمال الى سالرنا وما يليها شرقاً وغرباً ومن جهة الجنوب في جميع الشواطئ الشرقية من صقلّية وحدث زلزالٌ في مسّينا تقوّض بهِ كثيرٌ من الابنية وهاج بركان استرومبولي ويزوف فأرسل الاول سيولاً من الموادّ المصهورة وقذف كثيراً من الصخور والرماد وسقط في تيريولو مطرٌ من الغبار

واستمرّت الزلازل تتردد في اكثر الايام فخربت بها بلادٌ كثيرة

وذهب عدد كبير من النفوس وكانت مضارّ الزلزال في نابلي اعظم مما كان يقدَّر بكثير فقد كُتب منها في ٢٩ ستمبر ان عدد المنازل التي تقوضت أو اصبحت غير صالحةٍ للسكنى بلغ عشرة آلاف منزل ولبث ما يزيد على خمسين الف نفس بلا مأوى

على ان كالبريا ما زالت عُرضةً لهذه الحوادث تتكرر فيها الحين بعد الحين وهذا مما يدل على ان الموضع الذي يحدث فيهِ الزلزال مرةً لا يأمن مراجعتهُ ولو بعد زمن بعيد. فقد ذُكر انهُ حدث فيها زلزال سنة ٥٢٦ هلك بهِ ما بين مئة وعشرين ومئتي الف نفس . وفي سنة ١٧٨٣ دُمّرت اوبيدو وترّانوفا وقُتل فيهما ستون الف نفس وكانت المنازل تتطاير في الجوّ كما تتطاير الحجارة بنسف الديناميت . وفي پولستينا هلك اكثر السكان تحت الانقاض وقد شوهدت اخاديد في الارض لا يقل طولها عن ٥٠٠ متر في عرض ١٥٠ متراً وعمقها بضعة أمتار . ثم انهُ في سنة ١٨٨٦ و١٨٨٧ عاودت الزلازل هذه الناحية ثم راجعتها سنة ١٨٩٤ الاّ انها كانت خفيفة هلك بها ٩٤ نفساً وجُرح ٨٠٠ . اه

على ان ما أصاب ايطاليا من الزلازل المذكورة ليس بأشدّ ما رُوِي من مثلهِ في الازمان التاريخية فان الكرة ما برحت عُرضةً للزلازل منذ وُجِدت وما يحدث في أيامنا هذه ليس الاَّ بقايا من تلك الانقلابات السالفة وليس ما نراهُ من جبال ووهاد وسهول وانجاد الاّ من آثار الزلازل الاولى . واذا نظرنا الى الربع الاخير فقط من القرن الماضي رأينا ما هو اعظم مما حلّ بكالبريا . فمن ذلك زلزال حدث في جاوا سنة ١٨٨٣ فاهلك

ثمانين الف نفس . وزلزال في الاندلس وقع سنة ١٨٨٤ فاسفر عن ألوف من القتلى والجرحى. وزلزال في اليابان حدث سنة ١٨٨٧ ولم يستمرّ سوى دقيقة واحدة فأمات سبعة آلاف وهشّم مئة الف نفس وحدثت بعدهُ زلزلة بحرية سنة ١٨٩٨ هلك بها ثلاثون الف نفس . وحسبك من ذلك ما حدث من نحو اربع سنوات في المرتينيك[1] مما لا يزال ذكرهُ الى الآن يدمي القلوب ويُرعد الفرائص

وقد لاحظ علماء الجيولوجيا ان الزلازل تبدأ اولاً باهتزاز ارضي خفيف فلا يكاد الانسان يشعر بحركة الارض مع انها تهتز وترتجف ثم تحدث سكينة في غالب الاحيان يتلوها الزلزال وقد تحدث زلازل فجائية على غير هذا الوجه . وتقسم الهزات الارضية الى ثلاثة أقسام قسم يكون من الادنى الى الاعلى وقسم يكون أُفقيًّا مع صدمة جانبية وقسم يكون متماوجاً تماوج البحر كما حدث في بعض هزات كالبريا . أما أوقات الزلازل فقد كانت متباينة كل التباين في الطول والقصر فمنها ما حدث في بعض ثوانٍ كانت كافية لتخريب البلاد وقلب الارض كما جرى في جزيرة ايشيا بالقرب من نابلي سنة ١٨٨٣ ومنها ما بقي أياماً وشهوراً كما وقع في فيبج سنة ١٨٥٥ فان اضطراب الارض بقي متوالياً الى سنة ١٨٥٧ وحدث ٢٠٠٠ هزة في شهر مارس وحدهُ في جزر صندويج سنة ١٨٦٨ . وحدث سنة ١٨٩١ في جيفو من بلاد اليابان ١٣٦٠ زلزلة وفيها ما كان بالغاً منتهى الشدة وذلك من ٢٨ اكتوبر الى ١٠ نوفمبر اي في اثني عشر يوماً لا غير

(١) راجع مجلد السنة الرابعة من الضياء ص ٥٥٦

اما اسباب الزلازل فقد مضى زمن طويل وجماعة من الباحثين يعزونها الى وجود البراكين ويعتقدون انها لا تحدث الا في الجهات البركانية ولكن هذا المذهب مع كونهِ لا يخلو من الصحة لان البلاد البركانية اكثر تعرُّضاً للزلازل من سواها فان هناك جهاتٍ قرر العلمآء انها بعيدة عن المواقع البركانية كجبال الالب مثلاً فان الهزات تحدث فيها متوالية وسبب الاضطراب لا يُعرَف على وجه جليّ لكن الراجح عند العلمآء انهُ سقوط ركام كبير من الصخور الداخلية او انفجار يحدث في قلب الارض بسبب تراكم البخار الناجم عن تسرُّب المياه او التقلص الطبيعي المتوالي في قشرة الكرة الارضية . اما زلازل كالبريا فالارجح ان سببها تسرُّب مياه البحر الى قلب الارض بحيث نشأ عنها عند ملاقاتها لحرارة النار الداخلية بخارٌ عظيم احدث ضغطاً شديداً هائلاً في قلب الارض فزُلزلت زلزالها وصبّت على الخلق اهوالها.

***

واختم هذا الفصل بايراد قصيدة عامرة الابيات لحضرة صديقي الشاعر الشهير حافظ افندي ابراهيم ضمّنها الاعتذار عن الارض عند وقوع مثل هذا الحادث وقد اطلعني عليها وانا اكتب سطوري هذه قال

أَلبسوكِ الدمآءَ فوقَ الدمآءِ　　وأَرَوْكِ العدآءَ بعد العدآءِ

ولبستِ النجيع من عهد قابيـ　　ـل وشاهدتِ مصرع الابريآءِ

فلكِ العذر ان قسوتِ وان خنتِ　　وان كنتِ مصدراً للشقآءِ

غلط الناس ما طغى جبلُ النا　　رِ بارسال نفثةٍ في الهوآءِ

احرجوا صدر امهِ فاراهم بعض ما اضمرت من البُرَحاءِ
اسخطوها فصابرتهم زمانًا ثم انحت عليهم بالجزاءِ
ايها الناس ان يكن ذاك سخط الـ أرض ماذا يكون سخط السماءِ
ان في علوَ مسرحًا للمقادير م وفي الارض مكمنًا للقضاءِ
فاتَّقوا الارضَ والسماءَ سواءً واتَّقوا النار في الثرى والفضاءِ
فانظروا ما دهى بني الغرب في الغر ب وماذا أصابهم من بلاءِ
جاوروا النارَ واطمأنُّوا اليها كجوار الحُواة للرَقْطاءِ

يوسف البستاني

حق تملك الاجانب للاراضي العثمانية

كان من نظام الدولة العثمانية الى اواسط القرن الماضي ان تمنع الاجانب من حق التملك في اراضيها مع انهُ كان مباحًا لهم حق الاقامة والاتجار في جميع الممالك العثمانية ما خلا الحجاز وكانوا متمتعين زيادةً على ذلك بمميزات كثيرة عن العثمانيين كاعفاءِهم من تكاليف مختلفة مضروبة على الوطنيين.

ولحرمان الاجانب حق الملك العقاري في ديار الاسلام سببٌ قديم نشأ دينيًّا ونما سياسيًّا وحفظ قوتهُ قرونًا عديدة الى ان قضت الضرورة باباحة ذلك المحظور وتغيرت الاحكام بتغير الازمان

ذلك السبب هو الشريعة الاسلامية الغرآء التي تكفلت بنظامي الدين والدنيا او العبادة والمعاملة فان من قواعدها الاساسية الجهاد وهو دعوة

الناس كافة الى الاسلام فإمّا قبول الدعوة والدخول في الاسلام واما أدآء الجزية والدخول في ذمة المسلمين والاّ فالقتال . ولهذا كان يُعتبَر بمقتضى الشرع الاسلامي غير المسلم وغير الذمي حربيّاً اي انهُ تجب محاربتهُ الى ان يقبل أحد الامرين الاولين او يكون السيف بينهُ و بين المسلم فصل الخطاب ومن ثَمَّ قُسمت الارض المعمورة في نظر المسلم الى قسمين دار اسلام ودار حرب

لذلك لم يكن يباح لاحد من الاجانب دخول الديار الاسلامية الاّ باذن الحاكم ولم يكن يجوز لهُ الاقامة فيها الاّ اذا حصلَ على الامان لكن لا يباح لهُ ان يقيم الاّ الى اجل اطولهُ سنة فاذا أتى عليهِ ذلك الاجل سوآء كان سنةً أو اقلّ صار ذمّياً وأُلزِم أدآءَ الجزية واذا تملك ارضاً عُدّ ذمّياً بمجرد تملكها فأدّى الخراج عنها ومُنع في الحالين من الخروج من ديار الاسلام ومثل هذا يسمى مستأمناً .

ولما ضخم ملك الاسلام بالفتح وقضت الاحوال بالتوقف عن الاستمرار فيهِ والانقطاع عن الجهاد وكانت ضرورات العمران تقضي بتبادل المعاملة بين شعوب الارض جعلت دول أوربا تسعى في نيل الاذن لرعاياها من الدول الاسلامية بالتردد الى بلادها والاتجار فيها . واذ كانت الممالك الاسلامية محتاجة الى البضائع الأجنبية ولها بتردد الاجنبي عليها فائدة وكان الشرع لا يمنع ذلك التردد منعاً مطلقاً بل يجيزهُ تحت قيود شرعية معلومة أباحت الدول الاسلامية لرعايا الدول الاجنبية الدخول الى ديار الاسلام والاتجار فيها تحت شروط وتكاليف معينة . وقد كانت هذه

الاباحة بصكوك مكتوبة هي اصل المعاهدات الاّ انها مُنحت في ذلك الوقت بصورة انعام من الدول الاسلامية على رُعايا الاجانب وان كانت في الواقع ليست الاّ تبادل منافع بين الفريقين

ويبتدئ تأريخ هذه المعاهدات على الصحيح من عهد الفاطميين في مصر وقد حذت حذوهم الدول التي خلفتهم في هذه الديار ودول اسبانيا وافريقيا الاسلامية . ولما تأسست الدولة العثمانية سارت مع دول اوربا على النمط الذي كان موجوداً وقتئذٍ بمعنى انها لم تُحدث في جوهر هذه المعاهدات شيئاً جُديداً بل كانت تؤيد القديم المعروف وتمنح مثلهُ اللّهمَّ ما خلا بعض تعديل وتنظيم تقتضيهِ الاحوال

واذا راجعنا تلك المعاهدات جميعها من اوائل عهدها الى ان توسعت وتنظمت في عهد الدولة العثمانية وصارت مشتملاتها حقوقاً سياسية متبادَلة يطالب بتنفيذها وكلاء الدول الاجنبية المقيمون في عاصمتها وعواصم ولاياتها لا نجد فيها حق التملك العقاري مباحاً . ولا بأس ان نذكر هنا اهم ما تضمنتهُ تلك المعاهدات توفيةً للفائدة

فمنها انها تبيح للاجانب الملاحة في بحار الممالك الاسلامية وارساء سفنهم في موانيها ودخولهم الى الثغور واقامتهم في البلاد مع البقاء على عوائدهم والقيام بشعائر عباداتهم فيها . ومنها الاذن لهم ان يتقاضوا مدنيًّا وجنائيًّا في منازعاتهم الخصوصية لدى وكلاء دولهم فان كانت مع الوطنيين كان الاختصاص القضائي للمحاكم المحلية بشرط ان يحضر ترجمان القنصل النظر في الدعوى . ومنها انهُ يجوز لهم ان يوصوا في اموالهم

كما يشاءون ويسلموا تركاتهم الى وكلاء دولهم لتتصرف في مسائل الارث حسب قوانين بلادهم . وزد على ذلك حرمة منازلهم ومنعتها حتى على الحكام المحليين فلا يستطيعون دخولها قبل اخبار السفير او القنصل كما انهم يُعفون من كل مصادرة او مكس ما خلا المتفق عليهِ معهم . الى غير ذلك من الامتيازات التي لم يحصل عليها العثمانيون انفسهم الا حق التملك العقاري فقد كان محظوراً عليهم الى سنة ١٨٦٧ ميلادية اذ كانوا يضطرون قبل ذلك اذا ارادوا ابتياع عقار ان يكتبوا حجة بيعهِ باسم شخص عثماني يتخذون اسمهُ على سبيل العاريّة ويستخدمون العقار لمنفعتهم بحجة استئجارهِ من المشتري وتلك حيلة او مسوّغ شرعي اختاروهُ لهذا الغرض

والسبب فيما ارى لبقاء هذا الحق محظوراً على الاجانب دون بقية الحقوق طول هذا الزمان امران احدهما من حيث الدين وهو كون الشرع يمنع تملك اجنبيٍّ عقاراً دون ان يفقد حق اجنبيتهِ اي خضوعهِ السياسي لحكم دولة اجنبية لما يلزمهُ بسبب هذا التملك من القيام بالتكاليف العثمانية اذ يمتنع عليهِ بعدهُ الخروج من بلاد الدولة بحيث يصير كاحد رعاياها بلا فرق . والثاني من حيث السياسة وهو اضعاف نفوذ الاجانب في الديار العثمانية وتقليل تداخل الدول الاجنبية في شؤونها لما هو معلوم من ان تملك الاراضي في بلاد يجعل لاصحابها النفوذ الاول فيها من الوجهين المالي والاداري

على ان الدولة العثمانية كانت تعلم بتملك الاجانب بتلك الحيل والمسوغات وان كان الظاهر في المعاملة الرسمية غير ذلك ولا يخفى ما ينجم عن مثل

هذا التصرف المباين للواقع من المشكلات والمنازعات فرأت الدولة اخيراً لاجل حسم هذه المشاكل من جهة واجابةً لرغبة الدول الاجنبية من جهة اخرى ان تكفي نفسها مؤونة تلك المنازعات وتفتح ذلك البـاب المغلق فصدر خط همايوني بتـاريخ ٧ صفر سنة ١٢٨٤ (١٠ يونيو سنة ١٨٦٧) سنورد ترجمتهُ في هذا الموضع ومن ذلك الحين تساوى حق الاجنبي وحق العثماني في الامتلاك العقاري في الممالك العثمانية . وهذه ترجمة الخط الهمايوني بعد المقدمة　　(ستأتي البقية)　　ابرهيم الجمّال

الحامض النمليك

وتقوية العضل

نلخّص هذا الفصل عن مقالةٍ لاحد اكابر اطبآء الفرنسيس نشرها في احدى المجلات العلمية قال

ما زال اطبآؤنا في هذا العصر يسخرون من الاطبآء الاقدمين ثم لا يلبثون ان يعودوا الى تفقد ما كانوا يصنعونهُ من ضروب الادوية فيفحصون سرّهُ للوقوف على ما فيهِ المنافع . فمن ذلك نوعٌ من المركّبات السرّية كان مشهوراً بمنافعهِ العديدة حتى كنت لا تجد صيدليةً في القرن الماضي تخلو منهُ وهو المعروف باكسير هوفمان . ومن خصائص هذا الاكسير ان يشفي جميع الامراض والآلام ولهُ فعلٌ عجيب في الرياح السوداوية واضطرابات المعدة وكان يُصنع من نقيع النمل في روح الخمر وذلك على ما ورد في بعض التعاليق ان يؤخذ مقدار جفنتين من النمل

ويُجعَل في لتر من روح الخمر ويُترك في انآءٍ محكم السدّ الى ان يحلّ النمل ويصير مائعاً وبعد ذلك يقطَّر بواسطة حمّام ماريّا ويطيَّب بشيءٍ من الدار صيني

وقد اشتغل الدكتور كليمان من اطبآء ليون بامر هذا الاكسير وما يُحكى عنهُ من عجيب النفع فهدتهُ فكرتهُ الى ان فائدتهُ لا بد ان تكون ناشئة عما يتضمنهُ من الحامض النمليك واذ ذاك عمد الى الحامض المذكور فاخذ منهُ نحو عشر نُقَط في شيء من المآء القلوي وكرر ذلك الى اربع مرات في اليوم فشعر من استعمالهِ بمفعولٍ عجيب

واول ما شعر بهِ منهُ التنبُّه في الجهاز العضَلي بحيث وجد سهولةً في المشي وصعود الجبال والسباحة والمثاقفة بالسلاح ولم يشعر في ذلك كلهِ بتعب فثبت لهُ انهُ يزيد في النشاط وقوّة العضل . وقد تبين لهُ ان هذه القوة ليست من قبيل ضعف المقاومة في الاشيآء التي كان يزاولها ولكنها قوّةٌ ثابتة في جسمهِ تحققها بواسطة الدينامومتر وهو آلةٌ تُختبَر بها قوة العضل . ثم امتحن ذلك في عدة اشخاص فوجد ان الشخص الذي كان معظم قوّتهِ ان يبلّغ ابرة الدينامومتر الى ٤٠ او ٥٠ درجة توصل بعد ايامٍ قلائل ان يبلّغها الى ٥٦ و٥٨ درجة واحياناً الى ٦٠ . ووجد مثل ذلك في معالجة المصابين بالامراض الضعفية فانهم استفادوا على مثل النسبة المذكورة اي ان قوى عضَلهم ازدادت عدة درجات ديناموماترية

ثم انهُ امتحن الامر بالآلة المسماة بالارغوغراف وهي آلة يُمتحَن بها مقدار بقآء القوة على العمل فعرض اناساً على هذه الآلة فوجد ان قوتهم

تفرغ عند الوصول الى ٤٧ حركة ثم اعاد اختبارهم بعد يومين من تعاطي الحامض التمليك فبلغوا ٩٤ حركة اي ضعفي الحركات الاولى قبل ان يدلّ الارغوغراف على ظهور التعب فيهم

وقد عمد الدكتور هوشار الى اختبار تجارب الدكتور كليمان في نفسهِ فثبت لهُ كل ما ذكرهُ من النتائج اذ وجد ان القوة العضلية تزداد زيادةً سريعة من اول الشروع في اخذ الحامض المذكور فانهُ بعد ان كانت قوتهُ قبل استعمالهِ لا تتعدى ٩ كيلغرامترات (اي رفع ٩ كيلغرامات الى مسافة متر) لم يصل الى اليوم الخامس حتى امكن ان يبلغ ٢٠ كيلغرامتراً فما فوق . اه

نَفَق شرقي قديم

عثرنا في احدى المجلّات العلمية على الفصل الآتي فاحببنا ان نطرف بهِ قرّآء الضيآء لمكانهِ من الاهمّية التأريخية قالت

ورد في بعض التقاليد[1] ان حزقيّا احد ملوك بني اسرائيل الذي ملك من سنة ٧٢٧ الى سنة ٦٩٩ قبل الميلاد امر بحفر قناةٍ اجرى فيها المآء الى مدينة اورشليم واتخذ لهُ مصنعاً جمع المآء فيهِ ليستقي منهُ سكان المدينة . وجآء في نسخةٍ خطّية من مؤلّف لسيراخ ما يؤيّد هذا التقليد مع الاشارة الى ان تلك القناة كانت ثقباً في الجبل وقد جآء في النسخة المذكورة ما

(١) كذا والصحيح انهُ ورد في التوراة نفسها كما يرى صريحاً في سفر الملوك الرابع (٢٠ : ٢٠) وقد اشير اليهِ في عدة مواضع اخر من الكتاب

معناهُ «ان حزقيا حصّن مدينتهُ وجلب اليها المآء بأن ثقب الصخر بآلاتٍ من الشَبَهان (البرونز) وابتنى للمآء حوضاً يجتمع فيهِ» . وفي رأي كاتب الفصل ان ذلك الحوض هو بِركة سلوام الوارد ذكرها في الانجيل

قال وقد اكتُشِف سنة ١٨٩٠ قناةٌ او بقايا قناة مكشوفة كان يجرّ المآء فيها الى المدينة وهذهِ القناة انشئت ولا ريب قبل زمن حزقيا ولكن حزقيا عمد الى ما هو أضمن لحاجة المدينة ولاسيما في زمن الحصار فحفر للمآء نفقاً في جوف الارض . وقد اتفق سنة ١٨٨٠ ان غلماناً كانوا يستحمّون في مآء القناة فعثروا على كتابة بالحرف العبراني القديم يستفاد منها الطريقة التي جروا عليها اذ ذاك في خرق الجبل وقد نُقِلت هذه الكتابة (لعلّ المراد الصخر المنقوشة فيهِ) الى دار الآثار بالآستانة وهي هناك الى يومنا هذا وترجمتها بالحرف الواحد «قد بلغ الحفر تمامهُ . وحين لم يكن معوَل الواحد يقع على معوَل الآخر وقد بقي بينهما ثلاث اذرع كان يُسمَع صوت الواحد اذا نادى الآخر من صدع الصخر وفي اليوم الذي تمَّ فيهِ الحفر تلاقى الحفارون معولاً الى معول . وكان سَمْك الصخر فوق رؤوس الحفارين ١٠٠ ذراع وقد جرت المياه الى الحوض على مسافة ١٢٠٠ ذراع» اهـ

ويؤخذ من فحوى هذا الوصف ان الحفر ابتُدئ من طرَفي النفَق في آنٍ واحد فكان كل فريقٍ يحفر من ناحيتهِ حتى تلاقيا في الوسط وعلى ذلك تدلّ آثار الحفر الباقية في جدران النفق لان وقع المعاول في النصف الواحد منهُ عكس وقعها في النصف الآخر وهو الذي يوجب العجب من مهندسي ذلك العصر كيف امكنهم أن يحرروا اتجاه الخطين على مثل هذه

المسافة حتى يتلاقيا في وسطها من غير ان يشذ احدهما عن الآخر . بل هنالك ما هو أعجب وهو أن خط الحفر ليس على اتجاه واحد بل كثيراً ما ينحرف عن الاستقامة . وقد شوهد في عدة مواضع انهم كانوا بعد ان يأخذوا في الحفر الى ناحية يتركونهُ ويرجعون مسافةً الى الوراء فيأخذون في ناحيةٍ اخرى مما يدل على انهم تنبهوا الى خطإٍ في الاتجاه فعدلوا عنهُ . ولا يُنكَر انهم في آخر الامر اهتدى بعضهم الى مكان بعض بالصوت ولكن ذلك لم يكن الاّ بعد أن لم يبقَ بين الفريقين الاّ مسافة ثلاث أذرع من الصخر

اما سعة هذا النفق فتختلف من ٦٠ سنتيمتراً الى ٩٠ وارتفاعهُ يبلغ ٣ امتار في جهة الطرف الجنوبي ومتراً و ٨٠ سنتيمتراً في جهة الشمالي واحياناً يكون دون ٦٠ سنتيمتراً ولعل ذلك ناشئٌ عن تفاوت حالة الصخر صلابةً وليناً . واما ارض النفق فمحرَّرة من اولها الى آخرها على موازاة الافق وهو مما لا يُستغرَب بالقياس الى مهارة اولئك المهندسين . انتهى

اسئلة واجوبتها

سان پاولو (البرازيل) - ذكرتم في الجزء الثامن من ضياء السنة الماضية جواباً على سؤالي ان الشرائع المصرية تجيز تملك الاجنبي كالوطني بلا فرق فهل أُحدِث هذا النظام في عهد الاحتلال ام كان كذلك من قبل اذ المعروف ان مصر معدودة في جملة الولايات العثمانية ونظام الدولة العثمانية لا يجيز تملك الاجنبي ولذلك لما أراد الاميركان مثلاً شراء ارض لبناء المدرسة

الكاية في بيروت سُجّات الارض اولاً باسم رجلٍ عثماني ثم استأجرها الاميركان منهُ والامثلة من هذا القبيل كثيرة فارجو الجواب عن هذه المسئلة بالايضاح ولكم الفضل　　　انطونيوس يافث

الجواب - ترون في هذا الجزء مقالة في معنى سؤالكم من قلم حضرة الاصوليّ الفاضل ابراهيم افندي الجمّال من جلة المحامين في هذه العاصمة وفيها البيان الشافي لما ترومون الوقوف عليهِ

مصر - قرأت في احدى جرائدنا الكبرى مقالةً بامضآء «حقوقي» ورد في جملتها « ان المدارس الجامعة في أوربا كانت تطلق عند الغربيين في القرون الوسطى على معهدٍ لدراسة الدين وانها سميت بالجامعة لانها تجمع في طيها طلبة اللاهوت على اختلاف مراتبهم في العلم ولم تكن كالجامعات الحديثة تحتوي على فنون عالية كالطب والفلك والطبيعيات فهل لذلك من صحة　　　(م ٠ م)

الجواب - ذكر في معجم بولياي ما محصَّلهُ ان أول جامعةٍ أُنشئت في اوربا هي جامعة باريز القديمة وكان انشآؤها سنة ١٢٠٠ للميلاد بأمر الملك فيليب اوغسط وعلى مثالها انشئت بقية الجامعات في الممالك الاوربية . قال وانما سميت بالجامعة لأنها كانت تجمع عامّة المدرّسين والدارسين من أي شعبٍ كانوا ولم تكن تشتمل في اول امرها الا على مدرستين وهما مدرسة اللاهوت ومدرسة الفنون وهي تتناول الآداب والعلوم و بعد ذلك أضافوا اليها مدرستين اخريين وهما مدرسة الحقوق

ومدرسة الطب . انتهى المقصود منهُ

ريوجنايرو — ارى في كلام بعض الكتاب مثل قول القائل زوجة واولاد فلان واظن ان هذا التركيب افرنجي والاصح زوجة فلان واولادهُ فما قولكم في ذلك يوسف ناصيف ظاهر

الجواب — هذا التركيب صحيح وقد سُمِع مثلهُ في كلام العرب ومنهُ قول الشاعر

يا من رأى عارضاً أُسَرّ بهِ بين ذراعَيْ وجبهة الاسدِ

وهو على تقدير محذوف اي بين ذراعي الاسد وجبهة الاسد ثم استُغني عن الاسد الاول بدلالة الثاني عليهِ . وكذا يقال فيما اشبههُ

القاهرة — جاء في كتاب الدروس النحوية لتلامذة المدارس الاميرية في تعريف الفعل ما نصُّهُ « الفعل ما دلّ على معنى مستقلّ بالفهم والزمن جزءٌ منهُ » وقد اشكل هذا التعريف عليَّ وعلى كثير من المدرّسين ولم يتجه لنا كيف يكون الزمن جزءًا من معنى الفعل فهل لكم ان توضحوا لنا هذا الاشكال ولكم الفضل الياس راجي

الجواب — هذا من التعاريف التي لم نجدها لاحد من الصرفيين فانهم كلهم يعرّفون الفعل بانهُ ما دلّ على معنى في نفسهِ مقترن بالزمان او باحد الازمنة الثلاثة . وبيانهُ ان قولنا ذهب مثلاً يدل على معنى الذهاب مقارناً للزمان الماضي وقولنا يذهب يدل على المعنى المذكور مقارناً لزمان الحال او الاستقبال . فكلٌّ من المثالين يدل على الحدَث وعلى الزمان ودلالتهُ

على الاول بمادّتهِ اي بأحرف مصدرهِ وعلى الثاني بصيغتهِ وحينئذٍ فمدلول الفعل شيئان كلٌّ منهما غير الآخر لا شيءٌ واحد مركب من جزءين هما الحَدَث والزمان والالازم ان يكون مدلول المصدر جزء معنًى لا معنًى لانهُ يدل على الحدث دون الزمان . وذلك فضلاً عن ان الزمان انما هو ظرفٌ للحدث الواقع فيهِ والظرف لا يكون جزءًا من المظروف كما لا يخفى على ذوي البصائر السليمة

القاهرة — نرجو الافادة عن كلمة « تَفزَّع » فان كثيراً من اهل الادب ينكرونها وفي رأينا ان الاشتقاق يجيزها فما قولكم في ذلك

احمد علي ضيف بدار العلوم

الجواب — هذه من الالفاظ التي اغفل اللغويون ذكرها ولكنها شائعة في استعمال الادبآء وممن استعملها ابو الطيب المتنبي في قولهِ

يتفزع الجبّار من بغتاتهِ　　　فيظلّ في خلواتهِ متكفنا

بل قد وردت في كتب اللغة نفسها لكن في غير موضعها فقد جآء في الصحاح في مادّة (روع) ما نصّهُ « ورُعتُ فلاناً وروّعتهُ فارتاع اي افزعتهُ ففزِع وتَروَّع اي تفزَّع » ومثل ذلك ايضاً جآء في الموضع نفسهِ في القاموس ولسان العرب وهو مما يدل على انهم اهملوها في مكانها سهواً . وكم من مثل ذلك في كتبهم حتى لقد مرّ بنا في ربع القاموس فقط نحو ٦٠٠ لفظة لم يجرِ لها ذكراً في اماكنها ولنا في هذا المعنى كلامٌ سنفرد لهُ فصلاً مخصوصاً في هذه المجلة ان شآء الله

فكاهات

الكولونيل جيرار (1)

— ٩ —

ولما رأى جيرار اصغاء سامعيهِ زاد عجبهُ وأبرقت اسرّتهُ فقال

لم يكن الامبراطور يحتاج الى خدمة مهمة او يعرض لهُ اجتياز خطر جسيم الا كان اسمي اول شيءٍ يتذكرهُ ولم يكن لينساهُ قط الاّ بعض الاحيان عند توزيع الرتب والاوسمة .. على انني لا اؤاخذهُ في ذلك وقد كنتُ كولونيلاً في الثامنة والعشرين من عمري وقائد فرقة في الحادية والثلاثين ولو دامت الحرب سنتين اخريين لكنت اخذت في يدي عصا المارشالية و بينها و بين العرش خطوة واحدة غير ان واترلو قضت على تلك الآمال ولم تؤيد احلامي كما احبيت ولكنها ابقت لاسمي ذكراً في التاريخ لا يمحوهُ زوال الدول . وما أقصهُ عليكم الآن قد كان الدرجة الاولى في سلم ارتقائي والسبب الذي اوجد رابطة الوداد بين الامبراطور و بيني وقد كان الى الآن من الاسرار التي اوصاني الامبراطور ان لا أبوح بها مادام في قيد الحياة اما الآن وقد انتقل الى عالم آخر فانا في حلٍّ من قسمي فاقول

لا يخفى عليكم انني في مدة معاهدة تلسيت كنت لا ازال ملازماً في فرقة الهوسار العاشرة وكنت لا أملك قوت ليلة غير ان هيئتي ونظافة ملابسي خيّلت فيّ هيئة العظمة واليسار ولا سيما بعد الشهرة التي نلتها في خوض المعامع فلم يبقَ الاّ ان تسنح لي فرصة سعيدة تفاجئني فاغتنمها لاصبح في عداد الابطال المحيطين بالامبراطور واليكم حديث تلك الفرصة التي منحتني ذلك الشرف العظيم

---

(1) بقلم نسيب افندي المشعلاني

لما رجع نابوليون الى باريس بعد صلح سنة ١٨٠٧ انطلق ببلاطهِ والامبراطورة الى فونتنبلو وهو في أوج عزهِ ومنتهى سطوتهِ لانهُ كان في ثلاث معارك قد أخضع النمسا وسحق بروسيا وارجع روسيا الى وراء نهر نيمن . اما انكلترا فكانت تهر في سجنها وراء المانش . ولو اننا تمكنا حينئذٍ من تقرير سلم مستمرّ لكانت فرنسا تمتعت بسلطة لم تحصل عليها دولة اخرى من عهد الرومانيين . اما أنا فكنت في ذلك الحين مشغولاً عن الإهتمام السياسي بالفتيات اللواتي سرَّهنَّ رجوع العساكر بعد غيابهم الطويل ولم يكن لجيرار الوقت الكافي لرد التحيات التي كنَّ يحيينهُ بها وكفاكم برهاناً على افتتانهنَّ بي انني الآن وقد بلغت الستين .... ولكن ما لي ولوصفٍ ما لا يجهلهُ احد . وكانت فرقتنا معسكرة في فونتنبلو ايضاً بقيادة الكولونيل لاسال والبلدة صغيرة يكتنفها من جميع جهاتها الغابة المشهورة وكانت دائماً مكتظة بالدوقات والامرآء والقواد والشرفآء وهم يجتمعون حول ذاك الرجل الصغير واكثرهم من الالمان وكان بعضهم ممن ساعدونا في الحرب الاخيرة فاتوا يطلبون المكافأة وبعضهم ممن قاومونا فحضرناهم لينالوا الجزآء . اما نابوليون فكان يسير بينهم بوجههِ الاصفر الصامت وينفذ فيهم اوامرهُ الماضية كانهُ القضآء المبرم بعد ان كان رجلاً بسيطاً وراء مدفعهِ وقد رفعناهُ بسيوفنا وحرابنا الى ذروة العرش ولذلك كان لنا عندهُ المقام الرفيع لعلمهِ باننا مصدر قوتهِ وكنا نقرّ انهُ اعظم قائدٍ في العالم كما كان يقر اننا اعظم رجالٍ يمكنهُ ان يقودهم

وجلست يوماً مع رصفآئي الضباط في نادي المعسكر فانهمكنا في المقامرة والشرب والتأنق اقتدآء بزعيمنا لاسال معتقدين ان صفاتهِ هذه كانت سبباً لترقيتهِ مع ان الامر بالعكس ولم يصل الى ما هو فيهِ الا لما رآهُ فيهِ الامبراطور من الجرأة والكفاية . واذا بلاسال نفسهِ قد دخل حتى حاذاني فضرب كتفي بيدهِ اللطيفة وقال يا جيرار ان الامبراطور يأمرك ان تذهب اليهِ في الساعة الرابعة . فلما سمعت ذلك ملكتني الحيرة حتى شعرت أن جدران الغرفة تدور بي وقلت اصحيح ذلك يا مولاي . ان الامبراطور لا يعرفني فما عساهُ ان يريد مني . فتبسم لاسال وقال

لا اعلم ولعلهُ في احتياج الى سيف صقيل وذراعٍ متينة وعسى ان يكون استدعاؤك هذا سبباً لترقيتك فاذهب يا بنيَّ بلَّغك الله مرامك . ولا تنسَ اننا في الساعة الثانية الآن فسأذهب واعود اليكَ لنكون امام غرفة الامبراطور في الساعة الرابعة حسب امرهِ . ولما ذهب لاسال بقيت كالحائر وانا اناجي أفكاري لعلي اعرف قصد الامبراطور من طلبي فكنت تارةً اظنهُ يدعوني ليكافئني على ما فعلتهُ في معركة استرلتز وطوراً يخيل لي ان المبارزات العديدة التي كنت اقوم بها في اكثر الايام قد بلغت مسامعهُ وسيعاقبني عليها ومضى عليَّ الوقت وأنا اترجح بين كفتي الخوف والامل

وقبل حلول الموعد بنصف ساعة دخل عليَّ لاسال وفي صحبتهِ رجل اعرج بثوبهِ الاسود . ومع ان رجال الجندية لا يعرفون الملكيين لعدم اختلاطهم بهم فانني عرفت الرجل حالاً لشهرتهِ وهو تاليراند الذي كان الامبراطور نفسهُ يهتم باسمهِ . وعرَّفني لاسال بهِ فحييتهُ ونظر اليَّ بعينين صغيرتين براقتين ايخترق نظرهما الحاد صدري كحربة قاطعة . ثم نظر الى لاسال وقال هل أطلعت الملازم جيرار على الشؤون التي اوجبت استدعاءهُ . فقال لا . ثم التفت لاسال اليَّ وقال انني كنت اليوم صباحاً في غرفة الامبراطور الخصوصية فاحضروا اليهِ رسالةً ففضها وما كاد يتم قراءتها حتى بدت عليهِ علامات الدهش وسقطت الرسالة من يدهِ الى الارض . فالتقطتها لاناولهُ اياها فرأيتهُ قد جمد نظرهُ الى الحائط كمن رأى شبحاً مخيفاً ثم سمعتهُ يردّد بصوت أجش هذه الكلمات « اخوية اجاشيو ... اخوية اجاشيو » ثم اخذ الرسالة من يديَّ واعاد قراءتها بتأنٍ وانطرح على كرسيهِ فلبث نحو نصف ساعة [illegible] . وكنت لا ازال واقفاً امامهُ لا ادري ماذا يجب ان افعل ثم ر[illegible]د الى رشدهِ فنظر اليَّ وقال اظن ان فرقتك لا تخلو ولو من ضابطٍ واحد شجاع يعوَّل عليهِ . قلت كل واحد من فرقتي يصدق عليهِ هذا الوصف يامولاي . فقال ولكنك اذا خُيّرت في انتقاء واحد منهم يكون اشجعهم واسرعهم عملاً ولا يكون من الذين يفتكرون كثيراً فمن تختار . قلت يوجد بينهم فتىً قلبهُ من حجر وكل تأنقهِ في شاربيهِ ومناخسهِ وهواهُ منقسم بين النساء والخيل . فقال

الامبراطور هذا هو الرجل الذي احتاج اليهِ فأحضرهُ الى غرفتي هذا اليوم في الساعة الرابعة . فحييتُ وخرجت وجئتُ تواً اليك يا جيرار لثقتي بك انك لا تشين شرف فرقة الهوسار العاشرة . ولا بد ان هذا الاطرآء ظهرت نتيجتهُ على وجهي بدون قصد مني لانني رأيت لاسال يقهقه ضاحكاً وتاليراند يبتسم

ثم نظر اليَّ تاليراند وقال لا اظنك تجهل يا مسيو جيرار ان امامك مهمة عظيمة وان كنا لا نعرف ما هي غير انهُ لما كانت سلامة فرنسا وامبراطورها مطلوبة منا وعهدتها ملقاة على عواتقنا فسننتظرك هنا لتعلمنا بما يريدهُ الامبراطور ونحن نشير عليك ماذا يجب ان تفعل فاذهب ولا تتأخر فقد ازف الوقت ولا شيء يسوء الامبراطور مثل عدم المحافظة على المواعيد

وما صدّقت ان أُذن لي في الانصراف حتى توجهت الى القصر ولم يكن يبعد عنا اكثر من مئة خطوة فبلغتهُ ودخلت الدار الخارجية فوجدت عدداً غفيراً من الكبار ينتظرون مقابلة الامبراطور واكثرهم من نبلاء الالمان بعضهم ينتظر الترقية والبعض يتوقع العقاب . ورأيت امام غرفة الامبراطور صديقي الضابط ديروك وهو الذي قادني الى غرفة بونابرت الخصوصية . وكنت قد رايت الامبراطور اكثر من مئة مرة في ساحة القتال ولكنني لم اقف امامهُ قط وجهاً لوجه ولو لم اكن اعرفهُ سابقاً لرأيتهُ كواحدٍ من اصاغر الناس الا ان لعينيهِ نظرةً حادّة غريبة ترتعد لها فرائص اشجع الفرسان . ورآني الامبراطور فاشار اليَّ ان انتظرهُ حذآء الباب وكان كاتبهُ دي منيفال يكتب ما يمليهِ عليه فلما انتهى صرفهُ وخلونا وحدنا في الغرفة . فاقترب مني وفحصني بنظرهِ الخارق وكنت قد وضعتُ يدي اليسرى على مقبض سيفي واليمنى على رأسي محيياً . ولا شك ان هيئتي اوجبت استحسانهُ فانهُ ضرب باصابعهِ كتفي وقال بلغني من الكولونيل لاسال انك ضابط يعتمد عليهِ في قضاء مهمات الدولة . فهممت ان اجيبهُ ولكنني تذكرت ما قالهُ لي لاسال من وجوب بقائي صامتاً بين يديهِ فسكتُّ وكأنهُ شعر بما يخالج صدري فعاد الى حديثهِ قائلاً انك يا مسيو جيرار الرجل الذي اريدهُ الآن غير انهُ قد بلغ مسامعي ما تفعلهُ في

المبارزة وانك لا ترى ضابطاً حتى توقع بينك و بينهُ مشكلاً ثم تدعوهُ الى البراز وانك تخرج دائماً منتصراً . ثم غير لهجتهُ وقال اعلم يا هذا انني اودّ ان تتعلم عساكري مقاتلة الاعداء لا مقاتلة بعضها بعضاً فاذا بلغني بعد الآن مثل هذه الاخبار عنك سحقتك بين اصابعي هكذا . وعرك ابهامهُ وسبابتهُ امام وجهي فشعرت ان الارض تفتح فاها لابتلاعي . اما هو فرجع الى مائدتهِ فشرب قدحاً من القهوة كان هناك ثم عاد اليَّ وقد تساير الغضب عن وجههِ فتبسم وقال انني في احتياج اليك يامسيو جيرار ولكني اوصيك ان تكتم ما سأقولهُ لك عن كل بشر وان لا يتعدى صدرك ما بقيتُ حيًّا فأقسم لي بشرف الجندية انك لن تبوح بما سأطلعك عليهِ ففعلت . ثم قال لي انني اطلب منك الطاعة العمياء ليس الا واياك ان تفتكر في غير ذلك لانني محتاج الليلة الى سيفك لا الى ذكائك فهل تعرف البقعة الكائنة في وسط الغابة . قلت نعم يامولاي . قال وهل تعرف شجرة الزان الكبيرة التي في وسطها. قلت نعم يا مولاي . قال حسنٌ فقابلني هناك في هذه الليلة عند الساعة العاشرة حيث ندخل الغاب معاً وخذ معك سيفك ولا تأخذ غدارتك واذكر انهُ لا ينبغي ان تكلمني البتة ولا اكلمك بل نتقدم معاً الى داخل الغابة صامتين الى ان نرى رجلاً او اثنين تحت احدى الاشجار فنقابلهما معاً فاذا اشرت اليك ان تدافع عني فليكن حسامك مستعدًّا اما اذا تكلمت معهما فانتظر وراقب ما يكون. واذا بدأت بالدفاع عني فاياك ان ينجو احدهما وانا اساعدك . قلت سمعاً وطاعةً يا مولاي وحسامي لا يقصر عن قتل الاثنين ولكن الافضل ان يكون غيرك مساعداً لي حتى لا تعرض شخص جلالتك للخطر . قال انني كنت جنديًّا مدفعيًّا قبل ان اصير امبراطوراً فلا يصعب عليَّ امتشاق الحسام فافعل كما امرتك والآن فانصرف وكن على استعداد . فانحنيت وهممت بالخروج ثم خطر لي امر فعدت الى امام جلالتهِ وقلت قد افتكرت يا مولاي . . . . فقاطعني بحدّة قائلاً دعني من فكرك وهل تظن انني استدعيتك لتعطيني افكارك . قد قلت لك ما يجب ان تفعل وكفى

اما انا فما صدقت ان خرجت من لدنهُ فجعلت اعدو الى ان بلغت غرفتي

كالولد الصغير الذي يسرّهُ أن ينجو من انتهار معلمهِ القاسي . ورأيت لاسال وتاليراند في انتظاري فنهضا لمقابلتي وقالا معاً ما هي اخبارك يا جيرار . فقلت لا شيءَ . فقال لاسال ألم يقابلك الامبراطور . قلت بلى . فقال تاليراند وماذا قال لك . قلت لا استطيع ان ابوح بما جرى لانني اقسمتُ لهُ على الكتمان . فقال هازئاً ما شآء الله الا تعلم ان ما تقولهُ لنا لا يتجاوز حائط هذه الغرفة وان الامبراطور لا يخفي عني شيئاً . قلت ان كان كذلك فلا اكثر من ان تتكرم بالذهاب اليهِ وتسألهُ عما تروم معرفتهُ فليست المسافة ببعيدة . فكشر تاليراند حتى بانت نواجذهُ وقال بغيظ يظهر ان المسيو جيرار لا يزال صغيراً فينتفخ لاقل مظهرٍ يراهُ ولكنهُ سيعلم فيما بعد ان الجندي لا يرفض طلب رؤسآئهِ بانفةٍ كهذه

وأردت ان اجاوبهُ فقطع عليَّ لاسال قائلاً لو علمتُ انهُ أقسم على الكتمان لما كنت سألتهُ ولست اشك يا مسيو تاليراند انهُ لو اجابك لاحتقرتهُ انت ولوبختهُ انا وطردتهُ حالاً من الفرقة العاشرة لانهُ لا يعود يستحق البقآء فيها . فنظر اليهِ تاليراند نظرة استهجان وقال ولكنني اراني مضطرًّا في مركزي الحالي المطلوب مني فيهِ المحافظة على سلامة فرنسا وامبراطورها ان اعلم كل شيءٍ ولو خالفت اوامر جلالتهِ الوقتية وسأعرف ما أريد معرفتهُ من محل آخر . ولما قال هذا حيَّا وخرج ناظراً اليَّ نظرة الانتقام . وظهر لي ان لاسال لا يريد معاندة هذا الوزير لانهُ ما عتم ان تبعهُ فرأيتهما سائرين معاً ولاسال يتكلم بالحاح كانهُ يوضح لهُ قصدهُ لكي لا يحقد عليهِ

اما أنا فقد كان اوصاني الامبراطور ان لا افتكر فاجتهدت ان اطيعهُ بتسلية نفسي فاخذت ورق اللعب من جيبي وجعلت اصفهُ على المائدة ولكنني لم أعد اميز بين اللون الواحد والاخر فطرحتهُ يائساً ثم عمدت الى سيفي وجعلت امرّن نفسي عليهِ بضرب الهوآء حتى كلت يدي . ولم يكن كل ذلك ليبطل حركة افكاري فعلمت انني لا استطيع اماتتها كما يريد جلالتهُ فدخلت غرفتي واطلقت لها العنان فكانت تريني تارةً فشلي وكدر الامبراطور مني وطوراً نجاحي وبنآء اساس مستقبلي فقضيت تلك الحصة من الوقت على أحر من الجمر حتى دنت الساعة العاشرة وهي

الموعد المضروب فارتديت دثاري العسكري وتقلدت فوقهُ سيفي ثم غيرت حذائي الثقيل بأخفّ منهُ لاكون اسهل حركةً وانسللت من غرفتي قاصداً الغابة . واذ ذاك سُرّي عني لانهُ كان من طبعي ان أشعر بالراحة حين يدنو الخطر . ومررت من امام نادينا فرأيت رفاقي يشربون ويلعبون غير عالمين بما يفعله رفيقهم وناداني احدهم فتظاهرت بالصمم واسرعت في المسير فسمعتهُ يشتمني . وكنت اودّ ان ارجع اليهِ وأريهُ شيئاً من حسامي غير اني خشيت ضياع الوقت فمضيت في سبيلي

ولما بلغت أول الغابة برز القمر من خلال الاشجار فلم أجد صعوبة في الوصول الى الشجرة المعهودة . فلما بلغتها رأيت ان الامبراطور قد سبقني اليها وهو يتمشى ذهاباً واياباً وقد حنى رأسهُ على صدرهِ تحت قبعتهِ المثلثة وغطى جسمهُ بدثارهِ الرمادي فخفت أن يلومني لتأخري عنهُ ووصولهِ قبلي ولكنني قبل أن اصل اليهِ سمعنا ساعة كنيسة فونتنبلو تدق ضربانها العشر . وكنت لم أنسَ ما أوصاني بهِ من وجوب الصمت فلما صرت على مسافة اربع خطوات منهُ وقفت وحيَّيت فنظر اليَّ ولم يجب ثم حوَّل ظهرهُ ومشى الى داخل الغابة فتبعتهُ محافظاً على المسافة التي بيننا وكان يتلفت يميناً وشمالاً كانهُ يخاف أن يرانا أحد . وما زلنا سائرين مسافة ميل فعلمت اننا نقصد شجرة تعرف بقبر رئيس الدير وقد اشتهر عنها انها مألف الجان والارواح ولكنني لم اعتقد بهذه الترهات وسرني ان الامبراطور نفسهُ من معتقدي ايضاً . ولما بلغنا الشجرة المذكورة رأينا على نور القمر رجلين بانتظارنا وكانا قد لصقا بجذع الشجرة كانهما يتحاميان ان يراهما أحد . فلما صرنا بجانبهما انفصلا عنها واقتربا لمقابلتنا فنظر اليَّ الامبراطور وقد خفف سيرهُ الى أن حاذيتهُ . ودققت نظري في القادمين فرأيت احدهما طويل القامة جداً عريض المنكبين ضخم الجسم والآخر قصير القامة غليظاً يكاد طولهُ يساوي عرضهُ وكانا قد التفا بأردية سوداء وعلى رأس كلٍّ منهما قبعة صغيرة تغطي جبهتهُ الى قرب عينيهِ وهما تبرقان من تحتها كالنار المشتعلة . وكانا يسيران باحتراس وباقدام ثابتة الى أن وقفا على بعد نحو خمس خطواتٍ منا فكان منظرنا مرهباً كاننا أسدان امام نمرين . ولاحظت

ان اطولهما قَلِق عصبي المزاج يرتعش جسمهُ غيظاً وقد زاد تنفسهُ وانفتح انفهُ وسمعتهُ يلهث كالكلب العائد من الصيد . ثم اعطى احدهما علامة بصفير خفيف فرأيت اطولهما قد حنى ظهرهُ وركبتيهِ كمن يتحفز للوثوب وفي أسرع من لمح البصر كنت قد صرت امامهُ والسيف مصلت في يدي . وفي الدقيقة نفسها وثب اقصرهما فصار امام الامبراطور و بيدهِ خنجرٌ أغمدهُ الى مقبضهِ في صدرهِ . فآه ما أشدّ هول تلك الساعة واني لأعجب من عدم سقوطي ميتاً عند ما رأيت الامبراطور المحبوب يتهادى وقد أخذ الدم يتدفق من صدرهِ ثم تنهد بحشرجةٍ وسقط الى الارض . اما القاتل فترك خنجرهُ في صدر فريستهِ ورفع ذراعيهِ الى العلاء ضاحكاً مسروراً . فاصابني جنون دفعني عليهِ اندفاع الصاعقة فضربتهُ بمقبض سيفي على صدرهِ ضربةً شديدة كسرت لهُ ضلعين والقتهُ على بعد ست خطوات مني ثم عطفت على رفيقهِ وقد استولى عليَّ حب الانتقام والتعطش لسفك الدمآء مما لم أشعر بمثلهِ في حياتي . ولكنني ما كدت التفت اليهِ حتى رأيت خنجراً لامعاً قد مرَّ امام عينيَّ ويداً أمسكت بعنقي . فدفعتهُ عني بعنف ورفعت سيفي لاضربهُ وقبل أن أفعل تملص مني واطلق ساقيهِ للريح فكان يعدو بأسرع من عدو النعام . ولا تظنوا ان جيرار كان يتركهُ يفرّ على هذه الصورة غير انني علمت ان خنجر رفيقهِ كان قد فعل فعلهُ فوقفت لحظةً امام جثة الامبراطور وأخذت يدهُ الباردة بيدي وناديتهُ بتألم يا مولاي يا مولاي فلم اسمع جواباً بل رأيت بقعة الدم تتسع على الارض بجانبهِ فتحققت انهُ لم يبقَ أقل أمل . وللحال وثبت على قدميَّ فألقيت عني ردآئي الثقيل وجعلت اعدو ورآء الفارّ وقد ظهر لي صواب فكري في تغيير حذآئي الثقيل . وكأن اللعين ادهشهُ الرعب او ثبَّطهُ ردآؤهُ عن الاسراع فرأيت انني سأدركهُ لا محالة . ولو بقي عقلهُ معهُ لاختفى في بعض ادغال الغابة وتعسر عليَّ الاهتدآء اليهِ غير ان الخوف افقدهُ رشادهُ فسار في طريق ينيرها القمر وانا لا انفك عن مطاردتهِ حتى بلغ شفير هاوية تحتها النهر فألقى بنفسهِ واختفى عن نظري . ولما صرتَ في نفس المكان خطر لي انهُ طرح نفسهُ الى النهر تخلصاً مني

غير ان سمعي الحاد ارشدني اليهِ . وكان عند منتصف الهوة غرفة قد بناها النوتية لوضع أدواتهم فيها فدخلها وقد ظنّ انهُ يأمن اتباعي اياهُ وان ظلمة الغرفة تخيفني فلا اتبعهُ . ولم يدرِ ان الدم الذي كان يجري حينئذٍ في عروقي كان يقودني الى حيث ترتجف الابطال فوثبت ورآءهُ ودخلت الغرفة وسيفي مصلت بيدي فجعلت اضرب بهِ في تلك الظلمة . ويظهر ان ضربتي الاولى كانت القاضية لانني سمعت سقوط جسمهِ الى الارض ولكني لم اكتفِ فطعنتهُ طعنات عديدة تشفياً حتى بطلت حركتهُ. فاوقدت ثقاباً ونظرت اليهِ فوجدتهُ قد فاضت روحهُ فوثبت الى الخارج وجعلت اعدو الى البقعة التي تركت فيها جثة الامبراطور . وقبل ان أبلغها عاد امام مخيلتي ما جرى لنا في تلك الساعة فوقفت اتأمل ثم رأيت حجراً فجلست عليهِ واسندت رأسي بيديّ وجعلت انتحب لا عن وجلٍ او تعب ولكني تفكرت فيما جرى وما سيكون فان الامبراطور قد فوّض اليّ حراستهُ وها هو ميت على غير بعدٍ مني . ولا انكر انني قمت باجرآء ما أمر وقد انتقمت لهُ ولكن ماذا يفيد كل ذلك وكيف أقرر هذه الحقيقة ومن يصدقني أوَلا يظنني البعض شريكاً للقتلة . واذ ذاك تمثل لي مركزي الحرج وعلمت انني اصبحت تعِساً شقيًّا وقد فقدت شرفي وكل آمالي العسكرية وآمال والدتي ايضاً . فتبسمت تبسم اليائس وأخذت اسأل نفسي هل اذهب الى فونتنبلو فاخبرهم بما جرى او اخترق صدري بسيفي فنموت جميعاً ونترك الناس يقولون ما شآءوا متى وجدوا جثثنا . وانني لكذلك واذا بحركة استدعت انتباهي فنظرت واذا بالامبراطور نفسهِ امامي بقبعتهِ وردآئهِ الرمادي وقد انار القمر وجههُ فرأيتهُ مصفرًّا كئيباً وقد ضمّ يديهِ ورآء ظهرهِ . فدهشت وجحظت عيناي وكدت افقد صوابي ثم رأيتهُ تبسم فعلمت انهُ ليس شبحاً بل شخصاً حقيقيًّا فوثبت على قدميّ ورفعت يدي مسلماً السلام العسكري . فقال يظهر لي انك قد قتلت احد الرجلين لانني رأيت جثتهُ بالقرب من هذا المكان . قلت نعم يا مولاي . قال وهل نجا الآخر . قلت كلا فقد قتلتهُ ايضاً . فرأيت دلائل السرور قد اشرقت في وجههِ فتقدم اليّ متبسماً وقال ماذا تقول هل قتلت

الآخر ايضاً . قلت نعم يا مولاي فالجثة الاولى هنا والثانية في غرفة العملة بجانب النهر . فصمت هنيهة كأنهُ يناجي نفسهُ ثم قال اذاً قد انقضى امر اخوية اجاشيو وخلصت من ظلها . ثم عاد اليَّ فوضع يدهُ على كتفي وقال وقد رأى حيرتي اشكرك يا مسيو جيرار فلا تخف ولا تظن انني خيال فانني لم امت وتعالَ معي اطلعك على الحقيقة . ثم سار امامي فتبعتهُ الى البقعة التي قابلنا فيها الرجلين وكانت الجثتان لا تزالان على الارض يحرسهما رستم ومصطفى مملوكا بونابرت . فتقدم نابوليون الى الجثة التي كنت اظنها اياهُ ورفع قبعتها فقال هذه جثة احد خدمي الامناء . اجل هذا دي جودين الذي بذل نفسهُ لاجلي لانهُ يشبهني في الجسم والقامة والصورة . فلما تحققت ذلك كدت اطير فرحاً حتى اوشكت ان اضمهُ الى صدري واقبلهُ وكأنهُ عرف قصدي فرجع خطوةً الى الوراء وقال هل اصابك شيء من الضرر . قلت كلا يا مولاي ولكنني لو تأخرتَ عليَّ دقيقةً واحدة لانتحرت . فقال قد سرني فعلك وقد رأيت كل ما فعلتهُ لانني كنت مختفياً الى جانب فرأيت سقوط جودين الذي يمثلني فهلمَّ بنا الى القصر . ثم القى بعض الاوامر على مملوكيهِ وسار اتبعهُ انا ولم أسر في حياتي كما سررت في ذلك الحين وقد نصبت قامتي ورفعت رأسي وفتلت شاربيَّ كما يليق بحراس الامبراطور وأمناء سرهِ . ورأى ذلك مني فقال اهذا شأن من يقوم بمهمة سرية يا جيرار وهل تريد ان يعلم الجميع ما قمت بفعلهِ الآن فأقلع عن هذه السخافة والا ارسلتك الى حيث يحني ظهرك العمل ويبيض عارضيك الغم . فسكتُّ لمعرفتي طبعهُ وتبعتهُ صامتاً حتى بلغنا القصر فدخل غرفتهُ وتبعتهُ اليها . ولا اشك ان الخفراء تعجبوا من لحاقي بهِ في مثل تلك الساعة. اما هو فانطرح على كرسيهِ الطويل وغرق في تأملاتهِ وبقيت واقفاً امامهُ حتى سئمت الانتظار فابديت حركةً نبهتهُ اليَّ فقال لا شك انك تستغرب ما حصل في هذه الليلة فاذا لم اخبرك السبب فلا بد ان يسوقك الاستغراب الى السؤال والفحص فلا يمضي يومان حتى ينتشر الخبر في جهات فرنسا ولذلك ارى الافضل ان اطلعك على المسألة ليزول استغرابك فتتمكن من حفظ هذا السر العميق فاسمع .

ان هذين الرجلين من كرسكا وانا اعرفهما منذ صباي وكنا جميعاً اعضاء جمعية واحدة تدعى اخوية اجاشيو لها قوانين سرية هائلة تجازي بالموت كل من يحيد عنها وقد كانت هذه الاخوية تليق بنا في ذلك الوقت ولم يكن فيها اصدق اخاء مني . اما الآن فقد تغيرت الاحوال فليس من مصلحتي ولا من مصلحة فرنسا ان اخضع لهذه الاخوية . وقد شاء ذانك الرجلان ان يتحققا انضمامي اليها فقتلتهما لانهما رئيسان اتيا من كرسكا وطلبا مواجهتي في ذلك المكان من الغابة وعلمت الغاية التي يرومانها لان الشركة لا تدعو احداً الى مواجهة سرية ويعود منها وانا لا اجهل ذلك فلو كنت مكاني يا جيرار ماذا كنت تفعل . قلت كنت آمر فرقة الهوسار ان تكتسح الغابة وتقبض عليهما حيثما وجدا . فتبسم هازًّا رأسهُ وقال اما انا فلم يوافقني القاء القبض عليهما حيَّين لان لسان القاتل اشد خطراً من ذراعهِ ولا اخفي عنك انني فضلت اجتناب الاشاعة التي لا بد ان تذيع بعد كلامهم ولهذا السبب امرتك ان لا تستصحب غدارتك ولهذا السبب ايضاً أمرت رستم ومصطفى ان يخفيا الجثة ويخفيا ايضاً كل اثر يدل على ما حصل الليلة

وقد كان انهُ عند ما جاءتني دعوتهما ان الكولونيل لاسال كان في غرفتي ففوضت اليه انتخاب واحد من رجالهِ فوقع اختيارهُ عليك لانك شجاع وقد قمت بكل ما ارجوهُ منك . وقد اخبرتك بكل شيء فأنا مرتض وانت مرتضٍ وعسى ان يكون ذلك كافياً لان تحفظ هذا السر حفظاً تامًّا وتصرفهُ عن مخيلتك كأنهُ لم يكن . قلت ثق يا مولاي اني أقوم بامر جلالتك . قال فما دمت انا حيًّا تبقى شفتاك مختومتين على هذا الامر . قلت اعدك بذلك يا مولاي وأنني أنسى كل ما جرى من هذه الدقيقة واخرج من هذه الغرفة الآن كما دخلت اليها في الساعة الرابعة بعد ظهر أمس . فتبسم وقال لا يمكن ان تخرج منها كما دخلتها فانك دخلت برتبة ملازم اول وستخرج منها برتبة قائد مئة ثم وضع يدهُ على كتفي وقال أتمنى لك ليلة سعيدة ونوماً هنيئاً يا حضرة القائد جيرار

اللغة العامّة

ما زالت الحاجة تدفع ارباب العلم حيناً بعد حين الى وضع لغةٍ عامّة تتفاهم بها أجيال البشر على اختلاف مواطنها بحيث يكون الانسان انَّى توجه وحيثما نزل ترجمان نفسهِ على ما هو حق النطق الذي اودعهُ الخالق عزّ وجلّ هذه الجارحة اللسانية . ولا يخفى ان هذا الغرض لا تصلح لهُ احدى اللغات المتعارَفة لما رُكّب في طبع البشر من المنافسة والأَثَرة بحيث يتعذر اجتماعهم على تفضيل واحدةٍ منها وتواطؤهم على ايثارها دون سواها . أَجَلْ لا يُنكَر ان بعض اللغات قد استفاض استعمالها بين كثير من أمم الارض ومنها ما بلغ عدد الذين يتكلمون بها اضعاف عدد ذويها كما هو الحال اليوم في اللغة الفرنسوية واللغة الانكليزية مثلاً الاَّ ان ذلك تابع لنفوذ اصحاب تلك اللغة وارتفاع مكانهم في العلم والصناعة وانتشار تجارتهم وفتوحهم في الآفاق البعيدة . وهو انما ينحصر في الحدود التي بلغ اليها ذلك النفوذ ويبقى فيها مع بقآئهِ فاذا ضَعُفَ أو تحوّل الى أمةٍ أخرى تبعتهُ اللغة جرياً في الامرَين على سُنَّة تنازع البقآء

وهناك أمرٌ آخر وهو ما في تعميم احدى هذه اللغات من الصعوبة لان كل لغة من اللغات المعروفة لا تُملَك الاّ بعد عنآءٍ جزيل ومراسٍ طويل لانها بأسرها من بنات الاتفاق ومواليد الزمن على حدّ سائر الاعمال التي تتم مع الايام ويتعاقب عليها الكثيرون من العمّال على غير تواطؤٍ ولا سبق تقدير فتأتي في كثير من احوالها على غير ما تسوق اليهِ البداهة

ويقتضيهِ النظر والقياس . وذلك مع كون متعلم هذه اللغة انما يبتغيها لتكون لغةً اضافية يستخدمها عند الاقتضاء بعد ان يستولي على أحكام لغتهِ الخاصة وفي ذلك ما لا يَسَعهُ طوق كل أحد . ولذا كان من همّ القوم ان يضعوا لغةً مطّردة القياس سهلة المنال قليلة القواعد يتمكن كل طالبٍ من تناولها على غير كدّ ذهن ولا عناء كبير

قيل وأول من شرع في وضع شيء من هذا القبيل هو الشيخ محيي الدين ابن العربي من أهل القرن السادس للهجرة فانهُ وضع لغةً خاصة باستعمال المتصوّفة أخذ الفاظها من العربية والفارسية والعبرية وسماها بَلَيْبَلَان (كذا) ذكر ذلك ليون ڤاييس احد علماء المشرقيات من الفرنسيس قال ومعنى بَلَيْبَلَان لغة المحي (langue de ce qui vivifie) اي لغة محيي الدين ولكن لم يتصل بنا شيء من هذه اللغة ولا رأينا لها ذكراً في كتب العرب

واما في العصور المتأخرة فقد عُني بهذا الامر عدّة من العلماء منهم باكُون احد فلاسفة الفرنسيس من أهل القرن السادس عشر ثم دِيكَرْت ولَيْبنِس وبَشر وهو اول من وضع في ذلك كتاباً استقرى فيهِ المعاني فوضع بازاء كل معنى اللفظ الدالّ عليهِ ووضع احكام الصيغ الصرفية والتركيبية . ثم تلاهُ في ذلك وِلكِنس اسقف شِسْتَر وحذا حذوهما كثيرون ممن جاء بعدهما فتفننوا في الوضع على انحاء مختلفة وأغرب ما جاء في ذلك ما رُوي عن پسَلْمَنَزار الرحّالة الفرنسويّ الشهير من أهل القرن الثامن عشر فانهُ لفّق لغةً زعم انها لغة أهل فُرمُوزا من الجزائر الصينية وكان يزعم انهُ هو من اهلها ايضاً الاّ ان كل ذلك لم يصادف اقبالاً من الجمهور

وجآء بعد ذلك الدكتور شلّيَر من أهل المانيا وهو من اكابر اللغويين يحسن فيما ذكروا ستًّا وخمسين لغةً فعانى وضع لغةٍ من مثل ذلك اختار كلماتها من لغات اوربا ونشر كتابهُ سنة ١٨٧٩ بعد أن قضى في تأليفهِ عشرين سنةً وسمى تلك اللغة بالڤُولاپوك وهي لفظة من أوضاع هذه اللغة عينها معناها اللغة الجامعة . فانتشرت في أول الامر بين الخاصة ولاسيما في ألمانيا وما يليها من اواسط اوربا وأُلّفت لها ندوةٌ علمية وعُقدت فيها مؤتمرات كان التخاطب فيها بهذه اللغة ونُشرت بها عدة جرائدُ ولكنهُ لم يأتِ آخر القرن حتى كانت قد أُهملت بتّةً

وفي اثنآء ذلك كان الدكتور زامنهُوف من اهل ڤرسوڤيا يشتغل بوضع لغةٍ اخرى فقضى في ذلك اثنتي عشرة سنةً ثم نشر رسالةً عرض فيها اصول تلك اللغة وجعل عنوان رسالتهِ « دكتورو اسپرَنتو » اي الاستاذ المؤمّل وذلك ان العلمآء كانوا قد يئسوا من وضع لغة من هذا القبيل فلزم لغتهُ هذا اللفظ وسميت بالاسپرَنتو . وهي تتألف من ٣٢٠٠ مادّة اقتبسها من جميع لغات اوربا بحيث اختار لكل معنىً أسلس الفاظ تلك اللغات او اكثرها شيوعاً وألحق بها ثلاثين لفظة دائرة تركَّب مع سائر الفاظها فيُدَلّ بها على تفرُّع المعاني الوضعية وسبع عشرة زيادةً صِيغيّة تدل على المعاني التصريفية فصار بذلك يمكن ان يركَّب منها عشرة ملايين من الكلمات

وقد اشتهرت هذه اللغة واقبل القوم عليها لبساطة وضعها وسهولة تناولها فانتشرت في روسيا والنمسا والمانيا وفرنسا وقد طُبع مؤلَّف زامنهوف فيها في ثماني عشرة لغةً وتُرجِم اِليها ما يزيد على مئة وخمسين مؤلَّفاً منها

منظومات هوميروس وڤرجيل وشكسبير وجُوتي وبُومَرْشاي وغيرها والمتكلمون بها الآن يبلغون نحو مئة الف منهم نحو عشرة آلاف في فرنسا. وقد عُرِض في معرض سان لويس عدة صُحُف ومؤلفات بهذه اللغة منها ٢٥٠ مؤلفاً واكثر من ٣٠٠٠ بطاقة بريد و٢٠ جريدة مطبوعة في بلدانٍ شتى . وعُقد لها في شهر اوغسطس من سنة ١٩٠٤ مؤتمر اجتمع اعضاؤهُ من كل بلد فلبثوا في اجتماعهم يومين وافاضوا في مباحث شتى وكان كلامهم جميعهُ بالاسپرَنتو .

اما اقتباس هذه اللغة فهو من السهولة بحيث يقضي بالعجب ومن غريب ما رُوي في ذلك ان كاتب جريدةٍ في اودسّا كان يروم تعلمها واتفق ان سائحين من اسوج قدما تلك البلدة وكانا قد ألزما أنفسهما ان لا يتكلما الا بالاسپرَنتو فقصدهما وابتاع منهما كتاباً في اصول هذه اللغة ثم اقبل يتصفحهُ فما انقضى ذلك النهار وجاء الليل حتى عاد الى السائحين واخذ يحادثهما باللغة نفسها. ولا ريب ان لغةً هذا مبلغ سهولتها لا يمضي زمن حتى يعمّ استعمالها جميع البلاد المتمدنة لكن الاظهر ان هذه السهولة انما هي بالقياس الى المتكلمين باللغات الاوربية لانها مأخوذة منها فهي مجانسة لها في الكثير من الفاظها . ولكن مهما يكن من ذلك فلا شك ان قواعدها في منتهى البساطة واللغة اذا مُلِكت قواعدها وسَهُلَ فهم معانيها الاشتقاقية والتركيبية فلا يبقى لتفهُّم المعاني الوضعية الا ان يكون لها في حوزة المطالع مُعجَم يكشف عن معاني مفرداتها ثم الامر بعد ذلك لقوّة الذاكرة ومقدار الممارسة والاستظهار

التخدير بالنور الازرق

نشر الدكتور كَرْتاز احد مشاهير اطبآء الفرنسيس فصلاً في بعض المجلات العلمية شرح فيهِ بيان تأثير النور الازرق على المراكز العصبية فآثرنا تعريبهُ لما فيهِ من الفائدة العملية قال

قد اصبح للنور والكهربآئية في هذه الايام شأنٌ مهمّ في معالجة الامراض اذ قد ثبت ان لاشعّة النور تأثيراً على البنية يختلف تبعاً للونها فان النور الاحمر مهيّج وبعكسهِ الاصفر فانهُ يبعث الانكسار والكمد وبينهما الازرق فانهُ يورث السكينة والارتياح وهي الالوان الاصليّة في الطيف

وقد ارتأى الدكتور رُدار احد اطبآء سويسرا ان يستخدم هذه الخصائص في الاعمال الجراحية فرفع الى مؤتمر طبّ الاسنان الذي عُقِد في هذه المملكة سنة ١٩٠٤ تقريراً ذكر فيهِ انهُ وجد الاشعة الزرقآء تؤثر على المراكز العصبية تأثيراً يتوقف معهُ الحسّ الى حدّ ان يُتمكّن من اجرآء بعض الاعمال الجراحية التي يمكن ان تتمّ في مدةٍ قصيرة ٠

ولا ريب ان هذه الطريقة في التخدير الموضعي تفضل كل طريقةٍ عُرِفت قبلها حتى التي لا اذى فيها البتة لانهُ لا يُدخَل فيها على البنية شيءٌ من الموادّ الدوآئية . واما اجرآؤها فيتمّ بأن يُجلَس العليل على كرسيٍّ ويُجعَل امامهُ مصباح شديد الضيآء بقوّة ١٥ شمعة تكون زجاجتهُ زرقآء وفوقهُ عاكسٌ مطليٌّ بالنِكل ويُجعَل بينهُ وبين المصباح نحو خمسة عشر

سنتيمتراً ويغطّى رأسهُ بقناع ازرق خفيف . وبعد ان يُنفَى عنهُ كل خوفٍ من هذه الطريقة يؤمر بأن يثبت نظرهُ في المصباح فلا تمرّ عليهِ دقيقتان او ثلاث حتى يأخذهُ ضربٌ من الذهول فيُرفَع عنهُ القناع ويُنظَر الى الحدقة ليُتحقَّق تمددها واذ ذاك يكون نظرهُ جامداً . وفي هذه الحال اذا كان لهُ ضرسٌ يراد قلعهُ او أُريد ان يُجرَى لهُ عملٌ آخر بشرط ان يكون سريع الاجرآء امكن ان يتمّ بدون ان يشعر بأقلّ ألم

وقد امتحن هذه الطريقة اطبآء آخرون منهم الدكتور مِلّيار فانهُ استخدمها في معالجة اثنين وثلاثين عليلاً فنجحت في عشرين منها تمام النجاح طبقاً لما ذكرهُ الدكتور رُدار واما الباقون فان ثمانيــة منهم لم يتأتَّ لهُ تخديرهم اصلاً والاربعة الآخرين شعروا بآلام خفيفة . وفي رأي الدكتور رُدار ان عدم قبول التخدير يكون سببهُ سبق تخوُّف العليل من اجرآء تلك الطريقة عليهِ بحيث تهيج عصبهُ حتى يمتنع تخدُّرهُ . واما نوع هذا الخَدَر فقد تبين انهُ لا يتعدى الاعصاب الجمجمية وخصوصاً العصب الثُلاثيّ الوجهيّ بحيث اذا قُرصت اليد او الرجل او دُغدِغت شعر العليل بذلك شعوراً تاماً وهذا مما يدلّ على انهُ خَدَرٌ موضعي لا ضربٌ من التنويم المعروف . اهـ

حق تملك الاجانب للاراضي العثمانية

(تتمة ما في الجزء السابق)

قانون صادر باعطآء الاجانب حق ملكية العقارات في الممالك العثمانية

في ٧ صفر سنة ١٢٨٤ — ١٠ يونيو سنة ١٨٦٧

البند الاول

قد رُخّص للاجانب أن يتمتعوا بحقوق ملكية العقارات في داخل المدن وخارجها في جميع اراضي الممالك العثمانية ما عدا اقاليم الحجاز اسوةً برعايا الدولة وبدون شرط آخر وعليهم الانقياد للقوانين واللوائح الجارية في حق الرعايا العثمانية أنفسهم كما سيذكر . ويُستثنى من ذلك من كان في الاصل من تبعة الدولة العلية ثم بدّل تابعيتهُ فانهُ يجري في حقهِ احكام قانون مخصوص

البند الثاني .

بمقتضى احكام البند الاول يُعتبَر الاجانب ذوو العقارات في داخل المدن وخارجها كتبعة الدولة العلية في كافة ما يتعلق بعقاراتهم . واعتبارهم بهذه الصفة يترتب عليهِ (اولاً) الزامهم الجري على مقتضى جميع القوانين ولوائح الضبط والربط واللوائح البلدية الجارية الآن او التي ستجري في المستقبل فيما يتعلق بحق التصرف في الاملاك العقارية وانتقالها وبيعها ورهنها . (ثانياً) قيامهم بجميع التكليفات والاموال المربوطة او التي يمكن ربطها على العقارات الداخلة والخارجة بأي وجهٍ واي عنوان كان . (ثالثاً) ان يُجعلوا مباشرةً تحت سلطة اختصاص المجالس المدنيـة العثمانية في كافة المسائل الخاصة بملكية العقارات وفي جميع قضايا الحقوق العينية سوآء كانوا بصفة مدَّعين او مُدَّعًى عليهم وسوآء كان احد الخصمين عثمانيًّا او كانا كلاهما من رعايا الدول الاجنبية . وكل ذلك بالصفة والشروط والاوجه الجارية في حق اصحاب الاملاك من تبعة الدولة العثمانية بدون ان يكون

لتابعيتهم المتصفين بها دخل في ذلك وانما يجب مراعاة الامتيازات المتعلقة بذوات اشخاصهم وبمنقولاتهم وفقاً للمعاهدات

البند الثالث

اذا افلس اجنبيٌّ من ذوي العقارات يتعين على وكلاء افلاسهِ ان يعرضوا الامر لحكومة الدولة العثمانية ومجالسها المدنية ويطلبوا منها بيع ما يمتلكهُ من العقارات الجائز شرعاً وفاء الديون التي على المالك منها . وكذا عند ما يصدر حكم من مجالس الدول الاجنبية لاجنبي على اجنبي آخر من ارباب العقارات فانهُ ينبغي الجري على الكيفية نفسها . ولاجل تنفيذ الحكم على عقارات المديون يجب على المحكوم لهُ ان يرفع الامر الى جهة الاختصاص من حكومة الدولة العثمانية للحصول على بيع ما يجوز بيعهُ من العقارات في نظير الديون التي على المالك بحيث لاينفذ الحكم المذكور على ايدي محاكم الدولة العلية وجهاتها الا بعد ان يتضح لها حقيقةً ان العقارات المطلوب بيعها هي من النوع الجائز عليهِ البيع لسداد الدين

البند الرابع

يسوغ للاجنبي ان يتصرف بالهبة والوصاية فيما لهُ من العقارات متى كان التصرف فيها على هذا الوجه جائزاً شرعاً اما العقارات التي لم يكن قد تصرف فيها بأحد الامرين او التي لا تجوّز لهُ الشريعة التصرف فيها بالهبة او الوصاية فيكون الفصل في توريثها على مقتضى القانون العثماني

البند الخامس

كل شخصٍ من رعايا الدول الاجنبية لهُ حق التمتع بفوائد هذا

القانون بعد ان تُوقَف الدولة التي هو من تبعتها على الاتفاقات التي حصل القرار عليها من قبل الدولة العلية فيما يختص بحقوق التمليك . انتهى

اما مصر فقد كان حق التملك العقاري فيها مباحاً للاجانب قبل الخط الهمايوني المشار اليهِ اباحهُ محمد علي باشا رأس الأسرة الخديوية لاسباب دعتهُ اليهِ وقد رأى لهُ مسوغاً من اتساع سلطتهِ في حكم الديار المصرية وانطلاق يدهِ في ملكية اراضيها اذ لم يكن يهمّ الدولة العثمانية منهُ فيما يتعلق بالاراضي الاَّ خراجٌ سنوي معيَّن المقدار كما تقرر ذلك في فرمان مايو سنة ١٨٤١ . وسهَّل لهُ ذلك كون اراضي مصر خراجية وقتئذٍ اعني مما لا تملك رقبتهُ بل منفعتهُ فقط وتبقى الرقبة ملك الحكومة . على انهُ لم يكتفِ بمساواة الاجانب بالوطنيين في تمليكهم حق المنفعة فقط بل ساواهم ايضاً فيما كان ينعم بهِ على بعض الاهالي من الاطيان المعروفة بالابعاديات التي كان حق الملك فيها تاماً .

والغرض الذي كان يرمي اليهِ محمد علي باشا في هذا التساهل مع الاجانب هو رغبتهُ في عمران الديار المصرية وترقيها بعد ذلك الدمار الذي كان مستولياً عليها في عهد الحكومات السابقة اذ كان يرى الاجانب اقدر من الوطنيين على ذلك . وهنالك سبب آخر هو رغبتهُ في موادّة دول اوربا وادّخار صداقتها لحين الحاجة وما من واسطة اقوى على نيل ذلك الارب من تسهيل موارد الرزق لرعاياها في مصر .

وقد سار خلفاؤهُ من بعدهِ على هذا الطريق وفي مقدمتهم سعيد باشا الذي وضع القانون الاول للاراضي المصرية المعروف باللائحة السعيدية

في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٢٧٤ (٥ اوغسطس سنة ١٨٥٨) فلم يفرق فيهِ بين الاجنبي والوطني في شيء

وزاد ذلك صراحةً امرٌ عالٍ اصدرهُ بتاريخ ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٧٧ (٤ نوفمبر سنة ١٨٦٠) هذا نصهُ « يجوز للاوربيين بناء وابورات حليج القطن في اطيان المزارع التي يحوزون منفعتها من الاهالي انما تكون تلك الوابورات خارجة عن بناء مساكن القرى ويشترط عليهم معاملتهم فيما يختص بها اسوة الاهالي رعايا الحكومة » اه

وظاهر ان تاريخ هذا الامر العالي سابق لتاريخ الخط الهمايوني المذكور آنفاً وبهذا وضح ان البلاد المصرية كانت فيما يتعلق بحقوق تملك الاجانب منفردةً عن احكام سائر الاراضي العثمانية اما في وقتنا الحاضر فقد اصبح للاجنبي حق التملك في البلاد العثمانية كما هو في البلاد المصرية الا ما استُثنِي من ذلك وهو اراضي الحجاز ابرهيم الجمّال

حديقة السوسن

(عَوْدٌ على ما في مجلد السنة السابعة)

— ١٠ —

ان العلم لبث في القرون الوسطى [١] محتبساً في الاديار والصوامع مطَّرَحاً في زوايا الاهمال والخمول محجوباً عن ابصار العامة لا تنال منهُ

(١) يقسم المؤرخون ازمنة التاريخ الى اربعة اقسام كبرى الاول التاريخ القديم وهو يشمل الازمنة القديمة منذ الخليقة حتى انقراض السلطنة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ م · والثاني تاريخ القرون الوسطى التي يسمونها العصور المظلمة وهي تبتدئ

سوى ما يرى الرهبان من مصلحتهم القاءه عليها. فلما انتشرت الطباعة التي اخترعها في القرن الخامس عشر كلٌّ من يوحنا غوتنبرغ ويوحنا فوست الجرمانيين وتداولت الايدي هذه الصناعة في المانيا وغيرها من اصقاع اوربا تنبهت الخواطر الى تلك الكنوز المدفونة طي الاسفار الخطية المركومة تلالاً في اكناف الاديار والمعابد فتعممت بالطبع والنشر وهبّت الافكار من رقدة الجهالة فأقبلت على العلم اقبال المحب المشوق الى ديار الحبيب ونهل الواردون منها نهلة من تاه آونة الهجير في مفازة معطشة حتى اذا الهبهُ الظمأ واخذ بخناقهِ القيظ اصاب ينبوعاً وارف الظلال عذب الزلال فاستنارت البصائر بعد ظلمتها الدامسة ونهضت المدارك بعد سقطتها الهائلة وبحث المحققون فيما ترك الاقدمون من ذخائر العلوم والفنون وبجدّهم المتدارك ميّزوا بين غثها وسمينها وفرقوا بين صحيحها وفاسدها. ثم جزموا بكروية الارض مما كان باعثاً على اكتشاف نصف الكرة الغربيّ المعروف بالعالم الجديد واحيوا رسوم الفلسفة الطبيعية بعد اندراسها ونقلوها من وضعها المبني على قواعد اساسها الحدس والظن والافتراض ونتيجتها الوهم والاباطيل الى حالة تؤدي الى استجلاء الحقائق من طريق البحث والاستقراء فأصبح ارباب العلم لا يجزمون برأيٍ ولا يقطعون بأمرٍ قبل ان

سنة ٤٧٦ وتنتهي سنة ١٤٥٣ وهي سنة افتتاح الاتراك للقسطنطينية . والثالث من سنة ١٤٥٣ الى نشوب الثورة الفرنسوية سنة ١٧٨٩ . والرابع من ذلك العهد الى يومنا هذا وهو يشمل ازهى ازمنة الاكتشافات العلمية الطبيعية وظهور الالفة والحرية مظهرها الحاضر

يعزّز بالبراهين الحسّية البالغة حد الاقناع . ثم افضى بهم هذا المسلك الى البحث عن باطن الارض وطبقاتها ولما استشفّوا ما وراءهُ من جليل الفائدة وضعوا لهُ علماً خاصاً بهِ يُعرَف بالجيولوجيا واوصلهم البحث في هذه الطبقات الى الجزم بان الانسان اقدم من الاعصر التاريخية بدهورٍ طويلة وذلك من استقراء الاحافير المكتشفة ولا سيما في اراضي بلجيكا وفرنسا . ومن ثمَّ اخذوا ينقبّون عن تاريخهِ الطبيعي من حيث كونهُ حيواناً وجعلوا هذا البحث علماً برأسهِ سموهُ انتروبولوجيا . وبهذا العلم توصلوا ايضاً الى درس طبائعهِ واحوالهِ بحسب ادوار ترقيهِ العمرانيّ والادبي فوضح لهم عند ذلك ان الرجل كان في ضلالٍ بعيد اذ انزل المرأة حال انتقالهِ من طور همجيّتهِ الاولى الى ندحة الحضارة منزلة آلةٍ لا شريكة ومحكومةٍ لا مستقلة واسيرةٍ لا حرّة . وجزموا بان هذا الوضع المخالف للطبيعة طوّر المرأة بغير اطوارها الفطرية وكيَّف اخلاقها تكييفاً سُلب معهُ إخلاصها الحقيقيّ للرجل وحلَّ محلهُ الحقد الناشئ عما اصابها اطّراداً وتباعاً من الإساءة والاعنات والتحكم حتى اصبحت — ولا تزال — في سرها وجهرها دائمة الانين من عسف الرجل مجروحة الفؤاد لما نالها من انحطاط القدر في المجتمع القوميّ والمنزلي مبتئسةً ابداً لتمادي اجتباسها والضغط عليها حسّاً ومعنًى فضلاً عما ترتب على ذلك من ظلمة المدارك وضعف النفس وضيق الاختبار وعجزها بالتالي عن مماشاة رفيقها وشريك حياتها في صحة الاستنتاج والحكم حتى اصبح الرجال يقولون « ان الرجل يحكم بعقلهِ والمرأة تحكم بعواطفها » فتعذّر والحالة على ما وصفنا الهناء البيتيّ وتشوهت محاسن الاجتماع

الانسانيّ بما خامر قلوب افراد النوعين من التباين والتغاير الموجبين لدوام التغابن والتهاتر فكان ما كان من نغص العِشرة المبني على عدم التناسب في التربية عقلاً وحيثيةً

عندئذٍ استفاقوا من سباتٍ عميق مرّ عليهِ زمنٌ سحيق فنشطوا لاصلاح ما أفسد آباؤهم ونهضوا لتلافي خللٍ تطرق الى حياة الانسان منذ دخل في دور العمران فاخذ النابغون من كتبتهم وخطبآئهم يوضحون باقلامهم ويفصحون على منابرهم ويصدعون في أنديتهم ومحافلهم بوجوب العود عن خطتهم السالفة وانتهاج خطة يسيرون عليها سيراً تدريجيًا يبلغ بهم مع تراخي الازمنة الى إنالة المرأة حقها الادبي وانزالها منزلتها الطبيعية بعد تقويم أَوَدها باطلاق حرية التعليم لها اصلاحاً لخطإٍ عمّ الجنس البشري بلآؤهُ فادخل في معنويّات وجودهِ سمًّا ناقعاً

ولما سرت ثورة الخواطر المتنبهة لهذا الموضوع الجليل المهم اخذوا يبيحون للاناث بدآءة ذي بدءٍ حرية التعليم الابتدآئي ثم تدرجوا الى اعطآئهنّ مقاسمة الرجال الرأي والتفاوض في بسائط الامور الادارية والمنزلية ثم شاركنهم في المجتمعات والضيافات وحضور اندية التمثيل ثم اجازوا لهنّ بعد زمنٍ حقّ التقدم عليهم في الجلوس والسير ارضآءً لإحساسهنّ اللطيف وتسريراً لافئدتهنّ الشفافة وتوسعوا في تعليمهنّ العلوم العالية حتى الفلك والهندسة والكيميآء بعد أن تُرِكَ للفتَيات بعض الترك حق اختيار الازواج[1] وهكذا كان الرجال يشعرون شيئاً فشيئاً بما ورآء هذا الاطلاق

(١) قال العلامة الفريد ولص الانكليزي ان النظام الحالي يأول الى زيادة

والتساهل من الفائدة والنفع فيسترسلون في تجاوزهم وتسامحهم وتخفيف وطأة ذلك الضغط القديم الذي شدَّ ما يهظ عواتق النسآء في العصور الخوالي. وما برح الامر كذلك حتى ثارت الفتنة الفرنسوية في أواخر القرن الثامن عشر فادَّت الى رفعنَّ هوَجاً وجنوناً الى مقام المعبودات على أثر الانقلاب العظيم الذي طرأ على افكار تلك الامة باغرآء ڤولتير وروسو وأمثالهما من متطرفي ذلك العصر بعد أن قتلت الملوك والرؤسآء والغت الديانات والإقطاعات وهدمت العروش والامتيازات تاركة زمام الامة بيد الامة على المبدإ الديموقراطي الشائع اليوم في كثير من الممالك الاوربية والاميركية

عند ذلك بلغت المرأة أَوج مجدها في تلك الامة السريعة التهيج والانفعال المطبوعة على حب الانقلابات الموصوفة بالنزَق وعدم الثبات على حالٍ من الاحوال ومن فرنسا سرى روح إعظام المرأة الى غيرها من سائر الاقاليم الغربية ولكن على خطةٍ اكثر اعتدالاً وادنى الى القاعدة المثلى. فما اقبل الربع الثاني من القرن التاسع عشر حتى اصبحت المرأة في كل اوربا الغربية والشمالية وبعض الجنوبية والشرقية مالكةً زمام نفسها رئيسة منزلها ومديرة التعليم والتربية الابتدآئيين لبنيها مشاركة رجلها رأياً ومفاوضةً في جهاد الحياة وشؤون المعاش والبحث في سياسات البلاد

الاهتمام بتعليم النسآء وهنَّ متى تعلمنَ صار لهنَّ كلمة في اختيار ازواجهنَّ فيفضلنَ الحاذق على الغبي والقوي على الضعيف والعالم على الجاهل. وهذا من اقوى وسائط الانتخاب المؤدي الى الارتقآء

واحتياجات الوطن سائدةً حلقات السَمَر والألفة في المعاشرات لها حرية القول والمناظرة والتعلم والتصرف في وجدانها حسبما يوحي اليها ضميرها ويلقنها فؤادها بلا حرجٍ ولا تقيُّد[1] (ستأتي البقية)

سليم عنحوري

اطالة الحياة

لا ريب ان تفكير الانسان في اتمآء الموت وتأجيلهِ وفيما يُتوقع بعدهُ امرٌ قديم العهد جدًّا ولعلهُ يرجع الى اوائل عهد الانسان . وذلك ان اول ما يخطر للعاقل من هذا القبيل ان يفكر ماذا يطرأ عليهِ بعد الموت ويتمنى ان يحيا بعدهُ حياةً افضل او ان تطول حياتهُ الحاضرة او تستمرّ على

---

(١) قال العلامة جفن الاميركاني في خطبة تلاها في جمعية اتحاد الشبان في القاهرة ما نصهُ « ولد القرن التاسع عشر وكانت منزلة النسآء في اعين الرجال لا تفضل كثيراً منزلة الامآء والعبيد بل تقلُّ عنها كان الحق عزَّ وجلّ لم يخلقهنَّ الا لخدمتهم وهاك مثال بعض ما كان يعلن في الجرائد الانكليزية اذ ذاك

» قالت مجلة هود في عددها الصادر في شهر سبتمبر سنة ١٨١٤ « عُرضت امرأة جميلة الصورة رشيقة القوام وهي زوجة جون هول بعد اقترانهِ بشهر وبيعت بالمزاد العام بمبلغ شلنين ونصف وبيع المقوَد الذي قِيدَت بهِ بنصف شلن »

» وقد حسب بعضهم سنة ١٨١٥ ان عدد الزوجات اللواتي عُرضنَ للبيع كالمواشي في جهةٍ واحدة من بلاد الانكليز خلال سنةٍ واحدة فكنَّ تسعاً وثلاثين امرأة

» اما الآن وقد ناهز القرن الختام فاننا نفتخر بان والداتنا واخواتنا لهنَّ الشأن الاكبر والاكرام الاوفر في نظام المجتمع الانساني والمقام الاعلى في تثقيف عقول الصغار وتزيين حياة الشبيبة وتوطيد دعائم العمران » اه

الدوام . ولا بد ان يكون القدمآء قد بحثوا في هذا الموضوع مباحث مختلفة ولكن لم يتصل بنا منها ما يستحق الذكر لانها على ما نظن مبنية على التخرصات والأوهام . على ان اهل العلم في الحالة الحاضرة يبحثون في هذا الامر بحثاً علمياً مسنداً الى حقائق مقرَّرة وقد قرأنا من ابحاثهم هذه مقالة لاحد مشاهير الكتاب الانكليز احببنا تلخيصها لما فيها من الآرآء الجديدة في شأن اطالة الحياة قال

اول ما يجب اعتباره في هذا البحث ان الاحصآءات الدقيقة تثبت ان الذين عاشوا نحو مئة عام معظمهم من الاناث وان اكثرهنَّ كنَّ من الخاضعات لسلطان التدخين كما ان عدداً عديداً من الرجال الذين ناهزوا المئة من العمر كانوا من عاشقي التبغ ايضاً . وهو امرٌ ولا ريب يدهش له الذين انقطعوا عن التدخين طمعاً في اطالة حياتهم ولكن هذا هو الواقع كما سنذكر بعض شواهده

فمن جملة النسآء اللواتي عمّرن طويلاً سارا توماس التي كان يدفع لها البرنس اوف ويلس شلناً عن كل سنة من سني حياتها وقد بلغ عددها ١٠٧ وظهر من البحث عن اسلوب معيشتها انها كانت مولعة اشد الولوع بالغليون تحشوه من احدّ اصناف التبغ . ومنهنَّ ايزابلاّ فلاّ المكسيكية الموطن وقد انتقلت الى كاليفورنيا سنة ١٨٩٨ في الثالثة بعد المئة من حياتها . وقد تحقق بعض الاطبآء انها ابتدأت تشرب الدخان وهي بنت عشر سنوات وكانت اذا لم تدخن تشعر بقلق وباضطراب عصبي . ومنهنّ ماريّا فوستر احدى الممرّضات في احد مستشفيات كاليفورنيا بلغ عمرها

١٠٦ سنين وكانت تعمد الى غليونها كل ساعتين مرة

وغرض الكاتب من الاستشهاد بهؤلاء النساء ان يثبت ان التدخين وحده لا يكفي ان يكون سبباً لقصر العمر اذا وُجدت الوسائل الاساسية لاطالته

و بعد الاستقرآءات العديدة رجح ان اسباب اطالة الحياة تختلف بين المرأة والرجل وان لكلٍّ منهما قواعد خاصة بجنسهِ . ولكن الملاحظة العامة التي تصدق على كلا الجنسين ان الذين تجاوزوا المئة من العمر كانوا من الفقرآء الذين عاشوا عيشة بسيطة وكانوا يعملون في الهوآء الطلق النقي . ولنوع الطعام تأثير مهم في اطالة العمر فقد اكَّد العلمآء بالبراهين العلمية انهُ اذا اعتُني حق العناية بانتخاب الاغذية الملائمة امكن ان يطول حبل العمر حتى يبلغ ٣٠٠ عام (كذا)

والمقرَّر في اصول الطب الحديث ان الشيخوخة تعاجل الانسان بسبب تصلُّب عظامهِ السريع . وقد قال الدكتور كِنَر احد مشاهير اطباء لندن «ان الشيخوخة ناجمة عن رسوب المواد الترابية في مركَّبات اجسامنا ككربونات الكلس وفوصفاتهِ ممزوجةً بمواد اخرى . ففي ايام الحداثة تمر هذه المواد في الجهاز الهضمي الى الدم وتنصرف منهُ مع البول وسائر المفرزات ولكن في ايام الرجولية يجتمع جانب كبير منها في النسيج العظمي»

فترى ان رأي هذا الطبيب في طول الحياة مبنيٌّ على المبادئ العلمية الحديثة التي هي الآن من الامور المسلَّمة . وقد أيدها المشرّح الفرنساوي الشهير الدكتور دشمبر اذ برهن في تحقيقاتهِ واستقرآءاتهِ الجمة ان الموت

ينجم ابتداءً عن تصلُّب العظم كما يُستدَلّ عليهِ من ان عظام الولد لينة قابلة الجبر اذا انكسرت وان عظام الشيخ قصِمة يكاد يستحيل جبرها . وقد اكَّد هذا الطبيب ان العظام لا تتصلَّب الى حد ان يفضي تصلبها الى الموت الا بين التسعين والمئة من العمر

وقد وضع العلامة الانكليزي الدكتور كِنر المذكور قانوناً للتغذية نثبتهُ في هذا الموضع افادةً للقرآء . فهو يفضل طعام السمك ولحوم الطير والحملان والعجول على سائر انواع الطعام ويشير باكل الفاكهة لقلة المواد النيتروجينية فيها ولا سيما التفاح الكثير العصارة قبل تمام نضجهِ ولِما تشتمل عليهِ هذه الاغذية كلها من الحامض الفصفوريك الذي هو العنصر الاساسي المفيد . وفي رأيهِ ان سر اطالة الحياة كائنٌ في قدحٍ من المآء ينقَّط فيهِ نحو ١٠ نقط من الحامض الفصفوريك المخفف ويؤخذ مع كل وجبة من الطعام لان هذا الحامض هو اقوى المؤثرات المهمة في تأجيل الشيخوخة كما ثبت علمياً . وهو يوصي بان يكون مآء الشرب مقطَّراً للذين تجاوزوا النصف الاول من العمر لان المآء الاعتيادي يشتمل على المواد التي تزيد في تصلُّب العظام

وفي السنين العشر الاخيرة عني كثيرون من اهل الطب بتحليل الطعام واختبارهِ وتحقيق العناصر المفيدة فيهِ . ولا يخفى ان طرق اعداد الاطعمة وموادها تسهّل السبيل لغشّها ولذلك لا تكاد تعثر في هذه الايام على طعام لا غش فيهِ . وقد تولت حكومة واشنطون بنفسها كثيراً من الامتحانات العلمية لانواع الطعام علماً بما يترتب على ذلك من عموم المصلحة في اهمّ

شيء وهو الحالة الصحية التي هي ركن الحياة البشرية . وحبذا لو ان حكومتنا تنبهت لهذا الامر الخطير فانه اهمّ من هذا الطاعون الوهمي الذي ما برحت تنفق عليهِ عشرات الالوف من الذهب الوهّاج حالة كون الآفة التي نحن في صددها لا تكلفها اقل جزء من تلك النفقات

نقولا الحداد





خطبٌ جلَل

هَوَى بالامس ركنٌ من اركان العلم وتقوّض صرحٌ من صروح الفضل فقد حملت الينا أنباء الاسكندرية نعي العالِم العامل والطبيب

النطاسيّ الدكتور بشارة زلزل الشهير الذي عرفتهُ الادبآء كاتباً بليغاً والعلمآء جهبذاً نحريراً والمحافل خطيباً مصدعاً وفقدت بهِ الأعلاّء طبيباً مؤاسياً والانسانية عضُداً متيناً والوطنية داعياً غيوراً

اجاب دعوة ربّهِ في العاشر من هذا الشهر عن اربع وخمسين سنةً ترك فيها من محاسن الآثار ما اثبت اسمهُ في صحيفة الدهر بما سطّرت اقلامهُ من نواصع التحقيقات وبدائع النظم والنثر ولا سيما في مجلتي الطبيب والبيان اللتين كانت يدهُ فيهما مع يد كاتب هذه السطور فان لهُ في هاتين المجلتين الفصول الرائقة الشاهدة بطول باعهِ في صناعة القلم وغزارة مادّتهِ في العلم ودقّة افكارهِ في البحث. ولهُ عدا ذلك شيءٌ كثير في مجلة النحلة والصفآء والمقتطف وغيرها مما جلّى بهِ في حلبتي العلم والادب فضلاً عن كثيرٍ من الرسائل المحبَّرة والخُطَب المُجمَعة والقصائد الرنّانة مما طُبع اكثرهُ وتداولتهُ ايدي القرآء. وكان ختام عهدهِ تأليفهُ المشهور المسمى بتنوير الاذهان في علم طبائع الحيوان والانسان وكان قد شرع في نشرهِ العام الغابر فطبع منهُ اربعة اجزآء ثم قطعتهُ العلّة عن اتمام تمثيلهِ ووضعهِ بين ايدي المستفيدين فالامل معقود بالذين اؤتُمنوا على هذه الذخيرة من بعدهِ ان يُتمّوا ما بُدأ بهِ ايثاراً للمطالعين بفوائدهِ وحرصاً على تخليد ما خطّ بنانهُ من الآثار الجليلة. والكتاب فريدٌ في بابهِ لم يُنسَج على منوالهِ في هذه اللغة لانهُ احاط فيهِ بمباحث المتأخرين من اصحاب هذا الفنّ مُسنَداً كل ما فيهِ الى الحقائق التي شهد بصحتها الاختبار العيانيّ وزاد على ذلك ما

اشتمل عليهِ من الفوائد اللغوية بتحقيقهِ اسمآء الحيوان من الدوابّ والطير والاسماك وغيرها مما جآء في كتب اللغة غير مشروح الماهية فعرّف مسمّياتها وردّ كل اسمٍ الى مسمّاهُ ولو بالقرينة الوضعية وما لم تعرفهُ العرب من انواع الحيوان ولم تضع لهُ اسماً وضع لهُ اسماً من عندهِ استنبطهُ من طريق المجاز او الاشتقاق على ما هي القاعدة في اصول علم الوضع وهي خدمةٌ للّغة تنطق بفضلهِ ما نطقْ عربيٌّ بالضاد . وفي الكتاب خلا ذلك شيءٌ كثير من الفوائد التاريخية والمباحث الأخلاقية والاجتماعية مما يشهد بسعة علمهِ وغزارة فضلهِ ومما يجعل هذا الكتاب في مقدّمة الكتبْ التي ظهرت في عصرنا الحالي

فنحن نندب في هذا المقام عالماً كبيراً كان ركناً من اركان النهضة العلمية الحاضرة ونبكي صديقاً قديماً جمعتنا واياهُ وحدة الوطن والنشأة وضمنّا واياهُ عهد الصبآء ونرثي رضيعاً فاضلاً طالما رفدتنا اقلامهُ واستضأنا برأيهِ والله المسؤول ان يتولاهُ بفضلهِ واحسانهِ ويتغمد روحهُ الطيب برحمتهِ ورضوانهِ

فكاهات

الكولونيل جيرار[1]

— ١٠ —

انكم ترون على طرف ردآئي هذا قطعة من الحرير الملون وهي علامة وسام الشرف الذي نلتهُ . اما الوسام نفسهُ فمحفوظ في حقيبة من الجلد في منزلي لا اخرجهُ منها الا اذا زارني احد الضباط القدمآء او الغربآء الذين يأتون لتقديم احترامهم وتوقيرهم لجيرار الشهير ففي ذلك الحين اخرجهُ من مخبإه وأضعهُ على صدري ثم ارفع شاربيَّ كما كنت افعل في معركة مارنغو فيصل طرفاهما الابيضان الى صدغيَّ. غير انني مع كل ذلك اعتقد ان لا أولئك الزوار ولا انتم ايها الاصحاب تتحققون الحالة التي كنت فيها اذ ذاك لانكم لا تعرفونني الا بحالتي المدنية الحاضرة ويصعب عليكم جدًّا ان تتصوروني في الحالة العسكرية التي وقفت فيها في اول شهر يوليو سنة ١٨١٠ امام فندق مدينة آلامو في اسبانيا حين كنت في ابان مجدي لا يقف في وجهي خطر ولا يعترض طريقي بطل

اما سبب وجودي في ذلك الفندق فهو انني أُصبت في احدى تلك المعارك بطعنة رمح في عقب رجلي منعتني عن المسير وأجبرت على المقام هنالك الى ان اشفى. فقضيت اياماً في الآلام الجسدية والعقلية الى ان بزغ صباح يوم من ايام شهر يوليو فوجدت في نفسي قوة فنهضت من سريري واتيت الى باب الفندق وانا لا اكاد اصدق انني تعافيت فسمعت ان فرقتي قد بلغت بستورس وهي بازآء الجيوش البريطانية. فدفعتني الحماسة الى اللحاق برجالي غير ان الضربة التي آذت رجلي كانت

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

قد اودت بحياة جوادي ايضاً ولدى السؤال اعلمني صاحب الفندق انهُ يستحيل وجود ركوبة تنقلني الى بستورس . وكان في الفندق قسيس من المسافرين فاكد لي باقسام متتابعة انني لو دفعت اموال فرنسا باسرها لما تمكنت من واسطة تنقلني الى فرقتي في تلك الليلة . واردف صاحب الفندق كلامهُ بقولهِ ان البراري الواقعة بيننا و بين فرقتي يكمن فيها الكوشيلو اللص الاسبانيولي الشهير برجالهِ فلا ينجو احد اذا ساقهُ سوء البخت لاجتياز تلك الطريق . اما انا فلم تهمني كل تلك المخاوف وكانت غايتي الوحيدة ان اجد جواداً يقلني الى بستورس مهما كلفني ذلك . وانني لكذلك واذا بفارس قد قدم حتى بلغ باب الفندق فوقف بفرسهِ فحيتهُ وعرَّفتهُ انني الكولونيل جيرار وان جرح رجلي قد حكم عليَّ بالتلبث في ذلك المكان . فنظر اليَّ متبسماً وقال وانا المسيو ڤيدال وذكر لي انهُ يقصد بستورس ايضاً ويتمنى لو تمكنت من مرافقتهِ لانهُ بلغهُ ان الطريق غير امينة . فقلت لهُ انني لسوء الحظ قد فقدت جوادي وعرضت عليهِ ان يبيعني جوادهُ اصل بهِ الى بستورس واني حال وصولي ارسل اليهِ بعض الجنود يرافقونهُ حتى يبلغوهُ مأمنهُ فأبى . ولما رآني اهمّ بالوثوب عليهِ لآخذ الجواد منهُ قهراً أعمل في خاصرتي جوادهِ المهماز وغاب عني في سحابة من الغبار . فقال لي القسيس اذا كان غرضك الوصول الى بستورس فلن ترى مساعداً لك سواي لانني انا ايضاً راحل الى الجهة الجنوبية . فشكرتهُ على ذلك شكراً جزيلاً وللحال نهض فسار امامي الى القرية وانا اتبعهُ فبلغنا نزلاً رأينا أمام بابهِ عربةً محطمة والى جانبها ثلاثة بغال مهزولة . فاستدعينا صاحب النزل وطلبنا منهُ ان يشد البغال الى العربة و ينقلنا الى بستورس فأبى خوفاً من الكوشيلو مؤكداً لنا اننا نصبح جميعاً فريسة لذلك الغادر اذا صممنا على السفر في تلك الليلة . ولم اكن ليثنيني عن عزمي مثل هذا الوعيد فجعلت أتوسل اليهِ وأعدهُ بالعطآء الوافر اذا امتثل والقسيس يتهددهُ بالهلاك والحرمان اذا أبى حتى قبل الرجل واسرع في العمل قائلاً اذا لم يكن بدٌّ من ذلك فيجب ان نجتاز الغابة المخيفة قبل حلول الظلام . وعدنا الى الفندق لاخذ أمتعتنا ولتوديع ابنة صاحبهِ التي كنت قد احببتها فلما قبلتها

رأيت علامة الاشمئزاز على وجه القسيس غير انهُ ما ابتدأنا في سفرنا حتى ابرقت اسرتهُ وجعل يحادثني فقال انهُ قادم من شمالي اسبانيا وذاهب لزيارة والدتهِ في استرامادورا ثم جعل يقص عليَّ محبتهُ لها وكم يكون سرورها بلقياهُ بعد غيابهِ الطويل حتي ذكرني بوالدتي وأسال دموعي . وكان يريني الهدايا الصغيرة التي اخذها ليوزعها على الاولاد الذين سيأتون لمقابلتهِ . ثم انتقل بحديثهِ الى سير الجنود وملابسهم فجعل يفحص ثوبي وسيفي فامتشقهُ وأخذت انا أقص عليهِ ما فعلت بذلك الحسام وكم روَّيتهُ بالدمآء . فاكفهرَّ وجههُ وقال ان هذا الحديث يؤلمني حتى ان منظر سيفك يزعجني فاسمح لي أن احجبهُ عن نظري ولما قال ذلك اخفاهُ تحت مقعد العربة . وبعد قليل قرع آذاننا صوت دويّ المدافع فعلمت انها من جنود مسينا الذي كان يحاصر رودريكو وكنت احب مسينا لشجاعتهِ مع انهُ اسرائيلي واعتقد انهُ لم يقم في الاسرائيليين قائدٌ بعد يشوع بن نون مثلهُ فلم اتمالك ان صحت باعلى صوتي ليحيَ مسينا وجعلت اتغنى بالاناشيد الحماسية كانني من تلامذة مدرسة سانت سير . وكانت المركبة تخترق بنا الشعاب الصعبة والممرات الضيقة المقفرة وكان القسيس في اثنآء ذلك قد اخرج من جيبهِ مثقباً وجعل يعالج بهِ الرباط الجلدي المعلقة بهِ قربة المآء. فلما ساد السكوت انطرحت الى جانب العربة وسارت بي افكاري الى المعارك التي خضت غمارها والسيدات اللواتي عرفتهنَّ واذا بالقربة قد سقطت من يد القسيس الى اسفل العربة واندفق المآء منها . فاسرعت وانحنيت لالتقاطها فلم يكن من القسيس الا ان اغتنم تلك الفرصة وفي اسرع من لمح البصر وثب على ظهري وغرز المثقب في عيني

لا أخالكم تجهلون ايها الاصدقآء انني رجلٌ من حديد وقد خلقت لاقتحام الاخطار وانني منذ دخلت الخدمة في زوريخ الى ان بلغت معركة واترلو لم أعرف للخوف معنًى ولا للخطر اسماً ولكنني لا انكر ان ما حصل لي حينئذٍ أطار رشدي وهلع قلبي . وأعارني الالم قوة غريبة فأمسكت ذلك اللعين بيديّ ورفعتهُ وضربت بهِ ارض المركبة ثم جثوت على صدرهِ فأخذ من تحت ردآئهِ غدارة فرفستها برجلي

فطارت من يده ورفعت المقعد لآخذ سيفي واسمّرهُ بهِ الى الخشب واذا بالمركبة قد مالت الى جانبها فسقطت بنا وفُتح بابها فشعرت بأيدٍ حديدية قد أمسكت قدميَّ وجرتني الى الخارج . وسقطت قبعتي على عيني السليمة فغطتهـا وبقيت الاخرى فسررت جدًّا لانني رأيت بها كل شيءٍ بوضوح وعلمت انني لم أفقد بصري لان الثقب كان قد دخل كما ترون اثرهُ بين الحدقة وعظم الانف . وكان الخبيث قد صمم ان يدخلهُ في عيني الى الدماغ فسآء فألهُ ولكنهُ تمكن من أذيتي بهذا الجرح الذي آلمني اكثر من كل الجراح الخطرة التي أصابتني في حياتي . قلت انني رأيت فهل تعلمون ماذا رأيت . ثلاثين رجلاً من زمرة الكوشيلو وجميعهم مدججون بالسلاح وعلى وجوههم لوائح السرور لحصولهم عليَّ . فلما صرت امامهم جعلوا يرفسونني ويلكمونني ويشتمونني أما أنا فبقيت صامتاً انظر الى وجوههم الشرسة واحفظ هيئاتهم في ذاكرتي فظنوني ميتاً . وعلمت انهم كانوا ينتظرونني وان القسيس لم يكن الاّ رسولهم وانهم وضعوا في طريق المركبة صخراً كبيراً ليعثرها فتسقط وكان القسيس يعلم المكان الذي تواعدوا اليهِ ففعل ما فعل . وأخرجهُ بعضهم من المركبة فوجدت انني لم اقصر في جزائهِ لانني لما جلدت بهِ الارض كنت على ما يظهر قد كسرت شيئاً في سلسلتهِ الفقارية فلم يعد يستطيع القيام . ولما رأيت ساقيهِ متدليتين وهو محمول بين اثنين من أولئك اللصوص لم أتمالك عن الضحك فانتبهوا اليَّ وأنهضوني وساقوني امامهم الى قمة الجبل وكانوا يتبعونني جميعهم والقسيس المحمول على اكتاف رفاقهِ لا يكل عن الشتم والسب . ولم نزل في سيرنا نحو ساعة وأنا متألم من جرح عيني ورجلي التي لم تكن قد شفيت تماماً بعد . وبلغنا غابة كثيفة دخلناها فوصلنا الى بقعةٍ جردآء في وسطها رأيت فيها جواداً مربوطاً الى شجرةٍ فعرفتهُ للحال انهُ جواد فيدال الذي فرَّ مني في الفندق وعلمت ان صاحبهُ قدسقط في أيدي أولئك الانذال وأن فرنسويًّا آخر في ذلك الخطر نظيري . ثم رأيت شرذمة أخرى من أولئك اللصوص القتلة قد خرجت من بين الاشجار فقابلتنا ولما رأوا القسيس وما وقع لهُ أبدوا أسفهم الشديد وجعلوا يلاطفونهُ ويجاملونهُ ثم نظروا

اليَّ وقد استلوا خناجرهم فعلمت أن آخرتي قد دنت . وبعد أن مشينا قليلاً وصلنا الى مغارةٍ على بابها مشعلٌ متقد وفي صدرها رجل قبيح المنظر شرس الهيئة عرفتهُ من احترام القوم لهُ انهُ رئيسهم الشهير الكوشيلو. وأجلسوا القسيس على برميل فارغ فتدلت ساقاهُ وهو ينظر اليَّ بعينين يتقد فيهما السم ثم دار بينهُ وبين الرئيس حديث علمت منهُ ان القسيس عميل لهم ينصب الاشراك بلسانهِ الذلق فندمت لانني لم أجهز عليهِ وأخلص الناس من شرهِ . اما الرئيس فلم يكن عليهِ شيء من السلاح وكانت أمامهُ مائدة عليها بعض الكتب وكثير من الاوراق المبعثرة . ولما دخلنا كان يكتب فتوقف ريثما سمع تفاصيل الحادثة ثم أمر الجميع بالخروج ونقل القسيس للمعالجة فبقيت وحدي امامهُ واثنان يحرسانني عن جانبيَّ . واذ ذاك أخذ الرئيس قلمهُ وجعل ينقر بهِ على جبهتهِ ثم ينظر الى جدران المغارة فعلمت انهُ ينظم شعراً . ثم نظر اليَّ وقال هل تعرف قافيةً توافق لفظة « كوفيلها » فتبسمت وقلت كلا ولا أظنك تجدها لان اللغة الاسبانيولية ضيقة جدًّا . فقال لا تقل ذلك فانها من اللغات الواسعة غير انها فقيرة في الكلمات التي تصلح للقوافي ولذلك نضطر ان ننظم اشعارنا غير مقفاة . ثم عاد الى الكتابة ورأيت في وجههِ علامة الرضى فرمى بالقلم وقرأ ما كتبهُ على حارسيَّ فسرَّا جدًّا ثم قال لي انني انظم أغاني نترنم بها في ليالينا للتسلية . والآن فلنعد الى عملنا فهل لك أن تعرّفني بنفسك . قلت أنا اتيان جيرار كولونيل في فرقة الهوسار الثالثة . قال ولكنك اصغر سنًّا من أن ترقى الى هذه الرتبة . قلت اني قد نلتها بجدي بعد ما اقتحمتهُ من الاخطار . ولما قلت ذلك نصبت قامتي امامهُ لاريهُ اني لا اهاب الموت ولا يهمني انفرادي بين جمهورهم . اما هو فصمت لحظة ثم قال يغلب على ظني اننا رأينا بعض رجال فرقتكم قبل الآن وبما اننا ندون جميع ما يقع لنا فيمكنني ان اذكر لك بعضهم . ثم تناول كتاباً فتحهُ وقال في الرابع والعشرين من شهر يونيو اتانا ضابطٌ من فرقتكم يدعى سوبيرون فدفنّاهُ . قلت انني اعرف هذا المسكين جيداً فما هو سبب موتهِ . قال قلت لك اننا دفناهُ . قلت فهمت ذلك ولكن كيف مات قبل ان تدفنوهُ . فقهقه حتى بانت

نواجذهُ وقال ألم اقل لك اننا دفناهُ فانهُ لم يمت قبل ذلك بل بقي حيًّا الى ان دُفن فلما غطاهُ التراب على عمق ثلاثة امتار لا بد ان يكون قد مات بعد ذلك . فعلمت اذ ذاك انهم دفنوهُ حيًّا وشعرت بارتعاش في جسمي ثم صعد الدم في رأسي فوثبت اليهِ وقد صممت ان امزق وجههُ باظفاري فامسكني الحارسان وجاهدت معهما مدةً فتغلبا عليَّ واوثقا يديَّ ورجليَّ فافقداني الحراك ولكنهما لم يستطيعا تقييد لساني . فقلت لهُ تبًّا لك من نذلٍ لئيم وانني لأودّ لو كنت طليقاً وحسامي بيدي لاريك كيف تكون الرجال واجازيك على قتلك بعض رجالي . ولكن اعلم يا هذا انك ولو اختفيت في هذا المكمن المنيع كالجرذ في وكرهِ فلا بد من يوم تصل فيهِ اليك ذراع امبراطورنا فيطهر هذه البقعة من شرّك وشرّ عصابتك الدنيئة . فلم يؤثر فيهِ كلامي كانهُ لم يسمعهُ لانهُ اخذ القلم وعاد الى التفكر كانهُ ينظم شيئاً جديداً. وساءني عدم اكتراثهِ فقلت لهُ أجَلْ ولو أُتيح لي ان ابارزك لاعلمتك انك اسقط منزلةً من هذه الابيات السفيهة التافهة التي تنظمها . فلما سمع تعريضي بنظمهِ ظهرت على وجههِ امارات الغيظ فوثب عن كرسيهِ كمن لدغتهُ افعى وقال كفى يا كولونيل قد قلت لي انك لا تعبأ بالمخاطر فاستعدّ لميتةٍ ترتعد لها فرائصك وتعلمك كيف يكون الخوف . قلت حبذا الموت بشرط ان لا تدونهُ في كتابك نظماً . وكان قد اشار الى حارسيَّ فجذباني الى خارج المغارة وساراً بي الى حيث يعسكر رفاقهما فالقياني بجانب جذع شجرة وجلسا بالقرب مني يدخنان وكانت الظلمة حالكة وقد اوقد كثيرون منهم ناراً في جهات مختلفة لطبخ طعامهم فكان منظر النار وما حولها من الرجال والاشجار مما يرتاح اليهِ اعظم مصور فنسيت ما انا فيهِ وجعلت اسرح الطرف في تلك البقعة . ثم انتبهت الى نفسي فوجدت ان جميع المخاطر التي نجوت منها ليست شيئاً بالنسبة الى ما كنت فيهِ في تلك الساعة فقلت تشجع يا جيرار فانك لم تصر كولونيلاً لمجرد ظرفك وحسن هيئتك بل لانك تعرف ان تحتقر الخوف ولا تعبأ بالخطر . واذ ذاك جعلت اجول بنظري لعلي ارى منفذاً او واسطة اتمكن بها من النجاة واذا بمشهد ملأني رعباً واستغراباً فانني رأيت على مقربةٍ مني شجرة

طويلة محنية حتى كادت تبلغ الارض ورأيت في احد اغصانها حذآء عسكريًّا مثبتاً بالمسامير وفي الحذآء بقية ساقي ڤيدال الذي كنت قد وجدت جواده كما اسلفت ورأيت على الارض بقية النار الخامدة فعلمت انهم اماتوهُ حرقاً وودت ان يكون قد قابل حمامهُ بالشجاعة المعهودة في الدم الفرنسوي . ثم رجعت الى نفسي وتذكرت ما قلتهُ للرئيس فندمت على عدم تلطفي معهُ في الكلام غير ان السيف قد سبق العذل وقضي عليَّ ان اتجرع الكأس التي سكبتها بيدي واحببت ان يكون بالقرب منا من يشاهد موتي ويخبر فرقتي كيف لقي كولونيلهم حتفهُ بالشجاعة الفرنسوية

ولما كان من واجبات الانسان ان لا ييأس بقيت أعلل نفسي بالنجاة وذكرت جواد ڤيدال فقلت لو تمكنت من حلّ قيود رجليَّ لوثبت الى صهوتهِ واندفعت بحيث لا يستطيعون اللحاق بي . وبينما أنا عرضة لهذه التأملات وقد أخذت أعالج قيودي رأيت الرئيس قد خرج من مغارتهِ فاقترب من الرجال وكلمهم همساً فحنوا رؤوسهم علامة الطاعة وهم ينظرون اليَّ . وأسرع احدهم فتسلق شجرة طويلة وربط في أعلاها حبلاً ثم فعل مثل ذلك في شجرة مقابلة ولما انتهى اسرع الجميع الى الحبل الواحد فشدوهُ حتى انحنت الشجرة بنصف دائرة وربطوا طرف الحبل بشجرة أخرى بين الاثنتين ثم حنوا الشجرة الثانية وربطوها كالاولى وأنا أعجب من فعلهم ولا أدري المراد من ذلك الى ان اقترب الرئيس مني وقال قد أخبرتنا انك قويّ يا حضرة الكولونيل جيرار . قلت لا أسهل من اعطائك البرهان على ذلك اذا فككت قيودي وارجعت لي حسامي . قال كلا بل عندنا برهان أفضل نمتحن بهِ قوتك فسنربط ساقك الواحدة باحد هذين الحبلين والساق الاخرى بالحبل الثاني ثم نتركهما لتعود الشجرتان الى اصلها فاما أن تكون اقوى منهما فتبقيهما محنيتين أو ان تكونا أقوى منك فتقسمانك قطعتين. ثم اتبع كلامهُ بضحكٍ عالٍ شاركهُ فيهِ جميع الرجال وقد تألبوا حولي فرأيت وجوههم الجهنمية وشعرت بقشعريرة استولت على جسمي واقترب بعضهم ففك قيد رجليَّ وأُخذت الى محل الاعدام .

ولا اظنكم جربتم حالةً مثل هذه يداهمكم فيها الخطر الشديد فان حواس الانسان

تتنبه تنبهاً شديداً جدّاً و بذلك امكنني سماع وقع حوافر جياد وقعقعة سيوف على مسافةٍ منا فعلمت أن فرقةً من الفرسان تمر في تلك الناحية وتخيل لي انها بعض فرسان فرقتي آتين لانقاذ كولونيابهم فصحت بأعلى صوتي اليَّ يا أولادي الاعزاء اليَّ اليَّ . وسمع اللصوص مني ذلك فهجموا عليَّ ليسكتوني فكنت ازداد صراخاً حتى برز بالقرب منا فارس ثم تبعهُ اربعة آخرون عرفتهم للحال انهم من فرسان الانكليز وقرأت في وجوههم البسالة وعزة النفس ولا سيما أولهم وهو في مقتبل الشباب فقال باللغة الفرنسوية من الذي يستغيث . اما أنا فملأني الفرح أملاً والامل قوةً فدفعت الرجلين اللذين على جانبيَّ ووثبت وثبتين الاولى الى حيث كان حسامي ملقًى على الارض فالتقطتهُ والثانية الى ظهر جواد ڤيدال وفعلت ذلك بمنتهى السرعة والرشاقة . ثم اقتربت من الفرسان وقلت لرئيسهم بالانكليزية انني استسلم لكم يا سيدي وارجو منكم مساعدتي للخلاص من هؤلاء القتلة . ثم أشرت الى حيث لايزال هيكل ڤيدال المحرَق وقلت اذا كنتم في شك من اعمالهم فها كم شاهداً على على ما يصنعونهُ بكرام الناس الذين يسوقهم نكد الطالع الى المرور بقربهم . فصاح الفرسان صياح الحنق واستلوا سيوفهم متهددين اللصوص واقترب ضابطهم مني فضرب كتفي بيده وقال دافع عن نفسك يا هذا . ولم اكن احتاج الى مثل هذا التحريض بعد ان شعرت بظهر الجواد بين ساقيَّ وحسامي في يدي فرفعتهُ فوق راسي وجعلت أصيح صياح الفرح . أما رئيس اللصوص فاقترب بتبسم من الضابط وقال لهُ لا يغرب عنك يا سيدي الضابط ان هذا الفرنسوي اسيرنا. فقال الضابط هذا كلامٌ لا اسمعهُ فانكم قومٌ اوغاد سفلة وأعدّ من العار على الامة الانكليزية أن تحالف دولة فيها مثلكم . فقال اللص هذا بحثٌ آخر واما الآن فانني اطلب منك اسيري . فقال الضابط كلا بل هو سيعود معنا . ولما سمع اللص ذلك رفع غدارتهُ فأطلقها في وجهي فمرت رصاصتها في قبعتي بجانب شعري فلم أطق صبراً واقتربت منهُ فضربتهُ بسيفي على كتفهِ فكادت الضربة تفصل رأسهُ عن جسدهِ لو لم يكن بعيداً عني قليلاً غير انهُ سقط الى الارض يختبط بدمهِ . ولما رأى رفاقهُ ما كان هجموا علينا

هجمة واحدة فأمرنا الضابط بالهرب وكدت أعصيهِ لو لم أرَ عدم نفع المقاومة بعددنا القليل فاطلقنا لجيادنا الاعنة وكانت رصاصات اللصوص وحرابهم تسوقنا حتى ابتعدنا الى السهل الواسع . ولما تحققنا اننا قد نجونا من شرهم وقفنا للاستراحة وكان بعضنا قد أصيب بجراح خفيفة فأمر الضابط ثلاثة من رجالهِ ان ينفصلوا عنا ويسيروا في جهة أخرى للاستكشاف ثم سار بجانبي وعلى بعد بعض خطوات ورآءنا الجندي الباقي من رجالهِ . وكانت قد تمكنت عرى المحبة بيني و بين الضابط من اول نظرة رأيتهُ كما هو شأن الفرسان الاقوياء الذين يميل بعضهم الى بعض فجعلنا نتحادث وعلمت انهُ من اشراف الانكليز انخرط في الخدمة وانهُ مرسل من قبل الجنرال ولنتون للاستكشاف والاستطلاع على الجيش الفرنسوي وكان يدعى البارون السير رَسِل . وجعلنا نسير في نور القمر فظهر لي من حديثهِ انهُ مثلي يسعى ورآء الشهرة وخدمة الدولة . ثم اتصل حديثنا بالغرام فجعل يريني تذكارات محبتهِ من خصل شعر وخواتم وأريهِ مثلها من شرائط حريرية ومناديل . ثم انتقل الى ذكر الالعاب والمراهنة فوجدتهُ مشغوفاً بالمقامرة فلم يعد يكلمني كلمة الاّ ويقول لي هل تراهن على ذلك . فافهمتهُ ان كيس نقودي لا يزال في أيدي اللصوص فأظهر علامة الضجر وسكت . ولبثنا متابعين السير الى أن بزغ نور النهار فوجدت ان الجندي الذي كان يتبعنا قد سبقناهُ جدًّا بحيث لم نعد نراهُ وبقينا وحدنا . ثم رأيت على بعد نحو ميل امامنا المعسكر الانكليزي فوقفت هنيهةً افكر فيما أصنعهُ وهل من الواجب ان أصل الى ذلك المعسكر . ورأى توقفي فقال ما بالك ايها الصديق . قلت أظنني اكتفيت من مرافقتك فدعني أسير في سبيلي . قالَ وهل نسيت انك اسيري ويجب أن تصل معي الى معسكرنا . قلت لم اكن اسيرك قط ولم أعدك بالذهاب الى معسكرك وهانحن وحدنا هنا فكما تعتبرني اسيرك اعتبرك اسيري ومع ذلك فانا اطلق لك الحرية ان تذهب حيث شئت بشرط ان تطلق لي حريتي . فلم يكن جوابهُ الا ان استل حسامهُ وهجم عليَّ قائلاً لا ادعك تذهب حيًّا . فأخذت حسامي بيدي ضاحكاً وقلت لهُ ان شئت التجربة فلا بأس ولكنني انصح لك ان لا تجرب نفسك مع

بطل كتائب الفرسان الفرنسوية . فلم يعبأ بكلامي بل ضربني ضربةً استقبلتها بقفا سيفي ثم ضربتهُ مداعباً فقطعت الريشة التي على خوذتهِ . فسآءهُ ذلك وهجم عليَّ مصوّباً ضربةً اشدّ فرددتها عني وقطعت لهُ زرَّين من صدرهِ . فادرك انني اداعبهُ كما تداعب المرضع ولدها فكفَّ وقال قد عرفتك يا هذا ولكن لا بد من ذهابك معي الى المعسكر . قلت هذا مستحيل . قال وانا اراهنك انهُ غير مستحيل . وللحال خطر لي فكر الرهان فقلت لهُ تعالَ اذاً وليحكم بيننا الزهر فنتقامر على ان اكون اسيرك او اكون حرًّا . قال حسنٌ جدًا فهل معك زهر قلت لا. قال ولا انا غير ان في جيبي دستة من ورق اللعب فهلمَّ نلعب بالايكرتيه والذي يغلب الثالثة يكون مطلق التصرف . قلت لا افضل من ذلك وكنت قد استبشرت بالفوز عليهِ لانهُ لم يكن في فرنسا من يقدر ان يغلبني في هذه اللعبة

ووجدنا صخراً مسطحاً فربطنا جيادنا الى جانبهِ وجلسنا فابتدأنا في اللعب وأغراهُ شيطان المقامرة فود ان يزيد مئة قطعة ذهبية الى رهاننا . اما انا فلم يعد يهمني شيء من غنى العالم لانني كنت العب وامامي سلامة الكولونيل جيرار وسلامة والدتي وفرقتي والجيش وناي ومسينا والامبراطور وقد تصورتهم جميعاً حولي . فلما انتهى الدور الاول كنت انا الغالب ولا انكر ان البخت ساعدني اما الدور الثاني فكان هو الرابح فيهِ فصاح انني اراهنكَ على جوادي ايضاً قلت وجوادي بازآئهِ . قال وسيفي قلت وسيفي ايضاً . قال وكل ما عليَّ قلت وما عليَّ كذلك . وكان قد نفث في صدري ابليس القمار مثلهُ حتى لقد كنت قامرت على فرقة الهوسار بازآء فرقة فرسانهِ لو كانت الفرقتان تحت تصرفنا

وابتدأنا بالدور الثالث فكنت اود ان اكون على مرأى من جمهور عظيم ليروا كيف كنت العب بمنتهى الدُربة والاحتراس وانا اظهر عدم المبالاة . فربحت في اول وهلة ثلاثة بنوط ورأيتهُ يعضّ شاربيهِ فايقنت انني سأبلغ فرقتي سالماً . وفي الدورة الثانية اخذ بنطين واخذت واحداً فصار هنالك اربعة لاثنين . ولما اخذنا ورق الدورة الثالثة لم اتمالك ان صحت صياح الفرح وقلت في نفسي إن انا لم اربح الآن فلا

استحق الحرية ويجب ان اموت مقيداً بالسلاسل . وكان عليهِ ان يبدأ باللعب فاذا استطعت ان ارمي ورقاً اقوى منهُ تحققت فوزي . ورأيت العرق يتصبب من جبهتهِ ولا انكر ان يدي ايضاً كانت ترتعش . ولم اصدق ان رمى ورقة فكان بيدي اقوى منها ففتحت فمي لاعلن لهُ فوزي ولكنني شعرت بجمود عند ما رأيتهُ اخذ ورقهُ بيد واحدة وقد سقط فكهُ الاسفل وظهرت على وجههِ علامات الرعب الشديد وقد شخصت عيناهُ الى ورآئي . فلتفتُّ واذا ثلاثة فرسان من ضباط الجيش الانكليزي وورآءهم ثلاثة فرسان آخرين من اتباعهم وكان احدهم في الوسط طويل القامة رقيق الجسم ملتفّاً بردآءٍ اسود وعلى رأسهِ ريشة بيضآء وهو شاحب الوجه اقنى الانف وعيونهُ زرقآء وعلى شفتيهِ شبه تبسم مخيف يعلم الناظر اليهِ لاول وهلة انهُ من الرجال الذين ولدوا للقيادة فعرفتهُ للحال انهُ الجنرال ولنتون . وكان محدّقاً ببصرهِ الى رفيقي السير رسل الذي كانت اوراق اللعب تتساقط من يدهِ واحدة واحدة . ثم قال ولنتون لاحد رفيقيهِ ما رأيك في هذا يا كروفورد . وقبل ان يجيبهُ نهض رفيقي وقد حنى رأسهُ فقص حكايتهُ من اولها ولما انتهى قال ولنتون انني اهنئك يا كروفورد على هذا النظام البديع . ثم نظر الى رسل وقال اما انت فاذهب الى المعسكر واجعل نفسك سجيناً الى ان تبلغك اوامري . ولم اطق لرفيقي مثل هذه الاهانة فنهضت وتوسلت الى الجنرال ان يعفو عنهُ واخبرتهُ بما كان وما اظهرهُ رسل من البسالة فلم يكن جوابهُ الا ان نظر الى الجنود بمنتهى البرودة وقال لهم وقد اشار اليَّ احفظوا هذا الاسير وقدموهُ اليَّ في المعسكر . فلما سمعت ذلك كدت افقد رشدي لانني كنت اعتبر نفسي حرًّا وقد اشتريت حريتي من الضابط بلعب الورق فوثبت الى امام الجنرال والورق بيدي وقلت لهُ انظر يا مولاي انني قد راهنت على حريتي وقد ربحت كما ترى . فتبسم وقال كلا بل انا الرابح لانك انت في يدي . واذ ذاك ساقوني الى المعسكر فلبثت اسيراً في ايديهم الى ان تيسرت لي اسباب النجاة مما سأقصهُ عليكم في حديث آخر

شواذّ الخَلْق

المراد بشواذّ الخلق كل ما شذّ عن المألوف في نوعهِ بزيادةٍ او نقص في اعضآئهِ او اختلافٍ في بعض اشكالهِ او تخاذُل في خلقتهِ وهو ان لا يكون بعض اعضآئهِ مناسباً لبعض او غرابةٍ في منظرهِ بأنْ يتجاوز الحدّ في الضخامة او الدمامة الى غير ذلك مما سيُذكَر. ولم نجد في اللغة لفظاً يعبر بهِ عن هذا الضرب من المخلوقات ولعل اقرب ما تسمَّى بهِ الهُوَل بضمّ ففتح جمع هُوْلة بالضم والاسكان وهي كل ما هالك او ما كان كريه المنظر يقال ما هو الا هُولةٌ من الهُوَل . وكلا المعنيين يوافق معنى اللفظ المستعمل لهُ في لغات اوربا[1] فانهُ يراد بهِ كل ما كان مخيفاً او قبيح الشكل تشبيهاً لهُ بالخلائق المذكورة لما فيها من البشاعة الناشئة عن غرابة منظرها ولانها كانت فيما سلف داعية عندهم للخوف اذ كانوا يحتسبونها من الخوارق السماوية المنذرة بضروبٍ من الويل

وقد طالما كان امر هذا الشذوذ شغلاً شاغلاً للحكمآء والطبيعيين فخبط فيهِ علمآء العصور المتوسطة ومن يليهم الى القرن الثامن عشر خبطاً غريباً وركبوا كل مركبٍ من التخرُّصات المحاليّة وادخلوا تحتهُ كل غريبٍ من الخلائق الوهمية كرجلٍ برأس كلب او جسم فيل او غير ذلك مما تصوّرهُ

(١) المراد بهذه اللغات ما كان منها مشاركاً للاتينية كالفرنسوية والانكليزية فان هذا اللفظ فيها monstre او monster ومعناهُ في الاصل اللاتيني الكاشف او المعلن وذلك لما ينذر بهِ من السوء على ما سيذكر

المتخيلة ولهم في تعليل هذه الخلائق ما لا يُحصَى من الاقاويل الخُرافية . وقد كان اليونان والرومان فيما مضى يوجبون قتل كل طفلٍ يولد على غير الخلقة الطبيعية تشاؤماً بهِ وتفادياً من الشرّ الذي ينذر بهِ ولبث ذلك في عامة اوربا الى القرن السابع عشر . غير ان ريُولان احد الاطباء الفرنسويين في ذلك العصر ارتأى ان يُجتزأ عن قتل الأعنش وهو الذي له ست اصابع وصاحب الرأس الفاحش الكبر ومن ينشأ جبّاراً او نُغاشيًّا بأن يُعزَلوا الى موضع منفرد يكونون فيهِ محجوبين عن أبصار الناظرين

واول من تكلم في هذا البحث كلاماً معقولاً هو الدكتور هَلَّر من اهل سويسرا في كتابٍ نشرهُ سنة ١٧٦٨ افاض فيهِ في الكلام على الشذوذ الخَلْقيّ فوصف انواع هذا الشذوذ وصفاً علميًّا وميّز بين الحقائق والاوهام التي كانت شائعةً في ايامهِ ثم تبعهُ فلاسفة اهل التشريح فجزموا بأن الطبيعة تعنو في كل شيءٍ للنواميس المطلقة التي وضعها الخالق فلا تخرج عنها بحال واثبتوا ان كل ما يُعتبَر في ظاهرهِ شذوذاً عن تلك النواميس هو في الحقيقة منطبقٌ عليها وراجعٌ اليها وانما يُعَدّ شذوذاً بالقياس الى المألوف لا سوى

وقد قسم ايزيدُور جُفْرْوآ سَنْتيلار الشذوذ الى اربعة انواع اولها الشذوذ البسيط وهو ما كان في عضوٍ واحد او جهازٍ واحد او حالةٍ واحدة من أحوال التركيب . وهو قد لا يعوق شيئاً من الوظائف الحيوية وحينئذٍ فهو يقوّم صنفاً من اصناف النوع كالعَنَش مثلاً وقد يمنع من تمام بعض الوظائف او يكون سبباً للزمانة وهذا يُعَدّ على الحقيقة من فلتات

الطبيعة كالحَنَف وهو انقلاب القَدَم حتى يصير بطنها ظهراً وكالعاهة المعروفة بالقَدَم السُنبكيّة اي الشبيهة بالسُنبُك وهو طرف الحافر ونحو ذلك . والثاني الشذوذ المركَّب وهو يتناول عدة اعضآء من الجسم في وقت واحد ولكنهُ لا يمنع شيئًا من الوظائف لان شذوذ الجهاز الواحد يُصلِح شذوذ الآخر بحيث انهُ لو انفرد احدهما دون الآخر لم يستقم كيان الشخص وهو لا يكون الا في الاعضآء الباطنة . وأول ما شوهد من هذا ما رآهُ مُورَنْد سنة ١٦٦٠ في رجلٍ من المصابين بالزمانة توفي بسنّ ٧٢ سنة فانهُ لما كشف عن باطن الجثة وُجدت الكبد الى الشمال والطحال الى اليمين ووُجدت الرئتان والقلب والقناة الهضمية وجميع الاوعية والاعصاب المختصّة بتجاويف البنية مقلوبةً كذلك . والثالث الشذوذ المتداخل وهو في الغالب يُرَى من الظاهر ويكون باجتماع اعضآء الجنسين او بعض مميزاتهما في شخصٍ واحد . والرابع الشذوذ بحدّهِ وهو ما يشوّه الاشكال الظاهرة الى ما يخالف شكل بقية النوع وهو على الغالب يؤثّر على وظائف الاعضآء بحيث تتعذر الحياة في خارج جوف الأُمّ الا فيما ندر في احوالٍ مستثناة . وهذا الصنف على ضربين احدهما الشذوذ المفرد وهو ما كان في شخصٍ واحد والثاني الشذوذ المتعدد وهو ما كان فيما فوق الواحد

فالمفرد قد يكون صاحبهُ تامّ الخلق الاّ انهُ يكون متخاذل الاعضآء وقد تنقص بعض اعضآئهِ رأسًا . فمن النوع الاول من تكون اطرافهُ في غاية القصر بحيث تكون اليدان او الرجلان كانهما خارجتان من الجذع توًّا على شكل الفُقمة ولذلك يسمى بالفُقميّ . ومنهم من يكون الدماغ فيهِ

مشوَّهاً غير كامل وقد يكون كلهُ أو بعضهُ موضوعاً في خارج التجويف الجمجميّ اما الى الوراء في جهة القذال او الى الاعلى في قمّة الجمجمة فيكون جدارها الاعلى غير كامل وهؤلاء يموتون على الغالب بعد مولدهم بمدّة دقائق وقد يعيشون بضعة أيام . ومن النوع الثاني من تكون بعض اطرافهم بالحجم الطبيعي ولا سيما العَضُد والفخذ وتكون الذراع والساق اشبه بجذمةٍ وهي بقية العضو المقطوع لا كفّ لها ولا قدم لكن يكون لها اصبع او بعض أصابع ناقصة التكوين . ومنهم من يكون بغير يدين أو بغير رجلين واشهر من ذكر من هؤلاء دُوكُرنَاي المصوّر من أهل القرن الماضي فأنهُ كان بلا يدين فكان يستخدم رجليهِ للقبض على قلم التصوير ولهُ عدّة صور مشهورة لا تزال محفوظة في بعض حواضر اوربا . وقد ورد من اشهر قليلة على هذه العاصمة فتاةٌ حلبية المولد يداها في نهاية القصر بحيث لم يكن لها الاّ قطعةٌ من ذراع بغير عَضُد ولا مرفق ولها اصابع غير كاملة العدد ولا الحجم فكانت تستخدم رجليها في الخياطة والكنس وغسل الثياب وغير ذلك وتتناول بهما آلات الطعام من الملعقة والشوكة وتأكل بهما وتأخذ فنجان القهوة وكاس المآء فتشربهُ كذلك . اما بقية جسمها فكانت ذات بسطةٍ في النسآء ممتلئة الاعضآء جميلة الوجه طلقة اللسان . ومن هؤلآء من تتصل فيهم القائمتان من أعلى الى اسفل فتكونان رجلاً واحدة لكنها مزدوجة الرسم ولها قدمٌ واحدة ذات عشر اصابع وربما كان في موضع الرجلين رجلٌ واحدة في شكل وتد لا قدم لها . واما عيوب الرأس فمنهم من يولد بغير فك وقد ينقص منهُ جانبٌ كبير من

الوجه . ومنهم من يكون الانف فيهم شديد الضمور او لا حجم لهُ والعينـان غير كاملتي التكوين او تكونان مرسومتين رسماً فقط قريبتين احداهما من الاخرى او مختلطتين في مكان الخط المتوسط بينهما فيكون لهما وقبٌ واحد ويكون الدماغ اصغر من المألوف وليس لهُ لفائف متميزة والجمجمة ضامرة متقـاربة الجدارين الجانبيين او متلاصقتهما وهؤلآء يولدون احيآءً ولكن حياةً غير كاملة ويموتون سريعاً . وانواع الشذوذ من هذا الضرب كثيرة وغالبها يعبَّر عنهُ بالالفاظ التشريحية فنقتصر منها على هذا القدر		(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

ولما رأى الوازعون والمشترعون ان كثيراً من الأُسَر تقضي ايامها في البؤس والشقآء على ما مرَّ بنا في الفصل الثالث من هذا الكتاب وذلك اما لتنافرٍ سببهُ بعض الحوادث يتعذر اصلاحهُ وتلافيهِ او لاختـلاف جوهريّ في الطباع والاوضاع . اخذوا يسنُّون شرائع من شأنها ان تجعل حلاًّ لعقدة الزواج في مثل هذه الحالات تذرعًا لانقاذ أولئك المتعبين من شقآئهم ونغصهم الدائمين وأُبيح لكل من الزوجين طلب الفراق الوقتي او الطلاق الباتّ امام المحاكم عند ما تكون لهُ اسبابٌ عادلة

وعلى هذا النمط تحولت الاحوال المعاشية والحيـاة الاجتماعية الى صورةٍ اعادت الى المرأة كثيراً من حقوقها ونقلتها من ربقة العبودية الى

منصّة السيادة والتكرمة فذاقت من رغد العيش.وهنآئهِ ما لم تحلم بهِ سالفاتها في الازمنة الغابرة ولا سيما بعد ان حكم العلم والعقل ان الزواج شركة مفاوضة يُراد بها بقآء النوع والتعاون في جهاد الحياة التماس تخفيف عنآئها واستجلاب هنآئها . فكل زواج لم يتوفر فيهِ هذان الشرطان بأتم مظاهرهما وجب الغآؤه خلافاً للقائلين بأنهُ سرٌّ علويٌّ لا تقوى يد حاكمٍ ارضيٍّ على نقضهِ مهما انتج من العذاب والبؤس والتضاغن وغاية ما يمكن في مثل هذه الحالات الهجر الوقتي مع بقآء الرباط غير ممسوسٍ ولا منفصم

ثم لما غصّت اوربا باهلها لجأ كثيرٌ منهم الى المهاجرة متفرقين في انحآء الارض وانما اختار معظمهم نصف الكرة الغربي (اميركا) للاستيطان لانهُ كثير الخيرات واسع الجنبات قليل السكان حديث العهد بالعمران وكذلك جزيرة اوستراليا التي يحسبها الجغرافيون في عداد القارات بالنظر الى اتساعها العظيم

هذا واذ كانت اميركا قد افتتحها الاسبانيول وكان القسم الشمالي منها يسوسهُ الانكليز اصبحت الولايات المتحدة طبعاً مأهولةً من هذين الجيلين اكثر من سواهما فقامت نهضة العلم والحرية في هذا القسم من الكرة قبل غيرهِ من سائر جهات اميركا الشاسعة الاطراف ومن اوستراليا ايضاً . ولما ثار الاهلون يرأسهم واشنطون العظيم طلباً للاستقلال وأصلوا الانكليز تلك الحرب التي انتهت باعتاق اعناق الاهلين من نير حاكميهم زاد فيهم العلم انتشاراً والحرية بسطةً حتى سبقوا ارقى امم اوربا تمدناً

في تقدمهم الادبي والماديّ معاً واصبح تفوُّقهم على سائر امم البسيطة قضيةً مسلمة بالاجماع

فالمرأة هناك لم تعد تكتفي بالنصيب الذي نالتهُ النسآء في اوربا بل تطرقت بحكم ردّ الفعل الى طلب ما لا تصلح لهُ ولا يليق لها مما هو جدير بالرجل وخاصٌّ بهِ من مثل الاشتغال بالخطط والوظائف والدخول في جميع الصناعات والمهن على اختلاف ضروبها وتقلد السلاح والمبارزة والمناضلة بهِ وركوب الدرَّاجات في الارض والمناطيد في الجوّ والطواف حول الكرة والنيابة عن الامم في ندوات حكوماتها الى غير ذلك مما اتينا على بيانهِ من قبل

ثم سرى منها هذا الروح الى اوربا حتى قيل في تعديل جرى سنة ١٨٩٠ ان في جرمانيا وحدها خمسة ملايين امرأةٍ يتعاطينَ اعمال الرجال وفي بريطانيا وارلندا اربعة ملايين وثلاثة ارباع المليون وفي فرنسا زهآء ثلاثة ملايين وربع مليون وفي ايطاليا ثلاثة ملايين وفي النمسا كذلك . اما في الولايات المتحدة وحدها فاحد عشر مليوناً —

تلك أمانيٌّ ومطالب ستفضي بالمرأة اذا ثابرت على مزاولتها الى حالة امازونيات[1] افريقيا اللواتي يقتلنَ الرجال ويمزقنَ لحومهم بانيابهنَّ ويشربنَ

(١) اسم نسآء مقاتلات مأخوذ من اليونانية ومعنى لفظة امازون ناقصة ثدياً وذلك ان كل واحدة من امازونيات اليونان كان يقطع ثديها الايمن ليكون ذلك اعون لها على استعمال السلاح ثم سمي بهِ الاوزيون المرأة في حالة كونها ممتطية فرساً باللباس الخاص بالركوب ويسمى ذلك اللباس بالامازون ايضاً . يقال ان موطن

دمآءهم بقحوف الجماجم وليس في ما نقول عجبٌ فان هند بنت عتبة القرشية بحثت عن كبد حمزة عم النبيّ (صلعم) بعد قتله في وقعة أُحُد فاستخرجتها من جوفهِ ولاكتها لوكاً قصد اكلها نيئة وكانت تنقر على الدفّ اثنآء الحرب امام الرجال وتتغنى مع اتراب لها من النسآء منشدة تحرض الابطال

ان تُقبِلوا نعانقْ　　ونفرش النمارقْ
اوتُدبِروا نفارقْ　　فراقَ غير وامقْ

فلا بارك الله في المدنية اذا انتهت بالإناث اللواتي هنَّ بهجة الدنيا وركن العمران وفردوس تصورات الانسان الى هذا الحدّ من الخشونة والهمجية اذ يجوز عندها ان يُجزَم بصحة وجود الغول والسعلاة خلافاً لمن ينكرهما في هذه الايام ويعدُّهما في جملة المستحيلات

ولقد امتلأ الربع الاخير من القرن التاسع عشر جلَبةً ولغطاً وهرجاً وتمزَّقت جوانبهُ صراخاً وضجيجاً أُرسِل دويُّهُ من اطراف اميركا الى اكناف اوربا وما ذاك الا خصومات ومشاحنات قائمة على قدَم وساق في صفحات الجرائد والمجلات وفي المنتديات والمحافل وعلى رؤوس المنابر وطي بطون الاسفار والرسائل يثيرها ذلك الجنس اللطيف ـ الذي عهدناهُ بالامس

الامازونيات كان في جوار قوه قاف بآسيا ولهنَّ اخبار مشهورة لامحل لذكرها هنا . وقد أُطلق اسم الامازونيات على جيشٍ من النسآء يتألف منهُ حرس ملك الداهومي بنواحي خط الاستوآء من افريقيا وهو يُعدُّ بالالوف وهنَّ جميعاً عيداتٌ للملك وعند الحرب يدافعنَ عنهُ مستميتاتٍ فيسفكنَ دمآءهنَّ ذوداً عن حوضهِ وصيانةً لذماره ولهذا الجيش النسآئي في ميادين القتال آثار محمودة تقصر عنها فحول الابطال

ضعيفاً مقهوراً مسلوباً اسيراً لا قوة لهُ ولا حراك ولا ضمير ولا ارادة ولا سلطة ولا استقلال ـ ارادة ان يكون بعد ذلك الذل والخمول والجهل والضعة مماثلاً للجبابرة الاقدمين المرويّ عنهم في اساطير الاولين من مثل عوج بن عناق وجليات الفلسطينيين [١] وبئس الارادة هي

ان الفاضل جول سيمون اشهر عقلاء الكتبة الفرنسويين في القرن الغابر هو أول من تنبه للخطإِ الفاضح الذي دبَّت سمومهُ في ادمغة وصدور نساء هذا العصر بثورتهنَّ الجديدة هذه وما يترتب عليها اذا دامت من سقوط العمران وانحطاط نوع الانسان . وقد أنَّب جهلة الرجال الذين يمالئونهنَّ على هذه الافكار السقيمة تحبباً الى بعض الغواني الرُعْن فيملأُون الصحف السيّارة والاسفار والمجلات ،فصولاً ومقالات حشوها براهين سفسطائية يحاولون بها تصحيح مدّعاهنَّ　　　　(ستأتي البقية)

سليم عنحوري

---

(١) هو الجبار الذي قتلهُ داوُد بحجر ومقلاع اثناء حرب شاول ملك الاسرائيليين مع الفلسطينيين . ولقد زعم كثيرون أن اسلافنا كانوا جبابرة وهم اكبر منا جسماً وأطول عمراً وأشد بأساً واكثر علماً واذا طالبتهم بالدليل جاءوك باساطير لا يؤيدها البرهان وينفيها العلم الصحيح المبني على الاستقراء فالمدافن المصرية حفظت لنا اجساداً من البلي مرّ عليها الوف من الاعوام فلما استخرجت رأيناها بحجم اجسادنا بل بعضها أصغر وتواريخ الملوك الاقدمين من اشوريين ومصريين وصينيّين وغيرهم وما أبقت لنا الايام من تماثيلهم لا تدل على كونهم اضخم أجساماً وأطول أعماراً ولا أوسع عقلاً واقتداراً فالعاقل من لا يجزم بصحة شيء ويقطع به حتى يؤيدهُ الحس والعقل فانْ ناقضاه رمى به عرض الحائط

الصحافة في الغرب

شأن الجرائد في أوربا وأميركا شأن سائر الامور الخطيرة فيها فالغربيون يذهبون كل مذهب ويتفننون ما يشاءون في طرق نشر جرائدهم ومجلاتهم كما لا يخفى على اكثرنا . وقد أدركت اميركا ان الصحافة فنٌّ قائمٌ بنفسهِ فانشأت لها منذ بضع سنين مدرسة خاصّة تعلّم فيها علوم اللغة على انواعها والتاريخ والسياسة والفلسفة وهلمَّ جرًّا مما لا مندوحة للصحافيّ عنهُ . ثم زادت على ذلك فرعين آخرين وهما فنّ نشر الاعلانات وفنّ التصوير الهزلي ولهذين الفرعين عندهم أهمية تفوق الوصف . وقد رأينا ان نسوق في هذا الفصل بعض ما بلغ عندهم هذان الفرعان من التفنن العجيب وما كان لهم وراء ذلك من المكاسب الطائلة الى ما لا يتصورهُ وهم وانما ذلك بفضل اقبال القرآء ورواج البضاعة الادبية عندهم خلاف ما هو عندنا على الخط المستقيم

ولا يخفى ان كلا الامرين أثرٌ من آثار الطباعة فانهُ لولا الطباعة لم يكن شيءٌ منهما ولا انتُبه الى ما يقع فيهما من التفننات المختلفة التي نراها ونسمع بها حينًا بعد آخر بل لم يكن فنّ الصحافة من أصلهِ ولا شيءٌ من منافعها الشاملة وحسبنا ان نذكر من ذلك انهُ ما انتشرت الصحافة في الربع الاول من القرن السابع عشر في انكلترا حتى صارت اعمدتها تستخدم للاغراض التجارية المختلفة ولا سيما الاعلانات بحيث انهُ لم يأتِ ختام ذلك القرن حتى اصبحت الاعلانات شغل الصحف الشاغل كما نراها الآن

ولما رأت الحكومة الانكليزية من تكاثر الاعلانات و رواج الصحف بسببها ما لم يكن في الانتظار انتهزت الفرصة لجرّ مغنم لها من جرآئها فضربت ضريبة على الاعلانات وأوجبت على اصحاب الصحف ان يلصقوا على كل نسخة من صحفهم طابعًا بقيمة زهيدة كما تفعل الحكومة العثمانية الآن

اما الضريبة على الاعلانات فكانت في سنة ١٨٣٢ ثلاثة شلنات ونصفًا عن كل اعلان سوآء كان كبيراً أم صغيراً وقد بلغ دخل هذه الضريبة في ذلك العام ٦٤٩ ١٧٠ ليرة استرلينية . وفي سنة ١٨٣٣ حُطّت تلك الضريبة الى شلن ونصف في بريطانيا والى شلن واحد في ارلندا وبعد ٨ سنين أي سنة ١٨٤١ نقص دخل الحكومة من الاعلان فنزل الى ٣٠٠ ١٢٨ ليرة . ولكن لا يخفى على اللبيب ان هذا الدخل مع نقص الضريبة لا يزال يدل على زيادة انتشار الاعلانات حتى انهُ في سنة ١٨٥١ بلغ دخل الضريبة المذكورة ٠٩٤ ١٧٥ ليرة فتكون قد ازدادت الاعلانات الى اكثر من ضعفيها . وفي سنة ١٨٤٣ ألغيت هذه الضريبة بتاتًا وكان الغاؤها بعد الغاء الطوابع على نُسَخ الصحف مما صادف ارتياح الجمهور لانهما كانتا عقبةً في سبيل انتشار الصحافة .

ولا يخفى على القارئ الكريم ان الصحافة لا تستطيع ان تجري في مضمارها الحالي لولا ما تربحهُ من أُجر الاعلانات الوفيرة . فلو طرأ ما أبطل الاعلانات من الصحف لوقفت حركة الصحف حالاً ولا ندرك الآن ماذا يكون من اضطراب احوال العمران اذ ذاك وانسدال الظلمة على الهيئة الاجتماعية

وتُعتبَر صحف الولايات المتحدة وفرنسا وانكلترا اغنى صحف العالم بالاعلانات . وأصحاب المتاجر والاعمال هناك يسخون على اعلاناتهم جدًّا حتى ان بعض الشركات الكبرى تنفق في الاسبوع الواحد نحو الف ليرة استرلينية على الاعلانات لكي تطلع الجمهور على ما عندها من لوازمهم وتذكرهم بهِ . وكثير من الشركات يُعزَى نجاحها الى مواظبتها على اعلان مزاياها للجمهور واستعدادها لسد نوع من حاجاتهم

وقد ارتقى شأن الاعلانات في اميركا ارتقآءً غريبًا حتى انشئت لهُ مدارس هناك يتلقن فيها الطلبة قواعد فن الاعلان ويتمرنون على التفنن في كتابة الاعلانات ورسمها وتلوينها وطرق اذاعتها . ثم انشئ مثل هذه المدارس في انكلترا اخيراً . وقد نبغ بعض خرّيجي هذه المدارس ونالوا شهرة واسعة فى فنهم واستخدمتهم بعض الشركات والصحف . واستُخدِم اشهرهم وانبغهم في شركة الملاحة الاتلنتيكية العظمى واستُخدِم آخر في احدى جرائد لندن الشهيرة ، وعمل كل منهما ان يستنبط طرقًا مختلفة لصوغ الاعلانات ورسمها ونشرها بحيث تكون جذّابة لاعين القرّآء والناظرين

وقد تعود الافرنج ولا سيما الاميركان ان يختلقوا من العرض جوهراً ويستنبطوا من الخسيس نفيساً . فما استقلت صناعة الاعلان هذه بنفسها وصار لها عمال خصوصيون برواتب كبيرة حتى انتبه بعضهم الى اكثر من ذلك فأنشأوا وكالات خصوصية للمعاملة في الاعلانات بالوساطة بين المعلنين والصحف . فالمحلات التجارية الصغرى التي لا تقدر ان تستخدم

علمآء الاعلان تكلف احدى تلك الوكالات ان تصوغ اعلاناتها وتنشرها في الجرائد المشهورة التي يؤثرها المعلن فجآءت هذه الوكالات وتلك المدارس ممهدة لجميع سبل الاعلانات وأتت عاملاً آخر جديداً لتوفيرها وتقوية الصحافة بسببها

ولم يقف امر ارتقآء الاعلانات عند حد انشآء المدارس الخصوصية والوكالات المروّجة لها بل أُنشئت لها صحافة خاصة بها واشتهر من صحفها الاسبوعية في لندن ثلاث ومن مجلاتها الشهرية خمس . وقد رأينا حديثاً في مصر جريدة طليانية لهذا الغرض ايضًا وهذه الجرائد مع اختصاصها بالاعلانات فانها تنشر اخباراً ومقالات مفيدة كسائر الجرائد ولكنها توزَّع مجانًا أو بأثمان طفيفة جدًّا وربحها من أجور اعلاناتها فقط

ولتهافت ارباب الاعمال على نشر الاعلانات فى الجرائد اضطُرّت بعض الحكومات ومنها الحكومة الانكليزية الى سنّ قوانين بشأن الاعلان فى بعض الاحوال . فتألفت لجنة تشريعية في لندن لتقرير الاساليب الجائزة لنشر الاعلانات ومنع الاساليب المغرّرة التي ينخدع بها بسطآء الناس . ومن اعمالها انها عينت جرائد خصوصية لنشر الاعلانات الرسمية عن بعض الاجرآءات التجارية المهمّة كحجز الاموال والافلاس ونحو ذلك مما يتعلق بالقضآء المدني وذلك لكي تعتبر هذه الاعلانات أدلة رسمية في المحاكمات ولكن اذا أُعلن في غير الجريدة المخصصة للاعلانات الرسمية بعض الامور كحلّ شركة تجارية أو نحو ذلك وجب ان يُبرهَن على صحة الاعلان والاَّ عُدَّ لغواً

وفي فرنسا ونظن انهُ في غيرها من الممالك الاوربية أيضاً يُحظَر على الطبيب ان يعلن في الجرائد محل مستوصَفهِ ونوع طبهِ أو غير ذلك مما يتعلق بصناعتهِ لان الحكومة تبتغي ان تكون مهارة الطبيب وحذاقتهُ الحقيقيتان سبب شهرة اسمهِ على السنة الناس وحسبهُ تحدث الناس بذلك اعلاناً عنهُ . والغرض من ذلك تلافي انخداع العامة بطنطنة الاطباء غير الماهرين بمهارتهم الكاذبة

وليس في وسعنا أن نُلمع الى كل القوانين التي سُنَّت بشأن الاعلانات ونشرها في الجرائد وانما ذكرناهُ نموذجاً ودليلاً على تنبه حكومات أُوربا لكل ما يجدُّ من فنون المدنية الحاضرة لكي تقيدهُ بقوانين تمنع التلاعب والغش

اما الطرق التي تُتخَذ لنشر الاعلانات فلا تقع تحت حصر وكل يوم يبدو منها انواع جديدة وفي هذه البلاد انواع عديدة منها نصادفها كل يوم فلا حاجة الى الالماع اليها . ومن غرائب الاعلانات في اميركا ارسال الحروف في الجوّ بواسطة النور الكهربائي بطريقة الفانوس السحري فانك اذا سرت في الشوارع ليلاً ترى في صفحة الجو حيناً بعد آخر كتابةً ضوئية عن اهم الاخبار البرقية وفي خلالها تظهر اعلانات من المحلات التجارية والشركات والفنادق والملاهي الى غير ذلك . وفي النهار ترى الطيارات فوق السطوح وقد كُتبت على ذيولها اعلانات المحلات التي تحتها . وأحياناً ترى قفصاً من الخشب تجرُّهُ الخيل على عجلات أو تسير بهِ الكهربائية في الشوارع وعلى جدرانهِ الاعلانات أو ترى موكباً من

اشخاص بازياء غريبة هي اعلانات

ومن ظريف ما قرأناهُ عن طرق الاعلانات ان احد مخازن الملابس النسائية الكبرى في باريس يرسل كل مدة بعد اخرى فتيات من قبلهِ الى جهات مختلفة مكتسيات أثمن الحلل وأحدثها زيًّا فينزلنَ في أفخر الفنادق ويدخلنَ اكبر المجتمعات العمومية ويحضرنَ في أعظم الملاهي ويحاضرنَ السيدات النبيلات المتأنقات يفعلنَ كل ذلك لكي يشهرنَ المخزن الذي هنَّ مرسلات من قِبَلهِ

هذا ما وصل اليهِ شأن الاعلانات في الآونة الحاضرة في البلاد المتمدنة بسطناهُ دليلاً على ما اقتضاهُ العمران الحديث من الاستنباطات التي لم تلح في خاطر الغابرين ومن نشوء العظائم من صغائر الامور وسنعود الى الكلام على الصور الهزلية في مقام آخر ان شاء الله

سليم عبد الاحد

الماء ووظائف الهضم

قرأنا في احدى المجلات الفرنسوية فصلاً لبعض الاطباء يحدد فيهِ مقدار الماء الذي ينبغي شربهُ وبيان اوقاتهِ فرأينا ان نعربهُ لما فيهِ من عموم الفائدة قال

وضع بعضهم منذ سنواتٍ قانونًا خاصًّا يجرَى عليهِ في معالجة بعض الاعراض الناشئة عن تمدد المعدة وهو القانون المعروف بالقانون الجاف لانهُ مبنيٌّ على تقليل مقدار الماء الداخل الى المعدة . وقد كان لهذا القانون

منافع لا تُنكَر اذ قلّت باستعماله الاضطرابات المَعَديّة لما أن الاطعمة اذا قلّت سوائلها كانت اسهل هضماً والمعدة اذا لم تُكسَح بافراط الماء فيها كانت وظيفتها اتمّ وافرزت المقدار الطبيعي من سوائلها الخاصّة. غير ان بعضهم قد توسع في هذا القانون لِما رأى من حسن نتائجه فوصفهُ في بعض الامراض التي لا حاجة معها اليهِ فافضت قلة السوائل في اصحاب تلك الامراض الى اضطراباتٍ مزعجة لقلة افراز البول واحتباس الفضلات الموكَّل بحملها الى الخارج. ولا يخفى ان الاعتدال في كل الامور اولى وهو ما يظهر انهم غفلوا عنهُ في بعض الاحوال

وبناءً على ذلك فلا بدّ ان نعتمد في الامر قانوناً عاماً يصلح الجري عليهِ في غير الحال المذكورة. وذلك ان ما يحتاج اليهِ الجسم من الماء لا ينبغي ان يكون معدّلهُ اقلّ من لترين وهذا المقدار من الماء المشروب والماء الذي يشتمل عليهِ الطعام معاً بحيث انهُ اذا كان اقلّ من ذلك ساء افراز المواد الازوتية. ولذلك اذا لم يكن هناك قانون خاص يجب ان يكون الشرب بمقدارٍ كافٍ لكن لا بد ان يكون في الاوقات الموافقة وعلى ترتيبٍ لا يخلّ بالوظائف الهضمية. وافضل ما يُعتمد عليهِ في ذلك ان يُشرَب على الغذاء باعتدال ولا يُتجاوَز فيهِ مقدار اللزوم واما بين الوجبتين من الطعام فلا يجوز الشرب الا بعد تمام الهضم. وبهذا لا تزداد كمية الطعام في المعدة وبالتالي لا يحدث فيها تمددٌ ويمكن ان يَتِمّ جهاز البول عملهُ على ماينبغي ويفرز البول افرازاً كاملاً. وما ذكرناهُ هنا هو المصطلح عليهِ في اماكن المياه المعدنية حيث يُسقى المتعالج ثلاث او اربع اكؤُس من الماء او اكثر من ذلك على

الريق بل هو مما اصطُلح غير المياه المعدنية ايضاً اي التي لا قوة فيها على ادرار البول فوُجد لهُ في الحالين فوائد عظيمة . ويُذكَر عن اهل الشرق انهم يشربون في حين الاكل شيئاً قليلاً ولكن بعد ان يتم الهضم يشربون مقادير كبيرة ويؤثرون الحار منها على البارد ولا ريب انهم في ذلك على صواب

وقد اختبر بعض الاطباء مقدار مفرَز البول الصادر عن الماء المشروب على الخوَى وفي حين تناول الغذاء فاختار لذلك شخصاً سليم البنية وحرر ما يشربهُ في الحالين ثم مقدار ما يفرزهُ من البول بعد كلٍّ منهما فكان ما ظهر لهُ مثبتاً لما تقدم . وذلك انهُ شرب عند منتصف الساعة التاسعة صباحاً ٧٥٠ سنتيمتراً مكعباً من الماء فكان مقدار البول بعدها ٩٠٠ سنتيمتر . وشرب على طعام الظهر ١٤٠٠ سنتيمتر مكعب فلما بلغ منتصف الساعة الثالثة لم يكن مقدار البول الا ١٢٥٠ سنتيمتراً اي اقلّ مما شربهُ . وفي منتصف الساعة الثالثة شرب ٧٥٠ سنتيمتراً فلما كانت الساعة الخامسة كان مقدار البول ١٠٥٠ سنتيمتراً . وشرب في الساعة الخامسة ٧٥٠ سنتيمتراً ايضاً فكان مقدار البول عند الساعة السابعة ٨٩٠ سنتيمتراً . وفي الساعة السابعة تناول عشاءهُ فشرب عليهِ ٧٥٠ سنتيمتراً فلما كانت الساعة التاسعة لم يزد مقدار البول على ١٥٠ سنتيمتراً

فيترتب على هذه المقادير المدققة والتي يجدها كل احد من نفسهِ كل يوم انهُ يحسن ان يؤخذ عند النهوض من النوم كأسٌ او كأسان من الماء ومثل ذلك في خلال النهار وعند المساء اي في أوقات خلوّ المعدة وبهذا يتم فعل الكليتين بدون ان يحدث اضطراب في وظيفة المعدة . ولا حاجة

الى اشتراط ان يكون المآء صحيحاً أو ان يكون الشراب من غير الاشربة الروحية وأما على الطعام فلا يزاد المقدار على كأسين او ثلاث تؤخذ على جُرَعٍ متقطعة . انتهى

المدرسة الوطنية في حيفا

نشرنا في مجلد السنة السابقة (صفحة ١٤٤ وما يليها) رسالةً لمكاتبنا في مدينة حيفا اشار فيها الى النهضة الشريفة التي نشطت لها طائفة الروم الكاثوليك في المدينة المذكورة على أثر مارأت من استبداد اصحاب المدارس الاجنبية واعتدآئهم على حقوق الوطنيين فانشأت لنفسها مدرسةً خاصة تجمع شتات ابنآئها وتضمهم بروابط الوطنية الصحيحة . وقد جآءنا في هذه الاثنآء ان المدرسة المشار اليها قد ازدادت في هذه السنة نجاحاً واتساعاً بمعاضدة سيادة اسقف الناحية المطران غريغوريوس الحجّار الذي اشتهر بين رعاة هذه الطائفة بسعة علمهِ وعلوّ همتهِ وصدق غيرتهِ فانهُ جعلها تحت رعايتهِ وتدبيرهِ وارصد لها من امواله الخاصة ما يضمن ثباتها ويبلغ بها اقصى غايات النجاح

فنحن نهنئ هذه الفئة الكريمة من مواطنينا الاعزآء بما ادركتهُ من الفوز المجيد ونتوقع ان تكون قدوةً لغيرها في سائر البلدان التي يخفق فوقها العَلَم العثماني ونثني على اريحية سيادة الاسقف المشار اليهِ آملين ان هذه المدرسة مع عنايتهِ وسداد تدبيرهِ لا تلبث ان تصبح المرجع الوحيد الذي يؤمّهُ ابنآء الوطن في تلك الناحية فينشأُون فيهِ على قواعد التربية الصحيحة

ويخرجون منهُ رجالاً تتوثق بهم الجامعة العثمانية ويخدمون الوطن والدولة باخلاصٍ لا يشوبهُ ريآء والله وليّ التوفيق

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية — ارجو الجواب على الاسئلة الآتية

(١) جآء في توصية سيدنا عمر بن الخطاب لعامله على البصرة ما نصُّهُ « واياك ان تسقط سقطةً لا شَوَى لها وتعثر عثرةً لا لَعا لها » فما معنى قولهِ « لا شَوَى لها » وهل للفظ « شَوَى » بالمعنى الذي يناسب هذا المقام مرادف في اللغة العربية

(٢) اشكل عليَّ بيت البحتري الشهير

مُنَى النفس في اسمآء لو يستطيعها   بها وجدها من غادةٍ وولوعها

وهو مطلع اول قصيدة في ديوانهِ المطبوع بمطبعة الجوائب بالاستانة واكبر ظني ان يكون البيت محرَّفاً تحريفاً مطبعياً فما قولكم فيهِ

(٣) ما هو أصحّ ضبطٍ لاسم الفيلسوف الشهير بزرجمهر

ابراهيم بسيم
كاتب بمشيخة علمآء الاسكندرية

الجواب — اما قول الامام عمر « سقطةً لا شَوَى لها » فمعناهُ انها لا سلامة منها من قولهم رماهُ فأشواهُ اذا اصاب شَوَاهُ اي أحد اطرافهِ ولم يُصِب مقتلهُ والاسم من ذلك الشَوَى ايضاً ومنهُ قول الهذليّ

فان من القول التي لا شَوَى لها   اذا زلّ عن ظهر اللسان انفلاتُها

قال في لسان العرب يقول ان من القول كلمةً لا تُشوي ولكن تقتل . وقريبٌ من الشوَى الشَرْم مصدر شَرَمهُ اذا مزق الجلد ولم يُصِب المقتل يقال رمى فلان الصيد فاحتَقَّ بعضاً وشرَّم بعضاً اي قتل بعضها وأفلت بعضٌ جريحاً ومن هذا قول عمرٍو ذي الكلب * فقلتُ خذها لا شوَى ولا شَرَم * الضمير من خذها للضربة قال في اللسان واراد ولا شَرْم اي بالاسكان فحرَّك للضرورة اه . قلنا والذي عندنا ان الشَرَم مصدر شَرِم بالكسر وهو مطاوع شَرَم بالفتح على حدّ قولهم ثَلِمَ الاناآء وثَلَمتُهُ انا وتَعِس فلان وتَعَسهُ الله ونحو ذلك

وأما بيت البحتري فالاظهر انهُ لا تحريف فيهِ والضمير المرفوع في يستطيعها للعاشق اضمر لهُ من غير ذكر وهو كثير في كلامهم . والشطر الثاني كلامٌ مستأنف والضمير من بها لاسماَء ومن وجدها وولوعها للنفس . وقولهُ من غادةٍ تمييز جرَّهُ بمن على حدّ قول الآخر

الا يا سَنَى برقٍ على قُلَل الحمى ‎ ‎ لَهِنَّكَ من برقٍ عليَّ كريمُ

على ان البيت على كل حال لا يخلو من تكلف

وأما ضبط اسم الفيلسوف فهو على ما ذكرهُ لنا أحد الثقات من العارفين باللسان الفارسي بُزُرْجُمْهُر بضمّاتٍ اربع وسكون الرآء والميم

بقية الاسئلة والآثار الادبية في الجزء الآتي ان شآء الله

فكاهات

الكولونيل جيرار[١]

— ١١ —

اشتهر مورات بين فرسان فرنسا ولكنهُ كان لا يستطيع الثبات على سرج جوادهِ واشتهر مثلهُ لاسال ولكنهُ أضاع شهرتهُ بين اللهو والكأس اما انا اتيان جيرار فكنت في سرج جوادي كقطعةٍ من الفولاذ مغروزة فيهِ وكنت لا أميل الى الشرب الا بعد موقعة أو عند لقيا رفيق قديم . وكانت هذه الصفات ولا شك تؤهلني لان اكون أعظم فارس في جيش الامبراطور وكنت اكون رقيت أعلى درجات الفخر لو ساعدني الحظ بأن ارافق الامبراطور في معاركهِ الاولى فان جميع كبار القواد ما خلا افراداً منهم حصلوا على الترقي قبل الفتح المصري ومع ذلك فقد نلت بهمتي قيادة فرقتي وحصلت على وسام الشرف الخاص الذي سلمهُ اليَّ الامبراطور نفسهُ والذي احفظهُ في الحقيبة الجلدية . ومع انني لم أرقَ درجات أعلى فلا يوجد من لا يعرف من هو جيرار من جميع الذين خدموا في الجيش معي حتى نفس الانكليز وخصوصاً الذين أسروني في اسبانيا كما اخبرتكم سابقاً . فانهم كانوا لا يجهلون مقدرتي فارسلوني الى اوبورتو حيث أقاموا حولي نطاقاً من الحرس يتعذر على اي اسير بشري ان ينجو منهُ . وفي العاشر من شهر أوغسطس اخذوني في مركب نقل الى انكلترا وقبل نهاية الشهر أوصلوني الى تلك البلاد وزجوني في السجن الذي بنوهُ لنا في دارتمور والذي كنا نسميهِ الفندق الفرنسوي لانهُ لم يضم الا أبطالاً رفضوا تسليم سلاحهم واداآء قَسَم التسليم وا كثرهم من رجال البحرية .

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولعلكم تتعجبون من عدم اعطآئي ذلك القسم والتمتع بالحرية التي تمتع بها غيري من الاسرى غير انهُ كان لذلك سببان اولهما انني كنت واثقاً بمقدرتي فأملت ان افوز بالنجاة والثاني ان اسرتي مع كونها عريقة في النسب لم تكن غنية فلم اشأ ان اكون ثقلاً على والدتي . وفضلاً عن ذلك فانهُ كان يعزُّ عليَّ ان ارى جمال شبابي ضائعاً بين جمعيات فلاحي بريطانيا وان أُحرَم محبة ومغازلة السيدات اللواتي كنت اجذبهنَّ الى حبي ولذلك فضلت ان ادفن نفسي موقتاً في سجن دارتمور وسأخبركم كيف خلصت منهُ

اما السجن فيمكن كتابة مجلدات في وصفهِ وليس ذلك من غرضي الآن . وكان مبنيًّا في وسط بقعة قفرة وفيهِ ما بين سبعة وثمانية آلاف جندي يحرسونهُ بأتم السلاح وكان لهُ سوران وخندق وحولهُ الخفرآء والجنود. ومع ذلك فلم يمنع انتباههم هرب بعض جنودنا افراداً وازواجاً وكنا نسمع اطلاق المدفع المؤذن بذلك فنضحك في غرفنا ونصيح باعلى اصواتنا ليحيَ الامبراطور حتى يسمع رفاقنا على الشاطئ الفرنسوي . وكنت من حين وطئت قدمي ارض ذلك السجن قد بدأت ادبر طريقة للخروج منهُ ولم يكن ذلك بعظيم على مهارة بطل قضى اثنتي عشرة سنة في الحروب ومقارعة الاهوال . وكانوا قد جعلونا نحن الضباط في جناح منفرد ووضعونا اثنين اثنين في كل غرفة فلم يسرُّني ذلك لانهُ يخالف ذوقي وكان رفيقي في غرفتي ضابطاً طويل القامة يسمى بومون وهو من رجال المدفعية اسرهُ الانكليز في استورغا وكان جامداً ساكتاً . ولما كنت لا أقابل رجلاً الا اصيرهُ صديقي بصفا كهتي ولطف حديثي حسبما تعرفون فقد جربت جهدي مع هذا الرفيق ولكنهُ لم يتبسم قط ولم يجب بكلمة واحدة بل كان يجلس وقد حدَّق بنظرهِ اليَّ حتى ظننت ان الاسر قد أفقدهُ رشادهُ ووددت لو كان معي بدلاً منهُ احد رجال فرقتي لاخلص من سكوت هذه الجثة المتحركة. ولما لم يكن في اليد حيلة جعلت اتكلم امامهُ عن وسائط النجاة وذاكرتهُ غير مرةٍ في هذا المعنى حتى ظهر لي اخيراً انهُ ابتدأ يشعر نظيري ويهتم بهذا الامر . ثم شرعت في فحص الجدران وارض الغرفة وسقفها فوجدتها في غاية

الثخانة والمتانة وكان الباب من مصراعين حديديين وقد فتحت فيهِ كوَّة صغيرة مشبكة بالحديد يمر امامها الحارس مرتين كل ليلة و ينظر منها الى الداخل . اما ما في الغرفة من الاثاث فهو كرسيان وسريران وطستان للغسل فقط فلم اهتم لهذه الفاقة بعد ان قضيت اياماً في الحروب بلا فراش ولا غطاء . وظهر لي لاول وهلة ان الفرار مستحيل ولا سيما بعد ان قضيت الليلة تلو الاخرى مفكراً بدون جذوى . وقد خيل لي ان فرقتي كلها بانتظاري وان جيادهم في حالة مزرية بدون القائد جيرار الذي كان يهتمّ بها و يلاطفها فيطير رشدي وأقول لا بدَّ من الفرار وان صاحب الذكاء لا يعدم من واسطة تسهل لديهِ الصعاب

وكان لغرفتنا نافذة واحدة ضيقة لا يكاد يمرّ منها طفل وفي وسطها قضيب حديدي غليظ فظهر لي ان لا أمل لنا الا في تلك النافذة اذا صممنا على الفرار غير أنا لسوء الحظ رأينا بعد البحث انها تفضي الى الدار الخارجية التي تمرن فيها الجنود . ولكنني لم ايأس بل اخذت قطعة حديدية من سريري وجعلت اعالج بها الحائط المغروز فيهِ القضيب الحديدي فقضيت ثلاث ساعات في العمل ثم سمعت وقع أقدام الحارس فاسرعت الى سريري ونمت الى ان أتم دورتهُ فعدت الى العمل ثلاث ساعات أخرى . وهكذا لبثت مواظباً على ذلك غير متكل على رفيقي بومون لانني وجدتهُ كسلاً بطيء الحركة وكنت أتصور أن رجال الهوسار بطبولهم وأبواقهم ينتظرون ظهوري فيعيرني ذلك قوة جديدة فاعمل بجنون حتى تدمى اصابعي . ولم أزل كذلك عدة ليالٍ وأنا اخفي ما انزعهُ من الحائط ضمن مخدتي حتى شعرت اخيراً ان القضيب الحديدي يتخلخل في مكانهِ فجمعت قواي وجذبتهُ بعنفٍ فخرج من الحائط . وهكذا خطوت اول خطوةٍ الى الحرية لانني للحال اعتبرت القضيب المذكور كمخل أتمكن بهِ من نزع حجر آخر لتوسيع النافذة وكسلاح ادافع بهِ عن نفسي اذا فاجأني طارئ . وفي نهاية ثلاثة اسابيع تمكنت من نزع الحجر واصبحت النافذة كافية لمروري ولا حاجة ان اصف لكم ما أخذني اذ ذاك من السرور استبشاراً بالفوز . ولا تعجبوا من عدم ملاحظة الحرس ذلك لانني كنت في

النهار اردّ كل شيء الى مكانهِ فيعود كانهُ لم يكن • وكان موعد القمر ان يغيب بعد ثلاث ليالٍ فيساعدنا الظلام على مفارقة ذلك السجن المخيف فجعلت افكر في كيف يجب ان نسير متى خرجنا من الغرفة لانني خفت ان يشعر بي احد فأعود ثانيةً الى السجن ويزجوني في مطابق تحت الارض يوضع فيها من يحاول الفرار . وكان السور الاول الذي يجب ان نتسلقهُ من الآجرّ علوهُ اثنتي عشرة قدماً وفي اعلاهُ قضبان حديدية متلاززة • وكان السور الخارجي نظيرهُ وبينهما فسحة تزيد عن عشرين قدماً • وتحققت عدم وجود الخفرآء الا عند الابواب ووجود حلقة من العساكر حول السور الخارجي . هذه كانت حالتي ايها الاصدقآء وليس لي ما يسهلها لديَّ سوى هذا الرأس وهاتين اليدين • وكنت معتمداً على طول قامة رفيقي بومون فخطر لي ان أقف على اكتافهِ فأصل الى أعلى السور ثم آخذ بيدهِ فأجذبهُ اليَّ لان معتقدي ان لا أترك رفيقاً لي في خطر ولو تسهلت لي اسباب النجاة فاني أفضل ان اعود الى الاسر ثانيةً وأنا معــهُ من ان أنطلق وحدي وأغادرهُ • اما بومون فلم تظهر عليهِ علامات الاهتمام مما جعلني أعتقد انهُ واثق بقوتهِ • وكنت قد راقبت اطوار الحراس فوجدت ان بعضاً منهم يقفون في حراستهم بأتمّ الانتباه حتى لا يمرّ جرذ على بعد منهم الا يعرفون بهِ وآخرين ينزوون الى جانب الحائط فينامون مسندين رؤوسهم الى بنادقهم كانهم على اسرتهم • وكان بين هؤلاء واحدٌ راقبتهُ مراراً فوجدتهُ ينام كل مدة حراستهِ وكنت أرميهِ بعض الاحيان بقطع من الحجر أو التراب فلم يكن ينتبه قط ولمزيد الحظ والتوفيق وجدت ان ستكون نوبة حراسة هذا الاخير في الليلة التي عينتها لهربنا . فلما جآء اليوم المعين كان شديداً عليَّ لاني لم أستطع ضبط نفسي من الفرح فكنت أطوف في غرفة سجني قلقاً لا أستقر في مكانٍ حتى خشيت ان يلاحظ سجاني ذلك . أما رفيقي فكان كعادتهِ صامتاً ينظر اليّ تارةً وطوراً الى الارض فاقتربت منهُ وقلت لهُ تشجع يا هذا فانك سترى فرقتك قبل نهاية شهر من الآن . قال حسن ولكن في أي طريق تذهب متى خرجت من هنا • قلت اذهب الى الشاطئ بدون تردد وألتمس هناك

زورقاً يوصلني الى فرنسا • قال أراهُ يوصلك الى مطابق سجن بورتسموث • فلم تعجبني ملاحظتهُ وقلت لهُ على الجندي أن يبذل جهدهُ ويرجو الخير اما السوء فلا يبشّر بهِ الا الجبان . فصُبغت وجنتاهُ بلون أحمر وكانت هذه المرة الاولى التي بانت عليهِ فيها علامات الشعور . أما انا فاحتقرتهُ وقلت لعلي اضرّ فرقتهُ اذا سعيت باعادتهِ اليها

ولم ارَ في حياتي اطول من ذلك النهار حتى اذا انقضى وهجمت جيوش الظلام هبت زوبعة هائلة وريح شديدة فنظرت من النافذة واذا بظلام حالك لا يظهر فيهِ سوى السواد المدلهمّ . وكان الريح والمطر يمنعاني من سماع وقع اقدام الحرس فما صدّقت ان مرَّ بنا السجان كعادتهِ حتى عمدت الى النافذة فنزعت الحجر والقضيب الحديدي واشرت الى رفيقي ان يخرج فابى قائلاً انهُ يفضل ان يخرج بعدي . ولما كان الوقت لا يسمح لنا باضاعتهِ في المجاملات جذبت نفسي الى النافذة وابتدأت اخرج منها كما تخرج الحية من جحرها فما خرج نصفي حتى شعرت برفيقي قابضاً على ساقيَّ من ورآء بيد من حديد وجعل ينادي باعلى صوتهِ المعونة ! المعونة ! اليَّ ! اليَّ ! ان سجيناً يحاول الفرار

وكيف اصف لكم ما شعرت بهِ حينئذٍ وقد علمت ان ذلك الخائن انما فعل ذلك راجياً ان يعفو عنهُ الانكليز لانهُ ارشدهم الى فراري فيذهب الى مكانهِ آمناً وقد اشترى حريتهُ بدمي . وكنت من اول وهلة لم تعجبني هيئتهُ غير انني لم اظنهُ في هذه الدرجة من الخيانة والدناءة لان الانسان الذي قضى حياتهُ مثلي بين علية القوم واشراف الناس لا يمكنهُ ان يظن السوء باحد . اما هو فلم يعلم انهُ جلب على نفسهِ خطراً اشد مما يستطيع ان يتصور لانني انسللت راجعاً من النافذة وباسرع من لمح البصر قبضت على عنقهِ باليد الواحدة وضربتهُ بالاخرى بالقضيب الحديدي على رأسهِ ضربتين فقط . فلما سقطت عليهِ الضربة الاولى خرج من فيهِ صوت اشبه بصوت الكلب الصغير اذا دست على مخالبهِ وعند الثانية سقط الى الارض بأنّةٍ عميقة . اما انا فجلست على سريري منتظراً ما يكون ورآء ذلك فمرت الدقيقة

الاولى والثانية والثالثة ولم اسمع شيئاً سوى غطيط ذلك اللعين المطروح على الارض وعلمت ان العاصفة منعت من وصول صياحهِ ولم ينتبه احد الى ما جرى . فارتاحت نفسي ومسحت العرق البارد الذي كان يكلل جبهتي وجعلت افكر في ما يجب ان افعلهُ حينئذٍ وتراءَى لي ان اول وأهمّ عمل ينبغي ان اقوم بهِ هو الاجهاز على ذلك الخائن مخافة ان يعود الى رشادهِ قبل ان ابتعد وينبههم الى ادراكي . ولما كنت لا استطيع ان اوقد نوراً جثوت على ركبتيَّ وجعلت اتلمس حتى عثرت على رأسهِ فرفعت القضيب الحديدي وجمعت قوتي لاجهز عليهِ بضربةٍ واحدة ولكن . . . شعرت باحساس غريب استوقفني لانني وان اكن قد قتلت كثيرين في المعارك الحربية لم يطاوعني قلبي على قتل هذا اللئيم وهو بين يديَّ لا يبدي حراكاً ولا يدافع عن نفسهِ . فاخذت ملاءَة سريرهِ ومزقت قطعةً منها ووضعتها في فيهِ لامنعهُ عن الكلام ثم شددتهُ بالباقي لامنعهُ من الحركة وتحققت اذ ذاك انهُ لن يؤذيني بعدُ حين يأتي الحرس في الدورة الثانية . وكنتُ كما اسلفت معتمداً على طولهِ في تسلق السور اما الآن فلم يبقَ اعتمادي الا على نفسي فاخذت ملاءَة سريري وصنعت منها حبلاً ربطت طرفهُ الواحد في منتصف القضيب الحديدي وانسللت من النافذة الى الدار الخارجية بتمام الاحتراس والسكون . ولما بلغت السور رميت بالقضيب الحديدي الى اعلاهُ فعلق من المرة الاولى بالقضبان المغروزة فيهِ فسررت جدًّا وتسلقت بمعونة الحبل الى اعلى السور ثم جذبتهُ اليَّ ودليتهُ الى الجانب الآخر وهممت بالنزول فلمع امامي شيءٌ عرفتهُ للحال انهُ حربة بندقية الخفير . فارتعشت لحظةً وحدَّثتني نفسي ان اضربهُ على رأسهِ واميتهُ قبل ان يعلم بي ولكنني ما عتمت ان سمعتهُ يلعن الوحدة والبرد ثم رفع بندقيتهُ على كتفهِ وسار الى حدود حراستهِ . فاغتنمت تلك الفرصة وتدليت الى الارض ثم اسرعت الى السور الآخر ففعلت كذلك وما ادركت رجلايَ خارج السور حتى جعلت اجري في ذلك القفر كالنعام الجافل تارةً اسقط في الحفر وطوراً اقع بين الشوك والعلّيق حتى تمزقت ثيابي وسال الدم من يديَّ ووجهي . ولما كان اكثر الفارّين يتوجهون توًّا الى الشاطئ فيتبعونهم ويلقون عليهم القبض

وكنت قد قلت لرفيقي اننا نتوجه الى الشاطئ رأيت من الحكمة اذ ذاك ان اغير الخطة فجعلت وجهتي شمالاً الى الداخلية . ولما تلاشت قواي من شدة الجري رأيت امامي نورين صغيرين متقاربين عرفت انهما مصباحا عربة واقفة في الطريق العمومية . فوقفت لا ادري ماذا افعل وقد خشيت ان ينمّ ثوبي العسكري عليّ فانبطحت على الارض وجعلت ازحف حتى اقتربت من المركبة فوجدت ان احدى عجلاتها مكسورة والسائق فتىً واقف بجانب الجياد وفي المركبة فتاةٌ لم أرَ اجمل منها . ثم سمعتها تقول للسائق بصوت حزين ما العمل يا هذا واني لاخشى ان يكون السير شارلس قد تاه في الظلام فهل نصرف ليلتنا هنا . فلم اتمالك ان انتصبت للحال امامها وقلت هل يمكنني ان اخدمكِ بشيء يا مولاتي وكان جمالها الرائع وما علمت من تضايقها قد انسياني ما انا فيهِ وحركا فيّ دم المروءة والشهامة . فلما وقع نظرها على ثيابي الممزقة ووجهي الدامي خافت فصرخت ووقف السائق مبهوتاً ولكنها ما عتمت ان رأت من كيفية وقوفي امامها وانحنائي لديها انني لست من الرعاع فملكت روعها وقالت بعد ان شكرتني لما عرضتهُ اننا آتون من تافستوك وقد انكسرت عجلة المركبة هنا فذهب زوجي ليحضر مركبة اخرى ولم يعد واخاف ان يكون قد تاه عن الطريق في هذا الظلام . وقبل ان اجيبها رأيت بجانبها رداءً كبيراً فوضعت يدي عليهِ وقلت اظن يا مولاتي ان هذا الرداء يخص زوجكِ ولا اشك في انكِ تعذرينني اذا كنت مضطرًّا ان . . . واكملت كلامي بسحب الرداء من العربة الى يدي . فنظرت اليّ بتعجب وخوف وقالت ظننتك اتيت لمساعدتي لا لسرقتي وقد دلت هيئتك على رجل شريف لا على لص دنيء . فقلت وقد صعد الدم الى وجهي لا تحكمي عليّ يا مولاتي قبل ان تعرفي ما يضطرني الى فعل ذلك ولكنني اعدكِ اذا اعلمتِني باسم هذا السعيد الحاصل عليكِ انني اردّهُ اليهِ سالماً بعد ان اقضي حاجتي منهُ . فتبسمت قليلاً وقالت اما زوجي فهو السير شارلس مرديث وهو ذاهب الى سجن دارتمور بمهمة من قبل الحكومة فارجو منك ان تذهب في طريقك وان لا تأخذ شيئاً مما يخصهُ . قلت انني لا اشتهي مما يخصهُ الا شيئاً واحد وهو انتِ .

فضحكت حتى بانت نواجذها وقالت خلِّ عنك المزاح واترك الرداء في مكانهِ. وقبل ان اجيبها سمعت اصواتاً عن بعد تتخلل صوت المطر والريح ثم لمع امامي نور مصباح فعلمت ان زوجها قد عاد مع بعض الرجال ليساعدوهُ في جرّ المركبة. فقلت لها اعذريني يا سيدتي فاني مضطر ان اتركك الآن ولكن اكّدي لزوجكِ انني اعيد اليهِ رداءَهُ في اول فرصة. ومع انني كنت في سرعة شديدة اخذت يدها لاقبلها فجذبتها مني بعنف ووثبت وثبةً واحدة فاختفيت في الظلام وجعلت اعدو بمنتهى قوتي الباقية حاملاً الرداء وقد رأيت فيهِ وسيلة لنجاتي. وكنت عند خروجي من السجن قد توجهت شمالاً مستدلاً بهبوب الريح فلما بعدت عن المركبة وقفت ريثما تبينت جهة مهبها فاستقبلتهُ واستأنفت الجرى حتى سقطت منهوك القوى وبقيت الى ان ملكت شيئاً من قوتي ثم عدت الى الجري وانا مصمم على الابتعاد ما امكن عن السجن قبل بزوغ الصباح. وبلغت مكاناً محاطاً بالعوسج تربتهُ ليّنة حبب اليَّ الاستراحة فجلست لاستريح وما كدت اجلس قليلاً حتى استولى عليَّ سلطان النوم فنمت لكن نوماً مزعجاً ذا احلام هائلة رأيت في آخرها انني عدت الى فرقتي فسرّوا بنجاتي ولما قصصت عليهم حديثي هتفوا جميعاً بصوت واحد ليحيَ الامبراطور. فأفقت مرعوباً ونظرت الى ما حولي فسمعت حقيقةً ذلك الصوت ليحيَ الامبراطور مندفعاً من اكثر من خمسة آلاف فم فكدت افقد عقلي لدى سماعي ذلك الهتاف وانا في تمام اليقظة. ولبثت متحيراً في سبب ذلك الى ان لاح الفجر فرأيت امامي بناية كبيرة جدًّا عرفتها للحال انها سجن دارتمور. وذلك انني لما تركت المركبة وجعلت اعدو مستقبلاً الريح وكان قد تغير مهبها كانت النتيجة انني سرت راجعاً الى حيث بدأت بالهرب ووجدت نفسي في المكان الذي قضيت كل تلك المشاق للابتعاد عنهُ وعلمت ان ذلك الصوت الذي سمعتهُ كان صوت الاسرى المسجونين فيهِ. وكانت المصائب التي مرّت عليَّ قد علمتني ان لا استسلم الى اليأس فتبسمت لعودتي الى قرب السجن وقلت لعلّ في ذلك حكمة اجهلها بل تحققت ان قرب السجن هو المحل الوحيد الذي لا يبحث عني الحراس

فيهِ. فالتففت بالرداء وجلست بين العوسج واخذت من جيبي بعض الخبز الذي كنت قد وفّرتهُ من طعامي في اليومين السابقين وبحثت في جيوب الرداء فوجدت فيها زجاجة فيها من افخر الكنياك ومنديلاً حريريًّا وعلبة سعوط ورسالة في ظرف ازرق اللون مكتوب عليهِ اسم حاكم سجن دارتمور فعزمت ان اشرب الكنياك وان ارجع الزجاجة والمنديل والعلبة الى صاحبها . اما الرسالة فحرت في امرها لان حاكم السجن كان يظهر لي شديد اللطف فلم اشأ ان اتداخل في مراسلاتهِ وخطر لي ان ارمي بها الى حديقة السجن ولكن خفت ان يدلهم ذلك على محل وجودي فارجعتها الى جيبي . واقمت نهاري مختفياً بين العوسج ونمت نوماً طويلاً لاتمكن من المسير في الليلة التالية . فلما اقبل المساء نهضت وسرت مهتدياً بالنجوم حتى ابتعدت نحو ثماني غلوات عن السجن . وكنت افكر في كيفية الحصول على ثوب اتنكر بهِ لانني رأيت ان الرداء لا يفيدني ما دام ثوبي العسكري ظاهراً من تحتهِ . ولما لاح فجر اليوم الثاني رأيت نهراً عن يميني وقريةً صغيرة عن يساري فتركتهما وتقدمت شمالاً حتى بلغت عند منتصف النهار الى وادٍ بين جبلين فيهِ كوخ منفرد لا يجاورهُ شيء من البناء . وعنّ لي ان اجد فيهِ مطلوبي فجعلت اقترب اليهِ باحتراس تارةً اختفي وراء الاعشاب وطوراً ازحف على بطني الى ان صرت على مقربةٍ منهُ واذا بفتىً قد خرج ووراءهُ رجل متقدم في السن يحمل قطعتين من الخشب دفعهما الى الفتى فجعل هذا يديرهما في يديهِ بخفةٍ غريبة والرجل يلاحظهُ ويفهمهُ كيف يفعل ثم اعطاهُ حبلاً فجعل يديرهُ ويثب فوقهُ فتعجبت من ذلك واعتقدت ان الفتى عليل والرجل طبيب يمرنهُ على بعض الحركات الرياضية . وبعد هنيهةٍ دفع الرجل الى الفتى رداءً ثقيلاً فلبسهُ ولاح لي ان الامر قد انتهى ثم رأيت الرجل قد عاد الى الكوخ واما الفتى فجعل يعدو بمنتهى قوتهِ وكان مسيرهُ الى الناحية التي كنت فيها فسرّني ذلك جدًّا وتأهبت لملاقاتهِ واخذ ثيابهِ وادراك الغاية التي اسعى اليها . ولم يزل الفتى يقترب عدواً والعرق يتحلب من جسمهِ حتى صار امامي فوقفت وقلت لهُ اسمح لي يا سيدي ان اطلب منك هذه الثياب التي عليك لاني في حاجة اليها .

فنظر اليَّ بدهشةٍ وقال اعطيك ثيابي؟ ولماذا . ألأ نك فرنسوي هارب من السجن وتريد ان تتنكر بها . ولكنك لا تعرفني فانا المصارع الشهير الذي تراهن مدينة بريستول على مقدرتي وهذا الكوخ هو المحل الذي اتمرن فيهِ وهذه يدي ارفعك بها واجلد بك الارض فاراك ميتاً قبل ان اعطيك ثيابي . اما انا فنظرت اليهِ بتبسم الازدرآء وقلت قد تكون كما تقول ولكنك لو عرفت ان الذي يطلب ثيابك هو الكولونيل جيرار لما تأخرت دقيقة واحدة عن تسليمها صاغراً . ولما قلت ذلك اقتربت منهُ بغيظ وقلت انزع ثيابك في الحال . فكان جوابهُ ان نزع الردآء الثقيل ووقف امامي بعظمة وقد هيأ ذراعهُ اليسرى للدفاع واليمنى للهجوم كما هي عادة الانكليز في الملاكمة . ولما كنت لا اعرف شيئاً من طريقة هذه المبارزة ولم اشأ ان اظهر امامهُ جهلي صممت ان ابغتهُ وللحال هجمت عليهِ ووثبت في الهوآء ورفستهُ بقدميّ معاً بقوة شديدة وفي اقل من لمح البصر ضربني بقبضتهِ على رأسي فسقطت الى الارض كأن كرة مدفع اصابتني فلمعت امام عينيّ شهب الالم اكثر مما رأيت في معركة اوسترليتز وغبت عن الوجود

ولما أفقت وجدت نفسي في الكوخ على سرير من الهشيم وشعرت بورم في رأسي وقد وضعوا عليهِ خرقةً مبلولةً بالخل ورأيت في الجانب الآخر خصمي جالساً وقد عرّى ركبتهُ والرجل جاثٍ امامهُ يدلكها بسائلٍ وهو ينتهر الفتى ويؤنبهُ وسمعتهُ يقول لهُ انني منذ شهر امرّنك وقد أخذت على نفسي عهدة ترشيحك للمصارعة القادمة التي قرب موعدها فتدفع بنفسك الى مثل ما فعلت لتضيع ما تعبنا شهراً في الاستعداد لهُ مع اضاعة الوف من الليرات على المراهنين فانهُ ان لم تشفَ ركبتك قبل يوم الاربعآء القادم فقدنا كل شيء . فقال الفتى هل نسيت يا استاذ انني بطل تسع عشرة مبارزة والوحيد في قدرتي وهل تظن انني احتمل مثل هذا الفرنسوي وطلبهُ مني ثيابي . فقال الرجل كان يمكنك ان تستعين بالخفر الذين لا يبعدون عنا كثيراً ولا تعرّض نفسك لمشاجرتهِ بل ما هي قيمة ثيابك لو أعطيتهُ اياها بازآء خمسة آلاف الليرة التي راهن عليك بها اللورد رفتون . نعم انك أول مصارع ولكن هل تظن

ان الفرنسويين يفهمون ذلك أو يعرفون كيف يحاربون • وعند سماعي ذلك لم أملك السكوت فجلست على سريري وقلت لهما يا صاحبيَّ لو كان الفرنسويون لا يعرفون كيف يحاربون لما ربطوا جيادهم في اكثر عواصم اوربا وأصبحوا امام لندن التي سيدخلونها قريباً ان شآء الله ولكننا نحن نحارب كالفرسان ولا نحارب مثلكم كمناطحة الثيران • فنظر اليَّ الرجل باشمئزاز وقال اهنئك يا هذا انك لا تزال حيًّا ولكن يظهر ان جمجمتك غريبة الثخانة حتى لم تكسرها ضربة اشهر مصارع في بريستول وكنت أود ان يفوّض اليَّ تدريبك على المصارعة لانني اعتقد انك كنت تكون من أبرع المصارعين غير اني اتأسف انك لا بدَّ ان ترجع الى السجن .
فلم يعجبني ما قفَّى بهِ اخيراً وقلت لهُ بل اؤمل انك تدعني امضي في سبيلي .
قال يصعب عليَّ اجابة طلبك ولا سيما وقد فُرِض عشرون ليرة لمن يقبض على سجين هارب . ومع ذلك فقد رأيت بالقرب من هذا المكان شرذمة من الفرسان لا شك انهم يسعون في طلبك فان لم أفز بالجائزة انا فازوا هم • فجمد الدم في عروقي ثم قلت لهُ ان كان غرضك من امساكي الحصول على الجائزة فأنا أعدك انني ارسل اليك العشرين ليرة مضاعفة حال بلوغي فرنسا • فانغض الرجل رأسهُ علامة الإبآء ولم تأتِ توسلاتي وتضرعاتي بأقل فائدة • فلما رأيت ذلك خطر لي ان أتهددهما بنفس الشرّ الذي يخافانهِ وللحال وثبت الى احدى القطع الخشبية الثقيلة التي كان يتمرن بها الفتى فأخذتها بيدي وقلت لهُ اذاً لن يصارع تلميذك في الاسبوع القادم فسأمنعهُ بضربة من هذه الخشبة مهما جرى بعد ذلك • ولما سمع الفتى كلامي هاج وحاول مصادمتي فهجم عليهِ الرجل واجلسهُ بالرغم عنهُ قائلاً لا لا • لا اريد ان نخسر الرهان من اجل هذا الوغد الفرنسوي • وكان ذلك ما انتظرهُ فتركتهما يتجادلان وخرجت مسلحاً بالخشبة وانا افكر فيما عسى ان يكون مستقبل امري بعد ما قاسيتهُ من الالم والجوع والتعب واظن انني فعلت غاية ما يمكن الانسان ان يفعلهُ • ولكنني ما بلغت باب الكوخ حتى رايت امامي ستة فرسان وفي طليعتهم حاكم سجن دارتمور نفسهُ فشعرت ان الارض تدور تحت قدميَّ وحاولت النطق

فلم استطع اليهِ سبيلاً • ونظر اليَّ الحاكم فقال ها قد وجدناك يا حضرة الكولونيل بعد البحث الطويل

ولا يخفى ان الشجاع مثلي اذا استفرغ جهدهُ في المقاومة ولم يفز فما عليهِ الا ان يظهر شرف نفسهِ بالطريقة التي يخضع فيها لفوز خصمهِ . فصمتُّ لحظةً ثم تناولت من جيب الرداَء الرسالة المعنونة باسم الحاكم وسلمتها اليهِ بكل احترام قائلاً ان سوء حظي اعترض في سبيل ايصال هذه الرسالة اليك • فنظر اليّ معجباً بطريقة كلامي ثم اخذ الرسالة ففض ختمها وتلاها فظهرت على وجههِ علامات التعجب وقال هذه الرسالة على ما اظن هي نفس التي ذكرها لي السير شارلس مرديث وقد قال لي انها فقدت منهُ • قلت نعم يا مولاي فانها كانت في جيب رداَئهِ الذي استعرتهُ موقتاً • قال وقد بقيت معك يومين ولم تطلع على ما فيها • فأظهرت لهُ انني ارفع من ان يظن بي ذلك • اما هو فقهقه ضاحكاً وقال ياحضرة الكولونيل قد اتعبت نفسك وحملتنا من التعب ما كنا جميعاً في غنًى عنهُ فاسمع ما جاَء في الرسالة ثم قرا ما يأتي

« عند وصول هذا الامر الى يدكم اطلقوا سراح الكولونيل اتيان جيرار السجين من فرقة الهوسار الثالثة لانهُ قد افتُدي بابدالهِ بالكولونيل ماسون الذي كان مسجوناً في ڤردن في اسر الفرنسويين »

وكان يقرأ و يضحك حتى ضحك الفرسان ايضاً وضحك الفتى والرجل اللذان كانا قد اقتربا ليريا ما الخبر فلم يبقَ عليّ الا ان استند الى الحائط واضحك مثلهم • ولكن شتان بين ضحكي وضحكهم فانهم انما كانوا يضحكون لامرٍ بسيط هو الذي اضحكني ايضاً ولكن بقي هنالك ما لم يشعروا بهِ معي وهو انني تصوَّرت امام عينيَّ حريتي وفرنسا العزيزة ووالدتي المحبوبة والامبراطور ورجال فرقتي واليقين التام بأنني قد نجوت من سجن دارتمور نجاةً لا رجوع اليهِ بعدها

﴿ شواذّ الخلق ﴾

(تتمة ما في الجزء السابق)

واما الشذوذ المتعدّد فهو ان يولد التوأمان متلاصقين من بعض اعضائهما او متداخلاً جسم احدهما في جسم الآخر . وفي الحالة الأولى يكونان كلاهما كاملي الخلق مستقلَّين بالوظائف البدنية وانما يكون الشذوذ فيهما من جهة الاتصال بين الشخصين فقط . واتصالهما قد يكون من جانب الرأس وقلما يعيشان الامدة قصيرة وقد يكون من جانب الصدر او الحوض وهو مجمع الوَرِكَين وكثيراً ما يعيشان الى زمن البلوغ وما بعدهُ

ثم ان الاتصال من الرأس قد يكون من الامام فتتصل جبهةٌ بجبهة ومن هذا النوع فتاتان وُلدتا في القرن السادس عشر في مدينة وُرْمس من جنوبي المانيا وكان محل الاتصال رقعةً من جبهتيهما بقدر الدرهم بحيث كان وجه احداهما الى وجه الاخرى فكانتا لاتبصران الاشياء الامن جانب واذا مشت احداهما الى الامام اضطرّت الاخرى ان تمشي القهقرى . وبعد ان اتت عليهما عشر سنوات مرضت احداهما وماتت ففُصلت عن اختها ولكن ذلك لم يُغنِ عنها فانها اخذت تذبل شيئاً فشيئاً ثم لم تلبث ان تبعت اختها فدُفنت الى جانبها

وقد تخالف جهة الاتصال فتكون جبهة احد الشخصين متصلةً بقذال الآخر والمولودان كذلك لا يعيشان عادةً الامدةً قصيرة . وربما اتصلا من جهة أعلى الرأس فتكون قمة رأس الواحد متصلةً بقمة رأس

الآخر ويكون وجه احدهما متجهاً الى الاسفل ووجه الآخر متجهاً الى الاعلى . وقد شُوهِد توأمان من هذا النوع كانا كاملي الخلقة الاّ انهما لم يعيشا الاّ بضعة أشهر

واما المتصلان من الاسفل فقد يكون اتصالهما من جهة الفخذ فيكونان دائماً متخاصرين ومن هؤلاء فتاتان وُلدتا في النمسا سنة ١٧٠١ وكانتا تتجولان في المانيا وايطاليا وفرنسا وسائر أوربا . ولما بلغتا الثانية والعشرين من العمر أصابت احداهما علةٌ في الصدر فشاركتها اختها في الضعف والهزال ولما ماتت تبعتها الاخرى بعد قليل . وقد يكون الاتصال من أسفل القصّ اي عظم وسط الصدر الى السُرّة وتكون السُرّة مشتركة بينهما ومن هذا النوع توأمان صينيان وُلدا في سيام سنة ١٨١١ ولذلك يُعرَفان بالتوأمين السياميَّين . وكانت اعضاؤهما الامامية متقابلة من الرأس الى القدمين الا انهما بسبب تجاذبهما حيناً بعد آخر تمطط الغشاء الواصل بينهما فاصبح اشبه بمنطقة طولها ١٣ سنتيمتراً في عرض ٨ سنتيمترات واذ ذاك صارا يستطيعان ان ينحرف احدهما عن الآخر ذات اليمين او ذات الشمال فيكون احدهما الى جانب الآخر على ما يقرب من زاوية قائمة . وكان مزاجهما واحداً فكانا متفقين في الافعال والكلام والافكار وكان جوعهما وعطشهما وسهرهما ونومهما وسرورهما وغمهما وغضبهما كل ذلك مُشتركاً بينهما حتى كانهما شخصٌ واحد . وقد تقدم لنا في مجلد السنة السادسة (ص ٧٩) ذكر توأمين آخرين يُعرَفان بالتوأمين الكوريَّين اثبتنا صورتهما هناك وهما قريباً الوصف جدًّا من هذين

وقد يكون الاتصال من العَجُز وهو نادرٌ جدًّا لم يُذكر من نوعهِ الا الفتاتان النمسويتان المعروفتان باسم استير ويهوديت وكان ظهر احداهما الى ظهر الاخرى وهما متصلتان من الأليتين ولكلتيهما مخرجٌ واحد. اشتراهما قسيس روسي ووضعهما في دير ببطرسبرج فلبثتا الى سن الثانية والعشرين ثم حُمّت احداهما وماتت فتبعتها الاخرى بعد ثلاث ساعات

وأندر من هذا ما ذُكر من انهُ كان في دير بواسّيّ في اواخر القرن الثامن عشر اختان قد اتصلتا بخنصرين من اصابع ايديهما وكانتا صحيحتي البنية فعاشتا الى سن الخمسين ثم مرضت احداهما وماتت ففُصلت عن اختها ولكن الاخرى اخذت بعد ذلك تذبل ذبولاً سريعاً وماتت بعد أيام قلائل

وأما تداخل الجسمين فقد يكون في جانب الرأس فيكون هناك رأسان قد أُدغم احدهما في الآخر فكانا رأساً واحداً مع ظهور علامات الأزدواج فيهِ إمّا من الامام فيكون لهُ وجهان يُرَى احدهما كانهُ خارجٌ من وراء الآخر لكن لا يظهر منهُ الا عينٌ واحدة في وسط الوجه واذنان في غاية القرب احداهما من الاخرى . وإمّا من الوراء فيكون لهُ قذالان ووجهٌ واحد بعينين واذنين فقط وفمٍ واحد وفي الحالين قد يكون سائر الجسم أو اكثرهُ مزدوجاً لكن بعضهُ متداخل في بعض على اختلافٍ في مبلغ التداخل ويكون لهُ اربع ايدٍ وأربع ارجل . وربما كان للشخص اربع ارجل ويدان ورأسٌ واحد وصدرٌ واحد وسرّة واحدة فيبدأ الازدواج من عند الوَرِك فما دون . ومن هذا النوع مولودٌ وُلد في بال سنة ١٤٧٥

وعاش خمس عشرة سنة ومات بحادثٍ عرض لهُ وكان لهُ اربع قوائم ممتلئة يمينٌ فشمال ثم يمينٌ فشمال وكانت حركتهُ الانتقاليـة سهلةً على قائمتي الجانب الواحد كما كانت على قائمتي الجانب الآخر

وقد يكون التداخل على عكس ذلك فيكون للجسمين المتصلين رأسان مستقلّان تمام الاستقلال وصدران متداخلان واربع ايدٍ وبطن واحد ورجلان وقد شوهد من هذا النوع مولودان احدهما وُلد في اكوسيا في اواخر القرن الخامس عشر على عهد الملك جاك الرابع فامر بان يُعتَنى بتربيتهِ فتعلم عدة لغات وكان يتكلم فيهنَّ بسهولة. وكان لكلٍّ من رأسيهِ ارادةٌ تخالف ارادة الآخر فكانا كثيراً ما يتخاصمان بهـذا السبب وعاش ثمانياً وعشرين سنة. والآخر وُلد في سردينيا ومات في باريز سنة ١٨٢٨ وكان انثى



فسُمّي احد فرعيهِ ريتا والآخر خرستيانا وكان موت احدهما سبباً في موت الآخر. ولما مات شرّحهُ جُفْروآ سّنتيلار فكان لهُ قلبان في شغافٍ واحد وكبد واحدة وامعاء مزدوجة الى المعى المعروف بالاعور وسلسلتان فقاريتان تتحدان عند العُصعُص. وربما وُجِد من هذا النوع من يكون ذا رأسين مستقلين وسائر الجسم واحد بيدين ورجلين فقط كما ترى في الصورة

المرسومة هنا وهو أشدّ غرابةً مما تقدم

وهنالك ضربٌ آخر من التداخل وهو ان يكون احد الشخصين مستقلاًّ والآخر صغيراً جدًّا غير كامل البنية يتعلق عليهِ ويحيا بحياتهِ كانهُ عضوٌ من اعضآئهِ . وهو قد يكون مُدغَماً في جسم الشخص وقد يكون متصلاً بهِ من الخارج وعلى كل حالٍ يكون كامل الحسّ ولكن لا قدرة لهُ على الحركة . ومما ذُكر من هذا النوع مولودٌ هنديٌّ وُلد في بنغال سنة ١٧٨٣ وعاش اربع سنوات كان لهُ رأسان احدهما نابتٌ فوق الآخر ولهُ عنقٌ غير كامل الا انهُ اقلّ شعوراً من الرأس الاصلي وكان يشاطر حاملهُ سرورهُ وغمهُ واذا قُرِص او وُخِز يشعر حاملهُ بالألم كما يشعر باحد اعضآئهِ الخاصّة .

وجآء في بعض القيود الطبية ذكر فتًى صيني عثر عليهِ احد الاطبآء الانكليز في ماكاو وكان بعمر ٢٢ سنة قد اتصل بمقدَّم صدرهِ جنين لا رأس لهُ تامّ التركيب يتدلى الى قرب ركبتيهِ وكان لهذا الجنين حسٌّ كامل فكان ينقبض عند اقلّ لمس وكان الفتى يشعر اذا قُرِص واذا كان القرص شديداً يصيح من الالم . وقد عرض عليهِ الطبيب المشار اليهِ ان يستصحبهُ الى اوربا واطمعهُ بالعطايا الكثيرة فابى

وذكر جَسْپار بَرْتُولّين فتاةً تشبه الهُولة المتقدم ذكرهُ هي التي ترى صورتها فيما يلي يتصل بها مما تحت الثديين جنين لا رأس لهُ كامل التكوين ممتلئ الاعضآء وكانت عضلاتهُ تنقبض عند اللمس الاّ انها غير خاضعة لارادة الفتاة فاذا دُغدغ اخمصهُ انتفضت ساقهُ واذا قُرِص رفس رفساً

شديداً مما يدل على الالم أو على شبه الضجر او الغضب

وذكر وِنسلو انهُ رأى في ايطاليا غلاماً في سنّ الثامنة كان تحت الضلع الثالثة منهُ رأسٌ صغير كامل الاعضاء يفتح عينيهِ وتظهر عليهِ ملامح السرور والانقباض فكأنّ هناك غلاماً آخر قد اختبأ في جسمهِ واطلّ من صدرهِ كما يطلّ الانسان من شبّاك . وكان شعور الغلام والرأس واحداً لانهُ كان اذا قُرصت اذن الرأس قرصة شديد يصيح الغلام من الالم



وقد بقي من ضروب هذه الخلائق الغريبة واشكالها ما يطول تتبُّعهُ ووصفهُ على انها كما اسلفنا انما تُعَدّ غريبةً بالاضافة الى ما أَلفناهُ في اجناسها والاَّ فان المتّأمل في هذا الكون لا يقع نظرهُ الاّ على كل عجيب فسبحان من فاتت حِكمتهُ العقول وهو الخلاّق العظيم

من كلام الامام عليّ كفى بالعلم شرفاً ان يدّعيهُ من لا يحسنهُ ويفرح بهِ اذا نُسب اليهِ وكفى بالجهل ضعةً ان يتبرأ منهُ من هو فيهِ ويغضب اذا نُسب اليهِ

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

أَجَلْ ان جول سيمون قد ادرك بصائب فكرتهِ وحسن تعليلهِ ما هنالك من الاخطار فقام يصدع بصوتهِ الجهير مبيناً لانصار هذا المذهب عَمَه بصيرتهم وسوء رأيهم منادياً بوجوب الاقلاع عن هذا المطلب المؤدّي الى تشويه جمال المدنية وتحليل قوى الانسانية وانقراض الكون العمراني وقد قال ما مؤداهُ .

« ان الرجل جبّارٌ خُلق للجهاد والجدّ والمرأة مَلَكٌ أُبدع للإسعاد والتهذيب والتعزية ومتى خالف البشر هـذا المبدأ الطبيعيّ ضلوا سعياً وساءوا مصيراً . لذلك نرى ان لا تتعلم الفتاة الا وظائفها المخلوقة لها »

وقد اوضح ما ينبغي ان تقتصر الفتيات على تعلمهِ وهو ما يأتي

اللغة الوطنية مع آدابها باتقان . الخياطة وفروعها كالرفء والتطريز وما يأخذ مأخذهما . الموسيقى . التصوير . الحساب . فنُّ الاقتصاد . تدبير المنزل . اصول الدين . علم الاخلاق . قواعد الأُلفة . التاريخ . الجغرافية . حفظ الصحة . درس الطبائع . قانون التربية .

هذه هي العلوم التي تناسب وظائف هذا المَلَك المعزّي المهذّب الذي عليهِ مدار تنوير الافكار وتبديد الاكدار واستدرار موارد الهناء والسعادة والراحة والرغد للازواج والبنين لا الملاحة والجندية والطب والهندسة وعلم الهيئة وجرّ الاثقال والطواف حول الارض والعروج في المناطيد والمناضلة

بالسلاح والتربع في دست القضآء فان كل هذه المعدودات تتبرأ من المرأة تبرؤ النعومة من القنفذ والجمال من القرد فاذا زاولت شيئًا منها تجرَّدت من سمات اللطف وهو سلاح الانوثة ومصدر قوتها واصبحت جبّاراً عتيًّا فلا يأتي على الانسان حينٌ من الدهر حتى تراهُ منحطًّا عائداً القهقرى الى حالتهِ الوحشية الاولى مماثلاً الشمپانزي والغورلا[1] التائهين في صحارى افريقيا وغاباتها

قل لي بحقك من ذا يعزّي الرجل ويلطف اخلاقهُ ويهذّب وجدانهُ ويلبي عواطفهُ اذا عادت تلك الريحانة قهرمانةً تناظرهُ وتعاديهِ وتزاحمهُ على اعمالهِ وموارد كسبهِ ومجدهِ بالمناكب وتسلب حقوقهُ كالغاصب واذا لبث عادم المؤاسي فاقد النصير فالى اية حالةٍ من الخشونة وضيق الصدر وصغر النفس يصير

ولرُبَّ معترض يقول ان تلك التي تكون في اثنآء النهار لَبُؤَةً تكافح وتصارع في معارك المهامّ والاعمال قد تصير في الليل ظبيةً لعوباً يستأنس بها البنون وترتاح الى معاشرتها الرجال . والجواب ان التي تعاني الاعمال الخشنة مدافعةً مكافحةً سحابة النهار منتحلةً وظائف الرجال تحوم كالجائع المفترس على اصطياد الدينار حومة الهرّ اذا عاين الفار لا يبقى لها من لطف الظبآء ما يمكن استعادتهُ في المسآء . وهب انها استعادتهُ بعد الكلفة

(١) الشمپانزي والغورلا نوعان من القردة يشبهان الانسان في كثير من احوالهِ حتى ان الغورلا يستطيع السير منتصباً وقتاً طويلاً متوكئاً على عصاهُ واذا اطلق صياد بندقيتهُ عليهِ اختطفها منهُ وحاول اطلاقها انتقاماً ودفاعاً

والجهد فالتكلف لا يدوم وان دام لا يغني عن الحقيقة فتيلاً . وبعد فهل تحصر وظائف الانوثة الموقوف عليها حياة النوع ونمآؤهُ في الغَزَل وما يليهِ . ومتى ينظر في سائر الوظائف التي تحتاج الى المثابرة والمزاولة صباح مسآء كالتربية والارضاع وتدبير الغذآء واللباس وسائر ما يتطلبهُ المنزل والعيش والتزاور من متنوعات الشؤون ما دام النهار يُقضى بالعراك والمصادمة ونصب الاشراك لاقتناص المجد والمال رغماً عن أنوف الرجال

— ١١ —

انني قبل ان اطالع ما ورد عن جول سيمون من هذا القبيل ببضع ليالٍ جمعني الاتفاق ببعض المتعصبين لرأي الغلاة في وجوب مجاراة النسآء للرجال فدار بيننا البحث والجدال على هذا الموضوع الخطير فاوسعتهُ تفصيلاً مبيناً المضارّ التي تنشأ عن هذه البدعة المخالفة للوضع الطبيعي والهادمة لاركان العمران البشري — وأنا أحسب اني اول من قرع هذه الساحة — حتى اذا كنت بعد ايام اطالع في احدى المجلات العربية عثرت على نقل بعض ما جال في خاطر جول سيمون مما مرَّ بك بيانهُ في الفصل السابق فجزمتُ اذ ذاك ان ما دار في خلَدي انا المحجب في زوايا الشرق تحت الخمول هجس في صدر ذلك الفيلسوف الذائع الصيت المتربّع في دست العظمة في اجمل عواصم الغرب وما ذلك بعجيب فقد تتوارد الخواطر كما يقع الحافر على الحافر وهيهات ان يخفى الحق على متفكّرين

بيد اننا وان اتفقنا في الاصول فقد اختلفنا في بعض الفروع ولعل الاختلاف نشأ عن الفرق بين عوائد البلادين واليك البيان

ان جول سيمون قد تساهل مع الحزب المتشيع للنسوة الطامحات الى مماثلة الرجالَ فلم يرَ بأساً من أن يمارسنَ بعض الصناعات ويزاولنَ حرفةً ما من مثل الصيدلية وبيع الانسجة والحلوى او المُسكر وان يخدمنَ في دوائر البريد والبرق وان يكنَّ طبيبات ومعلمات موسيقى ورقص الى غير ذلك مما كان الى عهدٍ غير بعيد منحصراً في الرجال فاصبح اليوم مشاعاً بين الفريقين زاعماً ان تلك المهن لا تعبث بلطف الاناث ولا تحطّ من شأنهنَّ بل لعلها تقي المعوزات منهنَّ في حالة الترمُّل او العنوس ذل الحاجة وبلآء الفقر

على انني لا ارى معهُ هذا الرأي وعندي ان السماح لهنَّ بأية حرفةٍ كانت مما يلجئهنَّ الى مزايلة منازلهنَّ يوميًّا والتجول في الاسواق والشوارع والجلوس في الحوانيت للاخذ والعطآء مع الرجال على تفاوت طبقاتهم في المنزلة والتهذيب والآداب وفيهِ ضياعٌ لشرف الانوثة وعزتها واستدراجٌ لما وراءهُ من اسباب الابتذال والغنمة وخرابٌ لنظام الحياة المنزلية في كل عصرٍ وقطرٍ وأُمة

أجَل تستطيع الفتاة حذراً من ان يعضّها الفقرُ بنابهِ ويجور الدهرُ عليها بصروفهِ ان تتقن بعض الصناعات اليدوية أو الفنون الموسيقية أو الكتابة حق الاتقان بحيث انها عند مسيس الحاجة ـ التي لا تكون الا عند انقطاع الوليّ والقريب وفقدان النصير وتعذر الزواج وعدم امكان الدخول الى ملاجئ الخير ـ تتكسب مرتزقةً بما أتقنت فان الخياطة وما يتفرع عنها من التوابع صناعة رائجة لن تبور وكذلك تعليم الموسيقى أو

التصوير أو بعض اللغات لبناتٍ (لا لرجالٍ) يزرنها في بيتها أو تزورهنَّ في بيوت آبائهنَّ في ساعاتٍ معيّنة للتدريس يكفي المعوزة مؤونتها بل يزيد ولا جناح عليها منهُ ولا تثريب فهي في الحالين غنية عن تعاطي الحرف التي أباحها جول سيمون مما لا يتهيأ للفتاة او الارملة مزاولتهُ حتى تكون خرّاجة ولاّجة مُخالِطة للعوامّ الطغام ومتزلفة اليهم وفي ذلك ما فيهِ مما يمجّهُ الطبع وينبذهُ الذوق السليم فضلاً عما يُنتج من المحذورات التي تخشى مغبتها

ثم يمكن الفتاة ايضاً ان تراسل الصحف السيّارة ومجلاّت العلم والأدب والازيآء (المودات) وتصوّر المناظر الطبيعية والمدن والمحافل والنسآء النبيلات المشهورات — دون الرجال والغاويات المتبذلات — وتنقش المعدنيات وتصوغ الحلى وتحوك الطنافس وتكوي الالبسة وتلفّ التبغ وفي كل هذا من موارد الكسب ما فيهِ كفاف فتاةٍ بل اسرةٍ وهو سهل المنال كثير الرواج يمكن الفتاة مزاولتهُ وهي قعيدة بيتها لا تخالط الا افراداً من الرجال

هذه هي عندي الصنائع التي يُباح للمرأة ان تتعيش بها في أزمنة الاحتياج دون ان تتعدى حدود الانوثة وواجبات الصيانة مُحافِظةً على طلاوة الخَفَر ومهابة الترفع وجلال التهذيب لا ما عدّدهُ جول سيمون مما يسوقها الى التبذّل قسراً ويفضي بها الى التهتك طبعاً

ان الكنت تولستوي فيلسوف الروسيين في هذا القرن لما رأى انهماك النسآء في زماننا الحاضر بمحاكاة الرجال تفحُّلاً وتحدياً شعر بما

سيحدق بالبناء البشري ويلمّ بعمرانهِ من هذه الجهة فقال ـ ويا نِعْمَ القول ـ ان الرجوع الى الحالة السابقة الفطرية واقتسام الاعمال في الحاجيات مشاركةً خيرٌ لنا من المدنية الحاضرة اذا افضت بالمرأة الى فقدان بهجة انوثتها مع انها ذريعة البقاء وجرثومة سعادة النوع الانساني . وهو قولٌ من الحكمة وبُعد النظر بمكان　　　(ستأتي البقية)

الجوكيّة

هم طائفةٌ بالهند يوصفون بالسحر ولهم اعمالٌ غريبة لا يمكن ان تُحمَل على شيء من ضروب الايهام والتشبيه التي يصنعها المُشعوذون ولكنها من قبيل السحر البابليّ المشهور . وهذه الاعمال قديمة في الهند شهدها ابن بطوطة في رحلتهِ الى تلك البلاد في اثناء القرن الثامن للهجرة اي من نحو ست مئة سنة ووصف بعضاً منها وصفاً مطابقاً لما يذكرهُ السيّاح في هذا العهد . فانهُ بعد ان ذكر هذه الطائفة قال ان احدهم يقيم الاشهرُ لا يأكل ولا يشرب وكثيرٌ منهم تُحفر لهُ حفرةٌ تحت الارض فلا يُترَك لهم الاّ موضعٌ يدخل منهُ الهواء ويقيم احدهم بها الشهور وسمعت ان بعضهم يقيم كذلك سنة . ورأيت بمدينة منجرور رجلاً من المسلمين ممن يتعلم منهم وقد رُفعت لهُ طبلة (؟) وأقام باعلاها لا يأكل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يوماً وتركتهُ كذلك فلا أدري كم أقام بعدي . والناس يذكرون انهم يركّبون حبوباً يأكلون الحبّة منها لايام معلومة أو اشهر فلا يحتاجون في تلك المدة الى طعام ولا شراب ويخبرون بامورٍ مغيَّبة والسلطان

يعظّمهم ويجالسهم . ومنهم من يقتصر في اكلهِ على البقل ومنهم من لا يأكل اللحم وهم الاكثرون والظاهر من حالهم انهم عوّدوا انفسهم الرياضة ولا حاجة لهم في الدنيا وزينتها

وحكى بعد ذلك قال بعث اليّ السلطان يوماً وأنا عندهُ بالحضرة فدخلت عليهِ وهو في خلوة وعندهُ بعض خواصّهِ ورجلان من هؤلاء الجوكية وهم يلتحفون بالملاحف ويغطّون رؤوسهم لانهم ينتفونها بالرماد . فامرني بالجلوس فجلست فقال لهما ان هذا العزيز من بلادٍ بعيدة فأَرِياه ما لم يَرَهُ فقالا نعم . فتربع احدهما ثم ارتفع عن الارض حتى صار في الهوآء فوقنا متربعاً فعجبت منهُ وأدركني الوهم فسقطت الى الارض فامر السلطان ان أُسقَى دوآءً عندهُ فأفقت، وقعدت وهو على حالهِ متربع . فأخذ صاحبهُ نعلاً لهُ من شكارة[1] كانت معهُ فضرب بها الارض كالمغتاظ فصعدت الى ان علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب في عنقهِ وهو ينزل قليلاً قليلاً حتى جلس معنا . فقال لي السلطان ان المتربع هو تلميذ صاحب النعل . ثم قال لولا أني اخاف على عقلك لامرتهم ان يأتوا بأعظم مما رأيت فانصرفت عنهُ وأصابني الخفقان ومرضت حتى أمر لي بشربةٍ اذهبت ذلك عني . اه

وجآء في رسالةٍ لبعض السيّاح المعاصرين ذكر اعمالٍ اخرى منها ما يُعرَف في تلك البلاد بلعبة التفّاح البرازيلي وهي انهم يُظهِرون شجرةً تنبت للحال ثم تأخذ في النموّ والارتفاع وفي دقائق قليلة تصبح دوحةً

(١) كلمة مولدة من لغة المغرب يراد بها الجراب او الكيس من جلد ونحوهِ

ذات افنانٍ واوراق ثم تعود فتتضاءل وتصغر شيئاً فشيئاً الى ان تضمحلّ من اصلها فلا يبقى لها اثر . ومنها ان يجلس احد هؤلاء اللاعبين متربعاً على مائدة صغيرة فيأتي خادمهُ ويغطّيهِ بملاءةٍ ثم يزحزح المائدة من تحتهِ حتى يسحبها ويبقى الرجل متربعاً في الهوآء لا شيء تحتهُ ويبقى كذلك أحياناً مدة ساعة وهو اشبه بما ذكرهُ ابن بطوطة

وروت جريدة مدراس مايْل الانكليزية حكايةً اغرب مما ذكر وهي أن واحداً من اولئك الجوكية عمد الى حبلٍ طويل فربط باحد طرفيهِ كيساً كان على الارض ورمى بالطرف الآخر في الهوآء فارتفع ما يزيد على ثلاث مئة أو خمس مئة متر ثم لبث في ارتفاعهِ حتى توارى في السحاب وبقي الطرف الآخر متدلياً الى الارض . ثم أمر ابنهُ ان يتسلق الحبلِ فتسلق بيديهِ ورجليهِ وما زال يرتفع حتى غاب عن البصر . وبعد ذلك ناداهُ وامرهُ بالنزول فابى فدعاهُ ثانيةً فلم ينزل فغضب الرجل واخذ سكينهُ وتسلق الحبل وراءهُ ولما اختفى سمع الناس صراخاً وجلبةً في الجوّ ثم نزلت قطرات دم كبيرة سقط بعدها رجلا الولد ثم جسمهُ واخيراً رأسهُ . وبعد ذلك بقليل نزل الرجل بتؤدة ورمى بالسكين وهو مضرّج بالدم ثم حرّك الحبل فنزل من الجوّ فضمهُ ثم غطى جثة الولد بملاءة ملوّنة وأخذ الحبل والسكين وسائر ادوات صنعتهِ فجعلها في الكيس ثم توجه الى الجثة فجذب الملاءة من فوقها فنهض الولد صحيحاً معافى وذهبت قطرات الدم كان لم يحدث شيء

وجاء في إحدى المجلات الفرنسوية بتوقيع الربّان لُجُوف ما تعريبهُ اكتب هذه الرسالة وأنا لا أخشى الاّ امراً واحداً وهو ان أُتهم بالجنون

أو الكذب ولكن الامر هنا ابعد من ان يُرمَى المحدّث بهِ بمثل ذلك أو ان يستغرب بهُ الناظر فانهُ حيثما مرّ الانسان يرى في احدى زوايا الطُرُق جوكيًّا ينيم أهوَل الافاعي وبمجرَّد نظرتهِ يستوقف الفرس عن عَدْوهِ ٠ ولما كنت أعلم ان الناس في فرنسا لا يصدّقون من جآءهم بمثل هذه الاخبار تحرّيت في كل مرةٍ اكتب فيها عن مثل هذه الاعمال ان استشهد اناساً ممن رأوها عياناً واكلفهم ان يثبتوا اسمآءهم وصفاتهم وفي مأمولي ان المطالع يهب اولئك الشهود الثقة التي قد يأباها عليّ

وشهودي فيما اكتبهُ هذه المرة هم الربّان هرّيت والمسيو جان سّيريناّي والدكتور باراتّين ٠ وهذا الاخير معروف في فرنسا بما اشتهر لهُ من المزاولات في علاج الامراض الصدرية والربان هرّيت من اكابر الموظفين في الجيش الانكليزي والمسيو سيريناي من اشهر تجار اللؤلؤ في هذه الناحية وهو هنا بوظيفة قنصل للحكومة الفرنسوية والذي سأقصّهُ حدث بمشهد الثلاثة المذكورين في ١٢ مايو سنة ١٩٠٥

وذلك انهُ في اليوم المسمّى دخلنا نحن الاربعة بيتاً في شمالي شَمْبُوك وهو معبدٌ لاحد الاوثان مبنيٌّ بالخشب فعرَّفنا المسيو سّيريناّي بقيّم المعبد واسمهُ مَترَكْ وسألهُ أن يجري امامنا بعض اعمالهم الغريبة فقال حبًّا وكرامة ٠ ثم أجلسنا على حُصر مفروشة في أرض المكان ووقف هو في الوسط وكان احدنا عن يمينهِ والآخر عن شمالهِ والثالث أمامهُ والرابع ورآءهُ بحيث كانت لا تخفى علينا خافية من اعمالهِ ٠ ثم دعاني الى قربهِ فامتثلت وكانت بجانبهِ ربيعةٌ اي جرمٌ ثقيل تُمتحَن بهِ القُوَى تزِن بضعة

كيلغرامات فامرني برفعها فانحنيت ورفعتها بغير عناء حتى اوصلتها الى مؤازاة وجهي ثم اعدتها الى الارض . فقال ارفعها ثانيةً فانحنيت ايضاً وحاولت ان ارفعها بكل جهدي فلم استطع فقبضت عليها بكلتا يديّ واستفرغت كل قوتي ولكن بغير جدوى . ورأى ذلك الربّان هرّيت فلم يصبر عن ان نهض وحاول رفع تلك الربيعة بكل طوقهِ فلم يُفلِح ايضاً . فقال لهُ الجوكيّ جرّب مرةً اخرى لعلك تستطيع رفعها ففعل فرفعها كما يرفع ريشةً من الارض

وقد فحصنا الربيعة فحصاً دقيقاً من جميع وجوهها ثم اختبرنا الارض التي كانت عليها لعلنا نجد هناك قوةً مغناطيسية فلم نجد شيئاً . ولكن الربان بقي عندهُ شيءٌ من الريب فنقل الربيعة الى موضعٍ آخر من الغرفة فقال لهُ متزك ارفعها فرفعها بسهولة ثم وضعها فقال لهُ أَعِد رفعها فحاول ذلك بكل قدرتهِ فلم يستطع .

وكان في يد الدكتور عصاً من الخيزران يتصل بها في موضع القمع تمثال رأسٍ من العاج فاخذها الجوكيّ من يدهِ وركزها على ارض الغرفة وكانت من خشب فلبثت واقفةً كأنها مغروزة فيها فتقدم المسيو هرّيت ليأخذها فلم يستطع تحريكها من مكانها فتركها ووقف جانباً . فقال لهُ الجوكيّ عُد الآن وخذها فانها لا تمتنع عليك ففعل فلم يكن فيها اقل مقاومة . فقال لهُ هل لك ان تعيدها واقفة كما فعلت أنا فركزها على الارض وتركها فانقلبت وقد رسمت قوس دائرة حول النقطة التي ركزها فيها . وخاف الدكتور ان ينكسر تمثال العاج فبدر منهُ صوت تأسُّف وللحال وقفت العصا

مائلة على الهيئة التي كانت عليها في دورانها . فالتفت اليَّ الجوكيّ وقال مُرها أن تستقيم فامرتها فرسمت قوساً اخرى على عكس ما رسمت اولاً ثم انتصبت عمودية وثبتت في مكانها

فقال لهُ الربان هَبْ ان العصا تطيعك اذا كانت على الارض فاذا وضعناها على هذه المائدة أفتطيعك ايضاً . قال عليك بالامتحان . فعمدنا الى المائدة نقلّبها ونفحصها حتى تحققنا خلوّها من كل تدبير احتيالي ولزيادة الثقة اخذنا جميع الحُصر المفروشة في أرض المكان ووضعنا بعضها فوق بعض ثم أقمنا المائدة فوق الجميع واذ ذاك تقدم الجوكيّ وأخذ العصا فوضعها قائمة فوق المائدة فلبثت واقفة كما وضعها . فدنونا من المائدة ونظرنا تحتها فلم نجد شيئاً وأخذ الدكتور عدة إبَر من الفولاذ وألقاها فلم يكن في شيء منها حركة انجذاب مما أثبت لنا انهُ لم يكن هناك مغناطيس . وقد حاولنا الواحد بعد الآخر أن نرفع العصا عن المائدة فلم نستطع ولم يمكن أن تنفصل عن المائدة الا حين امرها الجوكيّ

وبعد ان فرغنا من أمر العصا عمد الجوكيّ الى كُمّتي فأخذها عن رأسي ووضعها على المائدة ثم امرها فأخذت تدور ثم وضعها على الارض فدارت كذلك على هيئاتٍ شتى ورسمتْ دوائر مختلفة من كل نوع وهي في كل ذلك تدور حول نفسها . ثم دارت من حولنا عدة مرات وخطَت في طول الغرفة وعرضها وكانت اذا دنت من الجدران تعطف فتستتمّ دورانها وهي تارةً ترجف رُوَيداً وتارةً تجري بسرعةٍ شديدة . ثم تسلّقت احدى ارجل المائدة ولما بلغت سطحها دارت عدة دورات ثم رجعت

فنزلت على رجلٍ اخرى حتى بلغت الارض

فقال الربّان لو شئنا ان ترتفع في الهوآء هل تحتاج الى ما تعتمد عليهِ .
فلم يزد الجوكي على ان دنا من الكمة وهو صامت فتناولها وبحركةٍ خفيفة قذفها صُعُداً فارتفعت الى علوّ مترين ولبثت واقفةً بين السمآء والارض واذ ذاك اضطجع الجوكيّ على حصير واشغل غليوناً من الافيون

(ستأتي البقية)

اسئلة واجوبتها

القاهرة — رأيت كثيراً من عليــة الكتاب وتابعيهم يستعملون كلمة « وجدان » ويريد بها النفس والضمير وقد بحثت فيما امكنني الحصول عليهِ من كتب اللغة فلم اجد لها هذا المعنى . وكذلك يكتب كثيرٌ من الكتاب « لا اكلمهُ رأساً » يريدون التأبيد و « كلّمتهُ رأساً » يريدون مشافهةً وقد استعمل هذا التركيب الاخير حضرة الفاضل كاتب روايات « جيرار » وفي رأيي ان هذا الاستعمال مختصرٌ من «رأساً لرأس» فما قولكم في ذلك كلهِ　　علي الجارم بدار العلوم

الجواب — اما « الوجدان » فهو مصدر وَجَد والمراد بهِ في مثل ما ذكرتم الشُعور النفساني كوجدان اللذة والالم والفرح والغمّ وما يجري هذا المجرى وهو مجاز عن الشعور بأعراض المحسوسات كوجدان طعم الشيء او رائحتــهِ او ملمسهِ . قال في تاج العروس « قال المصنف في البصائر نقلاً عن ابي القاسم الاصبهاني الوجود أَضرُب وجود باحدى

الحواسّ الخمس نحو وجدت زيداً ووجدت طعم الشيء ورائحتهُ وصوتهُ وخشونتهُ ووجود بقوّة الشهوة نحو وجدت الشبَع » الى آخر ما هناك .
وفي شرح المواقف في الكلام على الكيفيات النفسانية «اللذة والالم بديهيان فلا يعرَّفان لتحصيل ماهيتهما فان الاحساس الوجداني بجزئياتهما قد افاد العلم بتلك الماهية »

واما قولهم « لا أكلهُ رأساً » فهو كقولنا لا أكلهُ اصلاً اي امنع الكلام من اصله . قال في الكليات «وما فعلتهُ اصلاً اي بالكلية وانتصابهُ على المصدر او ... ي ذا اصل فان الشيء اذا أُخِذ مع اصلهِ كان ... وكذا رأساً » اه . واما قولهم « كلمتهُ رأساً » فلم نعثر فيهِ على كلام لأحد ولا يبعد ان يكون الاصل فيهِ ما ذكرتم

المطرية (دقهلية) - في الليلة العاشرةِ من شهر رمضان سنة ١٣٢٣ رأيت حول صفحة القمر البيضآء الفضية هالةً خضرآء زبرجدية محاطة بدائرة حمرآء ياقوتية فما هذه الهالة وما سبب ظهورها ح . ع . ج

الجواب — تقدم لنا كلامٌ وافٍ في الهالة واسبابها في الجزء العشرين من السنة الرابعة (ص ٦٠٩) فراجعوهُ في محلهِ ان احببتم ومنهُ يتبين لكم ان ما وصفتم بهِ الهالة المذكورة لا يخلو من سهوٍ اذ جعلتم اللون الاخضر من الداخل والاحمر من الخارج وهو خلاف الطبع كما يتحقق لكم مما ذُكر من تعليلهِ هناك

آثار ادبيّة

كتاب الامامة والسياسة — اطرفنا حضرة الاديب محمد محمود افندي الرافعي بنسخةٍ من هذا الكتاب تأليف ابن قُتَيبة النحويّ اللغويّ المشهور. وهو كتابٌ نفيس جمع فيهِ اهمّ الاخبار والوقائع التاريخية مما يتعلق بمسائل الامامة وقد ابتدأهُ من عهد الامام ابي بكر الصدّيق وتتبع ما وقع بعد ذلك من الحوادث الى عهد خلافة المأمون وضمَّنهُ كثيراً من الخُطَب المنتقاة والرسائل البليغة بحيث كان الكتاب جامعاً بين الفائدتين التاريخية والادبية . وقد صدّرهُ الناشر بترجمة المؤلف بعد ان عني باختيار اصحّ نُسَخهِ واوضح بعض مشكلاتهِ نقلاً عن المصادر الموثوق بها. فنثني على همتهِ لما توخى في نشر هذا الكتاب من خدمة العلم ونحثّ الادباء على مقتناهُ وهو يباع في اشهر مكاتب القطر وثمنهُ عشرة قروش مصرية

خطابٌ في الافلاس — هو خطابٌ القاهُ حضرة الاصولي الكاتب نجيب افندي الشوشاني في منتدى الكلية الاميركانية في بيروت عدّد فيهِ ضروب الافلاس واحكامهُ النظامية وانواع العقوبة عليهِ عند امم مختلفة ثم فصّل اسباب الافلاس التقصيري والاحتيالي وشرح ما يترتب عليهما من بوار التجارة والاضرار باصحاب الاموال من جميع الطبقات مع بيان الوجوه التي تسوق اليهما وتجرّئ عليهما وكل ذلك ببيانٍ شافٍ يدل على براعة الخطيب فنثني على حضرتهِ ثناءً طيباً ونرجو ان يكون في خطابهِ للتاجر عبرة وللحكام موعظةٌ وذكرى

فكاهات

الكولونيل جيرار (١)

— ١٢ —

اخبرتكم في حديث سابق ان المارشال ماسينا استدعاني اليهِ فلما بلغتني دعوتهُ توجهت الى معسكرهِ مسروراً لانهُ كان يحبني ويجلني اكثر من بقية الضباط . فوجدتهُ جالساً في خيمتهِ وقد أسند رأسهُ بيدهِ وعلى جبهتهِ غضون تدل على انهُ في اهتمام عظيم . ولكنني ما صرت امامهُ حتى سُرّي عنهُ ونظر اليَّ متبسماً وسبقني في التحية ثم سألني عن فرقتي فقلت انِ رجالي وجيادهم لا مثيل لهم في كل الجيش . قال وجراحك قلت انها لا تبرأ ابداً . قال ولمَ ذاك قلت لانهُ كلما برأ جرحٌ اصابني غيرهُ . قال انك لتباري الجنرال راب في شهرتهِ فانهُ اصيب باحدى وعشرين رصاصة من الاعداء ونظيرها من خناجر قطاع الطريق وقد علمت انك متألم مما أصابك فلم استدعِك قبل الآن . قلت وهذا قد آلمني اكثر من الكل . فتبسم ثانيةً ثم قال لا يخفى عليك انهُ بعد بلوغ الانكليز تورس فدراس لم يبقَ علينا عملٌ خطير نقوم بهِ فلذلك لم يَفُتْك ما يستحق الذكر من الاعمال المهمة اثناء اعتقالك في سجن دارتمور واما الآن فقد حان وقت العمل . قلت وهل في نيتكم الهجوم غداً . قال كلا بل التقهقر . فلما سمعت هذه الكلمة طار رشدي فانني كنت لا أزال حاقداً على ولنتون لانهُ لم يسمع توسلاتي حين طلبت منهُ اخلاء سبيلي ولم يجبني الا بارسالي الى سجن بلادهِ فلم يهن عليَّ ان اسمعَ كلمة التقهقر امامهُ . وادرك ماسينا ما يجول في خاطري فقال لا يسوءك الامر يا جيرار فاننا

(١) بقلم نسيب أفندي المشعلاني .

محاطون بالاعدآء من جميع الجهات ولا بدَّ لنا من تغيير مركزنا بالانتقال • فقلت ولمَ لا يكون انتقالنا بالهجوم الى الامام • فهزَّ رأسهُ وقال يصعب علينا خرق صفوف الاعدآء ولا سيما بعد ان فقدت الجنرال سنت كروا وغيرهُ من الرجال الذين لا اجد من أستعيضهُ عنهم وفوق ذلك فقد صار لنا ستة أشهر في سانتاريم ولم يعد يوجد في هذه النواحي صاع دقيق أو زق خمر فترى انهُ من اللازم ان ننسحب • فقلت ولكنهُ يوجد كثير من الحنطة والخمر في لسبون • فقال وهل ظننت ان الجيش كلهُ نظير فرقتك يستطيع العبور ذهاباً واياباً بدون خوف المعارضة فلو كان المارشال سولت هنا بالثلاثين الفاً لنظرنا في ذلك •••••والآن لنعد الى حديثنا فقد استدعيتك يا جيرار لامر خطير نويت ان افوض اليك القيام بهِ • فابرقت أسرتي لدى سماع ذلك • ثم أخذ خريطة بسطها امامي وجعل يدلني على الامكنة المرسومة عليها فقال هذه سانتاريم وعلى مسافة خمسة وعشرين ميلاً الى الشرق منها بلدة المايكسال المشهورة بنضارة مزروعاتها وخصب كرومها وخصوصاً الدير الكبير المبني هناك وفيها الآن المارشال ميلغلار وهو انكليزي الاصل ومن أسرة شريفة • فالذي اريدهُ منك الآن هو ان تذهب الى هذا المارشال وتشنقهُ على اقرب شجرة تصل اليها • فقلت السمع والطاعة ثم حولت ظهري ومشيت • فقال لي الى أين قلت لانفذ امرك يا مولاي • فتبسم وقال مهلاً الى ان اطلعك على التفاصيل قبل مسيرك • فاعلم ان المارشال ميلغلار رجل شجاع لا يهاب الموت وقد كان ضابطاً في الحرس الانكليزي ولهُ ولع بالمقامرة فطردوهُ من الخدمة بسبب غشٍّ حاولهُ وتمكن من جمع بعض الجنود الآبقين فتحصن بهم في الجبال ثم انضم تحت لوآئهِ عدد من فُرّاغ الفرنسويين وقطاع الطرق من البرتوغال حتى صار اميراً على اكثر من خمس مئة مقاتل فهجم بهم على دير المايكسال فامتلكهُ وطرد الرهبان منهُ وحصَّنهُ • واتفق في الاسبوع الغابر ان الكنتة لاروندا اشهر مثريات اسبانيا مرت من تلك الناحية فأسرها رجال المارشال وسجنوها في الدير وهددوها بالقتل ان لم تفدِ نفسها بمبلغ عظيم من المال • وقد استدعيتك لتقوم بثلاث مهمات وهي ان

تخلص تلك السيدة وان تعاقب ذلك الغادر وان تشتت شمل عصابتهِ . واعلم ان ثقتي بهمتك تحملني على ان لا أسمح لك باكثر من نصف فرقة لترافقك في اتمام هذا العمل لانهُ لا يمكنني اعطآؤك اكثر وقد بدأت بالتقهقر وانت لا تجهل مقدرة ولنتون ورجالهِ ومتى فرغت من مهمتك فقابلني مسآء غدٍ في أبرانت حيث اكون في انتظارك

ولا تسألوا عن سروري بهذه المهمة مع علمي بما فيها من المشقة لانني كلفت انقاذ الكنتة ومعاقبة الانكليزي بالشنق وتفريق رجالهِ الخمس مئة وذلك جميعهُ بمساعدة خمسين رجلاً غير ان هؤلآء الخمسين كانوا من الهوسار وقائدهم جيرار . فللحال ذهبت بنفسي فاخترت الرجال واكثرهم من الذين حضروا معارك الحرب الالمانية وعليهم آثار المواقع التي خاضوا غمارها ولم أرَهم سائرين ورآئي وتحت قيادتي. حتى شعرت ان قلبي يرقص طرباً

وكان من الحكمة ان لا نعرّض انفسنا للجيوش الانكليزية التي بثت العيون والارصاد في جميع النواحي فسرت بفرقتي القليلة في طرقٍ غير مألوفة بين وهاد وحقول مزروعة ونحن بلا دليل يقودنا او وجود احد نستفهم منهُ حتى ادركنا المغيب في وسط وادٍ قد كست جوانبهُ اشجار السنديان . وبينما نحن نتسلل بين الاغصان اسرع اليَّ أحد الجنود وقال لي انهُ رأى فرقةً من فرسان الانكليز الى جانبٍ منا فأهمَّني الامر ونظرت الى حيث أشار فرأيت فرقةً لا يزيد عدد رجالها عن عددنا ورأيت أنها تسير مثلنا الى جهة مخصوصة وعرفت من اول نظرة مقدار قوتها فوقعت بين امرين اما ان نعارضهم وقد تحققت الفوز عليهم او ان ندعهم وشأنهم لانفاذ مهمتنا التي كانت تُلزمني ان احافظ على جميع رجالي فلا افقد واحداً منهم . فأمرت فرساني بالوقوف واسندت يديَّ على سرج الجواد وجعلت استشير نفسي واذا بفارس انكليزي قد ظهر امامي ولما رآني صاح برفاقهِ فتبعوهُ ووقفوا امامنا صفاً مستطيلاً وللحال أشرت الى رجالي فأقمتهم صفًّا يقابل ذاك وبين الصفين نحو مئتي يرد . ولما وقفنا بعضنا امام بعض وأنا افكر في ما ذا يجب ان افعل اذا بضابط الفرقة

الانكليزية قد استلّ سيفهُ وتقدم نحوي كانهُ يدعوني الى المبارزة . فأُعجبت بشبابهِ وبجلوسهِ على صهوة جواده حتى كدت أنسى كل ما أنا فيهِ وأنا اتامل محاسنهُ . ولكن اتيان جيرار لن يكون متأخراً عن واجباتهِ بل ان جوادي ايضاً يعرف صفاتي فلم يطق ان يرى الضابط الانكليزي يتقدم وانا واقف في مكاني فتقدم نحوهُ وبذلك نبهني الى انهُ يجب عليَّ ان لا ابقى متأخراً

ولما كانت ذا كرتي اسرع من البرق كما علمتم مما رويتهُ لكم فلما اقتربت من الضابط الانكليزي تحققت انني قابلتهُ قبل تلك المرة وللحال عرفت انهُ هو نفس الضابط الذي أنقذني من قطاع الطرق الاسبانيول والذي لعبت معهُ بالورق قبل اسري وأخذي الى سجن دارتمور وانهُ هو نفسهُ المسمى السير رسل بارت فصحت بهِ أهلاً بك ايها العزيز بارت . وكان قد استلَّ سيفهُ وعزم على منازلتي فلما سمع كلامي وعرفني حنى سيفهُ مسلماً وصاح بتبسم مرحباً بك ايها الصديق جيرار فقد ظننت اننا امام اعدآء لا بدَّ لنا من مقاتلتهم ولكنني ارى انني امام صديق قديم لا استطيع ان اقاومهُ . اما أنا فسرني ان الاقي صديقي القديم ولكنني لم اخلُ من استيآء لانني كنت اوثر ان أُري الانكليز نصال سيوفنا فقلت لهُ انهُ ليسرّني ايضاً ان اراك ولكنهُ يسوءني انني لا أستطيع تجريد سيفي في وجه رجل انقذني من الموت . وكان جوادانا قد تقاربا فصافحني وقال اننا تقابلنا قبل هذه المرة وكنت انت تمدح رجالك ومقدرتهم واراني الآن امامك برجالي وقوتنا متعادلة فما قولك اذا جرَّبنا جنودنا ليقنع بعضنا بعضاً بالبرهان . قلت لا أُحبّ اليَّ من ذلك فقد رأينا مقدَّم فرقتك وسأُري جنودي مؤخرها . فقهقه ضاحكاً وقال لا بأس فاذا غلبنا كم كان ذلك تأييداً لمعتقدي واذا غلبتمونا كان لكم ما تريدون وكان السعد مرافقاً لنجم المارشال ميلغلار . فلما سمعت هذا الاسم اعترتني هزة فقلت لهُ وما مرادك من ذكر هذا الاسم . قال انهُ اسم متشرد يقطن هذه الجهات وقد ارسلنا الجنرال ولنتون لالقاء القبض عليهِ وشنقهِ بدون توقف . فقلت وقد بان الاستغراب على وجهي ان المارشال ماسينا قد وجهنا لهذه الغاية عينها وتلا كلامي ضحك كلينا ثم اغماد سيوفنا

وللحال احتذت الفرقتان مثالنا فأغمدت الجنود سيوفها وكان لها صليل مطرب • ثم قال لي اذاً نحن متحالفون قلت نعم ولكن ليوم واحد • قال لا بأس فلنضمّ قوتنا معاً وهكذا تحوَّل عزمنا عن مهاجمة بعضنا بعضاً الى جمع الفرقتين وقيادتهما لقضاء المهمة التي حكم الاتفاق ان تكون واحدة • و بعد كلام قليل أصدرنا اوامرنا فسرت مع الضابط في المقدمة جنباً الى جنب وسارت جنودنا صفين متحاذيين ولم يفقه أحد منهم ما دار بيننا من الحديث ولكنهم كانوا ينظرون بعضهم الى بعض نظرات الحقد والازدراء • ولم يهمني كل ذلك فجعلت أقص على رصيفي ما جرى لي بعد اسري وارسالي الى سجن دارتمور وكيفية نجاتي ثم قص عليَّ كيف حوكم على اطلاقهِ سراحي وقت لعبنا بالورق وكيف حكم المجلس العسكري عليهِ بسبب الاهمال • ولم نزل سائرين نتبادل الحديث الى ان بلغنا وادياً فسيحاً فوقفنا للاستراحة وظهرت امامنا قرية صغيرة فيها بناية عظيمة عرفناها للحال انها دير المايكسال الذي نقصدهُ • ولما ظهرت لنا مناعة ذلك الدير وحالة تحصينهِ علمنا ان لدينا مهمة خطيرة جدًّا لم يكن الفرسان الذين معنا ليقوموا باتمامها فقال لي صديقي لو رأى ولنتون وماسينا ما نرى نحن الآن لاصدرا اوامر غير التي اصدراها في ارسالنا • قلت لا بأس ايها الصديق واذا كان القائدان قد اخطأا في تدبير ما يلزم فانرهما بفعلنا اننا نتمكن من اصلاح خطأهما • و بعد هنيهة قال لي انك اقدم مني في الجندية و بما أن غرضنا واحد فانني افوّض اليك التدبير والقيادة • قلت مهما كان عملنا فيجب ان نفعلهُ في الحال لانني مضطرّ ان اكون غداً مع فرقتي في ابرانت حيث ينتظرني ماسينا وجيشهُ • ولما قلت ذلك حانت مني التفاتة فرأيت على مقربةٍ منا بيتاً اشبه بفندقٍ وعلى بابهِ صاحبهُ وراهب يحادثهُ بحدّة • فتقدمنا الى جهتهما ولما نظرانا اسرع صاحب الفندق بالخروج يريد الهرب وراَهُ احد الجنود الانكليز فتبعهُ وقبض عليهِ • ولما صار أمامنا قال لنا بتذلل ارحماني يا سيديَّ فقد مرَّت عليَّ جنود الانكليز والفرنسويين فلم يبقَ في فندقي طعام ولا شراب بل نهبوا كل شيء عندي وقد جاءني هذا الراهب يطلب قوتاً فلم يجده وقبل ان يتم كلامهُ تقدم الراهب ايضاً وقال لقد صدق صاحب

الفندق في قولهِ فانهُ أصبح لا يملك شيئاً كما اختبرت انا ذلك بنفسي فلا خوف من اطلاق سراحهِ لانهُ لو أراد الهرب لما استطاع

أما انا فكنت اسمع الحديث وقد وجهت نظري الى الراهب افحص هيئتهُ بنظري الحاد فوجدتهُ رجلاً اسمر اللون شديد العضل ذا لحيةٍ سوداء كثيفة طويل القامة حسن التركيب تلوح على وجههِ ملامح السلطة والعظمة • فقلت لصاحب الفندق لا تخف يا هذا اما انت يا أبتِ فاظنك الوحيد الذي يمكنك ان تطلعنا على ما نريد معرفتهُ • قال انني رهين امركم ولكنني اكاد اموت من الجوع فهل لديكم ما يرد اليَّ رمقي • فقدَّمت لهُ بعض ما حملتهُ جنودي من الزاد فالتهمهُ بشرهٍ ثم قلت لهُ يهمنا معرفة احوال دير المايكسال وقوة المتشردين الذين تحصنوا فيهِ • فلما سمع كلامي رفع يديهِ الى العلاء وتمتم باللغة اللاتينية ثم قال لم اكن اظن ان صلاتي تستجاب بسرعةٍ كهذه فانا رئيس الدير الذي تطلبونهُ وانا الشقي المطرود من ديرهِ بل رئيس تلك الكنيسة التي جعلها المارشال ميلغلار مأوًى للصوص • ولما قال هذا جعل ينتحب وسالت دموعهُ على خديهِ حتى رثى لهُ صديقي فجعل يلاطفهُ ويعدهُ انهُ سيعيد اليهِ ديرهُ ورئاستهُ قبل بزوغ الصباح • فقال الراهب انهُ لا يهمني نفعي الشخصي ولا منفعة الرهبان اخواني بل يسوءُني ان يبتذل هذا المكان المقدس وان تصبح كل الشعائر الدينية الموجودة فيهِ هزءا وسخريةً للمارشال ميلغلار ورجالهِ • فقال لهُ صديقي لا تخف ولا تحزن بل أرِنا كيفية الدخول الى الدير ونحن نواثقك على رد كل شيء الى ما كان عليهِ • ولما تحقق الراهب غرضنا جعل يطلعنا على ما تهمنا معرفتهُ وأخبرنا أن سور الدير يزيد عن الاربعين قدماً في الارتفاع وان نوافذهُ محصنة بالقضبان الحديدية تتخللها بنادق اللصوص لصدّ هجوم العدو وهم يتناوبون الحراسة بتمام الدقة والترتيب ويساعدهم في ذلك وفرة عددهم حتى انهُ يستحيل ان يبغتهم أحد قبل ان يعلموا بهِ

وكانت فرساننا في هذه الاثناء قد نزلت عن جيادها للاستراحة فدخلت بالراهب وصديقي الانكليزي الى احدى غرف الفندق لنبحث في الامر وكان في

جيبي زجاجة من الكنياك قسمتها بيننا لتنشيط صديقي ثم قلت لهما لا شك ان رجال المارشال لا يعلمون شيئاً من قدومنا وغايتنا فأرى الاحزم ان نختفي في احدى جهات الغابة حتى اذا فتحوا ابواب الدير هجمنا عليهم وهم غير مستعدين فننال غايتنا . فوافقني الضابط على هذا الرأي واما الراهب فقال انني اخالف رأيكما لانهُ لا يوجد مخبأ الا في جهة البلدة فلا يؤمن اذا رآكم احد اهلها ان يبلغ المارشال الخبر فيذهب سعيكم سدًى . فقلت ولكنني لا ارى لنا غير هذه الطريقة لان عددنا اقل مما يكفي لمهاجمة سور الدير فضلاً عن عدم وجود المدافع معنا . فقال الراهب انني وان كنت من رجال السلام فانني انصح لكما بما يساعدكما على نيل المقصود فاعلما انهُ يأتي كل يوم الى الدير عدد من رجال الانكليز والفرنسويين ويطلبون الانضمام تحت راية المارشال فأرى الافضل ان تدَّعيا انكما آتيان بمن معكما لمثل هذه الغاية ومتى قلتما انكما آتيان من معسكركما للانضمام اليهِ فلا يتأخر عن ادخالكما ومتى صرتما مع رجالكما داخل جدران الدير فدبرا ما ترومانهِ . ولما سمعت هذا الرأي لم ألبث ان استصوبتهُ غير ان الراهب اردف ذلك بقولهِ لا يخفى ان المارشال ميلغلار رجلٌ ذكي جدًّا متوقد الخاطر فقد لا تجوز عليهِ هذه الحيلة اذا رأى فرقة انكليزية بتمامها وفرقة فرنسوية بتمامها آتيتين اليهِ وقد يريبهُ امركم . قلت اصبت يا أبتِ فالاحوَط اذاً ان يدخل نصفنا اولاً فينامون ليلتهم وفي الصباح يفتحون ابواب الدير لدخول الخمسين الآخرين . وصادف رأيي استحسان الراهب والضابط فجلسنا نتباحث فيهِ بتأنٍّ وتدبر حتى لوكان ولتون وماسينا معنا لما تمكنا من التصميم على احسن مما قررناهُ نحن . ثم نظر اليَّ الراهب وقال اذا القيتم القبض على هذا الخبيث ميلغلار فماذا تفعلون بهِ . قلت قد حكمنا عليهِ بالشنق ولا بد من تنفيذ الحكم . قال ان الشنق قليل عليهِ فلو خُيِّرت انا في اهلاكهِ لاخترت لهُ . . . ولكن لا يليق بكاهن نظيري ان ينتقم . ولما قال هذا وضع يدهُ على جبهتهِ كأنهُ يسكّن اضطراب افكارهِ ثم خرج من الغرفة . ولما خلوت بالضابط الانكليزي جعلنا نبحث في من منا يدخل الدير كما قررنا ومن ينتظر خارجاً . ولا يغرب عن

بالكم ان جيرار لم يكن ليسمح لاحد بالتقدم عليهِ في المواقف الخطرة غير ان رصيفي لبث يتوسل اليَّ ويستحلفني بكل عزيز وكريم أن اسمح لهُ حتى اضطررت الى اجابة طلبهِ فصافحتهُ علامة الرضى والموافقة . وللحال سمعنا ضجةً في الخارج وصراخاً وحركة مما جعلنا نظن ان رجال المارشال قد اطبقت علينا فخرجنا فرأينا نحو عشرين من فرسان الانكليز ونظيرهم من الهوسار قد هجموا بعضهم على بعض ودارت بينهم الملاكمة والمخاصمة بشدة . فأسرعنا الى تفريقهم بالحسنى فلم تجدِ توسلاتنا وملاطفتنا شيئاً ولم نتمكن من كفهم الا بعد ان جردنا سيوفنا وسرنا بين صفوفهم . ورأيت الراهب واقفاً على باب الفندق يرسم علامة الصليب ويتمتم بكلمات الصلاة ويطلب مساعدة القديسين . وعلمنا بعد الفحص ان الراهب نفسهُ كان سبب العراك فانهُ لما تركنا في الغرفة خرج الى الفرسان فرأى ضابطاً انكليزيًّا فقال لهُ يا ليت لكم مثل شجاعة الفرنسويين . ورأى الضابط فارساً فرنسويًّا بجانبهِ فلكمهُ ليري الراهب شجاعتهُ وللحال اطبقت الفرسان بعضها على بعض كما مرَّ . ورأيت من وجوه الفرسان انهم لا يزالون يودّون الرجوع الى العراك فأحببت ان الهيهم عن ذلك وقلت لصديقي ارى الافضل ان نسير لاتمام ما قصدنا ان نفعلهُ . فاقترب من رجالهِ واطلعهم على ما دبرناهُ فأظهروا السرور ثم سار امامهم وتبعوهُ بدون نظام ليدخلوا الدير كأنهم بالحقيقة هاربون من المعسكر . فودعناهم راجين لهم الخير ومنتظرين ان يفتحوا لنا ابواب الدير في صباح اليوم الثاني ولم نزل نتبعهم بانظارنا حتى بلغوا الدير فوقفوا ريثما تمت الاستعلامات اللازمة ثم دخلوا وحجبهم السور عن نظرنا

وكان الليل حالك السواد والمطر يتدفق بغزارة فسرني ذلك لانهُ يساعد على اختفائنا ثم فرَّقت الفرسان حولنا للحراسة ودخلت الفندق فرأيت فيهِ فراشاً توسدتهُ ونمت . ولا انكر ايها الاصدقاء انني كما اشهد لنفسي بالشجاعة التي لا تماثل وعدم المبالاة بالاخطار يجب ان اعترف ايضاً بما ينقصني مما لا بد منهُ لمن كان مثلي وهو النوم الخفيف فانني كنت اذا نمت يصعب ايقاظي . وهذه النقيصة كانت سبباً لدخول المكيدة عليَّ في تلك الليلة فانني بعد ان نمت آمناً افقت نحو الساعة

الثانية بعد منتصف الليل على رائحة غريبة كادت تخنقني وحاولت ان اصيح فلم استطع ثم حاولت الوقوف فلم اتمكن لاني وجدت يديَّ ورجليَّ مربوطة رباطاً متيناً اما عيناي فكانتا مطلقتي السراح فنظرت الى جوانب الغرفة فازددت استغراباً ودهشةً لاني رأيت امامي صاحب الفندق والراهب . وكنت قد رأيت صاحب الفندق بالامس فكانت هيئتهُ تدل على الجبن والبله اما الآن فوجدتهُ عنوان الشراسة ومثال الانتقام وقد اخذ بيده خنجراً يلوح الموت على حدّه . اما الراهب فكان لا يزال كما كان غير ان ثوبهُ قد فتح من الامام وبان تحتهُ لباس الضباط الانكليز . ولما وقعت عيني عليهِ اتكأ على سريري وهو يتبسم وقال اعذرني يا حضرة الكولونيل جيرار اذا تبسمت فان هيئتك الآن تضحك الثكلى ومع اني اشهد لك بالجرأة والاقدام فانك لا تزال بعيداً عن مساواة خادمك الحقير الذي يكلمك الآن والذي يسمونهُ المارشال ميلغلار . ولو وجدت نفسي تلك الساعة في الجحيم وملائكة الشر تكلمني لما تعجبت ودهشت كما حصل لي عند سماعي تلك الكلمات فلبثت صامتاً اتفرس فيهِ . ثم تقدم صاحب الفندق فهمس في اذنهِ شيئاً فقال لهُ لا ايها العزيز فان حياتهُ تنفعني اكثر من قتلهِ . ثم نظر اليَّ وقال اشكر الهك يا جيرار على نومك الثقيل لانك لو افقت حين كان صديقي هذا يقيدك لكنت الآن في عالم الاموات وانصح لك الآن ان لا تحاول التملص منهُ او الاستنجاد عليهِ لانهُ ليس اقل خطراً مني . ولا تتعجب اذا قلت لك انك منذ سرت من معسكرك وسارت الفرقة الانكليزية من معسكرها عرفنا بكم وراقبنا حركاتكم واحضرنا جميع الاستعدادات في الدير لملاقاتكم . ولكننا كنا نود وصولكم جميعاً الى الدير لا وصول نصفكم فقط لان من يدخل باب الدير يرى نفسهُ في عرصة تحيط بها نوافذ وفيها البنادق المصوبة فاما الخضوع والتسليم او الهلاك المحتوم . ولكي اريك تدابيرنا بعين الحقيقة سنأخذك معنا الى الدير ونريك ذلك عياناً وتقابل هناك صديقك الانكليزي ايضاً . ولما قال هذا امر صاحبهُ ان يعتني بحراستي ليذهب ويرى الاستعدادات الاخرى . واتى صاحب الفندق فجلس على حافة السرير وخنجرهُ بيدهِ ليزيد

عذابي فكدت اجن من الغيظ وملت نفسي كثيراً ثم خطر لي انهم سيأخذوني اسيراً الى الدير فأي اهانة بعد هذه وجربت ان امتحن قوة وثاقي فوجدتهُ متيناً يدل على براعة الفاعل فعمدت الى السكوت . وبعد قليل سمعت وقع اقدام فظننت ان الراهب قد عاد ولكنني ما عتمت ان رأيت في باب الغرفة احد فرساني واسمهُ بابيليت . ولا ازيدكم علماً ان جميع فرساني قد تعلموا مني ان يكتموا بلحظة واحدة ورأى بابيليت حال دخولهِ ما انا فيهِ فسمعتهُ يشتم ثم استل سيفهُ وهجم على صاحب الفندق . وحاول هذا ان يقابلهُ بخنجرهِ ولكنهُ خطر لهُ فكرٌ آخر فعاد اليَّ ولما صار بقربي رفع يدهُ بالخنجر وضربني بمنتهى قوتهِ وكنت قد قرأت ذلك في عينيهِ فجمعت قوايَ وقبل ان تصل ضربتهُ كنت قد انقلبت عن السرير الى الارض فمرَّ خنجرهُ حذآء خاصرتي ودخل في الفراش الى الخشب . وقبل ان يرفع يدهُ ثانيةً كان قد اصبح شطرين تحت سيف بابيليت الذي كان امهر الفرسان في ضرب الحسام وفي أقل من لمح البصر فك وثاقي فلم اصدق ان وقفت امامهُ مطلقاً حتى ضممتهُ الى صدري وقبلتهُ

وكانت التقادير قد قادت بابيليت الى نجاتي وكان لا يعلم شيئاً من امر الكاهن وصاحبهِ وانما جآء ليوقظني ويتلقى أوامري فرآني في تلك الحال وقد اخبرتهُ بالاختصار بما جرى . واننا لكذلك واذا بوقع أقدام اخرى عرفت للحال انها أقدام المارشال ميلغلار وقبل أن اتكلم عرف بابيليت فكري فاختفى ورآء الباب فأشرت اليهِ ان لا يؤذي المارشال ثم عدت ونمت على سريري ولم اكد افعل حتى فتح الباب وظهر ردآء الراهب ولكنهُ لم تطأ قدماهُ ارض الغرفة حتى وثبنا اليهِ فأظهر منتهى القوة الجسدية حتى كاد يتملص منا لو لم يقترب منهُ بابيليت بحسامهِ ورأى ان لا فائدة للمقاومة فأذعن لنا فأوثقناهُ بنفس الوثاق الذي كنت مقيداً بهِ . أما هو فتبسم وقال لا بأس فقد ساعدكما الحظ وقتلتما صاحب الفندق رحمهُ الله فأرجو منكما ان تلقياني على السرير لانني لم أعتد توسد الارض فرفعناهُ حسب طلبهِ ثم أنفذت بابيليت لاستدعآء الفرسان و بقيت احرسهُ وحدي . فقال لي هل تكفل ان يعاملني رجالك

معاملة لطيفة . قلت كن براحة يا هذا فاني اعرف قيمة أمثالك . و بعد قليل دخل علينا بعض الفرسان ففوضت اليهم حراستهُ وجعلت افكر فيما يجب ان افعلهُ لانني أنفذت القسم الاول من واجباتي بالقاء القبض على المارشال وقد بقي عليَّ انقاذ الفرسان الانكليز الذين شاركونا في العمل وتخليص الكنتة لاروندا وتشتيت شمل عصابة الدير . ثم وضعت أسيري على ظهر جواد وجمعت فرساني وسرت بهم الى السهل المحيط بالدير حتى صرنا على مقربة منهُ وكانت هناك شجرة كبيرة وقفنا تحتها ورآنا حرس الدير فأنذروا الحامية فاجتمعوا على السور ينظرون الينا بازدراء . أما انا فقدت جواد الاسير الى الامام ولما رأوهُ تغيرت هيئتهم وارتفع بينهم صراخ اليأس والحزن والانتقام والتهديد مما دلني على شدة محبتهم لهُ واعظامهم لمقامهِ . وكنت قد احضرت معي حبلاً فأخذهُ بابيليت وعلقهُ في غصن من اغصان الشجرة ثم قال للمارشال اسمح لي يا سيدي ان انزع عن عنقك هذا اللباس الثقيل . فتبسم ميلغلار وقال دونك وما تريد . وما وضع الحبل حول عنقهِ حتى ارتفع صراخ شديد من سور الدير ثم فُتح بابهُ وتقدم الينا ثلاثة فرسان يحملون رايات بيضاً علامة السلم فأشرنا اليهم بالتقدم . ولما اقتربوا حيونا بكل احترام ثم بدأ احدهم بالكلام فقال يوجد عندنا سبعة وثلاثون فارساً انكليزيًّا اسرناهم بالامس فاذا شنقتم مارشالنا ترون اولئك معلقين جميعهم حول السور . فقلت لهُ انهم واحد وخمسون فارساً . قال كانوا حين دخلوا ولكنهم قاومونا فاضطررنا الى اطلاق بنادقنا فقتلنا منهم اربعة عشر . قلت وضابطهم . قال لم يسلم سيفهُ الا بعد ان صار جثةً باردة ولسنا بملومين لاننا كنا نودّ ان نستبقيهُ . فحزنت على فقد هذا الصديق الذي كنت أحبهُ حقيقةً . ثم قلت لهم واذا أطلقت سراح مارشالكم فماذا تعطوني . قال نعطيك عشرةً من الفرسان . قلت لا يكفي . قال عشرين . قلت لا . قال جميعهم بخيولهم واسلحتهم . قلت ومعهم الكنتة لاروندا . قال هذا من المحال . فنظرت الى بابيليت وقلت لهُ اذاً لا بدّ من انفاذ حكمنا . فهمَّ بشدّ الحبل على عنق المارشال واذ ذاك تكلم المارشال فقال ان اصحابي سلموا بكل

شروطكم اما في أمر الكنتة فلا و بما انكم اختلفتم على هذا الامر فقط أفلا يكون الافضل ان تسألوا الكنتة نفسها هل تودّ الخروج لانهُ لا أنتم ولا نحن نريد حجز حريتها • فسرّني جدًّا هذا الاقتراح وامرت الرجال ان يرجعوا الى الدير و يحضروها و بعد قليل رجعوا وهي معهم فاستقبلها المارشال بتبسم وقال ان حضرة الضابط يرغب في أخذكِ الى حيث لا تعودين ترينا البتة فهل تؤثرين الذهاب معهُ أو البقآء هنا • وكانت قد اقتربت اليهِ فوضعت يديها حول عنقهِ وقالت كلا كلا ايها الحبيب فلن أفارقك ابداً • فنظر اليَّ بتبسم وقال هل سمعت من فيها يا عزيزي الكولونيل جيرار والآن فأذَن لي ان اعلمك بانك قد غلطت في تسميتها الكنتة لاروندا لانها قد صارت زوجتي وان شئت فهي المارشالة ميلغلار

فوقفت عند ذلك مبهوتاً ولا سيما عند ما رأيت تلك السيدة وقد شخصت عيناها الى وجههِ فلم يسعني الشك فيما رأيت ولكنني ازدريت بها على فعلها . فقلت حسنٌ فاسمحوا لي اذاً بالفرسان الانكليز فدآء لمارشالكم وأنا اذهب . فعاد الفرسان الثلاثة الى الدير وغابوا ريثما اخبروا الاسرى ثم احضروهم بجيادهم واسلحتهم الينا . فنزعنا الحبل عن عنق المارشال فتقدم اليَّ وقد مد يدهُ وقال لي استودعك الله يا حضرة الكولونيل ولا اشك انك لم تسرّ بهمتك هذه المرة ولكنني اكلفك ان تخبر المارشال ماسينا من قبلي انك اشجع واقدر من رأيت . والآن فهل يمكنني ان اخدمك بشيء . قلت لي طلبة ارجو ان تعدني بها وهي ان تدفن الضابط الانكليزي كما يليق بالشرفآء . قال اعدك بشرفي ان افعــل . قلت وطلبة أخرى وهي أن تبارزني مقدار خمس دقائق فقط . فقهقه ضاحكاً وقال لا فاني ربما أقتلك فأحرمك التقدم وأنت في اول ميدان الحيــاة أو تقتلني فتحرمني ملذات زواجي لانني لم أتمّ شهر العسل بعد . فسرتُ برجالي محيياً وقد استللت سيفي في وجههِ وقلت لا بد ان نلتقي فيما بعد ولي الامل انك لا تنجو مني في المرة الثانية

فقال الى الملتقى ايها العزيز واذا سئمت نفسك يوماً ما من خدمة امبراطورك فتيقن انهُ يكون لك في جيش المارشال ميلغلار المقام الاول


غرائب الاتفاق

الحرارة الحيوانية

من المعلوم ان كل حيوانٍ يشتمل على حرارةٍ غريزية مهما كانت البيئة التي يعيش فيها الا ان مقدار هذه الحرارة يتفاوت بين نوعٍ وآخر فأرفع الحيوان درجة حرارةٍ هو جنس الطائر وعلى الخصوص الطائر المعروف بالدُوريّ او البيوتيّ فان حرارتهُ تبلغ الى ٤٤° ولا تحطّ عن ٣٨° . ويلي الطير في ذلك ذوات الأَثدِي فان حرارتها تكون ما بين ٣٦° و ٤٠° ومعدّل حرارة الانسان منها ٣٧° . ولكن اذا نزلنا في مراتب الحيوان انتهينا الى انواعٍ سافلة الحرارة في الغاية وهي التي يُطلَق عليها ذوات الدم البارد والمراد بها الزحّافات والاسماك سميت بذلك في مقابلة ذوات الدم الحارّ وهي الطير وذوات الأَثدِي . فان الزحّافات منها كالأفاعي والوَزَغ واشباهها تهبط حرارتها مع هبوط حرارة البيئة المحيطة بها ولا تكاد ترتفع عنها زيادةً على بضع درجات واذا اشتدّت حرارة البيئة حولها ارتفعت حرارتها شيئاً قليلاً ثم تقف فتكون اسفل من حرارة البيئة . الا ان ذوات الغلاف الصَدَفي منها تكون حرارتها ارفع قليلاً من حرارة الزحّافات العارية لان هذه يتبدد من حرارتها اكثر مما يتبدد من حرارة تلك . واما الاسماك فحرارتها تكون أعلى من حرارة الماء الذي تعيش فيهِ بمقدار نصف درجة أو فوق ذلك قليلاً الى ما يقرب من درجتين . ويلحق بذوات الدم البارد الحيوانات التي لا فقار لها فان حرارة بعض الهُلاميات لا تزيد احياناً عن درجة و ٢٥ ، على حرارة البيئة التي هي فيها

ثم انهُ قد ثبت ان الحرارة الحيوانية تتفاوت تبعاً لاجزاء الجسم فهي تضعف كلما بَعُد العضو عن مركز الدورة . وهي اشدّ ما تكون في مغابن الجسم كالإبط والرُفغ وهو ما قابل الإبط من اصول الفخذين وفي التجاويف المتصلة بداخل الجسم كباطن الفم مثلاً . وتكون ارفع من ذلك ايضاً في الانسجة الغُدّية كالدماغ والكبد والرئة . وأحرّ اجزاء البنية الدم ومعدَّل حرارتهِ ٣٧° و ٧٥، الا ان الدم الوريدي تنحطّ حرارتهُ قليلاً عن الدم الشرياني اي نحو درجةٍ واحدة

وهناك امرٌ آخر وهو ان حرارة الشخص الواحد تختلف بين وقتٍ وآخر تبعاً لاحوالٍ خاصة فقد وُجد بالمراقبة انها تنحطّ كل مساءٍ نحو ثلاثة ارباع الدرجة لسبب بُطء الحركة التنفسية وهذا ما سماهُ بعضهم بالتذبذب اليومي . ومثل ذلك ما يحدث في حال النوم فان الحرارة تنحطّ نحو ثلثي الدرجة عما تكون عليهِ حال اليقظة

اما تأثير السنّ في حرارة الجسم فما لا يكاد يُشعَر بهِ وانما يكون الطفل اسرع برداً من البالغ ويحتاج الى كسوةٍ احرّ لقلّة جرمهِ وصغر جسمهِ وهو كالبالغ لا يقلّ معدَّل حرارتهِ عن ٣٧° . واما الشيوخ فدرجة الحرارة فيهم انقص قليلاً من الشبان . وللطعام تأثيرٌ في مقدار الحرارة فان الذي يأكل كثيراً تكون حرارتهُ ارفع من الذي يأكل قليلاً . وكذلك السِمَن يكون من اسباب توليد الحرارة في الباطن وهو فضلاً عن ذلك يكون سبباً في حفظها لان النسيج الشحميّ يحول دون انبعاث الحرارة من الجسم . ومن اعظم الفواعل في زيادة الحرارة الرياضة البدنية لان كل

عَضَلةٍ تنقبض تحمى بالضرورة

ومعلومٌ ان حرارة الجسم تنشأ عن اشتعال الموادّ الغذآئية بالاكسيجين الداخل اليهِ من الهوآء عن طريق الآلات التنفسية . وهذا الاشتعال يتمّ في جميع اجزآء الجسم لان الدم المنتشر فيهِ بواسطة الشرايين الشعرية يمرّ حاملاً الاكسيجين فيتحد بكربون الانسجة وينشأ عن اتحادهما الحامض الكربونيك فيحملهُ الدم الى القلب ومن هناك ينتقل الى الرئتين فيلقي الحامض الكربونيك ليخرج بالنفس ويمتص مكانهُ الاكسيجين الداخل من الهوآء ثم يعود الى القلب فيتوزع في الشرايين وهلمَّ جرًّا في تفصيلٍ ليس هنا محلهُ

ثم ان البرد والحرّ يؤثران على حرارة الجسم وعلى جميع الوظائف العضوية تأثيراً كبيراً فكلما انحطّت حرارة الجوّ وازدادت كثافة الهوآء يدخل الرئة مقدارٌ اعظم من الاكسيجين في كل تنفس وتلفظ الرئة كذلك مقداراً اعظم من الحامض الكربونيك وحينئذٍ فبالضرورة ينشأ هناك مقدارٌ اعظم من الحرارة يقاوم مفعول البرد لكن لا بد والحالة هذه من توفر الحظ الكافي من الغذآء لإِحداث هذه الزيادة في الاشتعال . وقد روى الربّان پرّي ان ذوات الأَثدِي في الاقاليم القطبية تحتمل البرد الى درجة تجمّد الزئبق اي الى ٤٠° من المقياس المِئَوي تحت الصفر فما دون ذلك الى ٤٦° . واما الانسان فبما يستخدمهُ من الذرائع الواقية يمكن ان يحتمل البرد الى ٥٦° تحت الصفر . على ان من الحيوان ما اذا اشتدّ عليهِ البرد يفقد حرارتهُ الغريزية فيعرض لهُ خَدَرٌ شديد يعقبهُ سُباتٌ طويل وتتغير

فيهِ جميع مظاهر الحياة العضوية بيد أن التنفس يبقى مستمرًّا لكن ببطءٍ شديد حتى لا يكاد يُشعَر بهِ فان الجُرَذ الجبليّ (المرموت) لا يتنفس في مدة الشتآء الا ٧ او ٨ مرات في الدقيقة والقنفذ لا يتنفس اكثر من ٤ او ٥ مرات لكن اذا بلغ الخَدَر مبلغهُ فقد ينقطع التنفس بتةً . وكذلك الدورة الدموية تضعف الى ان تتوقف اصلاً فقد شوهد ان الخلد الذي يضرب قلبهُ عادةً ٢٠٠ ضربة في الدقيقة لا يضرب في تلك الحال الا ٥٠ او ٥٥ ضربة. وكذلك الحسّ والانقباض العَضَلي يضعفان تدريجاً واذا اشتد الخدر ينقطعان ايضاً . اما اعضآء التغذية فتبقى وظائفها لكنها تضعف كثيراً وهذه الحيوانات تغتذي في مدة هذا السبات الطويل بما اكتسبتهُ من المادّة الشحمية في مدة الخريف

وهذا كلهُ في ذوات الدم الحارّ والظاهر ان سبب هذا السبات فيها هو ما يطرأ على الجهاز العصبي من الضعف بسبب فقدان الحرارة السطحية كما يعرض للانسان عقيب الطعام اذ يتحوّل معظم الدم الى الباطن فتخدر حواسّهُ ويغلب عليهِ الميل الى النوم . واما ذوات الدم البارد فقلما يحدث فيها ذلك فانّ الاسماك لا تزال على حالها في البحار المتجمدة بل وُجِد بالمراقبة ان المآء الذي يحيط بها لا يتجمد . واما الزحّافات ففضلاً عما يعرض لها من السبات الشتوي يعرض لها السبات في مدة الصيف ايضاً الا ان سباتها صيفاً انما يكون في الاقاليم الحارّة فاذا انقضى الصيف عادت الى حالها

وقد تقدم ان الانسان يستطيع من مقاومة البرد ما لا يستطيع غيرهُ من الحيوان وذلك باتخاذ الوسائط التي تزيد في الحرارة الغريزية والحواجز

التي تمنع انبعاثها الى الخارج . لكن من الغريب انهُ يحتمل احياناً من درجات الحرارة ما لا قِبَل بهِ للطبيعة الحيوانية فقد امتحن بعضهم ان يدخل حمّاماً قد أُحمِي الى ٩٨° من المقياس المئوي فلبث فيهِ نحواً من سبع دقائق واقام غيرهُ نحو المدة نفسها في حمّامٍ بلغت حرارتهُ ١٠٩° ورُوي عن فتاةٍ انها لبثت عشر دقائق معرَّضةً لحرارةٍ ذات ١٤٠° وهو اغرب ما ذكر من هذا القبيل . وفي هذه التجارب كان النبض يرتفع الى ١٤٠ و١٦٠ نبضة في الدقيقة وازداد تواتر النفس على مثل هذه النسبة . والظاهر ان السبب في احتمال هذه الحرارة كلها ما ذكرهُ فرَنكلين وهو ان هذه الزيادة فيها كانت سبباً لتهيُّج العمل السطحي من عامّة الجسم بحيث افاضت الغُدَد العرقية عرقاً غزيراً على سطح الجلد ثم تبخر هذا العرق فامتصّ مقداراً عظيماً من الحرارة واذ ذاك حدث تبريد على جميع السطح الخارجي من الجسم . ومن هنا يُعلَم ان حرارة الحمّام الجافّ ايسر احتمالاً من حرارة الحمّام الرطب لِما أن الهوآء اذا كان مُشبَعاً بالرطوبة يمنع حدوث التبخر . ولهذا السبب عينهِ كانت الاقاليم الرطبة من البلاد الحارّة مثل بعض نواحي المكسيك غير ملائمة للابدان وبخلافها الاقاليم الجافّة كصعيد مصر والصحرآء وبلاد النُوبة فان حرّها غير مؤذٍ . وهذا فضلاً عن ان الاقاليم الرطبة يكثر فيها انتشار الجراثيم المرضية فتكون سبباً لافساد الصحة بما يترتب على وجود هذه الجراثيم من الوبالة المفسدة للهوآء والمسببة لكثيرٍ من الامراض .

﴿ حديقة السوسن ﴾

(تابع لما قبل)

— ١٢ —

لقد فات انصار المماثلة التامة بين الجنسين ان النسآء لو صرفنَ الجهد للحصول على حقوقٍ لهنَّ ما برحتْ مسلوبةً وهنَّ عنها مُعرضات بدلاً من اضاعة الوقت بمطالب هي لهنَّ آفات مو بقات لأَفلحنَ حالاً وسعدنَ مآلاً وكنَّ في نظر العاقل المتروّي حكيماتٍ حازمات ولساد السلام بين افراد الفريقين و بلغ ناموس العمران حدَّهُ من الارتقآء والكمال. ولكن هيهات فان التطاول الى نيل المجد الكاذب والنهمة في اكتناز الدينار والتهافت على الإكثار من الخروج والولوج تعرُّضاً للانظار قد صرف الافكار عن تدبُّر حقائق الاشيآء فتجسَّمت للنسآء ومن كان على شاكلتهنَّ بجسمٍ خدَّاع وتشكلت بغير شكلها الطبيعي حتى اصبحنَ راغباتٍ فيما يشقيهنَّ ويذلُّهنَّ مزدرياتٍ بما يرفعهنَّ الى اوج الراحة والمجد والكمال ·

اما تلك الحقوق فهي في الغرب غير ما في الشرق وفي اميركا خلاف ما في اوربا وفي بعض الأُمم من هذه تتفاوت وتمتاز عنها في البعض الآخر واليك محصَّل الحال

اولاً — ان المرأة في اوربا لم تبرح غير قيّمة على مالها ولا يُباح لها (غالباً) التصرُّف فيهِ الاَّ باذن زوجها ورأيهِ ما لم يكن من نتاج اتعابها

الخاصَّة او ممـا يصل اليها من اهلها احياناً (غير الارث والبائنة المعروفة بالدوتة) وهو ظلمٌ بحتٌ لم يصل اليهِ اكثر الشرقيين معما اشتهروا بهِ من التهافت على حَجْر المرأة والتضييق عليها

ثانياً — ان المرأة في اوربا عامَّةً وفي اميركا جملةً اصبحت على خلاف ما يترآءى لذهن الرائي من سقط المتاع الذي لا يشرى ولا يباع الم ترَ ان الفتاة ولو سمت البدر حسناً والشهـاب ذكآءً والنسيم رقةً ولطفاً وقدود البان هَيَفاً ورشاقةً وكان صدرها خزانة الادب والعلوم ولسانها كنز المنثور والمنظوم ولها من نبالة الاعراق وطيب العنصر ونقآء الحسب ما يعرج بها الى مراتب الملوك والامرآءِ لا يُقبِل عليها خاطبٌ دون ان تمهرهُ مبلغاً من المال يزيد وينقص بحسب ما لهُ ولها من الوقع والمقـام في هيئة الاجتماع او على نسبة ما في صناديق ابيها من الاصفر الرنَّان كانها في اعتبارهم مصيبةٌ من المصائب الجسام لا يُقدِم الكُفءُ على الاقتران بها الا برشوةٍ باهظة هي البائنة او المهر المعكوس — ولم تقف المسألة عند هذا الحدّ بل اصبح العدد العديد من فتيات اميركا وبعض اوربا ينشرنَ الاعلانات عن انفسهنَّ في الصحف السيارة[1] — وقد رأينا مثلها في القطر المصري ايضاً — على اساليب شتى يغرينَ بها الرجال على الاقبال للتزوج بهنَّ بما يزخرفنَ لهم من مظاهر التشويق بتعداد ماحوينَ من رائع الجمال واحرزنَ من بديع الخلال وكنزنَ من نوادر التحف ونفائس الحلي وبدرات الاموال

(١) قيل انهُ في نيويرك وحدها نشر سنة ١٩٠١ نحو مئة وار بعين الف اعلان من هذا القبيل

كانَّ الزواج صفقة تجارية يراد بها الربح المالي لا شركة حياةٍ تحتاج الى التشاكل والحب [1] اكثر من احتياجها الى الجمال والمال . وكانَّ المرأة ليست ما ندعوهُ بريحانة القلب ومفرّجة الكرب والمعوان على الحياة في سرّآئها وضرّآئها بل هي على هذا الزعم وبمقتضى اصطلاحهم صندوقٌ من حديد يراد منهُ اغنآء الرجل عن السعي والكسب والارتزاق حيثما يصبح آلة جامدة لا تحركـ الا للملاهي والشهوات والانزوآء في الحانات وتعود جذوة ذكآئهِ فحمة خامدة يغشاها رماد الاباطيل والترَّهات فلا ينفع البنآء البشري بشيءٍ بل يعيش كالحيوانات الحَلَمية [2] التي تلتمس القوت من اجسام غيرها . فاين التكافؤ والتساوي مع هذا الحال العجيب بل اين ادّعآء المتمدن الغربيّ انهُ رفع مقام الانوثة وخصها بالاكرام والأَثَرة . ايكون هذا الخبر وذاكـ المَخبَر

اننا نحن معاشر السوريين « سكان الداخلية التي لم يتطرق اليها بعد التمدُّن الاوربي الاَّ في بعض الشؤون » لا يفوز فتانا بعروسٍ يخطبها حتى يبذل في سبيلها قسماً من ثروتهِ ويتخذ الف ذريعةٍ ووسيطٍ تجاه ابوَيها ويمهرها ثمناً من الدينار والحلي ما يشفُّ عن إجلالنا قدر البنات ومعرفتنا

(١) قد احسَّت فتيات اميركا في الزمن الاخير بأن الحب من اهمّ ضروريات الزواج فألَّف بعضهنَّ لجنة تمنع كل فتاةٍ تنتظم في سلكها من الزواج اذا لم يكن الباعث عليهِ الحب والتآلف بين العروسين (٢) يراد بالحيوانات الحلمية ما يدب على جسم الانسان والحيوان ويلتمس غذآءهُ من دمآئهِ فيعيش ويموت على حساب غيرهِ يرتع في بدنهِ ويمتص دمهُ بلا جهدٍ ولا تعب كالقراد والبقّ والقمل وما شاكلها

اهمية رباط الزواج غير باحثين عن « دوتة » ولا ملتمسين الاثراءَ من اموال النساءِ لا بل كثيرون منا يأنفون ان يُدخلوا الى اموالهم ما قد تنالهُ نساؤهم ميراثاً عن آبائهنَّ فيدَعونهُ لهنَّ غير ممسوس يتصرفنَ فيهِ كيف شئنَ . هذا حالنا نحن الذين نُدعى عند الاوربيين والمتفرنجين من ابناء الثغور الشرقية نصف متمدنين ونُرمى منهم بامتهان المرأة واذلالها افتئاتاً ورجماً بالغيب

ومما زاد في الطنبور نغمة انك ترى اليوم في اميركا واوربا بل في بعض مدائن الشرق سماسرة وسمسارات للبنات يسعون بالتأليف بينهنَّ وبين الفتيان وتمهيد العقبات امام الوالدين وابرام الصفقات على كميات الاموال التي يبذلها الاب المسكين لصهرهِ « العزيز » لكي يحوّل عن منزلهِ تلك النازلة الدهماء المدعوة « فتاة » الى عشهِ الزوجيّ تنازلاً وكرم اخلاق. وهؤلاء السماسرة يتقاضون الفريقين مبلغاً معيناً من اصل تلك الاموال التي يُرشى بها الزوج باتفاق بينهم يجري سلفاً اي قبل مباشرة « البازار » وعقد الصفقة حتى ان كثيراً من الأُسَر اليوم اصبح ذا ثروةٍ طائلة من هذا المورد العذب ألا وهو « سمسرة البنات » فنعم المورد ونعم الارتزاق

أليس من العار على ابناءِ هذا العصر في العالَم الجديد والقديم الذين يدّعون انهم ضارعوا الآلهة علماً وسموَّ مدارك ان يتركوا شؤون الزواج التي عليها يتوقف ارتقاءُ العمران وبقاء نوع الانسان مشوشة مختلّة لا تتعادل فيها الحقوق بين الجنسين ولا يُسنُّ لها قوانين صحيحة ثابتة اساسها النزاهة وعمادها التعقل وركنها الصواب تذهب شهيدة زيغها وانحرافها

الوف الالوف من العذارى اللواتي يلبثنَ بسبب هذه السنَّة الذميمة — سنَّة البائنة — قعيدات في بيوتهنَّ لعدم اقتدارهنَّ او لعجز آبآئهنَّ عن أدآء الرشوة ليزوّجنَ بناتهنَّ تلك السنَّة التي اصبحت في هذا العصر عصر المدنية والنور داء الزواج الدفين وعلَّة شقآء النسآء المبين

ان الصينيين والاشوريين القدمآء هم لعمر الحق اكثر منكم يا معشر الاميركيين والاوربيين عنايةً بهذا الشأن الخطير واوفر منكم دربةً لاعطآء كلّ من الفريقين حقهُ منهُ بلا غدر ولا حيفٍ فقد اتخذوا بدهآئهم واصالة رأيهم وسائل فعّالة تمكن كل انثى تجنح الى الزواج من الحصول عليهِ كما تشآء بلا كبير عنآءٍ فلا تلجأ ثمت الى المكث في بيت ابويها عانساً مدى الحياة تكافح اميالها الجنسية مكافحةً تجعل حياتها ينبوعاً للتعس والشقآء فضلاً عما ورآء هذا الاحتباس القسريّ من موجبات الاعتلال الجالبة للآلام والاسقام لكثير من تلك العانسات والعواتق فان الصرع والسرسام والهستيريا والانيميا [1] وكثيراً من امثال هذه الادوآء الوبيلة من منتجات تلك الحياة اللاطبيعية ميدان الويل والنغص ومنبت الاحزان والبلآء

أجل لقد علمنا من عوائد الصينيين والغاليين القدمآء ان ربَّ البيت

---

(١) ان هذه العلل المعدودة وكثيراً غيرها مما لم نذكرهُ رغبةً في الايجاز تعتري غالباً البنات اللواتي يعنسنَ ولم يتزوجنَ ولا سيما اذا كنَّ عصبيات المزاج او دمويات ولا ينجو منها الا ذوات المزاج اللمفاوي واكثر الراهبات والمتبتلات باختيارهنَّ هنَّ من هذا المزاج ما لم يكنَّ مكرهاتٍ على الرهبانية لعوارض واسباب موجبة

منهم متى صارت فتاتهُ كاعباً او مُعصِراً اتخذ في كل عام مأدبةً يدعو اليها لفيفاً من الشبان الذين يتناسبون مع فتاتهِ سنّاً وحسباً وطباعاً حتى اذا تألبوا حول مائدة الطعام قدَّمت الفتاة قدحاً من الخمر لمن تستحسنهُ من اولئك الشبان اشارةً الى كونها اختارتهُ لها حبيباً وخطيباً فان امتصَّ منهُ جرعةً واعادهُ الى الفتاة عُدَّ ذلك منهُ ايذاناً بالرضى ودليلاً على القبول الصريح فيحضر المدعوون العقد ويدعون للعروسين بالرفآء والبنين وان ردَّ الكاس معتذراً حُسب ردُّهُ علامة رفضٍ . وعندها اما ان تقدّم الكاس لغيرهِ ممن تهوى امتحاناً لرضاهُ واما ان يؤجَّل الامر — اذا لم يكن هنالك من يقع عليهِ اختيارها غير الاول — الى عام قابل فينصرف المأدوبون بسلامٍ ولا يزال الأبُ يكرّر في كل عامٍ هذه المأدبة في يوم موعود يدعى اليها كلٌّ من يتبادر للذهن انهم اكفآء لفتاتهِ العذرآء حتى يتهيأ لها الحصول على خطيبٍ يرضاها وترضاهُ

اما الاشوريون القدمآء فقد انبأنا التاريخ ان كل مدينةٍ او قريةٍ في بلادهم يخرج اهلها بفتيانهم الراشدين وفتياتهم الناهدات في مهرجانٍ لهم مشهور الى سهلٍ فسيح في ضاحية البلد وهنالك بمحضر من الشيوخ وسدَنة الاوثان وكهنتها يقسمون العذارى فئتين حساناً وغير حسانٍ ثم يفرزون الفتيان الى جانبٍ ويبتدئون باجمل فتاةٍ فيعرضونها للزواج على مهرٍ مسمىً يعيّنهُ الكهنة فيتبارى الشبان الطالبون متدرّجين الواحد بعد الآخر بالزيادة في المهر كما يُفعَل اليوم في اسواق المزاد المعدَّة لبيع السلَع حتى تكفَّ الرغبات ويتعذَّر المزيد وعندها تحقُّ الصفقة لآخر طالب فاذا راق

في اعين الحسناء استوفوا منهُ المال واتمّوا العقد ثم اشتغلوا بغيرها على هذا المنوال ولا يزالون كذلك حتى يُعقَد زواج الحسان كافّةً . ثم يشرعون في عرض الفئة الثانية واحدة فواحدة مشروطاً ان يُعطى لمن يرضاها كذا وكذا من اصل المال المجموع من مهور الحسان فيأخذ الفتيان طالبو المال يتسابقون في انقاص ما يُعرَض عليهم من المال حتى تستقرّ الحال على المُنقِص الاخير . وهكذا يزوجون متوسّطات الجمال او غير الجميلات بما يجمعونهُ من مهور الجميلات وان زاد لديهم شيءٌ من المال ابقوهُ في خزائن السَدَنة الى عام قابل يسدُّون به ما لعلهُ ينقص في مهرجانهم الآتي من مهور الحسان عما يعطى لبعول غير الحسان وهكذا يقفل الجميع مساء ذلك اليوم من مهرجانهم هذا الى منازلهم فرحين طربين وقد اتموا عقد كل عذراء بلغت سنّ الزواج في عامهم ذلك

وعلى هذا نجد اولئك الاقوام الناشئين اطفالاً في مهد الانسان التاريخي المدني كانوا منذ آلافٍ من السنين اكثر من متمدني هذا الزمان اقتداراً على إزواج بناتهم حالما يبلغنَ مبلغ النساء على صورةٍ يتوفر فيها حسن الانتخاب مع السهولة والعدل بلا غصبٍ للفتيات ولا اكراهٍ للفتيان. واين هذه القاعدة المثلى وما ينشأ عنها من سعادة الحال وبين اصطلاح عصرنا واهلهِ الذين يتركون عذاراهم هَمَلاً ينادينَ على انفسهنَّ في الصُحُف ويرشونَ السماسرة ويتزلفنَ الى الكهنة قصدَ ترويج حالهنَّ كانهنَّ بضاعة مزجاة فلا ينفق بعضهنَّ الا بعد بذل القناطير المقنطرة من الذهب الوضاح . اما الفريق الاكبر فيلبثنَ في اخدارهنَّ الى الممات محتبساتٍ

مهملات ساخطات على عالَم الأُلفة والاجتماع الذي لم يجدنَ من ابنـآئهِ من يصبو اليهنَّ فيعتقهنَّ من هذا الإِسار وكثيرات من هؤلآء يذهبنَ لعدم التجمل ونقص التربية الى حيث يبعنَ الحيآء والعفاف في معاطف الطُرُق وزوايا المواخير

وانكى من هذا ان الشبان من اجل السبب عينهِ اصبحوا يتباطأُون في الزواج علماً منهم انهُ بمقدار ما تزيد ثروة الواحد منهم او راتبهُ في الخدمة التي يتعاطاها تكون البائنة التي تُعرَض عليهِ اوفر وينال عروساً اجمل فلا تزال الاطماع تؤخرهُ والاماني تشغلهُ من عامٍ الى آخر وهو يلهو عن الحياة الزوجية بما لديهِ من محرَّمات العزوبة حتى يصير كهلاً او شيخاً فعندها اما ان يستغني عن الزواج بتةً كما هو شأن الكثيرين واما ان يختار لنفسهِ مما يُعرَض عليهِ من تكون دون العشرين سناً وهو يربو على الخمسين فيقطع معها حياةً قلما تكون مثمرةً حشوها الغُصَص والويل والشقآء

(ستأتي البقية) سليم عنحوري

نجاة من خطر الموت

اتفق لنا الحادث الآتي بيانهُ وهو مع كونهِ من الحوادث النادرة الوقوع فانهُ شديد الخطر واذا لم يُتـدارك بلطف الحيلة والاعتماد على ما يوحيهِ العلم الصحيح لم يُؤْمَن فيهِ وقوع المحذور والاعانة على نفاذ المقدور ولذلك رأينا ان ننشرهُ على صفحات الضيآء تنبيهاً للمطالعين الى وجه العمل فيما لعلهُ يحدث من مثلهِ وهو هذا

فتاةٌ تبلغ من العمر ما دون الثانية عشرة استيقظت من نومها فوجدت ثعباناً غليظاً ملتفاً حول عنقها فاعتراها من الخوف والرعب ما أفقدها رشادها فكانت لا تنبس ببنت شفة وما رأى اهلها هذا الخطر المحدق بها حتى ارتاعوا لهُ ايما ارتياع واخذت النسآء في الصياح والعويل كعادة اهل القرى عند نزول الكوارث . فبعد ان كان هـذا الافعوان خامداً هادئاً من تلذذهِ بهذه الحرارة اللطيفة وهذا الملمس الناعم انتفض من مرقدهِ ونشر درقتهُ وفتح فاهُ واندلع لسـانهُ المزدوج كاللهب وأخذ يلهث متلفتاً ذات اليمين وذات الشمال حتى صار المنظر مخيفاً والناس حولهُ حيارى. وكان ثوران هذا الضاري مصحوباً بالضغط على عنق الفتاة وكان رأسهُ المتهيج أمام وجهها حتى فقدت حواسهـا وضاق تنفسها وصار الموت اليها اقرب من حبل الوريد . ولما ان ضاقت في وجه اهلها الحيل وازدادت الغوغآء واخذ هذا الحيوان في شدة الهيجان وخيف عليها من نهشهِ التجأ القوم الى معارف الطبيب لعلهم يجدون منفذاً للنجاة . ولمـا كان هذا الحادث يحار فيهِ الطبيب والجراح معاً فلا فائدة من الدوآء ولا معوّل على سكين الجرّاح ولا ارتكان في هذا الموقف الحرج الا على فطنة الطبيب وذكآئهِ وجب ان لا يقف الطبيب حائراً جامداً بل عليهِ ان يستعمل فكرتهُ ومعارفهُ في نجاة هذهُ الروح الزكية . فحالما علمنا بهذا الخبر استحضرنا في الحال محلولاً مركّزاً من الكلورال الايدراتي المحلّى بالسكر وهو من الادوية المنوّمة التي لا طعم لها ولا رائحة منفرة ثم استحضرنا جانباً من بيض الدجاج النيء وتوجهنا في الحال الى محل الحادث فوجدنا الازدحام شديداً والحيوان في

اعلى درجات الهيجان والفتاة لا حراك بهـا ووجدنا كثيراً من المشعوذين الذين اثاروا غضب هذا الحيوان باعمالهم الجنونية . فصرفنا هذا الجمع وعرضنا للحيوان بيضتين مفقوءتين فمال اليهما بكليتهِ فافرغناهما له في اناء داخلهُ هذا المحلول المنوّم فأخذ في التهام هذا الغذآء بشرَهٍ عظيم .فعمدنا الى مباعدة الاناء عن فيهِ شيئاً فشيئاً وهو ينحلُّ عن عنق الفتـاة تدريجاً ويتبع الاناء حتى انحلَّت عروتهُ المميتة عن عنقها وكلمـا فرغ الغذآء زدناهُ واحدةً فما اتى دور السادسة حتى اصابهُ النعاس والنوم العميق وكانت هذه آخر حياتهِ . فانبهر الناس من هذا العلاج العقلي وحمدوا الله على نجـاة تلك الفتاة من خطر الموت وتحلي الانسان بالعلم الذي كلهُ حياة ونور

شبراخيت في ٨ دسمبر سنة ٩٠٥ الدكتور محمد عشماوي

الحكيم

دوآء السرطان

قرأنا في جريدة المؤيد الغرآء تحت هذا العنوان ما نصهُ

لا يخفى على احد شدة خطر الاورام السرطانية ومقدار استعصآئها على العلاج فلا تُقطَع من جهة حتى تظهر في جهة أخرى ولا تزال تناوئ مشرط الجراح او تلاعبهُ حتى تذهب بحياة من علقت بهِ . وقد قرأنا في احدى المجلات الفرنسية نبذة نقلتها عن مجلة (ذي لانست) الطبية الانجليزية الشهيرة فرأينا من الواجب نشر خلاصة ما قالتهُ في المؤيد ليطَّلع عليهِ العالم العربي كلهُ

نقلت مجلة (ذي لانست) أن رجلاً عمره ثلاث وخمسون سنة أصيب بورم سرطاني في خلقهِ فعرض نفسهُ لثلاثة من كبار جراحي الانجليز يُعَدّ احدهم ركناً من اركان الطب الانجليزي فنصحوهُ بالاسراع الى استئصاله بواسطة أحد الجراحين . ولكن المريض آثر أن يعمل باشارة امرأة ويهمل نصيحة اولئك الدكاترة النطاسيين رغماً عن الحاح اصدقائهِ عليهِ . وكان علاج تلك المرأة كلهُ هو اخذ بضعة ارطال من اوراق البنفسج ونقعها في الماء مدة (٢٤) ساعة ثم غليها مدة ربع ساعة ثم قسمة السائل المتحصل الى قسمين قسم يستعملهُ شرباً والآخر يغمس فيهِ قطعة من القماش مطوية ويضعها على الورم حتى تسخن ثم يغمسها ثانياً وهكذا . قالت المجلة فلم يمضِ على المريض شهران حتى نقه تماماً فرأى طبيبهُ الدكتور غوردون الذي كان يائساً كل اليأس من نجاح هذا العلاج أن يعرضهُ على جملة جمعيات طبية للتأمل في هذا الاثر المدهش . وبناءً عليهِ يكون ورق البنفسج هو العلاج الشافي من السرطان   فريد وجدي

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية — قرأنا في ضيائكم في المقالة المعنونة بحديقة السوسن لسليم بك عنحوري (ص ٦٠٢) ما نصهُ « ان الزواج شركة مفاوضة يراد بها بقاء النوع والتعاون في جهاد الحياة .. فكل زواج لم يتوفر فيهِ هذان الشرطان باتم مظاهرهما وجب الغاؤهُ خلافاً للقائلين بانهُ سرٌّ علويٌّ لا

تقوى يد حاكمٍ ارضيٍّ على نقضهِ . . » ولا يخفى ما في هذا القول من المخالفة لشرائع الدين المسيحي لكن نحبّ ان نعلم اهذا القول هو اعتقاد صاحب حديقة السوسن ام يوردهُ على سبيل الرواية عن القائلين بهذه البدعة

الخوري بطرس يواكيم

ب . م .

الجواب — اذا تتبعتم السياق الوارد في هذا الموضع من اوله (ص ١٠١) يظهر لكم جليًّا ان كل ما ذكر هناك حكاية لما ارتآهُ « الوازعون والمشترعون » المذكورون في صدر هذا المقال كما استدركتموهُ في آخر سؤالكم فالحمد لله ان هذه الحقيقة لم تخفَ على امثال حضرتكم وقاتل الله كل خبيث الدخلة يترصد اسباب الخصام والشقاق ويدعي انهُ يناضل عن الدين وسلاحهُ الإفك والنفاق (١)

المطرية (دقهلية) — ذكرتم في جواب سؤال في الجزء الثاني ان مثل قولهم زوجة واولاد فلان تركيب صحيح خلافاً لمن ظن انهُ تركيب غير عربي . ولا اذكر اني رأيتهُ في القرآن الكريم ولا في كلام عربيٍّ بليغ يُعتَدّ بهِ فهل يكفي حجةً وشاهداً على صحتهِ ورودهُ في بيتٍ فرد من الشعر

حسين عبد الفتاح الجمل

الجواب — اما عدم ورود مثل هذا التركيب في القرآن الكريم فليس دليلاً على عدم صحتهِ لان القرآن لا يشتمل على جميع الفاظ اللغة وتراكيبها .

(١) انظر مجلد السنة الثامنة من المشرق صفحة ١١٥٠

واما انهُ لم يرد في كلام عربيّ بليغ فان البيت الذي استشهدنا بهِ هناك هو من كلام الفرزدق وقد استشهد بهِ سيبويه . ومثلهُ قول الاعشى ميمون وهو من المخضرمين

الاّ عُـلالةَ او بُدا　　　هةَ سابحٍ نهد الجُزارَه

وقول الآخر ولم يُذكَر قائلهُ ولكنهُ مما يستشهد بهِ النحاة

قبلَ وبعدَ كل قولٍ يُغتنَم　　　حمد الاله البرّ وهاب النِعَم

ومن هذا القبيل قول الآخر

علّقتُ آمالي فعمّت النِعَم　　　بمثلِ او أنفعَ من وبلِ الدِيَم

وهذا القدر كاف

بيت لحم — بينما كنت اطالع في ضيا ئكم الاغرّ عثرت على ما اشكل عليَّ فهمهُ فجئت راجياً ان توضحوهُ لي وانا على يقين انكم لا تأبون عليَّ ذلك لما اشتهر من رغبتكم في افادة السائلين كافأكم الله عني وعنهم خيراً

جاء في الجزء التاسع من مجلد السنة السابعة (ص ٢٥٨) « ولا يقال حظي بالشيء بمعنى ظفر بهِ انما هذا من استعمال العامة » . فقد ورد في كلام كثيرين من الكتاب حظي بالشيء كقول عليّ بن ابي طالب « ان المتقين سكنوا . . . فحظوا من الدنيا بما حظي بهِ المترفون» . وقول الحريري « ونهضا وقد حظيا بدينارين » . وقول صاحب كليلة ودمنة « ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان حقيقاً ان يحظى بالحرمان » . وقول ابي تمام

منظَّمةً بالموت يحظى بحَلْيها　　　مقلِّدُها في الناس دون المقلَّدِ

وقول محمد بن بشير

أخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجتهِ ومدمن القرع للابواب ان يلجا

وغيرهم كأَبي الفضل هبة الله ومحمد البرهان القيراطي فبأيّ معنى استعملوا هذا التعبير ارجو الافادة ببيان ذلك ولكم الفضل الاب يوسف كليس

الجواب – لنا في معنى سؤالكم كلامٌ لا يسعهُ هذا المقام ستقفون عليهِ في مقالةٍ مخصوصة في احد الاجزآء التالية ان شآء الله

آثار ادبيّة

جامع الأَدِلّة على موادّ المجلة — تقدم لنا في بعض اجزآء السنة السادسة كلامٌ على هذا المؤلَّف الجليل الذي عُني بوضعهِ حضرة القانونيّ الفاضل نجيب بك هواويني استاذ اللغة والخطوط العثمانية في الكلية الشرقية بمدينة زحلة . والآن نبشر المشتغلين بدراسة الموادّ الشرعية والقانونية ان هذا الكتاب قد انتهى تمثيلهُ بالطبع فجآء فيما ينيف على ٥٠٠ صفحة . وهو نفس مجلة الاحكام العدلية المشهورة بصورتها المطبوعة سنة ١٣٠٥ وهي اصحّ نُسَخها وآخرها وقد ضبطها بالشكل الكامل وقرن كل مادّةٍ فيها بالدلالة على ما في المجلة نفسها من المواد التي تتكفل بايضاح المقصود منها مع الموادّ التي تتضمن الامثلة والشواهد على تلك المادّة . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من زيادة الفائدة وتقريب المسافة على الباحث فنكرّر ثنآءنا على حضرة المؤلّف الفاضل ونحضّ ارباب هذا الشأن

من الدارسين والعاملين على مقتنى هذا الكتاب وهو يُطلَب من مؤلفهِ ومن المكاتب الكبرى في القطرين السوري والمصري وثمنهُ ستة عشر فرنكاً ونصف

المقتبس — مجلة ادبية علمية اجتماعية ينشئها حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي كرد علي ويكتب فيها جماعةٌ من حملة العلم وارباب الاقلام في مصر والشام . وهي تنطوي على عشرة ابواب في اغراضٍ مختلفة ترجع الى الموادّ المذكورة في العنوان فيدخل تحتها المباحث التاريخية واصول التربية والتعليم وتدبير الصحة وتدبير المنزل ويتخلل ذلك بابٌ في الصُحُف المنسيّة ثم باب في المطبوعات والمخطوطات وباب في مقالات المجلات وباب في سير العلم ويُختَم كل جزءٍ بفصلٍ تحت عنوان نفاضة الجراب فيهِ من كل فنٍّ خبرٍ ومن كل وادٍ اثر

وقد أُهدِي الينا الجزء الاول منها فوجدناهُ حافلاً بالفوائد مشتملاً على عدة مقالات ونُبَذ نفيسة في الاغراض المشار اليها تدل على ما امتاز بهِ منشئها الفاضل من البراعة وحسن الذوق

والمجلة تصدر في غرة كل شهرٍ عربي ويتألف منها في السنة مجلد يقع في ٦٠٠ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في القطر المصري و ١٣ فرنكاً في غيرهِ فنتمنى لها تمام الرواج والاقبال

فكاهات

الكولونيل جيرار (1)

— ١٣ —

ورأى جيرار تبسم سامعيهِ لحديثهِ فقال يلوح لي ايها الاصدقآء انكم تهزأون بي وتظنونني من الذين يتباهون بمديح انفسهم وبئس الظن هو لان الجندي الحقيقي ابعد انسان عن التبجح بنفسهِ والاعجاب باعمالهِ . ولا انكر انني في جميع اخباري قد مدحت نفسي كثيراً ولكنني لم ازِد على حكاية الواقع كما حصل حتى اني لو لم اذكر كل ذلك لكنت مقصراً في وصف الحقائق . اما حديثي الذي سأقصهُ عليكم في هذه الليلة ففيهِ دليلٌ من نفسهِ على انهُ يستحق الذكر ووقائعهُ نفسها تشهد بشرف و بسالة الرجل الذي قام بها

لا يخفى انهُ بعد المعارك الروسية عسكرت بقية جنودنا على شاطئ نهر ألبا الغربي. وكانت العساكر تجتهد ان تشرب ما استطاعت من الجعة الالمانية لتملأ الفراغ الذي حدث في اجسامها بين العظم والجلد ولتنسى ما قاستهُ من الاهوال والخسائر لان اكثر الجنود كانوا قد فقدوا من اعضآء اجسامهم ما يملأ عربتين او اكثر . اما انا فكنت اود ان انسى تلك السهول المكسوة بالثلوج البيضآء وعليها بقع حمرآء هي دمآء رفاقنا حتى انني كنت اذا نظرت الى قبعتي الحمرآء اتذكر تلك السهول فيرتعش جسمي لانهُ من الخمس مئة الف مقاتل الذين اجتازوا نهر ألبا في خريف سنة ١٨١٢ لم يبقَ في ربيع سنة ١٨١٣ سوى اربعين الفاً وكانت هذه البقية نخبة ابطال الجيش واشدهم وهم رجالٌ من الحديد قوتهم الجياد واسرّتهم الثلوج وكل حديث

---

(1) بقلم نسيب افندي المشعلاني

انفسهم الانتقام من الروس وآمالهم معلقة على انتظار الجيش الذي كان الامبراطور يسعى في جمعهِ من فرنسا ليأتي ويساعدهم على الرجوع الى روسيا . اما الفرسان فكانت حالتهم يرثى لها ولا سيما فرقتي الهوسار التي لما عرضتها في بورنا لم اتمالك ان ذرفت دموع الحزن لدى مشاهدتها وقد اصبحت رجالها وجيادها في اسوأ حال . غير انني تعزيت لما رأيت ان تلك الفرقة لا يزال لها كولونيلها وفي استطاعتهِ ان يصلح شؤونها . وللحال بذلت جهدي في ترتيبها ولكنني لم اكد اعيدها الى نظامها السابق حتى فاجأني الامر بالعودة الى باريس لتدريب الجنود المتطوعة التي عزم الامبراطور على ارسالها لمساعدة الجيش . ولا انكر انهُ سرني جدًّا ان اعود الى الوطن العزيز فارى والدتي اولاً ثم بعض الفتيات اللواتي كان يسرهنَّ رجوعي فتركت فرقتي وتوجهت الى باريس تاركاً ورآئي الجنود ومستقبلاً امامي تلك الطريق الطويلة في ارض جرداء مقفرة لانَّ الجنود التي مرت فيها ذهاباً واياباً كانت قد تركتها قاعاً صفصفاً ولو لم اصادف بعض الرعاة يسوقون قطعانهم واستعطفهم لاعطاآئي قليلاً من لبن ماشيتهم وشيئاً من زادهم لما بلغت منتصف الطريق حيًّا

ولم ازل سائراً حتى بلغت مدينة ألتنبرج فوجدت ان الطريق امامي تفترق الى شعبتين اخترت احداهما فسرت فيها وكنت من حين الى آخر اقف لاتأمل جمال الطبيعة وجودة تلك المناظر الحسنة . ومما زاد سروري انني كنت التقي ببعض افراد الالمان فتظهر عليهم علامات السرور والانعطاف وكرم الضيافة فانهم والحق يقال جنس لطيف في الغاية لاننا مع بقآئنا ست سنوات في بلادهم نتمتع بخيراتها بكل حرية لم تظهر عليهم اقل علامة استيآء او نفور وكانت نسآؤهم تعاملنا معاملة الزوجات والامهات حتى صرنا ندعو المانيا وطننا الثاني . ولما تقدمت في طريقي رأيت ما يخالف اعتقادي في هذا الجنس لانني قابلت جماعات منهم فرأيت منهم انقباضاً عن مؤانستي وعدم اكتراثٍ بي حتى ان النسآء لم ينظرنَ اليَّ بذلك الطرف الفتان الذي الفتهُ منهنَّ . وبلغت بلدة شمولين على بعد نحو عشرة اميال من ألتنبرج فملت الى فندقٍ لابلَّ شاربيَّ بكأس من الراح واريح جوادي فقابلتني

فتاة قضت طلبي بجفاء . وكان عند باب الفندق جماعة يشربون فرفعت الكأس لاشرب نخبهم فحوّلوا ظهورهم اليّ ورفع احدهم كأسهُ وقال مخاطباً رفاقهُ لنشرب ايها الاخوان بسرّ حرف « ت » فافرغوا جميعهم كؤوسهم ضاحكين مسرورين . فتركتهم وسرت مفكراً فيما رأيت حتى استدعى انتباهي حرف « ت » محفوراً على جذع شجرة على قارعة الطريق فتذكرت انني شاهدت مثلهُ كثيراً في طريقي ولم انتبه الى السبب قبل ان سمعت الفتى يذكرهُ في الفندق . وفي تلك الساعة مرَّ بي فارس عليهِ دلائل الشرف والعظمة فاستوقفتهُ وبعد التحية سألتهُ قائلاً هل يمكنك يا سيدي ان تفيدني معنى حرف « ت » المحفور على هذه الشجرة . فنظر اليَّ شزراً وقال معناهُ انهُ غير حرف « ن » . وقبل ان انطق بكلمةٍ اخرى اعمل في خاصرتي جوادهِ المهماز وتركني حائراً لا ادري ما يعني بكلامهِ حتى حانت مني التفاتة فرأيت حرف « ن » مرسوماً على سرج جوادي ولجامهِ فعلمت ان النون رمزٌ الى نابوليون وان التاء رمزٌ الى اسمٍ يعاكسهُ . وللحال خطر لي ان المانيا التي كنا نظنها نائمة مسرورة باحتلالنا لم تكن الا جباراً يتناوم الى ان تساعدهُ الاقدار على النهوض ثم راجعت في مخيلتي ما لقيتهُ في سفري من انقلاب سحنة اصحابنا وتنكرهم فتحققت وجود شيء يليق ان اقررهُ متى بلغت باريس وتولدت فيَّ الرغبة ان اعود الى مقدمة فرقتي واسير بها لتعليم الالمان ما يحاولون ان ينسوهُ من واجبات الضيافة والانقياد لارادة امبراطورنا

و بينما انا اسير الهوينى تارةً واخبُّ طوراً بلغت غابةً كثيفة وقرعَ اذني صوت مستجير فنظرت بين الادغال فرأيت رجلاً ينظر اليَّ وقد احمرَّ وجههُ وجحظت عيناهُ وارتسمت على ملامحهِ علامات الغيظ والحنق فعرفتهُ لاول وهلةٍ انهُ الفارس الذي كلمتهُ عند خروجي من البلدة واجابني باختصار وسبقني بسرعة . فقال لي بصوت منخفض اقترب يا هذا وترجل عن جوادك وتظاهر باصلاح سرجهِ لا كلمك شيئاً ولا تظهر انك تكلمني لان هنا جواسيس لا تأمن ان يكونوا سبباً في هلاكنا نحن الاثنين فانهم ان عرفوا انني اكلمك قتلوني لا محالة . فقلت ولمَ ذلك ومن هم

أولئك الجواسيس . قال هم جمعية التاجنبند وهي جمعية سرية غرضها القيام مرةً واحدة في وقت معين لتطردكم من المانيا كما طردكم الروس من روسيا وحرف التآء الذي رأيتهُ رمزٌ الى اسم هذه الجمعية . واني لما قابلتك في البلدة لم استطع ان اطلعك على كل هذا خوف الفضيحة فسبقتك الى هنا حيث يخفيني الغاب عن اعين الرقبآء فاطلعك على هذا السر المخيف . قلت انني شاكرٌ لك ايها العزيز ولكنني اعجب كيف تطلعني على اسرار بلادك وانت الماني . قال انني كنت مقاولاً في الجيش الفرنسوي وكل ما املكهُ قد حصلت عليهِ منكم وقد اظهر لي امبراطوركم كل لطف ومعاملة حسنة فلم استطع خيانتكم . والآن فاركب وسر عاجلاً لئلا يعلم بنا احد فيكون الشر على رأسينا جميعاً . فلم أرَ افضل من طاعتهِ فركبت وسرت حائراً وقد هالني ذلك السر وهيئة الرجل الذي كلمني وخوفهُ واحتراسهُ . وكان لا يزال بيني وبين الحدود الفرنسوية اكثر من خمس مئة ميل جعلت اجتازها باحتراس وتأنٍّ مسرعاً في السهول مبطئاً في الغابات والادغال التي يمكن ان يكمن فيها الاعدآء وانا اعجب من الالمان الذين لم يكن فيهم الا المؤانسة واللين وهم يخفون تحت ذلك الرماد ناراً ذات ضرام . ووصلت الى منحدرٍ امامهُ هضبة قد كستها الاشجار العالية فسرت فيها فرأيت تحت شجرةٍ منها شيئاً يلمع فتبينتهُ فاذا هو ردآء ضابط عليهِ الشرائط الذهبية وقد وقعت عليها اشعة الشمس فظهر لها ذلك اللمعان ورأيت الشخص الذي عليهِ ذلك الردآء كانهُ ثملٌ من اهتزاز جسمهِ وعدم ثبوت خطواتهِ وهو يسير الى جهتي وقد امسك باحدى يديهِ منديلاً احمر وضمهُ على عنقهِ تحت اذنهِ . فاستوقفت جوادي هنيهةً وانا انظر اليهِ بازدرآء لانهُ سآءتني ان ارى ضابطاً في حالة سكر كهذه في مثل تلك الاحوال ولكنني ما عتمت ان رأيتهُ قد وقف فجأةً وقد رفع ذراعهُ الاخرى الى السمآء علامة الشكر والسرور ثم سقط الى الارض واذ ذاك سقط المنديل عن عنقهِ فرأيت جرحاً كبيراً يتدفق منهُ الدم الاسود . وللحال وثبت اليهِ وقلت لهُ اعذرني يا هذا فقد ظننتك سكران . فقال بصوت ضعيف لا لست بسكران ولكنني احمد الله لوجود ضابط فرنسوي بالقرب مني قبل

ان افقد قوة النطق . وكنت قد اسندتهُ بذراعي ورفعتهُ قليلاً لاجلسهُ براحة فقلت لهُ من انت ومن فعل بك هذا . قال انا من رجال الحرس الامبراطوري الجديد واسمي المركيز شاتو سنت ارنو وانا احد تسعةٍ من اسرتي سفكت دماؤهم في خدمة فرنسا وقد تبعني عدد من الالمان ففعلوا بي ما ترى ثم تركوني ظانين انني فقدت الحياة . فزحفت الى ما بين هذه الاشجار وانتظرت مؤملاً ان ارى بعض الجنود الفرنسوية ولما رأيتك لم اعرف أعدوٌّ انت ام صديق ولكنني شعرت باقتراب الموت فعزمت ان اغتنم هذه الفرصة . ثم ظهرت عليهِ علامات الضعف فشجعتهُ بكلامي وقلت لهُ تشدد ايها الصديق فقد رأيت جرحى في حالة اشد خطراً من هذه ولا يزالون احياء . فقال بصوت ضعيف وقد اخذ يدي فضغط عليها لا لا ايها العزيز انهُ لا امل لي في الحياة لانني شاعر بقرب الاجل ولكن في جيبي اوراقاً يجب ان توصلها سريعاً الى البرنس ساكس فلستين في قلعة هوف فانهُ مع عداوة الاميرة زوجتهِ لنا لا يزال صديقنا الحميم ولكنها لا تنفك تحرضهُ على المجاهرة بعداوتنا وهو اذا فعل تبع مثالهُ عمهُ ملك بروسيا وابن عمهِ ملك باڤاريا. فاذا وصلتهُ هذه الاوراق قبل ان يصمم على شيء بقي على محالفتنا ولذلك يجب ان تسلمها اليهِ الليلة وبذلك تستسلم المانيا باجمعها لامبراطورنا ولو لم يُقتل جوادي لكنت ذهبت بنفسي رغماً عن جراحي و . . . . . ثم تدفق الدم من فيهِ فلم يستطع استتمام كلامهِ فتشنَّج بين يديَّ ثلاثاً ثم همدت حركتهُ وسقط على صدري فاقد الحياة

وكان من نتيجة ذلك ان تغيرت خطة سفري لانني عوضاً عن متابعة سيري الى فرنسا اضطررت ان اقوم بتلك المهمة لايصال الاوراق الى البرنس في تلك الليلة فبحثت في ثوب الماركيز فوجدت في جيبهِ الداخلي اوراقاً مربوطة بخيط حريري وقد كتب عليها اسم البرنس ساكس فلستين بخطٍ غير واضح عرفتهُ انهُ خط نابوليون . فانتصبت للحال وتركت جثة الماركيز حيث هي وامتطيت صهوة جوادي واعملت في خاصرتيهِ المهماز فاندفع يعدو بي كالنعام الجافل وما سرت قليلاً حتى دوى في اذني طلقان ناريان علمت انهما من رجال الالمان الذين قتلوا الماركيز فلم

اهتم بهم وكان جوادي لا يبالي بالصخور والوهاد التي تعترض سبيلهُ بل يثب فوقها كانهُ طائرٌ لا جواد . اما انا فمع شهرتي باني اقدر خيَّال بين كتائب الفرسان الستة فلم اركب في زماني كما ركبت حينئذٍ . وعند غروب الشمس بلغت بلدة لو بنستين وكان جوادي قد فقد احدى نعالهِ فاضطررت الى دخول فندق واستدعاء بيطار ليركب لهُ غيرها. ولما رأيت ان العمل يستغرق وقتاً قليلاً طلبت من صاحب الفندق فاحضر لي شيئاً من القوت التهمتهُ وانا آسف لذلك التأخير . ولما كان لا يزال بيني و بين قلعة هوف بضعة اميال وثقت من نفسي ان اوصل رسالتي في تلك الليلة وان اقوم في الصباح فاتابع سيري الاول الى فرنسا حاملاً جوابات تلك الاوراق الى الامبراطور . ولكن ابت التقادير الا ان تعكس آمالي وابى الغيب الا ان يخفي لي في فندق لو بنستين شيئاً لم اكن اتوقعهُ قط

قلت لكم انني جلست لتناول الطعام فلم ابلغ نصفهُ حتى سمعت في الخارج جلبةً ظننتها من بعض الرجال وقد سكروا فلم يهمني امرهم ولكنني للحال سمعت صوتاً جعل اتيان جيرار يثب عن كرسيهِ و يسرع الى باب الغرفة لانني سمعت صراخ امرأةٍ تستغيث . ولما فتحت الباب وجدت صاحب الفندق وزوجتهُ والخدم و بعض القرو يين قد تألبوا على سيدةٍ لم يرَ جنديٌّ قبلي اجمل منها وعلى وجوههم علامات الغيظ والانتقام فلم يقع نظرها عليَّ حتى وثبت نحوي واخذت بيدي وقد تحولت ملامح وجهها الى سرور واستبشار ثم قالت اراني بقرب شهم فرنسوي فانا اذاً في امان . فقلت لها بتبسمي المعهود نعم يا مولاتي انك لفي امان فمري تريني مستعداً لخدمتكِ واردفت كلامي بتقبيل يدها اللطيفة . فتبسمت الفتاة وقالت انني بولندية واسمي الكنتة بالوتَّا وهؤلاء يضطهدونني لاني اميل الى الفرنسو يين ولا اعلم ماذا كانت عاقبة امري بينهم لو لم ترسلك السماء لاغاثتي . فقبلت يدها ثانيةً تأكيداً لتأمينها ثم نظرت الى الجمع باحدى نظراتي المعهودة فجعلوا يخرجون من الغرفة واحدٌ بعد واحد حتى بقينا وحدنا فقلت لها انكِ الآن يا سيدتي في عهدتي واراكِ ضعيفةً بعد ما حصل فلا اشك في ان كأساً من الخمر تردّ اليكِ قواكِ . ثم ادخلتها

الى غرفتي واجلستها بجانبي لا تناول بقية طعامي وقدمت لها كأساً من الخمر فلم ترفضها . وظهرت امامي كزهرة نضرة فلم اعد استطيع تحويل نظري عنها وقرأت في وجهها اعجابها بي ايضاً لان النسآء اذا رأين جمال الفتى مقروناً بشجاعتهِ لا يتمالكن ان يحببنهُ . اما حديثها فلم يكن اعذب منهُ وهي تقص عليَّ سيرتها فاعلمتني انها مسافرة الى بولندا مع اخيها وانهُ مرض في الطريق فتركتهُ في مستشفى وانها قاست كثيراً من المشقات في سفرها لمجرد ميلها الى الفرنسويين . ثم انتقلت في حديثها الى سؤالي عن الجيش وعن نفسي وعن سبب مروري من تلك الناحية ولما ذكرت لها اسمي اخبرتني انها سمعت بي وطلبت مني ان اقص عليها بعض حوادثي التي يتحدث بها القوم وانها تود ان تسمعها من فمي مع انها سمعتها قبلاً تُروَى في الفنادق والمنازل . وهكذا اسكرتني بلطفها حتى غرقت معها في الحديث ومرت علينا اربع ساعات قبل ان اتذكر مهمتي وما يطلب مني القيام بهِ . واذ ذاك وثبت كالمأخوذ وقلت اعذريني يا مولاتي لانهُ يجب عليَّ ان اسير في هذه الدقيقة الى قلعة هوف. فنظرت اليَّ بوجهٍ حزين وقالت وماذا يحل بي اذا ذهبت . قلت انني اسير بامر الامبراطور ولا يمكنني مخالفتهُ . قالت تسير وتتركني الى هؤلاء القتلة فلماذا قلت انك تحميني ثم اجهشت بالبكآء . وكانت تلك الدقيقة اعظم تجربة لي ولكنني تغلبت عليها ثم رأيتها كمن يغمى عليها وقد طلبت جرعة مآء فاسندتها الى الكرسي وذهبت مسرعاً لآتيها بالمآء فمضت بضع دقائق قبل ان اهتدي اليهِ ولما عدت الى الغرفة وجدتها خالية ولا اثر للفتاة فيها فكدت افقد عقلي . ثم ناديت صاحب الفندق فسألتهُ عنها فقال انهُ لم يرَها . فخرجت الى الشارع وسألت الخدم والمارّة فلم احصل على فائدة . ثم انتبهت الى ان صدر ثوبي مفتوح فوضعت يدي ولسوء الحظ وجدت ان رسالة الامبراطور التي كنت قد خبأتها هناك مفقودة ايضاً فعلمت للحال ان تلك الماكرة تظاهرت بجميع ما رويتهُ حتى تغامت واخذت الرسالة من صدري بدون ان اشعر بها . فحرت في امري وقلت ما عسى ان يقول الامبراطور متى علم بانني اضعت رسالتهُ وهل يصدق الجيش كلهُ ان اتيان جيرار تمكر بهِ فتاة .

واثرت فيَّ هذه الافكار حتى كدت اعدم رشدي ثم راجعت كل ما جرى فتأ كدلي ان ما كان من الضوضاء وظهور الفتاة لم يكن الا تمثيل رواية متفق عليها لسلب الرسالة مني وللحال امتشقت حسامي وقصدت صاحب الفندق ليطلعني على سر الفتاة ولكن اللعين كان قد عرف قصدي فدخل غرفتهُ واقفل الباب . ولما اقتربت منهُ ناداني قائلاً انجُ بحياتك يا هذا فان جوادك ينتظرك امام الباب واذا اصررت على الدخول ففي يدي غدارة افرغ رصاصتها في صدرك . ولم اكن لاخاف تهديدهُ ولكنني علمت ان لا فائدة منهُ وللحال اعملت الفكرة فقلت اني وان اكن قد فقدت الرسالة فلا اسهل من ابلاغها شفاهاً للبرنس وكنت قد عرفت فحواها من قرائن الاحوال فركبت جوادي وسرت قاصداً هوف

وعند منتصف الليل بلغت المدينة وكانت لا تزال انوارها ساطعة ورأيت من حركة القوم انهم في شغل شاغل يموجون ويتحادثون كأنهم ينوون القيام بامرٍ ذي بال . وكنت امر على جماعات ينظرون اليَّ نظر الانتقام والكراهة حتى ان بعضهم رماني بحجرٍ مرَّ بقرب رأسي ولو اصابهُ لكان ارداني . فلم اهتمَّ بشيء من ذلك ولم ازل اجد السير حتى بلغت قلعة البرنس فترجلت امام بابها وسلمت جوادي للخادم ثم قلت للخادم بلهجة السفير الآمر انني اروم مقابلة البرنس في الحال لامرٍ لا يمكن تأخيرهُ . وسمعت داخل القلعة جلبةً شديدة سكنت عند ابلاغ البواب رسالتي فعلمت ان في القلعة اجتماعاً يقرر فيهِ المجتمعون الحرب او الصلح ورجوت ان اكون قد وصلت قبل ان يكون البرنس قد انحرف عن مصافاة فرنسا . و بعد قليل عاد البواب فقال ان البرنس لا تمكنهُ مقابلتي ولكن البرنسة نفسها يمكنها ان تتلقى مني الرسالة . اما انا فلم يسرَّني هذا الجواب لان المركيز اعلمني قبل موتهِ ان البرنسة المانية قلباً وقالباً وانها هي التي تحرض زوجها على معاداتنا فقلت لهُ ان رسالتي تختص بالبرنس دون غيرهِ فلا بد لي من مواجهتهِ بنفسهِ . وقبل ان يجيبني الخادم سمعت صوت سيدة تقول كلا ثم دخلت السيدة يخفرها رجل حتى وقفت امامي وقالت ما هي الرسالة التي تود ايصالها الى البرنس او الى البرنسة ساكس فلستين . فلما سمعت

الصوت ارتعش جسمي ولما رأيت وجهها صعد الدم الى رأسي لانني عرفتها انها هي نفس تلك الماكرة التي سرقت مني الرسالة . ولما لم اجبها رفست الارض برجلها وقالت ان الوقت ثمين يا هذا فما هي رسالتك. قلت ماذا اقول وقد علمتِني ان لا اثق بامرأة بعد فقد قطعتِ حبل آمالي في المستقبل وافقدتِني شرفي . فنظرت الى الرجل الذي معها باستغراب وقالت هل هذا الرجل في حلم ام هو معتوه يتكلم بما لانفهمهُ . قلت انكِ ماهرة في التمثيل يا سيدتي وقد اريتِني مهارتكِ في اول هذا الليل ولكنكِ لن تهزئي بي مرتين في ليلة واحدة . فنظرت الى الرجل وقالت لهُ ان هذا السفير وقح على ما يظهر فنادِ الحرس ليخرجوهُ خارج القلعة . ولكنها لم تعلم ما هو جيرار وانهُ لا يقع مرتين في احبولة امرأة فقبل ان تتم امرها وثبت وثبة واحدة اوصلتني الى خارج الغرفة واسرعت الى ردهة الاجتماع مستدلاً عليها بصوت الجلبة حتى بلغت بابها فرأيت في صدر الردهة عرشاً مرتفعاً عليهِ فتىً جميل الطلعة وحولهُ كراسي قد جلس عليها مقدَّمو المجتمعين والاعضاء الباقون متفرقون في جوانب الردهة . فلم اقف حتى صرت في وسطهم وصحت قائلاً انني رسول الامبرطور انقل رسالة للبرنس ساكس فلستين . فرفع البرنس رأسهُ ونظر اليَّ ثم قال ما اسمك ايها الرسول . قلت الكولونيل اتيان جيرار من فرقة الهوسار الثالثة . فشعرت بحركة في كل الردهة ورأيت الجميع ينظرون اليَّ فلم ارَ بين جميعهم نظرة صديق ولكنني لم اهتم بذلك فانتصبت كنخلة بين الاعشاب . فقال البرنس ان كتاب الامبراطور الخصوصي افادني ان رسالتهُ قد وُجهت اليَّ مع المركيز شاتو سنت ارنو لا معك . قلت نعم يا مولاي ولكن المركيز قتل في قدومهِ الى بلاط سموكم . قال واين هي اوراقك . قلت ليس معي اوراق . وللحال ارتفع صراخ الحاضرين وجلبتهم فمن قائل ان هذا الجاسوس ومن قائلٍ اقتلوهُ وقائلٍ اشنقوهُ فرفع البرنس يدهُ فسكت الجميع وبقيت انا على ما كنت عليهِ من الهدو والسكينة . ثم قال فما هي رسالتك اذاً . قلت انها تختص بسماع سموكم فقط . فوضع يدهُ على جبهتهِ كرجل ضعيف ليس قيادهُ بيدهِ وهو لا يدري ماذا يجب ان يفعل وكانت البرنسة قد دخلت

الردهة من بابٍ آخر وصارت بالقرب منهُ فاسرَّت اليهِ كلاماً فقال انني مع رجالي في مشورة ولا اخفي عنهم سرًّا فمها تكن رسالة الامبراطور فانها تهمهم كما تهمني فضج الحاضرون بالاستحسان وشعرت ان موقفي حرج فعزمت ان اتكلم مهما كانت النتيجة . فقلت انك طالما اظهرت الميل الى مولاي الامبراطور يا سيدي البرنس وقد ازف وقت امتحان صداقتك لهُ فاذا ثبتَّ فانهُ يكافئك لانهُ سهلٌ عليهِ ان يجعل البرنس ملكاً والامارة مملكة وقد وجَّه مولاي الامبراطور نظرهُ اليك فمع انك لا تستطيع ان تساعدهُ بالقوة فانك تجني على نفسك اذا قاومتهُ لانهُ الآن يجتاز نهر الرين بمئة الف مقاتل وكل معقل في بلادكم قد اصبح تحت حكمهِ وسيصل الى هنا بعد اسبوع.فاذا خنتموهُ فالويل لكم واذا كنتم تظنون انهُ قد فقد شيئاً من قوتهِ ومجدهِ فانتم مخطئون لان نجم سعدهِ لا يزال يتألق في كبد سمآء خياتهِ ولا يغيب حتى تنحلَّ العناصر

ولو سمعتموني ايها الاصحاب ورأيتموني في ذلك الموقف لكنتم بدون شك تعجبون بجيرار بل لو كان الامبراطور نفسهُ يراقبني من ورآء ستار لما تمالك ان يصيح احسنت يا جيرار احسنت يا جيرار

اما البرنس فاطرق بعينيهِ كانهُ تتنازعهُ عوامل لا يقوى على ادراكها ثم قال بصوت ضعيف قد سمعنا فرنسوياً يتكلم عن فرنسا فهل بين الحاضرين الماني يتكلم بالنيابة عن المانيا . فتبادل السامعون النظرات وتهامس اكثرهم فعلمت ان كلامي كانت قد اثرت فيهم.ولم يشأ احدهم أن يبدأ باعلان العداوة لامبراطورنا الا البرنسة فانها التفتت الى ما حولها ثم ثبتت نظرها في الحاضرين وقالت هل تنتظرون امرأة لتجاوب هذا الفرنسوي على كلامهِ أَوَلا يوجد بينكم ايها الشجعان من يبرهن انهُ يستطيع تحريك لسانهِ كما يحرك سيفهُ . ولم تكد تتمّ كلامها حتى رأيت فتى ضئيل الجسم اصفر اللون نحيف الوجه قد نهض فوقف على كرسيهِ فساد السكون وسمعت بعضهم يقول قد نهض كورنر الشاعر فاسمعوهُ . فبدأ الفتى بالانشاد بصوتٍ رخيم ولكنهُ حماسي فعدد اوصاف جرمانيا ام الممالك ذات السهول الخصيبة والابطال

الشجعان ثم انتقل الى وصف حالتها وقد أُخذت غدراً حين لم تكن مستعدة لمقاومة نابوليون. ثم قال اما الآن فانها تمطى في وثاقها وتحل عنها تلك القيود وتنادي بنيها ليصونوا شرفها و يعيدوا عزها فهل يسمعون نداءها وهل يلبون الطلب

وكان نشيد الرجل كانهُ مجرى كهر بائي سرى في عروق السامعين فابرقت اسرتهم وصاحوا صياح الفرح ولم يبقَ منهم من لم يثب عن كرسيهِ وقد استل حسامهُ حتى ان البرنس نفسهُ اشرق وجههُ فنظر اليَّ وقال قد سمعت يا كولونيل جيرار الجواب فارجو منك ان تنقلهُ الى امبراطورك . ثم نظر الى رجالهِ وقال ايها الاعزاء قد صممنا على هذا الرأي فاما ان نفوز معاً او نهلك. ولما قال ذلك انحنى صارفاً الجلسة فجرى الجميع يتسابقون للخروج لكي يذيعوا تلك البشرى بين مواطنيهم

اما انا فعلمت انهُ لم يبقَ لي حاجة بالمكث ووددت الخروج لاعود بالجواب وقد كرهت هوف والنظر اليها فحنيت رأسي وسرت الى الجهة التي ربطوا فيها جوادي. وكان المكان مظلماً فمشيت بتمهل واذا بي قد شعرت بايدٍ غلت يديَّ الى عنقي وشعرت بحديد غدارة تحت اذني وسمعت صوتاً يقول اياك ان تبدي اقل حركة ايها الكلب الفرنسوي . ثم اخذ احدهم لجام جوادي فربطهُ حول عنقي بعنف وقادوني صاغراً وسمعت رئيسهم يقول لنشنقهُ حالاً . فقال آخر ولكنهُ سفير يا مولاي. قال سفير بدون اوراق فهو جاسوس . قال ولكنك اذا قتلتهُ لم نأمن ان يؤثر عملك على افكار البرنس لانك تعلم انهُ سريع الانقلاب . ولما قال هذا استلَّ سيفهُ فقطع رباط عنقي ونادى رفاقهُ قائلاً ايها الاخوان انهُ من العار علينا ان نتحامل على رجلٍ وحيد بيننا لا يستطيع المدافعة . واذ ذاك سمعنا صوت آخر يقول مهلاً فقد جاءَت البرنسة فنظرت فرأيتها بجمالها الرائع ومع كراهتي الشديدة لها وحنقي عليها لم اتمالك ان اعجب بطلعتها الفتانة التي لا تمحى من ذاكرة جيرار . فاقتربت اليَّ وجعلت تحل قيودي بيدها وهي تقول يا للعار انكم تجاهدون في سبيل العدالة وتبدأُون بمثل هذه الفعلة الشنعاء . فاعلموا ان هذا الرجل لي ومن مس شعرة من رأسهِ يحاسبني عليها بحياتهِ . فلما سمعوا كلامها ابتعدوا عنا فنظرت اليَّ

وقالت اتبعني يا كولونيل فلي كلام اقولهُ لك . فتبعتها كمن لا يدري ماذا يفعل حتى بلغنا الغرفة التي قابلتها فيها اولاً فاقفلت بابها وقالت انك ترى الآن امامك البرنسة ساكس فلستين كما رأيت في اول الليل الكنتة بالوتا البولندية . قلت لا تهمني تلك لانني انما ساعدت امرأة ضعيفة كنت اظنها في ضيق فسرقت اوراقي وهدمت شرفي كانها تكافئني بذلك . قالت اعلم يا كولونيل انني كنت واياك جوادَي رهان وقد اعانتني التقادير فسبقت وانت تعلم انهُ عند ادراك الغاية لا يبالى بالواسطة مهما كانت سرقةً او كذباً . اما الآن وقد انتهى الشوط فلا ينبغي ان يوجد بيننا اقل حقد . واعلم انني لو وقعت في ضيق حقيقي لما اخترت سواك منقذاً وحامياً ولم اكن اظن قط انني اعتقد مثل ذلك في رجل فرنسوي قبلك . اما سرقتي الاوراق فقد كانت مما لا بد منهُ لانني اعرف قوة كلام كاتبها وضعف ارادة زوجي فلو وصلت اليهِ لما صمم على رايهِ الاخير قط . قلت ولِمَ عرَّضتِ نفسكِ لفعل ذلك وقد كان في امكانك ان تأمري بعض رجالكِ بمقابلتي وقتلي كما قتلوا المركيز . قالت كانت رجالي منبثةً في جميع النواحي لهذه الغاية وكنت انتظرهم في مدينة لو بنستين فلما بلغتها انت علمت انك نجوت منهم ففعلت ما لم يبقَ لي سواهُ لافعلهُ . قلت انني اعجب بمهارتكِ يا مولاتي واقرّ بانني غُلبت فلم يبقَ عليّ الا ان استأذن وانصرف . قالت وخذ اوراقك فانهُ لم يبقَ لي بها حاجة فان البرنس قد سار برجالهِ الى حيث لا تدركهُ بعد فارجع الى امبراطورك وقل لهُ انهُ لم يشأ قبول الرسالة فلا يشكوك بفقدها احد . فاستودعك الله يا حضرة الكولونيل وانصح لك اذا بلغت فرنسا ان تبقى فيها لانهُ بعد سنة لا يبقى فرنسويٌّ في هذه الجهة من نهر الرين

وهكذا انقضت مهمتي لدى البرنسة ساكس فلستين فخرجت وانا افكر فيما جرى وكنت كل هنيهةٍ اتصور امامي ذلك الوجه اللطيف وقد عجبت من اعتصاب الالمان وقلت لا ريب ان هذه البلاد لا تغلب. وكان قد لاح الفجر فرأيت النجم الذي كان يدعوهُ نابوليون نجمهُ الخاص قد بدأ بالذبول واخذ يفقد من بهائهِ ولمعانهِ

—— * ——

اغلاط المولَّدين

من المعلوم ان العرب كانوا قوماً أُمّيين لم يدوّنوا شيئاً من قواعد لغتهم وشعرهم ولا كانوا يعرفون شيئاً مما نسميهِ اليوم بعلوم الادب كالصرف والنحو وغيرهما ولكنهم كانوا يرسلون الكلام عن وحي السليقة وتلقين البديهة لا يراعون في ذلك الا ما ارتسم في ملكاتهم من الطرق والاساليب التي نشأوا عليها وأَلِفوها فيما بينهم . فلما جاء الاسلام وكثر اختلاط العرب بغيرهم من الامم وخيف على السنتهم من الفساد انتدب من ائمتهم من تدارك امر اللغة بتدوين مفرداتها وتقييد احكامها على ما هو مشهور فجمعوا اجناس كلامهم وضمّوا كل نظير الى نظيرهِ حتى صارت علماً ذا اصول وضوابط وما وُجد خارجاً عن قياس امثالهِ من شواذّ الالفاظ والتراكيب نبّهوا عليهِ في اماكنهِ ليكون المقلّد لهم في هذه اللغة على بيّنةٍ من استعمالها عارفاً بمَقِيسها ومحفوظها .

على ان الشذوذ في اللغة ليس بالامر النادر ولكن من تتبّع منقولها ولا سيما ابنية الالفاظ المفردة من المصادر والصفات والجموع ومعاني بعض المزيدات يجد من ذلك ما لا يُحصَى حتى يُضطرّ الى اخذ الكثير منها بالحفظ والسماع . وهذا ولا جَرَم من الشوائب التي اضاعت كثيراً من محاسن اللغة وذهبت بفضل الواضعين لها وجعلت الاحاطة بها من المعجزات حتى لا يتعدى الثقات من اهلها افراداً قلائل في كل عصر . ولذا كان العلم بشواذّ اللغة وشواردها اهمّ من معرفة مطّردها ومقيسها بل

هو الغاية التي يكبو من دونها السُبّاق من اهل هذه الصناعة والمزلّة التي يُستدرَج بها الأَثبات من ذويها واليهِ مرجع اكثرما نراهُ من الخطأ في كلام المولّدين اذ القياس كالمحجّة الواضحة لا يكاد يضلّ سالكها

ومعلومٌ ان العرب كانوا من اشدّ الناس تأنقاً في لغتهم واَقوَمهم على تهذيب احكامها وادقّهم نظراً في تسديد اقيستها كما يعلم ذلك من تتبَّع كلامهم بالروية النقّادة ورأى ما في ابنية الفاظهم واشتقاقاتها من الحكمة والسداد والملآءمة بين اجناس الالفاظ والمعاني مما لا تضارعها فيهِ لغةٌ من اللغات فمن العجيب ان يقع لهم مثل هذا الشذوذ الفاحش حتى لا يقف الناظر في بعض الالفاظ على قياس يردها اليهِ . على انك اذا استقريت هذه الشواذّ وجدت اكثرها طارئاً على اصل الوضع بحيث انك اذا تتبعت كثيراً من موادّ اللغة امكنك ان تستشفّ القياس من بينها وتمثل الاصيل فيها من الطارئ . وهي على الغالب ترجع الى سببين احدهما تداخل اللغات بحيث كان بعض الفاظ المادّة من لغةٍ وبعضها من لغةٍ اخرى فتعارض القياس بينهما والثاني الضرورات الشعرية لما فيها من الخروج عن مقتضى القياس لاقامة الوزن او القافية

وبيان ذلك أن ما نُقِل الينا من اللغة لم يكن لغة قبيلةٍ واحدة ولكنهُ خليطٌ من عدة لغات هي التي اجتمعت في لغة قُرَيش وهي لغة التنزيل والسُنّة التي دوّنها المصنّفون في كتبهم والتي عليها استعمال المولّدين الى هذا اليوم . قال السيوطي في الاقتراح « قال ابو نصر الفارابي في اول كتابهِ المسمى بالالفاظ والحروف كانت قُرَيش اجود العرب انتقاداً

للافصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعاً وأَبينها ابانةً عما في النفس. والذين نُقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتُدِي وعنهم أُخِذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد فان هؤلآء هم الذين عنهم اكثرما أُخِذ ومعظمهُ وعليهم اتُّكِل في الغريب وفي الاعراب والتصريف. ثم هُذَيل وبعض كنانة وبعض الطآئيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم » . انتهى المقصود منهُ

ولا بأس ان نورد ههنا شيئاً من امثلة التداخل المشار اليهِ وذلك كقولهم حَضِر بالكسر يحضُر بالضمّ وهذان لا يكونان في اللغة الواحدة لان هذا ليس من الاوزان المألوفة عندهم انما هما من لغتين فالماضي من لغة من يقول حَضِر يَحضَر على حدّ عَلِم يعلَم والمضارع من لغة من يقول حَضَر يَحضُر على حدّ نَصَر ينصُر ولكن وقعت احدى اللغتين الى الاخرى فحدث عن اجتماعها لغةٌ ثالثة . وهناك لغةٌ رابعة وهي حَضَر يَحضَر بالفتح فيهما وهي عكس الاولى بمعنى انهُ أُخِذ الماضي من حدّ نَصَر والمضارع من حدّ علِم فجآء حاصلهما من حدّ منَع . وربما استدرج ذلك بعض اللغويين فصرّح بهذا الضبط الاخير كما فعلهُ صاحب القاموس في ضبط رَكَنَ فجعلهُ كنصَرَ وعلِمَ ومنَعَ وكما فعل في ضبط هلَكَ حيث جعلهُ كضَرَبَ ومنَعَ وعلِمَ . ومثلهُ ما حكاهُ ابن جنّي من قولهم قنَط يَقنَط بفتح النون فيهما وانما هو من بابي ضَرَبَ وعلِمَ وقس على ذلك عدة افعال وردت على هذا النحو كسَلا يسلَى وأَبَى يأبَى وكل ذلك مخالفٌ للمُجمَع عليهِ في لسانهم لان فتح العين في الماضي والمضارع مخصوص بما

كانت عينهُ او لامهُ حرفاً من احرف الحلق . وهذا الفتح مع حرف الحلق غير خاصّ بالعربية ولكنك تجد مثلهُ في العبرانية ايضاً فيما كان كذلك من الافعال بل هو في هذه اللغة اعمّ مما عند العرب فانهم كثيراً ما يفتحون مع حرف في الحلق حيث يسكّنون مع غيرهِ فيقولون في يعقوب مثلاً يَعَقُوب بفتح العين وهو في الاصل مضارع عَقَبهُ اذا اخذ بعَقِبهِ وكذا اذا ارادوا مضارع حَلَم وعَمَد ونحوهما قالوا يَحَلُوم ويَعَمُود (اي يَحْلُم ويَعْمُد) فيفتحون فآء المضارع المجرّد . ويقولون في روح ويشوع ورقيع رُوَح ويَشُوَع ورَقِيَع بفتح الواو والياء . والظاهر ان هذا امرٌ طبيعيٌّ كما يدلك عليهِ أنك ترى الاعجميّ اليوم اذا اراد ان يقول موضوع مثلاً ومفاتيح ينقاد بطبعهِ الى فتح الواو والياء قبل الحرف الحلقي لان هذين الحرفين يخرجان من ادنى الفم فكانهُ يستعين بفتح فمهِ على ايصال الصوت الى مقطع الحلق

ومن ذلك انك ترى مصادر الالوان تأتي على فُعْلة بالضمّ كالحُمرة والصُفرة والسُمرة والشُهلة وقياس الفعل من هذه المصادر ان يكون من باب عَلِمَ وهو ما تراهُ مطّرداً في كل ما استُعمِل منهـا مجرّداً . ولكنك تجد بينها الصُهوبة والكُدورة ومقتضاهما ان يكون الفعل منهما من حدّ كَرُمَ كما تقول سَهُلَ سُهولةً وصَعُبَ صُعوبةً . وقد ورد كَدُرَ بالاوجه الثلاثة واما صَهِبَ فلم يرد فيهِ الا الكسر مع ورود المصدرين فيهِ . وعكسهُ شَهُبَ فانهُ لم يُحكَ في مصدرهِ الا الشُهبة مع ان الفعل رُوِي من بابي عَلِمَ وكَرُمَ . وقس على ذلك كثيراً من منقول اللغة مما اضطربت

فيهِ سلسلة الاشتقاق او جآء بعض الالفاظ فيهِ مُقتضَباً بنفسهِ وهذا بابٌ واسع تحتمل الافاضة فيهِ مجلَّداً برأسهِ　　　　(ستأتي البقية)

ـــ﴿ حديقة السوسن ﴾ـــ

(تابع لما قبل)

— ١٣ —

قد أتينا في الفصل السابق على بيان أمرين مهمين ممـا يحقُّ للنسآء أن يطالبنَ بهِ الرجال من حقوقهنَّ والآن نأتي على ايضاح سائر الامور فنقول

ان المرأة في أوربا مسؤولة أبداً عن ماضيها أي عن سيرتها الادبية قبل الزواج بخلاف الرجل فانك تراهُ يقصُّ على امرأتهِ بعـد أن تصبح شريكة حياتهِ حوادث عزوبتهِ مفتخراً بمـا يتلو عليها من فصول أسرارهِ الليلية وفضائحهِ الشهوانية غير مبالٍ بما تؤثرهُ في فؤادها المحب واحساسها السريع الانفعال مما يعود عليهِ في مستقبل أيامهِ معها وبالاً ونكالاً فكأَنهُ يزعم انها مفصَّلةٌ من حديد صلب لا من لحمٍ ودم . ولذلك لا يتبادر الى ذهنهِ ان الغيرة ستدركها مما تسمع وان النفس ستناجيها ان تحذو حذوهُ فيما فعل مغرياً اياها وهو لاهٍ عن مغبَّات قولهِ بالخروج عن حدود الصون والعفاف التي يودُّ كل زوج من امرأتهِ الاَّ تتعداها . أما هي فالويل لها اذا أتت أمامهُ بذكر علاقة لها سابقة ولو تلميحاً على عهد بكارتها أو تأيُّمها — اذا كانت ارملةً ثم تزوجت — فتلك هي الجريمة التي لا تُغتفرأبد الدهر

والاساءَة التي لا يحسن عليها الترفق او الصبر فالمرأة التي تغلبها الخفة فتنطق على مسمعٍ من زوجها ولو بكلمةٍ من هذا القبيل بشّرها بعذابٍ أليم وخياةٍ دونها مرارةً وبلآءً ما أُعدَّ لابنآءِ الجحيم

ثم ان المرأة في اوربا يباح لها غالباً السفر برًّا وبحراً في الحوافل والعواجل والقُطُر وعلى اجنحة البخار ومتون المضمَّرات الجياد كالرجال وقد تعوَّدت في الازمنة الاخيرة ان تركب المنطاد صعوداً الى كبد الفضآء لا بل ان البنات في بلجيكا على رواية اسكندر دوماس ترافق الواحدة منهنَّ من تهواهُ ويهواها في سفرةٍ قد تطول اياماً او اشهراً قصدَ اختبار كلٍ منهما اخلاق الآخر حتى اذا انتهت على زعمهم مدة الاختبار عادا الى مقرهما اما الى عقد الوفاق وصلاة الاكليل واما الى انفصام عروة الوئام وانصراف كلٍ منهما الى قنصٍ جديد . كلٌّ هـذا يجوز في شرع هؤلاء المتمدنين لا يرون فيهِ بأساً ولا يوجسون منهُ خشية المذمة ووصمة العار . وأما ركوب المرأة عربةً في البلد والتخطر في شوارعها او متنزَّهاتها منفردة فمحظورٌ مهما كانت الاسباب والضرورات الداعية اليهِ ما لم يرافقها طفلٌ اووصيفة ومَن لم ترعَ هذه السنَّة وبدت في العربة وحدها ولو ذهاباً الى الخيَّاطة او الى بيت ابيها عدَّها الرآءون من المتهتكات الغاويات وتناولوها بكل شفةٍ ولسان بل جاز لايِّ شآءٍ من الرجال ان يطارحها آيات المداعبة والغزل ويدعوها الى ما لا يُستحَبُّ ذكرهُ ولا عتبَ عليهِ ولا ملام . حتى انهُ كثيراً ما تضطر بعض العقائل اللواتي يجتنبن سوءَ الأُحدوثة الى زيارة صاحبة او استشارة قابلة او طبيب فاذا لم تجد من ذويها او خوَلها من

يرافقها اضربت عن الذهاب مرغمةً مهما ترتب على عدولها من المضارّ

فتأمل في حال اولئك المتمدنين كيف يوسعون من جهةٍ نطاق الحرية لذلك المخلوق الضعيف القويّ الى حدّ يتجاوز الافراط بحجة انهُ من موجبات التسوية في الحقوق ثم يبالغون من جهةٍ ثانية في الضغط عليهِ بلا سببٍ عادل الى حدّ انهُ لا يملك المشي وحدهُ او الركوب في عربة ضمن المدينة او في ارباضها محافظةً على عادةٍ سيئة . ومن اين جاز في شرع التهذيب والأدب للرجال ان يتصبَّوا بلا حرج من تكون منفردةً في عربتها مهما كانت صفتها دون ان يُضرَب على ايديهم من ذوي الحكم لعبثهم بالأعراض على ملإٍ من الناس . ولقد صح عندنا ان اهالي اميركا الشمالية هم من هذا القبيل اصلح عاداتٍ وأقوم سبيلاً لانهم لا يفرّقون هذا التفريق الجامع النقيضين بل يطلقون للانثى حرية الانفراد سفراً وحضراً والركوب على أي صورةٍ كانت وحدها كانت او مع جماعةٍ ولا تثريب عليها فيما تفعل

لاجرم ان ذلك اكثر عدلاً واقرب الى الذوق السليم وان كان كلا الامرين لا ينطبق على عوائد الشرقيّ البحْت بل ينكرهُ كل الانكار ويرى فيهِ ما ينافي الصيانة ويبتزُّ من جلال الانثى ومهابتها . بيد انهُ مع كل هذا التحوُّط والتشديد يجوز للانثى في دمشق وحلب وبغداد مثَلاً ان تسلك الشوارع والطرق مشياً وركوباً في عربة او غيرها دون رفيق وليس من يتهمها بوصمةٍ او يرميها بريبةٍ ما لم تكن معروفةً بالتبذُّل مشهورةً بهتك الحجاب

أما الضِرار وهو تعدُّد الزوجات[1] في الشرق فهو بلية النسآء الكبرى ومن الغريب انهُ ما برح حتى هذا القرن مُباحاً مستفيضاً في اكثر الامم من اهلهِ

اما البرهميون والبوذيون وسائر سكان الشرق الإقصى فيعتبرون الزوجة الاولى شرعيةً واما سائر الزوجات فيكنَّ بمثابة عبداتٍ لها . ومن غريب عاداتهم انهُ عند ما يموت الرجل تُدفَن او تُحرَق زوجتهُ معهُ ولا

---

(١) ان تعدُّد الزوجات عادةٌ قديمة جدًّا جرى عليها الفُرس والرومان والمصريون والهنود والعرب وغيرهم من سائر الامم القديمة وهي لا تزال شائعة كل الشيوع في الشرق وتجيزها شرائعهم ولذلك هم يألفونها ولا يستهجنونها

أما تعدد الازواج أي تزوج امرأةٍ واحدةٍ بعدَّة رجال - وهو نادر الوجود اليوم الا بين بعض القبائل المتوحشة - فينكرهُ الطبع كل الانكار وقد لا يصدّق العاقل انهُ كان قديماً كثير الشيوع بين كثيرٍ من الامم ثم تقلص ظلهُ مع تراخي الايام لانقطاع العلة التي سبَّبت انتشارهُ قبل وهي قلة الاناث بالنسبة الى الذكور. وهذه العلة لم تكن لتنشأ لولا ما تعوَّدهُ الهنود والعرب وغيرهم من وأد البنات - اي قتلهنَّ أو دفنهنَّ حيَّاتٍ حين تضعهنَّ الوالدات - اذ قد ثبت بالاستقرآء ان الولادة من الجنسين متعادلة متقاربة في اكثر انحآء المعمور . الا انهُ قد تدعو ايضاً الحروب الطاحنة الى تعدُّد الزوجات فان القتال انما يجتاح الرجال و يستأصلهم دون الاناث على حدّ قول الشاعر

كُتب الحرب والقتال علينا　　وعلى الغانيات جرُّ الذيولِ

وكان الازواج لزوجةٍ واحدة يتألفون أولاً من أُسَرٍ متعدّدة ولا قرابة بينهم ثم انحصرت هذه العادة في الاشتراك بين الاخوة ولا تزال قبيلة الكاسياس في جبال حملايا وقبيلة النارس في مالابار والكواناس في جنوبي اميركا جارية حتى اليوم على

عكس والويل ثم الويل لمن تأبى نفسها هذه الميتة الهائلة فانها تعيش ذليلةً مهانةً بين مواطنيها ممقوتةً مبغضةً من اهلها وبيت حميها يسومونها من انواع العذاب والعسف والجور ما يحلو دونهُ الموت الف مرةٍ في اليوم تخلصاً من شقآءٍ دائم وارزآءٍ لا تنفد . وهي اذا حاولت النجاة من بلايا الترمل بالتزوج ثانيةً زادت في قومها ذلاًّ على ذلٍّ . ولذلك لا نعجب اذا

القاعدة الاولى اي ان يشترك جملة أزواج من أُسَر مختلفة في امرأةٍ واحدة . وقد ذكر احد السياح شيوع هذه العادة بين بعض اهل افريقيا حيث يتزوج الرجل بامرأةٍ واحدة وتتزوج المرأة بعدة رجال وفي جزائر صندويج يحصرون تعدد الزوجات في النسآء الحاكمات

أما تزوج المرأة بأخوين معاً فهو قديم جدًّا وكان شائعاً في وادي كشمير وتبيت وجبال سفلك وكستوار وسرمور وسلحت وكشار واماكن غيرها في الهند وسيلان واستراليا وبين سكان اميركا الاصليين . ولكن في سيلان يجوز لكلٍ من الازواج ان يشرك في زوجتهِ من شآء من الرجال فيصيرون أزواجاً شرعيين لها مثلهُ بشرط أن يكون ذلك برضى المرأة أيضاً . وهذا برهان على ان العادات والسنن قد تسطو على الغيرة الطبيعية وحب الاثرة فتميتها . وقد قال أحد الروَّاد انهُ رأى هنالك امرأةً من الشريفات لها ثمانية أزواج وظهر من تعداد سنة ١٨٢١ ان الرجال كانوا في تلك الجزيرة اكثر من النسآء بعشرين الفاً وهذا سرُّ بقآء هذه العادة بين بعض اهاليها حتى اليوم مع اجتهاد البرتوغاليين في ازالتها

ولقد ثبت ان الاخوة في اسبرطة مهما كان عددهم كانوا يشتركون في زوجةٍ واحدة . وقال يوليوس قيصر ان اهالي بريتانيا القدمآء كانوا كذلك وذكر استرابون المؤرخ ان تعدد الازواج كان شائعاً عند بعض الماديين حتى انهم كانوا يحتقرون المرأة التي لها أقل من خمسة أزواج

رأينا النسآء حالة موت ازواجهنَّ ذاهباتٍ الى الموت معهُ احراقاً او دفناً في الحياة وهنَّ فرحاتٌ طربات متزينات متبرجات كانهنّ في وليمة او عرس اذ يفضلنَ الموت مع الشرف و رضى الناس عنهنَّ على حياة الترمل التي في كل دقيقةٍ من دقائقها ويلٌ ونكالٌ كالاستشهاد . ولطالما عُنيت الحكومة الانكليزية في الهند باستئصال هـذه العادة الفظيعة فلم تفلح الا في المدن واما في اكثر الارياف فهم يجرونها سرًّا ولو تحملوا طائلة العقاب . اما في البلاد التي ليس للحكومة الانكليزية سلطةٌ فيهـا فهم يجرونها علناً باحتفال دينيٍّ عظيم ولا يتحولون عنها حتى اليوم

(ستأتي البقية)　　　سليم عنحوري

الجوكية

(تابع لما في الجزء الخامس)

والجوكية في الهند فرقةٌ من الطائفة المعروفة بالفقرآء وهم قومٌ من النسّاك يعيشون من التكفف على حدّ الدراويش في فارس والمملكة العثمانية. وأصل طريقتهم يرجع الى حكايةٍ وردت في الكتب الهندية حاصلها أن واحداً من راجواتهم يقال لهُ دِيزَرْتَ نِي ابنهُ رام مَن المملكة وفيما كان غائباً اقبل الملك رِيڤان على امرأة رام متنكراً بزيّ مستعطٍ يسألها صدقةً فخطفها وانطلق بها . ولما عاد رام وعلم بمـا كان زحف على مملكة ريڤان فدمّرها وخرج ريڤان هائمـاً على وجههِ ينتقل من بلدٍ الى بلد يعيش من الكُدية فاقتدى بهِ اناسٌ من اهل تلك الديار ولم يلبث ان كثر تُبّاعهُ وانتشروا

في اكثر نواحي الهند الشرقية

وعدد الفقرآء في هذه البلاد يبلغ على ما ذكرهُ هربلُوت ثماني مئة الف من المسلمين واثني عشر الفاً من الوثنيين فضلاً عن المرشَّحين للدخول في طريقتهم . وهم فريقان فريقٌ ينتشرون فُرادَى فلا يأوون الى وطن مخصوص وليس لهم جمعيةٌ تضمهم وهم يمشون عُراةً وفي يد كلٍّ منهم هراوةٌ ضخمة قد عُلّق عليها خِرَق مختلفة الالوان ولا ينامون على فراش ولا غطآء لهم الا السمآء ولا يوقدون نارهم بالحطب بل بجلّة البقر اليابسة وهو عندهم ضربٌ من العبادة لان للبقر اعظم حرمة في الهند . وهم يستبيحون جميع المنكرات والكبائر ويستحلُّون كل نوعٍ من المحرَّمات ولذلك لا تؤمن غائلتهم اذا صادفوا احداً في موضعٍ منفرد فانهم لا يكتفون بسلب مالهِ ولكنهم يقتلونهُ خوف تَبِعةٍ تلحقهم اذا تركوهُ حيًّا

والفريق الثاني يتألفون عصاباتٍ لكل عصابةٍ منهم رئيس وهم يكتسون بخلاف اولئك ويتخذون ملابسهم من خِرَقٍ بالية مختلفة الالوان ويكون ثوب رئيسهم ارثّ من ثياب سائرهم وهو ينوط سلسلةً طويلة باحدى ساقيهِ فاذا صلّى قعقع بتلك السلسلة . ولهذه الطائفة حرمةٌ عظيمة عند العامّة وهم يأكلون على موائد المؤمنين وحيثما ساروا يلتفّ الجماهير حول رئيسهم ويركعون امامهُ ويقبّلون قدميهِ ونعليهِ ويُدِرّون عليهِ مبرّاتهم ويسترشدونهُ في امور دنياهم وآخرتهم وعندهُ رُقًى لاصحاب الزمانات وللنسآء العواقر ولهم بهذه الرقى ايمان وطيد

ومنهم من ينتظم بما يشبه انتظام الجيش فيحملون الرماح وغيرها من

السلاح واذا مشوا رفعوا لهم رايةً وساروا على اصوات الابواق واذا سافروا من بلدٍ ضربوا الطبول اعلاناً برحيلهم وكذلك يفعلون اذا بلغوا المكان الذي يقصدونهُ

وللوثنيين منهم شعائر غريبة في الدين واقدامٌ على تعذيب اجسادهم بما يفوت طور الاحتمال وهؤلآء هم المسمَّون بالجوكية . فمنهم من يقضي نهارهُ وليلهُ واقفاً او جالساً فلا يتغير عن تلك الحال ولا يتحرك من مكانهِ وينام وهو كذلك حتى روى البروفسور مونيار وِليَم انهُ رأى في مدينة الله آباد رجلاً جالساً منذ خمسين سنة على قاعدة من الحجر معرَّضاً للشمس والريح والمطر فلا يتحرَّك الامرةً واحدة في اليوم يذهب بهِ مريدوهُ الى نهر الكنج المقدَّس فينغمس فيهِ ثم يردونهُ الى مكانهِ . ومنهم من يرفع يديهِ في الهوآء ويلبث كذلك الى ان يموت فلا ينزلهما البتة ولا يزايل موقفهُ ليلاً ولا نهاراً ويقاسي ألم البرد والحرّ ولسع الهوامّ ولا يمدّ يدهُ لطردها . ورؤي منهم من نذر على نفسهِ الانقطاع عن الكلام مدة اثنتي عشرة سنة وآخرون يضعون النار على رؤوسهم ويلبثون كذلك حتى تحرق الجلد واللحم وتبلغ العظم . وروى احد السُيّاح الانكليز القصة الآتية قال ان احد أولئك الجوكية لبث واقفاً على ساقيهِ مدة اثنتي عشرة سنةً لا يقعد ولا يضطجع وهي الدرجة الاولى . ثم انتقل الى الدرجة الثانية فشبك يديهِ على رأسهِ وضمّ اصابعهُ على الكفّين واقام على ذلك اثنتي عشرة سنةً اخرى وقد طالت اظفارهُ حتى دخلت في لحم يديهِ كالمسامير . وبقي عليهِ بعد ذلك درجةٌ ثالثة وهي ان يمشي بين خمس نيران اربعٌ منها للرياح الاربع

والخامسة للشمس لكنهُ لم يأتِ عليهِ نصف ساعة حتى سال الدم من جميع اعضآئهِ واُخذ ميتاً . والحكايات من امثال ذلك اكثر من ان تُحصى

الا ان كل هذا على تناهيهِ في الغرابة ليس فيهِ الا الصبر على الآلام البدنية طمعاً فيما ورآء ذلك من الحصول على السعادة الأُخروية والمثول بالحضرة البَرَهْمية ومثل هذا يفعلهُ كثيرون من المهوَّسين في امر الدين من اهل كل مذهب . لكن هناك اموراً تفوق طور الطبيعة وذلك كما رواهُ المستر اسبورن احد موظفي الانكليز بالهند سنة ١٨٣٨ من ان جوكيًّا دفن نفسهُ في الحياة واقام عدة اسابيع بل عدة اشهر تحت الارض ببضعة امتار ثم أُخرج حيًّا . وقد تقدم ما يقرب من هذه الرواية عن ابن بطوطة وتواتر مثلها على ألسنة كثير من السيّاح في اعصار مختلفة ممن لا يُشَكّ في صدقهم ولا تجوز عليهم الخزعبلات المموَّهة . على انهُ يُذكَر ان بعض الاوربيين عرضوا على احد هؤلآء الجوكية ان يدفن نفسهُ ويسلّم مفتاح القبر الذي يُبنَى لهُ الى أُناسٍ من قِبَلهم ووعدوهُ على ذلك بجائزةٍ طائلة فامتنع فاستدلّوا من ذلك على ان في الامر تدبيراً احتياليًّا على حدّ سائر الاعمال الموهمة من شبه السحر . لكن بقي هناك ما لا يحتمل هذا الفرض كمسئلة الارتفاع عن الارض وحكاية التفاح البرازيلي وغيرها مما ذُكر قبلاً وآخر ما ذهب اليهِ اصحاب الحدس ان هذه الامور تتمّ بواسطة عاملٍ مغناطيسي يتسلط بهِ الجوكيّ على اوهام الحضور ويصوّر لهم ما لا حقيقة لهُ على نحو ما يجري في حال التنويم الصناعي ولعلّ هذا اقرب ما يكون الى الحقيقة وان لم يتوصلوا الى معرفة سرّهِ والله اعلم

اثر ثمين

وقع الينا الكتاب الآتية صورتهُ وقد بعث بهِ المرحوم محمد علي باشا رأس الأُسرة الخديوية في القطر المصري الى المرحوم السيد سعيد بن سلطان جد الأُسرة المالكة في زنجبار ومسقط يخبرهُ بما كان من امر ولدهِ ابرهيم باشا في حرب جدّة والمورة وقد تفضل علينا بهذا الكتاب حضرة الفاضل اللوذعيّ السيد صالح بن عليّ من متوظفي الوكالة البريطانية في زنجبار فنشرناهُ بصورتهِ الخطّية ليكون من الآثار المصرية الخالدة ونحن نرفع الى حضرة مهديهِ خالص شكرنا على ما اطرفنا بهِ من هذه التحفة النفيسة وهذه صورة الكتاب

[illegible]

الى حضرة معدن الفخر والسيادة صاحب ذيال العز والسعادة نجيب الامام الاكرم الامام بن الامام الافخم لازال [illegible]

نهدي اهدا دور التحيات العطرة الناشية عن قواعد المحبة والوداد وادا [illegible] تسليمات عاطرة طيبة تعجز عن عبير المودة

والاتحاد ومن بدائع الاشواق الوفية الى تمني مشاهدة انوار طلعتكم البهية ذات المعاني والاسعاد الثابت

لترقيم غاية الوداد والخلوص ولحب الوفي المخصوص ولا انعقاد بحر الكريم العاطر لازال محفوظاً بالله [illegible]

نأينا بذي الجناب انه بأي وقت وان يرد علينا كتابكم الكريم المحلى بعقد فرائد التعظيم وكافة ما

ابديتموه من لوازم المحبة والوداد وترسم المحبة والمصافاة قد صار معلوم وفاز بالاذعان المعلوم ثم

قد فهمنا ايضا ما حررتموه بحكم النصيحة عن كيفية حال تركي الذي بمخا فنشكر الله سبحانه وتعالى قد تفضل

وكرم وخاطبتموه بفضله واتم بابها بالنصر والظفر الى عساكرنا المنصورة لكونه كان باياه سعادة دولتنا

الوزير الخطير ومن عنده بالمودة ففتحوا القلاع والبلاد ودمروا اهل البغي والفساد وبتاريخ عشرين ذا

[illegible] بحصار المحصيه بمعقل الكفار المحاربين [illegible] قرار [illegible] وبعد هذه لم يبق بيد الكفار

سوى [illegible] مستدام [illegible] البلاد فاننا [illegible] الكريم [illegible] بدولة المعظم بمدة وجيزة من الايام

تنتهي غاية الكفر والدوام واذ ذاك [illegible] القلاع [illegible] الجهاد [illegible] حامل [illegible]

اهل قبيلة البلاد والدمار ولان بحسب ذلك وخاصة لاجل تأكيد مباني المحبة وتوطيد معاني الخلوص والصحبة

اقتضى تحرير وتسطير [illegible] دوام [illegible] وسائل الولاء [illegible] كلما [illegible] المحبة والصفا

ودمتم محفوظين والسلام ختام ٢٦ شوال [illegible]

الصحافة في الغرب

(تابع لما في الجزء الرابع)

اوردنا فيما سبق من هذه المجلة فصلاً بعنوان الصحافة في الغرب اشرنا فيهِ الى اهمّية فن الاعلانات وفن التصوير الهزلي في جرائد اوربا واميركا وذكرنا ما بلغت اليهِ الاعلانات من التفنن والانتشار وما كان لها من الدخل الواسع حتى اصبحت بحيث لو أُهمِلت لسقط كثيرٌ من الجرائد المهمة لانها ينبوع دخلها وسبب قيامها

واما فن التصوير الهزلي فهو اقلّ شيوعاً من الاعلانات لانهُ يتعلق بحوادث مخصوصة ولما يستلزمهُ من النفقات ولا سيما في وضع الصور على وجهٍ يفي بالمقصود منها لانهــا تقتضي من دقة الفكر وقوة التصور ما لا يقتضيهِ تصوير الاشياء بهيئاتهــا الحقيقية . ومن الجرائد التي اشتهرت بهذا الفنّ جريدة « پنتش » وجريدة « تريبيون » وغيرها . ولا يخفى ان لهذه الصور وقعاً عظيماً في النفوس لان كلاًّ من الأُميّ والمتعلم يفهم مغزاها وهي كثيراً ما تمثّل الحوادث الجارية ونتائجها بما لا يمثّلهُ ابلغ الـكلام فضلاً عن انها لا تشغل من المكان ما يشغلهُ الـكلام الذي تمثلهُ

وقد كان التصوير الهزلي معروفاً في القديم بل كان بالغاً حدًّا من الاتقان لم يبلغهُ المتأخرون وذلك لانهُ في الحقيقة ضربٌ من الكتابة الهيروغليفية التي اتقنها الاقدمون . وقد أُخِذت اصولهُ عن التشخيص الهزلي (الكوميديا) فكانوا في القديم يصوّرون المشخصين والمشخصات

في ادوارهم الهزلية ثم توسعوا في ذلك حتى لقد يتجاوزون حدود النزاهة والظرف . وقد وُجد بعض الصور الهزلية على ورق البَرْديّ المصري القديم وعلى اوانٍ يونانية قديمة وجدران بعض البيوت في رومية وپومپّاي وغيرها واكثرها بالغ غاية الاحكام والاتقان . ويقال ان اليونانيين صوروا قديماً رواية روميو وجوليت صوراً هزلية

وزاد اختراع الطباعة في اتقان هذا الفن حتى قال بعضهم ان التصوير الهزلي لم يشع في اوربا الا بعد القرن الخامس عشر للميلاد واول من نبغ فيهِ لذلك العهد هولبين وكراناخ . وعند ظهور لوثيروس اخذ اضدادهُ يصوّرونهُ صوراً هزلية هو واشياعهُ ولا تزال تلك الصور محفوظة الى هذا اليوم

واخذ المصوّرون بعد ذلك يزدادون تفننًا في هذا النوع من التصوير واشتهر منهم في العصور المتأخرة عددٌ كبير فاقوا المتقدمين منهم هُوجَرْث ورولنسن وكروكشنك ولندْسِير وريشارد وبرون وجولد وغيرهم . فكان هؤلآء يشخصون الهيئة الاجتماعية ومساوئها في جميع الممالك بصور هزلية حتى كانت بعض الجرائد تنقدهم المئات من الليرات عن الصورة الواحدة لتطبعها على صفحاتها

ـــ ومن الامم التي برعت في فن التصوير الهزلي امة اليابان وقد نقلت احدى الجرائد الانكليزية عن جريدة يابانية صورة هزلية تمثل رجلاً (يُقصد بهِ الميكادو) قد صرع آخر (يقصد بهِ قيصر روسيا) ورجلاً ثالثا (يقصد بهِ اميركا) في ثيابٍ مضحكة وعليهِ قبعة قد لبسها بهيئةٍ ما بعدها

هيئة ادعى الى الضحك . وقد وضع يديهِ في جيبي ثوبهِ ومدّ عنقهُ الى الشخص الاول يلتمس منهُ ان يكفّ عن ضرب الثاني . فيسألهُ الاول « وما شأنك انت ؟ » فيجيبهُ بكل خشوع وتواضع « انني يا سيدي من جمعية الرفق بالحيوانات »

ومن ذلك صورة قائدٍ يعرض عشرة من الجنود وقد اقامهم صفًّا واحداً كتفاً الى كتف ووقف هو عند طرف الصف ليرى هل هو مستقيم . فيرى الجندي الخامس ذا بطنٍ كبير جدًّا بارزٍ عن الخط فيناديهِ ليرجع خطوةً الى الوراء فيبرز ظهرهُ وراء الخط فيحار القائد في امرهِ

والصُوَر من هذا النوع لا تُحصَى نشاهد منها كل يومٍ في الجرائد الغربية ما يضحك الثكلى الا انها ربما اساءَت احياناً بأن تتخذ من يكون جديراً بالتجلّة والاحترام موضوعاً للهزؤ والسخرية ولعل لنا في ذلك بعض التعزية عما نراهُ في بلادنا من فوضى الكتاب ولا سيما في هذه الايام

سليم عبد الاحد

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ارجو الافادة عن لفظ « الساقية » المستعمل في هذه البلاد وهي المعروفة في الديار الشامية بالناعورة و « الدولاب » وهو هذا المستدير الذي يكون في الساقية او الناعورة و « القصّابية » وهي ما تسوَّى بها الارض بعد الحراثة وتسمى في البلاد الشامية بالجرّافة ايّ هذه الالفاظ

اصحّ وهل هي عربية فصيحة أو عاميّة وان كانت كلها أو بعضها عاميّة فما هي مرادفاتها من الفصيح أو ما يصح استعمالهُ اليوم والرجآء ايراد النصوص على ذلك كلهِ ولكم الفضل احد المشتركين

الجواب — اما الساقية فالذي في كتب اللغة انها « النهر الصغير من سواقي الزرع » قال في تاج العروس « والآن يطلقونها على ما يُستقى عليهِ بالسواني » اي على الناعورة وهي اللفظ الصحيح في هذا المعنى . لكن من الغريب انهم عرّفوا الناعورة بانها « واحدة النواعير التي يُستقَى بها يديرها المآء » وقد ورد هذا التعبير في لسان العرب وتاج العروس والمصباح وما ندري كيف ذلك . والصحيح ما ذكرهُ صاحب تاج العروس في الكلام على الساقية من انهُ يُستقَى عليها بالسواني اي البهائم ومنهُ المثل « سير السواني سفرٌ لا ينقطع » قال في مجمع الامثال السواني الابل يُستقَى عليها المآء من الدواليب فهي ابداً تسير . اه

واما الدولاب فعرّفهُ صاحب القاموس بأنهُ « شكلٌ كالناعورة » . قال في تاج العروس « وهي (اي الناعورة) الساقية عند العامّة أو هو الناعورة بنفسها على الاصحّ » . اه . وهو فارسيٌّ معرَّب كما ذكرهُ صاحب اللسان عن المحكم وبهِ صرّح عاصم في ترجمة القاموس وفرق بين الدولاب والناعورة بأن الناعورة الدولاب الكبير

واما القصّابية فهي وضعٌ عاميّ ليس في اللغة ما يناسبهُ وبخلافها الجرّافة فانها اصحّ وضعاً وان لم يرد بها نقلٌ عن العرب ولذلك تُحسَب من المولَّد خلافاً لصاحب تاج العروس حيث عدّها عاميّة وصحة ضبطها

بفتح الجيم لا بضمها خلافاً لهُ ايضاً لانها في الاصل وصف مبالغة . واما اللفظ الذي كانت تستعملهُ العرب لهذا المعنى فلم يتفق لنا العثور عليهِ ولعلهم كانوا يستعملون لهُ المِسلَفة من قولهم سَلَف الارض اي حوّلها للزرع وسوّاها . الا ان تفسير المسلفة في كتب اللغة لا ينطبق على ما ذُكر من معنى الفعل فقد ذكر في لسان العرب انها ما تسوَّى بهِ الارض من حجارةٍ ونحوها واقرب ما يؤخذ من هذا التفسير ان المراد بتسوية الارض تحصيبها اي فرشها بالحجارة لكن ينافيهِ قولهم في تفسير سَلَف الارض حوّلها للزرع . وذلك فضلاً عن ان مقتضى التفسير المذكور جعل المسلفة حجارةً كثيرة وجعل هذه الحجارة آلةً للسَلْف وكلاهما كما تراهُ . وقال الاصمعي ويقال للحجر الذي تسوَّى بهِ الارض مسلفة فجعلها هنا حجراً لا حجارة . قال ابو عبيد واحسبهُ حجراً مُدمَجاً يُدحرَج بهِ على الارض لتستوي ومقتضى هذا القول ان المراد بالتسوية توطيد الارض لازالة ما بها من التعادي وهذا ايضاً لا يناسب ما تقدم في تفسير الفعل . وحينئذٍ فالاظهر ان للمسلفة معنيين احدهما ما ذكرهُ الاصمعي والآخر ما يؤخذ من تفسيرهم الفعل بمعنى تحويل الارض للزرع وتسويتها فتكون بمعنى القصّابية او الجرّافة والله اعلم

استدراك

جاءنا من حضرة العلاّمة السيد ابي الفضل الايراني البهآئي نزيل مصر تصحيحٌ لما ذكرناهُ في الجزء الرابع من هذه السنة (ص١١٦) من

ضبط كلمة برزجمهر . ومفاد ما تفضل بهِ ان هذا الاسم مركب من كلمتين وهما بُزُرْگ بضم اولهِ وثانيهِ ومعناهُ كبير ومِهْر بكسر اولهِ وسكون ثانيهِ وهو يجيءُ بمعنى الشمس وبمعنى الحبّ ولعلّ هذا الثاني هو المقصود في اسم الحكيم المذكور . انتهى بمعناهُ

قلنا وقد جرت عادة العرب في الاسمآء الاعجمية المركّبة ان تردّها الى المركَّب المزجيّ فتفتح آخر اللفظ الاول منها كما في بعلَبَكّ ورامَهُرْمُز واشباههما وعليهِ فضبط الاسم المذكور « بُزُرْجَمِهْر » بضمتين فسكون ثم بفتحٍ فكسر وسكون الهآء

آثار ادبيّة

مجلة الشتآء — هي مجلة علمية ادبيّة تاريخية فكاهية شعرية ينشئها حضرة اللوذعيّ الكاتب الشاعر صاحب السعادة سليم بك عنحوري نزيل مصر وهي شهرية تظهر شتآءً وتحتجب صيفاً وقد وقفنا على الجزء الاول منهـا فوجدناهُ مشتملاً على عدة مقالات مفيدة ونُبَذ رائقة من المنثور والمنظوم وفيما اشتهر بهِ منشئها الفاضل من البراعة والتفنن في اساليب الكتابة ما يدعو المتأدبين الى الاقبال عليها ويضمن لهـا مزيد الرواج وقيمة الاشتراك فيها عن المدة المذكورة اربعون غرشاً مصريًّا

فكاهات

الكولونيل جيرار[1]

— ١٤ —

كنت في ذات يوم مع رفيقي الماجور شربنتير فرأينا المارشال مكدونلد قادماً الينا فقال بصوت اجش مقتضب ايها الكولونل جيرار وانت ايها الماجور شربنتير ان الامبراطور يطلبكما لقضاء أمرمهم . ولما قال هذا سار امامنا حتى بلغ غرفة الامبراطور ففتح بابها و بعد ان اخبر نابوليون بحضورنا استدعانا فدخلنا . وكان نابوليون واقفاً بجانب الغرفة امام خريطة معلقة في الحائط والى جانبه برتيه وهو يدلهُ بسيفهِ على الخريطة ويكلمهُ بصوت منخفض . ولما شعر بدخولنا تقدم برتيه لمقابلتنا فاستوقفهُ الامبراطور وأشار الينا بالتقدم ثم نظر اليَّ وقال انك لم تحصل بعد على وسام جوقة الشرف يا جيرار . قلت لا يا مولاي وأردت ان اتم كلامي واخبرهُ ان عدم حصولي عليهِ لم يكن لانني لم استحقهُ ولكنهُ قاطعني مردداً نفس السؤال للماجور شربنتير فاجابهُ مثلي . فقــال اذاً امام كليكما هذا الوسام اذا عرفتما ان تنالاهُ . ثم التفت الى الخريطة ووضع طرف السيف على مدينة ريمس وقال انني اذكر صدق خدمتكما مذ كنتما معي في مارنغو ولذلك أكاشفكما بما في نفسي بكل وضوح . هذه مدينة ريمس محل معسكرنا الحالي وهذه باريس تبعد عنــا خمساً وعشرين غلوة وهنا يعسكر بلوخر الى الشمال وشوارزنبرج الى الجنوب . وكان يمشّي طرف السيف على الخطوط التي يذكرها . ثم استأنف حديثهُ فقال ولا يخفى انهُ كلما اوغل هذان في داخل البلاد كان سحقهما اسهل عليَّ . وهما ينويان الزحف الى باريس فليفعلا فان اخي ملك اسبانيا يكون في انتظارهما بمئة الف مقاتل وهو الشخص الذي

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ارسلكما اليهِ في هذه المهمة فلابد من ايصال رسالتي اليهِ وقد كتبت منها صورتين اسلم كلاّ منكما واحدة ومفاد الرسالة انني اعلمهُ بقدومي اليهِ لمساعدتهِ فاكون عندهُ بعد يومين برجالي وفرساني ومدافعي

أما انا فلا اقدر ان اصف لكم ما بان على وجهي من علامات التيه والعظمة حين اطلعنا الامبراطور على ما ينويهِ ولم يكد يسلم كلا منا صورة من الرسالة المذكورة حتى ضممت احدى رجليّ الى الاخرى وابرزت صدري وحنيت رأسي مسلماً وفي عينيّ ما يقول للامبراطور المحبوب انني اقوم بما يريد ولو اعترضني الانس والجان . ولحظ ذلك مني فوضع يدهُ السمينة على قبعتي متبسماً فشعرت انني ملكت الدنيا بأسرها وودت لو اخسر ما املكهُ وتكون والدتي ناظرة اليّ في تلك الدقيقة. ثم قال لنا بقي عليّ ان اريكما الطريق التي ينبغي ان تسيرا فيها وعاد الى الخريطة فقال وهو يشير عليها انكما تذهبان معاً من هنا الى بازوش ثم تفترقان فيذهب احدكما عن طريق اولشي ونايلي والآخر عن طريق براين وسواسون وسنليس فهل لك ما تقولهُ يا جيرار . فلم اعلم ما اقول ولكن نزق الشبيبة وما خامرني من الاعتزاز بالنعمة التي حصلت عليها جعلني افوه ببعض كلمات تدل على تفانيّ في خدمتهِ وخدمة فرنسا . فقاطعني واعاد سؤالهُ لرفيقي فاجابهُ ذاك قائلاً اذا رأينا الطريق خطرة يا مولاي فهل تطلق لنا الحرية في اختيار غيرها . فاظهر نابوليون علامة الاشمئزاز وقال ان على الجنود الطاعة وليس لهم الاختيار . ولما قال ذلك حوَّل ظهرهُ اشعاراً لنا بلزوم الانصراف ثم جعل يكلم برتيه فسمعتهما يقهقهان ولكنني لم افهم من حديثهما شيئاً

اما نحن فخرجنا ولم نضيع شيئاً من الوقت وفي اقل من نصف ساعة كنا سائرين على جوادينا خارجين من ريمس . وكنت راكباً فرسي الصغيرة ڤيوليت وهي اسرع عدواً من خيول كتائب الفرسان الستة بل هي التي فازت على جواد الدوق روفيكو المشهور بالسباق . اما شربنتير فكان ممتطياً جواداً من خيل الفرسان المدرعة وهو كبير الجسم ظهرهُ كالسرير وقوائمهُ كالاعمدة وكان هو كبير الجسم ايضاً

حتى خلته بجانبي جبلاً يتحرك . ومع ذلك فانهُ كان يسابقني في التبسم الى الفتيات اللواتي كنَّ يودعنني بتحريك مناديلهنَّ من نوافذ البيوت وقد ظنَّ انهنَّ انما يفعلنَ ذلك لهُ . ولم نزل كذلك حتى خرجنا من البلدة فاجتزنا محل القتال بالامس وكان لا يزال مغطى بجثث عساكرنا وعساكر اعدآئنا الروس ثم القيت نظراً الى معسكرنا فوجدتهُ لم يبقَ منهُ الا شراذم غير كاملة واكثر صفوفهِ ناقصة وعددهُ قليل . فلما تفكرت في وجودهِ على هذه الحالة بين ثمانين الف بروسي شمالاً ومئة وخمسين الف روسي ونمسوي جنوباً لم اتمالك ان ذرفت دموع اليأس والحزن ولكنني تذكرت للحال ان نابوليون لا يزال بين الجنود الباقية وانهُ منذ هنيهة قد وضع يدهُ على قبعتي ووعدني بوسام جوقة الشرف فتحول قنوطي الى سرور فجعلت اغني بأعلى صوتي ثم اطلقت لفرسي العنان فطارت بي حتى جعل شربنتير يناديني لانتظرهُ وهو يتبعني بجوادهِ الكبير كالجمل وهما ينفخان ويلهثان

ولم يكن شربنتير صديقاً حميماً لي فقطعنا مسافة عشرين ميلاً وانا لم استفد شيئاً من مرافقتهِ لانهُ كان لا يتكلم وقد اكبّ بذقنهِ على صدرهِ وغرق في التفكر وكنت من حين الى آخر اكلمهُ فلا يجاوب كانهُ آلة صماء تتحرك بغير ارادتها . وما صدقت ان بلغنا بازوش حيث اذهب شمالاً ويذهب جنوباً ولكنهُ ادار جسمهُ على سرج جوادهِ وقال لي ماذا تظن في هذه المهمة يا جيرار . قلت انها في نهاية البساطة. قال ولمَ اطلعنا الامبراطور على نيتهِ . قلت لانهُ يعرف ذكاءنا . قال واذا صادفت في طريقك عساكر البروسيين فماذا تفعل . قلت اتابع مسيري بموجب الاوامر المعطاة لي. قال ولكن ربما قتلوك. قلت هذا لا يبعد . فقهقه ضاحكاً ضحكة مستطيلة غاظتني حتى وضعت يدي على مقبض حسامي ولكنهُ لم ينتظر لحظة اخرى بل ساق جوادهُ وانطلق في الطريق الثانية . ولما ابعد تحولت بفرسي الى الطريق الاخرى وسرت فيها وانا واضع يدي على الرسالة المودعة في صدري لاتحقق وجودها وقد تيقنت انها ستتحول الى الوسام الموعود وجعلت افكر في ما تقولهُ والدتي اذا رأتهُ على صدري . وما زلت في هذه الافكار حتى بلغت براين ثم سرموايز فترجلت

وقدمت لفرسي عليقاً في فندق بجانب سواسون. وفي اثناء ذلك علمت من صاحب الفندق ان بلوخر معسكرٌ هناك منذ يومين فتعجبت جدًّا كيف اختار الامبراطور مع علمهِ بذلك ان يرسلني في الطريق النازلة فيها الاعداء ولكنني تذكرت قولهُ لشر بنتير ان على الجندي ان يطيع وليس لهُ ان يختار فصرفت من ذهني كل اعتراض وقلت لا بد لي من التقدم ما دام في فرسي نفس وفي يدي قوة لضبط اللجام . ثم اخذت غدارتي بيدي اليمنى ولم اتركها في كل المسافة بين سرمواىز وسواسون وانا اجدُّ في السهول وابطئ في المنعرجات والهضاب . ولما بلغت الجسر الخشبي قابلتني امرأة واخبرتني ان البروسيين قد احتلوا سواسون وان فرقة منهم قد دخلتها في ذلك النهار وسيدخلها باقي الجيش قبل نصف الليل فلم اقف لاسمع بقية الحديث بل وخزت فرسي بالمهماز وفي اقل من خمس دقائق بلغت المدينة . فلقيت في اول شارع من شوارعها ثلاثة فرسان من الالمان يتحادثون ولكنهم لم يكادوا يشعرون بقدومي حتى مرت فرسي ڤيوليت امامهم مرور السهم وما بلغت وسط المدينة حتى رأيت كثيرين من أولئك الفرسان فصممت ان اجتازهم واصابت ڤيوليت احدهم بكتفها فألقتهُ الى الارض وطعنت بسيفي آخر فاخطأتهُ ثم قرع اذني طلقتان ناريتان ولكنني كنت قد اخذت طريقاً منحرفاً الى اليسار فذهبتا في الهوآء . وكانت ڤيوليت تقدح حوافرها ناراً وانا واقف على الركاب وحسامي مصلت بيدي فاستقبلني غيرهم وتقدم احدهم ليمسك اللجام فبترت ذراعهُ واطبق عليَّ فارسان آخران فارديت الواحد وسبقت الآخر . وبعد دقيقتين خرجت من الجهة الثانية من المدينة كالطائر السريع وطاردني بعضهم مسافة ولكنني كنت اسمع وقع حوافر جيادهم يضعف شيئاً فشيئاً حتى لم اعد افرقهُ من ضربات قلبي . واذ ذاك وقفت لاريح ڤيوليت قليلاً ولم اعد اسمع شيئاً فتحققت اني قد نجوت وانهم كفوا عن اللحاق بي فترجلت وقدت ڤيوليت الى غابةٍ فيها مجرى مياه عذبة فسقيتها وغسلتها واطعمتها قطعتين من السكر بعد ان صببت عليهما قليلاً من الكنياك وفي اقل من خمس دقائق جعلت تنظر اليَّ كانها لم تتعب قط او كانها

خارجة من الاصطبل مستعدة لتطير بي الى آخر العمور . فتابعت مسيري وعلمت مما كنت اسمعهُ من اغاني الالمان وصياحهم على جانبي الطريق ورآء الاشجار انني في وسط بقعة تملأها جنودهم . فجعلت اسرح النظر الى تلك الجهات فارى في مواقع مختلفة النيران التي اضرمتها الجنود ولكنني لم اهتم بها وتصورت ان صديقةً لي تدعى ليزيت ستقابلني في باريس وكم يسرها قدومي وغرقت في هذه التصورات فلم اشعر الا وقد بلغت عطفةً ورأيت امام وجهي ستة من فرسان الالمان جالسين حول النار بجانب الطريق

انني بعيد عن الادّعآء ولكنني لا اقدر الا ان احكي الحقيقة فانني كنت لا اماثَل في سرعة التصور واقرر في لحظة ما يلزم غيري اسبوع للتبصر فيهِ فعلمت للحال انهم لا بد لهم من مطاردتي ففضلت ان يطاردوني الى الامام الى جهة سنليس ولا يطاردوني رجوعاً الى سواسون . كل ذلك مر امام مخيلتي بسرعة البرق فغمزت خاصرتي ڤيوليت بالمهاز فمرت بي مرور الرصاص وسمعت ثلاث طلقات دوت ورآئي وثلاثة فرسان يصيحون و يسرعون في امتطآء جيادهم للحاق بي فنظرت اليهم ضاحكاً وصحت بأعلى صوتي ليحيَ الامبراطور . ولو لم تكن ڤيوليت قد تعبت جدًّا لتمكنت من سبقهم خمسة اضعاف غير انها لم تستطع ذلك امام جيادهم المستريحة . ولما نظرت ورآئي رأيت فتىً منهم على بعد نحو مئتي يرد مني وفارسين ورآءهُ . وكان الفتى الاول يسبق رفيقيهِ حتى اذا صار قريباً مني جعلت اخفف من سير فرسي شيئاً فشيئاً لاقنعهُ انهُ سيدركني ثم اخذت غدارتي فاصلحتها والتفتُّ اليهِ فرأيتهُ شاهراً سيفهُ وهو يتهددني بهِ . اما انا فصوبت الغدارة الى وجههِ ولكنهُ خطر لي للحال انهُ ربما يكون لهُ والدة تنتظر عودتهُ اليها فغيرت وجهة الغدارة واطلقت الرصاصة على كتف جوادهِ فسقط . اما الاثنان الباقيان فلم يزالا يجدان حتى مرّا برفيقهما فلم يهمهما امرهُ كانهُ لم يكن وكنت قد سبقتهما مسافة بعيدة حتى ترجح لي انهما سيعودان عن لحاقي فاستوقفت فرسي ولكن لم يكن الا القليل حتى رأيتهما قادمين عن بعد وعلمت انهُ لا يزال امام ڤيوليت شوط بعيد فاطلقت

لها العنان وانا مؤكد انني ساتخلص منهما هذه المرة .غير انني لم ابتعد كثيراً حتى رأيت امامي على مسافة بعيدة في آخر الطريق فرقة من الجنود عرفت للحال انها من الهوسار فايقنت بالهلكة لان الهوسار امامي والدراغون ورآئي ولم اقع في مثل ذلك الخطر الجسيم بعد مغادرتي موسكو. لكنني آثرت ان احافظ على شرفي فلا اقف ولا ارجع مفضلاً ان تقطعني سيوف الهوسار على ان اظهر الجبن والخوف ولذلك وخزت ڤيوليت بالمهماز فوثبت الى الامام واذا بكلام باللغة الفرنسوية قد قرع سمعي فعلمت للحال ان فرقة الهوسار التي امامي هي فرنسوية من جنود مرمونت وليست المانية فحمدت الله وتقدمت اليهـا ساكن الجأش ونظرت الى مطاردَيَّ فرأيتهما قد لاذا بالفرار

وكان قائد الهوسار صديقي بوڤيه الذي انقذتهُ في ليبسك فاستقبلني بسرور ولما اعلمتهُ اني اقصد سنليس قال يستحيل ذلك لان الاعدآء حالّون فيها وأشار عليَّ أن اقصد باريس من طريق آخر . فقلت لهُ ان الاوامر المعطاة لي تقضي عليَّ بالذهاب الي سنليس والجندي عليهِ ان يطيع وليس لهُ ان يختـار . .قال اذا كان كذلك فاننا نذهب برفقتك وهكذا سرت وسار بوڤيه بفرقتهِ معي في سكون الليل حتى لاح لنا الفجر بالقرب من سنليس فلقينا فلاحاً اخبرنا بأحوال البلدة وان فيها كتيبةً من القوزاق معسكرة في بيت الحاكم عند زاوية سوقها وفرقةٍ من مشـاة الالمان في غابةٍ شمالي البلدة . ولما فهمنا ذلك وكنا قد ارحنا خيولنا دخلنا البلدة هاجمين الي بيت الحاكم قبل ان يحلم احدهم بوجود الجنود الفرنسوية بالقرب منهم ولما اطبقنا عليهم نهض الاهلون لمساعدتنا لانهم يكرهون القوزاق فحصلت معركة عظيمة لم ينجُ فيها احدٌ من الروسيين . ولما قطعنادابرهم واحتللنا المنزل اخذت اناءً فيهِ مآء فسقيت ڤيوليت ووضعت امامها شيئاً من العليق ثم دخلت لاتناول شيئاً من الزاد يكفيني الى ان ابلغ باريس فوجدت بوڤيه بانتظاري وعرض عليَّ ان نشرب معاً زجاجة خمر فقلت لا بأس ولكن اين الخمر . قال لا يصعب علينا أن نجدها فان الحاكم اشتهر بحفظ اجود انواعهـا في بيتهِ . ثم أخذ شمعة ونزل امامي سلماً فتبعتهُ

وانتهينا الى سلم آخر داخل المنزل نزلنا منهُ الى قبو القصر فوجدناهُ ملآن بزجاجات الخمر وقد وُضع كل صنفٍ على حدةٍ . وانتهى بحثنا بان وجدنا صنفاً من البرغندي فمد بوفيه يدهُ لاخذ واحدة منها واذا بصوت طلقات البنادق قد كاد يصم آذاننا فعلمنا ان الفرقة الالمانية المعسكرة في الغابة قد علمت بقدومنا فاطبقت علينا. ولا انكر شجاعة بوفيه عند سماعهِ ذلك فانهُ استل سيفهُ واسرع في الصعود فتبعتهُ ولكننا لم نبلغ آخر السلم الاول حتى فهمت من الاصوات والجلبة ان الالمان قد قهروا الهوسار واحتلوا المنزل عوضاً عنهم فامسكت بيد بوفيه وقلت لهُ لم يبقَ لرجوعنا من فائدة فلنسعَ بالخلاص . فقال كلا فقد قتلوا رفاقي وانا باقٍ في الحياة فيجب ان يقتلوني ولما قال هذا تخلص مني ووثب الى الاعلى . وكنت اكون قد فعلت فعلهُ لو لم اتذكر ان معي رسالة يجب ان احاذر الخطر ما امكن محافظةً عليها فتركت بوفيه يذهب لملاقاة حمامهِ ورجعت الى القبو فاقفلت بابهُ ورآئي . وكان بوفيه قد رمى الشمعة الى الارض قبل خروجهِ فانطفأت ووجدت نفسي في ظلام دامس وبعد التلمس مدة عثرت عليها فاشعلتها ولكن ما الفائدة وانا سجينٌ وفوقي عساكر الالمان تصيح فرحاً وانتصاراً فايقنت انني هالك . وتمثلت امامي والدتي والوسام والامبراطور فاعارني ذلك حماسةً جديدة فوقفت وقلت تشجع ياجيرار فان نهاية اعمالك لم تأتِ بعد . وخطر لي لاول وهلة ان اضرم البيت بمن فيهِ وانجو في وسط الجلبة والاختلاط ثم اقلعت عن هذا الخاطر وفكرت في الاختفاء ضمن احد براميل الخمر الفارغة حتى اذا اتم الالمان عملهم وغادروا البيت اخرج متستراً . وبينما انا ابحث عن برميل فارغ رأيت في الجدار باباً لم اكن قد رأيتهُ قبلاً فاقتربت لارى الى اين يوصل فوجدتهُ مفتوحاً ولما دفعتهُ رأيت كأن شيئاً يسندهُ من الداخل . فجمعت قواي ودفعتهُ بعنف فانفتح وسقطت الى الارض فوقعت الشمعة من يدي وانطفأت فعدت ثانيةً الى الظلمة. وكان هذا المكان الثاني قبواً شبه الاول ولهُ نافذة صغيرة ينبعث منها نور القمر فتمكنت بواسطتهِ من فحص الغرفة واول ما وقع نظري عليهِ رجل قد وقف بقرب الحائط كبير الجسم طويل القامة والى جنبهِ سيف طويل

عرفتهُ للحال من قبعتهِ انهُ من القوزاق . ولا انكر انني لم اكن انتظر ان أرى احداً في ذلك المخبأ فلما رأيتهُ لم اتمالك ان اصابتني قشعريرة الخوف ولكن للحظةٍ فقط لان فكري الثاقب اعلمني للحال ان الرجل خائف اكثر مني والاّ لما كان دخل الى ذلك المكان وحقق ظني هذا ما رأيتهُ فيهِ من الارتباك ومحاولتهِ الاختفآء بين براميل الخمر . واستعرت من الضعف قوةً فاخذت الشمعة ثانيةً واشعلتها ثم تقدمت اليهِ بكل عظمة وقلت لهُ الى اين تهرب مني يا هذا لقد دنا اجلك . فقال والخوف بادٍ على وجههِ انني اسلم لك يا سيدي وانما اتوسل اليك ان تبقي على حياتي. فوعدتهُ بذلك وناولني سيفهُ ثم سألتهُ عن شأنهِ فاعلمني انهُ من قوزاق الامبراطور وانهُ جآء بفرقتهِ الى سنليس واحتلوا منزل الحاكم وفي المسآء شعر ببرد في جسمهِ فنزل الى قبو الخمر ليشرب شيئاً وبينما هو هناك سمع جلبة وغوغآء في المنزل وعلم اننا دخلناهُ فخاف ان يصعد وبقي مختفياً حيث رأيتهُ . ولم يكن قد علم اننا كما فعلنا بالقوزاق فعل الالمان بنا فشكرت الله على عدم معرفتهِ بذلك وللحال خطر لي خاطر هو من الحكمة بمكان فنظرت اليهِ وقلت انني اتأسف جدًّا انني وعدتك بحياتك واراني لا استطيع صيانتها . فاكفهرَّ وجههُ خوفاً وقال ولمَ ذلك يا سيدي . قلت لان جنودنا ولا سيما البولبين يكرهون القوزاق كثيراً فاذا مرَّ بهم احدهم قطَّعوهُ قطعاً ولو أمرهم ضباطهم بالكفّ عنهُ ولذلك اذا صعدت بك الآن اليهم فانني لا أجد قوةً تمنعهم عنك . فانحدرت من عينيهِ دمعتان ونظر اليَّ بتذلل وقال انني في يديك يا مولاي وقد وعدت بخلاصي فيجب ان تقوم بوعدك . فقلت بعد التفكر ان افضل طريقة لنجاتك هي ان اعطيك ثوبي فترتديهُ وتمرّ أمامهم بدون ان تكلمهم فهم يعرفون ثوبي ولا يعترض احد سبيلك . وما سمع ذلك مني حتى كاد يجن فرحاً واخذ يقبل يديَّ شاكراً ثم قال وانت ماذا تفعل . قلت انني ارتدي ثوبك ولا اخاف منهُ لانني سأدخل اليهم رأساً ويكفيهم مشاهدة وجهي ليعرفوني. وبعد دقيقتين كنا قد تبادلنا ثيابنا جميعها فاعطيتهُ كل لباسي ما عدا الرسالة فانني نقلتها بخفة الى ثوبي الجديد ولما فرغنا من ذلك قلت لهُ انني سأذهب امامهُ لاتحقق

خلو الطريق وجعلتهُ ينتظرني في داخل القبو الى ان آتيهُ بالخبر ثم اقفلت عليهِ الباب وصعدت وانا اتفكر في رسم طريقي وكيفية خروجي

ولما بلغت الغرفة الاولى من المنزل رأيت امامي جثة المسكين بوثيه فحزنت جدًّا ولكنني لم استطع الوقوف امامها لاحييها خوفاً من ان يراني احد . وبلغت الردهة الكبرى فرأيت فيها عدداً من جنود الالمان وضابطهم يحصنون المنزل فلم يهمهم امري ولم اكترث بهم فسرت بدون خوف الى الباب الخارجي . واعترضني الحارس فكلمتهُ بالروسية ببعض كلمات حفظتها في موسكو فتبسم وضرب كتفي بيدهِ فخرجت وانا لا اصدق . ورأيت في الدار الخارجية خيول الفرسان و بينها ڤيوليت وكأنها شعرت بقدومي فاظهرت ذلك بصوت ضعيف اما انا فلم اعدم ذكائي ولم اتقدم اليها رأساً بل اخذت جواداً من جيادهم ركبتهُ ثم اخذت لجام ڤيوليت وقدتها بجانبي وسرت بدون اقل اهتمام . وكانت البلدة ملأى بجنود الالمان فكانوا يشيرون اليَّ وهم يقولون انظروا هـذا القوزاقي الطويل العمر فقد نجا من الفرنسويين ولم يهتم واحد منهم بان يعترض سبيلي انما كان بعضهم يحيوني فاجيبهم بالروسية . ولم ازل كذلك حتى اصبحت خارج البلدة وكدت اوقن بفوزي واذا بفارس من القوزاق عائد الى البلدة فكدت افقد عقلي لعلمي ان امري سينكشف لا محالة ولكنني تجلدت. فلما اقترب مني كلمني فلم اجبهُ فاستل سيفهُ وكنت قد توقعت ذلك فكنت اسرع منهُ وضربتهُ ضربة على عاتقهِ نزلت الى منتصف صدرهِ فسقط الى الارض. وللحال وثبت من ظهر جوادي الى صهوة ڤيوليت فانطلقت تعدو بي اسرع من السهم وانا اكاد اطير من عظم سروري وقد ايقنت ان الامبراطور نفسهُ سيعجب بي متى اخبرتهُ بما حصل لي

ولما بلغت دامرتين رأيت فيها فصيلة من جنودنا وسرني بلوغي دار الامان حتى كدت اعدم رشادي فرفعت سيفي في الهوآء وانا اتقدم اليهم بصياح الفرح والسرور واذا بفارس منهم قد استلَّ سيفهُ وجآء للتقاي وانا احسبهُ يرحب بي ولكنهُ ما قاربني حتى ضربني ضربة لو لم استقبلها بمنتهى الدراية لاعدمتني الحياة. وللحال

فهمت انني لا ازال بثوب القوزاق وانهم ظنوني عدوًّا فللحال اعلنت لهُ نفسي ولو ترون كم اظهر من الاسف لما علم ذلك وقد كان على وشك قتل جيرار المحبوب . وفي الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم بلغت الى سانت دانيس ومنها الى باريس ولا تسلوا عن حالتي عند ما سرت في شوارعها والى جانبي اثنان من فرسان الدراغون يرافقانني وكانت النوافذ تفتح لمشاهدتي والفتيات يرمينَ اليَّ بالقُبَل . ومع عدم اكترائي بالشهرة والفخر لم اتمالك من الاعجاب بنفسي وقد تأكد لي انني استحق مثل هذه المقابلة . وبلغنا التويلري فترجلت وقبلت ڤيوليت بكل انعطاف ثم سلمتها الى جنديٍّ ودخلت ولم اكن بثوب يليق ان اقابل بهِ ملك اسبانيا غير ان للضرورة احكاماً فدخلت الى حضرتهِ وكان معهُ تاليراند فدفعتُ اليهِ الرسالة . وبعد ان اطلع عليها سلمها الى تاليراند ثم نظر اليَّ باستغراب وقال هل كنت الرسول الوحيد لايصال هذه الرسالة . قلت كلا فان صورتها مع رسول آخر يدعى الماجور شربنتير . قال انهُ لم يصل بعد . قلت ان جوادهُ لا يستطيع السرعة كفرسي . فتبسم تاليراند تبسماً استغربتهُ وقال ربما كان سبب تأخرهِ غير ذلك

وحياني الملك بعد ان شكرني على بسالتي ثم خرجت وتوجهت توًّا الى حيث ارتديت ثوباً من ثيابي وبعد ان استرحت وارحت ڤيوليت عزمت على الرجوع لانني كنت مشتاقاً الى مواجهة الامبراطور واطلاعهِ على ما فعلت لاسمع المديح منهُ. ولما كنت حرًّا في اختيار الطريق لرجوعي جئت من سكة امينة وبعد يومين بلغت المعسكر وتوجهت توًّا الى غرفة الامبراطور وكان يشرب القهوة ومعهُ برتيه ومكدونلد . فلما وقع نظرهُ عليَّ قطب حاجبيهِ وقال ما شأنك يا هذا . قلت انما جئت يا ... لاي لاعرض لجلالتكم انني بلغت رسالتكم بأمان الى جلالة اخيكم ملك اسبانيا . فظهرت على وجههِ علامات شراسة وكدر لن أنساها ما حييت وقال ماذا تقول . واين شربنتير اذاً . فقال مكدونلد قد اسرهُ فارس من القوزاق . قال وهل تحار با . قال كلا ولكن شربنتير سلم نفسهُ اليهِ . فقال الامبراطور حسناً فعل شربنتير فيجب ان يعطى لهُ وسام جوقة الشرف . اما انت يا جيرار فقد تحققت

انك عادم العقل وماذا تظن غايتي من ارسالك في مثل هذه المهمة وهل تعتقد انني كنت اسلم رسالة ذات شأنٍ كهذه الى ابله نظيرك وآمرهُ ان يمرّ في كل قرية او بلدة فيها الاعداء . اما نجاتك من كل تلك الاخطار فما يفوق ادراكي ولو كان الرسول الآخر فاقد العقل نظيرك لاحبطتما سعيي . وقد كان يجب عليك ان تفهم ان هذه الرسالة التي سلمتها اليكما واطلعتكما عليها لم تكن الاّ اخباراً مزورة بعكس ما أنوي وقد امرتكما ان تسيرا بين الاعداء بقصد ان يأسروكما ويأخذوا الرسالتين منكما فيظنوا اني آتٍ الى باريس ويوجهوا اهتمامهم الى هذه الجهة بينما اكون انا ادبر عكس ذلك تماماً . فلما سمعت ذلك ورأيت هيئة الغيظ والتكرّه العظيم اسودت الدنيا في عينيَّ فقلت لهُ وقد انحدرت دموعي على وجنتيَّ يا مولاي انهُ لا يوجد في كل مملكتك اصدق مني لك فاذا ارسلتني بمهمة بعد الآن ينبغي ان تطلعني على جميع تفاصيلها فلو اعلمتني انك ترغب في وقوع الرسالة بين ايديهم لفعلت ذلك بسهولة ولكنك لم تفعل فقد خاطرت بنفسي وعزمت ان اريق آخر نقطةٍ من دمي في سبيل ايصالها الى عنوانها

وكنت اتكلم بمزيد التأثر وانا اكفكف دموعي ثم قصصت عليهِ قصة سفري بالتفصيل وانني بعد خلاصي من كل تلك المخاطر كدت اقتل بسيف الضابط الفرنسوي ايضاً . وكان الامبراطور وبرتيه ومكدونلد يسمعون بمنتهى الاصغاء والاعجاب . فلما انتهيت اقترب نابوليون مني وامسك اذني فقال حسن حسن يا جيرار وانا ارجو ان تنسى كل ما قلتهُ لك منذ هنيهة فاني بعكس ذلك امدحك واهنئك . وفهمت منهُ انهُ يمكنني الانصراف فحييت وتحولت الى الباب فاستوقفني صوتهُ مكلماً مكدونلد بقولهِ ارجو منك يا دوق تارنتم ان تقلد جيرار وسام جوقة الشرف الخصوصي لانهُ وان يكن اكبر رجالي رأساً فهو أشدهم بأساً واقواهم قلباً

ولما لمع الوسام على صدري أنساني كل شيء الاّ والدتي والامبراطور وفرنسا

اغلاط المولَّدين

(تابع لما في الجزء السابق)

واما الضرورات الشعرية فمنها ما بقي مخصوصاً بالشعر وهو ما تعلق بالاحكام الكلية من مثل قصر الممدود واثبات آخر الناقص في الجزم وشبههِ وصرف الممتنع وتنوين المنادى المبنيّ الى ما اشبه ذلك ولا دخل لهُ فيما نحن فيهِ . ومنها ما شاع في النظم والنثر وهو ما شذّ من المسموعات الجزئية مع امكان ردّهِ الى وجهٍ من القيــاس ولو تمحُّلاً . وذلك كقولهم في جمع خريدة خُرَّد فان فعيلة لا تُجمَع على فُعَّل فلا يقال في كريمة كُرَّم ولا في مريضة مرَّض لكن يمكن ان يُحمَل هذا الجمع على توهُّم مجيء خارد في معنى خريدة فجُمعت على خُرَّد كما يقال عانس وعُنَّس وحائل وحُوَّل وهو مقيَّدٌ باللفظ المسموع فلا يتعدّاهُ الى غيرهِ . ومنها ما لم يَشِع في شعرٍ ولا نثر وهو ما لا يمكن ردّهُ الى وجهٍ من القياس كقول بعضهم في أَنظُر أَنظُور وكجمع الآخر الحِنّاَء على حِنّان وغير ذلك مما مرّت مُثُلهُ في كلامنا على اغلاط العرب[1] وهو لا يتجاوز البيت الذي سُمع فيهِ . وهذا ايضاً خارجٌ عما نحن فيهِ لانهُ من الشذوذ الذي لم يدرجوا عليــهِ في الاستعمال ولم يُلحَق شيءٌ منهُ بأوضاع اللغة بخلاف ما تقدّمهُ مما شاع على ألسنتهم في النظم والنثر وأدمجهُ نَقَلَة اللغة في كتبهم . ولا بأس ان نعزّز هذا الموضع بايراد شيءٍ من امثلتهِ مع بيان الشعر الذي ورد فيهِ على قدر ما يتوصل

(١) راجع مقالتنا تحت هذا العنوان في مجلد السنة الثالثة

اليهِ من النقل الذي بأيدينا وعلى قدر ما يحتملهُ الاشتغال بهذه العُجالة . ولا يخفى ما في هذا المطلب من الخفآء والغموض لان ذلك مما غابت عنا اصولهُ ولم يبقَ الا الاخذ في شعاب الحدس والاستدلال وانما الغرض ايراد نموذجٍ منهُ لبيان تصرُّف العرب في لغتها والله من ورآء السداد

فمن تلك الامثلة قولهم درعٌ جدلآء قال ابو عُبَيد الجدلآء والمجدولة من الدروع المنسوجة . ولا يخفى ان هذا الوزن غريبٌ في هذه الكلمة لان باب أَفعَل وفعلآء مخصوصٌ بالصفات اللازمة من الالوان والحِلَى وما يجري مجراها من صفات اعراض المحسوسات كالابيض والاهيف والاحدب وكقولهم درهمٌ احرش وعودٌ اعقف وارضٌ جردآء وصَفاةٌ خلقآء وما اشبه ذلك . فان كانت من الصفات الواقعة جرت على فعلها فيقال درعٌ منسوجة وحبلٌ محرَّد وحجرٌ مُدمَج ولا يقال درعٌ نسجآء ولا حبلٌ أَحرَد ولا حجرٌ أَدمَج . وكأنّ الذي قال درعٌ جدلآء توهم في الجَدْل معنى المتانة والقوّة فبنى منهُ صيغة افعل كما يقال قناةٌ صمّآء مثلاً وسهّلهُ مجيء صفاتٍ للدرع على وزن فعلآء كقولهم درعٌ قَضّآء ودرعٌ ملسآء ولعلّ اول ما وردت هذه الكلمة في قول الحُطَيئة

فيهِ الجيادُ وفيهِ كل سابغةٍ　　جدلآء محكمةٍ من نسج سلّامِ

فانهُ اراد ان يقول مجدولة فاضطرّهُ الوزن فعدلها الى جدلآء . وفي البيت ضرورةٌ اخرى وهي قولهُ من نسج سلّام يريد من نسج سليمان فاضطرّتهُ القافية فنقلهُ الى سلّام . وقد غلِط في هذا ايضاً لان الدروع فيما تناقلتهُ العرب تُنسَب الى داود لا الى سليمان ومن هذا قول كعب بن

زهير في قصيدتهِ المشهورة

شُمُّ العرانين ابطالٌ لَبُوسهمُ　　　من نسج داود في الهيجا سرابيلُ

ومن ذلك قولهم في جمع الرَقَبة رِقاب ورَقَب بفتحتين وأَرْقُب كأَضلُع . والجمعان الاولان قياسيان كما يقال في جمع ثَمَرة ثِمار وثَمَر ولكن الجمع الثالث غريب لان فَعَلة لا تجمع على أفعُل وانما هو من قول الراجز

تَرِدْ بنا في سَمَلٍ لم يَنضُبِ　　　منها عِرَضْناتٌ عظامُ الأَرقُبِ

وقد خرّجوهُ بانهُ على طرح الزائد اي على اسقاط التآء من رَقَبة فيبقى رَقَب وحينئذٍ يكون على حدّ جَبَل وأَجبُل . لكن تقدم ان الرَقَب بترك التآء يأتي جمعاً لرَقَبة فيكون أَرقُب جمعاً للجمع واذا صحّ هذا لم يمتنع ان يقال انهُ جمع رقاب ايضاً على حدّ ذِراع وأَذرُع الا ان كل ذلك تكلفٌ لا يُفضَى اليهِ في حال البداهة كما يرشد اليهِ الذوق السليم ولا سيما مع وجود الجمعين الآخرين وانما دعت اليهِ الضرورة وسهّلهُ ما تقدّم من الرجوع بهِ الى قياس جموع المفردات

ومن هذا القبيل قولهم في جمع أَعزَل عُزَّل بوزن رُكَّع حكاهُ في لسان العرب وانشد للاعشى

غيرِ ميلٍ ولا عواويرَ في الهيـــجا ولا عُزَّلٍ ولا أَكفالِ

وهو من الجموع الشاذّة لان أَفعَل لا يجمع على فُعَّل ولكن قياس جمعهِ على فُعْل بضم فسكون مثل احمر وحُمْر . وقد ورد ايضاً عُزْل بوزن حُمْر على القياس وهو المشهور في الاستعمال ولكن الشاعر اضطُرّ الى زيادة متحركٍ في البيت فعدلهُ الى عُزَّل . قال في تاج العروس قال شيخنا

صرّحوا بانهُ لا يُجمَع افعل على فُعَّل ولكنهُ لما وقع الاعزل في مقابلة الرامح حملوهُ عليهِ لانهم قد يحملون الصفة على ضدّها كما قالوا عدُوّة حملاً على صديقة او أُجري عزَّل مُجرَى حُسَّر جمع حاسر لتقاربهما في المعنى.اه

وفي كلا الوجهين تمحلٌ لا يخفى وانما يتوخَّى بمثل ذلك الاستئناس بوجهٍ من القياس على ما تقدم ولا يبعد على الشاعر ان يكون قد تمثل شيئاً من ذلك لما رسخ في ملكتهِ من اسلوب الوضع وطُرُق التصرف في ابنية اللغة . قال في المزهر قال ابن السرّاج في الاصول اعلم انهُ ربما شذّ شيءٌ من بابهِ فينبغي ان تعلم ان القياس اذا اطّرد في جميع الباب لم يكن بالحرف الذي يشذّ منهُ .. فمتى سمعت حرفاً مخالفاً لهذه الاصول فاعلم انهُ شذّ فان كان سُمِع ممن تُرضَى عربيتهُ فلا بدّ من ان يكون حاول بهِ مذهباً او نحا نحواً من الوجوه او استهواهُ امرٌ فغلَّطهُ . اه

وقالوا هلَك الرجل هَلْكاً وهُلكاً وهُلوكاً وهلاكاً وهَلَكةً وتَهْلُكةً وتُهلُوكاً . ولا يخلو ان يكون بعض هذه المصادر من لغاتٍ مختلفة أدّى الى اجتماعها تداخل تلك اللغات وبعضها من مقتضى ما نحن فيه من الضرورات الشعرية. فان الهَلْك بالفتح والهُلك بالضمّ لغتان ولا ضرورةِ في احدهما لاستوائهما في الوزن والتقفية . والاول من لغة من يقول هلَكَ من باب ضَرَبَ فهو كالرَبْض من رَبَضَ ومثلهُ الهُلوك فانهُ كالربوض من رَبَضَ وهو القياس . والثاني من لغة من يقول هلِكَ من باب تَعِبَ فيكون على حدّ الرُغب من رَغِبَ ومثلهُ الهَلَكة وهي على حدّ الأَنَفة من أَنِفَ . والهلاك يحتمل البابين فيكون من الاول كالتباب

من تَبَّ ومن الثاني كالخَراب من خَرِب . وبقي التَهْلُكة والتُهلوك وهما بناءان غريبان لا نظير لهما في المصادر فأَحرِ بهما ان يكونا مما ساقتهُ الضرورة ولم نقف على شعرٍ في الاول واما الثاني فقد سُمِع في قول شبيب بن شَبّة

شبيبُ عادَى اللهُ من يجفوكا   وسبَّب اللهُ لهُ تُهلُوكا

وجاء في هذه المادّة قولهم في جمع هالك هوالك وهذا لا يكون في العقلاء الا جمعاً لفاعلة او لفاعل المؤنث كشاكل وثواكل واصلهُ من قول ابن جذل الطِعان

فايقنتُ اني ثائر ابن مكدَّمٍ   غداة غدٍ او هالكٌ في الهوالكِ

ومثلهُ قولهم في جمع فارس فوارس وفي جمع ناكس نواكس وهذا الاخير من قول الفرزدق

واذا الرجال رأَوا يزيدَ رأيتَهم   خُضُعَ الرقاب نواكس الأَبصارِ

وقد اعتذروا عن الاول بانهُ يقال في المثل فلان هالكٌ في الهوالك والامثال يجيء فيها ما لا يجيء في غيرها والذي عندنا ان المثل لم يؤخذ الا من هذا البيت . وعن الثاني اي فوارس بانهُ لا يكون في المؤنث فلم يُخَف فيهِ اللبس قلنا ولو صحَّ هذا في كل ما اختصّ بالمذكر لجاز في قاضٍ مثلاً وغازٍ وباسل ورامح وشاطر وغير ذلك فالاظهر انهُ في اصلهِ ضرورة والا فما الداعي الى فوارس مع وجود فرسان . واما الثالث فاجمعوا على انهُ ضرورة

(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ١٤ —

جاءَ في كتاب (الهيتو باديزا) أي النصائح النافعة الذي وضعهُ فلاسفة الهند باللغة السنسكريتية منذ احقاب متطاولة ان المرأة يجب ان لا تخرج عن مراقبة أبيها في صباها و زوجها في كهولتها وابنها في شيخوختها وان لا يُترك لها حريةٌ ما من المهد الى اللحد

وورد في شريعة كنفوشيوس حكيم حكماء الصين ما معناهُ . ان نسبة الزوجة الى زوجها نسبة الرعية الى الملك فلهُ عليها السلطة المطلقة ولكنهُ مأمور انهُ يستعمل هذه السلطة بالمحبة والحنوّ وعليها أن تطيعهُ مادام غير مختلّ الشعور . والضرار غير ممنوع والآباءُ ينتخبون الازواج لبناتهم والزوجات لابنائهم واذا لم يرتضِ الزوج من امرأتهِ أمكنهُ أن يبيعها أو يطلقها ولا جناحَ عليهِ

وفي اعتقاد البوذيين ان النفس تتطهر في جملة اماكن قبل بلوغ دار السعادة فالمكان الثالث منها فيهِ ست عشرة دَرَكة منها واحدة للمرأة السليطة المارقة من طاعة الزوج تجد فيهِ من صنوف العذاب ما لم تسمع بهِ اذن ولم يخطر على قلب

على انهُ لكل قاعدةٍ شواذ فان في الهند طائفةً من مجوس الفُرس قد اقتدوا بالحسَن من التمدن الاوربي حتى ضارعوا اعظم الامم حضارةً

ولو كانوا أمةً كبيرةً كاليابان لاشتهروا مثلهم ولكنهم قليلو العدد. ونسآؤهم يتعلمنَ كما يتعلم رجالهم ولبعض هؤلآء النسآء مقالاتٌ ضافية في اشهر المجلات الانكليزية والاميركية يبحثنَ فيها مباحث تاريخية واجتماعية يتعلق معظمها بآداب طائفتهم . وقد ورد في الجرائد الطبية ان بعضاً منهنَّ درسنَ علم الطب في مدرسة كلكتا واجيز لهنّ في الطب والجراحة من مدارس انكلترا

ثم ان في بعض المذاهب الشرقية ما يقضي بطلاق الزوج العاقر وفي مذاهب أخرى يباح الطلاق للرجال بسبب و بلا سبب اتباعاً لاحكام الشهوات والغايات ومطاوعةً للحدة والشكاسة. فتنقطع بغتةً آمال الحياة المنزلية وسعادتها من فؤاد الطالق المسكينة وتعيش سائر أيامها رهينة الشقآء والبؤس بينا يكون زوجها متمتعاً بهنآء شهر العسل مع عروسٍ جديدة بل عرائس . هذا اذا لم تقيّض التقادير لها رجلاً فيهِ من العيوب ما يفضي بهِ الى التساهل فيتزوجها وهي أيّمٌ ويقضيان عيشةً يتبرأ منها الهنآء ويفرُّ من اصحابها النعيم . ومن أعجب العجب أن من هؤلآء الاقوام من يتزوج الكاعب وسنها لا تتجاوز الثانية عشرة وهو شيخ قد أفنتهُ السنون ولا يُستنكَر ذلك عليهِ مع انهُ من أقبح انواع الظلم فضلاً عما يترتب عليهِ من عدم التشاكل وسوء التعاشر . وهذا موجودٌ في أُمم أوربا وانما الفرق ان العذرآء الاوربية تتزوج الشيخ الهرم مختارةً يدفعها الى ذلك الغرض وطمع النفس أما الفتاة الشرقية فتُعطَى لهُ مكرَهة من أبوَيها وهي دون سنّ الرشد ولا مصلحة لها عندهُ البتة بل بالعكس فانهُ

يُقعِدها وراء الحجاب ويسومها اصناف العذاب الى أن يقضي الموت أو الطلاق بالفراق . فيا لله من ظلم البشر

وأغرب ما في المسألة ان اكثر الامم الذين يبيحون الطلاق في الشرق يحصرون حقوقهُ في غالب الاحوال اذا لم نقل في كلها بالرجال دون النسآء فللزوج بكلمةٍ واحدةٍ يقولها ولو طيشاً وهوجاً أو ظلماً وعدواناً ان يفرّق بين زوجتهِ وبنيها ويجعل حياتها أشد هولاً واكثر حرجاً من حشرجة الصدر وقد يفعل ذلك ولا ذنب لها سوى زوال شمس محاسنها وغضارة صبوتها أو اصابتها بعلةٍ اقعدتها اضطراراً عن القيام بخدمتهِ وارضاء شهواته أياماً او اسابيعَ معدودة . كل هذا وهو في الغالب أقدم منها أياماً واقل ملاحةً واكثر عيوباً وعاهات وليس للزوجة وان كان زوجها سكيراً أو مقامراً او جامعاً نقائص العالم تحت بُرديهِ ان تطلب طلاقهُ

أما المواريث فقد غُبنت فيها الانثى الشرقية كما قدمنا فان الاسرائيليين قد أسقطوها تماماً من حق الارث وكذلك اتباع حمزة المعروفون بالموحدين ثم النصيرية والقرامطة المعروفون في جبل القدموس وسَلَمْية وغيرهما بالاسماعيليين . أما المسلمون فجعلوا للذكر مثل حظ الانثيين بالنظر الى البنات والاخوات وفرضوا للأم السدس وللزوجة الثمن وقالوا ان الانثى لا تحجب ذوي القربى بعكس الغلام . أما المسيحيون الشرقيون فهم يجرون في كل مملكة بحسب فرائضها الارثية اذ ليس لديهم من نصوص شرعية في مثل هذه الشؤون وفي هذه الحالات المتضاربة ما فيها من الاجحاف وعدم المساواة كما لا يخفى على المتأملين

لا جرم ان المواد المذكورة في هذا الفصل هي التي يحق للاناث بل يجب عليهنَّ السعي في تلافيها على وجه يكفل لهنَّ التعادل الفعلي ضمن الحدود المعينة للانثى من مبدع الطبائع والشرائع لا ما ينادينَ بطلبهِ وهنّ ساخطاتٌ ناقمات كأنهُ من حقوقهنَّ وما هو الاّ نيرٌ على عواتقهنّ وبلآءٌ على جنسهنَّ اللطيف مما أتينا على بيانهِ من قبل . فقد ثبت مما قدمنا — وهو غيضٌ من فيض — ان الاجحاف بحقوق الانثى لايزال في الشرق والغرب وفي اميركا وغيرها شاملاً اموراً عديدة خطيرة لها دخلٌ كبيرفي سعادة الحياة فلو اتجهت عناية المرأة وأنصارها الى تحصيل ما لها ورفع الحيف عنها لاصابت على توالي الايام نجحاً ونالت فائدة بل فوائد بعكس ما ينجم عن تهافتها على مزاحمة الرجال فيما ينزع عنها جمال الانوثة ومظاهرها اللطيفة ويجعلها جباراً مخوفاً مع انها خلقت لتكون عشيراً أنيساً بل ملَكاً كريماً . والمرأة ينبغي أن تدوم امرأة والا فمصير عالم الانسان الى الانقراض اتباعاً لسنَّة الزمان

انعقد في العام الغابر مؤتمر النسآء في برلين عاصمة الالمان للمرّة الرابعة[1] مؤلفاً من ستة آلاف امرأة فاضلةٍ وعالمة تجمعنَ من اطراف العالَم المتمدن فجلسنَ خمسين جلسة وتلونَ مئتي تقرير عن حالة المرأة في المجتمعات القوميَّة وما يجب عليها وما يجب لها وكان محوَر بحث المؤتمر

(١) انعقد هذا المؤتمر للمرَّة الاولى في مدينة واشنطون سنة ١٨٨٨ وللمرّة الثانية في مدينة شيكاغو سنة ١٨٩٣ وللمرّة الثالثة في لندرة سنة ١٨٩٩ وغايتهُ المطالبة بحقوق النسآء

واجبات المرأة من حيث هي زوجة وأمّ. فلم ينل استحسان العقلآء من كل ما ورد فيهِ من الخطَب والتقريرات التي تجاوز اكثرهنّ فيها درجة الاعتدال سوى خطابٍ فاهت بهِ اللادي ابرَدين من عقائل الانكليز كان لهُ في النفوس النبيلة المقاصد احسن وقع اذ قالت

اذا أرادت المرأة ان تكون ذات مقام ونفوذ في الهيئة الاجتماعية وجب عليها ان تعرف قبل كل شيءٍ ما خلقت لاجلهِ وما يجب عليها القيام بهِ. وانهُ ليسوءني ان تنهض الآن في وجه الرجل بحجة انهُ ظلمها في اعصر الهمجية والخشونة فتطلب الانتقام والاخذ بالثأر مزاحمةً اياهُ في الاعمال ومناصب الحكم فان الاجدر بنا نحن نسآء عصر المعرفة والنور ان نتحف الانسانية بامرأةٍ افضل من تلك المرأة القديمة لان الانسانية اليوم في حاجةٍ الى حكمةٍ اتمّ وحبٍّ اصدق والحكمة والحب خير مملكةٍ تملك فيها المرأة . انتهى

وقال الفاضل جول سيمون في اواخر عمرهِ جملةً يتذكَّرها كلُّ عاقل وُفّقَ للاطلاع عليها وهي « كنا سنة ١٨٤٨ نشكو من افتقار نسآئنا الى الحرية والتنوير والتعليم حتى يصلحنَ للتربية وحسن الائتلاف مع الرجال فصرنا الآن نشكو من كثرة اندفاعهنَّ في هذه الحالات حتى اصبحنَ آفة الرجال » وقد طلب احد اصحاب المجلاّت العلمية في اميركا من ارباب الاقلام بياناً عن الصفات التي ينبغي ان تتكلف بها الانثي معيّناً جائزة مالية لمن يفضل غيرهُ في الجواب فنال الجائزة من بين الف ومئة كاتبٍ صاحب الجواب الآتي

اولاً يجب ألاّ يتعدَّى تعليم المرأة الحيّز الذي يناسب حالة الانوثة اي ان لا تتعلم فنون الحرب والتجارة ولا الصناعات الخشنة ولا تتعمَّق بمثل الفلكيّات والطبيعات والآليّات

ثانياً ان تحسن اتقان ادارة المنزل بفروعها حتى الحساب ولتكن مقتصدةً بحيث تعلم ان ثوباً صوفيًّا دُفع ثمنهُ خيرٌ لها من ثوبٍ حريريٍّ أُخذ بالدَين . (حاشية للمؤلف : وان البسيط خيرٌ من المزركش وما كان من صناعات البلاد خيرٌ مما يرد من بلاد الاجانب)

ثالثاً الاّ يباح الزواج لفتاةٍ قبل ان تمتحن امام لجنةٍ تتألف من فُضلَيات النسآء المعروفات بالنزاهة وتنال الشهادة منهنَّ بانها اهلٌ لإرضآء الزوج وفيها كفاية لتربية البنين ومعاشرة الناس

هذا غاية ما يرام من المرأة فاذا حازت هذه الصفات وكانت حرَّة الارادة نيّرة اللبّ عذبة اللفظ والبيان سعدت وأسعدت ونقلت حياة النوع البشريّ الى منتهى درجات كمالها

ان الرجل والمرأة وان كانا فرعين لأرومةٍ واحدة وشطرين يركّبان كياناً واحداً فلا يستفاد من هذا انهُ يجب ان يتماثلا عملاً ووظيفةً كما تشاكلا جسماً وصورةً والاّ لوجب ان يخلق كلٌّ منهما مستقلاًّ بوظيفتي الإيلاد والولادة مستغنياً عن الآخر فعلاً وانفعالاً ككثير من فصائل الطبقات الحيوانية السافلة فعند ما يصحُّ عقلاً وفعلاً حمل الرجل وولادتهُ وكونهُ مرضعاً ومربّياً يصحُّ للمرأة ان تكون جنديّاً غازياً وتاجراً مساوماً وبنّآءً كادحاً

فليحافظ إِذَنْ كلٌّ من الجنسين على ما ميَّزتهُ بهِ الفطرة بالطبع ويقف ضمن الدائرة التي حدّدتها لهُ الطبيعة فلا يتخطاها متجاوزاً الى دائرة شطرهِ الآخر وليحرص كلٌّ منهما على ما لهُ وعليهِ من الحقوق فلا يعطينَّ مما لهُ وليؤدّينَّ ما عليهِ منصفاً نفسهُ ومنتصفاً منها . هـذا هو السبيل المؤدي الى كمال النوع وفيهِ سرُّ سعادة الحياة ونعيمها

(ستأتي البقية)　　　　سليم عنحوري

المطر الصناعي

جآء في احدى المجلات الالمانية فصلٌ تحت هـذا العنوان لخّصتهُ مجلة المجلات الاميركانية وعلقت عليهِ بعض الشروح وهذا ملخصهُ

لايخفى ان البخار المآئي اذا صادف جسماً آخر اكثف منهُ رسب عليهِ وتحوَّل الى ضباب او غيم او مطر . وهذا هو سبب تكوّن الغيوم في الجوّ حيث تصادف دقائق البخار المآئي ذرّات الغبار فترسب عليها . وقد علل الاستاذ أتكين الاسكتلندي صاحب هذا الرأي كثرة الضباب الذي يغشى انكلترة بكثرة دخان الفحم الذي يتصاعد من معاملها واستشهد على ذلك بان كثافة الضباب المحيط بمدينة لندن تقلّ بنسبة البعد عنها . وبرهن ذلك ايضاً بالتجربة الآتية قال . خذ انبوبين من الزجاج مملوءَين هوآءً اعتيادياً ومسدودي الاطراف وفرّغ احدهما من الهوآء واملأهُ هوآءً نقياً وذلك بوضع قطعة من القطن في فوّهتهِ تمنع ذرّات الغبار من الدخول اليهِ عند دخول الهوآء الجديد . ثم افتح كلا الانبوبين وعرّضهما

بسرعة للبخار المآئي فترى احدهما قد انتشر فيهِ نوعٌ من الضباب حالة كون الآخر المملوء هوآءً نقيًّا يبقى صافياً شفافاً

ومما يُثبت ذلك ايضاً تكوُّن الغيوم فوق النيران والحرائق العظيمة وسببهُ رسوب دقائق البخار المآئي على ذرّات الغبار التي تحملها طبقات الهوآء الحار الى الاعلى . ومما يستحق الاعتبار ان حبّات البَرَد تحتوي على ذرّاتٍ من الغبار تجدها في مركز الحبّة. وقد شاهد الاستاذ نُورْدِنْسكُولد الاسوجي في سنة ١٨٨٤ حباتٍ من البرد فيها قطعٌ من المواد المتبلورة ثقل الواحدة منها نحو ست قمحات

هذا ومن المعلوم ان وميض البرق يتبعهُ نزول المطر وان هذا المطر يزداد بنسبة اشتداد ذلك الوميض . وقد ذكر بلوطرخوس ان الفرس واليونان كانوا يستنزلون المطر بضجيج الحرب . ومما يلاحظ ان انفجار البراكين واللغوم والمواد المتفرقعة ومعظم وقائع الحروب التي يكثر فيها اطلاق النار تُتبع بامطارٍ غزيرة . وقد ألّف المهندس ادورد پورس كتاباً موضوعهُ « الحروب والتغيرات الجوية » ذكر فيهِ الوسائل الصناعية لاستنزال المطر فقال ان افضلها هي ان يكثَّف البخار المآئي الموجود في طبقات الهوآء باطلاق نيران المدافع بكثرة . فبحث مجلس الولايات المتحدة سنة ١٨٧٤ في هذا الرأي ولكنهُ نبذهُ اخيراً لكثرة ما يقتضيهِ من النفقات

وفي سنة ١٨٧٦ ادّعى فردنند هاترمان (وهو المانيّ مقيم بزيلاندا الجديدة) ان لديهِ طريقةً لاستنزال المطر وذلك باطلاق القنابل في

طبقات الهوآء من المناطيد . وفي سنة ١٨٨٠ توصّل الجنرال دانيال روجلس الاميركاني الى طريقة اخرى يُستنزل بها المطر بواسطة الديناميت وغاز الهدر وجين الاكسيجيني ولبث عشر سنين يحاول اقناع امته بصحة طريقته حتى وضعها مجلس الولايات المتحدة في سنة ١٨٩١ موضع البحث فخصص لتجربتها تسعة آلاف ريال اميركي وعهد الى الجنرال روبرت ديرنفُورث في اجرآء تلك التجربة . فاجراها هذا ثلاثاً ونجح في كلها وعلى الخصوص في المرة الاخيرة اذ كانت النتيجة مرضيّة مقنعة . وأُعيدت تلك التجارب في سنة ١٨٩٣ في الهند وفي انكلترة فاتت بالنتائج المرغوبة

على ان اهم شرط لنزول المطر هو وجود البخار المآئي في الهوآء بحيث اذا صادف البخار المنتشر فيهِ جسماً بارداً تكاثف عليهِ . وقد لوحظ امرٌ آخر عند سقوط المطر وهو انهُ يسبقهُ سكون من مثل السكون الذي يحدث قبل الزوبعة فاذا تحاكّت طبقات الهوآء المشبعة بالبخار المآئي اضطرب توازنها وقلقت بعد ركودها فينتج عن ذلك تساقط المطر . ولذلك اذا لم يكن الهوآء مشبعاً بالبخار المآئي فلا يمكن انزال المطر بأية طريقة كانت ولو نفد البارود والديناميت في اطلاقهما لاستنزالهِ

سليم عبد الاحد

من كلام ابي ذرّ « كان الناس ثمراً لا شوك فيهِ فصاروا شوكاً لا ثمر فيهِ »

الكسوف الاخير

و بعض تقارير اهل الرصد

ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة ما اتصل بنا من الكلام على الكسوف الكلي الذي حدث في ٣٠ اوغسطس من السنة الماضية نقلاً عن بعض الجرائد والمجلات العلمية وقد وقفنا بعد ذلك على عدة رسائل ومقالات في هذا المعنى لا تخلو من فائدة او فكاهة فاقتضبنا منها ما يلي



فمن ذلك ما كتب بهِ المسيو دُوپرات من فيليپڤيل بالجزائر الى الندوة الفلكية في باريز وقد نشرتهُ في مجلتها الخاصة في الشهر الماضي قال

كانت مناظر الظلال عند ابتداء الكسوف ونهايتهِ بمكان من الغرابة ولا سيما ظلال الايدي كما يُرَى في الرسم المنقول في هذا الموضع وهو ظلّ يدٍ على جدار قبل تمام الكسوف ببضع دقائق فكان يُرَى بين كل اصبعين نتوء مستدير والاصابع تُرَى دقيقةً قريبة الشبه مما يُرسَم بواسطة اشعة رُنتجن واطرافها معقوفة بما يشبه المخالب

اما الضوء فاخذ يضعف من حين بلغ الكسوف ثلث قرص الشمس واذ ذاك تبدّل لونهُ فغلب عليهِ اللون النارنجي وكان هذا اللون يشتدّ كلما دنا الكسوف من التمام واخذت زُرقة السمآء تميل الى السواد ثم صارت الى اللون البنفسجي ۰ وقبل تمام الكسوف بنحو دقيقتين بدأت الظلال الراقصة بالظهور وكانت اولاً متداخلة غير تامة الوضوح ثم اخذت تتضح وتميز شيئاً فشيئاً وكان شكلها شكل مناطق قصيرة متموجة يفصل بينها طرائق نيّرة . وكانت كل منطقةٍ من الظل بعرض ٦ او ٨ سنتيمترات وبين كلٍّ منها والتي تليها نحو ١٠ سنتيمترات وكانت تنتقل من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بسرعة نحو متر ونصف في الثانية . اما لونها فلم يبدُ عليهِ تغيير

وبعد نهاية الكسوف التام تجدد منظرها ومع بقآء حركتها على ما ظهرت عليهِ اولاً اي من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي فان المناطق المذكورة كانت تظهر كانها تتراكب وتتقاطع حتى كانها تدور حول نفسها

اما ما يسمى بحَبّ السُبحة او حَبّ بيلي فظهر مدة بضع ثوانٍ عند ما تماسّ محيط الشمس والقمر من الداخل فكانت تلك الحبوب ذات ضيآء شديد اللمعان وكان ظهورها اولاً على الجانب الجنوبي الشرقي من الشمس منتظمةً على مسافة نحو ٣٠ درجة من محيطها ثم ظهرت عند انتهآء الكسوف الكلي على الجانب الشمالي الغربي

وعند اكتمال الكسوف ظهرت الزُهَرة في الشمال الغربي من الشمس وعلى مسافةٍ منها بينها وبين الشمس ظهر عُطارِد وظهر الى شرقيّ الشمس

مع ميلٍ الى الجنوب نجمٌ مضيء من القدر الاول اظنهُ السماك الرامح

وكتب المسيو هنري برّوتين من اسپانيا قال انهُ بينما كان الكسوف يتكامل والهلال الشمسي يستدق كانت ظلال الاشباح تظهر اوضح حدوداً لتقلّص الظُلَيل من جوانبها . ومما يجدر بالذكر ان ضوء الشمس الذي يقع على الارض من خَلَل فروج الاغصان ويكون عادةً مستديراً (١) كان اذ ذاك بهيئة اهلّة مشاكلة لهلال الشمس ومطابقة لهُ في الاتجاه . وقد راقبنا سرعة انتقال ظل القمر على الارض وقسناها قياساً تقريبيًّا فكانت بين ٦٥٠ و ٧٠٠ متر في الثانية وقد ظهر لنا خلا الزُهَرة وعطارد بعض كواكب الدبّ الاكبر . انتهى

من كل شيءٍ تحمي اخاك الا من نفسهِ

اخذنا منذ مدةٍ ننشر رسالةً في حقوق المرأة من تأليف حضرة الالمعيّ الفاضل سعادتلو سليم بك عنحوري تحت عنوان حديقة السوسن وهي كما رآهُ كل من اطلع عليها افضل ما كُتِب في لغتنا في هذا المعنى

(١) ورد ذكر هذا المنظر في شعر المتنبي وقد وصف جيشاً فقال

تمرّ عليهِ الشمس وهي ضعيفةٌ تطالعهُ من بين ريش القشاعمِ
اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجةً تدوّر فوق البَيض مثل الدراهمِ

يقول ان الشمس كانت تمر فوق هذا الجيش وقد خيمت النسور عليهِ فكان لا يصل ضوؤها اليهِ الا من خلال اجنحتها فاذا وقع على البيض اي الخوذ ظهر مستديراً كالدراهم . وذكرهُ مرةً اخرى في قصيدةٍ مدح بها عضد الدولة فقال بعد وصف شعب بوّان وما فيهِ من الاشجار

وقد احاطت بهذا البحث من جميع اطرافهِ وتضمنت آرآء الامم في كل قطر واقوال الحكمآء في كل عصر وما تقلبت عليهِ احوال الانثى واعتبار منزلتها من المجتمع الانساني . وكان في جملة ذلك امر الطلاق والضرار وغيرهما مما يترتب عليهِ كثيرٌ من احوال الأُسرة والامّة ومما يتعين على الكاتب ان يفيض فيهِ ببسط اقوال المشترعين والحكمآء وردّ كل حكم الى اسبابهِ ووجوههِ . ومعلومٌ ان بعض البلاد الاوربية والاميركية اباحت في الزمن الاخير امر الطلاق لما اعتبرت فيهِ من مصلحة الزوجين وعلّل مشترعوها ذلك بان الزواج ينبغي ان يُعتبَر شركة مفاوضة يراد بها بقآء النوع والتعاون في جهاد الحياة لا سرًّا علويًّا لا تقوى يد حاكمٍ ارضيٍّ على نقضهِ

هذا محصَّل ما جآء في الرسالة المذكورة نقلاً عن المشترعين المشار اليهم وهو سوآءٌ كان حقًّا ام باطلاً وموافقاً لبعض الشرائع الدينية ام مخالفاً لها فان صاحب الرسالة لم يؤيّدهُ ولم ينقضهُ لان غرضهُ ايراد ما يحتجّ بهِ اصحاب هذا الرأي لا تقرير ما يعتقدهُ في نفسهِ . وأيّ الامرين كان فان الضيآء غير مسؤولٍ عنهُ لان الرسالة منشورةٌ فيهِ تحت اسم صاحبها فان كان ثمة اعتراضٌ او نكير فهو على الكاتب لا عليهِ ولكن كل ما على الضيآء ان ينشر ما يرد عليهِ من الاعتراض بشرط ان يكون مبنيًّا على قاعدةٍ

والقى الشرق منها في ثيابي   دنانيراً تفرُّ من البنانِ

يريد بالشرق الشمس يقول ان ضوءها النافذ من خلال الاغصان كان شبه دنانير تلقيها الشمس على ثيابهِ الا انهُ اذا حاول امساكها تفرّ من يدهِ . قيل انهُ لما بلغ الى هذا البيت قال لهُ عضد الدولة واللهِ لأُلقينَّ فيها دنانير لا تفرّ

من قواعد العلم او راجعاً الى وجهٍ معقول

اما ما هذر بهِ اصحاب المشرق في هذه المسئلة وما حاولوا ان ينصبوهُ لنا من الحرب العوان تارةً بالتُرَّهات والاكاذيب وطوراً بالتهويل والمخرقة على عقول العوامّ فما لا نتفرغ للردّ عليهِ كما لم نتفرغ للرد على سائر مفترياتهم من قبل . على ان غرضهم من ذلك لا يخفى على من عرف شيئاً من اطوار هذه الجمعية وهو لا يعدو الغرض من مناصبتهم لسائر المجلات العلمية بل لكل امرٍ لهُ تعلق بالعلم أو الدين لان من قواعد « طريقتهم » ان ينفردوا بالقبض على ازمَّة السياسة المدنية والاجتماعية والدينية بحيث يكونون هم اساتذة العالم باسرهِ فلا تكون كنيسةٌ مع كنيستهم ولا منبرٌ مع منبرهم ولا مدرسةٌ مع مدارسهم وهلمَّ جرًّا . واثباتاً لذلك نذكر للمطالع بعض ما جاء في الفصل الخامس من كتاب تعاليمهم الخصوصية وهو هذا معرَّباً بالحرف

« (٢) يجب على جماعتنا ان يبحثوا عن نقائص غيرنا من الخدام الروحيين ويتتبعوا هفواتهم وما توصّلوا الى معرفتهِ منها فليتلطفوا في اذاعتهِ بين مريدينا الامناء بان يذكروهُ لهم في معرض الاسف بحيث يثبتون لهم انهم ليسوا اهلاً للقيام بحقّ الوظائف التي هم شركاؤنا فيها —

» (٣) يجب عليهم ان يبذلوا اقصى مجهودهم في معارضة الذين ينوون ان ينشئوا مدارس لتعليم الاحداث في الاماكن التي يعلّم فيها جماعتنا وليبثّوا في عقول اولي الامر واصحاب الخطط ان هؤلاء الناس اذا لم يُضرَب على ايديهم ويُمنَعوا من التعليم لم يُؤمَن ان يكونوا سبباً في حدوث

اضطراباتٍ ومشاغب في المملكة وان الفساد انما يكون مبدأهُ في عقول الصغار بما يُلقَّنون من التعاليم المتباينة وبالتالي فان الجمعية كافيةٌ وحدها لتعليم الاحداث . واذا كان أولئك الروحيون قد حصلوا على مراسيم من البابا او تواصٍ من الكرادلة فعلى جماعتنا ان تتصدّى لمقاومتهم بتوسيط الكبرآء واولي الامر وتكليفهم ان يبسطوا للبابا فضائل الجمعية وكفايتها في امر تعليم الاحداث من حيث لا خوف منها على السلم وليجتهدوا في الحصول على شهادات من ذوي المناصب تُثبِت حسن مسلكهم وجودة تعليمهم »

هذا نموذج يسير من تعليم هذه العصابة وسياستها واذا كان هـذا صنيعها وما تضمرهُ لخدّام الدين الذين تتزيَّا بزيّهم وتتظاهر بانها منهم فما الظنّ برأيها في غيرهم . ونكتفي الآن بهذا القدر ممـا انطوت عليهِ بواطن أولئك القوم الا اذا احرجونا الى المزيد وتحقيق ما انذرناهم بهِ من قبل مما لعلهم لم ينسوهُ والله المستعان

من كلام يحيى بن خالد « رأينـا شارب خمر نزع ولصاً اقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذاباً صار صادقاً »

آثار ادبيّة

كتاب مرشد الراغبين في اسعاف المصابين — اهديت لنا نسخة من مؤلَّفٍ جليل بهذا العنوان لحضرة مؤلّفهِ الفاضل يوسف افندي بشتلي ضمّنهُ طرق العناية بمن أُصيب بحادثٍ فجائي من الحوادث الكثيرة التي تقع في البلاد المزدحمة بالعمران والتي تكثر فيها الآلات البخارية والكهربائية

على سرعتها المعلومة وما يطرأ ثَمَّ من اصطدام وانفجار ودهس وغيرهِ فضلاً عما يقع من الخطوب الاخرى كسقوط عامل من سطح بناء او حدوث حريق او تسمم او غرق الى غير ذلك مما لا يُحصَى ومما تتجدد نوازلهُ كل يوم ولا يُستغنَى فيهِ عن الاسراع في تدارُك الخطر . ولما كان اكثر هذه الحوادث يقع على غير انتظار وقد لا يتسنى حضور الطبيب الا بعد فوات الفرصة ونفوذ الخطر رأى مؤلف هذا الكتاب ان يضمّنهُ اهمّ ما يقتضيهِ تدارك المصاب من الوجهين العلمي والعملي فابتدأهُ بوصف جسد الانسان وصفاً تشريحيًّا وفسيولوجيًّا ثم شرح انواع الجراح التي تعرض لكل عضو وما يطرأ على العظام من كسر وخلع وغيرهما وما يحدث في مثل هذه الاحوال من الآفات والعوارض كارتجاج الدماغ واحتقانهِ واحوال التسمم والاختناق وما يتصل بذلك كلهِ مع الوصف المدقق بحيث يمكن ان يفهم المراد منهُ من لم يسبق لهُ المامٌ بالطب والجراحة وشفع كل ذلك بالرسوم اللازمة لايضاح المعنى وتشخيص الآفة والعمل في تداركها

ولا يخفى ان هذا اول كتاب أُلّف في هذا الغرض وهو ولا ريب من التآليف التي لا غنى عنها في مثل هذه البلاد وقد اصبحت معتركاً للاعمال الكبيرة والتبسط في مذاهب العمران على ما فيهِ من اتّساع مجال الحوادث وتنوعها فنثني على حضرة مؤلفهِ الفاضل لما توخى بهِ من خدمة الانسانية ونأمل في حكومتنا السنية ان توزّعهُ على جميع المصالح الكبرى في البلاد رحمةً بالمُصابين وتلافياً لما يتكرّر حدوثهُ من الآفات والاخطار

فكاهات

الكولونيل جيرار[1]

— ١٥ —

قد قصصت عليكم ايها الاصدقآء بعض وقائعي وانا ملازم في الجيش ثم وانا ضابط فرقة ثم كولونيل ثم رئيس فرقة والآن ترون انني انتقلت فجأةً الى اهم واسمى

تعلمون ان امبراطورنا المحبوب في السنوات الاخيرة التي قضاها في جزيرة القديسة هيلانة توسل مراراً ليؤذن لهُ في ارسال كتاب واحد من كتبهِ بدون ان يطلع الحاكم عليهِ كما جرت بهِ العادة . ومع ان نفسهُ الكبيرة لم تكن قط تتنازل لمخلوق فانهُ اعاد طلبهُ وتوسلاتهِ في هذا الشأن حتى وعد انهُ اذا سمحوا لهُ بذلك يقوم بنفقات نفسهِ ويوفر على الحكومة الانكليزية ما تنفقهُ عليهِ . غير انهم كانوا يعرفون مقدرة ذلك الرجل المصفرّ اللون القصير القامة ويخافون سطوتهُ فلم تغرّهم مواعيدهُ ولم يسمحوا لهُ بذلك . وقد اهتم كثيرون بمعرفة افكار الامبراطور او على الاقل بمعرفة الشخص الذي كان يودّ ان يرسل اليهِ ذلك الكتاب السرّي فقال بعضهم انهُ ربما كان الى زوجتهِ وقال غيرهم بل هو الى حميهِ او الى الامبراطور اسكندر او المارشال سولت ولكنهم لم يصيبوا المرمى . واخالكم تتعجبون كثيراً اذا قلت لكم ان الذي كان يودّ ان يرسل اليهِ ذلك الكتاب هو انا . نعم انا فان الامبراطور كان يهمهُ جدًّا ان يوصل ذلك الكتاب الى الكولونيل جيرار لانني وان كنت كما ترونني ليس لي من حطام الدنيا سوى مئة فرنك اتقاضاها من الحكومة كل شهر فلم اكن لابرح من ذاكرة الامبراطور بل اؤكد لكم انهُ كان يجود بقطع يسراهُ

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ليتمكن من محادثتي خمس دقائق . ولكي ابرهن لكم على ذلك هاكم السبب

اننا بعد معركة فريشامبنواز وجدنا جنودنا في حالة يرثى لها من الضعف وكانت فرقتي قد تشتتت في الحملة على غارون ثم بلغنا استيلاء الاعدآء على باريس وان سكانها وضعوا على قبعاتهم الوردة البيضآء وبلغنا اخيراً ما هو ادهى من ذلك وهو ان مرمونت وجيوشهُ قد انحازوا الى البوربون فكنا ننظر بعضنا الى بعض متسائلين هل يبقى معنا احد من القواد الآخرين وهم جوردان وموزات وبرنادوت وجوميني فاننا كنا مع وجود كل هؤلاء ومرمونت معنا مستعدين لمحاربة اوربا باسرها واما في ذلك الحين وقد فرغت يدنا من اكثرهم فانهُ صار يلزمنا فضلاً عن محاربة اوربا ان نحارب نصف فرنسا ايضاً

وبعد مسير شاقّ بلغنا فونتنبلو ونحن بقية من جيش ناي وجيش ابن عمي القائد جيرار وجيش مكدونلد والجميع نحو خمسة وعشرين الفاً وسبعة آلاف من الحرس . ولكننا كنا في حالة تجعلنا بقوة خمسين الفاً ومعنا امبراطورنا وهو يعادل خمسين الفاً اخرى وكان دائماً يسير بيننا متبسماً يلقي كلامهُ بلطف هنا وهناك مشجعاً معزياً حتى صارت الجنود تنظر اليهِ نظر اليونان الى آلهتهم . وفي ذات مسآء كنت مع بعض الضباط نشرب كأساً من الخمر واذا برسول قد جآء يستدعيني لمقابلة برتيه فنهضت مسرعاً وكان يقيم في جناح قصر فرنسوا الاول بازآء محل سكنى الامبراطور . فلما دخلت غرفة الانتظار رأيت رجلين اعرفهما احدهما الكولونيل دسبيان والآخر الملازم تريمو وهما من اصدقآئي . واذ ذاك دخل علينا الحاجب وقال ان الجنرال برتيه يود ان يكلم الكولونيل جيرار فنهضت واستأذنت صديقيّ وتبعت الحاجب فادخلني غرفةً صغيرةً رأيت فيها مائدة ورآءها برتيه وقد بانت عليهِ دلائل الاهتمام والابتئاس . ولما حييتهُ نظر اليَّ وقال قبل ان احدثك اريد ان تقسم لي بشرفك قسم جنديٍّ وشريفٍ ان لا تدع احداً يعلم ما سأقولهُ لك او ما سيجري بيننا . ولما اقسمت لهُ قال لا يخفى عليك ان نجم سعد الامبراطور قد أفل ولم يبقَ اقل امل في اعادتهِ الى الاشراق وقد انحاز عنا الجنرال جوردان

في روان والجنرال مرمونت في باريس وانضما الى البوربون ويقال ان تاليرند يذاكر ناي في اقتفاء اثرهما . ومن المؤكد ان المقاومة لا تجدينا نفعاً بل قد تضرُّ بنا ولذلك رأيت الاولى ان نلقي القبض على الامبراطور ونسلمهُ الى البوربون وبذلك تنتهي هذه الحرب المشؤومة التي جرَّت علينا الويل والدمار فهل توافقني على هذا الرأي . فلما سمعت هذه الكلمات خارجة من فم برتيه وهو اعزّ اصدقاء الامبراطور والوحيد الذي نال من نعمهِ ما لم ينل سواهُ كدت افقد رشادي فنظرت اليهِ نظرة الاحتقار والازدراء ولم افه بكلمة حتى اعاد سؤالهُ فقلت انني لا اسمع يا مولاي الا ما اريدهُ وبما انني لم اسمع شيئاً من كلامك الآن فاسمح لي ان اعود من حيث اتيت . فقال مهلاً يا جيرار افلست تعلم ان مجلس الشيوخ قد اعلن عصيانهُ للامبراطور وان الامبراطور اسكندر اصبح من اضدادهِ . فقلت انني لا اهتم يا مولاي بما يفعل مجلس الشيوخ ولا بما يقول الامبراطور اسكندر اكثر مما اهتم ببقية الخمر التي ترسب في كأسي ولا شيء في العالم باسرهِ يهمني سوى المحافظة على شرفي وخدمة اعظم واقدس شخص في العالم وهو سيدي ومولاي الامبراطور نابوليون بونابرت . فهز برتيه كتفيهِ وقال اذاً تؤثر ان نبقى ضد الامة وضد القدر وان نثير الحرب الاهلية التي سوف تدمر فرنسا . وهل جهلت ان اكثر القواد تركونا ولم يبقَ منا بقيةٌ تذكر وانهُ اذا اخلصنا للامة وللبوربون قبل فوات الوقت وسلمنا اليهم الامبراطور تحفظ حياتنا اولاً وننال اعظم الرتب والمقامات العالية . فلم احتمل سماع ذلك ورفعت رأسي فقلت لم اكن اظن انهُ يأتي يومٌ اسمع فيهِ اعظم مارشالية فرنسا يهين نفسهُ ويحط من قدرهِ بمثل هذه الافكار فانت وشأنك يا سيدي الجنرال اما انا فان قُبل الامبراطور او رُفض لا يزال سيفي لاصقاً بقبضة يدي ادافع بهِ عن شخصهِ المقدس وعن شرفي الى آخر نفس من حياتي . اما برتيه فقرع جرساً بالقرب منهُ فدخل الحاجب فقال لهُ خذ الكولونيل جيرار الى الردهة فادخلني الحاجب الى بهوٍ كبير وامرني ان استريح فيهِ قليلاً وكنت اود التخلص من ذلك الكهف الجهنمي غير انهُ لم يمكني مخالفة الاوامر فجلست على احرّ من الجمر . ولم يمضِ

اكثر من ربع ساعة حتى فتح الباب ودخل الحاجب يقود الكولونيل دسبين فرأيتهُ اصفر اللون وقد جحظت عيناهُ ورقص شارباهُ وهو يقول يا لهُ من صلٍّ خائنٍ جاحد الجميل فعلمت انهُ قابل برتيه وسمع منهُ ما سمعتهُ انا . ولما كنا كلانا قد اقسمنا لبرتيه ان لا نفوه بكلمة مما سمعناهُ جعلت احلف واشتم مثلهُ لاعلمهُ اني من رأيهِ وان فكر برتيه ضد معتقدي . وانّا لكذلك واذا بصراخ الاستغاثة قد بلغ آذاننا فاسرعنا الى الباب فاذا الملازم تريمو والقائد برتيه في عراك شديد وقد امسك الملازم بعنق القائد فكاد يخنقهُ . فبذلنا كل الجهد حتى فصلناهُ عنهُ فوقف والزبد في شدقيهِ وهو يقول قد جآء هذا الشيطان ليطغيني . واذ ذاك فُتح الستار الازرق عن الحائط المقابل وظهر نابوليون نفسهُ فاسرعنا لتأدية التحية العسكرية فنظر الينا بتبسم لطيف ولكنهُ مخيف ثم تقدم الى برتيه فوضع يدهُ على كتفهِ وقال بلطفٍ لا ينبغي ايها العزيز ان تطلب المصارعة مع احد . فقال برتيه ولكنهُ كاد يعدمني الحياة يا مولاي . فقال الامبراطور كنت اود ان اسرع لانقاذك لو لم يسبقني هذان الشهمان . ثم نظر الينا وتقدم الى تريمو فامسك اذنهُ وقال انك كنت من رفاقي في الحملة المصرية ونلت الوسام في معركة مارنغو ويسرني ان ارى نار الحدة لا تزال تتأجج في صدرك . اما انت يا كولونيل دسبين فاهنئك لانك اعرت المغري اذناً صمآء وانت يا كولونيل جيرار لا زال سيفك مسلولاً بيني وبين اعدآئي . نعم انني كنت محاطاً ببعض الخوَنة اما الآن فيسرني ان ارى حولي بعض المخلصين

ولا اظنكم قادرين على تصور ما خامرنا ايها الاصدقآء عند ما كلمنا نابوليون بهذا اللطف فكنا نميل كالسكارى ونحن غير مصدقين انهُ يخاطبنا كاصدقآء لا كجنود. ثم انهُ اشار الينا باتباعهِ الى غرفةٍ اخرى قائلاً تعالوا لاوضح لكم المقصود من هذه الرواية التي تمثلت الآن اما انت يا برتيه فارجو ان تبقى في غرفتك لنكون على ثقةٍ من ان لا يفاجئنا احد . فقلت في نفسي ما عسى ان يريد منا الامبراطور في خلوةٍ يحرس بابها احد مارشالية فرنسا ولكننا ما دخلنا حتى وقف نابوليون بيننا وقال اني اخترتكم ايها الاحبآء من بين الجيش بأسرهِ لانكم أشجع واصدق جنودي وقد

كلفت برتيه ان يمتحنكم كما فعل وجلست في نفس الغرفة اسمع من وراء الستار ما يدور بينكم وبينهُ من الحديث • ولا احسبكم تلومونني على ما فعلت بعد ان رأيت الخيانة في نفس اسرتي و بين اقرب الناس اليَّ . اما الآن فاني واثق باخلاصكم ولن أشك فيهِ ابداً . وما سأقولهُ لكم الآن لم أقلهُ لمخلوقٍ قط فلا زوجتي ولا اخي يعلمان غايتي . اننا فقدنا كل شيء ايها الاصدقاء ولم يبقَ أقل أمل في تقويم حالتنا فيجب أن نستعد لذلك . واول ما يجب عملهُ الآن هو حفظ اوراقي ومالي لان أملي في المستقبل اذا وُجد يتوقف على ذلك وهو وحدهُ اساس نهضتنا ثانية اذا ساعدنا التوفيق لانني اعتقد ان البوربون لا يستطيعون ان يجعلوا من موطئ قدمي عرشاً لهم . ولا أدري أين اخفي هذه الاوراق والاموال الآن لانهُ لا بد لهم من تفتيش منزلي و بيوت اصحابي فيجب اذاً ان احفظ هذه الاشياء في موضع لا يبلغون اليهِ لانها أثمن عندي من حياتي ولذلك قد اخترتكم انتم الثلاثة من بين رجال فرنسا لمعاونتي في هذا الامر . اما اوراقي المذكورة فهي صكوك طلاقي لجوزفين وزواجي الشرعي بماري لويز وولادة ولدي ووارثي ملك رومية فاذا فقدت شيئاً منها فقدت حقي من المطالبة بعرش فرنسا . اما الاوراق الباقية فمالية تبلغ اربعين مليوناً من الفرنكات ولا انكر انهُ مبلغ جسيم ولكنهُ لا يهمني اكثر من هذه العصا التي في يدي بالنسبة الى الاوراق الاخرى . وقد اطلعتكم على كل ذلك لتتحققوا اهمية الامر الذي اسلمهُ اليكم فاسمعوا لي بانتباه لاخبركم أين تجدون هذه الاوراق وماذا يجب ان تفعلوا بها . ان الاوراق سُلّمت في هذا الصباح الى صديقتنا الامينة الكنتة والوسكي في باريس وفي الساعة الخامسة ستخرج من فونتنبلو في مركبتها الزرقاء فتصل الى هنا بين الساعة التاسعة والعاشرة والاوراق مخبوءة في عربتها حيث لا يعلم بها احد سواها . وقد بُلّغَت ان ثلاثة فرسان سيلاقونها خارج البلدة فتدفع اليهم الاوراق وهؤلاء الفرسان هم انتم . انك يا جيرار اصغر الثلاثة سنّاً ولكنك اكبرهم رتبةً فخذ هذا الخاتم وأبرزهُ للكنتة وهو العلامة المتفق عليها لتسلم اليكم الاوراق واتركهُ معها بمنزلة وصولٍ منا . ومتى استلمتم الاوراق فسيروا في الغابة

الى طرفها الآخر عند المحل المعروف ببيت الحمام فانكم ترونني هناك في انتظاركم الاّ اذا رأيت في الامر خطراً فاني ارسل بدلاً مني خادمي الخاص مصطفى فمهما يقل لكم فافعلوهُ . ومتى بلغتم بيت الحمام ترون الى يمين المدخل ثلاثة معاول فتحفرون حفرة عمقها ثلاث اقدام عند زاوية الباب الشمالي المتجهة الى فونتنبلو ثم تدفنون فيها هذه الاوراق وتردّون الارض كما كانت و بعد ذلك قابلوني في القصر

وكان الامبراطور يلقي اوامرهُ هـذه بمنتهى الدقة والتفصيل فلما انتهى طلب منا ان نقسم على حفظ السر وابقاء الاوراق في مخبأها ما بقي حيًّا . ولما خرجنا من لدنهُ توجهنا الى منزل الكولونيل دسبين فتناولنا طعام المسآء ونحن نفكر فيما سنقوم بهِ واتفقنا ان نسير من المنزل في جهات مختلفة ونتقابل في نقطة معلومة على الطريق المؤدية الى باريس . فأخذت فرسي ڤيوليت وحسامي وغدارتين وكان الليل نقياً هادئاً والبدر يشرق بنورهِ ثم اجتمعت برفيقيّ فسرنا معاً وكلنا عيون تنظر الى الامام مترقبين وصول مركبة الكنتة . ولم نزل كذلك حتى سمعنا ساعة القصر تقرع العاشرة ولم نرَ احداً فخامرنا شك في نجاح رسالتنا واذا بصوت عجلات المركبة عن بعد ثم صار يقترب ورأينا امامنا مصباحيها ثم جيادها الدهمآء وما صدقنا ان صارت بالقرب منا حتى استوقفناها واقتربنا من النافذة فرفعت يدي الى رأسي محيياً الكنتة وقلت لها اننا يا سيدتي الفرسان الثلاثة الذين اوفدهم جلالة الامبراطور لمقابلتكِ . فنظرت اليّ بازدرآء وقالت وانا اعلم يا هذا انكم ثلاثة فرسان خائنين . ولوضربتني بيدها اللطيفة على وجهي لما اوجبت تعجبي اكثر مما استغربت كلامها فقلت عفواً يا مولاتي فهذا الكولونيل دسبين وهذا الملازم تريمو وانا الكولونيل جيرار الذي ولا شك تعرفينهُ بالسماع . فقالت يا لكم من لصوص خوَنة ومن اعلمكم ان معي اوراقاً ام رأيتم انني امرأة ووحيدة فأردتم ان تسخروا بي . فقلت لا اعلم ماذا اصابكِ يا مولاتي حتى تسمعينا هذا الكلام واكرر لكِ ما قلتهُ ان الامبراطور عهد الينا في استقبالكِ لامر تعلمينهُ وقد اعطانا هذا الخاتم وهو العلامة المتفق عليها . فاخذت الخاتم من يدي وتأملتهُ على نور المصباح ثم قالت نعم انهُ خاتمهُ بعينهِ فآه يا الهي

ماذا فعلت . ورأيت على وجهها علامة الارتباك فقلت عجلي يا سيدتي وسلمي الينا الاوراق. قالت ولكنني سلمتها من نصف ساعة الى ثلاثة فرسان استقبلوني واخبروني انهم مرسلون لهذه الغاية . فلمع شرار الغيظ في عينيَّ وقلت لها من هم هؤلاء الثلاثة . قالت لا اعرفهم فقد استوقفوا مركبتي وللحال سلمت اليهم الاوراق لعلمي انهم مرسلون من قبل نابوليون . وفي اقل من لحظة قررت ما يجب ان افعلهُ فنظرت الى رفيقيَّ وقلت ابقيا هنا مع الكنتة وانتظراني فسأعود سريعاً ثم وخزت فيوليت فانطلقت تعدو بي كالسهم الى فونتبلو ووثبت عن ظهرها امام القصر ولم أقف الا في غرفة الامبراطور وكان مع مكدونلد يتحادثان وامامهما خريطة . فنظر اليَّ الامبراطور وقد غاظهُ دخولي الفجآئي ولما تبينني امر المارشال ان يتنحى قليلاً ثم نظر اليَّ وقال ما وراءك . فقصصت عليهِ ما جرى ولم اتم كلامي حتى صاح بي يجب عليك يا عزيزي جيرار ان تسترجع لي هذه الاوراق كيفما كانت الحال فلا تضع ولا دقيقة . قلت ولكن هل تعرف او تظن من يكون هؤلاء الثلاثة . قال لا ولكني اعلم انهم سيأخذون الاوراق الى باريس والغالب انهم سيدفعونها الى ذاك اللئيم تاليراند وانا اؤكد انهم الآن على طريقهم الى باريس وانهُ في امكان احسن فارس في جيوشي ان يدركهم . ولم اسمع تتمة الحديث بل خرجت من لدنهُ كالمجنون وطرت الى حيث تركت رفيقيَّ فعلمت منهما انهُ لم يمر بهم احد فقلت انهم سبقونا الى باريس فهيا لادراكهم . ولم يحتج رفيقاي الى غير نظرة واحدة لمعرفة افكاري فلم يكن الا كوميض البرق حتى اندفعت جيادنا بسرعةٍ لا اظن احداً قبلنا سار بمثلها ولم نكن نرى امامنا مصابيح منزل او شجرة على الطريق حتى تصير وراءنا بمسافةٍ . وبلغنا فندقاً رأيت امام بابهِ فتى في يدهِ وعاء فيهِ ماء فسألتهُ هل رأى ثلاثة فرسان فقال نعم وقد سقيت جيادهم من بضع دقائق . فتركت بقية الكلام في فيهِ وصحت برفيقيَّ فطارا ورآئي ولم يكن الا القليل حتى سمعت دسبين يقول ها هم ونظرت على نور القمر الى آخر الطريق فرأيت ثلاثة اشباح صغيرة كانت تتجسم كلما اقتربنا منها وكان اثنان منهم بلباس الفرسان والثالث في الوسط كانهُ رئيسهما . وبعد قليل

رأيتهُ ادار وجههُ الينا ليتبين المسافة التي بيننا فعرفتهُ وصحت بهِ قف يا كولونيل مونتاوك قف باسم الامبراطور . فلم يكن الجواب الا ان ادار رفيقاهُ وجهيهما الينا واطلقا علينا النار فسمعت دسبين يصرخ صراخاً مخيفاً . اما انا وتريمو فبقينا مسرعين وبعد قليل وقف احدهما فقابلنا واشتبك مع تريمو فلم أُدِر وجهي لارى ما يكون بل رأيت رئيسهم لا يزال مجدًّا في السير فتبعتهُ عالماً انهُ كما ترك رفيقيهِ يجب ان اترك رفيقيّ وان اهمية الرسالة ستكون بينهُ وبيني . وكان يبذل جهدهُ في وخز جوادهِ ولكنني كنت اقترب منهُ بعد كل خطوة ثم سقطت قبعتهُ عن رأسهِ فرأيت رأسهُ الاصلع يلمع تحت نور القمر واذا بهِ قد ادار وجههُ ايضاً وافرغ غدارتيهِ معاً في وجه ڤيوليت . ومع انني تحملت اكثر من مئة جرح من رصاص البنادق والسيوف والحراب فلم اشعر بالم اكثر مما شعرت حينئذٍ عند ما ارتجفت ڤيوليت تحتي وقد اصيبت لانني كنت احبها اكثر من كل شيء في العالم ما خلا والدتي والامبراطور . فتناولت غدارتي واطلقتها عليهِ وظننت اولاً انني لم اصبهُ ولكنني ما عتمت ان رأيت في ظهرهِ بقعةً حمرآء تتسع شيئاً فشيئاً ثم رأيتهُ يترنح على ظهر جوادهِ واخيراً سقط عنهُ فعلقت رجلهُ بالركاب . وسهل عليَّ اذ ذاك ادراكهُ فامسكت بلجام جوادهِ وقلت لهُ هات الاوراق حالاً ولكنني علمت للحال انهُ لا يجيبني لان الموت كان قد اطبق جفنيهِ فان رصاصتي اخترقت قلبهُ . ولم اكن انتظر غير ذلك فاندفعت ابحث في ثوبهِ وقميصهِ وحذآئهِ وسرج جوادهِ ولكنني لم اجد الاوراق فكدت افقد عقلي وانا اعجب من معاندة الاقدار لي . فوقفت حيناً مسنداً يدي على عنق ڤيوليت افكر فيما يجب ان افعلهُ كي لا يقول الامبراطور انني قصرت في واجباتي . ورأيت مونتاوك ميتاً امامي وعلمت ان احد رفيقيهِ لا بد ان يكون قد قتل ولم يبقَ الا الثالث وقد تركتهُ يقاتل تريمو فاذا نجا منهُ لم ينجُ مني فعزمت ان اعود لمقابلتهِ . وكنت في هذه الفترة قد ملأت غدارتي وفحصت ڤيوليت فوجدت ان رصاصةً مرَّت بالقرب من جلدها والاخرى قد جرحت عنقها ولكنها نظرت اليَّ كمن يقول انها كصاحبها لا تبالي بهذه الطفائف . وفي تلك

الدقيقة استلفت نظري شيءٌ يلمع في الحقل بجانب الطريق فعرفت انهُ السلسلة النحاسية التي على قبعة مونتلوك وتذكرت انها سقطت عن رأسهِ . ثم خطر لي انهُ كيف يمكن ان تسقط عن رأسهِ وتقع على مسافة خمس عشرة خطوة عن الطريق فلا شك انهُ هو الذي رمى بها وحينئذٍ فلا بد في الامر من سرّ. واذ ذاك وثبت وثبةً واحدة بلغت بها القبعة فاخذتها واذا في وسطها رزمة اوراق مربوطة بخيط قرمزي فجعلت ارقص فرحاً وفي يدي الواحدة قبعة مونتلوك وفي الاخرى الاوراق وقلت ان الامبراطور لم يرتكب غلطاً في تفويض امرهِ وتسليم سرّهِ اليَّ . وكان لثوبي جيب داخلي فوضعت الاوراق فيهِ وامتطيت صهوة فيوليت وعدت لارى ما حلَّ برفيقي تريمو فلاح لي فارس يقترب عن بعد من جهة الحقول ثم سمعت وقع حوافر تقترب مني واذا الامبراطور نفسهُ على جوادهِ الابيض ملتفًّا بردآئهِ الطويل وعلى رأسهِ قبعتهُ المثلثة . ولما قاربني قال اين الاوراق فدنوت منهُ ودفعتها اليهِ بدون كلمة . فاخذها وفتحها ثم نظر اليها بسرعة ومد ذراعهُ فضمني اليهِ وقبلني قائلاً لله درّك يا جيرار فانت بالحقيقة اعجوبة ولكن قل لي اين تركت السارق . قلت انهُ مات يا مولاي . قال وهل قتلتهُ . قلت انهُ جرح فرسي وما كنت لادركهُ لو لم اطلق عليهِ رصاصتي . قال وهل عرفتهُ قلت هو الكولونيل دي مونتلوك . قال هو الواسطة اما الاصل فلم ناقِ عليهِ القبض بعدُ فآه يا تاليراند آه يا تاليراند اني عرفتك منذ خمس سنوات وتركتك حيًّا ولكن لكلٍّ يومهُ وكما اتذكر اصدقآئي فاني سأذكر اعدآئي ايضاً

فقلت للامبراطور يا مولاي اذا كان امر الاوراق بلغ هؤلآء الخوَنة فارجو ان تتيقن انهُ لم يكن مني ولا من رفيقيَّ . فتبسم وقال انا اعلم ذلك يا جيرار فان الفتنة تتأجج في نفس باريس . قلت وكيف عرفوا بها . فنظر اليَّ كعادتهِ اذا شآء ان لا يطيل الحديث وقال اراك انتفعت من هذه الخدمة لتتخذني راوياً لك . فصمتُّ لعلمي بطباعهِ وسار وسرت ورآءهُ صامتاً . ثم قال اني لم استطع ان انام هذه الليلة قبل ان اعرف ماذا فعلتم وهآءنذا قد استرجعت الاوراق ولكن

بثمن ٍ باهظ جدًّا لانهُ لم يبقَ لي عددٌ من اصدقآئي المخلصين يسهل معهُ فقد اثنين منهم في ليلة واحدة فان الكولونيل دسبين قد قتل وتريمو اصابهُ سيف ذاك الغادر فقتل ايضاً ولو سبقت خمس دقائق فقط كنت انقذتهُ ولم يبقَ سواك ياجيرار وانت الوحيد الذي يعرف مخبأ هذه الاوراق. وشعرت من كلام الامبراطور برنة حزن خارجة من صدرهِ . ومررنا بقريةٍ صغيرة فايقظنا فلاحاً فيها وامرناهُ ان ينقل جثث القتلى ثم تابعنا المسير ولم يتكلم الامبراطور شيئاً حتى دخلنا الغابة فنظر اليَّ وقال قد قلت لك انهُ لم يعلم احد سواك بهذه الاوراق واين مخبأها فان مماوكي مصطفى قد اخذ المعاول الى بيت الحمام ولكنهُ لا يعرف لماذا ولم يطلع على سر الاوراق الا ثلاثة وهم امرأة ورجلان اما المرأة فاني اثق بامانتها الى الموت واما الرجلان فلا ادري من كان الخائن منهما ولكنني سأعرف ذلك بعد حين . ثم جعل يكلمني باخآء ويثني عليَّ ويخبرني عن ماضيهِ وعن آمالهِ المستقبلة وعن امانة مكدونلد وخيانة مرمونت وعن ملك رومية الصغير واخيراً عن حميهِ امبراطور النمسا الذي يؤمل انهُ يقف بين اعدآئهِ وبينهُ. وكنت اسمع بمزيد الاحترام واذرف الدموع من شدة فرحي ومن محبتي لهُ . ثم بلغنا بيت الحمام فوجدنا المعاول حيث قال فاخذ كلٌّ منا معولاً وقال عجل يا جيرار لانهُ سيبزغ الفجر قبل ان نعود الى القصر. ولما اكملنا الحفرة وضعت الاوراق في بيت غدارتي الجلدي لامنع وصول الفساد اليها ثم طمرناها وازلنا كل ما يدلّ على ذلك ولا اظن ان الامبراطور عمل بيديهِ منذ كان ورآء مدفعهِ في صغرهِ كما عمل تلك الليلة . ولما انتهينا لاح لنا الفجر فنهض الامبراطور وساعدتهُ ليركب جوادهُ فقال لي قد تركنا هذه الاوراق هنا يا جيرار واؤمل منك ان تدفن كل ذكرى تتعلق بها واصرف من مخيلتك كل ما مر في هذه الليلة ولا تتذكر شيئاً منهُ الى ان يوافيك مني امر آخر بعكس هذا ممضًى بختمي وبيدي فعدني انك من هذه الدقيقة تنسى كل شيء . قلت اني اعدك يا مولاي وكفى . ثم سرنا معاً الى اول البلدة فاشار اليَّ ان نفترق ولما رفعت يدي للسلام قال يصعب ان نتذكر المحل بالضبط ان لم نبقِ في فكرنا ان الزاوية

الشمالية الشرقية هي المحل الذي دفناها فيهِ . فقلت دفنا اي شيء يا مولاي . قال الاوراق . قلت اي اوراق يا مولاي. فقال متضجراً الاوراق التي استرجعناها الليلة . قلت لا ادري ماذا تقول جلالتك ولا اعلم اي شيء تعني . فظهرت على وجههِ علامات الغيظ الشديد ولكنهُ عاد للحال فقهقه ضاحكاً وقال حسنٌ يا جيرار فقد فقد غلبتني هذه المرة وقد نسيت انني اوصيتك ان تنسى امرها منذ الساعة ولا اقول لك الآن الا انك اول سياسي كما كنت اول فارس في جيشي واول شجاع في فرنسا

هذا ايها الاصدقاء تاريخ صداقتي مع نابوليون . ولما رجع من جزيرة ألبا لم يشأ ان يبحث عن الاوراق حتى يستوثق من مركزهِ ولذلك بقيت في مدفنها الى ما بعد ذهابهِ الى جزيرة القديسة هيلانة وفي ذاك الوقت اراد ان يوصلها الى ايدي حزبهِ ولهذا السبب اراد ان يكتب اليَّ كما اسلفت وقد علمت انهُ كتب اليَّ ثلاث مرات فحال حراسهُ دون وصول الرسائل اليَّ . وقد اراد ايضاً ان يقوم بنفقة نفسهِ وعيالهِ وكان يسهل عليهِ ذلك من المبلغ الجسيم المحفوظ في تلك الحفرة ولكن لم يستطع ان يبلّغني امرهُ . ولما توفاهُ الله سنة ١٨٢١ كانت الاوراق لا تزال في مدفنها الى ان استرجعتها مع الكونت برتران لسبب كنت اود ان اقصهُ عليكم لولا ان وقتهُ لم يحن بعد ولكنكم ستسمعون يوماً بخبر تلك الاوراق وتعلمون كيف كان ذلك الرجل العظيم قادراً بعد وفاتهِ ايضاً ان يهز اوربا باسرها . ومتى اتى ذلك اليوم تتذكرون اتيان جيرار وتخبرون بنيكم انكم سمعتم هذا التاريخ من فيهِ . اما الآن فقد جاء الربيع ولا شك انكم تفضلون الخروج الى نور الشمس والتمتع برائحة الازهار على البقاء ضمن جدران هذه الحانة وسماع حديث عسكري قديم مثلي . ولكنكم تفعلون حسناً اذا ذخرتم ما قصصتهُ عليكم لانهُ سيأتي الربيع تلوَ الربيع وتبدو الازهار في مواعيدها وتغرد الطيور في اوكارها ولكن ستأتي ازمنة طويلة قبل ان ترى فرنسا مولى مثل ذاك المولى الذي كان يفتخر اعظم عظيم بأن يعد من جملة خدمهِ

اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

واذا تفقّدت الفاظ اللغة وجدت جانباً كبيراً منها اصلهُ ما ذُكِر وان لم يمكن ردّ كل لفظٍ الى قائلهِ الاول لان ذلك مما حال بيننا وبينهُ كرور الايام. يدلك على ذلك كثرة الصيغ من المادّة الواحدة لمعنًى واحد مما لا تدعو اليهِ حاجة الاستعمال ولا يستفاد منهُ اتّساعٌ في التعبير عن المعاني بل ربما أدّى الى صعوبة مأخذ اللغة لما ينشأ عنهُ من اضطراب اقيستها بسبب اختلاط المقيس بالشاذّ على ما مرّت بك مُثُلهُ. وحسبك أن للعبد عشرة جموع هي أَعبُد وعَبِيد وعِباد وعُبُد بضمتين وعُبْدان بالضم والكسر وعِبِدّان بكسرتين وتشديد الدال وعِبِدَّى وعِبِدّاء كذلك بالقصر والمدّ ومَعبَدة ومعبوداء . واكثر هذه الجموع لا يقاس عليهِ ومنها ما لا تجد لهُ نظيراً في غير هذا الحرف ولذلك جعلوا ما شذّ منها اسماء للجمع لا جموعاً

ومهما يكن من ذلك كلهِ فان هذه الالفاظ وامثالها قد مضت على وجهها وأقرّها استعمال العرب لها فلم يبقَ الا ان نستعملها كما سُمِعت عنهم لكن لا بدّ لنا عند استعمال اللفظة من التثبُّت فيها فان صحّ انها مما استعملوهُ في كلامهم استعملناها بغير نكير ولا بحث والا رجعنا بها الى القياس فان وافقتهُ فذاك والا نبذناها الى ان يتبين ثبتها من السماع

ومعلومٌ أن اللغة بعد ظهور الاسلام واختلاط العرب بالعجم لم تلبث

الاّ زمناً قصيراً حتى سرى اليها الفساد كما يدلّك على ذلك ما ذكروهُ من سبب وضع علم النحو على يد ابي الاسود الدُؤَلي وقد كان ابو الاسود من اهل الصدر الاول للاسلام ولعلّ وضعهُ للنحو كان سنة ثمانٍ وثلاثين او سنة تسع وثلاثين للهجرة وهي السنة التي قدم فيها زيادٌ البصرة فقد جاء في احدى الروايتين ان ابا الاسود جاء زياداً بالبصرة فقال لهُ اصلح الله الامير اني ارى العرب قد خالطت هذه الاعاجم وتغيرت السنتهم افتأذن لي ان اضع لهم علماً يقيمون بهِ كلامهم . قال لا . ثم جاء زياداً رجلٌ فقال مات ابانا وخلّف بنون . فقال زياد مات ابانا وخلّف بنون . . ردّوا اليّ ابا الأسود فرُدّ اليهِ فقال ضَعْ للناس ما نهيتك عنهُ فوضع لهم النحو . اه . ولا شك ان هذا لم يكن اول خطإٍ جرى على السنتهم بل أَحرِ باللغة اذا كانت قد بلغت الى هذا الحدّ من الفساد حتى تنكّرت صُوَر الاعراب فيها ولم يعد يميّز بين المرفوع والمنصوب ان يكون قد تطرّق الفساد قبل ذلك الى معاني ابنيتها واحكام صوغها واشتقاقها مما هو اخفى سرّاً من الاعراب ولا يطّرد اطّراد الاحكام النحوية . ولا بد مع ذلك ان يكون قد عرض على اوضاعها كثيرٌ من التحريف والتبديل واحالة بعض الالفاظ عن معانيها على ما يقرب مما نراهُ لعهدنا الحالي وان تفاوت الامر في القلة والكثرة لان المرجع في كلا الحالين الى زوال ملكة اللغة من الالسنة وفقد القانون الذي تجري عليهِ ولذلك منع علماء اللغة والنحو الاحتجاج بكلام المولّدين مهما كانت منزلتهم من الفصاحة لانهم مظنّة للخطاء واللحن باستدراج العامة لانهم نشأوا بينها وتناولوا كلامها قبل الفصيح

قال الشيخ عبد القادر البغدادي في كتابهِ خزانة الادب على شواهد شرح الكافية قال الاندلسيّ في شرح بديعية رفيقهِ ابن جابر علوم الادب ستة وهي الصرف والنحو واللغة والمعاني والبيان والبديع . والثلاثة الاول لا يُستشهَد عليها الا بكلام العرب دون الثلاثة الاخيرة فانهُ يُستشهَد فيها بكلام غيرهم من المولدين لانها راجعة الى المعاني ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم ولذلك قُبِل من اهل هذا الفنّ الاستشهاد بكلام البحتري وابي تمّام وابي الطيّب وهلمَّ جرًّا . قال واقول الكلام الذي يُستشهَد بهِ نوعان شعرٌ وغيرهُ فقائل الاول قد قسمهُ العلمآء على طبقاتٍ اربع الطبقة الاولى الشعرآء الجاهليون وهم قبل الاسلام كامرئ القيس والاعشى والثانيــة المخضرَمون وهم الذين ادركوا الجاهلية والاسلام كلبيد وحسّان والثالثة المتقدمون ويقال لهم الاسلاميون وهم الذين كانوا في صدر الاسلام كجرير والفرزدق والرابعة المولَّدون ويقال لهم المحدَثون وهم مَن بعدهم الى زماننا كبَشّار بن بُرْد وأبي نُوَاس . فالطبقتان الأُولَيان يُستشهَد بشعرهما اجماعاً واما الثالثة فالصحيح صحـة الاستشهاد (لعل الصواب عدم صحة الاستشهاد) بكلامها وقد كان ابو عمرو بن العلآء وعبد الله بن ابي اسحق والحسن البصريّ وعبد الله بن شُبرُمة يلحّنون الفرزدق والكُمَيت وذا الرُمّة واضرابهم وكانوا يعدّونهم من المولَّدين لانهم كانوا في عصرهم . واما الرابعة فالصحيح انهُ لا يُحتجّ بكلامها مطلقاً وقيل يُحتجّ بكلام من يوثق بهِ منهم واختارهُ الزمخشري وتبعهُ الشارح المحقق (اي الرضي) فانهُ استشهد بشعر ابي تمّام في عدة مواضع من هذا الشرح واستشهد الزمخشري

ايضاً في تفسير اوائل البقرة من الكشاف ببيت من شعره وقال وهو وان كان مُحدَثاً لا يُستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقولهُ بمنزلة ما يرويهِ . واما قائل الثاني (اي غير الشعر) فهو إمّا ربّنا تبارك وتعالى فكلامهُ عزّ اسمهُ افصح كلامٍ وابلغهُ . . وإمّا احد الطبقات الثلاث الاولى من طبقات الشعراء التي قدّمناها . وأمّا الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليهِ وسلم فقد جوّزهُ ابن مالك ومنعهُ ابن الضائع وابو حيّان وسندهما امران احدهما ان الاحاديث لم تُنقَل كما سُمِعَت من النبيّ صلى الله عليهِ وسلم وانما رُوِيت بالمعنى وثانيهما أن ائمة النحو المتقدمين من المصريّين لم يحتجّوا بشيءٍ منهُ . وردّ الاول على تقدير تسليمهِ بان النقل بالمعنى انما كان في الصدر الاول قبل تدوينهِ في الكتب وقبل فساد اللغة وغايتهُ تبديل لفظٍ بلفظٍ يصحّ الاحتجاج بهِ . . وردّ الثاني بانهُ لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال بهِ والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحويّ في ضبط الفاظهِ ويلحق بهِ ما رُوِي عن الصحابة واهل البيت . وقال السيوطي في الاقتراح واما كلامهُ صلى الله عليهِ وسلم فيُستدَلّ منهُ بما ثبت انهُ قالهُ على اللفظ المرويّ وذلك نادرٌ جدًّا انما يوجد في الاحاديث القصار على قلّةٍ ايضاً فان غالب الاحاديث مرويٌّ بالمعنى وقد تداولتها الاعاجم والمولَّدون قبل تدوينها فرووها بما ادّت اليهِ عبارتهم فزادوا ونقصوا وقدّموا وأخّروا وابدلوا الفاظاً بالفاظ ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مرويًّا على اوجهٍ شتى بعباراتٍ مختلفة . . وقال ابو حيّان في شرح التسهيل قد اكثر المصنف من الاستدلال بما وقع في

الاحاديث على اثبات القواعد الكلية في لسان العرب وما رأيت احداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة.. وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الاذكيآء فقال انما ذكر العلمآء ذلك لعدم وثوقهم ان ذلك لفظ الرسول صلى الله عليهِ وسلم.. وانما كان كذلك لامرين احدهما ان الرواة جوّزوا النقل بالمعنى .. وقد قال سُفيان الثوري ان قلت لكم اني احدثكم كما سمعت فلا تصدّقوني انما هو المعنى. والامر الثاني انهُ وقع اللحن كثيراً فيما رُوي من الحديث لان كثيراً من الرواة كانوا غير عربٍ بالطبع ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون ودخل في كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب . انتهى باختصار

قلنا ويلحق بذلك ما رُوي من خُطَب الامام عليّ التي جمعها السيد الرضي في كتاب نهج البلاغة وهذه ايضاً لم يثبت انها لفظ الامام فقد جآء في خطبة جامع الكتاب ما نصّهُ « وربما جآء في أثنآء هذا الاختيار اللفظ المردَّد والمعنى المكرَّر والعذر في ذلك أن روايات كلامهِ تختلف اختلافاً شديداً فربما اتفق الكلام المختار في روايةٍ فنُقِل على وجههِ ثم وُجِد بعد ذلك في روايةٍ اخرى موضوعاً غير وضعهِ الاول اما بزيادةٍ مختارة او بلفظٍ احسن عبارةً فتقتضي الحال ان يُعاد استظهاراً للاختيار وغيرةً على عقائل الكلام » . انتهى بحرفهِ . بل جآء في ترجمة ابن خلكان للشريف المرتضى اخي الشريف الرضي ما نصّهُ «وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الامام عليّ بن ابي طالب

رضي الله عنهُ هل هو جمعهُ ام جمع اخيهِ الرضي وقد قيل انهُ ليس من كلام عليّ وانما الذي جمعهُ ونسبهُ اليهِ هو الذي وضعهُ والله اعلم

(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تتمة)

— ١٥ —

ليت شعري ماذا يريد الانسان من دنياهُ رجلاً كان ام امرأةً أليس الراحة والهناء يجنيهما من رياض الدعة والسلام بيد المجد والغنى . وهل يمكن تحصيل هذه المعدودات ما دام الجنسان يتسابقان ولا يترافقان ويختلفان ولا يأتلفان بل يتحاسدان ولا يترافدان . كلاّ ثم كلاّ

لذلك قلنا ولا نزال نقول ان الرجل عليهِ ان يكون رجلاً لا يتأنث والمرأة عليها ان تدوم انثى لا تتذكر تاركين بين نوعية الجنسين حدًّا فاصلاً لا يحاول احدهما ان يتعدَّاهُ . وليقف كلٌّ منهما في موقفهِ الذي اوجدتهُ فيهِ الطبيعة لا يتجاوزهُ ناظراً كلٌّ منهما الى الآخر نظر المتمم لهُ المكمل نقصهُ عالماً ان الانسان الكامل هو رجلٌ وامرأةٌ لا احدهما دون الآخر اذ كلٌّ منهما ناقصٌ بذاتهِ يقصر عن ان يؤلف انساناً مستقلاً . وعليهِ فكل ما هو للنساء هو للرجال وكل ما هو للرجال هو للنساء فعلامَ تحاول المرأة ان تجهد نفسها لتسلب شيئاً من وظائف الرجل وعلامَ يدأب الرجل ليختلس بعضاً من حقوق المرأة . لعمر الله ان نوع الانسان ما زال

في هذا العصر عصر المدنية والنور عصر البخار والبرق عصر السديم والكهربآء عصر البالون والاوتوموبيل يسعى الى حتفهِ بظلفهِ ولا يدري ويدنو الى وبالهِ بفعالهِ ولا يبالي

فلا يطمعنَّ البشر بان تصفو مواردهم وتحلو معايشهم وتصحّ الفتهم وتعذب عشرتهم وتتجاذب للخير قلوبهم وينعم بحقّ بالهم وتستتبَّ على ثقةٍ احوالهم بحيث يضارعون الملائكة نعيماً وهنآءً ويسمون الكواكب مجداً وازدهاءً ويماثلون الأزاهر رونقاً وبهآءً ما لم يطَّرح كلُّ فردٍ من افراد الجنسين حبَّ الأثرة والتطاول الى نيل ما ليس لهُ ولا يجدر بهِ ولم يُخلَق لاجلهِ عالماً علم اليقين ان ما للكلّ للفرد وما للفرد للكلّ . فايلبث الرجل مُصاولاً ومجاولاً وهو حليف جهدٍ وعمل نِضو حروب واسفار قلبهُ قلب ملك وجسمهُ جسم جبار يعيش في منزلهِ مثالاً للإخلاص والحنوّ ورقة الشعور ليلج فردوس الحبّ من ارحب ابوابهِ ويعيش بين الناس بالاستقامة والجد والثبات والعدل ليحرز المجد والغنى ويظللهُ بنآء الفخر بأرفع قبابهِ . ولتقف النسآء آلهةً تجلى في آفاق المهابة والبهآء محفوفةً بملائك الصيانة والحيآء يتدفق من افئدتها النيرة الطاهرة شعاع الحبّ الشفاف الذي هو قوام الحياة وسرُّ النعيم متربعةً على عروش الجلال والظرف المتمَّنة بدعائم الرقة والعطف لا سلاح لها الا ما كان مصوغاً من مغناطيس سحرها الحلال ولا جُنّة لها الا ما تسبكهُ من معدن الحكمة والكمال تصقل مرآة ادراكها الشفافة بجلاءِ التعاليم المروّضة للاخلاق المنوّرة للبصائر مزحزحةً عنها اغشية الخرافات والاوهام التي من شأنها ان تقيد الوجدان وتأسر الارادة

وتُظلم النفس وتميت من اعماق القلب جراثيم معرفة حقائق الاشياء واسرار الوجود وكنه الحياة وتنشئ في سرائرها الميل الى السفاسف والتهافت على المماحكات والاشتغال باعراض الامور دون جواهرها واعتياد اثارة الفتن وزرع الفساد في حقول الالفة القومية والاخذ والرد فيما لا طائل تحتهُ ولا منفعة منهُ سوى ضياع العمر في القال والقيل ومزاولة الترَّهات والاباطيل شأن الكثيرات من الشرقيات اللواتي يعشنَ لا يدرينَ للحياة معنى ولا يذقنَ للهناء طعماً بل يكنَّ نيراً على عاتق الوجود وبلاءً على نوع الانسان متحوّلات عن صفات الملك الكريم الى حالة الشيطان الرجيم

هنالك الشقاء الاعظم والبلاء الادهم والعذاب الذي ينادي مُعانيهِ «ألا موتٌ يباعُ فاشتريهِ» ولاجل الوصول الى تلك الحال السعيدة التي وصفناها في هذا الفصل وبها يتصافح الجنسان مصافحة الاخلاص الدائم ليعيشا في ظلال النعيم والسلام ينبغي ترقية التهذيب البشري الى حدٍّ تصبح الاخلاق عندهُ كالفضة الممحَّصة بالنار او الخمر المصفّاة في الراووق لا زغل فيها ولا دخل

عند ذلك اذا سئلت الفتاة عن شواغل قلبها واسرار ضميرها ومدار عواطفها تبديها معتزّةً لا تخشى عذلاً ولا تأنيباً . واذا ذُكر الفتى من ملكت قيادهُ ورانت على فؤادهِ سماها مفتخراً لا يوجس بسببها عاراً ولا تزييفاً . واذا عرف الناس ما عند متحابّين زادا في قلوبهم حظوةً واحتراماً فلا يقابلون علائق القلوب بالتسوئة والازدراء ولا يوسعون اصحابها

بفضولهم عذلاً وملاماً

عندها يعلم الخلق كافةً ان العواطف الحيّة الثابتة المؤسسة على المحاسن المعنوية هي مظهر السعادة ونور الحياة ومصدر الأخلاق الراضية والشمائل السامية والمزايا الممدوحة التي عليها مدار التفاضل بين افراد نوع الانسان . وانها هي التي تسود على شيطان المكر والخداع والبغض والمؤالسة والريآء فتسحق هامتهُ سحقاً وتستأصل شأفتهُ من هذه الارض بعد ان استبدّ فيها واستولى عليها ألوفاً من السنين فتصبح جنّةً تجري فيها انهار السعادة صافية الينابيع . وهذا سهل الادراك قريب المنال متى اقترنت الارادة الثابتة بالعزم الصادق

ان الانسان طبع ميالاً الى معرفة ما يجهلهُ وفي الكون جملة نواميس عامة منها تنازع البقاء ودوام الارتقاء فما دامت هذه النواميس ضابطة الكون وذلك الميل غريزيّاً في الانسان لا يرتاب عاقلٌ ان الأُسرة البشرية ستبلغ يوماً ما باخلاقها واحوالها ومعايشها الى هذا الدور السعيد ولو بعد امدٍ بعيد . انتهى

سليم عنحوري

بماذا تعتزّ الشعوب

حديثٌ جرى لي مع احد الخلان الالباء أقتضب منهُ ما يأتي تفكهةً لقرّاء الضياء ولعلهُ لا يخلو من تبصرةٍ لمن القى السمع وهو شهيد

زعم الصديق ان المال سلطان كثير الاعوان فالشجاعة من جنودهِ والفصاحة من عبيدهِ والصدق من خواصّهِ وعزة النفس من اعوانهِ وكل

ما يبعث على النخوة والمروءة من علاماتهِ وبالجملة فهو يزعم ان المال عنوان الصفات الكريمة وانها كلها قد اناخت ببابهِ لم ترَ عنهُ متحوَّلاً . وعلى هذا الزعم يرى ان اهل البلاد الغنية مالكون عنان المكرمات والمزايا الشريفة وبعكسهم اهل البلاد الفقيرة جبناء اذلاّء كذابون محتالون قد استعبدهم الغنيُّ فاضاع شرف نفوسهم وملك زمام امورهم واشترى ذمتهم بالرخيص وباع اعراضهم بيع الخسيس فجعلهم يكذبون لكسب رضاهُ ويرتكبون المحارم طمعاً في التقرب منهُ

وانت اذا تدبرت هذا الزعم واستقريت احوال الامم في الشرق والغرب تبيّن لك انهُ غير صحيح في الجملة وعلمت انهُ خُدعة من خُدَع الدينار ذي الوجهين بما لهُ من السطوة على العقول وان ما زعموهُ من سلطان المال وان صدق في كثيرٍ من الاحوال فلا يصح ان يتخذ قاعدةً عامةً للغنى وشرعاً مقرراً يُحكم بموجبهِ على اخلاق الاغنياء بالسوآء . ألا ترى ان الشجاعة قلما ترافق الغنى والفصاحة توشك ان تكون من الصفات التي لا تألف اهل الثروة وكم من غنيٍّ كذوب يكاد لذكر النخوة والمروءة يذوب . وهل افقر ممن اتخذ السماء خيمةً وبسيط الارض فراشاً وكان فرسهُ كلَّ غناهُ ورمحهُ اثمن مقتناهُ والقميص جملة لباسهِ . اما هو البدويّ الذي يقول النار ولا العار والمنيّة ولا الدنيّة والحرّة تجوع ولا تأكل بثدييها أوَليس هو القائل

إن تسألوا الحقَّ نعطِ الحقَّ سائلَهُ ... والدرع مُحقَبَةٌ والسيف مقروبُ
وان ابيتم فانّا معشرٌ أُنُفٌ ... لا نطعَمُ الخسفَ ان السمّ مشروبُ

والقائل

فلا تقبلَنْ ضيماً مخافة ميتةٍ　　ومُوتَنْ بها حرًّا وجلدك املسُ
وما الناس الا ما رأوا وتحدّثوا　　وما العجز الاان يضاموافيجلسوا

والقائل

نعرّض للسيوف اذا التقينا　　نفوساً لا تعرّضُ للسبابِ

الى اقوالٍ تضيق عنها ضخام الاسفار وكلها تنطق بافصح لسان عن أَنَفة فقرآء العرب وإِباَئهم الضيم وشجاعتهم وكرم اخلاقهم · واذا استطلعت تأريخ فقرآء الفرنجة لعهد بداوتهم علمت انهم كانوا كالعرب في الأَنَفة وعزّة النفس والشجاعة واذا استقريت شأنهم لعهدنا هذا وجدتهم على ما كان عليهِ آباؤهم من النخوة والمروءَة وإِباء الذل وفقرآؤهم واغنياؤهم في هذه الصفات شَرَع ولا مجد عندهم فوق مجد العلم . فلو قلت لأحد فلاحيهم ان رئيس الجمهورية مارٌّ من هنا فقف هنيهةً لنراهُ لاجابك فوراً وماذا يهمنّا منهُ ولو قلت لأفقر صانع عندهم انظر الى يمينك ترَ المستر مُرغان اعظم غنيّ في الارض لما التفت اليهِ . ولكن لو قلت لاحدهم هذا المستر أَديسُن المخترع المشهور او مركوني او الكاتب أَدمُون رُستان او الشاعر سُولّي پرُودُوم لنهض على قدميهِ ووقف ينظر اليهِ باحترام واعجاب بل قد لا يتمالك عن رفع قبعتهِ لتحيتهِ بل قد يصيح بعضهم عاش مركُوني او عاش رُستان على عادتهم ترحيباً بهِ وتعظيماً لقدرهِ . حكى لي بعضهم قال كنت يوماً في مجلس احد كبار الاميركان واعاظم اغنيآئهم المستر مكملين وكان في العام الماضي نازلاً في فندق شپرد في مصر فدخل عليهِ وكيل حكومة

اميريكا في هذا القطر فسلم وقعد ثم دخل عليهِ احد اشراف اغنياء البلجيك ففعل مثل الاول ثم دخل احد كبار الموظفين من رجال الحكومة المصرية للسلام عليهِ من قِبَل الحضرة الخديوية فكان حظهُ حظ الاولين ومكملين قاعدٌ لم يتحرك لاحد . وبعد هنيهةٍ دخل علينا رجل ليس عليهِ شيءٌ من سمات الثروة واهل التنعم فما كاد يقع نظر السيد مكملين عليهِ حتى نهض وانتفض «كما انتفض العصفور بللهُ القطر» واسرع اليهِ فصافحهُ باشًّا واخذهُ من يدهِ فاجلسهُ بجانبهِ يؤانسهُ ويتلطف بهِ كأن لا سواهُ في المجلس. فاخذني العجب مما رأيت وسألت سيدة شريفة كانت بالقرب مني مَن هذا القادم الكريم فقالت هو احد علماء اميريكا . فتحقق لديّ ان القوم لم يبلغوا هذا المقام الرفيع بين امم الارض الاّ لتقديرهم قدر العلم ورجالهِ ومعرفتهم انهُ مفتاح الصنائع والاختراعات وان هذا هو المغناطيس الحقيقي لجذب مال الارض والتنعم بهِ من جميع الوجوه المرضية

وانت اذا انعمت النظر في اخلاق الامم الشرقية لهذا العهد وجدت الجبن والذل متمكنين في الاغنياء والفقراء بالسواء وشذّت عن ذلك الامة التركية وعرب البادية والامة اليابانية وذلك لا لثروتها فانت تعلم ان عرب البادية افقر الناس واليابان اقل الامم ثروةً بل لان عزة الملك وحب الوطن يولّدان الشجاعة والأَنَفة في نفس الانسان وبعكس ذلك الظلم والاستبداد يميتهما بل يميت كل صفةٍ كريمة . وانظر الى حال الامة الصينية وما هي عليهِ من الشقاء والذل حتى ان جيوشهم الجرّارة التي اذا عُدّت جيوش الارض حسبوها كجيوش النمل لا تعرف من طرق الحرب

سوى الهرب وهي فوق ذلك بل لعلّ هذا هو السبب الاول لم تزل تتسكّع من الجهل في ظلمات بعضها فوق بعض فلم تغنِ عنها كثرة عددها ولا معادنها ولا ثروة ارضها شيئاً

وهذه الامة اليهودية قد كانت من اعظم الامم بطشاً وحروباً واشهرها شجاعةً وحسبك ان المرأة كانت تخاطر بنفسها لتفتدي وطنها من الاسر او تغالب المتغلبين كما فعلت يهوديت وياعيل وغيرهما ولما ذهب الملك من اليهود واضمحلت قواعدهُ صار بعض رجالهم يبيع وطنهُ واهل مملكتهِ بيع الخسائس كما فعلوا في المغرب لعهد الاندلسيين وفي المشرق لعهد الصليبيين وما ذلك الا لاعتقادهم ان لا وطن لهم ولا ملك بل لِما رسخ في نفوسهم من فقدان عصبية المُلك ولطول استعباد الامم لهم حتى تأصلت الحيلة فيهم دفاعاً عن نفوسهم وحرصاً على الحياة فكانت ثمرتها احتكارهم نصف مال الارض على رأي بعضهم . ومع ذلك فلم تدفع هذه الثروة الطائلة عنهم سهام العائبين لهم بصفات قد يكون كثيرٌ منهم بريئاً منها

ومما تقدم تعلم ان الشجاعة وكثيراً من مكارم الاخلاق لا توجد الا في الامم المالكة الصحيحة الآداب القويمة الاحكام من التي بذل اهلها النفس والنفيس في سبيل الحرية والحصول على العزّة الشمآء كالامة الاميركية والامة اليابانية وحسبك ما كان من هذه الاخيرة في العام الماضي من آيات الشجاعة وما قُرنت بهِ من النصر المتتابع والأنفة من ذلّ الاسر حتى كانوا يفضلون عليهِ الموت انتحارا وحتى محوا بهِ عار ذلٍّ لبسناهُ نحن

الشرقيين احقاباً متوالية فما قعد الفقر باليابان عن ادراك المعالي ولا كان غنى الروس وضخامة ملكهم وكثرة عددهم وكبر جثثهم دافعاً بلآء الاندحار وعار الانكسار الناشئ عن سوء التدبير واذا امعنت في البحث عن السببين وجدتهما نتيجة امرين هما انصباب اليابان على طلب العلم وتقاعد الروس عنهُ

قسطاكي الحمصي

عبادة الشمس

ذكرنا في بعض اجزاء السنة السادسة ان علماء الهيئة من الفرنسيس احتفلوا احتفالاً كبيراً بعيد الشمس احتشدوا لهُ في برج ايفيل الشهير في الحادي والعشرين من شهر يونيو وهو اوان المنقلب الصيفي وقد صار ذلك لهم سُنّةً مطّردة في مثل هذا التاريخ من كل سنة . والظاهر ان الالمان ابوا الا ان يعارضوهم في ذلك الا انهم لم يقفوا عند الحدّ الذي وقف عندهُ الفرنسيس فقد جاء في احدى المجلات العلمية الفرنسوية ان نفراً منهم قد سنّوا عبادةً حقيقية للشمس وضعوا قواعدها سنة ١٩٠٢ وهم جماعةٌ من طائفةٍ المانية في استراليا نازلة في بريطانيا الجديدة من القارّة المذكورة . ورئيس هذه الطائفة رجلٌ منهم يقال لهُ اوغسط انجلهرد وهي تتناول الرجال دون النسآء وعددها بين خمسة عشر وعشرين رجلاً . وقد اختاروا ثلاثةً منهم سمّوهم باخوة الشمس هم الموكلون باقامة الاحتفالات الدينية حين يقيمها رئيسهم المذكور وهو الكاهن الاعظم ولا يحضر هذه الاحتفالات سواهم

ويرى رجال هذه البدعة انهم قد وضعوا للناس ديناً جديداً لا بد ان يكون لهُ في المستقبل شأنٌ عظيم وفي اعتقادهم ان مذهبهم سيعمّ الارض كلها وان او ربا ستلخع الدين المسيحي وتدين بعبادة الشمس . وقد رسخ هذا الاعتقاد في ذهن انجلهَرْد وتلاميذهِ حتى ابتاعوا جزيرةً من جزائر دوك دِيُورك يقال لها كاباكُون ليحتفلوا فيها باسرار دينهم الجديد وتكون مهداً لهُ ينتشر منها الى سائر الارض

ورجال هذه الطائفة لا يلبسون ثوباً وينذرون التقشف في المعيشة ولا يأكلون الا الفواكه وجوز النارجيل ولا يشربون الا لبن النارجيل ويقضون سحابة النهـار تحت اشعّة الشمس المحرقة ويناموں ليلاً تحت السمآء مضطجعين على الرمال على شواطئ الجزيرة . على ان الظاهر ان انتقالهم الى هذا النوع من العيشة قد اثر في ابدانهم فمات اناسٌ منهم في جملتهم انجلهَرْد المذكور رأس هذه الطائفة وكاهنها وكانت وفاتهُ من عهدٍ قريب وبموتهِ تخاذلت عزائم البقية من جماعتـهِ ولعلهم لا يبطئون حتى تنحلّ جامعتهم . فسبحان من جمع القلوب على عبادتهِ وحجب العقول عن معرفة كنههِ لا اله الا هو الواحد الصمَد

البنفسج والسرطان

تناقلت الجرائد العلمية والسياسية هذا الخبر المفاجئ من البلاد الانكليزية فكان بشرى لكل من خالط جوفهُ السرطان بان غلاية ورق البنفسج هي الدوآء الشافي دون مشراط الجراح . وقد رنّ هذا الخبر في

انحآئنا وتحدثت بهِ الالسن واخذ الناس في جمع الورق لكلّ مصاب بهذا الدآء العقام

ولقد اشتهر من امر هذا الاكتشاف ان مصدرهُ سيدة انكليزية ما عرفهُ من قبلها الا الذي اوصاها باستعمالهِ ... على انني بينا كنت اطالع في كتابٍ طبيّ قديم عندي قد خُطّت صفحاتهُ منذ قرون عديدة عثرت فيهِ على ان جالينوس الطبيب اليونانيّ الشهير وغيرهُ من اطبآء العرب قد استعملوا ورق البنفسج ضماداً واستعملوا غلايتهُ شراباً لكافة اورام المعدة المعضلة والاورام السرطانية وامراض الرحم ايضاً وكانوا يخلطونهُ احياناً باعشاب اخر مذكورة في هذا الكتاب ولكن الظاهر انهم كانوا يقتصرون في الغالب على البنفسج لانهم وجدوا انهُ اقرب فعلاً من غيرهِ . وعليهِ فلا يبعد ان يكون هذا العلاج قد اتصل باهل اوربا من العرب في الاندلس ومعرفتهُ قديمة عندهم ولكن اهملهُ اطبآؤهم كما اهملوا غيرهُ من فوائد الطب القديم فلم يسطروهُ في كتبهم وبقي يُتناقل بين عامتهم الى هذا اليوم . على انهُ كيفما كان الحال فلا ينكران في نشر الخبر المذكور خدمةً للانسانية وانما اردت بما ذكرتهُ الايذان بفضل الاقدمين وهو ولا ريب مما يثبت صحة الانتفاع بهذا العلاج والله الشافي　　ناصيف عطية

مطالعات

خليج البلطيك — ما زالت دولة روسيا تهتمّ منذ زمن بانشآء خليج يصل بين شمالي هذه المملكة وجنوبها بحيث تتمكن سفن البحر الاسود

من بلوغ البلطيك بدون ان تدور الدورة العظيمة التي تلزمها من طريق البصفور واذ ذاك يمكنها اخراج سفنها التجارية والحربية جميعاً وهو اهمّ ما ترمي اليهِ هذه الدولة

وقد وضع رسم هذا العمل الكبير مهندس روسي يسمى ڤون روكتشيل وسيكون طول الخليج من احد طرفيهِ الى الآخر نحواً من ٢٣٧٥ كيلومتراً وان كانت المسافة بين الطرفين لا تتعدى ١٣٠٠ كيلومتر وذلك انهُ لا بد من ان يُضطرّ الى العدول عن الخط المستقيم لاستخدام ما هناك من الانهار التي يمكن ركوبها بعد اصلاحٍ قليل . ويقدَّر ان السفن تستطيع ان تمخر في هذا الخليج بقوة ٨ عُقَد فتصل من البحر الاسود الى البلطيك في مدة اسبوع مع ان هذه المسافة لا تُقطَع الآن الا في ستة اسابيع . اما نفقات هذا العمل فستبلغ فيما قدّروا نحو ٩٤٠ مليون فرنك

تراجُع الجليد في الارض – ظهر من مباحث علماء الآثار الجوّية ان الجليد قد تقلص امتدادهُ في الارض عامةً كما ثبت من تفقد حدودهِ في سويسرا وساڤوآ ودُوفيناي وجنوبي نروج وفي القوقاس وأَلَسكا وغرينلند وغيرها وقد تراجع في هذا الموضع الاخير في مدة سنتين ما يقرب من مسافة ٤٠٠ متر. وفي ظن بعضهم اننا قد قربنا من نهاية دور من الادوار الجليدية وحينئذٍ فاما ان يستمرّ تقلصهُ حتى ينحصر جملةً واما ان يبتدئ بدورٍ جديد فيعود الى الامتداد وكلا الامرين لا يمكن تحقيقهُ الآن لانهم لم ينتبهوا لهذه الاقيسة الا منذ عهدٍ قريب

جزيرة جديدة — ظهرت جزيرة جديدة في جنوبي اليابان سميت نوشيما وكان ظهورها ما بين ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٤ و ٢ يناير سنة ١٩٠٥ ومحلها بقرب جزيرتي إيڤو و بُونّين . وقد ابتدأ ظهورها بانفجارات شديدة متواصلة ظهر على اثرها سحبٌ كثيفة من دخان اسود وابيض كانت تنبعث من قلب البحر . وقد برزت الجزيرة فوق المآء في ٥ دسمبر ولبثت ترتفع وتتسع حدودها مدة شهر فكان محيطها ٥ كيلومترات وارتفاعها فوق المآء ١٦٠ متراً وفيها بحيرة مآءٍ حارّ الى شماليها . وقد قصدها بعض الفاحصين ونصبوا فيها علَماً ونقشوا على احد صخورها « ارضٌ جديدة لليابان »

انما المنفيْ وحيد

(معربة عن الفرنسوية)

تقـاذفَ ذلك المنفيَّ بِيدُ   فهـام بلا هدًى وهو الشريدُ
فهل يُقضَى لهُ قـدرٌ سعيدُ   فيـدنو ذلك السفرُ البعيـدُ
ويرجع ذلك العيش الرغيدُ

* * *

لقد طُفْتُ المعـالم والمجاهل   وشاهدتُ القبـائل والمنازل
وكنتُ لما رأيتُ هناك جاهل   وهم لا يعلمون مَنِ الطريدُ
لعمركَ انما المنفيْ وحيدُ

اقولُ وكاد ينهـار النهـارُ   بوادٍ لا يطيب بهِ قرارُ
هنيئـاً للذي تحـويهِ دارٌ   ويمرح في مغانيهِ الوليـدُ

لعمركَ انما المنفيُّ وحيدُ

إلامَ إلامَ ايتها السحائب تطاردكِ العواصفُ كالركائب
لقد امسيتِ في كفّ النوائب نظيري اذ تهدّدني الوعيدُ

لعمركِ انما المنفي وحيدُ

أرى الازهار مؤنقة البهآء وليس لها بعيني من رُوآء
لأني عن رياض الاهل نآء فأنعمُ عيشةٍ وطني السعيدُ

لعمركَ انما المنفي وحيدُ

خرير جداولٍ فوق البقاعِ ولكن ليس يطربني استماعي
وليس مذكّري بسوى التياعي وقد شطّ المزارُ ولا يعودُ

لعمركَ انما المنفي وحيدُ

ويقرعُ اذنيَ الصوتُ الرخيمُ وقد بَسمَتْ لهُ الثكلى الرؤومُ
ولكن ليس تبرحني الهمومُ فمن الحانهِ حزني يزيدُ

لعمركَ انما المنفي وحيدُ

وكم من سائلٍ لي عن بكآئي شرحتُ لهُ الذي بي من عنآء
فلم يكُ لي شريكٌ في بلآئي وغير اخيك فيهِ لا يفيدُ

لعمركَ انما المنفي وحيدُ

وغير حماكَ ليس بهِ صديقُ وليس أبٌ وليس أخٌ شفيقُ
ولكن ثمّةَ الحُبُّ الوثيقُ نعم وهنالك العهد الاكيدُ

يُرامُ وانما المنفي وحيدُ

*
* *

كفى يا ايها الباكي انتحابُ　　بدارٍ كل ما فيها عذابُ
فليس لنا بدنيانا صحابُ　　ولكن سوف يجمعنا الخلودُ
وفيهِ يضمنا وطنٌ جديدُ

عيسى اسكندر المعلوف
مدرس آداب اللغة العربية في الكلية الشرقية

اسئلة واجوبتها

بيروت — بينما كنت اطالع في كتاب وقاية الشبان للدكتور سعيد ابي جمرة عثرت فيهِ على ما نصّهُ « سترى في هذا الكتاب كلمة (سِفلِس) مصرّفةً فنقول سفاس وسفلسَت ومسفلس ومسفلسة وهلمَّ جرًّا مما لا تجدهُ في « قواميس » اللغة العربية فان المراد من اللغة افهام المراد من كلام الكاتب وادخال كلمات اعجمية الى لغتنا دليل على ارتقائها لا على انحطاطها كما يتوهم البعض » . فهل يجوز تصريف كلمة سفلس كما يقول وهل يصحّ ان يُعَدّ ادخال كلمات اعجمية الى لغتنا دليلاً على ارتقائها ارجو الجواب على ذلك ولكم الفضل　　احد قرآء الضياء

الجواب — اما تصريف كلمة (سِفلِس) اي اشتقاق فعلٍ منها يصرّف كما تصرّف بقية الافعال فهو جائز بالاجماع بعد استعمال الاسم المشتقّ منهُ والحاقهِ بالاوضاع العربية . وهو كثيرٌ في اللغة قديماً وحديثاً ومن امثلتهِ قولهم سُرسِم الرجل بالبناء للمجهول اذا اصيب بالسِرسام وهو لفظٌ فارسيٌّ معرَّب ومعناهُ مرض الرأس . ومثلهُ قولهم بُرسِم من البرسام

ومعناهُ مرض الصدر والرجل مُسرسَم ومُبرسَم . وقولهم دَرْفَسَ اي حمل الدِرَفْس بوزن قِمَطْر وهو العَلَم الكبير وهذا ايضاً فارسيٌّ معرَّب . وفَرْجَنَ الدابّة اي حسَّها وهو مأخوذ من الفِرْجَوْن بكسر اولهِ وفتح الجيم وهو المِحسّة . وجآء الدِهقان بمعنى رئيس الاقليم وقيل منهُ دهقنوا الرجل اذا جعلوهُ دهقاناً . وفي القاموس «النَيرُوز اول يوم من السنة معرّب نَوْرُوز. وقُدِّم الى عليّ شيءٌ من الحَلاوَى فسأل عنهُ فقالوا للنيروز فقال نَيرِزُونا كل يوم . وفي المِهرَجان قال مَهرِجُونا كل يوم » . وفي شعر ابن الوردي « يا من تبَرْمَكَ صبُّهُ في عشقهِ » والامثلة في ذلك لا تُحصَى . وبقي هنا ان نقول انهُ ينبغي ان يكون الفعل سُفلِس » بصيغة المجهول قياساً على امثالهِ من هذا الباب كما يقال حُمَّ من الحُمَّى وصُدِع من الصُداع وزُكِم من الزُكام وكما رأيت من قولهم بُرسِم وسُرسِم الى غير ذلك

واما أن ادخال كلماتٍ اعجمية الى لغتنا يُعَدّ دليلاً على ارتقآئها ففيهِ نظر لكنهُ مما تلجئ اليهِ الضرورة حيث لا يتيسر وجود لفظٍ عربيّ قديم اومُحدَث يقوم مقام الاعجميّ والا فان ادخال اللفظ الاعجميّ مع وجود لفظٍ عربيّ بمعناهُ كاستعمال الأَوُرْطي مثلاً في مكان الأَبهَر والأَلبومين مكان الهُلام والكاوتشوك مكان المطّاط والأَسيد مكان الحامض وكقول بعضهم اندروميدا مكان المرأة المسلسلة كل ذلك يُعَدّ دليلاً على انحطاط اللغة كما لا يخفى على ذي بصيرة

فكاهات

الحب البنوي (1)

على بُعد ست مئة غلوة من مدينة توبلسك عاصمة سيبيريا بلدةٌ تدعى سايكا جعلتها حكومة روسيا منفى للمحكوم عليهم من رعاياها . ويجاور تلك البلدة غابةٌ كبيرة تكثر فيها المستنقعات والى جانبها بحيرةٌ صغيرة قلّ ان يفارق الجليد سطحها وتهبّ الرياح القارسة من الشمال حاملةً قطع الثلج فتنثرها على الاشجار وتلطم بها الاوراق فيسمع لحركتها انينٌ موُثر يرنّ في ذلك الفضآء الموحش كأ نهُ جرس حزن يُقرع أيذاناً بفقد السرور وضياع الآمال من قلوب المنفيين في ذلك المكان

وكانت تسكن في ذلك القفر اسرة بولونية موُلفة من والدٍ كهل وزوجتهِ وهي لا تتجاوز الثلاثين من العمر وابنةٍ لهما في مستهلّ ربيع الحياة . وكان التضييق على هذه الاسرة بالغاً اشدَّهُ فلم يكن يُسمح لاحدٍ من افرادها باجتياز حدود ذلك القفر او الدنوّ من سايكا والاختلاط بسائر المنفيين أو قبول احد في منزلهم فكانت علائم الحزن واليأس بادية في وجه ذلك الابَ التعس مهما اجتهد في كتمان شعورهِ ولم تكن قرينتهُ بأقلّ منهُ حزناً والتياعاً غير انها كانت تبالغ في اخفآء كمدها وتظهر امام زوجها بمظهر البشاشة والابتسام قصد ان تخفف من بلاياهُ وتلطف من احزانهِ . ولم يكن ذلك الا ليزيد في عذاب بطرس زوجها اذ يرى نفسهُ السبب في تنغيص عيش قرينتهِ وفلذة كبدهِ وكثيراً ما نصح لها ان تبقى في وطنها بعيدةً عما هو فيهِ من البوُس والشقآء رحمةً بها وشفقةً على ابنتها التي لم تكن قد تجاوزت بعدُ سنتها الرابعة فأبت الاّ ان ترافقهُ الى منفاهُ وتشاركهُ في الضرّآء كما كانت تقاسمهُ السرّآء

(1) معربة بقلم السيدة لبيبة هاشم

وكانت فتاتهما واسمها اليزابيت قد بلغت في عهد روايتنا اربعة عشر ربيعاً وهي باهرة الجمال لطيفة الاخلاق كوردة في كمها ينبعث طيب عرفها الى قلب ذينك الوالدين فينعشها ويُسمع لضحكها قهقهة اشبه بزقزقة العصافير وألذ وقعاً من اجمل الالحان . وكانت تقضي اكثر أوقاتها في الخلآء تجري فوق تلك الهضاب وتجني من ازهار الخريف ما تجود بهِ الطبيعة بعد انقطاع الثلوج ثم تعود الى المنزل فتأخذ بعض الدروس عن والدها ثم تساعد والدتها في ترتيب ذلك المنزل الصغير . وكانت اليزابيت حتى تلك الساعة تحسب نفسها اسعد الناس حالاً بتلك المعيشة البسيطة ولكنها ما لبثت بعد ان بلغت هذه السنّ ان استيقظت مداركها فتنبهت لذلك التضييق الذي لا بدّ ان يكون لهُ سبب اوجبهُ وجعلت تستوضح اباها ذلك السرّ الذي اشكل عليها حلهُ فأعلمها انهم منفيون ولم يشأ ان يزيد شيئاً على ذلك حتى لا يكدّر صفآء حداثتها بمعرفة ما وقع عليهم من الجور وما سيموا من ضروب الذل والامتهان بعد ما كانوا فيهِ من العز ورغد العيش

ومن تلك الساعة تبدلت هيئة اليزابيت وغلب عليها السكوت والتفكر واصبحت حين تخرج من المنزل لا تلتفت الى طيورها وازهارها بل تلزم البكآء والابتهال الى الله ان يعاونها على انقاذ والديها لانها رأت نفسها الشخص الوحيد الذي يمكن ان ينالها مساعدة بواسطتهِ . وما زال هذا العزم قبلة افكارها ووجهة آمالها مدة سنتين كاملتين وهي في كل يوم تزداد جرأةً وتصميماً واخيراً عزمت على السفر الى بطرسبرج والتماس العفو لابيها من القيصر . غير انهُ بقي عليها ان تعرف اسم والدها الحقيقي وموطنهُ والسبب الذي نفي من اجلهِ فتوسلت الى ابيها يوماً ان يوضح لها ذلك فأجابها باسماً ان وطني حيث تكونين انتِ واسمي ابو اليزابيت الجميلة . فلزمت الصمت ورأت ان الصبر اولى بها . وكانت لعهد اربع سنواتٍ مضت قد عرفت شاباً يدعى سمولف ابن حاكم سايمكا وكان قد وُكل اليهِ امر المنفيين وهو فتى في الثالثة والعشرين من العمر تبدو عليهِ ملامح النجابة والشهامة . وذلك انهُ اوغل في الغابة يوماً اذ كان يصيد واتفق ان اباها كان في الغابة ايضاً وقد وقع في خطر من

الوحوش الضارية فأنقذهُ منهُ بشجاعة فائقة واوصلهُ الى منزلهِ فاستقبلتهُ اليزابيت ووالدتها بما يستحقهُ عملهُ من الشكر ومنذ ذلك الحين كانت اليزابيت لا تنفك عن الافتكار فيهِ واثقةً بأنهُ الشخص الوحيد الذي تنال بمعاونتهِ ما تتمنى من انتشال والديها من تلك الوهدة

وحدث في بعض الايام ان خرج والدها للصيد بعد ان انقطع عنهُ اعواماً اجابة لتوسلات قرينتهِ لانها كانت تخشى وقوعهُ في خطرٍ ثانٍ فسار واعداً بسرعة العودة ولكن مضى ذلك النهار و بطرس لم يعد حسب وعدهِ. فقلقت زوجتهُ وابنتهُ اشدّ القلق وخرجتا تبحثان عنهُ وما زالتا سائرتين الى ان كلت قوى الام فسقطت خائرة العزم وعندئذٍ سمعتا صوت طلق بارود فاسرعت اليزابيت الى جهة الصوت وهي لا تشك انهُ صادر من يد والدها اذ ما من احدٍ يطرق تلك الاماكن . ولكنها وقفت مبهوتةً اذ رأت على نور الشفق فتى لا تعرفهُ فتقدمت اليهِ وسألتهُ عن والدها فاجابها الشاب اني لا اعرف والدكِ يا بنية ولكن اعلم انهُ يستحيل عليكِ البحث عنهُ في مثل هذا الوقت وهذه الاماكن المخيفة . وكان المطر قد بدأ يهطل والظلام يمد رواقهُ والريح تهب بقوةٍ معلنةً قرب حدوث الزوبعة . فاجابت اليزابيت وقد خنقت صوتها العبرات اني لا اخاف شيئاً في العالم الا فقد والدي . ثم حوّلت وجهها لتنصرف فاستوقفها الشاب وقد اثرت فيهِ حالتها كما اثر فيهِ جمالها وشجاعتها وسألها عن اسم والدها فقالت بطرس سبرنجر . فقال اني اعرفهُ ولقد كنا معاً منذ ساعة ثم افترقنا وسار في طريقهِ نحو المنزل ولا بد ان يكون قد وصل اليهِ الآن فاطمئني . فشكرتهُ الفتاة وعادت مسرعةً لتزف الى والدتها تلك البشرى وما هي الا بضع دقائق حتى كان الثلاثة متعانقين عند باب المنزل وعلى مقربة منهم ذلك الشاب الذي تقابل مع اليزابيت وقد دفعهُ عامل الاهتمام بامرها الى اللحاق بها والاطمئنان عن وجود ابيها . و بينما هم كذلك التفت بطرس فرأى الشاب وكان لم يزل واقفاً يمسح دمعتين سقطتا على خدّيهِ لدى ذلك المشهد المؤثر فناداهُ قائلاً لقد تأخرت يا عزيزي سمولف عن الرجوع وليس في وسعي ان اضيفك في منزلي.

فصاحت المرأتان وهل المسيو سمولف منقذك الفاضل هنا ثم اقبلتا نحوهُ وكانت دموع المرأة تترجم عن عواطف شكرها وسرورها و بادرتهُ اليزابيت قائلةً ثق يا سيدي اننا ما برحنا منذ اربع سنوات نردد ذكرك ونسأل الله ان يباركك و يكافئك عنا خيراً

فاجاب سمولف بمنتهى الاحتشام لقد كافأني باكثر مما استحق يا سيدتي اذ ساقني اليكم وسمح لي بلقياكم . و بعد ان تبادل واياهم بعض الاحاديث سار مشيعاً بادعيتهم الحارة وتوالت زياراتهُ بعد ذلك مدفوعاً بعامل الشوق لمشاهدة اليزابيت التي لم تفارق صورتها مخيلتهُ منذ تلك الساعة

وقابلتهُ يوماً اليزابيت على انفراد فسألتـهُ ان يوافيها الى قرب البحر حيث اعتادت ان تصرف اكثر اوقاتها . فلبى طائعاً وفؤادهُ يرقص طرباً لانهُ استشفَّ من ورآء هذا الموعد مع ما كان يؤنسهُ من انعطافها نحوهُ وشدة سرورها بلقيـاهُ انها تميل اليهِ فصمم على ان يكشف لها قلبهُ و يعقد معها عهداً على الاقتران . وفي الموعد كانت اليزابيت قد سبقتهُ الى المكان المعين فحين رأتهُ صاحت بصوتٍ يمازجهُ السرور لو تعـلم يا سيدي باي شوق انتظر قدومك . فبرقت اسرة الشاب وقبل ان يجيبها قالت اصغِ لي يا مسيو سمولف فاني في حاجة اليك لان تعاونني على انقاذ والدي من ذل النفي فهل تعدني بذلك

فبهت سمولف لدى استماعهِ تلك العبارة التي على بساطتها كانت كافية لتبديد آمالهِ والذهاب ببهجة امانيهِ غير انها لم تغير شيئاً من عواطفهِ بل زادتهُ احتراماً لتلك الذات الملائكية التي كانت مشتغلة بما هو اسمى من الحب فجثا عند قدميها واقسم لها على ما طلبت . فبكت اليزابيت تأثراً وشرعت تقص عليهِ حديث نشأتها في ذلك القفر واوضحت لهُ مكنونات قلبها وتصميمها على السعي في سبيل الحصول على العفو عن ابيها الذي لا تعلم سبباً من اسباب نفيهِ ولكنها تعتقد براءتهُ من كل تهمة . فاجابها اني سعيد يا اليزابيت بما نلتهُ من ثقتكِ بي وما عليكِ الا ان توضحي لي نوع المساعدة التي تريدينها مني فتجديني مستعدًّا الان اريق دمي في سبيل تحقيق

امانيكِ . فقالت ان ما اطلبهُ هو معرفة اسم ابي الحقيقي واسم بلدهِ ونوع التهمة التي نفي بسببها ثم ايضاح السبيل الذي ينبغي ان اسلكهُ لكي اصل الى مقابلة القيصر والمعلومات التي احتاج اليها في قطع المراحل الشاسعة التي بيني و بين بطرسبرج والاماكن التي يمكنني ان آوي اليها . وقبل كل شيء اود ان تضمن لي رضى والديك عن سفري هذا فلا يسخط على ابي ويأخذهُ بذنبي . فجعل سمولف اولاً يبين لها صعوبة هذا السفر وما فيهِ من المشقات والاخطار حتى اذا رآها لا تبالي بشيء من ذلك ولا ترجع عن عزمها وعدها بان يعود اليها بعد اسبوع حاملاً جميع المعلومات التي تطلبها . وختم بقولهِ ان ابي شهمٌ غيور لا يستاء من عملكِ ولا ولا يرفض ان يدعوكِ ابنةً لهُ . . . ثم قال سامحيني يا اليزابيت اذا رأيتِ لساني يبوح بما انتِ في شاغلٍ عن سماعهِ ولكن هو قلبي الذي ثمل بحسن سجاياكِ كما هام برائع جمالكِ فاصفحي وانسي كلماني الآن ولكن اذا اتى اليوم الذي تنقشع فيهِ غيوم احزانكِ ويزول ما يكدر صفاء بالكِ فاذكري محبًّا تمنى ان يقاسمكِ حياة الوحدة والذل مفضلاً العيش بقربكِ على العالم وما فيهِ من المجد والمسرّات

ومضى اسبوعٌ على تلك المقابلة كان في عيني اليزابيت اطول من سنة وسمولف لم يرجع اليها كما وعد . ثم مضى الاسبوع الثاني والثالث فقلقت افكارها وخشيت ان يكون قد نسيها او عرض لهُ ما يعرقل مساعيها ومع ذلك فانها لم تقنط من رحمة الله ولا انفكت عن الابتهال اليهِ تعالى ان يأخذ بيدها و يسدد خطواتها . وكان والداها ملاحظين حركاتها وشاعرين باحزانها وقلب كل منهما يتقطع جزعاً . ورآها ابوها يوماً تبكي بمرارة فضمها الى صدرهِ وسألها عن شأنها فلم تقوَ على الكتمان و باحت لهُ بما تنويهِ فبكى الاب تأثراً واعجاباً ولم يجد ما يجيب بهِ تلك الابنة التي افحمتهُ بحديثها وتوسلاتها التي كانت تشف عن نُبل اخلاقها وعلو نفسها

و بينما هما كذلك اذ سمعا صوت وقع اقدام امام المنزل فنهض الوالد لاستقبال الوافدين واذا شيخٌ وقور يتبعهُ حاشية من الخدم فدخل وترك حاشيتهُ في الخارج . و بعد ما سلم وجلس عرَّفهم بنفسهِ انهُ ابو سيمولف ثم نظر الى اليزابيت باسماً وكانهُ

قد قرأ ما يجول في عينيها من مرّ الانتظار فوجه حديثهُ الى والديها قائلاً اني اهنئكما بهذه الدرة الفريدة التي يليق بوالديها ان يفخرا بها و يباهيا بآدابها . ثم اقترب من الفتاة ودفع اليها رسالة من ابنهِ فتناولتها منهُ ولكنها لم تجسر ان تفتحها وتقرأها فدفعتها الى والدها فاخذها وهو يبتسم اعجاباً بادبها وذكائها وفض الرسالة واذا هو يقول فيها انهُ لم يتمكن من القيام بوعدهِ لها اذ صدرت اليهِ اوامر القيصر بالسفر سريعاً فلم يسعهُ الا المبادرة دون ان يتمكن من وداعها وانهُ سيعود بعد مدة قصيرة فينبغي ان لا تبرح ساعكما الى ان يعود فيسافر معها . و بعد ان اتمّ ابوها قراءة الرسالة التفت اليهِ والد سيمولف وقال ان ولدي ربما تطول غيبتهُ عدة اشهر ولذلك ارى ان تسافر اليزابيت الآن ولا يبعد ان تصادف سمولف في بطرسبرج او في موسكو وقد عينت لمرافقتها كاهناً طاعناً في السن ستجد في شيخوختهِ آمن رفيق تنتفع من خدمتهِ وحسن اختباره وليكن ذلك بعد اسبوع . واودّ منكم ان يبقى هذا الامر مكتوماً لا يعلم بهِ احد لئلا يجرّ عليّ ما لا نجاة لي منهُ . ثم نهض الشيخ فودعهم وانصرف بعد ما شكرتهُ اليزابيت ووالدها من اعماق قلبيهما

اما والدة اليزابيت فلما علمت بالامر صاحت من فؤاد مقروح ماذا اسمع . . ابنتي تبتعد عني . . ابنتي تسافر الى بطرسبرج . . فجثت اليزابيت على قدمي والدتها وجعلت تتوسل اليها بكلام يلين لهُ الجماد وتستحلفها باسم السماء و بحبها ان لا تمنعها من اتمام هذا الواجب المقدس . اما هي فضمتها الى صدرها قائلةً لا تكسري قلبي يا اليزابيت فاني احتملت كثيراً من متاعب الحياة وفي استطاعتي ان احتمل اكثر من ذلك اما فراقكِ فلا قدرة لي على احتماله . وقال ابوها والدمع ينحدر من عينيهِ اني لم اكن اعرف للضعف معنى يا ولدي فجئتِ تعلمينيهِ الآن

وما زالت اليزابيت تستعطفها الى ان بدت على وجه ابيها امارات الاقتناع فنظر الى زوجتهِ وقال لها بصوتٍ تخنقهُ الدموع لندعها تسافر ابنتها العزيزة فان الله الذي الهمها القيام بهذا الواجب قادر ان يحرسها . فقالت كلاّ اني لا اوافقك على ذلك ولا ارضى ان اعرّض ابنتي لاهوال هذا السفر البعيد واقدمها فريسة لانياب

البرد والجوع والشقآء واعيش بعد ذلك لابكيها وارثيها . ثم علا نحيبها وعادت تضم فتاتها الى صدرها كأنها خشيت عليها ان تختطفها ايدي البعاد . فقالت اليزابيت معاذ الله ان اسافر بدون رضاكِ يا اماه ولكن لنصلّ الى الله عساهُ ان يلهمكِ ما بهِ خيرنا جميعاً . ثم جثا الثلاثة واشتركوا في صلاةٍ حارة ولما رفعت اليزابيت رأسها عند نهاية الصلاة لمحت في وجه والدتها علائم القبول فلم تجسر على مفاتحتها بشيء وتركت الامور تجري في مجراها

وبعد مضيّ اسبوع حضر الكاهن وما وقعت عينا الوالدة عليهِ حتى صاحت جزعاً وشعر الكاهن بثقل مصيبتها فجعل يعزيها بكلام رقيق . وخلت اليزابيت بوالدها تلك الليلة فأطلعها على حقيقة امرهِ وان اسمهُ الحقيقي ستانسلاس بوتوسكي . اما الذنب الذي ارتكبهُ فهو شدة حبهِ لوطنهِ وذلك انهُ في بعض الحروب التي اثارتها روسيا على بولونيا كان في جملة الحزب الذي قاومها وهيج الشعب ضدّها ولكنهم وقعوا في يدها بعد ان استولت على القسم الذي كانوا فيهِ وانفذت فيهم نقمتها وكان نصيب ستانسلاس ان سُجن في بطرسبرج حولاً كاملاً ثم صدر الامر بنفيهِ الى سيبيريا . قال وكنتِ اذ ذاك طفلة فأبت والدتكِ الا ملازمتي في هذا السفر الشاق الذي قطعناهُ مشياً على الاقدام فوق الثلوج وانتِ على ذراعي والدتكِ ومن حولنا الجنود تسوقنا سوق النعام . ثم توقف وزفر زفرةً حارة وقال مسكينة هذه الزوجة الفاضلة كم قاست لاجلي من الآلام والهوان فهي التي بدلت مرارة وحدتي بحلاوة قربها وفرجت همي بعذوبة الفاظها فاذا كنت قد ذقت شيئاً من السرور في كل هذه المدة فبمجاملتها لي واذا رغبت في النجاة فلكي اقوم لديها ببعض المكافأة واقابلها بما ينسيها هذا الشقآء

وقضت اليزابيت اليوم التالي في اعداد ما يكفيها من الزاد بضعة ايام . ولما كان المسآء جثت وطلبت الى والديها بصوتٍ خافتٍ ان يباركاها ولما اقترب والدها ضغطت على يدهِ ففهم ان ذلك آخر وداع فجمد الدم في عروقهِ واحتبس صوتهُ . ثم نظرت الى والدتها وقالت وانتِ يا اماه لمَ لا تباركيني . فأجابتها غداً يا ولدي .

قالت ولمَ لا يكون ذلك الآن بل في كل يوم وكل ساعة . فتقدمت ووضع الزوجان ايديهما على رأس الفتاة الجاثية واشتركا في صلاة حارّة ممزوجة بالدموع

وما انبثق فجر اليوم التالي حتى تأبطت اليزابيت كارة ثيابها وزادها وخرجت مع الكاهن خلسةً فما طلعت لهما الشمس حتى كانا قد قطعا مسافةً طويلة . وقضى المسافران ثلاثة اشهر على الطريق صادفا في اثنآئها كثيراً من المشقات والاتعاب واخيراً مرض الراهب من تأثير التعب والبرد فأوت بهِ اليزابيت الى فندقٍ صغير في سابادول ولم تطل ايام المريض فانتقل الى رحمة ربهِ تاركاً تلك الفتاة الشقية في اسوأ حال وقد سقطت عند سريرهِ غائبةً عن الوجود . وفي تلك الفترة اتى صاحب الفندق وبحث في امتعتهما فوجد كيساً من النقود كان ابو سمولف قد سلمهُ الى الكاهن ليستعين بهِ مع رفيقتهِ في السفر فاختلسهُ وادعى بعد نهاية الدفن انهُ انفق ما فيهِ من النقود على تجهيز الميت ودفنهِ ولم يبقَ منها سوى ثلاث روبلات فتناولتها اليزابيت شاكرة وكانت جميع ما تملكهُ من النفقة التي تبغي الوصول بها الى بطرسبرج

وواصلت المسير بعد ذلك وحدها غير مبالية بما كان يعترض سبيلها من المشقات والمخاوف الى ان وصلت الى موسكو وقد مضى عليها تسعة اشهر . فرأت تلك العاصمة غاصة بجماهير الناس وسمعت لحركتهم جلبةً وضوضاة يمازجها الهتاف وصوت اطلاق المدافع . فسألت بعض المارّة عن معنى ذلك فاجابها اننا نحتفل اليوم بقدوم القيصر . فقالت وهل القيصر هنا او ليس هو في بطرسبرج . فقال ألا تعلمين انهُ قادم للاحتفال بتتويجهِ في كنيسة موسكو . فخفق فؤاد اليزابيت سروراً بقرب الامل وهتفت بالشكر لله على تلك النعمة . وكانت قد كلت قواها من طول المسير وعضها الجوع بنابهِ لانها كانت لم تذق طعاماً ذلك النهار وعبثاً طرقت منازل بعض القوم تطلب القوت والمأوى فلم يكن من يرثي لها او يجيب سؤالها . وشعرت بانها لم تعد تقوى على احتمال ذلك طويلاً ولم تشأ ان تستسلم لليأس والهلاك لانها رأت حياتها ليست لها ويلزمها ان تحافظ عليها . وكان الظلام قد اقبل يجر ورآءهُ زمهرير الرياح وزمزمة الرعود وبينما هي هائمة من شارع الى آخر اذ احدقت بها شرذمة

من الجند وجعلوا يسألونها عن امرها بكلمات لم ترق نغمتها لتلك الفتاة الطاهرة وهموا ان يقتادوها الى المخفر لانهم ظنوها من اهل الريبة . واتفق في تلك الساعة ان مرَّ من هناك رجل من اماثل القوم يقال لهُ جان زوسي وسمع كلامهم وكلامها فاخذتهُ الشفقة عليها وسأل الجنود ان يسمحوا لهُ بها لانهُ استشفَّ من لهجتها انها من ذوات الصون فاجابوا طلبهُ وسار بها الى منزلهِ حيث عاملتها قرينتهُ بكل تلطف وحنان . وبعد ان اكلت واستراحت شرعت تقص على مضيفيها تاريخ حياتها وسبب قدومها حتى اذا علما انها آتية لطلب العفو عن والدها قال لها جاك انهُ غداً سيُحتفل بتتويج القيصر فعليكِ ان تقفي في طريقهِ وهو داخل الى الكنيسة وترمي بنفسكِ عند قدميهِ طالبة العفو واكون انا حينئذٍ برفقتكِ فآخذ بيدكِ واعضدكِ فتشجعي

ففاضت عينا اليزابيت بدموع الشكر وقالت ليسمع الله لك وليباركك والداي . ولما اشرق نور الصباح تردت اليزابيت بثوبٍ اعارتها اياهُ ربة البيت وسارت الى جنب جاك خافقة القلب ثابتة القدم الى ان انتهيا الى الكنيسة . فتسللا بين جماهير الناس ودخلا حتى وقفا على مسافة قريبة من العرش وتمكنا من مشاهدة القيصر والقيصرة وهما داخلان حتى اذا استقرَّ بهما المقام اقيمت الفروض الكنائسية باحتفال عظيم وتم التتويج بيمين اقسمها القيصر على ان يجعل حياتهُ وقفاً على خدمة شعبهِ ولا يذخر سعياً في سبيل راحتهم وصيانة حقوقهم . وما اتى القيصر على هذه الكلمات حتى علا صوت اليزابيت من بين تلك الجماهير قائلةً الرحمة . . الرحمة . . وكان في نغمة صوتها رنة اثرت على عواطف القيصر فأمر احد حرسهِ وكان اقربهم اليهِ ان ينطلق ويبحث عن صاحبة الصوت فأطاع واسرع قاصداً مكان الفتاة وكان الجنود قد اخرجوها من الكنيسة بالعنف فما وقعت عينا الرجل عليها حتى صاح اليزابيت ؟ اليزابيت هنا ؟ في موسكو ؟

فلما سمعت اليزابيت هذا الصوت لم تمالك ان صاحت سمولف ؟ ثم نشطت نحوهُ مادّةً يديها كالمستغيثة وقد عاشت آمالها بعد ان كان قد تولاها القنوط من مقابلة القيصر وقالت وقد تناثرت اللآلئ من عينيها اني لقد قطعت هذه المسافات

الشاسعة وقضيت تسعة اشهر مشياً على قدمي لاطلب العفو عن ابي وها هم قد طردوني من امام القيصر وحالوا بيني و بينهُ . فقال تعالي معي فلا احد يعترضك الآن ودعي القيصر يسمع صوتك و يشاهد حالتك فلا بد ان يتأثر و يعفو . ثم قادها نحو الهيكل مفرقاً الجنود حتى انتهى بها الى العرش الامبراطوري حيث جثا مع اليزابيت وقال يا مولاي هذه ابنة التعس ستانسلاس بوتوسكي قد اتت من توبلسك حيث يقيم والداها في المنفى منذ اثنتي عشرة سنة وقد قطعت هذه المسافات على قدميها فتحملت كافة انواع العناء والاخطار في سبيل الوصول الى اعتابك العالية والتماس العفو عن ابيها . ولما انتهى الى هذه العبارة رفعت اليزابيت يديها الناحلتين الى العلاء ورددت قولهُ العفو عن ابي . فنظر القيصر الى محياها المكسوّ بالدموع وقد اثرت فيهِ حالتها ثم التفت نحو سمولف وقال ان من كان لهُ مثل هذه الابنة لا يمكن ان يكون مجرماً وهبهُ كذلك فان الاسكندر يعفو عنهُ . ثم حول بصرهُ نحو الفتاة وقال لقد وهبتُ لكِ اباكِ فهو حرّ من الآن . فما سمعت اليزابيت هذه الكلمات حتى خرّت مغشيًّا عليها من شدة الفرح

ولما عاد اليها رشدها وجدت نفسها في منزل جاك روسي وامامها سمولف فهنأها بما نالت من العفو عن ابيها ولبث يزورها كل يوم الى ان صدر الامر الامبراطوري برجوع سبرنجر الى الوطن فاستلم سمولف الامر وانطلق بهِ نحو اليزابيت مسرعاً فألقاهُ اليها بين عبارات التهاني وابتسامات السرور . فتناولت الفتاة ذلك الامر الذي كان يحتوي على مفاتيح سعادتها وادنتهُ من فيها فغسلتهُ بالدموع . فقال لها سمولف ان القيصر لم يعفُ عن جرم والدكِ فقط بل اعاد اليهِ ثروتهُ والقابهُ ورتبهُ وغداً يبعث بالامر الى ابي ليفرج عن والدك وسأذهب في صحبة هذا الرسول . وقد امر القيصر بأن تعدّ لكِ عربة فاخرة تقلكِ الى هناك وبأن يكون معك امرأتان ترافقانك .

وفي غد ذلك اليوم ودعت اليزابيت مضيفيها وسارت شاكرةً افضالهما وسار في صحبتها المرأتان وسمولف فانطلقت بهم العربة تنهب الارض نهباً . وعرجت في طريقها على ضريح الراهب فكللتهُ بالازهار وودعتهُ بصلاة حارّة ثم استأنفت

المسير وهي تودّ لو ان لها جناحين تطير بهما الى والديها ·

ولما انتهت الى مدينة تو بلسك و بلغت منزل والديها نظرت الى سمولف قائلةً من يعلم بأي حالةٍ اراهما الآن . ثم دفعت الباب ودخلت وحين ابصرها والداها هتفا هتاف الاستبشار واحاطا بها يعانقانها و يغسلان وجهها بدموعهما فصاح سمولف ها هي ابنتكما قد عادت اليكما تحمل العفو . غير ان كلماتهِ لم تؤثر على والديها اللذين بلغ منهما السرور برجوع ابنتهما مبلغاً لم يترك مجالاً للاكتراث بأمر سواهُ فكانا يحدقان اليها ببصرهما ثم يعودان لتقبيلها دون ان يجدا سبيلاً للافصاح عن عواطفهما . وحينئذٍ اقترب منهم سمولف وهو يكفكف دموعهُ وقال لوالديها ان لكما ابناً آخر فان اليزابيت قد تكرمت ودعتني بأخيها غير اني اتجرأ وانا جاثٍ على اقدامكما ان احصل منها على غير هذا الاسم

واذ ذاك شرعت اليزابيت تقص عليهما ما بذلهُ سمولف من الهمة وما ساعدها بهِ من المساعي التي لولاها لم تنل العفو ولا تسنى لها ان تكون في تلك الساعة بين اذرعهما . ثم قالت واني لا ادري كيف اعبر لهُ عن شكري و بماذا اكافئهُ على صنيعهِ و باي شيء اقابلهُ على جميلهِ العظيم . فاجابت والدتها قابليهِ بالحب الذي قابلت بهِ اباكِ . وقال سبرنجر اجل فانكِ اذا جعلت جزاءهُ قلبكِ فهي الغاية التي ليس وراءها من مزيد . فضمت اليزابيت يد سمولف الى ايدي والديها ونظرت اليهِ نظرةً نفذ نورها الى اعماق فؤادهِ وترجمت لهُ عما عجز اللسان عن تبيانهِ . فصاح سمولف يا لها من سعادة شملت فؤادي ثم غلب عليهِ السكوت وقد ثمل بخمرة الامل وشعر انهُ اسعد من وجد تحت السماء

ولم يكن سوى بضعة ايام حتى ودعت اسرة بوتوسكي ذلك القفر الذي ذاقت فيهِ من ضروب اللذة والسرور في يومٍ واحد ما انساهم ذل النفي مدة اثنتي عشرة سنة وعادوا الى مرتع الحرية ونعيم الحياة وعُقد لسمولف على اليزابيت في حفلة باهرة كان السرور فيها شاملاً والهناء مضاعفاً .

اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

فتحصَّل من ذلك كلهِ ان المُجمع على صحتهِ من اللغة هو كلام اهل الجاهلية ومن تلاهم من المخضرَمين ممن نشأ قبل عهد الاسلام وهو الذي جمعهُ اصحاب المعجمات العربية من القرآن والشعر واثبتوهُ في مصاحفهم. ويلحق بهِ ما تلقَّوهُ عمن بقي لعهدهم من العرب الخُلَّص اي الذين لم يختلطوا بالاعجام وهم اهل البادية كما فعل الازهري صاحب التهذيب والجوهري صاحب الصحاح وغيرهما من متقدمي أئمة اللغة . واما ما سوى ذلك من كلام المولَّدين وهم اهل الامصار فالمقبول منهُ ما كان قائلهُ من علماء العربية كما نبه عليهِ الزمخشريّ فيما نقلناهُ قريباً والمراد بذلك ان يكون على بيّنةٍ من معاني اوضاع اللغة عارفاً بطرق اشتقاقها ومجازها فاذا اتى باللفظة المحدثة جاء بها على اسلوب العرب وطريقتها حتى كانها من اوضاعهم والى هذا الاشارة في قولهِ فاجعل ما يقولهُ بمنزلة ما يرويهِ . قلنا واذا كان هذا هو المرجع في تصحيح الفاظ المولدين وبعبارةٍ اخرى اذا كان اللفظ انما تُعتبر صحتهُ وعدمها بمقايستهِ على اوضاع العرب فأَحرِ بهذا الحكم ان يُطلَق في كل لفظٍ مولَّد سواءٌ كان قائلهُ من العلماء ام من غيرهم بل فيما يُروَى عن العرب انفسهم اذا لم تثبت روايتهُ عنهم وهو ما اشار اليهِ ابنُ جنّيّ فيما نقل عنهُ صاحب الاقتراح . والا فانك اذا تتبعت كلام كثير من علماء العربية كابي تمّام والبحتري والمتنبي والحريري وغيرهم

وجدتهُ لا يخلو من كثير من الالفاظ التي ردّها عليهم الناقدون لخروجها عن السَنَن المتعارَف في اللغة على ما سترى من امثلة ذلك في هذا الفصل ان شآء الله

وقد قدّمنا في غير هذا الموضع ان للوضع اللغويّ ثلاثة طرق وهي الارتجال والاشتقاق والمجاز . فاما الارتجال فقد استوفاهُ الواضعون الاولون فلم يبقَ للمتأخر الان يستخدم اوضاعهم باعيانها وهي اصول الموادّ التي جمعها أئمة اللغة . واما الاشتقاق فهو اما ان يقاس في كل ما يحتملهُ من الفاظ اللغة على العموم وهو المنصوص عليهِ في كتب الصرفيين من نحو بنآء المضارع واسم الفاعل وغيرهما . واما ان يقاس في طوائف مخصوصة من اللفظ تبعاً لما تدل عليهِ من المعاني كبنآء فِعلة بالكسر للقطعة من الشيء وبنآء افتعل للاتخاذ ونحو ذلك مما نبهنا على اشهر امثلتهِ في مقالة اللغة والعصر وهو المقصود من بحثنا في هذا الموضع . وأما المجاز فهو اما ان تكون قرينتهُ المشابهة او غيرها الثاني المجاز المرسل والاول الاستعارة وهي اما ان يكون المقصود بها المبالغة في معنًى من المعاني المعتبرة في المشبَّه كقولك رأيت اسداً يرمي النبال فيطلق لفظ المشبه بهِ على المشبه في تلك الحال فقط واما ان يراد بها مطلق تشبيه شيء بآخر في هيئتهِ الحسية او المعنوية كما في قولك يد الرحى ونَبَض البرقُ فيلزم المشبَّه لفظ المشبه بهِ ويكون كانهُ قد وُضع لهُ . وقد استوفينا الكلام على هذا النوع في مجلد السنة الخامسة من هذه المجلة تحت عنوان المجاز وهو المعوَّل عليهِ فيما نحن فيهِ . وانت اذا تتبعت الفاظ اللغة المتفرعة عن المواد الاصلية وجدتها

باسرها ترجع الى هذين البابين وهو ما ينبغي اعتبارهُ في كل لفظٍ احدث بعد العهد الاول فما وافقهُ جاز استعمالهُ والا فهو مردود . وذلك انهُ لما كان المولَّد مقيَّداً باوضاع العرب لا يَسَعهُ الخروج عنها واليها مرجعهُ فيما يحتاج اليهِ للتعبير عن المعاني المُحدَثة لزمهُ ان لا يخرج في استعمالِ تلك الاوضاع عن القانون الذي درجت عليهِ العرب حتى تكون اللغة كلها قديمها وحديثها مشاكلةً بعضها لبعض جاريةً في سَنَنٍ واحد وأُسلوبٍ لا يختلف . والا فلو جاز لكل احدٍ ان يضع ما شآء من اللفظ من غير مراعاة قانونٍ معلوم لم يبقَ دليلٌ على المعاني المقصودة من اللغة وامتنع التفاهم بها اذ يكون لكل واحدٍ لغةٌ يرتجلها لنفسهِ . وحسبك من امثلة ذلك ما سبق لنا سردهُ تحت عنوان لغة الجرائد مما جازف فيهِ بعض كتّابنا فخرجوا بهِ الى ما لا يمكن ردّهُ الى نقلٍ ولا اشتقاق صحيح ولا يُفهَم المراد منهُ الا بالقرينة

واذا بحثت وجدت منشأ ذلك اما الجهل بمعاني اوضاع اللغة ومَصُوغاتها فيغلط الكاتب من حيث لا يدري وهو الاكثر في ايامنا واما العدول عن المتعارَف في النقل والقياس لضرورة وزنٍ او قافية او فاصلة او جناس وهو ادعى الحالين الى فساد ابنية اللغة وانتشار الغلط فيها لان تلك الضرورات اكثر ما تقع في كلام الخاصّة ممن يوثق بكلامهِ ويُقتدَى بهِ وليس كل احدٍ يميز مواقع الضرورة من غيرها فيفشو الغلط بغير نكير . وهذا الذي ذكرناهُ غير خاصّ بالمولدين من اهل اللغة ولكنهُ كان يقع مثلهُ لعهد الجاهلية ايضاً كما قدّمناهُ في اوائل هذه المقالة غير انهُ لم يكن يشيع شيوعهُ بعد ذلك لاستحكام ملكة اللغة في أولئك القوم بحيث لم يكونوا يقبلون

اللفظة الشاذّة الا اذا امكن ردها الى وجهٍ من القياس ولو على سبيل التمحل كما سبقت الاشارة اليهِ . وبخلاف ذلك الحال عند من جآء بعدهم ولا سيما في الزمن المتأخر لبُعد العهد بالواضعين وفقد ملكة اللغة من المتكلمين بها حتى ترى في ايامنا هذه من يحتجّ بكل لفظٍ يقرأهُ في كلام احد السالفين سوآءٌ كان جاهلياً ام مولَّداً ومن علمآء العربية ام من عامّة الكتّاب او الشعرآء وسوآءٌ كان ذلك اللفظ صادراً عن ضرورة ام عن جهلٍ بضوابط اللغة وموافقاً للمنصوص عليهِ في كتب اللغة ام مخالفاً لهُ . وحجتهم في هذا الاخير ان ما نجدهُ بين الواح المُعجَمات ليس هو اللغة كلها وانهُ قد بقي شيءٌ كثير يؤخذ من تضاعيف صحف الادب والتاريخ وغيرها فاذا وُجد ثمة من اللفظ ما لم يُذكَر في كتب اللغة لم يكن عدم ذكرهِ دليلاً على انهُ ليس مما نطقت بهِ العرب لجواز ان يكون مما سقط عن اصحاب المُعجَمات . وهي كما ترى من غريب الدعاوي بعد ما عُلم من حرص الذين جمعوا اللغة على الاحاطة بجميع الفاظها حتى استقرَوا لها اشعار العرب واستظهروا بها على اثبات ما نقلوهُ ولم يقنع بعضهم حتى رحل الى قبائل البادية واقام بينهم زمناً يلتقط اللغة من افواههم . بل لا جرم ان هذا القول مما يفضي الى افساد اللغة من اصلها لان اقل ما فيهِ سقوط الاحتجاج بكتب اللغة وحينئذٍ فلا يبقى في الكلام ما يثبت عليهِ شبهة التحريف او الغلط لجواز ان يقال انهُ مما اغفل اللغويون ذكرهُ . وبعدُ فاذا سلمنا ان تلك الالفاظ هي نطق العرب بعينهِ كما يزعمون وهي لم تُذكَر في كتب اللغة ولم ترد في شعرٍ قديم فكيف وصلت الى اصحاب

تلك المؤلفات ثم ما الدليل على انها نُقلت الينا كما نطق بها قائلوها . وقد علمت ان ائمة اللغة منعوا الاحتجاج بالحديث لِما عرض لهم من الشبهة في صحة نقلهِ فاذا كان هذا مبلغ الثقة بنَقَلة الحديث مع قربهم من صدر الاسلام فما الظن بمن جآء بعدهم الى يومنا هذا . ثم انهُ على تسليم ان هذه الالفاظ نُقِلت على اصلها وليس من ينكر ان اللغة قد دخلها كثيرٌ من الفساد وهو ولا شك مما لا يبرأ منهُ كلام أولئك المؤلفين كما لم يبرأ منهُ كلام غيرهم فكيف يميَّز بين ما بقي على صحتهِ وما دخلهُ الفساد وما القانون الذي يُرجَع اليهِ في مثل ذلك . فان قيل انّا نقيس كلامهم بكلام العرب فان وافقهُ فهو صحيح والا فهو فاسد قلنا هـذا يُسقِط دعوى السماع لان القياس ليس شرطاً فيهِ وهو انما يصار اليهِ بعد انتفآء السماع كما سبق لنا ذكرهُ فعادت المسئلة الى ما قرّرناهُ

والظاهر ان اصل هذه الدعوى مبنيٌّ على ما جآء في المزهر من قولهم ان كلام العرب لا يحيط بهِ الاّ نبيّ ثم ما جآء بعد ذلك من قول ابن فارس ذهب علمآؤنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الأقلّ. قلنا نعم لكن هذا القول من وادٍ والذي ذهبوا اليهِ من واد فان مراد ابن فارس ان اكثر اللغة قد ذهب من الالسنة ولم يبقَ لذلك العهد من يعرفهُ لا ان الذين نقلوا اللغة ذكروا بعضاً منها واغفلوا بعضاً لانهُ يقول في عنوان هذا الباب ان الذي جآءنا عن العرب قليلٌ من كثير وان كثيراً من الكلام ذهب بذهاب اهلهِ . على انهُ سرَد بعد ذلك امثلةً من ذلك الكثير وهي الفاظٌ ذكر انهم لم يهتدوا الى حقيقة معناها وانهم فسروا بعضها من طريق

الاحتمال كقولهم كَذَبك كذا وعنك في الارض وعبدٌ مُسبَع وخاء بكما وخاء بكم الى ما اشبه ذلك وليس فوت مثل هذا مما يُعَدّ نقصاً في اللغة ولا هذه الالفاظ واشباهها مما يدخل في دعوى أولئك القائلين . واما ما سوى ذلك من الالفاظ التي حرصوا على جمعها وتدوينها فلا شك انهم لم يهملوا شيئاً من اصول المَوادّ التي عليها المعوّل في السماع وان وُجِد ما سهوا عن ذكرهِ فهو في الغالب من الالفاظ التي يرجع حكمها الى القياس . وقد ذكرنا في غير هذا الموضع اننا عثرنا في القاموس على نحو ست مئة لفظة لم تُذكَر في مظانّها واكثر هذه الالفاظ من ذلك على ان منها ما لا يخلو من سبق قلم وقد يكون بعضهُ من خطأ النساخ . ولا بأس ان نورد لك بعض هذه الالفاظ مع الكلام على كلٍّ منها وبيان ما فيهِ زيادةً في التبصرة والله وليّ الهداية (ستأتي البقية)

البخت

قرأنا في احدى المجلات الانكليزية مقالةً تحت هذا العنوان بقلم احد الكتّاب الانكليز المستر جون هولت سكولن فاحببنا نقلها الى العربية لما فيها من الآراء السديدة في هذا المعنى الذي يشغل افكار الجمهور في كل حين قال

نجد كثيرين من الناس يتشكون من بختهم فكلما صادفوا امراً معاكساً لرغائبهم ومخالفاً لامانيهم تململوا وقالوا « نحن سيئو البخت » ونرى غيرهم ممن تختلف طوالعهم بين فوزٍ واخفاقٍ فلا نكاد نجدهم

يتذمرون من سوء بختهم او يغبطون انفسهم بسعد طالعهم . ولكن السواد الاعظم من الفريقين اي من ذوي البخت الحسن والبخت السيء ليس لهم ان يلقوا على البخت تبعة اعمالهم لان سر نجاحهم او سر تأخرهم انما هو في استعدادهم الشخصي لا في طوالعهم ولنا على ذلك شواهد عديدة يثبت فيها بعد الفحص ان طالعهم حسناً كان او سيئاً ليس الاّ نتيجة افعالهم وليس فيهِ ما يترتب على البخت الحقيقي . ففي اخفاق بعض المساعي مثلاً يجب ان يُنظَر الى عامّة احوال الشخص خطيرةً كانت في نفسها او مما لا يُعتَدّ بهِ في بادي الرأي كالمحافظة على المواعيد والاهتمام بالمسائل الطفيفة التي قد لا يخطر على بال سيء البخت ان لها اثراً في احوالهِ فانهُ كثيراً ما يتوقف على هذه الامور الزهيدة نجاح الانسان وتوفيقهُ ولو انها لا تؤثر في بعض الاحوال تأثيراً جوهرياً غير انها تكون كعُصافة الزرع التي تدل بتحركها على جهة هبوب النسيم

ويغلب ان يكون سر البخت السيء عصفةً فكرية تقضي بانجاز عمل من الاعمال عن غير تروّ ولعلهُ لا يوجد فارقٌ يفرق بين حسني البخت وسيئيهِ سوى سجيّة التأني . وليس القصد من التأني البطء او البلادة في تمييز الاعمال المهمة التي يجب ان تُنجَز في احوال معينة بل الغرض منهُ عدم التسرُّع في فحص الاعمال وانجازها لئلاّ تهمَل بعض النقط الجوهرية فيها . فاني اعرف اناساً خدمهم التوفيق في اهم احوالهم وكنت الاحظ انهم سواءٌ قالوا او فعلوا كانوا يتأنون في الاحوال التي اعتاد الذين يشكون عدم التوفيق ان يتسرعوا فيها فيعجزون عن ان ينجزوا

العمل كما يجب انجازهُ واخيراً يقولون « هذا بختنا »

فمما تقدم يتضح غلط الناس في انهم احياناً كثيرة يعزون الى البخت من حسن النتائج او رداءتها ما يكون في الحقيقة مترتباً على نوع تصرُّفهم فيكون حسناً اذا احسنوا تدبُّر ما يرومون صنعهُ والعناية باتمامه وسيئاً اذا اساءوا التصرف في الامرين

اذا تقرر هذا فلنعد الى البحث فيما كنا في صدده وهو اثبات وجود البخت او عدمه فان من الناس من يزعم انهُ لا يوجد شيء يسمى بختاً وان حالة الانسان مهما كانت انما تتوقف على فعله الشخصي · ولكن هذا الزعم تطرُّف فاني اعتقد انهُ يوجد بخت حسن وبخت سيء وكلاهما يطرآن على الانسان على وجهٍ غير معيَّن ولا مؤكد ولكنهما يختلفان تمام الاختلاف عن نوعي البخت اللذين تقدم ذكرهما وذهبنا الى ان سرهما يرجع الى نوع تصرف الانسان · وذلك انهُ قد يكون لبعض الناس عقلٌ سامٍ ورأيٌ سديد وهمة عالية تتغلب على بختهِ فتكون علة سعادتهِ وقلما تجد بين امثال هذا الشخص من يتغلب عليهِ البخت السيء ويقف في طريق نجاحهِ ولكنهُ على الغالب يكون موفقاً ويكون علة ذلك ما ذكر من حسن استعداده · وكذلك تجد من الناس من يكون ذا عيوب ونقائص وضعف في عقلهِ واستعدادهِ وقد يكون حسن البخت ولكنهُ مع ذلك تسوء حالهُ ولا تكاد تجد من امثالهِ من يتغلَّب حسن بختهِ على ما فيهِ من نقص الاستعداد بل الغالب في من كان كذلك ان يصيبهُ الحرمان والاخفاق

فالبخت موجود فعلاً وحياة كل فرد مكتنفة باحوال خارجة عن حكم ارادته وسياسته وبعيدة عن مرمى بصيرته . ولكن ليست هذه الاحوال موفورة ومتغلبة الى الحد الذي يتوهمهُ بعض الناس ممن عدموا قوة التمييز والاستبصار وفقدوا القوة اللازمة للتسلط على هذه الاحوال الخارجية التي هي مصدر البخت . واذا انكرنا وجود البخت بهذا الحدّ لزم ان نسلم بان الطوارئ التي تطرأُ علينا وهي خارجة من تحت حكم ارادتنا وبعيدة عن مرمى بصائرنا تطرأ على جميع الناس بالتساوي وهذا القول ينافي الواقع ويناقض ما نراهُ من تخالف الناس في احوال حياتهم واساليب معايشهم . ولذلك لا نجد لنا بدًّا من التسليم بان البخت موجود فعلاً حسناً ورديئاً وانهُ يطرأ على كل واحد منا ولكن على مقادير متفاوتة بحيث لا ندري لهُ قياساً ولا نعلم كيف نتوقعهُ او نتوقاهُ . على ان البخت بهذا المعنى يختلف تمام الاختلاف عنهُ بالمعنى المتعارَف بين الجمهور وهو البخت الذي بعضهُ خرافيٌّ وبعضهُ ملتبس بالنتائج المترتبة على نوع استعداد الانسان وصفاته الشخصية

ولا يخفى اننا مع تعرضنا كل حين للطوارئ المختلفة يستحيل علينا ان نعلم ايها يكون بختاً حسناً وايها يكون بختاً رديئاً . فاذا ورث زيدٌ مثلاً من قريبٍ مجهول ثروةً كبيرةً نحسب هذه الحالة بختاً ولكن لا نعلم هل هو لهُ بخت حسن او سيّئ لاننا نجهل ماذا يكون تأثير هذه الثروة على حياته . وكذلك اذا اصيب احد الناس بمصيبة او جرح او أُعدي بمرض او قُتل في حال عدم تعرضه للقتل كان ذلك بختاً لانهُ جاءَهُ من جانب

الغيب ولم يترتب على شيء من سعيهِ وعملهِ ولكن لا ندري ايُّ نوعٍ من البخت هو احسنٌ ام سيّءٌ . وليتأتى لنا الحكم في ذلك ينبغي ان نعرف كيف تكون حالة الانسان فيما لو طرأ عليهِ هذا الحادث وحالتهُ فيما لو لم يطرأ عليهِ ثم نحكم اي الحالتين افضل لهُ . فقد تكون حادثة قتلهِ مثلاً بختاً حسناً لهُ اذ تخلصهُ من حياةٍ يقضيها بالشقاء والعذاب في عشرة امرأة سليطة شريرة او في حالةٍ من الفقر والعناء يموت لاجلها كل يوم مراراً .

فترى مما تقدم ان تسليمنا بوجود البخت وبانهُ يطرأ على كلٍّ منّا على غير قياس ومن حيث لا ندري لا يستلزم اننا نقدر ان نميز هل يكون بختنا حسناً او سيئاً ومن الجهالة ان ننكر وجود البخت ونزعم ان الاحوال والطوارئ الخارجة من تحت سلطتنا وعلمنا موزعة على الجميع بالتساوي كما انهُ من السخافة ان نزعم اننا خُلقنا متساوين في القوى العقلية والبدنية او ان نقول ليس خروجنا من دائرة تأثير البخت اقل احتمالاً من وقوع القرش مرةً على حرفهِ بين ملايين المرات التي يقع فيها تارةً على احد وجهيهِ وتارةً على الآخر

ومع ما يؤدي اليهِ مجمل البحث من صحة وجود البخت حسناً كان او سيئاً فليس من الحكمة ان يُتّكل على تأثير البخت ويُستسلَم اليهِ لان طروء كل واحدٍ من نوعيهِ خفيٌّ عنّا تمام الخفاء . ولعل الذين يبتغون بياناً واضحاً عن صحة البخت الحقيقي هم الاشخاص السيئو البخت الذين أُلمع اليهم في استهلال هذه المقالة فان كثيرين من الناس يعتقدون تمام الاعتقاد انهم قد قضي عليهم لاسباب مجهولة ان يتلقوا بختاً سيئاً . ولكن

الصحيح ما ذكرناهُ من ان معظم الحوادث التي تنسب الى سوء البخت ليست على الحقيقة في شيء من البخت بل هي نتيجة نقص في استعدادهم الفطريّ ونوع تصرفهم في مزاولة الاعمال فالاجدر بامثال هؤلآء ان ينفوا من ضمائرهم اعتقاد ان البخت السيء مطاردهم فيسهل عليهم حينئذٍ ان يعللوا اسباب حبوطهم واخفاقهم ويتلافوها بقدر الامكان اذ الاعتقاد بسوء البخت الشخصي يثبط الهمة ويوهن العزيمة وبالتالي يفضي الى النتيجة المتوقعة من سوء البخت الحقيقي . واخيراً فان الفكر الثاقب والتدبر الحازم والعمل المحكم تقاوم الطوارئ المجهولة التي هي مصدر البخت السيء وكثيراً ما تتغلب عليها وتنفيهِ . وعلى هذا المعنى نورد عبارة جآءت في الحكمة الوثنية وهي هذه

« اسرع دائماً في الطريق الاقرب لانهُ هو الطريق الطبيعي واذا قلت او فعلت فليكن ما تتوخاهُ في كلا الحالين معقولاً لان الحزم اسُّ النجاح »

كذلك يقول حكمآء اليابان ومن هذا يُستدَلّ على ان هذه الامة اكثر الامم اتصافاً بصفة الاعتماد على الفكر الثاقب والعمل السديد واعتقاد ان القوة المجهولة التي تفعل فعلها هي من ورآء الاشيآء التي تحت سلطة الانسان . وفي الوقت نفسهِ لا يعلّق اليابانيون عملاً على البخت اذ البخت الحقيقي حسناً كان او سيئاً لا بد ان يصادف هؤلآء القوم ويطوف على كل افرادهم كما يطوف على كل واحد من افراد البشر

نقولا الحداد

الفواكه والهضم

جآء في احدى المجلاّت العلمية الانكليزية تحت هذا العنوان ما تعريبهُ

لا يخفى ان الفواكه تتضمن بعض الاملاح التي تدخل في بنآء انسجة الجسم كما ان من خصائصها ان تساعد على تقوية الدم بما فيها من الحديد . وقد ذكر الدكتور غُردُون شَرْپ انها تهضم الاغذية النتروجينية فاذا وُضِع آح (زلال) بيضة في صحفة من زجاج بين طبقات من التوت الارضي (الفريز) الجَنِيّ الناضج بعد تقطيعه قطعاً وتُرِك كذلك يتمّ هضمهُ بعد نحو ثماني ساعات . وقد ثبت لهُ مثل ذلك في الكَرَز الناضج ووجد انهُ اذا أُخذ منهُ خلاصة جافة بقي مفعولها الى مدة سنتين . ومما ثبت ايضاً ان عصير البرتقال يعين على الهضم ومثلهُ عصير الكُمَّثرَى والتفاح . اما الفواكه التي تُحفَظ في العلَب فلا مفعول لها في الهضم لان طول تعريضها للحرارة العاليةِ اللازمة لحفظها يزيل ما فيها من الخمير الهاضم . على ان سَلق الفاكهة او خَبْزها لا يزيل كل خميرها ما لم يتناهَ فعل الحرارة فيها ويعرَف زوال القوة الهاضمة منها بزوال طعمها فانهُ اذا زال بتمامهِ تكون قد فقدت كل خميرها

ثم انهُ للحصول من الفاكهة على نفعٍ اتمّ يجب ان تؤكل في آخر كل وجبةٍ من الطعام وهي القاعدة العامّة التي وضعها الدكتور غردون شرپ في مجلة اللَنْسِت الا ان هذه القاعدة لا تخلو من شواذ . وذلك ان الموز مثلاً فيهِ شيءٌ من القوة الهاضمة الا انهُ اقرب الى ان يُعَدّ في جملة

الاغذية من ان يُعَدّ في جملة الفواكه ولذلك يجب ان يؤكل مع الطعام لا بعده . ومن الناس من يؤثر ان يقطّعهُ قِطَعاً رقيقة ويأكلهُ مع الخبز والزبدة واذا لم يكن تامّ النضج يجب ان يوضع في فرن مُحمًى حتى يلين . وكذلك التفاح يجب ان يُخبَز في فرن او يُشوَى على النار وبكلٍ من الطريقتين لا يزول طعمهُ . ثم انهُ اذا أُخذ ست او ثماني خوخات مسلوقة في الصباح قبل الطعام بنصف ساعة عقبها في الغالب لين في الامعاء وبخلاف ذلك ما لو أُخذت مع الطعام او بعدهُ فانهُ لا يكون لها هذا الفعل ولو أُخذ منها ضعفا هذا العدد . وكذلك التين والتفاح المسلوقان ينبغي ان يؤكلا في الصباح ايضاً حين تكون المعدة قادرة على احتمالهما . على ان كثيراً من الفواكه اذا أُكل والمعدة خالية يولّد حموضةً في الجوف ولا سيما العنب فانهُ اشدّها ضرراً من هذا القبيل

فريد البرباري

وقفةٌ على الشاطئ

وقفتُ يوماً مُعجَباً بالبحرِ ومنظرِ الامواج عند الفجرِ
يمتحنُ الموجُ ثباتَ الصخرِ مداعباً بمدِّهِ والجزرِ
مهدداً بكرّهِ والفرِّ

كأنما الامواج تبدي الغضبا فتضربُ الصخرَ بسيفٍ ما نبا
لكنما يرجعُ زندٌ ضَرَبا محطَّماً يشكو اليها العطبا
لذا تجيشُ جيشانَ القِدرِ

تصيحُ بالرفاقِ يا للثارِ ويا لكشفِ العارِ والشنارِ

فلنحملنَّ حملة الجبّارِ بعسكرٍ من جيشنا جرّارِ
اذ لا يُنال العزُّ دون النصرِ

وهكذا تجتمع الامواجُ مصطفةً كأنها ابراجُ
تسير منها للوغى افواجُ وقد تعالى صوتها العجَّاجُ
وتضرب الصخرَ بسيفٍ يفري

ولا تكفُّ الكرَّ في الاسحارِ والليل والاصيل والنهارِ
وشأنها الثبات في المضمارِ حتى تنال الفخر بانتصارِ
ولا يُنيل النصر غير الصبرِ

والشمس قد بانت من الخباءِ فانعكست صورتها في الماءِ
لاحت لنا كالغادة الحسناءِ تنظر في المرآة بازدهاءِ
مسبلةً تيهاً حبال الشعرِ

وقد سرى النسيم في الصباحِ ينعشُ قلبَ المبتلى الملتاحِ
لو انهُ يُمسكُ بالاقداحِ لكان يغني عن عتيق الراحِ
مستهوياً مجلسَ منعِ السكرِ

مناظرٌ في الصبح تجلو النظرا وتُبعِد الهمَّ وتنفي الكدرا
فالجوُّ مثل البحر يبدو نَضِرا كأنَّ ذا بعينِ ذيّاك يَرَى
أيُّهما المرآة لسنا ندري

قيصر ابرهيم المعلوف (البرازيل)

مطالعات

بُنّ جديد — من المعلوم ان خاصّية التنبيه في القهوة ترجع الى مادّةٍ في حبوب البنّ تُعرَف في اصطلاح اصحاب الكيمياء بالقهوين وهي مادة من اشباه القلويات يمكن ان تُستخلَص فتكون في شكل بلورات إبْريّة قليلة الشفوف ويختلف مقدارها في البن العربي من ٨ الى ١٦ غراماً في الكيلغرام وتنتهي في بن الكنغو الى ٢٠ غراماً في المقدار المذكور

وقد ذكرت احدى المجلات الفرنسوية ان المسيو جبريل برتران احد مشاهير كيماويي الفرنسيس عثر سنة ١٩٠١ على صنفٍ من البنّ ينبت في جزيرة كُومُورا الكبرى بشرقيّ افريقيا وجد بعد تحليلهِ انهُ خالٍ من القهوين وفي رأيهِ ان ذلك ليس من تأثير التربة لان البنّ العربيّ قد زُرع في اراض مختلفة الطبائع وحيثما زُرع كان فيهِ مقدارٌ من هذه المادّة لا يقلّ عمّا ذُكر. وقد عثر بعد ذلك على ثلاثة اصناف أُخَر واردة من جبل العنبر بشمالي مدغسكر فوجدها كذلك خاليةً من المادّة المذكورة. وهذه الاصناف الاربعة كلها برّية وهي تباين بعضها بعضاً في الشكل وتخالف بقية اصناف البن المعروفة في طبيعتها النباتية وفيها فضلاً عن ذلك طعم مرارةٍ لا يزول بالتحميص لكنهُ يؤمل ان هذه المرارة يمكن ازالتها بالمعالجة الزراعية واذ ذاك يمكن ان يتخذ منها نقاعة تشبه نقاعة البن العربي في الطعم مع خلوّها مما يضرّ بالصحة

الهيپرمِكْرُسكُوپ — لا حاجة الى بيان ما نشأ عن اختراع المكرسكوپ أو المِجهَر من الفوائد في جميع العلوم اذ اعان الباصرة على ادراك ادقّ الاشياء واخفاها مما لم يكن يُدرَك الا بالتصوُّر. فان غاية ما يتناوله البصر الطبيعي لا يتجاوز عُشر المليمتر الى نصف عشره واما ما وراء ذلك فهو مما لا تبصرهُ العين اصلاً ولكن بعد اختراع المجهر اصبحت تدرك ما لا يزيد قطرهُ عن ٣ اعشار المِكرُون وهو جزء من الف من المليمتر فتكون قد ازدادت قوة البصر نحواً من الف ضعف

غير ان الاجسام لا تقف عند هذا الحدّ من الصغر لان الجسم ينقسم الى ما لا نهاية لهُ فبقيت الحاجة داعيةً الى استنباط آلةٍ يُستعان بها على ادراك ما هو دون ذلك في الحجم وتكون منزلتها من المجهر منزلة المجهر من العين. ولا يخفى ان مثل هذه الالة لا تنحصر فائدتها في ادراك الذرّات التي ينقسم اليها الجسم ولكن هناك اجساماً أُخر يترتب على الكشف عنها فوائد جمة كجراثيم بعض الامراض المعدية من نحو حُمَّى البقر النُفاطية وطاعون الطير وداء الكَلَب وغير ذلك مما لم تُعرَف جراثيمهُ الى اليوم وهي موجودة بلا شك لانها تُستفرَخ استفراخ الجراثيم المعروفة وعلى نفس الطريقة

وقد توصلوا الى استنباط الآلة المذكورة وسموها بالهيپرمِكرُسكوپ اي ما وراء المكرسكوپ أو مُجهِر المِجهَر. وهي على الحقيقة ليست الا المجهر بعينهِ لكن العادة في المجهر ان يوجَّه النور الى الجسم المراد فحصهُ من الاسفل بحيث تتجه الاشعة على مؤازاة محوَر الانبوب واما في الهيپرمكرسكوپ

فترسل الاشعة من الاعلى بحيث يكون اتجاهها عمودياً على المحور . ففي الحال الاولى اذا وقعت الاشعة على الذرّات او الجراثيم المراد فحصها انارتها من الاسفل وبقي الجانب الموجه منها الى العين في الظلّ فاذا تناهت تلك الجراثيم في الصغر لم ترَ العين منها شيئاً . وبخلاف ذلك ما اذا وقعت الاشعة من الاعلى فان كل جرثومة منها تعكس شعاعاً من الاشعة الواقعة عليها في محور الانبوب فيظهر المنظر هناك شبيهاً بسمآءٍ ذات نجوم . وفي هذه الحال لا يُعتبَر حجم الجرثومة لان الذي يجعلها منظورة انما هو الشعاع المنعكس عنها واذ ذاك لا يمكن ان تخفى مهما تناهت في الصغر . انتهى تحصيلاً عن بعض المجلات الفرنسوية

اسئلة واجوبتها

بور سعيد — حدثني بعض اصحابي ممن اثق بصدق قولهم عن اناس ينهضون من اسرّتهم وهم نيام فيعملون اعمالاً غريبة مثال ذلك ان احدهم كان ينهض من فراشهِ ليلاً فيوقد المصباح ويفتح باب غرفتهِ وينزل فيمشي في الطريق الموصل الى محلّ اشغالهِ فيفتحهُ ويشرع في تنظيف الادوات التي يستعملها وبعدئذٍ يردّ كل شيء الى محلهِ ويعود الى غرفتهِ وكان يفعل كل هذا وهو نائم لا يعي شيئاً مما فعلهُ وكان اعتقادهُ ان خادم المحل هو الذي يقوم بتنظيف ادوات محلهِ . فاذا كان هذا الرجل يفعل ما تقدم وهو نائم فكيف يتأتى لهُ ان يعرف جهة الباب اولاً ثم ما الذي ارشدهُ لاتباع الطريق المؤدية الى محلهِ ولمَ لا يتوجه الى موضع آخر ثم ما الذي يحمل

هذا الرجل على هذه الافعال الغريبة وهل لتلافي هذا العادة من علاج

مارون البيروتي

الجواب — هذه مسئلة تحتمل كلاماً طويلاً لا يسعهُ هذا المقام فسنفرد لها فصلاً مخصوصاً في الجزء الآتي ان شآء الله

حيفا — من المعلوم ان من المؤنث المجازيّ ما لا علامة فيهِ للتأنيث كالشمس والنار ونجد كتب اللغة لا تنبه دائماً على مثل ذلك فهل من قاعدةٍ نميّز بها المؤنث من هذه الاسمآء　　مستفيد

الجواب — التأنيث في هذه الاسمآء سماعيٌّ سوى انهم ذكروا ان اسمآء الاعضآء اذا كانت من الشفعية كاليد والرجل فهي مؤنثة وان لم تكن كذلك كالرأس والانف والفم فهي مذكرة. لكن هذا غير مطّرد فيها فان الخدّ مثلاً والصُدغ والفوْد واللَحي والحِجاج والحقو وغيرها كلها مذكرة. ونحن نذكر لكم هنا اشهر ما يؤنث من هذه الاسمآء وهو من الاعضآء العين والاذن والسنّ واليد والكفّ والكتف واليمين والشِمال والخنصر والبنصر والضِلَع والكَرِش والوَرِك والرِجل والفَخِذ والساق والقدم والعقِب . ومن غيرها السمآء والارض والشمس والريح والنار والدار والبئر والنعل والعصا والرحى والفأس والقَدُوم والنَوَى ودرع الحديد والنفس بمعنى الروح . فاما درع المرأة وهو قميصها والنفس بمعنى الشخص كما في قولك عندي ثلاثة انفس فهما مذكران

ومنها ما يذكَّر ويؤنَّث وهو من الاعضآء اللسان والعاتق والقفا

والضرس والإبط والبطن والكُراع والذراع والاصبع والابهام والعَضُد والعنق . ومن غيرها الروح والسِلْم والإزار والسلاح والصاع والعسل والفُلك والموسى والقوس والخمر والسوق والسُرَى والضُحَى والحال والسكّين والسُلَّم والسبيل والطريق والزُقاق والسراط . غير ان من هذه الاسمآء ما التذكير فيهِ اعلى وهو اللسان وما يليهِ من الاعضآء الى الكراع والروح وما يليهِ من غيرها الى الموسى ومنها ما التأنيث فيهِ اعلى وهو الذراع والاصبع والابهام والقوس وما يليها الى الضُحَى . ومنها ما يستوي فيهِ الامران وهو من الاعضآء العَضُد والعنق ومن غيرها الحال وما يليها الى آخر السرد

آثار ادبيّة

مجلة جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الاخلاق الاسلامية — تلقينا العدد الاول من هذه المجلة لسنتها السادسة وهي مجلة دينية علمية ادبية تهذيبية تصدر بالاسكندرية في غرة كل شهر عربي . وقد تصفحنا هذا العدد منها فوجدناهُ حافلاً بالمقالات المفيدة العائدة الى تربية الاخلاق على الصفات الكريمة والحث على ابتغآء المناقب الكمالية منها مقالةٌ في فضائل الدين الاسلامي وما يأمر بهِ من الرحمة والمؤاساة والوقوف عند حدود النَصَفة والاعتدال ومقالة في فلسفة الحياة وما ينبغي للانسان ان يتمتع بهِ فيها وما يتزوّدهُ منها ومقالة في العادات المستهجنة فنّد فيها الكاتب ما يجري في المآتم لهذا العهد مما يخالف روح الاسلام الى غير

ذلك من كل ما فيهِ تبصرةٌ للالباب وتهذيبٌ للاخلاق وتقويمٌ للسيرة والسريرة

وقيمة اشتراك هذه المجلة ٣٠ قرشاً في القطر المصري و١٠ فرنكات في الخارج وتُعطَى بنصف القيمة لطلبة العلم وتلامذة المدارس وقد أُرصِد ريعها لمساعدة الايتام والفقرآء والعجَزة . فنحن نثني اطيب الثنآء على رجال الجمعية المشار اليها لما يبذلون من السعي في خدمة الانسانية ونحضّ طلّاب العلم واهل الخير على الاشتراك فيها للانتفاع بما تتضمنهُ من الفوائد والآداب واغتنام نصيبٍ من هذه المبرّة الكريمة التي بمثلها يُدَّخَر جميل الثواب

المرشد الامين الى حقائق الدين — هو سفرٌ جزيل الفائدة وضعهُ حضرة الفاضل الشماس فرح جرجس احد مدرّسي الدين في المدرسة الاكليريكية القبطية بالقاهرة . وقد ضمّنهُ عدة مباحث فلسفية خطيرة في منشأ الديانة وسبب وجودها وحاجة العالم الى الدين وتكلم على الشريعة الادبية والشريعة الطبيعية والوحي والنبوءة وغير ذلك متوخياً في الكثير منهُ الادلة العقلية والبراهين الفلسفية . فنثني على حضرة مؤلفهِ بما يستحقهُ مثل هذا العمل المفيد ونحث طلاب الحقائق الدينية والادبية على مطالعتهِ وهو يُطلَب من اشهر مكاتب القاهرة وثمن النسخة منهُ خمسة قروش خلا اجرة البريد

فكاهات

شرلوك هولمز[1]

(عود الى ما في السنة السابعة)

— ١٣ —

خسارة الرهان

حدّث الدكتور طمسن قال كثيراً ما كانت تبغلنا رسائل برقية مبهمة وغريبة تتعلق بعملنا مدة مرافقتي لشرلوك غير ان اغربها رسالة جاءَتنا في صباح احد الايام بهذه الصورة

« انتظرني . مصيبة فادحة . فقدنا ثلاثة ارباع . ضروري غداً »

« اوفرتن »

فاخذ شرلوك يعيد تلاوة الرسالة ويراجع تاريخها وجهة ارسالها وبعد نحو ربع ساعة قال ان الرسالة قادمة من شارع استراند وقد ارسلت عند منتصف الساعة الحادية عشرة ويظهر ان المستر اوفرتن قد كتبها بمنتهى السرعة وهو مشرد الافكار حتى لا يُفهم منها شيء على انهُ لا بد ان يأتي فلننتظرهُ

اما انا فسرني جدًّا قدوم تلك الرسالة لانهُ كان قد مضى علينا حين من الزمن لم نعمل فيهِ عملاً وكان شرلوك يضايقهُ السكون ويمرضهُ لان ذلك الدماغ الغريب كان دائم الحركة والعمل فاذا لم يكن لهُ ما يعمل دار على نفسهِ فاضعف صاحبهُ واوقعهُ في ساعات الذهول وصغر النفس . فما صدقت ان جاءَهُ ما يشغلهُ فرأيتهُ قد تغير فجأةً فابرقت اسرتهُ وظهر على وجههِ الابتسام كالطبيب الذي يُدعى لمعالجة

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

مريض بعد ان يمر عليهِ زمن لم يتعاطَ فيهِ صناعتهُ . ولم يَطل علينا امد الانتظار حتى قرع الباب ثم دخل علينا رجلٌ قصير القامة غليظ الجسم و بعد ان القى التحية قال قد ذهبت الى دار الشحنة فقابلت المفتش هوبكنس فاشار عليَّ ان اجيء اليك يا مستر شرلوك هولمز لان امري يتعلق بهمتك اكثر منهم . اما قصتي فغريبة جدًّا ولا اعلم كيف لا ازال حيًّا بعد حدوث ما جرى . انك ولا بد تعرف جودفري ستنتون الشهير الذي عليهِ اعتمادنا في مسابقة الغد والذي اذا لم يكن معنا خسرنا كل شيء لانهُ يقاس بثلاثة ارباع الكل. وقد ذهب او اختفى او اختطف لا اعلم ولكني اعلم انهُ لا غنى عن وجودهِ لمسابقة الغد والا افتضحنا وسقط اسمنا سقطةً لا قيام منها٠وكان الرجل يتكلم باضطراب شديد حتى لم نفهم منهُ شيئاً ولما فرغ من كلامهِ اخذ شرلوك معجمهُ الخاص وفيهِ دليل الاسماء و بعد ان قلب عدة صفحات قال اني اعرف ارثر ستنتون المزوّر وهنري ستنتون الذي ساعدتُ الشحنة على القاء القبض عليهِ واعدامهِ اما جودفري ستنتون فلا اعرف عنهُ شيئاً . فقال اوفرتن يا للعجب وهل يوجد في كل انكلترا من يجهل هذا الاسم . قال شرلوك مهلاً يا صاح انهُ لا فائدة من هذا الكلام واذا بقيت على هذه الحالة من القلق والاضطراب اضعنا وقتنا بدون جدوى فهل لك ان تملك روعك وتخبرني عن واقعة حالك بالتفصيل . فوجم اوفرتن هنيهةً ثم قال لا يخفى عليك- يا مولاي اننا في مدرسة كمبريدج وقد ألفنا جمعية للالعاب الرياضية والبدنية و يوجد مثل هذه الجمعية في مدرسة اكسفورد ايضاً . وقد جرت العادة من زمان طويل ان تحصل مباراة بين جمعيتي المدرستين وكانت جمعيتنا دائماً الغالبة بوجود جودفري ستنتون معنا فانهُ اقدر انسان في جميع ضروب تلك الالعاب وجميعنا نعتقد انهُ بمنزلة ثلاثة ارباع جمعيتنا . وقد تعين الغد للمباراة بين المدرستين فجئنا الى هنا ونزلنا في فندق بنتلي ونحن مؤكدون الفوز بوجود جودفري المذكور . وعند الساعة العاشرة ذهبت لارى اعضاء الجمعية فوجدتهم قد دخلوا جميعاً الى غرف النوم لان استيفاء الحظ الكافي من النوم يعد من الزم الامور لصحة اللاعبين . ورأيت جودفري فكلمتهُ فرأيتهُ

اصفر اللون وعليهِ علامات الكمد فسألتهُ عن السبب فقال لي انهُ يشكو ألماً في رأسهِ فأشرت عليهِ ان يذهب الى سريرهِ في الحال وتمنيت لهُ العافية والنوم المريح . وبعد نصف ساعة اخبرني البواب ان رجلاً ذا لحية كثيفة ومنظر جافٍ جآء برسالة الى جودفري ولم يكن قد نام بعد فاخذوها اليهِ فلما قرأها سقط على كرسيهِ كأنهُ اصيب بصاعقة . فخاف البواب جدًّا وهمَّ ان يناديني فاستوقفهُ جودفري ثم تمالك فنهض وشرب كأساً من المآء ثم نزل الى الباب فكلم الرسول شيئاً وسارا معاً . وآخر ما يعرفهُ البواب عنهما انهُ رآهما يجريان بشدة الى جهة شارع استراند . ولما قمت اليوم صباحاً وجدت غرفة جودفري خالية وسريرهُ يدل على انهُ لم ينم فيهِ وكذلك بقية حوائجهِ كانت لا تزال على حالها فانهُ ذهب مع الرسول كما ذكرنا فلم يرجع ولم يكتب الينا عن سبب غيابهِ واخاف انهُ لا يرجع ابداً فاني اعرف جودفري وهو لا يجهل خطر الحالة ويحب جمعيتهُ ورئيسها فلو لم يكن في الامر دواعٍ غير عادية لما تركنا في هذا الموقف

وكان شرلوك يصغي بمنتهى الانتباه فقال وماذا فعلت اذ ذاك . قال انني استعلمت بالبرق من المدرسة عن رجوعهِ اليها فقيل لي انهُ لم يرهُ احد . فارسلت رسالة اخرى برقية الى اللرد مونت جيمس عمّ جودفري ومربيهِ بعد وفاة والديهِ . واللرد المذكور هو كما تعلم احد اغنيآء الانكليز وقد قارب الثمانين من عمرهِ ولم يتزوج وهو مريض لا يخرج من قصرهِ الا نادراً وقد ضمَّ اليهِ جودفري لانهُ وارثهُ الوحيد ولكنهُ بخيل في الغاية حتى انهُ لم يعطِ جودفري في حياتهِ ليرة واحدة لينفقها على نفسهِ . اما السبب في سؤالي عنهُ من عمهِ فهو اني لما رأيتهُ بالامس على ما ذكرت من الكمد والانقباض خطر لي انهُ قد يكون في عسرٍ مالي وانهُ قد ذهب الى عمهِ ليطلب منهُ ما يستعين بهِ . اما رسالتي الى اللرد فلم احصل لها على جواب. فقال شرلوك يسهل علينا معرفة ذلك ولكن لا بد من معرفة سبب زيارة ذاك الرسول الليلي وما هي الرسالة التي سببت انقباض جودفري وخروجهُ وسأتفرغ اليوم للبحث عن كل ذلك غير اني انصح لك ان تعود الى تدبير اللازم لمسابقة الغد بقطع

النظر عن عودة جودفري لانهُ لا بد ان اسباباً في منتهى الاهمية استدعتهُ وليس من المحتمل ان يرجع في الوقت المطلوب . اما انا فذاهب الى الفندق لعلي آخذ بعض الدلائل من البواب

ولما بلغ شرلوك الفندق ودخل غرفة جودفري اخذ يستنطق البواب فذكر لهُ ان الزائر الليلي كان رجلاً متوسط القامة في الخمسين من عمرهِ لهُ لحية كثيفة وانهُ رأى عليهِ علامات اضطراب وكانت يدهُ ترتعش عند ما سلم الرسالة . وقد لاحظ ان جودفري لم يصافحهُ وانهُ بعد تلاوة الرسالة وضعها في جيبهِ ثم كلمهُ شيئاً لم يسمع منهُ البواب سوى كلمة الوقت ثم انهما خرجا بسرعة وكان ذلك في منتصف الساعة الحادية عشرة . قال وكانت قبل ذلك نحو الساعة السادسة قد وصلت رسالة برقية معنونة باسم جودفري فسلمتها اليهِ في غرفتهِ فتلاها ثم كتب الجواب واخذهُ بنفسهِ وقد رأيتهُ يكتبهُ على تلك الاوراق التي على المائدة ولكنني لم انظر الى ما كتب . فشكر شرلوك البواب وصرفهُ ثم تقدم الى المائدة وفحص الاوراق هنيهةً ثم قال يظهر انهُ كتب الرسالة بالحبر ولو كتبها بقلم رصاصي لتمكنا من معرفة اثرها ولكن لا بد ان يكون قد نشف الكتابة . ولما قال ذلك اخذ النشافة وقلبها في يدهِ فرأينا عليها اثر كتابة سطر مقلوبة فادناها من المرآة فانعكست واذا فيها ما يأتي « استحلفك بالله ان لا تتركنا » . فقال شرلوك قد بدأنا نرى شيئاً من الحقيقة فهذه الكلمات الخمس هي ختام الرسالة وتدل على ان كاتبها في خطر جسيم وان في امكان المخاطب ان ينقذهُ منهُ . ثم ان استعمالهُ صيغة الجمع يدل على وجود شريك لهُ في هذا الخطر فمن هو يا ترى وهل يكون الرسول الذي اتاهُ ليلاً فلا بد لنا من معرفة الشخص الذي أُرسلت اليهِ الرسالة . فقلت لا ارى اسهل من ذلك ايها العزيز شرلوك فلنذهب الى ادارة الرسائل البرقية ونبحث عن ذلك . فقال مهلاً ايها العزيز وطسن فاني لا اظن تلك الادارة تسمح بعرض اعمالها على كل طالب لاول وهلة فلا بد من استعمال الحيلة وايجاد الطريقة التي تضمن لنا النجاح . ولكنني ارغب الآن ان ابحث في هذه الاوراق التي تركها

جودفري هنا فلعلّ بينها دليلاً نستطيع الاهتدآء بهِ . وكانت الاوراق المذكورة مؤلفة من عدة رسائل واوراق حسابات ومذكرات كاد شرلوك يأكلها بنظرهِ فلم يجد شيئاً مهمّاً ولكنهُ سأل اوفرتن عن صحة جودفري وهل يعلم انهُ كان يشكو المًا فقال انهُ لم يرَ في حياتهِ اقوى صحة من جودفري وانهُ في كل المدة التي عرفهُ فيها لم يسمعهُ يشكو من انحرافٍ قط . فقال شرلوك اني ارى قوائم علاجات ومعالجة فلمن هـذه يا ترى واود ان احفظ هاتين الورقتين معي لعلي احتاج اليهما . فقال اوفرتن لا بأس من ذلك فانا اعلم انهما في امان اذا حفظتهما انت . فوضع الورقتين جيبهِ ولما لم يبقَ لنا ما نبحث عنهُ في المكان خرجنا منهُ وصرف شرلوك المستر اوفرتن ليعود الى تدبير مسابقة الغد وسار امامي فانطلقت اتبعهُ كظلهِ . فقادني الى ادارة الرسائل البرقية وقال يخطر لي ان اجرب شيئاً . ثم دخل فرأى الفتـاة التي تستقبل الرسائل فقال لها انني ارسلتِ رسالةً بالامس ويهمني الحصول على جوابها ولكنهُ الى الآن لم يرد واظن انني نسيت وضع توقيعي فيها فهل لكِ ان تريني الرسالة لاتحقق ذلك . قالت وفي اية ساعة ارسلتها قال بعد الساعة السادسة بقليل . قالت والى اين فوضع يدهُ على شفتيهِ واشار اليَّ كانهُ يقول لها انهُ لايجب ان يذكر ذلك امامي ثم قال لها ان ختام الرسالة هو هكذا « ان لا تتركنا » . فاخذت الفتاة محفظة قلّبت فيها قليلاً فوجدت الرسالة ودفعتها الى شرلوك فتلاها بسرعة واعادها اليها قائلاً قد صدق ظني فقد نسيت التوقيع واني اشكركِ جدًّا يا سيدتي . ثم خرج وتبعتهُ وكان يرقص طرباً فقال لم يخطر لي ان اطلع على الرسالة بسهولة كهذه . ثم مرت بنا مركبة استوقفها فركبناها وصاح بالسائق ان يسرع الى محطة القطار . فقلت لهُ هل امامنا سفر طويل ايها العزيز . قال يمكن ان تضطرنا الحال ان نبلغ كمبريدج فاني لا اتصور ان جودفري قد اختطف كرهاً ولكن الحادث في نفسهِ يستدعي اعمال الفكرة لانهُ لم يحصل الغياب الا في مساء اليوم الذي تتلوهُ المسابقة المنتظرة والغائب هو الشخص المهم الذي عليهِ الاعتماد في الفوز . ولا يخفى انهُ يحصل رهان بمبالغ طائلة في مباراة كهذه ولا يبعد ان يهتم المراهنون في ابعاد الشخص الذي

يخشون فوزهُ كما يفعلون احياناً في سباق الجياد . ويجوز ايضاً ان يكون غياب جودفري مجرد اتفاق الا ان صورة الرسالة البرقية لا تنطبق على احد هذين الافتراضين ولا يمكننا الحكم قبل تفسير تلك الرسالة وهذا ما اسعى اليهِ في ذهابي الى كمبريدج . وان ضميري يوحي اليَّ اننا سنجلو الحقيقة قبل المساء او نكون على الاقل قد استدللنا على المهمّ منها

و بلغنا كمبريدج عند الغروب فركبنا مركبة واشار شرلوك الى السائق ان يقلنا الى بيت الدكتور ارمسترونج . وكان الدكتور المذكور عالماً في صناعتهِ ومشهوراً في علمهِ حازماً نشيطاً فلما دخلنا عليهِ وكانت البطاقة التي عليها اسم شرلوك في يدهِ استقبلنا قائلاً اني قد سمعت باسمك يا حضرة المستر شرلوك هولمز ولا اجهل صناعتك ولكنني لا استحسنها . . . اجل لا انكر انك اذا صرفت همك الى البحث عن اللصوص والائمة تكون قد خدمت الانسانية ووجبت مساعدتك على كل فرد منها ولكنهُ يسوءني انك تتداخل احياناً في امور شخصية بيتية واذاعة اسرار كان يجب ان تبقى مكتومة وانك تضيع من اوقات الناس لتأخذ منهم معلومات تفيدك ولكنها تعطل عليهم الوقت الثمين فانني كنت افضل الآن ان اتمم كتابة هذا الفصل على ان اضيع وقتي في محادثتك . فقال شرلوك لا انكر ان لكل انسان رأيهُ غير ان محادثتي لك ستهمّك بما لا يقلّ عن الفصل الذي تكتبهُ فان قصدي هو عكس ما تظن وقد جئت لاتلافى شيوع بعض الاسرار البيتية واعمل على اخفائها قبل ان تصل الى ايدي الشحنة فتنشرها الجرائد وتصبح مضغةً في افواه الناس . وانني جئت اليك لاسألك عن المستر جودفري ستنتون فهل تعرفهُ وهل بلغك انهُ خرج من الفندق ليلة امس واني لاخشى ان يكون قد اصابهُ مكروه او ان لا يرجع الى المسابقة التي لا بد من حصولها في الغد . فقال الدكتور ان جودفري المذكور اعز اصدقائي اما خروجهُ من الفندق فلهُ الخيار على ما اظن ان لا يرجع الى هذه المباراة التي لا ارى لها اقل فائدة فهي لم تخرج عن كونها العاباً صبيانية . فقال شرلوك وهل تعرف اين هو الآن . قال لا . قال وهل رأيتهُ بعد يوم امس . قال لا . قال وهل

تعلم انهُ مرض في مدة معرفتك بهِ . قال كلا بل هو صحيح الجسم . فاخرج شرلوك من جيبهِ قائمة حساب وقال وعلامَ اخذت منهُ هـذه الثلاث عشرة ليرة التي ينطق بها هذا الوصول عن اجرة تطبيب . فظهرت على وجه الدكتور علامات الاشمئزاز وقال لا ارى وجهاً يلزمني ان اجيبك على اسئلتك يا مستر شرلوك . فارجع شرلوك القائمة الى محفظتهِ وقال ان لم تجبني الآن فلعلك تفضل ان تجيب رجال الشحنة فلا يلبث الامر ان يشيع كما اسلفت انك تكره ذلك ولذا فاني انصح لك ان تسلمني سرك فنحافظ بذلك على كتمانهِ . ولكن قل لي هل بلغتك رسالة برقية من جودفري . فقال الدكتور بتململ كلا . فاظهر شرلوك الاستغراب وقال عجباً من اهمال ادارة البريد فاني اعلم عن يقين ان المستر جودفري ارسل اليك رسالة برقية معجلة في الساعة السادسة والربع من مسآء امس وربما كان لهذه الرسالة تعلق باختفآئهِ فكيف لم تصل اليك ولذلك فلابد من ذهابي الى الادارة وتقديم شكوى على المستخدمين لسبب هذا الاهمال

وما كاد شرلوك يتم كلامهُ هذا حتى وقف الدكتور وقد زاد هياجهُ وصبغ وجههُ بلون القرمز واشار الى الباب وقال اخرجا من منزلي فوراً وقولا للُّرد مونت جيمس الذي ارسلكما انني لا اريد ان اتداخل معهُ او مع رسلهِ بشيء . ثم قرع الجرس قرعاً عنيفاً فجآء الخادم فامرهُ باقتيادنا الى الخارج

ورأينا عدم فائدة البقآء فخرجنا وقال لي شرلوك اننا قد تكلفنا المجيء الى هذه البلدة فلا يليق ان نتركها قبل ان نحصل على النتيجة التي قد اخذنا بناصيتها وان تجاه بيت الدكتور فندقاً فادخل واستأجر لنا غرفة تطل على الشارع وأحضر ما يلزمنا من القوت وانتظرني ريثما ارجع . فدخلت واعددت ما امر بهِ واقمت انتظرهُ فطال غيابهُ وفي الساعة التاسعة عاد اليَّ وكان لونهُ قد فقد اشراقهُ و بانت عليهِ علامات التعب الشديد والجوع . فجلسنا الى المائدة وبينما نحن نتناول الطعام سمعنا صوت مركبة قادمة فوقفت امام بيت الدكتور . فنهض شرلوك وتحقق وصولها ثم عاد فقال قد خرج الدكتور في مركبتهِ في الساعة السادسة فرجع الآن ويكون قد

اجتاز في هذه المدة عشرة اميال او اثني عشر ميلاً وقد علمت انهُ يفعل مثل ذلك مرة او مرتين كل يوم . وما كنت لاستغرب ذلك من طبيب لو لم اعلم جيداً ان الدكتور المذكور قد ترك مزاولة صناعتهِ وانقطع الى التدريس والتأليف فالى اين يذهب يا ترى . وقد حاولت ان اعرف ذلك من الحوذي فكتم عني بل طردني طرداً جعلني اتحقق ان الدكتور اوصاهُ ان لا يبوح بشيء . ولما رأيت ذلك انتظرت خروج العربة وكان بالقرب منا محل لتأجير الدراجات فاخذت واحدة وسرت وراء المركبة حتى تبعتها عن بعد وايقنت انني سأتبع الدكتور الى حيث يقصد واعلم شيئاً عنهُ . ولكنني بعد ان اجهدت نفسي في لحاقهِ نحو ساعة وقفت المركبة فوقفتُ فخرج الدكتور منها وارتدَّ اليَّ ماشياً ولما قاربني قال اظنني اعوقك عن الاسراع فقد وقفتُ مركبتي لتسير امامنا اذا شئت فاضطررت ان افعل . وبعد ان سبقتهُ مسافة رجعت ادراجي الى حيث فارقت المركبة فلم اقف لها على اثر فرجعت الى هنا . ولست اجزم بان لخروج الدكتور علاقة باختفاء جودفري ولكنني ارى في صنيعه وشدة تحرزهِ وانتباههِ موضعاً للشبهة فلن ارجع عن غايتي من معرفة المحل الذي يختلف اليهِ . ومع ذلك فاني رأيت رسالة جودفري البرقية معنونة باسمهِ فلا بد ان يكون عالماً بمحل وجودهِ وقد ارسلت الى اوفرتن ان يعلمني اذا كان قد سمع شيئاً جديداً

وقضينا تلك الليلة في اعمال الفكرة وتدبير الوسائط ولما كان الصباح بلغت شرلوك رسالة هذا نصها

« انك تضيع وقتك سدًى في اتباعي وقد رأيتك تقتفي عربتي بالامس فاذا كنت تود ان تجري ورآئي كل يوم مسافة عشرين ميلاً وتعود من حيث اتيت فافعل ولكني اؤكد لك ان تجسسك هذا لا يفيد المستر جودفري شيئاً وان افضل ما تصنعهُ هو ان تعود الى لندن وتخبر مرسلك ان لا فائدة من بقآئك في كمبريدج »

« الدكتور ارمسترونج »

ولما تلا شرلوك الرسالة تبسم وقال يظن الدكتور انني اترك طريدتي عند اول

عقبة . كلا فلست بتاركهِ قبل الاطلاع على ما يخفيهِ وها هي عربتهُ امام الباب فسأرى ما يمكنني عملهُ اليوم . وخرج شرلوك فقضى النهار غائباً وعاد في المسآء فعلمت من منظرهِ انهُ لم يفز بالمطلوب ثم اخبرني انهُ زار جميع القرى المجاورة ولكنهُ لم يهتدِ الى المحل الذي يقصدهُ الدكتور . ودفعتُ اليهِ رسالة كانت وصلت في غيابهِ فقرأها واذا بها من اوفرتن يقول فيها انهُ لم يسمع شيئاً عن جودفري وان المسابقة قد حصلت ففازت فيها جمعية اكسفورد واقر الفريقان انهُ لولا غياب جودفري لكانت كمبريدج الرابحة . وبعد قليل جآءت شرلوك رسالةٌ اخرى يقول فيها « اسأل المستر ديكسون في كلية ترينيتي عن بومباي » . فلم افهم شيئاً من مغزاها اما شرلوك فابرقت اسرتهُ وقال يلوح لي انني قد قاربت الفوز . ولما نهضت في الصباح وجدت شرلوك جالساً وبيدهِ آلة للحقن تحت الجلد فسألتهُ عما يفعل فقال يتوقف على هذه فوزنا اليوم فان مركبة الدكتور امام الباب وسيخرج للحال. قلت وهل يجب ان نسير في اثرها . قال نعم ولكن لنا سعة من الوقت فان دليلنا اليوم ماهر جدًّا ولا يرجع قبل ان يوصلنا الى المحل الذي يذهب اليهِ الدكتور . ولما قال هذا فتح الباب فرأيت امامهُ كلباً معتدل الجسم كبير الرأس والعينين لهُ اذنان عريضتان متدليتان فقال هذا هو الدليل وقد سألت عن مثلهِ بالامس من دار الشحنة في لندن واتاني الجواب الذي لم تفهمهُ انت فتركتك نائماً وذهبت الى كلية ترينيتي وجئت بهِ واسمهُ بومباي . وقد احتلت بهذه الآلة التي في يدي بعد ان ملأتها بزيت قوي الرائحة واطلقتها على عجلة المركبة الخلفية فلو بقي الدكتور يسير طول النهار بمركبتهِ في وسط الرمال لما زالت الرائحة منها وقد اوحيت الى الكلب ان يتبع تلك الرائحة الى حيث تصل . وبينما كان شرلوك يفسر لي ذلك وانا اعجب من تفننهِ في الاحتيال خرج الدكتور فركب مركبتهُ بعد ان القى نظرةً الى نافذتنا فسارت بهِ تنهب جيادها الارض . وكنا قد تناولنا الغذآء فخرجنا في اثرها وما ابطأ الكلب حتى وجد الرائحة فتبعها وكنا نسير ورآءهُ . وبعد ان اجتزنا مسافة طويلة على الشارع العمومي خارج البلدة عطف الكلب في سهلٍ مكسوٍّ بالنبات

ثم بلغ شارعاً آخر فاجتازهُ الى سهل ثانٍ ومشى مستقيماً بين الاشجار وكنا نتبعهُ صامتين مسافة بضعة اميال واذا بالمركبة قادمة عن بعدٍ . فقال شرلوك لا ينبغي ان يرانا الدكتور فاتبعني يا وطسن ولم يكن الا كلمح البصر حتى وثب فوق سياج كثيف فتبعتهُ ثم نادى الكلب فتردد اولاً ولكنهُ فهم بالسليقة غايتنا فصار الى جانبنا . وبعد هنيهةٍ مرت المركبة ورأينا الدكتور فيها وقد حنى رأسهُ بين يديهِ فظهر لنا انهُ حزين جدًّا ولما مرت المركبة قال شرلوك اخشى ان تكون خاتمة بحثنا مأساةً ولكننا سنبلغها بعد قليل . واطلق الكلب ثانيةً فتبعناهُ الى نهاية ذلك السهل ثم عطف يميناً فرأينا امامنا منزلاً صغيراً منفرداً في تلك البقعة ولما صرنا امام بابهِ وقف الكلب ورأينا اثر ارجل الخيل وعجلات المركبة فعلمنا ان ذاك هو البيت المقصود . وكان البيت داخل حديقة يوصل اليهِ في طريق ضيق فدخلنا فيهِ وربط شرلوك الكلب الى جهةٍ وراء السياج ثم تقدمنا الى المنزل فقرعنا بابهُ مراراً فلم يجبنا احد . وعرفت ان البيت غير مهجور لانهُ قرع آذاننا صوت ضعيف اشبه بالأنين والتألم . ثم حانت من شرلوك التفاتة الى جهة الطريق فرأى المركبة عائدة فقال هذه عربة الدكتور ولا بد من دخولهِ الى هنا ثانيةً فيجب ان ندخل ونرى ما يمكننا ان نراهُ قبل وصولهِ . ولما قال ذلك دفع الباب فانفتح ثم صعدنا سلماً وكنا نسمع الصوت الاول يزداد وضوحاً حتى انتهينا الى غرفة خرج الصوت منها وكان نحيبًا متواصلاً يفتت الاكباد . وفتح شرلوك بابها فدخلنا معاً ولكننا ما كدنا نطأ ارضها حتى رأينا منظراً اقشعرت لهُ ابداننا وجحظت عيوننا . رأينا في وسط الغرفة سريراً تغطيهِ الملاءات الناصعة البياض وقد توسدت عليهِ فتاةٌ ميتة لم يقوَ الموت على تغيير جمالها الرائع المدهش وكان شعرها الذهبي المحيط بوجهها كانهُ تاج من ذهب او هالة من ابريز تحيط بذلك الوجه الملائكي . وكان الى جانب السرير فتى قد جثا على الارض واخفى وجههُ بين يديهِ فوق السرير واستخرط في البكاء والتنهد فلم يشعر بقدومنا حتى اقترب اليهِ شرلوك فوضع يدهُ على كتفهِ وناداهُ باسمهِ قائلاً هل انت جودفري ستنتون . فاجاب ذلك بدون انتباه نعم انا هو ولكنك قد تأخرت فهي

قد ماتت . واجتهد شرلوك في اقناعهِ انهُ ليس الطبيب الذي ينتظرهُ وهمَّ بتعزيتهِ وافهامهِ اننا انما نبحث عن سبب غيابهِ الفجآئي فلم يصخ لنا سمعاً . وفي تلك الدقيقة سمعنا وقع اقدام تقترب من الغرفة ثم ظهر امامنا الدكتور نفسهُ فلما وقع نظرهُ علينا اظهر منتهى الغيظ وقال قد بلغتم الغاية اذاً وبلغ بكما المكر ان اخترتما مثل هذا الوقت لتداخلكما . انني لا احب ان اقلق راحة الميتة ولكنني اؤكد لكما انني لو كنت احدث سنًّا لما تركت عملكما الوحشي هذا يذهب بدون جزآء . فقال شرلوك بمنتهى اللطف اعذرني يا مولاي فقد اهنتنا غير مرة ولم اكن لاطيق مثل ذلك لولا معرفتي بانك تجهل غايتنا فاذا تكرمت بمرافقتنا الى الغرفة السفلى اوضحت لك كل شيء . ورأى الدكتور في كلام شرلوك ما جعلهُ ينقاد للحال فسار معنا ولما بلغنا الغرفة المذكورة قال شرلوك اعلم اولاً يا سيدي الدكتور اننا لا علاقة لنا باللرد مونت جيمس واننا بالعكس نكره صفاتهِ ولكننا علمنا ان فتىً فُقد على حين بغتة وغمض خبرهُ فصار من واجباتنا ان نبحث عنهُ حتى نعرف مقرّهُ . وبما انهُ لا يوجد في الامر جريمة تستدعي تداخل رجال القانون فانهُ يهمني اخفآء هذا السر كما يهمك فتيقن انني لن اذكر شيئاً مما رأيت وان كنت الى الآن لم استوضح كل ما يتعلق بامر هذا الحادث المحزن

فتقدم الدكتور واخذ يد شرلوك فقال اعذرني ايها الصديق فاني قد اسأت بك الظن واني اشكر الله على رجوعي الآن ومقابلتك لاعرفك كما انت وبما انك من ذوي المروءة فاسمع لاطلعك على القصة بتمامها . انهُ منذ سنة نزل جودفري الى لندن لاشغال تختص بهِ ونزل في فندق بسيط كانت لصاحبهِ ابنةٌ آيةٌ في الجمال والظرف والذكآء والرقة فكانها جمعت كل الصفات الحسنة فاحبها جودفري حبًّا مبرحاً واحبتهُ هي ايضاً فتزوجا . ومثل هذه الزوجة لا يخجل بها احد غير ان جودفري كان الوارث الوحيد لذاك الوحش القاسي البخيل وتحقق انهُ لو عرف عمهُ بخبر زواجهِ هذا لحرمهُ الارث لانهُ فضلاً عن كونهِ تزوج بمن ليست من رتبتهِ في الشرف فهو نفسهُ يكره الزواج . اما انا فكنت اعرف جودفري واحبهُ جدًّا فبذلت

جهدي في مساعدتهِ على كتم امر الاقتران لانهُ لو عرف بهِ واحد من البشر لا ينتهي الاسبوع حتى تعرفهُ كل انكلترا . وساعدنا وجود هذا البيت الوحيد على قصدنا وكان جودفري حكيماً فطناً فنجح في اخفاء الامر حتى الآن ولم يطلع على سرّ زواجهِ غير والد الفتاة وانا وخادم امين عندي هو الحوذي . ولكن ابت التقادير الا مصادمة ذلك القلب اللطيف والعواطف الشريفة فأصيبت زوجة جودفري بمرض تحول سريعاً الى سلٍّ عاجل فكاد جودفري يجن من حزنهِ عليها واهتمامهِ بها . وذهبت جمعية المدرسة الى لندن فاضطرّ الى الذهاب معها لاجل المسابقة لانهُ لو امتنع وجب ان يقدم سبباً يمنعهُ فيفتضح امرهُ . اما انا فامرتهُ بالذهاب ووعدتهُ ان اعتني بها مثلهُ مدة غيابهِ . ولما نزل الى لندن ارسلت اليهِ رسالةً برقية لتسكين بالهِ فاجابني برسالة اخرى وتوسل اليَّ ان افعل جهدي وكانت تلك الرسالة هي التي اطلعتما عليها بطريقة غريبة . ولم اخبرهُ بمقدار الخطر الذي وصلت اليهِ لعلمي ان ذلك يزيد ارتباكهُ وليس في استطاعتهِ عمل شيء لدفع القدر بل اعلمت والد زوجتهِ بذلك ولم يخطر لي انهُ سيذهب لمقابلتهِ ويطلعهُ على رسالتي فكانت النتيجة ان اتى توًّا الى هنا فجلس بقرب سرير زوجتهِ ولم يفارقها من تلك الدقيقة الى الان حين اختطفها الموت من بين ايدينا . اما انا فكنت راجعاً الى كمبريدج ولكني لم اطق ان اترك صديقي وحدهُ على حين لا معزّي لهُ ولا معين فرجعت من منتصف الطريق وهاءنذا قد اخبرتك بكل شيء ايها العزيز وانا واثق كل الثقة انك ورفيقك تحافظان على هذا السر محافظتكما على شرفكما . فاخذ شرلوك يد الدكتور الواحدة واخذت انا يدهُ الثانية وكانت نظراتنا وعبراتنا افصح ترجمان عما يخالج افئدتنا من العواطف ثم قال لي شرلوك بصوت يتهدج حزناً تعالَ يا وطسن ••• ولم يستطع اتمام العبارة فخرجنا ونحن لم نفه ببنت شفة ولا جفّت مآقينا حتى بلغنا منزلنا في شارع باكر

اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

فمن ذلك قولهُ في مادّة (أ ت ن) الأَتُّون كتنُّور وقد يخفَّف اخدود الجَيّار والجَصّاص . وفي مادة (ج ي ر) الجَيّار الصاروج ولم يزد عليهِ وفسّر الصاروج في موضعهِ بالنورة واخلاطها . وفي لسان العرب الجير الجصّ فاذا خُلط بالنُورة فهو الجَيّار . اه . وليس الجيّار المذكور في تعريف الأَتُّون بهذا المعنى انما المراد بهِ صانع الجير كما ان المراد بالجصّاص صانع الجصّ . قال في القاموس الجص معروف والجصّاص متخذهُ واحسن منهُ ما جآء في لسان العرب قال الجِصّ والجَصّ معروف الذي يُطلَى بهِ . . ورجل جَصّاص صانعٌ للجِصّ . اه . ولا يخفى ان هذه الصيغة اي صيغة فَعّال كثيراً ما تجيء بمعنى صانع الشيء كالأَبّار لصانع الإِبَر والسَرّاج لصانع السروج والزَجّاج لصانع الزُجاج والخَزّاف لصانع الخَزَف وغير ذلك . على ان ما ذكرناهُ عن القاموس هو عين ما نجدهُ في لسان العرب مع ما عُلم من توخّيهِ الاحاطة بنصوص اشهر المؤلفين قبلهُ فانهُ مع تفسيرهِ الاتون باخدود الجَيّار لم يزد في تفسير الجَيّار على ما رأيت ومن هنا يتبين انهم كانوا اشدّ ما يحرصون على اثبات اصول الموادّ الدائرة في استعمال العرب ولا يبالون دائماً بتتبع المشتقّات اذا كانت مما يُتناول بالقياس

وفي مادّة (م ق ل) المُقل الكُندُر الذي يتدخن بهِ اليهود . يريد بيتدخن يتبخر ولم يذكر تدخَّن في موضعهِ لكن جآء ذكر التدخين هناك

فلتةً في تفسير الدُخنة . وفي لسان العرب الدُخنة بَخُور يُدخَّن بهِ الثياب وقد تدخَّن بها ودخَّن غيرهُ . اه . وظاهرهُ ان التدخين بهذا المعنى خاصٌّ بالدُخنة وكانهُ مشتقٌّ منها كما تقول قَطَّر ثوبهُ اذا بخَّرهُ بالقُطر وهو العود والصحيح ان كليهما مشتقٌّ من الدخان ويراد بالتدخين مطلق التبخير . قال في اللسان في مادة (ب خ ر) وتبخَّر بالطيب ونحوهِ تدخَّن فلم يقيّدهُ بالدخنة ولا غيرها لكن كان عليهِ ان يقول تبخر بالعود ونحوهِ اي مما يُحرَق حتى يكون لهُ دخان لانهُ لا يقال تبخَّر بدهن الورد مثلاً ولا تدخَّن بهِ

وفي مادّة (ر و غ) وهذه رِواغتهم ورياغتهم بكسرهما اي مُصطرَعهم. يريد بالمُصطرَع مكان الاصطراع اي التصارُع ولم يذكر الاصطراع في موضعهِ كما انهُ لم يذكر المصارعة ولكن جآء ذكرهما فلتةً ايضاً عند تفسير الصِرع قال والصِرع بالكسر المصارع يقال هما صِرعان اي مصطرعان . الا ان هذا من الابنية التي تقاس في معنى المشاركة لان الافتعال كثيراً ما يجيء بمعنى التفاعُل كما يقال اقتتل القوم واختصموا واصطلحوا واصطحبوا وغير ذلك . وفي اللسان وقد تصارع القوم واصطرعوا وصارَعَهُ مصارعةً وصِراعاً والصِرعان المصطرِعان فنصّ على ذلك كلهِ كما ترى

وفي مادّة (ج ر ر) الجرّ شيء يتخذ من سُلاخة عرقوب البعير ولم يذكر السُلاخة في موضعها كما اننا لم نجدها في شيءٍ من الكتب التي بين يدينا الا انها من الالفاظ التي تقاس على حدّ النُسالة والقُراضة والقُصاصة والقُلامة وما اشبه ذلك وقد استوفينا الكلام على هذه الصيغة في مقالة اللغة والعصر

وفي مادة (ح ن ق) أَحنَق الزرع انتشر سَفا سنبلهِ بعد ما يقنبع ولم يذكر في مادّة (ق ن ب ع) الا قولهُ القُنْبُع كقُنفُذ وعآء الحنطة . وفي لسان العرب قُنبُع النَوْر وقُنبُعتهُ غطآؤهُ وقنبعت الشجرة صارت ثمرتها او زهرتها في قنبعة او غطآء وقال ابو حنيفة القنبع وعآء السنبلة وقنبعت صارت في القنبع ا ه . ولا يخفى ان هذا ايضاً من الالفاظ المقيسة كما يقال برعمت الشجرة اذا خرجت براعمها وهي اكمام الثمر وعسلجت اذا خرجت عساليجها وهي ما لان واخضرّ من القضبان ونوَّرت اذا ظهر نَورها اي زهرها وزَغَّب الفرخ اذا ظهر زَغَبهُ وهو اول ما يبدو من ريشهِ وزَبَّد شدق الغضبان اذا خرج عليهِ الزَبَد وغير ذلك

وفي مادة (س م م) في الكلام على السمسم وقد يُسقَى المفلوج من نصف درهم الى درهم فيبرأ والدرهم خَطِر . ومثلهُ في مادّة (ش ب ر م) في الكلام على الشُبرُم واستعمال لبنهِ خَطِر . وضُبِط خَطِر في الموضعين بفتح فكسر ولم نجد هذا اللفظ في شيءٍ من كتب اللغة والظاهر انهُ بناهُ على خَطَر ذهاباً الى انهُ مصدر على حدّ الحذَر والتعَب وان لم يحكَ منهُ فعل لانهُ لا يقال خَطِرَ الامرُ اي صار ذا خَطَر . ويجوز ان يكون من باب فَعِل بمعنى ذي كذا كما يقال رجلٌ عَمِل اي ذو عَمَل ورجلٌ طَعِم ولَبِس اي ذو طعام وذو لباس وغير ذلك . وهذا الضرب من الصفات لا يلزمهُ ان يجري على لفظ الفعل بل كثيراً ما يُشتَقّ من الجامد كقولهم رجلٌ نَهِر اي يعمل بالنهار ومكانٌ صَخِر اي ذو صخور وارضٌ سَهِلة اي ذات سِهلة بالكسر وهي ترابٌ كالرمل يجيء بهِ المآء . قلنا واشتهر في لسان العامّة

مريضٌ مُخْطِرٍ وقد أَخطَرَ المريض وهذا مع انهُ غيرَ محكيٍّ لا يعدم وجهاً من القياس ايضاً لان افعل يأتي بمعنى دخل في الشيء او حصل فيهِ كما تقول أَصبَحَ المسافر اي دخل في الصباح وأَسهَلَ الراكب اي صار في السهل ومن هذا القبيل قولهم أكدى الحافر اي بلغ الكُدْية وهي الارض الصُلبة وأَحصَدَ الزرع اي بلغ ان يُحصَد فيكون قولهم أَخطَرَ المريض بمعنى دخل في الخطر او بلغهُ وما احرى هذا اللفظ باستعمال الفصحاء ولو لم يذكرهُ اللغويون لجريهِ على قياس اللغة كما ترى

وفي مادة (ب ظ ر) البَظْرة حلقة الخاتم بلا كرسيّ ومثلهُ في لسان العرب ولا ذكر للكرسيّ في موضعهِ بالمعنى المقصود هنا . وقد فسر عاصم الكرسيّ بفصّ الخاتم ولا يخلو من بُعد لفقد الجامع في هذه التسمية بل الذي يدلّ عليهِ معنى اللفظة ان المراد بهِ موضع الفصّ من الخاتم لانهُ الموضع الذي يركَّب فيهِ ويستقرّ عليهِ على حدّ قولهم كرسيّ المُصحَف وعلى حدّ اطلاقهم السرير على مُستَقَرّ الرأس من العنق والعتَبة على الخشبة المعروضة التي تُمَدّ عليها او تار العود وما اشبه ذلك

ومن هذا القبيل رِجْل الباب ذكرها صاحب القاموس في مادّة (ن ج ر) في تعريف النجران قال هو الخشبة التي فيها رجل الباب ولم يذكر هذا المعنى للرجل في موضعها وهي استعارةٌ من رجل الحيوان والجامع فيها ظاهر

وجاء في مادة (ك و ب) الكُوب كوزٌ لا عروة لهُ ولا خرطوم . يريد بالخرطوم الانبوب الذي ينصبّ منهُ الماء يكون في جانب رأسهِ ولم يذكر للخرطوم هذا المعنى في موضعهِ ولكنهُ مستعارٌ من خرطوم السَبُع

ونحوهِ بجامع الهيئة

وفي مادة (ح ث ر) حَثِر الجلد بَثِرَ والعين خرج في اجفانها حَبٌّ احمر وزاد في الصحاح وهو بثرٌ يخرج في الاجفان . الا ان كليهما لم يذكر الحَبّ في موضعهِ بهـذا المعنى ولذلك عدّهُ صاحب محيط المحيط عاميًّا وحذفهُ صاحب اقرب الموارد على عادتهِ في حذف ما يمرّ بهِ في محيط المحيط من الالفاظ العامية . . . وانما هو مستعارٌ من حبّ النبات لما بينهما من المشابهة كما لا يخفى

وجآء في هذه المادّة حَثِر العسل تحبَّب ليفسد وحثَّر الدوآءَ تحثيراً حبَّبهُ . يريد بحبَّبهُ صيَّرهُ حبًّا ولم يذكر الحَبَّ هناك بهذا المعنى كما انهُ لم يذكر حبَّب الدوآءَ ولا تحبَّب العسل ولكن كل ذلك مأخوذ بالقياس فالاول على المجاز على نحو ما ذكرناهُ قريباً والفعلان على الاشتقاق كما يقال لبَّن الطين اذا ضربهُ لَبِناً وتأجَّلت الظبآء اذا تجمعت آجالاً اي قُطعاناً ونحو ذلك　　(ستأتي البقية)

الجوَلان في النوم

ما زال امر الرُؤَى الليلية من الامور الغامضة التي لم يتوصل الحكمآء الى حلّها بما يكشف عن سرّها ويعلل كيفية حدوثها. ومن اغرب اطوارها ما يعرض لبعض الناس ان ينهض من فراشهِ وهو نائم ويسعى من موضع الى آخر ويفعل افعالاً شتى قد لا يصدر مثلها الا عن ارادةٍ وتعقل وشعور تام حتى لا يشكُّ من يشاهدهُ في تلك الحال انهُ مستيقظ . ويُروَى في

ذلك حكاياتٌ غريبة منها ان رجلاً كان يحترف صناعة البناء وكان اذا عاد عند المساء يضع اجرتهُ في خزانةٍ في بيتهِ وكان اذا نهض في الصباح والتمس الاجرة لا يجدها. وتمادى الامر على ذلك اياماً حتى اشتدّت حيرتهُ ولم يجد من يتَّهمهُ الا زوجتهُ . فلما كان في احدى الليالي وقد نام كعادتهِ لبثت زوجتهُ ساهرةً لترى من يسرق المال فما مضى الا القليل حتى رأت زوجها قد نهض من فراشهِ وفتح الخزانة فأخذ منها ما اودعهُ ذلك المساء وفتح الباب وخرج فتبعتهُ فسار حتى بلغ حائطاً فتسلَّقهُ وأخذ يمشي عليهِ وهو غير متحذّر كأنهُ يمشي على الارض ولما بلغ آخرهُ نزل فمشى في بستانٍ هناك حتى انتهى الى شجرةٍ فحفر عند اصلها وطمر الدراهم ثم نهض وحوّل وجههُ ليرجع . وكانت المرأة خلفهُ فأمسكت بهِ ومنعتهُ من الانصراف فاستيقظ ونظر حولهُ فاستغرب وجودهما في ذلك المكان وقال ما الذي اتى بنا الى هنا فقالت تعالَ ادلّك على المال واخذا يحفران فوجدا هناك مبلغاً كبيراً مدفوناً تحت الارض

اما ما ذهبوا اليهِ في تعليل ذلك فذكر وُلتَر سكُوت ان الحواس تكون حينئذٍ نائمةً نصف نوم بحيث ان صاحب هذه الحال يشعر بمكان وجودهِ لكنهُ لا يكون تام الانتباه حتى يستطيع ان يميز ما حولهُ بجلاء . وقال غيرهُ انهُ حتى حين تكون عيناهُ مغمضتين يشعر بقوة النور الى حدٍّ لا يشعر بهِ في حال اليقظة وفضلاً عن ذلك يكون حسّ اللمس فيهِ على اشدّ التنبُّه وبهِ يتقي ما يتعرض لهُ من الاخطار كالمشي على سطوح المنازل وشواطئ الانهار ولكن لا يكون ذلك في الاماكن التي عرفها من قبل فلا يخطئ جهاتها ولا يضلّ في سلوكها . وبهذا التنبُّه الشديد في حسّهِ يتأتى لهُ

ان يفعل افعالاً اعجب مما ذُكر فيقرأ ويكتب كتابةً في نهاية الضبط من نثر ونظم وقطع موسيقية ويميز ادقّ الاشياء ويتخير ما يوافق غرضهُ منها مما يحتاج في حال اليقظة الى فحص دقيق بحاسّة البصر لادراك الفرق بينها . وقد رُوِي عن لافُونتّان انهُ كتب احدى حكاياتهِ في النوم وهي حكاية الحمامتين وروى مَان دُبيران ان رئيس دير في بُوردُوّ كان ينهض كل ليلةٍ ويجلس في مكتبهِ فيكتب مواعظ متناسقة المعنى متتابعة الاقسام والتفاصيل ثم يراجعها ويصححها ويضرب بالقلم على ما لا يرضيهِ منها . لكن من الغريب ان صاحب هذه الحال متى استيقظ ينسى غالباً ما وقع منهُ في النوم بحيث يكون النسيان عند هؤلاء اكثر من النسيان عند غيرهم للاحلام العاديّة

قالوا والظاهر ان ما يأتيهِ النائم من ذلك هو من فعل الذاكرة والعادة بحيث ان حركات الفكر تتألف في النوم على نفس الوجه الذي اعتادت ان تتألف عليهِ في اليقظة فيكون مايفعلهُ في النوم تكراراً لما يفعلهُ في اليقظة . واذ ذاك فكل حركةٍ يحركها الفكر تتبعها حركة العضو الذي يتعلق اجرآؤها بهِ فتكون هذه الحركة ناشئةً عن تلك لا عن عمل الارادة . واذا اقتضت الحركة الفكرية ان ينهض من فراشهِ ويخرج فكثيراً ما يركب اموراً ذات خطرٍ مخيف ولكنهُ لا يبالي بالخطر ولا يدرك مقدارهُ لان حسّهُ يكون مشغولاً بالصورة الفكرية التي في دماغهِ لا بالصُوَر الخارجية التي امامهُ فيمشي على سطحٍ مائل مثلاً او على جدارٍ عالٍ او طرف سطح ولا يجد في ذلك صعوبةً ولا يعرض لهُ ادنى خوف.. وهو على الغالب

يسلم لكن الخطر كل الخطر ان يُوقَظ بغتةً وهو في مثل تلك الحال فانهُ يقع في الخطر لا محالة ولذلك ينبغي اذا رُؤي في حالٍ من الاحوال المذكورة او ما اشبهها ان يُترَك حتى يجوز الخطر بنفسهِ . على انهُ لا بد من الاحتياط لمن وُجِدت فيهِ هذه الآفة بأن لا يُترَك لهُ سبيلٌ الى الخروج وان يُبعَد عنهُ كل شيءٍ يمكن ان يتعرض بهِ لما يؤذيهِ

ومن الغريب هنا انّا لم نجد لهذه الحالة اسماً عند العرب ولم نعثر لها على ذكر في كتب الطب ولا غيرها من الكتب التي قرأناها فالظاهر انهم لم يكونوا يعرفونها والافرنج يسمونها بما تعريبهُ المشي في النوم او الجولان في النوم (Somnambulisme) . وهي على كل حال من الحوادث النادرة واكثر ما تعرض للمصابين بالاضطرابات العصبية كالصرع والهستيريا وما شاكلها فينبغي لمن ابتُلي بها ان يجنَّب كل ما يهيج العصب وبالتالي ان يعالَج بالمسكّنات التي تُعطَى في الاضطرابات المذكورة من مثل بروميور البوتاس وغيرهِ مما يُرجَع فيهِ الى رأي الطبيب الحاذق

الانسان الاول

عثرت على الفصل الآتي تعريبهُ من تأليف بوفون الكاتب الفرنسوي الشهير وقد جعلهُ حكايةً عن منطق الانسان الاول يصف اول ما شعر بهِ بعد خلقهِ من حركات وسكنات وادراك ووجدان فاحببت ان اطرف بهِ قرّاء الضياء لما فيهِ من الفكاهة ودقة التصور . قال

اني لأذكر تلك الساعة التي كنت فيها ممتلئاً من السرور والاضطراب

معاً وهي اول مرةٍ شعرت فيها بكياني . وما كنت اعلم حينئذٍ ما انا ولا اين انا ولا من اين اتيت . فتحت عينيَّ فخامرتني مما رأيت انفعالات لا يعبَّر عن كنهها فان النور وقُبّة السمآء وخُضرة الارض وبلُّور المآء كل ذلك كان يشغلني ويحركني ويوحي اليَّ عاطفة ابتهاج لا يحيط بها وصف . وقد ظننت في اول الامر ان جميع هذه الموجودات هي فيَّ ومني وتشبثت بهذا الفكر حيناً ثم وجهت نظري الى سلطانة الانوار فآذاني بهآؤها فاطبقت جفنيَّ غير متعمد وقد شعرت بألم خفيف واذ ذاك حاقت بي الظلمة فظننت اني فقدت وجودي ولم اعد شيئاً مذكوراً

*
* *

غلب عليَّ الحزن والدَهَش واخذت افكّر في هذا الانقلاب الكبير الفجآئي واذا بي اسمع اصواتاً مختلفة متألفة من تغريد الطيور وحنين الرياح فاتصل باعماق نفسي لطف تأثير هذه الحفلة الموسيقية الطبيعية واصغيت طويلاً حتى تحققت ان ما اشعر بهِ من ذلك انما هو شيءٌ مستقرٌّ فيَّ لا مستقلٌّ عني اكتسبتهُ من الخارج

وان هذا الكيان الجديد في فترة تلك الظلمة انساني الكيان الاول الذي توهمت فقدانهُ . انساني جمال النور وسائر الموجودات التي هي جزءٌ مني على ما زعمت . ثم فتحت عينيَّ وهنا نشأ عندي من السرور ما فاق سروري الاول حتى اذهلني عما وجدتهُ من لذة تلك الاصوات

القيت نظري على الوف من المنظورات وادركت للحال ان في استطاعتي ان افقدها جميعها وان استعيدها وبعبارة اخرى ان أُلاشي

جزئي هذا الجميل وان اردّهُ الى الوجود تبعاً لمشيئتي ولم يمنعني ما تبينتهُ في تلك الاشياء من الكثرة والفخامة وتنوُّع الاشكال والالوان ان احسبها بأسرها جزءًا مني

وما طال بي الامر حتى شرعت ارى ما ارى بدون اضطراب واسمع ما اسمع بدون انفعال . ولكن بعد ذلك سرت نسمةٌ لطيفة اكسبها الزهر و بعض النبات ارجاً طيباً فشعرت بتلك اللطافة وهذا الطيب واصبحت أُحَبُّ لنفسي وأَشَدَّ اعجاباً بها

*
* *

وكان هذا الوجود العظيم المتسع قد ابهجني وهيجني اي تهييج فنهضت . واذ وجدتني منتصباً على قدميَّ وانا لم اكن متعمداً ذلك ولا آملاً حصولهُ دهشتُ كثيراً وشعرت ان فيَّ قوةً مجهولة . وما خطوت الا خطوةً واحدة حتى رأيت المنظورات حولي قد تبدلت مواقعها فبلغت دهشتي غايتها القصوى وعدت الى الوقوف اذ ظننت ان كياني يهرب مني وان نظام الاشياء قد تغير عن وضعهِ

ثم مددت يدي الى رأسي ولمست بها جبهتي وعينيَّ وأجلتها على سائر جسدي فظهر لي ان تلك اليد اهمُّ اعضائي وان الاشياء التي شعرت بها بهذا الجزء مني كانت اشدّ تميُّزاً ووضوحاً فكان تلذذي بها اتمّ من تلذذي بالانوار والاصوات . واذ ذاك انصرفت بجملتي الى هذا الجزء من كياني وشعرت بان مداركي قد صارت ابعد غوراً واصدق حكماً

وكان ينتابني احساس مزدوج كلما لمست بيدي موضعاً من مواضع

جسمي اي احساس الجزئين اللامس والملموس . فلم ابطئ بعد ذلك حتى عرفت ان هذه الخاصّية غير منحصرة في يدي بل تتناول ايضاً جميع اعضآئي واجزآئي ومن ثم ادركت حدود هيكلي البشري الذي كان قد ظهر لي في منتهى العظم والاتساع الى حد اني حسبتهُ خليقةً ضخمة ليس سائر الموجودات في جنبها الا نقطاً نيرة

* * *

لبثت حيناً طويلاً اتفحص ذاتي واتأملها بلذة ثم جعلت اتتبع يدي بعيني وانا اراقب حركاتها وتنقلاتها فبدالي فيها رأيٌ من اغرب الآرآء وهو ان حركات تلك اليد ليست سوى نوع من الوجود سريع الزوال أو اشيآء متشابهة يتتابع بعضها في اثر بعض . ثم ادنيتها من عينيَّ فظهرت لي اكبر من سائر جسدي لانها حجبت عني موجودات مختلفة لا تحصر ولا تحصى

فحرت في حقيقة هذا الشعور وتبين لي منهُ ان البصر غير صادق الدلالة لاني كنت قد رأيت يدي من قبل جزءًا من اجزآء جسمي فكيف بلغت هذا الحجم العظيم الذي لا حدَّ لهُ واذ ذاك رأيت ان لا اثق الا باللمس لانهُ الى ذلك الحين لم يكن قد خانني وان لا استسلم الى غيرهِ من سائر الحواس

* * *

وقد عاد عليَّ هذا التحفظ بالنفع الجزيل فاني بينما كنت سائراً وانا رافعٌ رأسي نحو السمآء اذ صدمت شجرةَ نخل اعترضت طريقي صدمةً

خفيفة فارتعت ومددت يدي نحو هذا الجسم الغريب عني . وانما سميتهُ غريباً لاني حين ملامستهِ لم اشعر شعوراً مزدوجاً كما شعرت في ملامستي الاولى . واذ ذاك انثنيت وقد استشعرت نوعاً من الخشية وعلمت للمرة الاولى بوجود شيء مستقل عني غير داخل في تركيبي

وقد اقلقني هذا الاكتشاف الجديد الذي افضيت اليهِ بحكم اللمس . وبعد التأمل رأيت ان استخدم اللمس في تحقق الموجودات الخارجة عن كياني كما استخدمتهُ في تحقق اجزآء جسمي ومن ثمَّ اخذت احاول لمس كل ما اراهُ حتى حاولت لمس الشمس ومددت يديَّ لاطوّق بهما الافق فلم اظفر بغير الخلآء

وكنت اقع في حيرة بعد حيرة عند كل تجربة من هذا القبيل لان جميع المنظورات كانت تظهر لي على قرب واحد مني . وبعد تجارب عديدة ظهر لي انهُ لا بد لي ان اجعل بصري قائداً ليدي . وقد احدث عندي هذا الاختلاف بين مدى البصر وطاقة اليد اختلافاً في الاستنتاج والحكم حتى في تحقيق ذاتيتي اذ اصبحت اعتبرها كياناً مبهماً

* * *

ولكن ذلك لم يمنعني عن الاسترسال الى شدة التفكير في مصدري ومصيري وفي امر التناقضات التي لاحت لي . ولما رأيت فرط التأمل لا يكسبني غير زيادة الحيرة والريب صغرت نفسي في عيني وسئمت هذه المناجاة التي لا نهاية لها وضقت بها ذرعاً . واخيراً لُحنت ركبتايَ فجلست واسترحت فافادتني تلك السكينة نشاطاً وجددت قوى حواسي

وكنت جالساً بظل شجرة حسنة المنظر ذات ثمر شهيّ قد تدلى على شكل عناقيد الى مسافة لا تفوت مدى يدي فلمستهُ لمساً خفيفاً فانفصل عن الاغصان كما ينفصل التين عند تمام نضجهِ

وتناولت واحدة من ذلك الثمر فظننتني بامتلاكها قد أُوتيتُ فتحاً جليلاً واخذتني هزة افتخار اذ رأيت في استطاعتي ان احرز بين يديَّ كائناً مستقلاً مثلي. ثم ادنيتها من عينيَّ ونظرت الى شكلها ولونها وشممت منها رائحة طيبة دفعتني الى زيادة ادنآئها حتى لامست شفتيَّ واذ ذاك اخذت انتشقها بنَفَس مستطيل وأنعم بريّاها حتى امتلأ جوفي من تلك النسمة العطرية. وكررت ذلك مراراً حتى شعرت ان ذلك العطر اللطيف قد اشتدّ اثرهُ في داخلي وحبَّب اليَّ زيادة الاتصال بيني وبينها فذقتها

وحين ذقتها تولاني شعور جديد اي الشعور بلذة الطعم العظيمة وقد وجدت لها اثراً واضحاً وتعلقاً كبيراً بداخلي يفوق آثار النظر والسمع واللمس التي عرفتها من قبل

* * *

وولَّدت فيَّ لذة هذه الثمرة المتلكة حب التملك لاني اعتقدت ان جوهرها قد صار جزءاً من جوهري وبامتلاكها خُيّل لي اني قادر على تحويل عناصر الاشيآء الى عنصري

فاندفعت بتصور هذه القدرة وتذكر حلاوة الطعم وقطفت ثمرة ثانية فثالثة فرابعة الى ان انتهى ذوقي عن طلب المزيد. واذ ذاك شعرت بارتخآء مستحبّ يمشي تدريجاً في مفاصلي ومشاعري ويستوقف نفسي عن

نشاطها وبات ادراكي لصور الموجودات حولي ضعيفاً ناقصاً . وفي هذه الهُنَيهة فقدت عيناي مزيتهما وانطبقتا ولم يعد لرأسي قوة عضلية تمسكهُ فهوى الى العشب . وهكذا امحى من امامي كل شيء وانقطعت عن التأمل وغدوت غير شاعر بوجودي . وكان هذا النوم ثقيلاً ولكن لا اعلم مدتهُ اذ كنت جاهلاً قياس الوقت ومعناهُ . ثم استقيظت فرأيت يقظتي وجوداً ثانياً علمت فيهِ اني انقطعت عن الوجود حيناً وقد راعني هذا الانقطاع واوحى اليَّ اني غير خالد

ثم راعني امر آخر وهو خوفي ان اكون قد تخليت عن جزء من ذاتي في عالم النوم فقمت اتفحص حواسي حتى اقتنعت اني لا ازال كما كنت

واذ ذاك كانت الشمس قد بلغت آخر شوطها وتوارت بالحجاب ولكن ذلك لم يكد يوهمني اني فقدت بصري . واما وجودي فكان اوضح واظهر من ان احسبهُ مفقوداً فلم تكن الظلمة التي دخلت فيها حينئذٍ لتعيد عليَّ ما تمثَّل لي في نومي الاول　　ادوار مرقس

مطالعات

عِدد النجوم — قدَّر الاستاذ سيمُون نيوكُومْب ان عدد النجوم يبلغ نحو ١٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠ نجم منبثّة حولنا في كرة يقدَّر نصف قطرها بما يعدل ٢٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ مرة من مثل بعد الشمس عن الارض وهي مسافة لا يجتازها النور في اقل من ٣٣٠٠ سنة في سرعة ٣٠٠ ٠٠٠ كيلو متر في الثانية . الا ان هذا العدد يمكن ان يصدق بالقياس الى النجوم التي تُرَى

واما اذا كان الفضآء لا نهاية لهُ والنجوم منتشرة فيهِ كذلك كان هناك ما لا يُحصى من الملايين و بعبارة اخرى ما لا يمكن ادخالهُ تحت حصر. على ان هذه النجوم لا يمكن ان تُرَى كلها من هنا وان كان النور لا يضمحلّ لان بعضها يحجب بعضاً على حدّ ما اذا نظرت الى اشجار غابةٍ كثيفة بعيدة الاطراف فانهُ لا يُرى الا ما واجه العين منها وهو مقدار ما يملأ على اختلاف مسافاتهِ عرض الفسحة التي هي موزَّعة فيها وما بقي منها فانهُ يكون محجوباً بالمرئيّ فلا يُرَى منهُ شيء

عيون الافاعي — يصحّ ان يقال ان للافاعي عيوناً زجاجيّة فانها لا تنطبق اذ لا جفون لها . ولعين الافعى غشآء زجاجي وهذا الغشآء ينسلخ مع ما تلقيهِ الافعى حين انسلاخها من قشرها. وللغشآء المذكور من الصلابة ما يقي جوهر العين مما يعرض لها من عيدانٍ ونحو ذلك وهي على صلابتها لها من الشفوف ما يمكّن من الإبصار التامّ ولذا يصحّ ان يقال ان لم تكن عيون الافاعي زجاجاً فهي ترى بمناظير زجاجية

النشرة الاسبوعية

الاسكاف والصرّاف

معرَّبة عن لافونتان

قد كان اسكافٌ شديدُ الفقرِ　　يرأَبُ بالمِخرَزِ صدعَ الدهرِ
مشتغلاً سحابةَ النهارِ　　لنيل قوت وِلْدَةٍ صغارِ

وكان يستعينُ بالغناءِ　　على احتمالِ الجهدِ والعناءِ
فتارةً يلهو بكَتْبِ النعلِ　　وبالغنا طوراً يُرى في شغلِ
وتارةً يجمع ما بينهما　　مقطّعاً مع الأديم النَغَما
فيوقعُ الصوتَ بطَرْقِ الخُفِّ　　كأَنَّ ضربَ الخُفِّ نقرُ الدُفِّ
وكان للاسكاف هذا جارُ　　كأَنَّ حشوَ جلدهِ نُضارُ
لكنهُ كان بعكس الحالِ　　لا يخطر الشَدْوُ لهُ ببالِ
وانهُ في الليل ينبو المضجعُ　　بجنبهِ فلا يكادُ يهجعُ
حتى اذا أَغفَى قُبيلَ الفجرِ　　أَيقظَهُ طبلٌ بغير زمرِ
فكان يشكو سوءَ تدبيرِ الزَمَنْ　　أَن لا ينالَ كلَّ شيءٍ بثَمَنْ
فلا تُباعُ لذة المنامِ　　في السوق كالشراب والطعامِ
وبينما المُثري بهذا الضيقِ　　دعا اليهِ جارَهُ الموسيقي
وقال هل تخبرُني يا صاحِ　　مَا تحرزُ العامَ من الارباحِ
فقال يا مولايَ جمع مكسبي　　في العام او في القرن ليس مذهبي
وانما أُنفقُ في نهاري　　ما نلتهُ من فضل رزق الباري
حسبي اذا احصيتُ ما لدَيَّا　　وكنتُ ليسَ لي ولا عليَّا
لا همَّ لي ان احشد الآلافا　　لكن بأَن لا أُحرَم الكفافا
قال وفي يومك ما تُغلُّ　　فقال قد يكثُرُ او يقلُّ
وما شكيّتي سوى أَعيادِ　　أعيثَ في زرعي من الجرادِ
تزيدني عُدماً على إِعدامي　　كانها نصيرة الأَصوامِ
وكلَّ يوم حضرة القسيسِ　　يكدس قدّيساً على قدّيسِ

فما تضي الاّ بزيتِ كَبدي　　اعيادُهُ للانبيآء الجُدُدِ
فضحك الصرّافُ من سذاجتهْ　　ورامَ ان يسدَّ وجهَ حاجتهْ
فقال خذ منّيَ هذي البَدْرَه　　تجلوبها عن الزمان الكُدْرَه
فاُعنَ لما فيها من النقودِ　　واحفظهُ ذُخراً لليالي السودِ
فابتدرَ البدرةَ باليدينِ　　غيرَ مصدِّقٍ برأيِ العينِ
وسارَ وهو زائغٌ عن رُشدِهِ　　يَعجَبُ من علوّ برج سعدهِ
حتى اتى البيتَ فوارَى الصُرَّه　　في الارض والغنآء والمسرَّه
وصار يقضي ليلهُ يقظانا　　يتَّهمُ الأبوابَ والجُدرانا
حتى اذا دَبَّت اليهِ فارَهْ　　ظنَّ اللصوصَ يسرقون دارَهْ
وان وعى من الطريق رِكْزا　　قال أُراهم يقسمونَ الكنزا
فبعد ما أَعيا وسآء حالا　　عاد لبيتِ جارهِ وقالا
دُونكَ ما اعطيتني من ذهبِ　　ورُدَّ لي نومي وماضي طَرَبي

جبران النحاس

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية — هل يوجد حلقة مفقودة بين الحياة والموت فان البعض يقولون ان الحياة من الحياة والبعض يدّعون ان الحياة قد جآءت من لاحياة والبعض يزعمون انها جآءت من حياة غير ارضية اي ان قوة الحياة سقطت من عالم حيّ بواسطة النيازك . ثم هل توجد حلقة بين عالمي الحيوان والنبات و بين المعادن　　مستفيد

الجواب — تجدون خلاصة ما قيل في هذه المسائل في الجزءين الاولين من ضياء هذه السنة

القاهرة — قرأت مراراً في كلام كتاب الجرائد قولهم توترت العلائق بين الدولتين بمعنى ضعفت الصلات بينهما فهل يصح هذا الاستعمال وان صح فما تأويله

احد القرآء

الجواب - الاظهر ان هذه العبارة تفيد عكس المعنى الذي يريدونه لانهُ يقال وتّر القوس اذا شدَّ وترها وتوتَّر العَصَب ونحوهُ اذا اشتدَّ فصار مثل الوتر فهي تدلّ على قوة الصلات ومتانتها لا على ضعفها كما لا يخفى والصواب ان يقال استرخت العلائق بينهما او وَهَت وما في هذا المعنى

زحلة — طالعنا في مجلتكم الغرآء (ص ١٦٦) قول القائل « واليك محصَّل الحال » وقد مرَّ بنا في كتب النحو ان اليك بمعنى اعتزل فما المراد بها هنا

ميشال يوسف المعلوف
بالكلية الشرقية

الجواب — اليك تأتي بمعنيين احدهما ما ذكرتموهُ والآخر خُذْ مثل دونك وهو المراد هنا

آثار ادبيّة

تقويم المؤيَّد — هو التقويم الشهير الذي يصدرهُ حضرة الكاتب المتفنن محمد افندي مسعود احد منشئي جريدة المؤيد الغرآء . وقد انتهت

الينا نسخةٌ منهُ لهذه السنة التي هي سنة ١٣٢٤ للهجرة وهي السنة التاسعة لصدورهِ فوجدناهُ على ما أُلف منهُ حافلاً بالفوائد التاريخية والاجتماعية والسياسية والعلمية والادبية والتجارية والزراعية الى غير ذلك من كل ما فيهِ توسيعٌ للمدارك وارشادٌ للبصائر وفكاهةٌ للالباب

وهو حسن الطبع جيّد الورق مجلد تجليداً لطيفاً يقع فيما يزيد على ٤٠٠ صفحة ويباع في مكتبة المعارف باول شارع الفجالة بمصر وفي سائر مكاتب القطر وثمن النسخة منهُ خمسة غروش مصرية

المصوَّر — هو الجريدة الوحيدة التي تصدر في هذه اللغة بالصور الملوَّنة المتقنة الرسم والطبع على طلاوة مباحثها وحسن نسقها ونباهة اغراضها . وقد عني باصدارها منذ سنواتٍ حضرة الكاتب الاريب خليل افندي زينية ثم احتجبت عن قرآئها بعد ان نالت بينهم اوفر حظٍّ من الرغبة والاعجاب مما دعا حضرة منشئها الى اعادة اصدارها والتوفر على الزيادة في تحسينها وتوسيع فوائدها

فنحن نرحّب بهذه الزصيفة الحسنآء وندعو المتأدبين الى تلقّيها بما عرفت فيهم من الاقبال والايثار وهي تصدر على عهدها مرةً في الاسبوع وقيمة اشتراكها ٦٥ قرشاً في القطر المصري و٢٠ فرنكاً في الخارج ولمشتركي الاهرام ٤٠ قرشاً في القطر و١٥ فرنكاً في الخارج



فكاهات

شرلوك هولمز (١)

— ١٤ —

حادثة بوهيميا

قسم لي الحظ ان تزوجت فانقطعت مدة طويلة عن صديقي شرلوك لانهما كي باشغالي البيتية التي يعلمها كل متزوج والتي يعرف انها تستغرق كل وقتهِ ولا سيما وانني عدت الى ممارسة صناعتي في الطب لكسب معاشي والقيام بالنفقات الكثيرة التي تطلب مني . وكنت كلما خلوت بنفسي ارجع بافكاري الى ذاك الصديق فاعيد كلامهُ وتصوراتهِ واعمالهُ وكثيراً ما كنت اقف معجباً بامر استغربتهُ فيهِ وهو شدة اهتمامهِ بصناعتهِ فانهُ كان اذا لم تتوفر لديهِ الحوادث يخترع لنفسهِ مشكلات يسعى في حلها طلباً لشحذ قريحتهِ وتمرين نفسهِ . وكان اشتغالي باموري الخاصة مع انقطاع شرلوك بنفسهِ في البيت القديم الذي سكناه معاً مما حال دون لقيانا غير انني كنت اقف على اخبارهِ من حين الى آخر في الجرائد فيسرّني ما اتلو عن نجاحهِ في الامور التي توكل اليهِ

وحدث في مساء العشرين من شهر مارس سنة ١٨٨٨ انني عدت مريضاً من اصدقائي واتفق رجوعي من شارع باكر فلما مررت بباب المنزل الذي يسكنهُ صديقي نازعتني نفسي الى مقابلتهِ ونظرت الى غرفتهِ فرأيتها منوَّرة ثم رأيت شبحهُ الضئيل الطويل يسير ذهاباً واياباً امام النافذة وقد اسند ذقنهُ الى صدرهِ وجعل يديهِ وراء ظهرهِ كشأنهِ اذا كان في تفكر عميق فعلمت ان لديهِ مسئلة عويصة

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

يحلها . فقرعت الجرس ولم يكن الا قليل حتى صرت في غرفتهِ فاستقبلني ببريق عينيه وهي الاشارة الوحيدة التي كان يظهر بها سرورهُ و بعد ما جلست نظر اليَّ طويلاً حسب عادتهِ وقال يظهر لي ان الزواج قد افادك يا عزيزي وطسن فلا اشك ان صحتك في تحسن وقد زاد ثقلك سبعة ارطال ونصفاً عما كنت اعهدك . قلت انت مصيب في تخمينك فانني زدت سبعة ارطال . قال واراك قد رجعت الى مزاولة الطب فلمَ لم تخبرني بذلك . قلت ومن اعلمك به اذاً . قال علمتهُ الآن كما علمت ايضاً ان خادمتك مهملة كسلى وانك كنت تعود مريضاً من مدة يومين ورجعت تحت المطر فابتل ثوبك وغصت في الوحول . فاستغربت كلامهُ غاية الاستغراب وقلت ما هذا ايها العزيز شرلوك وكيف علمت ذلك فانني في الحقيقة ذهبت الى خارج البلدة اول امس وعدت تحت المطر الغزير حتى لم اكد اصدق انني سأبلغ البيت . اما خادمتي فهي كما ذكرت وقد اعلمتها زوجتي اننا سنستغني عنها في آخر الشهر ولكن من اطلعك على هذه الخفايا فانك تحملني على ان اعتقد فيك السحر واؤكد انك لو كنت قد ولدت قبل قرنين لاحرقوك حيًّا . فقهقه شرلوك وقال لا شيء من السحر في هذا يا عزيزي وطسن بل ان الامر في غاية الوضوح فقد رأيت مؤخر حذآئك الايسر وعليهِ ستة خطوط متوازية لا شك انها من آلة حادّة استُعملت لنزع الوحل عنهُ فعلمت من هـذا انك سرت تحت المطر وغصت في الوحل وان الشخص الذي نظف حذآءك وهو الخادمة مهمل كسل . اما عودتك الى مزاولة الطب فقد شممت رائحة اليودوفورم حال دخولك ورأيت آثار نترات الفضة على سبابتك وطرف المسمعة الصدرية بارزاً من جيبك فاذا لم تؤكد لي هذه الامارات انك تمارس الطب كنت اعظم الاغبيآء . انني لست ساحراً يا وطسن ولا انا اعظم من غيري من البشر ولكنني ارى واتدبر وغيري يرى فقط وقد عشنا معاً في هذا البيت سنوات عديدة فهل تذكر كم مرة صعدت السلم الموصل الى هذه الغرفة . قلت الوفاً من المرار . قال وهل تعلم كم عدد درجاتهِ . قلت كلا فانهُ لم يخطر لي قط ان اعدها . قال هذا هو الفرق بيننا فانك لم تعدها لانهُ لم يخطر لك

ان في عدّها نفعاً اما انا فافتكرت انني ربما اضطرّ الى صعودها او نزولها ليلاً بدون نور فعددتها اول مرة ووجدتها سبع عشرة درجة فحفظت ذلك . وعلى ذكر الحفظ والتدبر ربما يلذ لك ان تطلع على امرٍ جاءني اليوم ولما قال هذا دفع اليَّ رقعة حمرآء اللون وقال اقرأ هذه بصوتٍ عالٍ فقد جاءتني اليوم مع البريد . فنظرت الى الرقعة ولم يكن عليها تاريخ وقرأت فيها ما يأتي « سيزورك في مساء اليوم عند الساعة الثامنة شخص يود استشارتك في امر ذي بال فأن المهمة التي قمت بها لدى بعض بيوت اوروبا المالكة تؤكد لي انهُ يمكن الاتكال عليك في حفظ سر عظيم الاهمية. اما مهارتك فقد اصبحت مما يشهد بهِ كل احد فكن في غرفتك في الوقت المعين ولا تستأ اذا وجدتني اخفي وجهي بلثام » . ولما اكملت القرآءة نظرت الى شرلوك مستغرباً فتبسم وقال بلغتني هذه الرقعة وانا لا اعلم عنها شيئاً اكثر مما تعلم انت الآن فجعلت ادرسها درساً مدققاً فاستنتجت ان مرسلها ذو ثروة لان هذا الصنف من الورق غالي الثمن وهو خاص ببعض الناس . ثم رفعت الرقعة ازآء النور فوجدت فيها حروفاً مرسومة بالطباعة المآئية حللتها فوجدت انها اسم الشركة التي تصنع هذا الورق وهي في إجريا الالمانية من بوهيميا لا تبعد كثيراً عن كارلسباد . ثم علمت ان الكاتب الماني لاني وجدت بعض الحروف مكتوبة على صورة لا تكتب بها الا في اللغة الالمانية واكد لي ذلك ايضاً نسق تركيب جملها . فلم يبقَ عليَّ الاَّ ان اقابل هذا الكاتب الالماني لانظر في طلبهِ وانني اسمع الآن وقع حوافر جوادين يجران مركبة فلا يبعد ان يكون هو القادم . ولم يكد يتم شرلوك كلامهُ حتى وقفت المركبة امام الباب وقُرع الجرس فنهضت مستأذناً للانصراف فمنعني قائلاً ان في الامر اهمية ربما يلذ لك سماعها فابقَ قلت ولكن اخشى ان يكون حضوري مما يسوء الزائر . قال لا بأس فسأعلمهُ انك شريكي ومن المحتمل ان نحتاج الى معاونتك. وفي تلك الدقيقة فتح باب الغرفة ودخل رجل طويل القامة عليهِ لباس العظمة والترف تزينهُ الشرائط الذهبية مما يدل على الرفعة والغنى وقد اخذ قبعتهُ بيدهِ وستر وجههُ لثام اسود لا يظهر منهُ الا العينان . وبعد ان حيّا قال قد اعلمتك في رسالتي

اني قادم اليك فهاءنذا وكان يتكلم بلهجةٍ المانية وهو ينظر من الواحد الى الآخر لا يعلم ايٌّ منا شرلوك . وللحال كلمهُ شرلوك قائلاً تفضل يا سيدي بالجلوس وائذن لي ان اعرّفك بصديقي الدكتور وطسن وهو خير رفيق ومساعد لي في اشغالي وارجو منك ان تمنَّ عليَّ بمعرفة الشخص الذي اتشرف الآن بمخاطبتهِ . فجلس الزائر وقال اما انا فالكونت فون كرام من اشراف بوهيميا واما حديثي فاودّ ان اتلوهُ امامك فقط الا اذا كنت تعلم ان صديقك نظيرك يكتم ما سيسمعهُ الآن . فلما سمعت ذلك نهضت ثانيةً اريد الانصراف فاستوقفني شرلوك وقال لهُ ان احدنا لا يكتم عن الآخر شيئاً فيمكنك ان تبدأ بحديثك بدون خوف . قال حسن فأبدأ اذاً باخذ عهد الشرف منكما ان تحفظا هذا السر العظيم الى سنتين من الآن لانهُ بعد ذلك لا يبقى لحفظهِ اهمية . ولما عاهدناهُ على الكتمان قال اعذراني على ابقاء اللثام فان مرسلي يود ان لا يُعرف رسولهُ واظن انهُ لا يلزمني ان اقول لكما ان الاسم الذي ذكرتهُ لكما الآن ليس هو اسمي الحقيقي . فتبسم شرلوك وقال قد عرفت ذلك يا مولاي . فقال الرجل ان شدة الحذر واجبة لئلا يشيع الامر فتكون عاقبتهُ شديدة الوخامة على احدى الاسر المالكة في اوربا وبعبارة اوضح اقول ان القضية مختصة باسرة اورمستين الشهيرة المالكة في بوهيميا . فتبسم شرلوك ثانيةً وقال وقد عرفت هذا ايضاً يا مولاي ثم اطبق عينيهِ واستند الى كرسيهِ منتظراً تتمة الكلام ولم ينتبه الى الزائر الذي بدت عليهِ علامات الاستغراب الشديد فتوقف عن الكلام وجعل يتفرس فيهِ صامتاً

وبعد هنيهة فتح شرلوك عينيهِ ونظر اليهِ متضجراً من توقفهِ وقال لهُ اذا تنازلت جلالتك لاتمام الحديث يسهل عليَّ القيام بخدمتك . وما سمع الزائر كلمة جلالتك حتى وثب عن كرسيهِ كأن افعى لدغتهُ فجعل يسير في الغرفة ذهاباً واياباً باضطراب عظيم ثم وقف فجأةً ومزّق اللثام عن وجههِ وقال انك مصيب يا هذا فانا ملك بوهيميا وعلامَ اخفي نفسي . فتبسم شرلوك ثالثةً وقال انهُ حالما وطئت قدما جلالتك باب هذه الغرفة عرفت ان زائري ليس الا ولهلم جوتسريخ سجسموند فون

اورمستين غراندوق كاسل فلستين ملك بوهيميا . فجلس الملك على كرسيهِ وقال لا يغرب عنك انني لم اعتد ان اقضي اموراً كهذه بنفسي ولكن خطورة الامر لم تسمح لي ان اسلمهُ الى احد فلذلك اتيت متنكراً من براغ لاصل اليك واستشيرك . اما قصتي فهي انني منذ خمس سنوات زرت مدينة وارزو وتعرفت بالسيدة ارين ادلر المشهورة التي لا بد انكما سمعتما باسمها . فمد شرلوك يدهُ الى مكتبتهِ واخذ كتابةً و بعد ان قلب بضع ورقات قرأ ما يأتي « ارين ادلر ولدت في اميركا سنة ١٨٥٨ واتخذت حرفة التمثيل فاشتهرت في دار التمثيل الملوكي في وارزو ولما جمعت مالاً كافياً تركت صناعتها واتت انكلترا » . ولما اتم قرآءتهُ نظر الى زائرهِ وقال يغلب على ظني ان جلالتك علقت هذه الفتاة الغانية وانك كتبت اليها بعد عشقك لها وانت تودّ الآن استرجاع مراسلاتك . فقال الملك نعم هذا ما اتيت لاجلهِ . فقال شرلوك وهل تزوجت بها . قال لا . قال وهل كان بينكما اوراق رسمية تشير الى ذلك . قال لا . قال فاذاً ماذا يخيفك من تلك الرسائل وهل تخشى ان تستخدمها لتبتزّ ثروتك واذا كان هذا قصدها فكيف يمكنها اثبات ذلك . قال عندها خطي . فقال شرلوك هو مزوّر . قال وورقي الخاص . قال هو مسروق . قال وختمي . قال مقلد . قال وصورتي . قال مشتراة . فقطب الملك حاجبيهِ وقال لسوء الحظ لا يمكن قبول هذا الاحتجاج لان الصورة تضمني واياها . فعض شرلوك على شفتهِ السفلى وقال ان هذا موجب الخوف يا مولاي . فقال الملك انني لم اهتم بشيء في ذلك الوقت لانني كنت وليّ عهد وانا حتى الآن لم ابلغ الثلاثين من عمري. فقال شرلوك ان الصورة تهم اكثر من كل شيء فيجب استرجاعها . قال قد حاولت ذلك كثيراً فلم اجد اليهِ سبيلاً . قال اشترها بالمال . قال انها لا تبيعها . قال فاسرقها . قال قد حاولنا ذلك خمس مرات فلم نفلح وفتشنا امتعتها مرتين في اثناء سفرها فلم نقف للصورة على اثر . وهي ولا شك تهتم بحفظ هذه الصورة اهتمامها بحفظ حياتها لانهُ بلغها انني ساقترن بالبرنسة كلوتيلد ابنة ملك سكندينافيا وهي تعلم ان اقل شبهة تلقى عليَّ تحول دون اتمام هذا الزواج وفي نيتها ان ترسل الصورة الى اهل عروسي

المستقبلة . فقال شرلوك وهل انت متحقق انها لم ترسلها حتى الآن . قال نعم لانها قالت انها سترسلها يوم عقد الخطبة اي يوم الاثنين القادم . فقال شرلوك اذاً امامنا ثلاثة ايام نسعى فيها وهو وقت كافٍ وانت ولا شك ستبقى في لندن فاعطني عنوانك لاكاتبك اذا اقتضت الحال واعلمني المبلغ الذي تسمح لي بانفاقهِ في سبيل هذا البحث . فقال الملك انني سابقى هنا هذه المدة تحت الاسم الذي اعطيتكهُ اولاً وهو الكونت فون كرام ومحل اقامتي لانهـام اما المال فاني مفوض اليك امري حتى لو اضطررت الى بيع ايالةٍ من مملكتي اما الان فخذ هذه الاوراق وقيمتها الف ليرة . واعلم ان ارين تقيم في شارع سر بنتين بقرب غابة القديس يوحنا وان الصورة من القياس الكبير المعروف بكابينه . فكتب شرلوك وصلاً بالمبلغ دفعهُ الى الملك ثم اخذ دفترهُ فكتب فيهِ عنوان تلك الغانية وشيع زائرهُ الى الباب واعداً انهُ سيبذل جهدهُ وانهُ ربما يفيدهُ شيئاً في الغد . ولما سارت العربة بالزائر نظر اليَّ شرلوك وقال لا احب ان اعوقك اكثر ايها العزيز وطسن ولكن ارغب اليك ان تأتي اليَّ بعد ظهر الغد لنتكلم معاً في امر هذه الحادثة

وعند الساعة الثالثة من اليوم الثاني ذهبت الى بيت صديقي فلم يكن هناك وعلمت من الخادمة انهُ خرج منذ الصباح ولم يعد · فدخلت الغرفة وجلست انتظرهُ الى الساعة الرابعة واذا بالباب قد فتح ودخل منهُ خادم يترنح بالسكر وقد تورَّم وجههُ وانتفش شعرهُ وتمزقت ثيابهُ فعجبت من دخول هذا الخادم الغريب ومع اعتيادي مشاهدة شرلوك في تنكرهِ لم اعرفهُ حتى رايتهُ دخل غرفة نومهِ وعاد بعد بضع دقائق بثيابهِ العادية فجلس امامي واستغرق في الضحك ثم قال لو علمت يا وطسن كيف قضيت نهاري وماذا فعلت لضحكت اكثر مني الآن . قلت لا شك انك كنت تراقب بيت ارين ادلر وتلاحظ حركاتها. قال نعم قد خرجت صباحاً في زي خادم وما عتمت ان بلغت منزلها وعرفت غرفهُ ومداخلهُ ومخارجهُ واثاثهُ ورياشهُ ثم نمت على الطريق شأن الخدم الكسالى المطرودين من اعمالهم . ولم يكن الا القليل حتى رأيت خدم السيدة ادلر قد خرجوا الى عملهم فساعدتهم في تنظيف الخيول والحديقة

ونلت جزآء مساعدتي بنسين وكأس خمر ولفافتي تبغ . وكنت اسارقهم الحديث فعلمت منهم كل ما يعرفونهُ عن سيدتهم وانها تتعاطى الغنآء في ندوة قريبة وتخرج في عربتها كل يوم في الساعة الخامسة للنزهة وترجع في السابعة لتناول العشآء ولا يزورها من الناس الا رجلٌ واحد يدعى جودفري نورتون وهو اسمر اللون جميل الخلقة قوي العضل . وبعد ان علمت كل ذلك جعلت افكر في طريقة اجري عليها وعلمت ان لهذا الرجل جودفري شأناً كبيراً في الامر الذي نحن بصدده وانهُ محامٍ ولكن ما شأنهُ في زيارة ارين وهل هي من الذين يتوكل عنهم ام من اصدقائهِ ام معشوقتهُ فان كان الاول فلا يبعد ان تكون قد اعطتهُ الصورة وان كان الاخير فلا يمكن ان يكون ذلك . وحينئذٍ جعلت اؤامر نفسي هل اجعل بحثي في منزلها او احول نظري الى استطلاع حالة الرجل وانت لا تجهل دقة الامر وانهُ يزيد في وعورة مسلكي . وبينما انا غارق في تأملاتي رأيت مركبة قد جآءت فوقفت امام البيت ونزل منها رجل اسمر اللون جميل الصورة لم اشك في انهُ نفس الرجل الذي سمعت عنهُ فدخل المنزل وبقي في زيارتهِ نحو نصف ساعة رأيتهُ فيها من النافذة يسير ذهاباً واياباً ويهز يديهِ بقلق شديد . اما هي فلم أرَها . وبعد قليل خرج وقال للحوذي طِرْ بي الى محل جروس وهانكي في شارع ريجنت ثم الى كنيسة القديسة مونيكا ولك مني نصف ليرة علاوة على اجرتك اذا اتممت ذلك في عشرين دقيقة . وبينما انا افكر في هل اتبع الرجل اذا بصوت السيدة قد قرع اذني وهي تستدعي احد خدمها فامرتهُ ان يعد مركبتها . ولم يكد يفعل حتى خرجت فركبتها وصاحت بهِ اسرع بي الى كنيسة القديسة مونيكا ولك نصف ليرة اذا اوصلتني في عشرين دقيقة . فلم اعد استطيع صبراً وخطر لي ان اتعلق بمؤخر عربتها ولكنني قبل ان افعل رأيت مركبة قادمة من جهة اخرى فاستوقفتها وقبل ان يمانع حوذيها في ركوبي بتلك الهيئة قلت لهُ اذهب بي الى كنيسة القديسة مونيكا ولك مني نصف ليرة اذا اوصلتني في عشرين دقيقة . فالهب جواديهِ بالسوط وسار بي بسرعة لم اسر بمثلها قبلاً حتى بلغت الكنيسة فوجدت امام بابها المركبتين السابقتين فنقدتهُ الاجرة

ودخلت الكنيسة كما يدخل الفقرآء والمساكين فلم ارَ فيها سوى الشخصين اللذين ذكرتهما امام المذبح وبازآئهما كاهن . وحانت من الرجل التفاتة فرآني فصاح قائلاً لله الحمد فان هذا الغريب يقضي اربنا ثم اسرع اليَّ وقبل ان افهم مرادهُ جرَّني الى المذبح وجعل يملي عليَّ اجوبة لاقولها للكاهن فلم افهم شيئاً منها الا انني علمت انهُ يُعقد على ارين ادلر لجودفري نورتون . وبعد اتمام بركة العقد شكرني العروسان واعطتني العروس ليرة سأحفظها في سلسلة ساعتي ما حييت . ولما خرج العروسان من الكنيسة قالت لهُ انني سأخرج لنزهتي حسب العادة في الساعة الخامسة ثم ركبت عربتها وعادت الى منزلها وعاد هو الى منزلهِ وانطلقت انا الى تدبير شؤوني . اما الآن فالارجح انني احتاج الى مساعدتك يا وطسن فهل تحب ان ترافقني . قلت انت تعلم انني اطوع لك من بنانك . قال ولعلهُ يكون في عملنا ما يوجب سجننا . قلت لا يهمني ذلك اذا كان في سبيل الخير . قال اذاً يجب ان نكون بعد ساعتين في محل العمل فان السيدة ارين ترجع من نزهتها في الساعة السابعة فيجب ان نكون في منزلها لاستقبالها وقد اعددت كل ما يلزم فلا تهتم بشيء الا بان لا تتداخل فيما افعلهُ مهما حدث وربما يصيبني مكروه فلايهمك الامر . وسينقلونني الى داخل البيت وبعد دخولي تُفتح نافذة الغرفة فيجب ان تكون بجانب النافذة وتراقب اعمالي ومتى رفعت يدي فارم الى داخل الغرفة بشيءٍ اعطيكهُ وصح باعلى صوتك النار النار وسيردد الصراخ جمهور الخدم والمارّة فمتى حصل ذلك فاسبقني الى آخر الشارع حيث اوافيك بعد بضع دقائق . فهل فهمت وهل انت مستعدٌّ للقيام بكل ذلك . قلت اني لم اخالف لك امراً في الماضي وستجدني كذلك في المستقبل . قال حسنٌ ثم دخل غرفتهُ وعاد بعد هنيهةٍ بثوب كاهن بسيط . ومن غريب امر شرلوك انهُ كان لهُ مقدرةٌ عظيمة على تغيير ملامحهِ حتى لو وقف امامك لاستطاع ان يحجب عينيك عن معرفتهِ بمجرّد ان يتبسم او ينفخ خديهِ او يغمض عينيهِ . ولما اتم كل ذلك خرجنا وسرنا معاً فبلغنا شارع سربنتين ورأيت المنزل كما وصفهُ لي شرلوك ورأينا بالقرب منهُ جمهوراً من الفعلة يدخنون ويسيرون ذهاباً واياباً فدخلنا بينهم . وكان

شرلوك يقول لي ان الصورة الآن سلاح ذو حدين في يد ارين يخشى عليها منهُ فهي لا تحب ان يراها زوجها الجديد كما انها لا تريد ان يسترجعها منها صاحبنا فاين تكون الصورة يا ترى . ولست اظن انها تخفيها في ثيابها فان حجمها لا يسهل اخفآؤهُ وفضلاً عن ذلك فهي تخشى ان يسعى الملك في اغرآء من يلاقيها و ينزعها منها وقد حاول ذلك كما اخبرنا فلا يبعد ان تكون قد اودعتها عند محاميها او عند صرافها . ولكن النسآء في الغالب يفضلنَ الاعتماد على انفسهنَّ وفوق كل ذلك فهي تنوي ان تستخدم هذه الصورة بعد يومين فالارجح انها لا تزال في منزلها . فقلت ولكن الملك قد ارسل ايضاً مراراً لصوصاً ليسرقوها فلم يجدوها . قال يحتمل ذلك لانهم لم يعلموا اين يبحثون عنها . قلت وكيف يمكنك ان تعرف ذلك انت . قال سأجعلها ترشدني اليها بنفسها . و بينما نحن في الكلام جآءت العربة تقل ارين ولما بلغت الباب اسرع احد الفعلة ليفتح لها باب المركبة فزاحمهُ آخر ثم تقدم ثالث ورابع وكلهم يودّ ان يفتح الباب بنفسهِ لينال اجرتهُ من السيدة وانتهى الامر بينهم بالملاكمة والضرب . واخيراً فتحت السيدة باب مركبتها وترجلت فوجدت نفسها بين زمرة الفعلة وهم في قتال عنيف واذا بشرلوك قد وثب بينهم حتى وصل اليها وهو يحاول ان يحميها منهم و يقودها بسلام . ولكنهُ لم يكد يمد ذراعيهِ لحمايتها حتى سمعتهُ قد صرخ صرخة المتألم واذا بالدم يسيل على عينيهِ ووجههِ فانطرح الى الارض كمن فقد الحركة . وكانت هذه العلامة المتفق عليها بينهُ و بين الفعلة كما علمت بعدئذٍ فلما رأوهُ سقط لاذوا بالفرار ولم يبقَ في كل الشارع احد . اما ارين فانها تقدمت الى منزلها وصعدت السلم حتى بلغت اعلاهُ فوقفت ونظرت الى ورآئها ثم سألت الحوذي هل تألم الرجل المسكين كثيراً . قال اظنهُ مات يا مولاتي . وكان قد اجتمع بعض الجيران والمارّة فقال احدهم انهُ لم يمت بعدُ ولكنهُ سيموت قبل ان ينقل الى المستشفى . فقال الحوذي انهُ مات في سبيل انقاذكِ يا مولاتي فلا يليق ان نتركهُ في وسط الشارع فهل تأمرين ان ندخلهُ الى هنا . قالت نعم فاحملوهُ الى غرفة الجلوس وضعوهُ على المقعد الذي فيها . وللحال حملهُ بعضهم فاوصلوهُ الى الغرفة المذكورة وجلست

انا بقرب النافذة واخذت الكرة النارية التي اعطاني اياها واستعددت للعمل

ورأيت شرلوك يُظهر من الحركات ما يدل على ضيق نَفَسهِ فاسرعت الخادمة الى النافذة وفتحتها وللحال رأيتهُ قد رفع يدهُ فالقيت الكرة الى داخل الغرفة وما بلغت ارضها حتى اشتعلت وخرج منها دخان كثيف فصحتُ باعلى صوتي النار النار. ولم اكد اصيح بذلك حتى سمعت جمهوراً يردد ذلك النداَء بعدي وكان الدخان قد ملأ الغرفة وانتشر من نوافذها ورايت الناس يجرون من ناحية الى اخرى . ثم بعد قليل سمعت صوت شرلوك يطمئنهم ويقول الامر سهل لا تخافوا فاغتنمت الفرصة وانسللت بين القوم الى طرف الشارع فانتظرت نحو عشر دقائق وما صدقت ان رايت صديقي شرلوك قد تبعني فوضع يدهُ في يدي وقال هلمَّ بنا وكانت هيئتهُ وحركاتهُ تدل على عظم سرورهِ . و بعد ان سرنا مسافة صامتين قال انك قد قمت بعملك كما ينبغي يا عزيزي وطسن فانا اشكرك . قلت دعنا من هذا فهل حصلت على الصورة . قال لا ولكن علمت اين هي . قلت وكيف علمت ذلك . قال هي ارشدتني اليها كما قلت لك . قلت زدني ايضاحاً لله درُّك . فتبسم وقال لا شك انك تجهل ان الفعلة والمارَّة والجيران وكل الذين رايتهم في هذه الساعة على الشارع انا استأجرتهم لتشخيص هذه الرواية وان الدم الذي غطى وجهي كان مزوَّراً ليستجلب الشفقة عليَّ ويجبر السيدة ان تنقلني الى منزلها والى الغرفة التي قدَّرتُ انها تخفي الصورة فيها لانها ملاصقة لغرفة نومها. فوضعوني على المقعد وطلبت الهواَء ففتحوا النافذة فالقيت انت الكرة النارية ومن البديهي ان الانسان اذا رأى منزلهُ يحترق يسرع بالطبع لوقاية اثمن شيء عندهُ ومعلوم ان السيدة ارين لا اثمن عندها اليوم من الصورة فهي ولا بد تسرع اول كل شيء لتخلصها . وقد نجحت حيلتنا نجاحاً باهراً لان تشخيص الحريق كان طبيعيًّا وقد تم ما كنت اترقبهُ وعرفت ان الصورة محفوظة في نقبٍ وراَء لوح خشبي فوق يد الجرس الذي الى يمين الباب لاني رايت ارين عند مشاهدتها النار والدخان قد اسرعت اليها فاخرجتها من مخبأها ونظرتها بعيني فلما اعلمتهم ان لاخوف من الحريق اعادتها بسرعة كلية الى مخبأها ثم خرجت

من الغرفة ولم اعد اراها . اما انا فنهضت واعتذرت عما اصابني وخرجت وقد كان بودي الاستيلاء على الصورة للحال غير انني رأيت السائق قد دخل وهو ينظر اليَّ نظر المراقب فخشيت ان افعل مايعود علينا بالخسارة وفضلت الانتظار . فقلت وماذا ترى ان تفعل الآن . قال قد اتممنا كل الاستعداد وغداً اذهب واياك والملك لزيارتها فيدخلوننا الى غرفة الاستقبال لننتظرها ولعلها لا تاتي لمقابلتنا حتى نكون قد اخذنا الصورة وخرجنا . قلت ومتى يكون موعد الزيارة . قال في الساعة الثامنة صباحاً قبل ان تكون قد نهضت من فراشها ولكن يجب ان اكتب الى الملك حالاً واعلمهُ بذلك . وكنا قد بلغنامنزل شرلوك فوقف امام بابهِ ليفتحهُ واذا بشبحٍ نحيف قد مرَّ من رصيف الطريق الثاني وقال اسعد الله مساءك يا سيدي شرلوك هولمز . ثم اخفتهُ الظلمة عنا فلم نرهُ . فوقف شرلوك هنيهةً مفكراً وهو يقول قد سمعت هذا الصوت قبل الآن فمن يكون يا ترى وقد شغل بالي

ونمت تلك الليلة في منزل صديقي استعداداً للصباح ولما نهضنا تناولنا شيئاً من القهوة واللبن واذا بملك بوهيميا قد دخل فامسك بكتف شرلوك وقال لهُ اخبرني هل حصلت على الصورة . قال كلا ولكن لي املٌ في الحصول عليها فيجب ان نسير الآن.فقال الملك ان عربتي بالانتظار فهلمَّ بنا . ولما سارت بنا العربة قال لهُ شرلوك ان ارين ادلر قد تزوجت امس بمحامٍ انكليزي يدعى نورتون. قال ومامعنى هذا الزواج فهي لا يمكن ان تحبهُ . قال شرلوك بل اتمنى انها تحبهُ من كل قلبها فانها بذلك تنفي عنك كل خوف في المستقبل لانها اذا احبت زوجها انصرفت عن محبتك فلا يبقى خوف منها ان تتداخل في امورك . فقال الملك نعم هذا صحيح ولكن آه يا ليتها كانت من مقامي فانها كانت تكون اعظم ملكة وضع على رأسها تاج . ولما بلغنا منزل ارين وجدنا بابهُ مفتوحاً فقابلتنا عجوزٌ شمطاء وقالت بتبسم ان احدكم المستر شرلوك هولمز فاهلاً بهِ . فقال شرلوك نعم انا هو فمن اين فعرفتيني . قالت قد قالت لي مولاتي انك ربما تأتي اليوم لزيارتها اما هي فقد سافرت مع زوجها في قطار الساعة الخامسة . فارتعش شرلوك وصعد الدم الى وجههِ وقال ماذا

تقولين أصحيح ان مولاتك قد سافرت . قالت نعم فقد تركت انكلترا وان تعود اليها بعد . فقال الملك بصوت اجشّ والاوراق آه خسرنا كل شيء . اما شرلوك فتقدم امامنا ونحن نتبعهُ الى الغرفة المعهودة فوجدنا اثاثها مبعثراً هنا وهناك والخزائن والادراج مفتوحة مما يدل على انها اخذت ما تحتاج اليهِ منها قبل هربها . واسرع شرلوك الى مخبأ الصورة فمد يدهُ الى النقب فاخرج منهُ كتاباً وصورة وكانت الصورة صورة ارين وحدها واما الكتاب فكان معنوناً باسم شرلوك هولمز وقد كتبت عليهِ انهُ يجب ان يبقى الى ان يطلبهُ . فمزق شرلوك الغلاف واجتمعنا معاً لقرآءتهِ فاذا فيهِ ما يأتي

« عزيزي المستر شرلوك هولمز . انك في الحقيقة اتممت عملك بمنتهى المهارة حتى اوشكت ان تغلبني ولم يخامرني شيء من الريب الى ان اتممت امر الحريق فعلمت انني افشيت سري . وقد حذروني منك منذ اشهر واعلموني انهُ اذا استخدم الملك احداً فلا يكون غيرك وقد اعطوني عنوانك ووصفوا لي هيئتك ومع كل ذلك فقد جعلتني مع كل احتراسي اكشف لك ما تريد معرفتهُ

« نعم انني بعد ان عرفت مقدرتك لا ازال اشفق على الكاهن المسكين الذي كاد يموت بسببي ولكن لا يغرب عن بالك انني أنا أيضاً ممثلة وان لباس الرجال غير غريبٍ لديّ فحالما تحققت وقوعي في شركك صعدت الى غرفتي وارسلت السائق ليراقب ما تفعل ثم لبست لباس رجل ونزلت حال خروجك فتبعتك الى ان بلغت منزلك وتحققت انني لم اخطئ في ظني. وقد تهوّرت في القآء السلام عليك قبل دخولك منزلك وخشيت ان تتأثرني بعد ذلك ولكنني توجهت توًّا الى منزل زوجي وقد رأينا الاوفق لراحتنا ان نهرب لنتخلص من عدوٍّ قادر نظيرك . فمتى زرتنا كما تنوي ستجد العش خالياً والطائر في الهوآء . اما الصورة التي يطلبها صاحبك فقل لهُ لا يهتم بها لان الذي احبهُ ويحبني رجلٌ افضل منهُ فليفعل الملك ما أراد بدون أدنى خوف من ممانعة هذه المسكينة التي أخطأ في حقها . ولكني سأبقي الصورة لحمايتي أنا فقط ولتكون ترساً لي يقيني شرورهُ اذا أراد أن يتأثرني في

المستقبل وسأترك مكانها صورة أخرى من صوري ربما يشاء أن يحفظها والسلام »

« ارين أدلر نورتون »

ولما فرغنا من قرآءة الكتاب قال الملك ما أغرب هذه المرأة ألم أقل لكما انها كانت تكون أعظم ملكة واني لآسف أن تكون دون مقامي فان مقدرة عقلها وسرعة تصورها وغريب ذكائها وشدة نباهتها كل ذلك كان يرفعها الى اسمى درجات العظمة لو لم تستعملهُ في مآربها الشخصية وتسع بهِ وراء نفعها الخاص . . . .

فقال شرلوك قد قلت حقًّا يا مولاي انها من درجة غير درجتك واني آسف لعدم تمكني من ان ينتهيَ هذا الامر على وفق مرامك . فقال الملك بل الامر بالعكس فانهُ لم يكن من الممكن ان ينتهي على احسن مما انتهى فانا اعرف ارين واعلم ان كلمتها لا تراجع وان الصورة لا خطر من وجودها عندها اكثر مما لو ذهبت طعمة النيران فأنا معترف لك بفضلٍ لا يقدَّر واودّ ان تخبرني بماذا استطيع ان اكافئك . ثم اخذ خاتماً من الزمرد في اصبعهِ ودفعهُ اليهِ قائلاً هل تقبل مني هذا الخاتم . فقال شرلوك يوجد شيء اثمن منهُ اود الحصول عليهِ . فقال الملك قل ما هو فاعطيكهُ للحال فقال شرلوك هو هذه الصورة وأشار الى صورة ارين . فنظر اليهِ الملك بتعجب ثم قال هي لك فخذها اذا شئت . فاخذها شرلوك و بعد ان شكرهُ قال اذاً انتهى الامر واني أتمنى لجلالتك ليلةً سعيدة وحياةً اسعد ثم أخذ بيدي وسار غير ملتفت الى يد الملك التي مدها اليهِ

هذه ذكرى الحادثة التي كان يُخشى ان تودي بشرف مملكة بوهيميا وهذه هي المرة الوحيدة التي غلب فيها ذكاء امرأةٍ افضل طرق شرلوك هولمز . وقد كان كثيراً ما يهزأ بأعمال الجنس النحيف اما بعد هذه الحادثة فلم اعد اسمع منهُ شيئاً من ذلك وكان اذا تكلم عن ارين أدلر او رأى صورتها يظهر مزيد احترامهِ لها ويلقبها بالنكرة المعرَّفة لانهُ اذا ذكرها لم يزد على قولهِ « المرأة »



﴿ اعلان ﴾

انهُ بعد الاتكال عليهِ تعالى والاستئذان القانوني من المرجع الاعلى قد أنشأنا في مدينة زحلة من جبل لبنان مطبعة دعوناها مطبعة الكلية الشرقية وانشأنا معملاً لتجليد الكتب . وجعلنا محلهما الى جانب كليتنا المشار اليها وذلك خدمة للوطن والمصلحة العامة طبقاً لنيات الحكومة السنية . وقد جهزناهما بالحروف والادوات اللازمة التي تكفل الاتقان والسرعة في العمل . وفوضنا ادارة الشغل فيها الى حضرة المتفنن الخواجا سليم فاضل الحاج الذي مارس الاشتغال فيهما ازماناً طوالاً وعرف بالاتقان والضبط

والمطبعة اصبحت الآن معدَّة لطبع الكتب والاوراق على تباين ضروبها من اذاعات واوراق مالية ودعوات اعراس واوراق مناعي و بطاقات زيارة الى غير ذلك من حاجات الادباء والجمعيات الخيرية . والادوات لتجليد الكتب والدفاتر على اختلاف درجاتهِ في الاتقان جاهزة . فمن كان من المؤلفين والتجار وغيرهم من الأدباء في حاجة الى طبع او تجليد شيء فليشرف الى محلنا المذكور يجد ما يسرُّهُ من حسن المعاملة .

وذلك حسبنا | رئيس الكلية الشرقية

الخوري بولس الكفوري

اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

وقس على هذا اكثر ما عثرنا عليهِ في القاموس من الالفاظ التي لا ذكر لها في اماكنها ومثلهُ كثيرٌ في لسان العرب والاساس والمصباح وغيرها مما لا حاجة الى الاطناب بذكرهِ . وقد اسلفنا ان هناك الفاظاً أُخر لا تنطبق على قياس اللغة وبالتالي لا يجوز الاسترسال اليها في الاستعمال فضلاً عن اتخاذها حُجّةً ونحن نورد بعضها في هذا الموضع توفيةً للبحث وتبصرةً للمطالع حتى يكون على بيّنةٍ من الطرفين

فمن تلك الالفاظ قولهُ في مادّة (ش ع ب) انشعب تباعد وانصلح. فقولهُ انصلح من الابنية التي لا تجوز في القياس كما سبق لنا التنبيه عليهِ في لغة الجرائد لان صيغة انفعل انما تكون لمطاوعة فَعَلَ الثلاثيّ نحو قطعتهُ فانقطع وكسرتهُ فانكسر فاذا أُريد مطاوعة أَفعَلَ الرباعيّ ولا يكون ثلاثيُّهُ الا لازماً استُعمِل في مطاوعتهِ الثلاثيّ نفسهُ تقول اتعبتهُ فتَعِب وأذهبتهُ فذَهَب ولا تقول انتَعَب ولا انذَهَب . واما قولهم ازعجتهُ فانزعج فالصحيح انهُ على تداخل اللغتين لانهُ يقال زَعَجتهُ وأَزعجتهُ فهو في الاصل مطاوع الثلاثي على القياس ثم استُعمِل لمطاوعة الرباعي ايضاً لانهُ لم يُسمَع الثلاثيّ لازماً وكانهُ من اللفظ الذي اميت في الاستعمال استغناءً عنهُ بانزعج

واغرب منهُ قولهُ في مادّة (س ج ح) انسجح لي بكذا انسمح ولا معنى لمجيء هذه الصيغة من سجح ولا من سمح لانهُ لم يُحكَ شيءٌ

من هذين الفعلين متعدياً الا ان يكون قولك سامحتهُ بمعنى ساهلتهُ وهو ليس في شيء مما نحن فيهِ . والاظهر ان في الرواية غلطاً والصواب في الفعلين أَسجَح وأَسمَح من باب أَفعَل الرباعيّ وكلاهما بمعنى سهَّل . قال في لسان العرب الاسجاح حسن العفو ومنهُ المثل السائر في العفو عند المقدرة ملكتَ فأَسجِح اي ظفرتَ فأَحسِن وقَدَرتَ فسهِّل وأَحسِن العفو . وقال في مادّة (س م ح) سمح لهُ بحاجتهِ وأَسمَح اي سهَّل لهُ . ومن الغريب ان صاحب تاج العروس روى هذين الفعلين بصيغة انفعل ايضاً وكذلك رواهما عاصم في ترجمة القاموس وفسر الانسجاح بالمسامحة والمساهلة . وعلى هذا جرى كل من نقل عن القاموس كصاحب محيط المحيط وغيرهِ ولم يزد في سر الليال بعد ان نقل هذه العبارة على قولهِ ولم يذكر انسمح في بابهِ فلعلهُ سمح اه اي فلعل الاصل انسجح لي بكذا سمح . فتأمل

ومن هذا القبيل في مادَّة (خ ذ أ) خَذَأَ انخضع وانقاد . وكذا نقلهُ صاحب تاج العروس وعاصم ولا يقال انخضع لما تقدم بيانهُ قريباً والصواب خَضَع بلفظ الثلاثي المجرَّد كما استدركهُ في محيط المحيط وهو كذلك في لسان العرب

وفي (ن ص ر) في كلامهِ عن المنصورة فخربت جميعها واندرست وتعفّت رسومها واندحضت . ولا معنى لاندحضت هنا فضلاً عن انهُ لم يذكر هذا الفعل في بابهِ لا بما يناسب هذا المقام ولا بغيرهِ بل لم يذكر دَحَض متعدياً اصلاً . وعبارتهُ هنالك دَحَض برجلهِ كمنع فحص بها وعن الامر بحث ورجلهُ زلقت والشمس زالت (اي مالت عن كبد السماء)

والحجة دحوضاً بطات ولم يزد .

وفي مادة (ك و ع) الكُوع بالضم طرف الزند الذي يلي الابهام كالكاع .. او الكُوع اخفاها واشدّها دُرمةً والدَرَم ان لا يظهر للعظم حجم . يريد بالدُرمة نفس الدَرَم الذي ذكرهُ بعد وهو مصدر دَرِمَ العظم من حدّ تَعِب اذا واراهُ اللحم حتى لا يبين لهُ حجم ولكن هذا الفعل لا يقال في مصدرهِ دُرْمة لان وزن فُعلة في المصادر خاصٌّ بالالوان كالحُمرة والصُفرة والشُهلة وما اشبه ذلك

وفي مادّة (ش ر ي) شراهُ يشريهِ ملكهُ بالبيع .. والله فلاناً اصابهُ بعلّة الشَرَى لبثورٍ صغار حمر حكاكة مكربة . فقولهُ مكربة كلمة عاميّة كما نبهنا عليها في لغة الجرائد لانهُ يقال كَرَبهُ الامر من حدّ قَتَلَ وامرٌ كارب والرجل مكروب ولا يقال اكربهُ . والظاهر انهُ نقل هذه اللفظة عن كتب الطبّ كما هي عادتهُ في كثير من كتابهِ فيذكر صفات الامراض واسبابها وعلاجها وخواص العقاقير والجواهر وغيرها وربما نقل منها ما يدخل في باب الخرافات والخزعبلات[1] وما ندري ما مدخل ~~هذه~~ الاشياء في كتاب لغةٍ ولا سيما والمؤلف يتوخى في كتابهِ الاختصار كما ذكر ذلك في خطبتهِ فاختصر في اللغة حتى دخل في حدّ الاخلال ثم اطال بمثل هذه التخاليط التي لا فائدة منها ولا محل لها في كتابهِ . قلنا بعد ما كتبنا هذا

(١) من امثلة ذلك قولهُ الاهليلج .. ينفع من الخوانيق ويحفظ العقل ... وهو في المعدة كالكذبانونة في البيت وهي المرأة العاقلة المدبرة — البندق .. زعموا ان تعليقهُ بالعضد يمنع من العقارب وتسقية يأفوخ الصبي بسحيق محروقهِ بالزيت

راجعنا وصف الشَرَى في كتاب الاسباب والعلامات للسمرقندي فوجدنا فيهِ ما نصهُ « الشَرَى بثور بعضها صغار و بعضها كبار مسطَّحة الى الحمرة حكاكةٌ مكربة » اه

ومثل هذا قولهُ في مادّة (م و س) الماس حجرٌ متقوّم ‥ يكسر جميع الاجساد الحجرية . فعبّر ههنا بالاجساد مع انهُ يقول في مادّة (ج س د) الجسد محركةً جسم الانسان وزاد في تاج العروس ولا يقال لغيرهِ من الاجسام ومثلهُ في لسان العرب . وانما قلّد بذلك اصحاب الكيمياء فانهم يسمّون المعادن اجساداً في مقابلة الاكسير الذي يسمّونهُ بالروح لانهُ يلقى على ما سوى الفضة والذهب منها فينقلب اليهما بزعمهم وهو من الغازهم

وفي مادّة (ر س ل) أَرسَلوا كثر رِسلهم وصاروا ذوي رَسَل اي قطائع . يريد بالقطائع القُطعان جمع قطيع كما صرّح بهِ في التاج نقلاً عن العباب والقطيع لا يُجمَع على قطائع لان هذا الجمع مخصوص بما آخرهُ تاء مثل عشيرة وعشائر وفصيلة وفصائل . وذلك فضلاً عن ان الرَسَل مفرد والقطائع مجموع فكان حقّهُ ان يعبّر بالأرسال كما في العباب ايضاً

وفي مادّة (ح و ل) واحتوَلوهُ احتاشوا عليهِ ولم يُحكَ احتاشوا في

يزيل زُرقة عينيهِ وحمرة شعرهِ — البورق ‥ مسحوقهُ يلطخ بهِ البطن قريباً من نار (كذا) فانهُ يخرج الدود — التين جاذب محلل والاكثار منهُ مقمل — الجزع الخرز اليماني ‥ والتختم بهِ يورث الهم والحزن والاحلام المفزعة ومخاصمة الناس وان لُفّ بهِ شعر مُعسِر ولدت من ساعتها . . . وهلمّ جرًّا الى ما يطول استقراؤهُ وغالب ما نقلناهُ هنا تجدهُ في مفردات ابن البيطار

شيءٍ من اللغة وصوابهُ احتوَشوا بتصحيح الواو لان فعل المشاركة من الاجوف لا يُعَلّ وكذلك حكى هذا الفعل في موضعهِ قال واحتوَش القوم الصيد انفرهُ بعضهم على بعض وعلى فلان جعلوهُ وسطهم كتحاوشوهُ . وفي الشافية وصحّ باب ازدَوَجوا واجتوَروا لانهُ بمعنى تفاعلوا قال الرضي وان لم يُقصَد في افتعل معنى تفاعل اعلّتهُ نحو ارتاد واختال . اه بمعناهُ وبهذا القدر كفاية　　(ستأتي البقية)

المرأة الشرقية

لا يخفى ان نسآء البلاد الغربية من اوربا واميركا قد تقدمنَ في الاعصر الاخيرة شوطاً بعيداً في العلم والتهذيب ونفضنَ عنهنَّ غبار الجهل الذي كنَّ عليهِ في العصور الهمجية فنفضنَ معهُ غبار الذلّ والامتهان حتى اصبحت المرأة الغربية مساويةً للرجل في الحقوق وخلعت عنها ربقة الاستعباد . وما ذلك الا بفضل ما بلغنَهُ من العلم بحيث ادركنَ حقوقهنَّ فقمنَ يطالبنَ بها وأقمنَ عليها الحجج التي لم يستطع الرجل دفعها الى ان استتبّ لهنَّ ما طلبنَهُ واصبح الرجل ينصفهنَّ ويحترمهنَّ ويرفع مقامهنَّ وبذلك نلنَ المنزلة التي تستحقها المرأة في المُجتمَع الانساني لانها شطر الرجل وشريكتهُ في حياتهِ وأُمّ الأُسرة ومربيتها . ثم سرى ذلك منهنَّ الى الشرق فنالت المرأة فيهِ نصيباً من الحرية ورفعة المنزلة بفضل اختها الغربية وبتقليد الشرق لتمدن الغرب لا بأن المرأة الشرقية استحقت ذلك بما بلغت اليهِ من العلم والمقدرة العقلية والمطالبة بحقوقها كما فعلت تلك . فاننا

اذا نظرنا الى حالة المرأة عندنا اليوم وجدناها لم تكد ترتفع ارتفاعاً يذكر عن حالة المرأة في الزمن الماضي لان كل ما ادركتهُ من التمدن الحالي التزيي بملابس نسآء الغرب وتعلم بعض اللغات الاوربية وبذلك اصبح الكثيرات منا يحسبنَ انهنَّ قد ساوينَ اخواتهنَّ الغربيات بل ربما توهمنَ انهنَّ قد صرنَ منهنَّ فانكرنَ اصلهنَّ الشرقي وازدرينَ بالشرقيين والشرقيات حتى ان منهنَّ من يأنفنَ من التكلم بالعربية او الكتابة بها . ومما يوجب الاسف اننا نرى بعضاً منهنَّ قد نبذنَ الآداب الشرقية فولعنَ بالرقص مثلاً ولبسنَ ملابس الراقصات من الافرنج على ما فيها من التهتك الذي تمجهُ الحشمة الشرقية وينكرهُ ما عند الشرقيين من التصوُّن والحيآء الذي هو حلية المرأة وزينتها ومنهنَّ من يتعاطينَ المقامرة التي هي من اكبر عيوب الرجال فضلاً عن النسآء

واذا بحثت عن اصل هذا الخلل في عوائدنا وآدابنا وجدت ان اكثرهُ قد ورد علينا من المدارس الاجنبية فان مدبرات تلك المدارس والمدرّسات فيها كلهنَّ او اكثرهنّ من الغربيات اللواتي يحتقرنَ الشرق واهلهُ ولغتهُ وعوائدهُ فيربّينَ المتعلمات من بنات الوطن على التخلق باخلاقهنَّ ويغرسنَ فيهنَّ تلك المبادئ السيئة فلا يخرجنَ من تلك المدارس الا وهنَّ يحسبنَ اهل وطنهنّ اقواماً ادنيآء همجيين فيأنفنَ من معاشرة الوطنيات ويزدرينَ بالوطن وكل شيء وطني ويفتخرنَ بالازيآء والعوائد الاجنبية . ولو انهنَّ احسنَّ التبصر لعلمنَ ان ما يحسبنهُ من ذلك فخراً لهنَّ في عيون الاجنبيات هو العار بعينهِ وداعي الاحتقار والامتهان

وأيّ احتقارٍ للانسان اعظم من ان يتبرّأ من اصلهِ ويعدّ قومهُ واسلافهُ ادنياَء حتى يأنف من الانتساب اليهم واي شرفٍ يبقى لهُ بعد ان يُسقِط شرفهُ بنفسهِ ويعترف بانهُ من قوم لا شرف لهم

ولعمري لو ان نسآء بلادنا احسنَّ تقليد الاجنبيات لقلّدنهنَّ اول كل شيءٍ في المحافظة على جنسيتهنَّ والتمسك بشرف اصولهنّ لان هذا هو الشرف الحقيقي ولا سيما اذا لم يكن للانسان من افعالهِ الشخصية ما يشرّفهُ ويغنيهِ عن شرف الاصل . ونحن نجد في النسآء الاوربيات والاميركيات العالمات والمؤلفات واللواتي ينشئنَ المقالات الرنانة ويكتبنَ في الجرائد السياسية والمجلات العلمية واللواتي ينظرنَ في حركات النجوم ويزاولنَ الاعمال الكيماوية الى غير ذلك فهل قلدتهنَّ النسآء عندنا في شيءٍ من ذلك وهل نجد من آثار اقلامهنَّ الا الشيء اليسير لبعض الكاتبات اللواتي لا يكدنَ يبلغنَ عدد اصابع اليد كالمرحومة الاميرة عائشة تيمور والسيدة زينب فوّاز والسيدة لبيبة هاشم وقليلٍ غيرهنَّ . على ان هؤلآء الكاتبات لم يبلغنَ ان يكنَّ كاتبات الا لما اعتنينَ باللغة العربية التي هي لغة آبآئهنَّ وبها كتبنَ ونظمنَ لا بغيرها وهي التي ادركنَ بها الذكر والشهرة وخلّدنَ اسمآءهنَّ في بطون الاسفار . وكذلك نجد من اهل كل امةٍ فالانكليزية مثلاً اول ما تتقن لغة وطنها وكذلك الفرنسوية والالمانية وغيرها واذا تعلمت غير لغة قومها فبعد ان تتقن لغتها . وهذا الذي كانت عليهِ نسآء العرب في العصور التي يسمونها اليوم بالمظلمة وهي العصور التي لم يكن فيها للتمدن الغربي من اثر فانهنَّ كنَّ يدرسنَ علوم العربية وآدابها ويشتغلنَ

بالانشآء والشعر حتى تجد بينهنَّ المئات من الكاتبات والشاعرات اللواتي لا تزال آثار اقلامهنَّ مسطرةً في الكتب الى هذا اليوم. وقد كان لهنَّ من النظم البديع والمعاني الدقيقة والاساليب الرشيقة ما يجارينَ بهِ الرجال بل يفقنَهم احياناً بما يودعنَ اشعارهنَّ من الرقة المخلوقة فيهنَّ والاقتدار على التلاعب بالشعور العقلي وايصال معانيهنَّ الى اعماق القلوب . وسأذكر في هذا المقام بعض مختارات شعرهنَّ تفكهةً للقرآء واقتصر على شعر نسآء المولَّدين لان نسآء الجاهلية وان كنَّ ابلغ شاهداً في المعنى الذي نقصدهُ فانهنَّ كنَّ ينظمنَ بالسليقة لا بالتعلُّم بخلاف نسآء المولدين كما لا يخفى

(ستأتي البقية)　　　وردة اليازجي

العربات المغناطيسية

في الصين واليابان

لا شك ان حجر المغناطيس كان معروفاً من عهدٍ عهيد عند اكثر امم الارض ولهُ ذكرٌ في اقدم كتب الهند والصين ولم يكن يُعرَف من خصائصهِ الا انهُ يجذب الحديد فكان عندهم مظهراً للعجب حتى ان منهم من كان يتوهم ان فيهِ سرًّا سماويًّا . ولم يخطر لاحدٍ ان يستخدمهُ في شيءٍ من المنافع حتى تنبه اهل الصين الى اتجاه قطبيهِ الى الشمال والجنوب فاستخدموهُ في الاستدلال على الجهات وكان ذلك فيما روى مؤرخوهم سنة ٢٦٣٤ قبل الميلاد في زمن الامبراطور هوانغ تي

اما كيفية استعمالهِ فقد جآء في مؤلَّفٍ للدكتور اوربا نِتسكي من

علماء النمسا نقلاً عن احد تواريخ الصين القديمة ما تحصيله

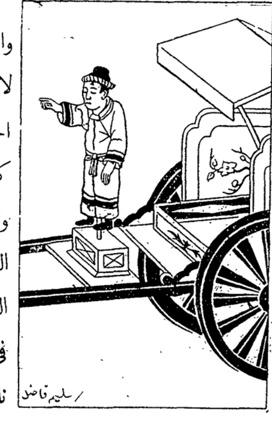
كان احد امراء الصين المسمى تشي يو قد طمحت نفسهُ الى الملك فاخذ يجنّد الجنود ويكثر من صنع السيوف والرماح والمجانيق ويغير على البلدان المجاورة لهُ لادخالها في طاعتهِ . فساء ذلك الامبراطور هوانغ تي وارسل ينذرهُ ويأمرهُ بالقرار في بلدهِ شواهاو فلم يزدد الا تمادياً في غيهِ ثم عبر بجيشهِ نهر يانغ شوي وتسلق جبل كيوناو حتى اطلّ على معسكر الامبراطور وناشبهُ القتال على غرّة فتقهقر الامبراطور من امامهِ حتى اذا استنزلهُ من الجبل وصار في السهل ارتدّ عليهِ بجنودهِ فأثار عليهِ تشي يو غباراً كثيفاً حتى لا يهتدي الى الجهة التي هو فيها ولكن الامبراطور كان قد استصحب عربةً تدلّ على الجنوب فلبث سائراً على هدًى الى ان ادركهُ وقبض عليهِ

اما كيفية صنع هذه العربة فذكر صاحب التاريخ الذي أُخذت عنهُ هذه الرواية انهُ كان في مقدَّمها خيمة صغيرة هرَميّة الشكل يقلّها اربعة تنانين من الخشب وقد نُصِب على رأس الخيمة شخصٌ من الخشب يمثّل رجلاً حكيماً قد مدّ يدهُ الى الامام فكيفما اتجهت العربة كانت يد التمثال تشير الى الجنوب . وكان موكلاً بها واحدٌ من قواد الحرس الامبراطوري ولم تكن تفارق الامبراطور سواءٌ سار في حربٍ او توجه لاقامة احد الاحتفالات الدينية فكانت دائماً في رأس الجيش المرافق لهُ

وقد جاء وصف واحدة من هذه العربات مع رسمها في كتاب موسوعات العلوم الصيني الذي وضعهُ سان تساي توهوّاي سنة ١٦٠٩

للميلاد وشكلها مخالف بعض الشيء للشكل الذي تقدم وصفهُ كما ترى في الرسم وهي فضلاً عن الدلالة على الجهة تشتمل على جهازٍ تُعرَف بهِ المسافة التي تقطعها

اما اهل اليابان فلم يعرفوا هذه العربات الا في زمن متأخر اي في اثناء النصف الثاني من القرن السابع للميلاد والشكل الثاني رسم عربةٍ يابانية من هذا النوع استصنعها الحبر الاعظم ساي ماي تاي اُوكبير كهنة بوذا سنة ٦٥٨ ورسمها منقول عن المجلد الثالث والثلاثين من كتاب موساعات العلوم اليابانيّ الكبير .



اما اختراع الابرة الممغنطة واستبدالها من الحجر المغناطيسيّ فمما لا يُعرَف زمانهُ على انها ولا ريب من اختراع الصين ايضاً ومن المحقق انها كانت موجودةً في سنة ١٢٠ للميلاد وقد اخذ بحّارة الصين منذ اواسط القرن الثالث يستخدمونها في اسفارهم البحرية بعد ان لم تكن تُستعمَل الا في قطع مفاوز البرّ فتبسطوا في كل ناحية من البحر وفي القرن السابع

والثامن انتهوا الى جزيرة سيلان وشواطئ مالابار ومصبّ نهر السند والفرات . ولما كان بحارة العرب كثيري التردد الى الهند للتجارة اخذوا عنهم استعمال الابرة وعن هؤلآء اخذهُ بحّارة اوربا في اوائل الحروب الصليبية او قبلها بقليل . وكانت اذ ذاك على ابسط اشكالها فانهم كانوا يضعونها على قطعة من الفلين في قارورة مملوءة الى نصفها مآء فتطفو فوق المآء وتتحرك بلا مانع . ثم استبدلوا هذه الهيئة بان جعلوها على محور يثبتونهُ في وسط قرص من المقوّي مقسَّم الى درجات ويجعل الكل في علبة واستمرّوا بعد ذلك على تحسينها حتى انتهت الى ما هي عليهِ الآن

الشطرنج في المدارس

يعزى استنباط الشطرنج الى رجل من اهالي الهند وضعهُ على ما يُقال تسليةً لملكهِ فنقلهُ الفرس الى بلادهم في المئة السادسة من التاريخ الميلادي وعنهم اخذهُ العرب عند افتتاحهم بلاد فارس ومن هؤلآء انتقل الى الافرنج فشاع بينهم في اواسط القرن الثاني عشر وغيَّروا فيهِ بعض التغيير واوصلوهُ الى حالتهِ الحاضرة . وامتازت بهِ ايطاليا حينئذٍ على غيرها من الامم الاوربية فنبغ فيها لوپز وداميانو وپولريو وغيرهم ممن ذهبوا الى اسبانيا وفازوا على اشهر نابغات الشطرنج هنالك في ذلك العهد

والامة الانكليزية اكثر الامم ولعاً بهذه اللعبة حتى انك لا تسير في شارع من شوارع لندن الا وترى فيهِ نادياً للشطرنج . وكان نابوليون الاول مغرماً بهِ حتى انهُ لم يكن يسير بجيشهِ الا متأبطاً شطرنجهُ

وقد جاءَ مؤخراً في احدى المجلات الانكليزية فصلٌ تحت عنوان « الشطرنج والمدارس » للمس جفرسن اشهر نابغات الشطرنج في هذا العصر وهي من القائلين بوجوب تعليمهِ في المدارس لما يترتب عليهِ من شحذ الذهن وتوسيع العقل . وقد اصغى الى مشورتها كثيرٌ من مدارس اميركا وكندا الاميرية فجعلت الشطرنج من دروسها القانونية ولم تمرّ مدة من الزمن حتى وضحت نتائج ذلك في عقول التلامذة . فاخذت المانيا تقتدي بمدارس اميركا وكندا واضافت الشطرنج على لوائح معظم مدارسها وخصوصاً الحربية منها

وقد تعلمت المس جفرسن الشطرنج قبل حروف الهجاء وغلبت بضعةً من النوابغ فيهِ باميركا في حداثتها . وقد انتصرت بعد ذلك على عدةٍ من كبار اللاعبين اشهرهم مارشال وهو الذي غلب في سنة ١٩٠٤ اشهر لاعبي الشطرنج في معرض سنت لويس باميركا

وقد زارها احدهم مؤخراً في اثناءِ اقامتها بنيويورك وحادثها في امر الشطرنج ومما قالت لهُ انها لما كانت تلعب مع احد النوابغ كان يسخر منها كما سخر جليات من داود ولكنهُ لا يلبث ان يرى اشراكها محيطةً بهِ فيسقط فيها للحال . وكانت في حداثتها تشترط على خصمها ان يقدّم لها اذا غلبتهُ العوبةً او صندوقاً من الحلويات وكانت كلما توفّرت لديها تلك اللعب توزّعها على رفيقاتها

اما بخصوص تعليم الشطرنج في المدارس فانها تعتقد كل الاعتقاد بقرب تعميمهِ فيها بعد ان ظهرت نتائجهُ الحسنة وفوائدهُ العظيمة . والعقبة

الوحيدة في سبيل ذلك هي الاعتقاد العام بان الشطرنج لايخرج في حدّ ذاته عن لعبةٍ يقصد منها مجرَّد التسلية وقطع الوقت على حد غيرها من الالعاب وهو وهمٌ محض كما يثبتهُ من لهُ ادنى المام بالشطرنج

اما ادخالهُ الى المدارس الابتدآئية (ويسميها الالمان والانكليز والاميركان المدارس الفردوسية) فانهُ خير ما يفعلهُ مديروها اذا ارادوا شحذ عقول تلامذتهم وتعويدهم دقّة النظر والانتباه الى دقائق الامور وتدريبهم على توجيه الفكر الى امرٍ ما او حصرهِ فيهِ. على ان الامر لا يزال الى الآن في مقام البحث والموازنة بين منافعهِ ومضارّهِ وستكشف الايام لنا الستار عن الحقيقة والله اعلم

سليم عبد الاحد

الاسمآء العربية

في البلاد الاوربية

وقفت على الفصل الآتي في جريدة الجولوا الفرنسوية فاحببت ان اطرف بهِ قرآء الضيآء لما فيهِ من الغرابة والفكاهة قال الكاتب

المدعو بوميزان والاسمآء العربية

قد شغل الافكار هذا المراكشي التابع للحكومة الفرنسوية حتى لقد رأينا من الواجب بازآء المشكلة التي سببّها ان ننظر في اسمهِ من الوجه اللغويّ مع صرف النظر عن مسئلتهِ السياسية التي يجري البحث في حلها الآن في فاس وباريز. فنجعل كلامنا هنا في لفظ « بوميزان » ثم نتخطى الى سائر الاسمآء العربية لان الموضوع يستحق ان نجمل فيهِ بعض الشيء

لقد دارت الاسمآء العربية منذ مدة على السنة الساسة الاوربيين فما برحت تستغربها الاسماع لما تجد فيها من تشابه اللفظ ولكننا اذا علمنا الوجه في تسمية المرّاكشيين وكثيرين من رعايانا المسلمين في شمالي افريقيا بهذه الاسمآء وامثالها زال بعض استغرابنا وانقضى العجب . على ان شرح هذه الاسمآء سهل وكلٌّ منها لهُ معنى وان استُهجنت في الظاهر

ليس عند المسلمين اسمآءٌ للأُسَر لان كل اسمٍ يموت بموت صاحبهِ فلا يتعداهُ الى اولادهِ والمولود عندهم لا يسمَّى الا في اليوم السابع او الثامن من ميلادهِ فيكون يوم عيد لذويهِ من العرب والبربر المستعربين كالقبائل المقيمة بالسواحل الشمالية من افريقيا من مرّاكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب وكذلك في مصر وسوريا . ويمكن ان تُحصَر الاسمآء عند هؤلآء المسلمين في ثلاث او اربع فئات كبرى لا تخرج عنها

فالفئة الاولى تتناول اسمآء الآبآء الاولين والانبيآء فنجد كثيرين منهم يسمون بابرهيم وسليمان وموسى وداود ومحمد وحامد ومحمود والثلاثة الاخيرة من اسمآء النبي

وتليها الفئة الثانية وهي تتضمن اسمآء الذين عملوا على تعزيز الدين الاسلامي ونشرهِ كعثمان وعُمَر وعلي وغيرهم

والفئة الثالثة الاسمآء المفتتحة بلفظ عبد (خادم) كعبد الله وعبد القادر وعبد الكريم وعبد الرحمن وعبد العزيز وهلمّ جرًّا في معظم صفات الله التسع والتسعين

والفئة الرابعة الاسمآء المختومة بلفظ الدين كصلاح الدين ومهدي

الدين وخير الدين وهلمّ جرًّا

ويضاف الى الفئات المذكورة اسمآء مركبة من مثل حامد العبد وتصغيرها مثل حَميدالعَبيد (كذا) واسمآء اخر يقصد منها مجرد الصفات كحسن وحاكم (اي قادر) وتصغيرها كحُسَين وحيكِم (كذا) وسعيد ورشيد (اي عادل) ومصطفى وغير ذلك

فيُرَى مما تقدم ان الاصطلاح الذي جرى عليهِ الاوربيون في وضع اسم للأُسرة يُطلَق على جميع الافراد المنتسبة اليها غير موجود عند المسلمين ولذلك يضطرّون في تمييز شخص من آخر في هذه الدائرة الضيقة التي تدور فيها اسمآؤهم ان يستعملوا الالقاب . وبما ان مدار بحثنا هنا على اسم المراكشي المسمى « بوميزان » نقول انهُ لقب

فاذا كانت الالقاب لا تدلّ على وصف مثل الكبير والرقيق والاعور (بخ) فهي على الغالب تصدَّر بلفظة « بو » اي اب ولعل الأَولى خلافاً لما جرى عليهِ فرنسويُّو الجزائر ان نفسر هذه اللفظة برَجُل وهو معناها الحقيقي في الاسمآء الآتية . فنفسر « بونبُّوت » برَجُل النبّوت لا بأبي النبوت و « بوشَلَغْرَم » (صوابهُ بو شلغم والشلغم الشارب بلسان البربر) برَجُل الشارب لا بأبي الشارب و « بوكابوس » (الكابوس اسم الفرد من السلاح) برجل الفرد لا بأبي الفرد و « بو بغلة » برجل البغلة لا بأبي البغلة وهكذا

وتميماً للكلام على هذا الرجل الحقير الذي سبب في هذه الايام الحادث الدوليّ الجلل نقول انهُ لكي نفهم معنى اسمهِ ينبغي ان نرجع الى لفظ «مزيّة» (كذا) وهي اسمٌ جامع لمعنى اللطف والرقة والسخآء (كذا)

ووصفهُ بالمليانى بعد بوميزان يدل على ان اهل عشيرتهِ من مليانة بالجزائر ليس الا —

ثم انهُ كثيراً ما يتفق عند المسلمين ان الاب يترك اسمهُ ليستعيض عنهُ باسم ابنهِ او ابنتهِ واذ ذاك يصدَّر الاسم عادةً بلفظ « أبو » كما يقال ابو طالب وابو بكر (اي ابو العذرآء . . !) وهو الاسم الذي سُمّي بهِ حمو محمد حينما زوّجهُ ابنتهُ (كذا !)

والامهات يفعلنَ كذلك فيتخذنَ اسمآء ابنآئهنَّ ومن هنا نجد غالب اسمآء النسآء العربيات يُفتتح بلفظ أُمّ كأمّ كلثوم وأمّ حبيبة ونحو ذلك

على ان اسمآء النسآء العربيات تفيد في الغالب معنى كما هو الواقع في بعض اسمآئنا النسآئية في المعمودية ولكن بينا نرى انهُ بين اجمل الفرنسويات لا يوجد الا عددٌ قليل ممن تحلينَ باسمآءٍ من هـذا القبيل مثل وردة وبيضآء وبهيّة نرى ان جميع المسلمات قد جُمّلنَ بمثل هذه الاسمآء كزهرة وكثيرة وسعيدة ولُبَنى (اي بيضآء كاللبن ...) ولولو وظريفة وجميلة وقس على ذلك

اما اذا شئنا ان نطبّق معاني هذه الاسمآء البديعة على المسمَّيات بها فقلما نجد فيهنَّ من يصدق عليها مفاد اسمها ولا ننكر ان نسآء الجزائر وتونس لا يخلونَ غالباً من الجمال ولكن لا نظن ان الله يتوخى دائماً ان يجعل من كلٍّ منهنَّ تمثالاً حيًّا لمعنى الاسم الذي سُمّيت بهِ . انتهى

فليتأمل المطالع ما في هذه المقالة من الخبط العجيب ولا سيما زعم الكاتب ان العرب وفي جملتهم مسلمو مصر والشام ليس عندهم اسمآء

للأُسَر مع ان جميع الوجهاء واهل البيوتات بل جميع اصحاب الطبقة الوسطى واكثر الطبقة السفلى من المسلمين وغيرهم في هذين القطرين مقسَّمون الى أُسَر يُطلَق اسم كلٍّ منها على جميع الافراد الداخلة تحتها كآل الكيلاني مثلاً وآل البكري وآل البستاني وآل جنبلاط وآل الصغير وغيرهم الى بني الفحّام وبني الزبّال . اجل لا يُنكَر ان بعض « المستتركين » في مصر والشام اهملوا ذكر الأُسَر في اسمائهم فاصبحوا يسمّون بنحو احمد جودت ومحمود ثروت ويوسف حسني ومصطفى فوزي وما اشبه ذلك ولكن هذا بعيد عن ان يكون لهُ تعلّق بمراد الكاتب وانما هو من قبيل ما يفعلهُ « المتفرنجون » من النصارى اذ عدلوا عن ان يسمّوا بنحو سليم وحبيب ووردة وألماس الى التسمية بنحو فرنسوا وموريس وروزيت وجوزفين ومن اراد ان يسمي بميخائيل عدل الى ميشيل او بيوسف عدل الى جوزيف . بل قد رأيت مرةً بطاقة زيارة لمسمًّى برشيد كتب فيها عوض رشيد « ريشارد » وهي نهاية السخافة

فيُرَى مما ذكر ان كل ما بناهُ على هذه الدعوى الاخيرة خلطٌ في خلط لان الالقاب والكُنَى لا يُقصَد بها ان تقوم مقام اسم الأُسرة في تعريف اصحابها ولكن الاولى يُقصَد بها مجرَّد المدح او الذم والثانية يقصد بها الاجلال في الغالب الا اذا كانت جاريةً مجرى الالقاب فيُقصَد بها ما يُقصَد بتلك من المدح او الذم . واما هذيانهُ في تفسير الفاظ اللغة فاظهر من ان اطيل الكلام عليهِ وقد اشرت الى اكثرهِ في مواضعهِ . فليتأمل ذوو الالباب

عبده داود

وصف المرآة

يا لكِ من بديعة الصقالِ　　صافيةِ الاديم كالزُلالِ
تنطقُ لكن بلسان الحالِ　　بما ترى منكَ ولا تبالي
تُبدِي الذي تُبدِي من الفعالِ　　ومن صفات الوجه والسربالِ
حبيبة النسآء والرجالِ　　تسرُّ بالحسن اخا الجمَالِ
تزيدُهُ زهواً على اختيالِ　　فيمزج الاعجابَ بالادلالِ
والحسنُ كالمُلكِ بلا جدالِ　　أَمَا ترى صاحبَهُ يغالي
يُسرِفُ في النفوس والاموالِ　　إسرافَ ذي جندٍ من الاقيالِ
وتكتم السرَّ بكل حالِ　　لطالب الجمال بالمحالِ
تعينهُ على اذى الليالي　　من شيبةٍ في الرأس والقَذالِ
او كلَفٍ في وجههِ المُذالِ　　وَهْيَ لهُ كالرأي ذي الكمالِ
تُبصِرُهُ الرُشدَ على التوالي　　من غير تمويهٍ ولا احتيالِ
« لو يحتذي الناسُ على مثالِ　　منها لقلَّت كثرةُ الضُلاَّلِ »
« فانها تصدقُ في المقالِ »

حسين عبد الفتاح الجمل

آثار ادبيّة

ترجمة حياة المغفور لهُ الشيخ عبد القادر الرافعي — انتهت الينا نسخة من هذه الترجمة بقلم حضرة ولدهِ الاستاذ الفاضل الشيخ محمد رشيد الرافعي

وقد نسق فيها تاريخ هذه الاسرة الكريمة ونسبها مع تراجم كثير من اعيانها الى امير المؤمنين عمر بن الخطّاب (رضه) . وقد استفيد منها ان اول من لُقّب بالرافعي هو المرحوم الشيخ عبد القادر جدّ صاحب الترجمة وهو اول من حضر الى مصر واخذ عن علمآئها

اما صاحب الترجمة فكان رحمهُ الله من اكابر اهل العلم ومشاهيرهم وُلد في طرابلس الشام سنة ١٢٤٨ ولما ترعرع أَمّ الديار المصرية وتلقى العلم عن اساتذة الازهر الشريف وغيرهم و بعدذلك تولى التدريس فيهِ فتخرَّج عليهِ عدّةٌ كبيرة من افاضل العلمآء وتولى مشيخة رواق الشوام وافتآء ديوان الاوقاف وعُيّن عضواً في مجلس الاحكام ثم رئيساً للمجلس العلمي في المحكمة الشرعية فحَسُنَ اثرهُ في هذه المناصب كلها . ولما خلت وظيفة افتآء الديار المصرية في العام الماضي صدر الامر الخديوي العالي بتقليدهِ هذا المنصب بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣٢٣ فما كاد يستقرّ فيهِ حتى عاجلهُ امر الله بالرحيل الى الدار الباقية فتوفي فجأةً في ٧ رمضان بعد تسميتهِ للمنصب المذكور بثلاثة ايام فقط فكان ذلك داعياً للدهش العظيم عند جميع اهل القطر واخذ الناس يتوافدون على منزلهِ من كل صوب فكان لهُ مأتم حافل لم يُرَ مثلهُ في مصر ومشى في جنازتهِ الالوف من الكبرآء وارباب المناصب والعلمآء والوجهآء وغيرهم الى ان بلغوا بهِ الجامع الازهر حيث صُلّي عليهِ ثم دُفن في قرافة المجاورين رحمهُ الله كِفآء حسناتهِ ونفع بآثارهِ من بعدهِ كما نفع بهِ في حياتهِ

فكاهات

شرلوك هولمز (1)

— ١٥ —

ذوو الشعر الاشقر

ذهبت يوماً من خريف السنة الماضية لزيارة صديقي شرلوك هولمز ولما دخلت وجدتهُ في حديث ذي بال مع رجل ضخم الجسم طلق الوجه متقدم في السن ولهُ شعر اشقر ضارب الى الحمرة . فرجعت الى الوراء معتذراً عن دخولي الفجائي غير ان صديقي تقدم فاخذ بيدي وادخلني ثم اقفل الباب وقال قد جئت ايها العزيز في احسن الاوقات . قلت ولكني اراك مشغولاً فانتظرك في الغرفة الثانية . قال لا ثم نظر الى ضيفهِ وقال يا مستر ولسن ان هذا القادم الكريم هو شريكي ومساعدي في اهم حوادثي ولا اشك انهُ سينفعنا جدًّا في حالتنا الحاضرة . فحياني الرجل ولما جلسنا قال لي شرلوك انني اعلم ايها العزيز وطسن ميلك الى مشاطرتي الكشف عن الحوادث الغريبة وقد زارني اليوم المستر ولسن وذكر لي قصةً لا اشك انها في معظم الاهمية اذ لا يخفى ان الاسرار الجنآئية الكبرى لا تكون دائماً متعلقة بالجرم الفظيع بل هي اكثر منها في الحوادث التي يرى ظاهرها بسيطاً . والذي قصهُ عليَّ حتى الآن غير كافٍ لاستنتج منـهُ ما ازيد بل لعلي احصل على ذلك عند تتمة الحديث ولذلك ارجو المستر ولسن ان يعيد قصتهُ من بدآءتها لتسمعها معي وليكون في اعادتها ما استفيدهُ من الدقائق التي ربما لم انتبه اليها اولاً

فحنى الزائر رأسهُ ثم نفخ صدرهُ اعجاباً وتناول من جيبهِ جريدة قذرة ممزقة

(1) بقلم نسيب افندي المشعلاني

واكبّ عليها وهو يبحث عن شيء مسطور فيها تحت عنوان الاعلانات . واغتنمت الفرصة لتأمل هيئة الرجل لعلي استنتج شيئاً من حالتهِ كما كان يفعل صديقي فتبين لي انهُ تاجر دقيق في العمل ولباسهُ من النسيج الانكليزي الصفيق الذي يحتمل العمل ولا يظهر عليهِ الوسخ وعلى صدرتهِ سلسلة ذهبية معلق في وسطها قطعة معدن . وكان قد القى قبعتهُ العالية وسترتهُ السودآء الى جانبهِ فلم ارَ فيهِ شيئاً غريباً سوى لمعان شعرهِ الاشقر واحمرار لونهِ . وكان شرلوك في هذه الفترة قد نظر اليَّ فقرأ فكري فتبسم وقال انني نظيرك يا وطسن لم احصل على معرفة كبيرة من زائرنا ولم افهم من نظري اليهِ سوى انهُ كان يعمل بيديهِ وانهُ يتنشق السعوط وانهُ من جمعية الماسون وقد قضى زماناً في الصين وكان يكتب كثيراً في المدة الاخيرة . وكان الرجل قد وجد ما يطلبهُ في الجريدة فوضع سبابتهُ على الاسطر ثم نظر الى صديقي نظرة الدهش والاستغراب وقال قل لي بربك كيف عرفت هذه الامور فانني حقيقةً كنت اعمل بيديَّ حين كنت نجاراً على ظهر احدى البواخر . فقال شرلوك لا عجب فيما عرفتهُ بنظري فان يدك اليمنى اضخم من اليسرى وما ذلك الا لعملك بها حتى نمت عضلاتها اكثر من الاخرى . واما السعوط فقد دلني عليهِ ما بقي منهُ في زوايا انفك كما دلتني علامة الزاوية والبركار التي في عقدة عنقك انك من الجمعية الماسونية . ثم رأيت كمّك الايمن لامعاً على علو خمسة قراريط من احتكاكهِ بالمائدة وقت الكتابة ومرفق ثوبك الايسر يكاد يتمزق من وضعهِ على المائدة ايضاً . وافادني رسم السمكة الموشوم على معصمك الايسر انك زرت الصين لان هذا الوشم لا يعمل بهذه الالوان في محل آخر وحققت لي ذلك هذه القطعة من النقود الصينية المعلقة في سلسلة ساعتك

فتبسم المستر ولسن وقال حقًّا ان هذا في غاية الوضوح وليس كما ظننتهُ اولاً من خوارق الطبيعة . فقال شرلوك انني اضيع كثيراً من اهمية عملي بايضاحهِ ومن الواجب ان نقتدي بالمثل اللاتيني القائل كلما حفظت سرك زادت منزلتك رفعةً . ولكن ما لنا ولهذا فهل وجدتَ الاعلان . قال نعم وجدتهُ وها هو ثم دفع اليَّ

الجريدة فقرأت فيها ما يأتي

« الى محالفة ذوي الشعر الاشقر — انهُ بسبب وفاة المرحوم حزقيال هو بكنس من بنسلفانيا قد فرغ محل آخر في هذه الجمعية والعضو الذي يشغل هذا الفراغ يعين لهُ راتب اربع ليرات في الاسبوع ولا يطلب منهُ عمل البتة ولا شرط الا ان يكون اشقر الشعر صحيح الجسم والعقل وقد بلغ الحادية والعشرين من عمرهِ . وعلى الطالب ان يقدم نفسهُ شخصيًّا يوم الاثنين القادم في الساعة الحادية عشرة في ادارة الجمعية بشارع فليت رقم ٧ »

وما انتهيت من تلاوة هذا الاعلان الغريب حتى صحت بدهشة ما عسى ان يكون معنى هذا الاعلان . اما شرلوك فتبسم وطلب مني اخذ رقم ذلك العدد من الجريدة وتاريخهِ ففعلت ثم التفت الى ولسن وقال هات حديثك الآن يا صاح . فقال الرجل انني تاجر صغير وقد تقهقرت تجارتي في المدة الاخيرة وكان عندي جملة مساعدين فتركوني الا واحداً منهم يدعى سبولدن فانهُ رضي ان يخدمني باقل اجرة وقد بقي عندي مع خادمة تعمل الطعام وتنظف المحل لانني ارمل وليس عندي من يعتني بي . فلما كنت في احد الايام جاء سبولدن المذكور وفي يدهِ هذه الجريدة وهو يقول آه يا ليتني اشقر الشعر . فقلت لهُ ولماذا . قال لانهُ يوجد فراغ في جمعية ذوي الشعر الاشقر وفي هذه الجمعية دخلٌ ينالهُ الاعضاء على اتمّ الراحة فلو كان في امكاني تغيير لون شعري لكنت اضمن لنفسي مستقبلاً سعيداً . ولم اكن قد سمعت شيئاً عن هذه الجمعية فشغل امرها فكري واخذت الجريدة فقرأت الاعلان وفهمت من خادمي سبولدن ان في حوزة هذه الجمعية اموالاً تنفقها على الاعضاء ممن تمت فيهم الشروط وهم لا يكلفون في مقابلة ذلك الا عملاً طفيفاً لا يعوقهم عن اعمالهم الاخرى . وان مؤسس هذه الجمعية مثر اميركاني يقال لهُ حزقيال هو بكنس كان اشقر الشعر فمال الى ذوي الشعر الاشقر ولما توفاهُ الله وجدوا في وصيتهِ الاخيرة رغبتهُ في تأليف جمعية لهذا الصنف من البشر وقد عين لكل عضو اجرة يتقاضاها كل اسبوع على عمل زهيد لا يكاد يذكر . ثم نظر اليَّ

سبولدن وقال يا مستر ولسن ان لون شعرك هو اللون المطلوب ولا ارى ما يمنعك من تقديم نفسك اذا شئت ان تضيف الى دخلك ما يزيد على مئتي ليرة في السنة. ولما سمعت منهُ ذلك مع ما انا فيهِ من تأخر اشغالي اهتممت للامر فامرتهُ ان يقفل الادارة وان يذهب معي الى المحل المذكور عنوانهُ لاقدم نفسي في جملة الطالبين. ولما بلغنا المحل رأيت جمًّا غفيراً من ذوي الشعر الاشقر وقد جآءوا جميعهم لتقديم انفسهم مثلي فضعف املي في الفوز بين هذا الجمهور غير ان خادمي سبولدن اكد لي ان لون شعري الاحمر اللامع هو المطلوب وان ليس في رؤوس جميع المتقدمين ما يشابههُ . ولم يكفهِ ان يقنعني بذلك بل جعل يفتح لي طريقاً في خلال ذلك الزحام حتى اوصلني الى سلم الادارة نفسها فرأينا كثيرين من الخارجين المرفوضين وغيرهم من الداخلين على الامل حتى جآءت نوبتنا فدخلنا الى الادارة . ولم اجد في الغرفة التي دخلناها سوى كرسيين خشبيين ومائدة ورآءها رجل شعرهُ اشدّ حمرةً من شعري كان يكلم الطالبين ومتى رأى فيهم عدم الاهلية يصرفهم . فلما جآءت نوبتي اظهر الرجل اهتماماً بي اكثر من سواي واقفل باب الغرفة بعد دخولي ولم اكد اجلس امامهُ حتى قال لهُ خادمي قد احضرت لك المستر ولسن طالباً تعيينهُ في المحل الفارغ في جمعيتكم . فقال الرجل اهلاً بهِ فانهُ يطابق مطلوبنا تمام المطابقة . ثم تقدم اليَّ ففحص شعري ولما انتهى اخذ يدي فغمزها بين راحتيهِ بمنتهى السرور وقال انني اهنئك ايها القادم الجديد بفوزك العظيم وارجو ان تعذرني اذا امتحنتك هكذا . ولما قال هذا امسك بشعري وجذبهُ بعنفٍ حتى صرخت متألماً . فقال قد خدعنا غيرك بشعر استعاري فاضطررت ان افعل هذا لاتحقق ان شعرك طبيعي . ثم توجه الى النافذة وصاح بصوتٍ عالٍ انهُ قد وجد المطلوب ولم تبقَ لهُ حاجة في الطالبين فاخذ الحاضرون في الانصراف ومنهم من يشتم ومنهم من يتهدد . ولما خلونا في المكان قال لي هل انت متزوج يا مستر ولسن وهل لك عيال . قلت لا . فقال ان هذا الامر يضاد قوانيننا لان مؤسس الجمعية لا يقتصر غرضهُ على مساعدة ذوي الشعر الاحمر بل يودّ ان يكثر نسلهم فعزوبيتك تقف

مانعاً بازآء هذا القانون . ولما سمعت منهُ ذلك حزنت كثيراً وخشيت ان افقد المنصب ولكنهُ ما عتم ان قال بما انهُ من الصعب ان نجد اللون المطلوب في غير شعرك فيجب ان تقبلك ففي اي وقت يمكنك الدخول في العمل . قلت عليَّ اشغالٌ قليلة اود ان اقضيها اولاً . فقال خادمي سبولدن لا يهمك ذلك يا مستر ولسن فانني اعاهدك على ان اقوم بها كما تحب . قلت حسنٌ فما هي ساعات العمل في الجمعية . فقال الرجل من العاشرة صباحاً الى الثانية بعد الظهر

ولما كان شغلي الخاص معظمهُ في المسآء لم اجد بأساً بشغل الجمعية ولا سيما مع اتكالي على خادمي فاجبت بالقبول وسألت عن الاجرة فقال اربع ليرات في الاسبوع . قلت وما هو العمل . قال عمل اسميّ فقط فينبغي ان تقضي الاربع ساعات المذكورة في الادارة بدون عمل ولكن لا يمكنك ان تخرج منها واذا خرجت فقدت مركزك الى الابد ولا يؤذن لك في الخروج قبل انتهآء الوقت المذكور مهما كانت الحالة . ويُطلب منك في هذه المدة ان تأخذ ورقاً وقلماً وتنسخ الجزء الاول من موسوعات العلوم الانكليزية . واذ قد تمّ الاتفاق بيننا على ما ذكر فاني اهنئك ثانيةً لحصولك على هذا المركز واستودعك الله الى الغد حين يبتدئ عملك هنا . ولما قال هذا حنى رأسهُ اشارةً الى انتهآء المواجهة فخرجت مع خادمي سبولدن وانا لا اعلم ماذا اقول او افتكر وقد سرَّني جداً ان احصل على مثل ذلك الدخل بدون تعب البتة

ولما عدت الى منزلي جعلت افكر فيما جرى فاشتغل بالي وظننت انهُ لا بد ان يكون في الامر سرٌّ لم ادرك كنهُ لانهُ لم يخطر لي وجود رجل يوصي بمالهِ على هذه الطريقة الغريبة وينفق ملايينهُ على رجال شعرهم اشقر ولا يطلب منهم عملاً سوى نسخ بعض مجلدات من كتب مطبوعة . ورأى خادمي سبولدن قلقي فجعل يسهل عليّ الامر ويسليني حتى اقتنعت وصممت ان اجرب . ولما اصبحت ابتعت حبراً وقلماً وشيئاً من الورق وتوجهت الى محل ادارة الجمعية فوجدت كل شيء في منتهى الدقة والترتيب وقد احضروا لي المائدة التي اكتب عليها وكان

المدير الذي قابلتهُ بالامس جالساً ينتظرني لابدأ بالعمل ولما شرعت في الكتابة تركني ولكنهُ كان يأتي من حين الى آخر يزورني و يراقب كتابتي . فلما بلغت الساعة الثانية اثنى على نشاطي وصرفني واقفل باب الادارة ورآءي . و بقيت على مثل ذلك الى يوم السبت فلما صرفني نقدني اربع ليرات وكان كذلك في الاسبوع الثاني والثالث . وكان في بدآءة العمل يأتي المدير مراراً يراقب شغلي فلما مرَّت عليَّ الايام وتحقق امانتي لم يعد يزورني الا مرة واحدة كل يوم . ومع كل ذلك لم اجسر قط ان اتغيب عن الوقت المفروض خوفاً من فقد هذا المركز الذي وجدت فيهِ الربح مع الراحة ومرَّت عليَّ ثمانية اسابيع وانا اكدّ واجتهد حتى كدت افرغ من نسخ المجلد الاول والثاني . فلما ذهبت صباح اليوم كعادتي وجدت باب الادارة مقفلاً على خلاف العادة وعليهِ رقعة مكتوب عليها هذه الكلمات . « ان جمعية ذوي الشعر الاشقر قد انحلت بتاريخ ٩ اكتوبر سنة ١٨٩٠ » فاستغربت جدًّا هذا الامر على غير سابق تنبيه وحرت في امري فنزعت البطاقة المذكورة ووضعتها في جيبي وجعلت اطوف حول الادارة فلم ارَ باباً مفتوحاً ولا نافذة فسألت الجيران فلم يعلم احدهم شيئاً عن الجمعية . وتوجهت اخيراً الى صاحب البناء وسألتهُ ماذا يعلم عن هذه الجمعية فقال انهُ لم يسمع بوجودها قط . قلت لهُ أوَلا تعرف المستر روس وهو المدير . قال لعلك تعني الرجل الاشقر الشعر الذي كان يسكن في رقم ٤ واسمهُ المستر وليم موريس . قلت نعم . قال هذا محامٍ استأجر غرفة في منزلي لمدة قصيرة وقد تركها امس مسآءً . قلتِ وهل تعلم اين يمكن ان اجدهُ . قال في ادارتهِ الجديدة فقد سمعتهُ يقول انهُ سيسكن في رقم ١٧ من شارع الملك ادورد . فتوجهت للحال الى المحل المذكور و بعد البحث الدقيق لم اعثر على احد يعلم شيئاً عن وليم موريس ولا عن المستر روس . فعدت الى منزلي واخبرت خادمي سبولدن بما كان فاشار عليَّ ان انتظر لعلّ المدير يكتب اليَّ شيئاً مع البريد غير ان هذا لم يرحني وقد عزَّ عليَّ ان اخسر مركزاً كهذا بسهولة وكنت قد سمعت عنك يا مستر شرلوك هولمز انك لا تضن بالنصيحة فجئتك مستشيراً علك تعلمني ماذا يجب ان افعل

فقال شرلوك قد احسنت يا هذا في مجيئك اليّ لانني اعتقد ان في الامر اكثر مما ظهر فيهِ من البساطة ولذلك اسمح لي ان اسألك بعض الاسئلة التي ربما تساعدني في تخميني . فهل لك ان تخبرني كم كان لخادمك عندك من الزمن حين احضر اليك الاعلان . قال كان عندي من شهر قبل ذلك . فقال شرلوك وكيف وصل اليك . قال اعلنت عن حاجتي الى مستخدم فجآءني مع كثيرين غيرهِ وانتخبتهُ لما رأيت فيهِ من الذكآء وعدم الطمع في الاجرة . فقال شرلوك وهل لك ان تصفهُ لي . قال هو قويّ البنية متين العضلات سريع الحركة حليق الوجه لهُ على جبهتهِ علامة بيضآء . فلما سمع شرلوك ذلك نهض عن كرسيهِ مضطرباً وقال قد ظننت ذلك ولكن هل لاحظت ان في اذنيهِ ثقوباً . قال نعم وقد قال لي انهُ من صغرهِ ثقبتهما لهُ والدتهُ لتلبسهُ فيهما اقراطاً . فتبسم شرلوك وقال أوَلا يزال في خدمتك حتى الآن وهل كان لا يزال قائماً بعملهِ كما تريد . فقال انهُ باقٍ في خدمتي ولا اشكو قصوراً في عملهِ لان اكثر ما يكون العمل عندنا في المسآء وانا دائماً اكون في محلي في ذلك الوقت . فقال شرلوك كفى فقد اخذت ما تهمني معرفتهُ وارجح انني سأتمكن من افادتك شيئاً قبل يومين

ولما انصرف الزائر قال لي شرلوك ما رأيك يا وطسن في هذه الحادثة . قلت انني اصرح لك بانني لم اتمكن من ادراك شيء سوى انها احدى الغرائب السرية ولكن قل لي ماذا عزمت ان تفعل . فتبسم شرلوك كعادتهِ وقال اما الآن فلا شيء اهم من التدخين والتأمل . ولما قال هذا عاد الى كرسيهِ واشعل غليونهُ وصمت نحو نصف ساعة حتى ظننتهُ قد نام وكاد يأخذني النعاس واذا بهِ قد وثب فجأةً وقال احبُّ ان نذهب لحضور التمثيل في ملعب سانت جامس فهل ترافقني يا وطسن . قلت لا يمنعني شيء من ذلك فهلمَّ بنا . قال حسنٌ فخذ قبعتك وتعالَ وسنمرّ في بعض الشوارع اولاً فنتناول شيئاً من الطعام في طريقنا وقد علمت انهُ يوجد في اثنآء التمثيل موسيقى المانية فاودُّ سماعها لانني افضلها على الموسيقى الفرنسوية والايطالية . فخرجنا معاً وما زال شرلوك يسير وانا اتبعهُ من شارع الى اخر حتى بلغنا منزلاً قد

كتب عليهِ اسم ضيفنا في الصباح المستر ولسن فوقف شرلوك امامهُ وجعل يميل رأسهُ يميناً وشمالاً وهو يتفحص البنآء بنظرهِ الحاد ثم عاد بي الى زاوية الشارع وهو يلاحظ الابنية والمنازل المجاورة • ثم عاد ثانية الى المنزل المذكور ولما اقترب منهُ ضرب بعصاهُ مراراً على الارض ثم تقدم الى الباب فقرعهُ وللحال فتح لنا فتى حليق الوجه بهي الطلعة ودعانا الى الدخول • فقال شرلوك نشكرك يا سيدي ولكن أرجو ان تدلنا على الطريق المؤدية الى شارع استراند . فقال الفتى خذ الشارع الثالث الى اليمين ثم الرابع الى الشمال ولما قال هذا دخل واقفل الباب . فقال شرلوك ان هذا هو خادم المستر ولسن وقد عرفتهُ قبل الآن فهو نشيط وحاذق لا يكاد يوجد من يضاهيهِ في لندن . فقلت لعلك جعلت سؤالك عن شارع استراند حجة لترى هذا الفتى . فقال شرلوك لا فاني لم اقصد ان ارى الشخص بل ثوبهُ عند ركبتيهِ . قلت وماذا وجدت قال ما كنت ارجوهُ . قلت ولماذا ضربت بعصاك الارض . قال ان الوقت وقت ملاحظة لا وقت ايضاح ايها العزيز وطسن فتعالَ معي لفحص الطرق التي ورآء هذه . ولما قال هذا قادني من طريق اخرى الى ورآء المنزل المذكور فبلغنا شارعاً كثير الحركة والزحام من اهم الشوارع التجارية فوقف شرلوك عند زاويتهِ وجعل يلاحظ ويميل بنظرهِ من جهة الى اخرى ثم قال قد فرغنا من عملنا فهلمَّ بنا يا وطسن نتناول شيئاً من الطعام ونسرع الى دار التمثيل لسماع الموسيقى فانها تبدد عنا هموم ذوي الشعر الاشقر

ولم نزل نجد السير حتى بلغنا الملهى فدخلناهُ وكان شرلوك ميالاً الى الموسيقى كثيراً فرايتهُ قد نسي كل شيء واصاخ بسمعهِ للعزف بل كان يرافق حركات اللاعبين بنقر اصابعهِ كانهُ انتقل من حالتهِ الاولى تماماً حتى ظننتهُ قد نسي كل ما يختص بامر المستر ولسن . ولما خرجنا بعد انتهآء التمثيل قال لي انك ذاهب الى منزلك يا وطسن على ما اظن . قلت نعم اذا لم تكن فائدة من بقآئي معك . قال اما انا فلديَّ شغل ذو بال لا بد من اتمامهِ فان حديث صاحبنا اليوم في غاية الاهمية . قلت وما هي اهميتهُ قال ان جرماً فظيعاً يدبَّر من مدة واظن اننا نتمكن من تداركهِ في الوقت الملائم وبما ان اليوم السبت فالارجح انهُ سريع الوقوع ولذلك ارجو مساعدتك هذه الليلة عند

الساعة العاشرة . قلت حبًّا وكرامة فسأوافيك في غرفتك عند الساعة العاشرة . قال اجل ولا يبعد ان يكون في الامر بعض الخطر فيحسن ان تحضر معك مسدسك الشهير . ولما قال هـذا تركني واختفى بغتة . فتوجهت الى منزلي وانا اعنف نفسي واعجب من أعمال شرلوك . اما تعنيفي لنفسي فلأني سمعت ما سمعهُ ورأيت ما رآهُ فلماذا لم افهم شيئاً من كل ذلك بينا اراهُ كأنهُ قد فهم المقصود وما يجري والغاية التي ستتم . وجعلت اراجع كل ما جرى امامي في ذلك اليوم لعلي اهتدي الى ما ينوي شرلوك ان يفعلهُ فلم يُفتح عليَّ بشيء ولما يئست من حل هذا المعمى صرفت الامر من فكري . و بلغت البيت فاسترحت الى الساعة التاسعة ثم سرت على قدميَّ الى ان بلغت منزل شرلوك فرأيت امام بابهِ مركبتين ولما صعدت السلم سمعت كلاماً فدخلت فرأيت شرلوك ومعهُ رجلان احدهما عرفتهُ للحال انهُ بعض رجال الشحنة واسمهُ جونسن اما الثاني فكان وجههُ مستطيلاً رقيقاً تلوح عليهِ امارات الحزن والكآبة . فلما رآني شرلوك قال قد كمل عددنا فهيا بنا . ثم نظر اليَّ وقال ان صديقيَّ هذين هما المستر جونسن مفتش الشحنة ولا بد ان تكون عرفتهُ اما الآخر فهو المستر مر يوذر رفيقنا في سياحتنا هذه الليلة . فقال الغريب وعسى ان لا تكون هذه السياحة عقيمة من الفائدة . فنظر اليهِ مفتش الشحنة وقال ان من كان دليلهُ شرلوك هولمز لا يخشى الاخفاق . فقال شرلوك لا يهمني اعتقادكم بي ولكنني اوكد لك يا مولاي مر يوذر انك ستربح في هذه الليلة لا اقل من ثلاثين الف ليرة واما انت يا جونسن فستلقي القبض على شرير طالما تمنيت ان يكون في يدك . فقال المفتش لا شك ان الشرير جون كلاي القاتل واللص والمزور والمزيف يستحق ان انال فخر القبض عليهِ واضع هذا القيد الحديدي في معصميهِ اكثر من القاء القبض على كل لصوص لندن . والغريب فيهِ انهُ حفيد دوق من الاسرة الملكية وقد تربى في كليتي ايتون واكسفورد واغرب منهُ انهُ يسرق مصرفاً اليوم في شمالي انكلترا ويبني بهِ غداً مستشفى في جنوبيها وقد قضيت عدة سنوات في تأثرهِ فلم اظفر بهِ حتى الآن

فقال شرلوك وانا ايضاً قد تتبعتهُ من مدة وجيزة ولكنني واثق انني سأعرفكم

بهِ هذه الليلة وقد ازفت الساعة العاشرة فيجب ان لا نضيع الوقت . ولما قال هذا امر جونسن ومر يوذر ان يدخلا المركبة الاولى واصعدني معهُ الى الثانية وسرنا سيراً حثيثاً كان شرلوك في اثنائهِ ساكتاً حتى قاربنا شارع فارندون فقال لي اعلم يا وطسن ان رفيقنا مر يوذر مدير مصرفٍ عظيم ويهمهُ امرنا في الغاية وقد استحسنت ان يرافقنا جونسن لانهُ اولاً شجاع جسور وثانياً اذا امسك بفريستهِ فانهُ يلصق بها فلا تجد الى الفرار منه سبيلاً

وكنا قد بلغنا الشارع المزدحم الذي زرناهُ في النهار فترجلنا وصرفنا المركبتين وسار امامنا مر يوذر الى بابٍ صغير فتحهُ فاوصلنا من منعطفٍ ضيّق الى باب حديدي فتحهُ ايضاً وسرنا في سلم طويل الى باب آخر ومنهُ الى دهليزٍ مظلم تنبعث منهُ رائحة الارض وفي منتهاهُ بابٌ آخر اجتزناهُ فوصلنا الى قبوٍ فسيحٍ كبير جدًّا يكاد يمتلئ بالصناديق الكبيرة . واراد مر يوذر ان يتكلم فمنعهُ شرلوك قائلاً انك تفسد علينا كل عملنا يا هذا فارجو منك الصمت التام وان تجلس بدون حركة ورآء احد هذه الصناديق . فسكت الرجل خجلاً وانار شرلوك شمعة وانحنى على ركبتيهِ يفحص ارض القبو المذكور و بعد قليل نهض وعلى وجههِ علامات الاستبشار فقال لا يزال لنا فرصة ساعة لانهم لا يمكن ان يبدأوا بالعمل قبل ان ينام صاحبنا ولسن في منزلهِ واذ ذاك فلايضيعون دقيقة واحدة لانهم كلما اسرعوا كانت نجاتهم اسهل . ولا يغرب عن بالكم اننا في قبو احد المصارف المهمة وان المستر مر يوذر مدير هذا المصرف وهو يوضح لكم الاسباب التي تغري اعظم لصوص لندن على زيارة هذا القبو في الوقت الحاضر . فقال المدير هامساً نعم اننا لتوسيع اعمالنا قد استدنّا من بنك فرنسا ثلاثين الف ليرة وقد شاع هذا الامر وعُرف ايضاً اننا حتى الآن لم نتصرف في هذه المبالغ وانها لا تزال في صناديقها ضمن جدران هذا القبو وفي هذه الصناديق التي حولنا

وكان شرلوك يجيل نظرهُ في الغرفة وفينا فقال اما الآن فيجب ان نستعد للعمل واول ما يجب عملهُ ان نطفئ هذا النور بعد ان نعين الامكنة التي يجب ان

نجلس فيها لان لصوص الليلة من الطبقة الاولى فاذا لم نتخذ امنع الطرق فقد نعرّض انفسنا للخطر . اما انا فسأقف ورآء هذا الصندوق وانتم فقفوا ورآء هذه بجانبي ومتى اوقدت النور فاطبقوا عليهم مرة واحدة واذا اطلقوا النار فعليك يا وطسن ان تجاوبهم بالمثل . ولما سمعت ذلك اخذت مسدسي فاعددتهُ على ذراعي وكمنت ورآء صندوق كبير ثم اطفأ شرلوك مصباحهُ وتركنا في الظلمة الحالكة . ثم قال شرلوك اذا نجوا منا فليس لهم الا مفر واحد من شارع ساكس كوبورغ فهل فعلت يا جونسن كما قلت لك . قال نعم وقد اقمت اخد مساعديّ وعدداً من رجال الشرطة بالاوامر اللازمة . فقال شرلوك اذن قد اتممنا كل شيء ولم يبقَ علينا سوى الصمت والانتظار

ولبثنا في تلك الظلمة الحالكة صامتين يسمع الواحد منا تنفس الآخر فمرّت علينا ساعة و بضع دقائق ولا تسل عن تصوراتنا وشعورنا في ذلك الموقف حتى كدت اضجر والوم شرلوك . واذا بنور ضعيف اصفر قد ظهر من الارض ثم امتدّ حتى صار خطًّا واضحاً ثم فتحت ثغرةٌ في ارض القبو بسرعة غريبة وظهرت منها يدٌ بيضآء اشبه بايدي السيدات النحيفات فجعلت تتلمس حول الثغرة التي خرجت منها ثم اختفت وغاب النور • ولم يكن الا دقيقتان حتى ظهر النور ثانيةً ورأينا بلاطة كبيرة من ارض القبو قد دارت على جانبها ثم ظهر من تحتها فتى في مقتبل الشباب فجذب نفسهُ الى الاعلى ثم دار ومد يدهُ فرفع رفيقاً لهُ وهو فتى نظيرهُ غير انهُ اشقر الشعر . فقال الاول ان كل شيء على ما نريد فهل احضرت معك الازميل والاكياس و . . . اسرع اسرع يا أرشر وانجُ بنفسك . . . . . . وكان في تلك اللحظة قد انار شرلوك مصباحهُ ووثب الى القادم فامسكهُ من عنقهِ اما الثاني فقفز الى الثغرة وكان جونسن قد امسك بثوبهِ فانمزق • ورأى شرلوك بيد اسيرهِ مسدساً فضربهُ بسوطهِ على قبضة يدهِ فسقط منهُ وقال لهُ لا تحاول الهرب يا جون كلاي فقد قضي الامر • فاجاب الفتى بمنتهى البرودة نعم يظهر ان الامر كذلك ولكن ارجو ان يكون رفيقي قد نجا فاني ارى طرف ثوبهِ في ايديكم • فقال شرلوك

بل لن ينجو لانهُ سيقع في ايدي الشرطة الذين اقمناهم في انتظارهِ . قال يظهر انكم كنتم امهر تدبيراً مني هذه المرة . قال شرلوك مهما فعلنا فانهُ لا يقابل ما اخترعتهُ من تأليف جمعية ذوي الشعر الاحمر . وكان جونسن قد تقدم الى الاسير فوضع الحديد في معصميهِ فنظر اليهِ شزراً وقال هل نسيت يا هذا ان في عروقي دماً ملكيًّا وانك اذا خاطبتني فعليك ان تقول ارغب اليك و يامولاي . فتبسم جونسن وقال نعم فاذاً هل يحسن لديكم يا مولاي ان تسيروا معنا الى حيث نحضر عربة تقل سموكم الى دار الشحنة . فحنى جون كلاي رأسهُ علامة الايجاب وسار امامنا ونحن نتبعهُ . فقال مريوذر مخاطباً شرلوك انني لا اعلم ايها العزيز كيف يستطيع المصرف ان يكافئك على عملك هذا فانك بمهارتك قد انقذت مصرفنا من الخراب ووقفت سدًّا امام اعظم اعمال اللصوصية التي جرت في مثل هذه الاحوال . فقال شرلوك انهُ كان عليَّ واجبٌ اقضيهِ للمستر جون كلاي ولجمعية ذوي الشعر الاحمر وقد قمت بهِ الليلة فحسبي هذا مكافأةً لصنيعي على ان الامر قد اقتضى بعض النفقات وهذه لا اشك في ان المصرف سيدفعها اليَّ

والقت الشحنة القبض على رفيق جون كلاي وهو مدير الجمعية كما عرفهُ القرآء فاستاقوهُ ورفيقهُ بعناية جونسن الى دار الشحنة . ولما انقضى ذلك كلهُ رجع شرلوك الى المنزل ورجعت معهُ ولما كان الصباح جلست واياهُ فجعل يقص عليَّ ما توصل اليهِ في حادثة الامس فقال . اعلم يا وطسن انهُ لا يُعقل ان تطلب الجمعية اعضآء لمجرد نسخ الكتب المطبوعة ولم يكن ذلك الا لاخذ التاجر ولسن من منزلهِ ساعاتٍ معلومة في كل يوم . اما كيفية تدبير ذلك تحت اسم جمعية الشعر الاحمر فمن مخترعات جون كلاي لاحمرار شعر رفيقهِ . اما اجرة الاربع ليرات في كل اسبوع فلم تكن الاّ لتغرّ ولسن وما عسى ان تكون هذه القيمة بازآء الوف الليرات التي يضمرون الحصول عليها . وقد نشروا الاعلان في الجريدة فذهب احدهم متزيياً بزي مدير الجمعية وذهب الآخر فخدم عند ولسن ليغريهُ بالانضمام اليها كما حصل وبذلك ضمن الاثنان غيابهُ اليومي في اثنآء عملهما . ولو كان في بيت ولسن امرأة لذهب

فكري الى ان الامر حيلة نسآئية بسيطة غير ان عدم وجود امرأة في بيته مع ما هو فيهِ من الحاجة اكد لي ان في الامر اهم مما اظن . ومن بحثي عن حالة وتصرفات خادم ولسن علمت انهُ اعظم لصٍّ في لندن وان لهُ غرضاً يجريهِ في نفس بيت سيدهِ فما هو . واذ ذاك لم يتبادر الى ذهني الاّ انهُ يقوم بفتح نفقٍ يتصل من ذلك المنزل بمكانٍ آخر . ولما ذهبت وإياك لزيارة المنزل ورأيتني اضرب بعصاي على الارض كنت افحص هل يمتدّ النفق الى امام البيت او الى ورآئهِ فوجدت انهُ لا يمتد الى الامام . ولما قرعت الباب وفتح لي جون كلاي بصفة الخادم لم انظر الى وجههِ بل نظرت الى ركبتيهِ فوجدت عليهما آثار ركوعهِ وقت العمل في الحفر . ثم انتقلت الى ورآء المنزل وجعلت افحص المحلات الممكن الوصول اليها حتى وقعت عيني على المصرف فتحققت انني قد حللت اللغز . ولما ذهبت انت الى منزلك بعد التمثيل توجهت انا الى ادارة الشحنة ثم الى مدير المصرف المذكور فاتممنا الاستعداد للامر على ما عرفتهُ

فقلت ولكن من اعلمك انهم سيقومون بعملهم في هذه الليلة . قال ان انحلال ادارة جمعيتهم دلني على انهم لم يعودوا يخشون وجود المستر ولسن في منزلهِ اي انهم قد اكملوا النفق الذي حفروهُ وعلمت انهُ لا بد لهم من اتمام غايتهم بسرعة قبل ان ينكشف الامر وقدّرت ان مسآء السبت اكثر موافقةً لهم من غيرهِ لانهُ يسهل لهم الهرب قبل ان يُعلم الامر اذ يكون المصرف مقفلاً يوم الاحد فلا يدري احدٌ ماذا جرى فيهِ

فلم اتمالك ان رفعت يديَّ وقلت لله درك يا شرلوك فانك لست من اعاجيب خلق الله فقط ولكنك محسن الى بني الانسان ايضاً . فهز كتفيهِ وقال قد تفيد بهذا القول غيري اما انا فأقول كما قال غستاف فلوبر في كتابهِ الى جورج ساند « ان الانسان ليس بشيء وانما عملهُ فهو كل شيء »

اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

واما ما وقع من ذلك في كلام الشعرآء فما لا يكاد يخلو منهُ ديوان من دواوين المولَّدين لان غالبهم كان مقصوراً من أُهبة النظم على معرفة شيءٍ من النحو وحفظ الفاظٍ من المتداوَل بين الخاصّة يتلقاها بالسماع على مثل ما هو مشهودٌ ليومنا هذا ولذلك تجد الكثير منهم يركب الخطآء لضرورة ولغير ضرورة وقد يخرج في الضرورة الى ما لا تبيحهُ قوانين الصناعة . بل ربما وجدت مثل ذلك لبعض العارفين باحكام اللغة الواقفين على اصولها وضوابطها ولكنهم يتسامحون احيـاناً بتبديل معاني الاوضاع وابنيتها ووجوه استعمالها اما عن ضيق عطَنٍ في معاناة النظم او عن ادلالٍ بعلمهم حتى يخيَّل لهم انهم قد اخذوا من اللغة مكاناً يبيح لهم ان يتصرفوا فيها تصرُّف الواضع والى هذا يرجع اكثر ما تراهُ في كلام الخاصّة من هذا القبيل شعراً كان او نثراً . ومن اغرب امثلتهِ ما رواهُ ابو حنيفة من قول رؤبة بن العجّاج

كالكرم اذا نادَى من الكافورِ

الكرم العنب والكافور هنا كِمام الثمرة . وقولهُ نادى يريد خرج حبّهُ من اكمّتهِ كما يقال صاح العنقود بالمعنى نفسهِ فاستعمل نادى مكان صاح من باب التعبير بالمرادف . قال ابو حنيفة انما اراد صاحَ فلم يستقم لهُ لانهُ لو قال صاحَ من الكافورِ لكان الجزء مطويًّا (اي لجاء مستفعلن الثاني

على مفتعلن والطيّ حذف الرابع الساكن) فاراد ان يسلّمهُ من الطيّ فقال نادَى فتم الجزء . اه . قلنا ولكن صاحَ في هذا الموضع بمعنى شَقّ لا بمعنى رفع صوتهُ اذ لا معنى لرفع الصوت هنا كما لا يخفى فقولهم صاح العنقود اي شقّ اكمّتهُ كما يقال بَزَل الناب ومن ذلك قولهم انصاح الثوب اي انشقّ وتَصيّح البقل والخشب وغيرها اذا تشقق من اليُبس وصيّحتهُ الريح والشمس الى غير ذلك . وما ذهب اليهِ ابو حنيفة من انهُ عدل الى نادَى فراراً من طيّ الجزء ليس بالوجه لان هذا الزحاف شائعٌ عندهم ولا سيما في الرجز وعليهِ قول رؤبة نفسهِ « احمدُ ربًّا ساقني اليكا » وقولهُ

ما زال يبني خندقاً وتهدمهْ　　ويستجيش عسكراً وتهزمُهْ

ومغنماً يجمعُهُ وتقسمُهْ

وهو كثيرٌ شائعٌ في شعرهِ وشعر غيرهِ لا يتحاماهُ احد . ولكن الصحيح انهُ اراد بذلك الإغراب على عادتهِ والمجيء بما لم يتكلم بهِ غيرهُ فاستعمل نادى مكان صاح لظنهِ ان صاح العنقود مجازٌ عن الصياح بمعنى رفع الصوت .　　ويجري في طريقهِ قول البحتري

ورَمَتْ سوادَ القلب حين رَمَتْ على　　عجلٍ فأَصمتْهُ بطرفٍ أَصيَدِ

وصف الطرف بالأَصيَد ولا معنى لهُ في هذا الموضع لان الاصيد الرافع رأسهُ كبراً او لعلّة والاظهر ان البحتري ذهب بهِ الى معنى الصيد كما تدلّ عليهِ القرينة ولا يقال من هذا أَصيَد[1] .　　وقال ابو نُوَاس

---

(١) جاء في لسان العرب « وفي حديث ابن الاكوع قلت لرسول الله صلى الله عليهِ وسلم اني رجلٌ أَصيَد أفأصلي في القميص الواحد قال نعم وازرُرهُ

فقام كالغصن قد شُدّت مناطقهُ ظبيٌ يكاد من التهييف ينعقدُ

اراد بالتهييف الهَيَف بفتحتين وهو رقة الخصر وضمور البطن ولم يُنقَل وزن فَعَّل بالتشديد من هذا الحرف ولا هو مما يحتمل في المعنى اذ الهَيَف ليس من الصفات التي تُكتسَب بالعلاج . وقال ابو تمّام

لمّا دعوتَهمُ لأخذ عهودهم طار السرور بمُعرِقٍ وشآمي

البيت في الواثق من قصيدةٍ يهنئهُ فيها بالخلافة يقول لما دعوت الناس لأخذ عهودهم في المبايعة لك طار السرور باهل العراق واهل الشام فعبّر بقولهِ مُعرِق وهو خطأ في هذا الموضع لان المُعرِق بمعنى الذي اتى العراق لا بمعنى الواحد من اهل العراق . وقال ابو تمام ايضاً

رأياً لو استُسقيتَ مآءَ نصيحةٍ لجعلتَهُ أَرْياً من الأَرياءِ

الأَرْيُ هنا مآء السحاب . وقولهُ من الأَرياء كأنهُ اراد بهِ جمع الأَرْي وهو ان جُمِع فقياس جمعهِ إِرآء على فِعال مثل ظِبآء وجِدآء او أُريّ على فعول مثل ثُدِيّ وحُلِيّ واما أَرياء ان صحّت روايتهُ كذلك فمن غريب الابنية . وقال البحتري

يعتادني طربي اليك فيغتلي وجدي ويدعوني هواكَ فأتبعُ

اراد بيغتلي يغلي فعدَلهُ الى بنآء افتعل وهو غير محكيٍّ ولا يظهر لهذه الزيادة

عليك ولو بشوكة . قال ابن الاثير هكذا جآء في رواية وهو الذي في رقبتهِ علة لا يمكنهُ الالتفات معها . قال والمشهور اني رجلٌ اصيد من الاصطياد» . اهـ . وضُبِط أصيد في هذا الموضع الاخير بسكون الصاد وفتح اليآء اي كالرواية الاولى وهو غلط في الطبع وصوابهُ بكسر الصاد وسكون اليآء مضارع صاد كما يظهر بالتأمل

معنًى في القياس . ومثلهُ قول ابن دُرَيد

وقد سما عمرٌو الى اوتارهِ　　فاحتطَّ منها كل عالي المُستمى

قال شارح المقصورة المستمى المكان العالي المرتفع وهو مُفتعَل من سما اذا ارتفع وزيدت التآء فيهِ لبنآء افتعل كما زيدت في استجاب (كذا) . وقال ابن هاني

هو استنَّ تفضيلها للملوكِ　　وأَبقَى لها اثراً في العُلَى

الضمير من تفضيلها للخيل يقول ان ممدوحهُ سنّ للملوك تفضيل الخيل فعبَّر باستَنَّ وانما يقال استنَّ بسُنَّة كذا اذا اتخذها سنّةً لنفسهِ يجري عليها لا بمعنى جعلها سُنّةً لغيرهِ . وقال ابن هاني ايضاً

لك البرُّ والبحر العظيم عبابهُ　　فسيّان أغمارٌ تُخاضُ وبيدُ

اراد بالأَغمار جمع الغَمْر وهو المآء الكثير وهذا انما يُجمَع على غِمار مثل سَهْم وسِهام ولا يجوز جمعهُ على أغمار لان فَعْلاً المفتوح الاول الساكن الوسط لا يُجمَع قياساً على أَفعال . وعكسهُ قولهُ

نبِّها الملكَ على تجريدهِ　　فهو السيفُ مصوناً في الغِمادْ

فجمع الغِمد على غِماد وفِعلٌ المكسور الفآء لا يُجمَع على فِعال ولكن قياس جمعهِ في القلة على أَفعال وفي الكثرة على فُعول مثل أَحمال وحمول . ويحتمل ان يكون اراد بهِ المفرد فعدلهُ الى وزن فِعال على حدّ قِراب ولكن هذا لم يُنقَل عنهم كما لم يُنقَل في القِراب قِرْب و زان غِمْد وانما نحن في سعةٍ مما لم ينطقوا بهِ واما ما سُمِع منهم على وجهٍ فليس لنا ان نتعداهُ والا لزمنا ان ننقض اكثر اللغة . وقال البحتري

تَرادَفَهم خفضُ النعيم ولينهُ　　وجادهمُ طَلُّ الربيع ووابلُهْ

فقولهم ترادَفَهم صوابهُ ترادف عليهم فعدّاهُ بنفسهِ على انَّ خفض النعيم ولينهُ بمعنى واحد فلا معنى لهذا الترادف هنا بخلاف الطلّ والوابل في عجز البيت . وعكسهُ قول ابن هاني

أُنافسُ في عِقدٍ يقبّلُ نحرها　　وأحسدُ خلخالاً عليها ودملجا

اراد انافس العقد الذي يقبّل نحرها ولكنهُ جرّ العقد بفي فأفسد المعنى لانهُ جعل العقد مما ينافس فيهِ غيرهُ وهو انما يريد انهُ ينافس العقد عينهُ لاجل تقبيلهِ نحر المحبوبة كما قال في الشطر الثاني انهُ يحسد عليها خلخالها ودملجها

(ستأتي البقية)

الاستحمام بالمآء البارد

لما كان قد دنا فصل الحرّ واصبح الاستحمام بالمآء البارد في هذه النواحي ضربة لازب سألنا احد مشتركينا الالبّآء ان نكتب في ذلك فصلاً نبين فيهِ منافع هذا الاستحمام وكيفية استعمالهِ فلخصنا فيهِ ما يأتي اخذاً عن اوثق الاقوال واحدثها

ولا بد لنا قبل الشروع في بيان منافع الاستحمام ان نقول انهُ سوآءٌ كان بالمآء البارد ام الحارّ ليس من الامور الكمالية التي يُقصَد بها الترَف والتنعم كما هو المتبادر منهُ عند الكثيرين ولكنهُ مما لا يُستغنَى عنهُ في حال سوآءٌ كان في البلاد الحارّة ام الباردة فيتَّخذ في كل اقليم على درجةٍ من الحرارة توافق طبيعة الاقليم . وذلك ان الجلد دائم الافراز ينبعث عنهُ

من الرطوبات المائية ما بين بخارٍ وعرق ما يقدّر بنحو ١٤٥٠ غراماً في كل ٢٤ ساعة فاذا تصاعدت هذه المفرزات عن سطح الجلد تركت عليهِ فضلاتٍ عنصرية وآليّة لا تصلح لأن يمتصّها الجلد لانها لا تخلو من السُمّية فضلاً عن انها برسوبها على الجلد تمنعهُ من قضاء وظيفتهِ التنفسية ولذلك لم يكن بدٌّ من ازالتها بالاغتسال

غير أن للاستحمام بالماء البارد فوائد أُخَر فانهُ فضلاً عما ذُكِر يؤدّي الى انخفاض حرارة الجسم وبطء الدورة الدموية وقلة الافراز الجلدي لان كثرتهُ تفضي الى الاخلال في الوظائف الآلية ويزيد في قوة الاعضاء ونشاطها . وهو كثير الفائدة للاحداث لانهُ يقوّي البنية ويعين على نمائها وكثيراً ما يكون ذريعةً لشفاء بعض الاحوال الضعفية ولا سيما ما كان منها موروثاً او مهيئاً لشيءٍ من العلل المزاجية كالسلّ ونحوهِ ويكثر استعمالهُ في علاج بعض الامراض العصبية وانواع الحميات مما لا نتعرّض لهُ في هذا الموضع لانهُ من خصائص الطبيب

وافضل ما يتّخذ هذا الحمام في بحرٍ او نهر لامكان الحركة فيهما بخلاف ما اذا كان في مغطسٍ او بواسطة منضَخةٍ (دوش) . والبحر انفع من النهر ولا سيما في الاحوال الضعفية المشار اليها وذلك اولاً لان ماء البحر دائم الحركة بحيث تكون امواجهُ اشبه بمناضخ تتواتر على الجسم فتزداد تقويتها لهُ بما فيها من البرودة وثانياً لان ماء البحر يخالطهُ كثيرٌ من الاملاح النافعة وهي تبلغ نحو ٤ في المئة من وزنهِ فضلاً عن الابخرة الملحية التي تتصاعد منهُ وتنتشر في الهواء المجاور للشواطئ ولهذه

الابخرة حظٌّ من المنفعة الحاصلة عن الاستحمام البحري

وقد وقفنا لبعضهم على الوصايا الآتية فآثرنا ذكرها هنا توفيةً للفائدة قال مما تجب مراعاتهُ لطالب الاستحمام في المآء البارد ان لا يستحمّ في مآءٍ راكد ولا في مآءٍ قارس البرد ولا ان يستحمّ في الانهار في يومٍ ذي عاصف لان المآء يضطرب في مثل تلك الحال ويخالطهُ كثيرٌ من الاملاح الترابية والموادّ الآليّة المنحلّة . واذا كان من ذوي البنية الضعيفة او العصبي المزاج ينبغي ان لا يزيد لبثهُ في المآء على ربع ساعة وكذا النسآء والاولاد والشيوخ واما الاصحّآء المزاج من الشبان فيحسن ان يلبثوا الى ثلثي الساعة ولكن المكث الى ما فوق ذلك لا يخلو من خطر قد يفقدهم كل نفعٍ للاستحمام . وينبغي للمستحمّ ان يتنشف بسرعة حتى تزول كل رطوبة وان يسرع بعد ذلك في لبس ثيابهِ ويباشر رياضة معتدلة تسهيلاً لعود القوى الحيوية الى عملها

وافضل وقت يحسن فيهِ اتخاذ الحمّامات البحرية اواخر الصيف وما يليهِ من اوائل الخريف لان المآء اذ ذاك يكون اقلّ برداً والهوآء المجاور لهُ يكون اقلّ حرارةً . ولا ينبغي للمستحمّ ان ينزل في المآء اذا كان جسمهُ مندًّى بالعرق فان ذلك من اكبر الخطآء وكذا اذا كان على اثر رياضةٍ عنيفة او مشيٍ سريع . ولا ينبغي ان يهمل نزولهُ في المآء حتى يبرد جسمهُ تماماً ولا ان ينزل فيهِ بعد راحة مستطيلة وافضل ما يفعلهُ والحالة هذه ان يتمشى قليلاً على الشاطئ قبل النزول في المآء حتى ينتعش الجسم بشيءٍ من الحرارة . ومتى نزل في المآء وبلغ الى اواسط الفخذين

ينبغي ان ينغمس دفعةً واحدة الى العنق بان يحني جسمهُ ويدفعهُ قليلاً الى الامام كمن يريد الجلوس ثم ينهض ويعود فيحني جسمهُ ويكرر هذه الحركة مراراً كثيرة مدة وجودهِ في المآء اذا لم يكن سبّاحاً . ولا بأس ان يغمس رأسهُ بعد ذلك مع بقيّة جسمهِ واذا خاف ان يدخل المآء اذنيهِ يحسن ان يسدّها بقطعة من القطن يروّغها بشيءٍ من دهن اللوز الحلو . وافضل ما يكون الاستحمام في الصباح قبل تناول الطعام او في المسآء بين الساعة الرابعة والسادسة قبل العشآء ولا يجوز الا بعد هضم طعام الظهر لئلا يضطرب عمل الهضم ولا ينبغي ان يُتناول شيء من الطعام الا بعد نصف ساعة من الخروج من المآء على الاقلّ

وهذه الشروط الاخيرة لابدّ من مراعاتها في استعمال المغطس والمنضخة مع الوقوف عند ما ذكر من مدة اللبث في المآء . وكل ذلك اذا كان المقصود من الاستحمام تقوية الصحة واما اذا كان الغرض منهُ الاستشفآء من بعض الامراض فلا بد فيهِ من الرجوع الى رأي الطبيب

المرأة الشرقية

(تابع لما قبل)

فمن اشتهر منهنَّ بالشعر عليّة بنت المهدي اخت هرون الرشيد . قال صاحب الاغاني كانت من احسن خلق الله وجهاً ومن اعقل النسآء ذات صيانةٍ وادبٍ بارع وكانت شاعرة ولها ديوان شعر ومن شعرها قولها لما خرج الرشيد الى الريّ واخذها معهُ فلما وصلت الى الريّ قالت

ومغترب بالمرج يبكي لشجوهِ وقد غاب عنهُ المسعدون على الحبّ
اذا ما اتاهُ الركب من نحو ارضهِ تنشّقَ يستشفي برائحة الركب

ومن قولها

اني كثرتُ عليهِ في زيارتهِ فملّ والشيء مملولٌ اذا كثرا
ورابني منهُ اني لا ازال ارى في طرفهِ قصراً عني اذا نظرا

ولها في اخيها

تفديك أُختك قد حبوت بنعمةٍ لسنا نعدُّ لها الزمان بديلا
الا الخلود وذاك قربك سيّدي لا زال قربك والبقاء طويلا
وحمدتُ ربي في اجابة دعوتي فرأيتُ جهدي عند ذاك قليلا

ومن شعرها ايضاً

نامَ عذّالي ولم انم واشتفى الواشون من سقمي
واذا ما قلتُ بي ألمٌ شكّ من اهواهُ في ألمي

ومنهنَّ فضل الشاعرة من مولَّدات البصرة وكانت فصيحة اديبة سريعة البديهة مطبوعة في قول الشعر ومن شعرها في الخليفة المتوكل

استقبلَ الامرَ امامُ الهُدَى عامَ ثلاثٍ وثلاثينا
خلافةٌ افضت الى جعفرٍ وهو ابن سبعٍ بعد عشرينا
انّا لنرجو يا امام الهدى ان تملك الامرَ ثمانينا
لا قدَّسَ اللهُ امرأً لم يقل عند دعائي لكَ آمينا

ومن شعرها

الصبر ينقص والغرام يزيدُ والدار دانيةٌ وانت بعيدُ

اشكوكَ بل اشكو اليك فانهُ　　لا يستطيع سواهما المجهودُ

اني اعوذ بحرمتي لك في الهوى　　من ان يُطاوَع في هوايَ حسودُ

قال ابرهيم بن المدبّر كانت فضل من احسن خلق الله خطًّا ولفظاً وابلغهم في مخاطبة وافصحهم في محاورة فقلت يوماً لسعيد بن حميد الكاتب اظنك يا ابا عثمان تكتب لفضل رقاعها وتفيدها وتخرّجها فقد اخذَت نحوكَ في الكلام وسلكت سبيلك . فقال والله يا اخي لو اخذ افاضل الكتّاب واماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك . ولها وقد قال المتوكل يوماً لعليّ بن الجهم الشاعر المشهور قل بيتاً وطالب فضل الشاعرة ان تجيزهُ فقال اجيزي يا فضل

لاذَ بها يشتكي اليها　　فلم يجد عندها ملاذا

فقالت على الفور

ولم يزل ضارعاً اليها　　تهطلُ اجفانهُ رَذاذا

فعاتبوهُ فزاد عشقاً　　فمات وجداً فكان ماذا

فطرب المتوكل وقال احسنتِ وحياتي يا فضل وامر لها بالفي دينار

ومن طبقة فضل هذه في الشعر محبوبة الشاعرة وهي من جواري المتوكل ايضاً . ومن شعرها ان المتوكل ذكر يوماً انهُ دخل على زوجتهِ يوم نوروز فوجدها قد كتبت اسمهُ على خدّها بغالية وهي نوعٌ من الطيبِ يُعمَل بالمسك وكان بحضرتهِ عليّ بن الجهم فقال لهُ قل في هذا شيئاً . وكانت محبوبة تسمع الكلام من وراء ستار فدعا عليٌّ بن الجهم بدواة فإلى ان اتوهُ بها وابتدأ يفكّر قالت محبوبة على البديهة

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخدّ جعفرا | بنفسيَ خطُّ المسك من حيث أثَّرا
لئن كتبت في الخدّ سطراً بكفها | لقد اودعت قلبي من الحب اسطرا
فيا مَن لمملوكٍ لملك يمينهِ | مطيع لهُ فيما اسرَّ واظهرا
ويا من هواها في السريرة جعفرٌ | سقى اللهُ من سُقيا ثناياكِ جعفرا

فبقي عليّ بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف

ومن الشواعر اللواتي سار ذكرهنَّ بين علمآء الادب واعتُرف لها بالتقدم والبراعة عائشة الباعونية بنت يوسف بن احمد الباعوني وكانت اديبة فاضلة وكاتبة عاقلة وكانت من نوابغ زمانها علماً وادباً حتى لقد فضلوها بين المولَّدين على الخنسآء بين الجاهليين ووصفها الشيخ عبد الغني النابلسي وغيرهُ من العلمآء فاطرأوا . وقد الَّفت وصنفت نظماً ونثراً الا انها كانت الى النظم اميل منها الى النثر ولها ديوان شعرٍ بديع في المدائح النبوية ولها نظمٌ كثير غيرهُ فمن ذلك قولها في الغزل

كانما الخال تحت القُرط في عنقٍ | بدا لنا في محيًّا جلَّ مَن خلقا
نجمٌ غدا بعمود الصبح مستتراً | خلف الثريّا بقرب الشمس فاحترقا

وانما كان معظم شهرتها ببديعيتها التي سارت بذكرها الركبان ولها عليها شرحٌ بديع سمتهُ بالفتح المبين في مدح الامين نظمتها على منوال بديعية تقي الدين بن حجة الحموي وهي مئة وثمانية وعشرون بيتاً مطلعها

في حسن مطلع اقمارٍ بذي سلمِ | اصبحت في زمرة العشاق كالعَلَمِ

ومنها

اقول والدمع جارٍ جارحٌ مُقَلي | والجَارُ جارَ بعذلٍ فيهِ متَّهمي

الجهلُ اغواكَ ام في الطرف منك عمىً ... اغابَ رشدكَ ام ضربٌ من اللممِ
لُمْ يا عذول وشاهد حسنهم فاذا ... شاهدتهُ واستطعتَ اللوم بعدُ لُمِ

وختامها

مدحتُ مجدكَ والاخلاص ملتزمي ... فيهِ وحسن امتداحي فيهِ مُختتَمي

(ستأتي البقية) وردة اليازجي

حواسنا الخمس

ان من امور حواسنا الظاهرة ما لا يدركهُ اكثرنا . فاننا مثلاً لا نقدر ان نشمَّ السوائل نفسها بل اننا نشمُّ الغازات المتصاعدة منها . واذا ملأ انسان منخريهِ بالكولونيا لم يستطع الشمُّ ان يميّز بين الكولونيا والماء فالشمُّ يتمُّ بما يتطاير من دقائق المادّة المشمومة . واذا جُزّئت حبة المسك ثلاث مئة مليون جزء يستطيع انسانٌ شمُّهُ عاديٌّ ان يدرك ذلك الجزء الذي لا يُرى بالمجهر الا اذا كُبِّر عشرة آلاف ضعفٍ من قدرهِ الحقيقي ولكننا لا نستطيع ان نذوقهُ الا اذا كان الوفاً من قدرهِ فظاهرٌ ان حاسّة الشمّ احدُّ وادقُّ من حاستي النظر والذوق

واللسان لا يذوق الاشياء كلها بجزءٍ واحدٍ منهُ فان كلاًّ من الحلو والملح يذاق برأس اللسان والمرّ بقفاهُ والحوامض بجانبيهِ ويكاد وسط وجه اللسان يخلو من الذوق . ولا نذوق الا السوائل فانهُ اذا امكن ان يجف اللسان تمام الجفاف ووُضع عليهِ الفلفل الاحمر مثلاً او مادّة من اكثر المواد عطراً ولذةً لا نستطعم شيئاً

وان ما يساعد الانسان على ان يكون موسيقيًّا انما هو ذاك الجزء المسمى « مزمار كورتي » القابل الارتجاجات الصوتية • وهو مؤلف من خمسة آلاف جزء صغير الى ما يُدرَك وكلٌّ من اجزآئهِ منقسم سبعة اقسام انبوبتين وخمس خلايا فهو مركَّبٌ من خمسة وثلاثين الف جزء • ومزمار كورتي هذا هو سبب صيرورة الاذن الدقيقة اذنًا موسيقية وهو كفيل نجاحها .

وان العينين تبصران المرئيات على نصف دائرة درجاتهُ مئة وثمانون درجة • واننا نرى المرئيات الواقعة في منتصف هذا النصف رؤيةً اجلى مما نرى الاشيآء الواقعة في جانبيهِ لاننا نرى ما في المنتصف بالعينين كلتيهما ونرى ما في الجانبين بعين واحدة وهـذا هو سرُّ إبصارنا الشيء احسن إبصار اذا نظرنا اليهِ مستقيماً • وعلى قدر كبر البؤبؤ يدخل النور ولذلك يرى ذوو البؤبؤ الاكبر المرئيَّ اجلى مما يراهُ ذوو البؤبؤ الصغير • والاولون يرون ليلاً اكثر مما يرى الآخرون

وفي اللمس ايضاً غرائب فان للجلد ثلاثة احساسات الاحساس العاديّ والاحساس بالألم والاحساس بالحرارة والبرد • وان اللسان اشد احساساً باللمس مما لغيرهِ من الاعضآء والجبهة والمرفق اشدّ احساساً من غيرهما بالحرارة والبرودة . وبعض الاماكن في الجلد تحسُّ بالضغط فقط فلا تشعر بالحرارة والبرودة ولا الألم • واماكن أُخر تحسُّ بالدغدغة ولا تحسُّ بغيرها وأُخر تحسُّ بالحرارة ولا تحس بالبرد وهلمَّ جرًّا

(النشرة الاسبوعية)

مُتَفَرِّقَات

الحركة الدائمة — ما زال امر الحركة الدائمة شغلاً شاغلاً لعقول كثيرين لما يترتب عليها من المنافع في ضروب الصناعات والاعمال وقد اشتغل بها كثيرون ولا سيما في الاعصر المتأخرة بحيث انهُ لم تمرّ سنةٌ الا وُجد فيها عددٌ كبير ممن خطرت لهم وجوه من المزاولة لادراك هذه الغاية وقد نشرنا في مجلد السنة الثالثة (ص ٥٤٩ وما بعدها) آخر ما ولدتهُ قريحة بعض الباحثين معتمداً في ذلك على القوة الجاذبة في المغناطيس مما ترى تفصيلهُ في محلهِ . وقد عثرنا في هذه الايام على رأيٍ جديد للپروفسور ج ج طمسن من كمبردج بناهُ على المغناطيسية ايضاً وهو ان تؤخذ قطعة مستطيلة من المغناطيس (ج ش) وتوضع على مائدة ثم تؤخذ قطعةٌ صغيرة من الحديد الانيث اي اللين (ن) وتعلَّق بخيطٍ دقيق يناط بسقف المكان وتُجعَل النقطة التي يعلَّق فيها (س) غير عمودية على القطب الجنوبي من المغناطيس ولكن مائلةً عنهُ مسافةً بحيث ان قطعة الحديد المعلقة بالخيط تكون على بُعدٍ ما عن المغناطيس بحيث يستطيع جذبها اليهِ . ويوضع بالقرب من جنوبي المغناطيس مصباحٌ مشتعل (ص) حتى اذا بلغت قطعة الحديد الى المغناطيس

والتصقت بهِ تقع فوق لهب المصباح وثَمَّ اذا حميت بحرارة اللهب انحلّت مغناطيسيتها فانفكّت عن المغناطيس ورجعت الى مطاوعة الجاذبية الارضية فاذا بردت عاد المغناطيس فجذبها اليهِ وهلمَّ جرًّا على التوالي . قال الآ ان الشأن كلهُ في امر الحرارة التي يتوقف دوام الحركة على دوامها وبما أن الراديوم فيهِ خاصية الحرارة الدائمة فباستعمالهِ في هذا الجهاز تكون مسئلة الحركة الدائمة قد انحلّت . انتهى والله اعلم

دقائق الصناعة اليدوية — من غريب ما يُذكَر من دقائق المصنوعات ان احدهم اهدى الى المسيو جوريّان دُلاجُراڤيّار رئيس ندوة العلوم الفرنسوية حبّةَ حنطة قد كتب عليها جملةً تشتمل على ٢٢١ حرفاً . ومن ذلك ما رُوِي عن راهب بولوني في القرن السابع عشر نسخ الياذة هوميروس بتمامها على دَرْج من الورق اذا أُدرج على نفسهِ امكن وضعهُ في قشرة جوزة . وفي القرن السادس عشر اهدى رجلٌ يقال لهُ مرقس الى اليصابات ملكة انكلترا سلسلة من ذهب مركبة من خمسين حلقة وكانت هذه السلسلة من الصغر بحيث لم تكن تستجليها العين ما لم توضع على صفحة بيضآء (كذا) . قالوا واراد صانعها ان يُظهر مبلغ خفتها فعلقها في عنق ذبابة فلم يكن ثقلها يمنع الذبابة من الطيران . ومما يزيد المسئلة غرابةً ان الرجل الذي صنع هذه الحلية البالغة هذا المبلغ من الدقة كان حدّاداً من عادتهِ ان يباشر بيديهِ اضخم الآلات ويتعاطى اخشن الصنائع

ويُذكَر ان رجلاً اسپانولياً يقال لهُ يوسف فابا صنع في نحو ذلك العهد

عَرَبةً بكبر حبة حنطة وكان اذا نُظِر اليها بعدسية يُرَى داخلها مفروشاً بالمقاعد ويُرَى كل تفاصيلها واضحةً تمام الوضوح . ورُوِي عن الجزويتي فرّاريوس (ولعل الراوي احد اخوانهِ الجزويت) انهُ عمل مدفعاً من العاج كان مع جميع توابعهِ يمكن وضعهُ في حبة خردل . . . . . انتهى نقلاً عن مجلة الطبيعة الفرنسوية

فهل يدل صغر هذه المصنوعات على كبر عقول صانعيها . . .

اسئلة واجوبتها

بغداد — وقفت على التنبيه الآتي في كتاب نحو لاحد فحول العلماء المشهورين اشكل عليَّ صحتهُ لاني لم اقف لهُ على ثبَتٍ في كتب القوم فآثرت ان اعرضهُ على حضرتكم راجياً الاجابة عنهُ وهو بحرفهِ « ولا يجوز ذكر الفاعل مع نائبهِ الا في الضرورة فيقرَن تارةً بالباء نحو قُلِعَت الشجرة بالريح وتارةً بعند نحو يوسف معروف عند الناس وتارةً بمن نحو أُكِل الخروف من الذئب » . فهل يصحّ هذا الاستعمال وان صحّ فما وجههُ

داود صليوا

الجواب — تقدّم لنا في السنة الماضية في الكلام على لغة الجرائد ان نحو قولهِ « أُكِل الخروف من الذئب » من التعريب الحرفي عن اللغات الاوربية ومثلهُ قولهُ « قُلِعت الشجرة بالريح » فان الحرفين تعريب حرفٍ واحد في تلك اللغات (by ، par ...) وهو بمعنى باء الاستعانة عندنا يدخلونهُ احياناً على الفاعل بعد اقامة المفعول بهِ مقامهُ فيصير الفاعل في

صورة الفضلة كما رأيت في المثالين المتقدمين وهو من التراكيب التي لم تؤلف عند العرب فضلاً عما فيهِ من العبث وما يفضي اليهِ من الالتباس في بعض الصور على ما بسطناهُ في موضعهِ (راجع ضيآء السنة السابعة ص٣٥٤ — ٣٥٥) . ولكن من الغريب ان صاحبكم مع اجازتهِ لهُ خصّهُ بالضرورة وما ندري كيف ذلك ولا من اين نقلهُ فان غاية ما تبيحهُ الضرورة عندهم التوسع في بعض احكام الكلم كصرف الممتنع ومدّ المقصور ونحو ذلك لاهدم قواعد اللغة واحداث تراكيب فيها لم تُعهَد في كلامهم . واغرب منهُ ان « فحلاً » آخر من فحول اولئك العلمآء وهو من مكاتبي مجلة المشرق زعم ان يصححهُ من لفظ القرآن ولم يرضَ ان يحصرهُ في الضرورة كصاحبهِ فجعل منهُ قولهُ في سورة البقرة ما يودُّ الذين كفروا .. أن يُنزَل عليكم من خيرٍ من ربكم وقولهُ فمن عُفِي لهُ من اخيهِ شيءٌ وأُوحِيَ اليك من ربك ومُرسَلٌ من ربّهِ فزعم ان المجرور في هذه الآيات فاعلٌ للفعل المجهول او ما اشتقّ منهُ (كذا) . وحسبنا ان نرجع في ذلك الى نصوص المفسرين قال البيضاوي في تفسير قولهِ أن يُنزَل عليكم من خيرٍ من ربكم « من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتدآء » اي « لابتدآء غاية الانزال » كما هي عبارة العكبري في معرَب القرآن وحينئذٍ فهي لمجرد افادة نزول الخير من جهتهِ تعالى كما قالوا في تفسير قولهِ فمن عُفِي لهُ من اخيهِ شيءٌ « اي عُفِي لهُ من جهة اخيهِ » . ولزيادة الايضاح نتخذ طريقاً آخر وهو ان نردّ الفعل المجهول الي صورة المعلوم اذ هي الاصل في التركيب فتكون صورة الآية المذكورة « أن يُنزِل عليكم ربُّكم منهُ

من خير » كما في قولهِ ومَن رزقناهُ منّا رزقاً ولقد آتينا داود منا فضلاً ونحو ذلك . ولا جدال في ان « من » في هذه الصور كلها للابتداء وتحويل الفعل من صيغة المعلوم الى صيغة المجهول لا يغير شيئاً من معناها كما لا يتغير معنى عن بين قولك رميتُ السهمَ عن القوس ورُمِيَ السهمُ عن القوس . وكذا لو قيل في الآيتين التاليتين ومن رُزِق منا رزقاً ولقد أُوتي داودُ منا فضلاً وقس على ما ذُكر بقية الآيات السابقة

وما اضحكنا الا استشهادهُ بقول احد مترجمي الانجيل في القرن الحادي عشر للمسيح . . . « يُوبَّخ من يوحنا » . . « سُلّم اليَّ من ابي » . . يُطرَح من المشايخ » . . على ان العبارة الثانية من قبيل ما مرّ وهي من وادٍ واختاها من واد . واما ما نقلهُ من عبارات انجيل الجزويت المصحح بقلمنا فقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان ترجمة الاناجيل نُقِلت عن نسخة الشوير التي ترجمها المرحوم عبد الله زاخر وانّا بناءً على طلب رؤساء الجزويت انفسهم اذ ذاك التزمنا عبارة الترجمة المذكورة بحرفها لئلا تستوحش منها العامّة لان اكثرها محفوظ على ألسنتهم ولذلك تجد هذه الاسفار الاربعة على غير ما تجد عليهِ بقية اسفار العهدين

وبقي هنا قول صاحبكم « يوسف معروف من الناس » وهو يعدّ هذا من قبيل ما سبق ويجعلهُ من التراكيب المخصوصة بالضرورة وكلاهما غريب . والصحيح انهُ من التراكيب الفصيحة الشائعة في الاستعمال ومنهُ قول المعرّي

أعندي وقد مارستُ كل خفيّةٍ	يصدَّقُ واشٍ او يخيَّبُ سائلُ

ومع انهُ قد يحتمل ان يُفهَم منهُ معنى الفاعلية كما في هذا البيت فان ذلك لا يطّرد فيهِ وهو انما يُفهَم منهُ بدلالة القرينة ومن طريق التأويل لا من طريق النص يدلك عليهِ انهُ لو قيل مثلاً أعندي يُشتَم زيدٌ لم يكن في شيءٍ من هذا القبيل . وكذا في قولهِ « يوسف معروف عند الناس » فانهُ انما اشتبه المجرور بالفاعل لخصوص المادّة لا لنفس التركيب لانك لو بدّلت لفظ معروف بمشهور مثلاً فقلت هو مشهورٌ عند الناس لم يكن للفاعلية محلٌّ هناك اذ ليس المعنى ان الناس شهروهُ . على ان هذا الاستعمال غير مخصوص بما وقع مصاحباً للفعل المجهول او ما اشتقّ منهُ ولا بلفظ عند لانهُ يقال هذا الامر شائع عند الناس ومستفيض بينهم ومتداوَل على الالسنة ومتحدَّثٌ بهِ في الاندية الى غير ذلك . فليتأمل وبهذا القدر كفاية

آثار ادبيّة

مجلة الشتآء — ورد علينا الجزء الرابع من هذه المجلة الحسنآء لسعادة منشئها الفاضل سليم بك عنحوري وهو ختام سنتها الاولى وقد الفيناهُ كالاجزآء السابقة حافلاً بفنون مختلفة من الاغراض بين مقالات ادبية وقصائد ومقطَّعات شعرية وغير ذلك مما يروق المطالع ويجمع بين الفائدة والفكاهة . وقد جآء مجلد هذه السنة في ٢٤٠ صفحة وهو يطلب من مكتبتي المعارف والهلال وثمنهُ اربعون غرشاً مصريًّا خلا اجرة البريد

خير الدين — هو عنوان مجلة اسلامية عمومية مصوَّرة تصدر في غرة كل شهر عربي لصاحبها الفاضل الشيخ محمد الجعايبي مدير جريدة

الصواب الغرآء بتونس . وقد ورد علينا الجزء الاول منها مصدَّراً برسم حضرة صاحب الرفعة والسمو محمد الهادي باشا الافخم باي تونس ثم رسم المرحوم خير الدين باشا التونسي الشهير صاحب كتاب اقوم المسالك الذي عُنونت المجلة باسمهِ احياءً لذكرهِ واعترافاً بما لهُ من الفضل على الايالة التونسية والخدم المذكورة في مصلحة الاسلام والمسلمين . وقد اشتمل هذا الجزء على ترجمة مطوَّلة لهُ ذُكر فيها تاريخ حياتهِ وصفاتهُ واعمالهُ وتآليفهُ ويليها نموذج من مباحث المجلة جآء فيهِ بعض مقالات حكمية وادبية واخبار علمية ننقل منها ما ذُكرهُ آخراً تحت عنوان « كلية للنسآء » قال

« في سنة ١٨٩٦ أُسست في مدينة طوكيو عاصمة اليابان مدرسة كلية خاصة بالنسآء وقد نجح من تلامذتها لغاية سنة ١٩٠١ اكثر من ثمانمائة تلميذة خرجنَ منها عالمات بارعات في الفنون ولم يتجاوزنَ في اعمارهنَّ سنّ العشرين . ويزداد هذا الخبر اهمية اذا عُلم ان هذه الكلية تأسست على نفقة الامة وبواسطة الاكتتاب من افرادها ولم تساعدها الحكومة الا بمبلغ خمسة آلاف فرنك في السنة وهيَ كمية لا اعتبار لها بازآء كلية تبلغ نفقاتها الى مقادير وافرة ولا تزال هاته الكلية آخذة في الترقي بفضل مساعدة الامة التي تعرف كيف تنفق الاموال في المصالح وتدرك اهمية المشروعات النافعة » . انتهى

وكفى بهذا عبرةً للاغنيآء من اهل هذا القطر وحاثًّا لهم على الاقتدآء بأولئك القوم ولا سيما بعد ما علموا من رأي الحكومة في امر المدارس والتعليم والله ملهم الخير والهادي الى سبيل الرشاد

والمجلة حسنة الطبع جيدة الورق وقيمة اشتراكها السنوي في الديار المصرية والشامية اثناعشر فرنكاً ولتلامذة المدارس الاسلامية نصف القيمة

فكاهات

شرلوك هولمز (١)

— ١٦ —

الاختفاء الغريب

اقعدني شغلي عن زيارة شرلوك بضعة اسابيع ثم اتيتهُ بعد ذلك فوجدتهُ جالساً في كرسيهِ قرب المستوقد فرحب بي واجلسني على كرسي بجانبهِ وقال لا ارى ايها العزيز وطسن سرًّا اغرب واعمق من الحياة وكلما تقدمنا فيها ودرسنا دقائقها وجدناها اشدّ خفآء وغموضاً . وكنت كلما عرضت لي حادثة وخبرت كنهها اظن انني قد ادركت شيئاً ولكنني لا اعتم ان ارى ان الستار الذي كشفتهُ لم يكن الا باباً فتحتهُ بيدي وولجت فيهِ الى سر اعظم وغايةٍ لا تدرك . ولو كان في الامكان ان افتح نافذة غرفتي هذه واطير واياك في سمآء لندن وان نتمكن من اختراق سطوح هذه البنايات ومشاهدة ما يجري فيها لأريتك ان بين ما يظهر من الامور وما لايزال طي الخفآء بوناً شاسعاً وفرقاً عظيماً . فقلت لا ارى رأيك يا عزيزي شرلوك بل انا اعتقد ان كل الحوادث التي نسمع بها مبنية على اسبابٍ متشاكلة وان ظهر بعض الفرق في كيفية حدوثها . مثال ذلك اني ارى في هذه الجريدة التي بيدك مقالة عنوانها «فظاعة رجل مع زوجتهِ» ومع اني لم اعرف منها الا العنوان احقق ان فيها وصف رجل سكير احب امرأة اخرى فعارضتهُ زوجتهُ فتشاتما فتلا كما فقوي عليها فاسرعت اختها او صاحبة البيت لمساعدتها . وهذا في الغالب السبب العام لخصام الزوجين

فقهقه شرلوك وقال اخطأت هذه المرة ايضاً يا وطسن فاني فحصت هذه

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

الحادثة فوجدت ان الرجل لا يذوق المسكرات اصلاً وانهُ لا يوجد امرأة غريبة في الامر ولكن غاية ما تشكوهُ الزوجة انها كانت اذا جلست مع زوجها الى مائدة الطعام لا يكاد ياكل اللقمة الاولى حتى ينزع اسنانهُ الصناعية ويرميها بها . فترى اذاً ان حوادث الحياة لا ترجع الى قياس مطَّرد وان لكل امرٍ تاريخاً مستقلاً يقتضي بحثاً قائماً بنفسهِ . قلت وهل عندك قضايا اليوم تبحث فيها . قال عندي نحو عشر قضايا ومع ان جميعها في غاية الاهمية فلا ارى في واحدة منها ما يلذ لي وقد ثبت لديَّ انهُ كلما كان الجرم فظيعاً كان سرُّهُ بسيطاً وان الاسرار العميقة لا توجد غالباً الا في الجنايات البسيطة التي لا يكاد يُنتبَه اليها . ولكنني شاعر الآن ان قادماً سيفد عليَّ في امرٍ لا بد انهُ يهمني كثيراً . ولما قال هذا نهض عن كرسيهِ فتقدم الى النافذة ونظر الى الشارع فاقتربت منهُ فرأيت على الرصيف المقابل سيدة كبيرة الجسم قد لفت على عنقها حبلاً من الفرو وعلى رأسها قبعة كبيرة وكانت تنظر الى النافذة بجبن وارتعاش وقد توالت عليها نوبٍ عصبية فتارةً تتقدم خطوة وطوراً ترجع الى الرصيف وكأنها صممت اخيراً فاجتازت الشارع وسمعنا قرع الجرس . فالقى شرلوك لفافة التبغ الى المستوقد وقال قد رأيت مثل هذه الاعراض قبلاً وأوكد انها تدل على حادث لهُ علاقة بامر عشقي وسنسمع حديثها من فيها ونرى ماذا يكون . واذ ذاك فُتح باب الغرفة وظهر الخادم اولاً يقول ان المس ماري سذرلند تريد مقابلتك . وقبل ان يتم الكلام كانت المس نفسها قد دخلت الغرفة فنهض شرلوك لاستقبالها بلطفهِ المعهود وقدم لها كرسيًّا . وبعد ان اقفل باب الغرفة جلس بازآئها وتأملها لحظة ثم قال ألا ترين صعوبة يا سيدتي في اشتغالكِ على الآلة الكتابية مع كونكِ قصيرة النظر . قالت كان ذلك صعباً عليَّ قبل ان اعتدت العمل عليها اما الآن فانا اعرف مواضع الحروف بدون ان انظر اليها . ثم كانها تنبهت فنظرت اليهِ بدهشة وقالت قل لي بربك يا سيدي من اين عرفت ذلك وهل اخبرك احد عني . فقال شرلوك بتبسم لم يُذكر اسمكِ امامي قط قبل الآن اما كيفية معرفتي ذلك فمن خصوصياتي وهذا ما جاء بكِ الان لاستشارتي . قالت

صدقت يا مولاي فاني قد جئت اليك لما سمعتهُ عنك من مسس إثرج التي وجدت لها زوجها بسهولة بعد ان عجز رجال الشحنة عن العثور عليهِ وقرروا انهُ قد مات فآه يا سيدي هل لك ان تفعل في قضيتي مثل ذلك . انني لست غنية ولكن لي دخل سنوي لا يقل عن مئة ليرة عدا ما احصلهُ من اشتغالي بالكتابة وانا بطيبة خاطر ادفع كل ذلك لاعرف ماذا جرى بالمستر هوسمر أنجل . فقال شرلوك ولماذا جئتِ بهذه السرعة الزائدة . فاظهرت الفتاة علامة الاستغراب ثانيةً ثم تمالكت وقالت نعم انني تركت منزلي بمنتهى السرعة وذلك لانهُ شقَّ عليَّ عدم اكتراث والدي المستر ونديبانك فانهُ لم يهتم بابلاغ الامر الى الشحنة ولم يشأ ان يأتي اليك بل كان يقول انهُ لا يوجد ما يوجب القلق وان لا خطر يخشى منهُ فلم استطع ان احتمل الصبر على هذا الاهمال وجئت بنفسي . فقال شرلوك اظنكِ اخطأتِ في قولكِ ان المستر ونديبانك والدكِ والصواب انهُ زوج والدتكِ . قالت صدقت يا سيدي ولكنني اعتدت ان ادعوهُ والدي . قال وهل والدتكِ حية . قالت نعم وفي غاية الصحة ولا اكتمك يا سيدي انهُ لم يسرني زواج والدتي ثانيةً بعد وفاة والدي بقليل ولا سيما وان زوجها الجديد اصغر منها بما لا يقلّ عن خمس عشرة سنة . وقد كان ابي تاجراً فترك لنا تجارتهُ الزاهرة واهتمت والدتي بادارتها الى ان جاء زوجها الثاني فالزمها ان تبيع المحل لاعتقادهِ ان عملهُ اشرف واحسن فانهُ تاجر يتنقل من مكان الى آخر لبيع الخمور فباعا تجارة ابي بمبلغ اربعة آلاف وسبع مئة ليرة . وانا اؤكد لك انهُ لو بقي والدي حيًّا لما سمح ببيع محلهِ بضعفي هذا المبلغ

وكنت انا اسمع الحديث فنظرت الى شرلوك معتقداً انهُ ضجر من هذه التفاصيل التافهة فوجدتهُ بالعكس قد اصاخ لها بمزيد الانتباه ثم قال لها وهل الدخل السنوي الذي ذكرتهِ هو ما اصابكِ من تلك التركة . قالت كلا بل هو ارث قيمتهُ الفان وخمس مئة ليرة تركهُ لي عمي في مصرف زيلاندا الجديدة بربع ٤ ½ في المئة بشرط ان انتفع بريعهِ فقط مع بقاء الاصل على حالهِ . فقال شرلوك اذاً بدخل مئة ليرة سنويًّا وما تحصّلينهُ من شغلكِ لابد ان تكوني غنية تتمتعين بلذات الحياة .

قالت لست من اهل الاسراف يا سيدي واستطيع ان اعيش باقل من نصف هذا الدخل ولكنني لما كنت اعيش في بيت والدتي وزوجها لم اشأ ان اكون وقراً عليهما فتركت لهما دخلي المذكور ما دمت في منزلهما . فالمستر ونديبانك يأخذ المئة ليرة في اربعة اقساط سنوية ويدفعها الى والدتي اما انا فيكفيني لنفقتي الخصوصية ما احصله من شغلي فانني آخذ بنسين على كتابة كل صفحة ومعدل شغلي من خمس عشرة الى عشرين صفحة في اليوم . فقال شرلوك اشكركِ فقد اوضحت لي كل ما احب ان اعرفهُ من التفاصيل الاساسية والآن فابدإِي بقصتكِ واخبريني كيف عرفتِ المستر هوسمر أنجل وتكلمي بكل صراحة ووضوح ولا تخفي عني شيئاً ولا يهمكِ وجود الدكتور وطسن فهو صديقي ومعيني في العمل

فتنهدت الفتاة وصبغ وجهها بلون احمر ثم قالت . ان احدى الجمعيات كانت تقوم بحفلات راقصة وترسل الينا اوراق الدعوة في حياة والدي وكنا نذهب اليها وبعد وفاة والدي لبثوا يرسلون الاوراق الى والدتي غير ان المستر ونديبانك لم يكن يسمح لنا بالذهاب بحجة ان المدعوين ليسوا اهلاً لان نتعرف بهم وان لباسي غير لائق الى غير ذلك من الاعذار والحقيقة انهُ كان لا يريد ان نذهب الى اي محل كان حتى الى مدرسة الاحد اذا اظهرت رغبتي في الذهاب اليهـا . واتفق اخيراً انهُ عرضت لهُ سفرة الى فرنسا في شغلٍ لهُ فاغتنمت الفرصة مع والدتي وذهبنا الى احدى تلك الحفلات وهناك لقيت المستر هوسمر انجل للمرة الاولى. ولما عاد المستر ونديبانك من سفرهِ علم بذهابنا فتبسم وهز كتفيهِ وقال اذا صممت المرأة على فعل شيء فلا يوجد واسطة تمنعها عنهُ . وفي صباح الليلة الراقصة زارنا المستر هوسمر وسأل عن بلوغنا المنزل بسلام ثم قابلتهُ بعد ذلك مرتين . ولمـا عاد زوج والدتي امتنع المستر هوسمر عن المجيء الينا لان الجميع كانوا يعرفون والدي انهُ يكره الزيارة والزائرين . ولما كان على والدي ان يعود الى فرنسا مرةً اخرى بعد اسبوع كتب اليَّ المستر هوسمر ان الافضل ان نترك مقابلتنا الى ما بعد سفرهِ ولكن هذا لا يمنع المكاتبة فكان يكتب اليَّ كل يوم لانني كنت قد صرت خطيبتهُ . اما شغلهُ

فكان امين صندوق في محل تجاري بشارع ليدنهول ولكنني لم اعرف عنوانهُ تماماً وكان يسكن بقرب محل شغلهِ فكنت اذا كتبت اليهِ اعنون رسائلي باسمهِ بالشارع المذكور فقط وهو يطلبها من ادارة البريد ولم يشأ ان تصل اليهِ رسائلي في ادارة شغلهِ لئلا يراها المستخدمون . وكان يكتب رسائلهُ بالآلة الكتابية ففعلت مثلهُ ولكنهُ طلب اليَّ ان اكتب اليهِ بيدي قائلاً انهُ اذا رأى خطي يشعر بلذة قربهِ مني بدون ان تقف الآلة الكتابية بيننا . اما طباعهُ فكانت في غاية الرقة وكان يفضل المسير معي في المسآء دون النهار وكان صوتهُ رقيقاً ناعماً وقد قال لي انهُ مرض في حنجرتهِ في صغرهِ فسبب ذلك نحافة صوتهِ . اما لباسهُ فكان دائماً متقناً وبسيطاً وكانت عيناهُ ضعيفتين مثلي ولذلك كانت دائماً على عينيهِ زجاجات ملونة تحجب عنهُ النور . فلما سافر والدي ثانيةً زارنا المستر هوسمر وعرض عليَّ الاقتران قبل رجوعهِ فامتنعت فالحّ في ذلك حتى جعلني اقسم لهُ على الكتاب المقدس ان اكون مخلصةً لهُ مهما حصل من الموانع وساعدتهُ والدتي في الحاحهِ لانها كانت تحبهُ اكثر مني منذ البدآءة . ولما رأيت تصميمهما على تعجيل الزواج قلت وماذا يقول ابي اذا عرف . فاجابا انهُ لا يهمهُ هذا الامر وان والدتي تتكفل بابلاغهِ ذلك . فسرني هذا الامر منها لانني لم اشأ ان افاتحهُ انا في المسئلة ومع كل ذلك لم استطع الا ان كتبت اليهِ الى فرنسا لكن رسالتي لم تبلغهُ لانهُ عاد في صباح يوم زفافي ووصلت رسالتي الى بوردو بعد سفرهِ منها . وكنا قد رتبنا ان يكون الاكليل بسيطاً هادئاً في كنيسة المخلص واننا بعد نيل البركة نتناول الغدآء في فندق قريب . وفي اليوم المعين جآء هوسمر بعربة ركبتها مع والدتي وركب هو عربة اخرى ورآءنا وبلغنا الكنيسة اولاً فانتظرنا ريثما جآءت عربتهُ فنزلنا وانتظرناهُ فلم يترجل . فلما نزل الحوذي وفتح باب عربتهِ عاد مدهوشاً لانهُ لم يرَ في العربة احداً . وكان ذلك يوم الجمعة الماضية ومن ذلك الحين لم اعد اراهُ ولم اسمع عنهُ شيئاً . ولما كنا قد رأيناهُ دخل العربة امامنا فلا بد ان يكون قد حصل حادث غريب اخفاهُ لانهُ لايمكن ان يكون قد هزأ بنا مع ما نعلم من طيبة قلبهِ . ولا ازال

اذكر ما كلمني بهِ في ذلك الصباح ان ابقى مخلصةً لهُ ولا انسى قسمي لهُ مهما جرى من الامور الغير المنتظرة للتفريق بيننا وانهُ لا بد من رجوعهِ اليَّ . وقد استغربت ذلك الحديث في صباح يوم الزفاف فكأن قلبهُ كان قد انبأهُ بما سيحدث وشعر بالخطر الذي سيصيبهُ قبل وقوعهِ . اما والدتي فشقَّ عليها ذلك كثيراً ولكنها الحَّت عليَّ ان انسى الامر ولا اذكرهُ بعد . ولما علم والدي بما حصل اعتقد مثلي ان هوسمر لا بد ان يبعث اليَّ برسالة يوضح فيها اختفاءَهُ الغريب وقال لي ايّ غرض للانسان ان يقود خطيبتهُ الى الكنيسة لعقد لزواج ويهرب منها فلا بد ان حادثاً عظيماً وقع لهُ ولا بد من معرفتهِ ولو بعد حين . ولو كان الرجل قد تزوج بي واصبح حرًّا في مالي لاعتقدت ان غايتهُ كانت الحصول على ثروتي ولكنهُ لم يكن قد صار بعلي بعد وفضلاً عن ذلك فانهُ لم يظهر لي قط ان لهُ طمعاً في النقود فماذا عساهُ ان يكون حصل لهُ ولماذا لم يكتب اليَّ فحقًّا انني اكاد أجنّ . ولما بلغت الى هنا اخذت في البكاء حتى رثيت لحالتها

اما شرلوك فكان يسمع بمنتهى الاصغاء والاهتمام فقال لها خففي عنكِ ايتها الفتاة وتحققي انني سأهتمّ بامركِ كما ينبغي ولا شك في اننا سنصل الى نتيجة نهائية قريباً فلا تشغلي فكركِ كثيراً باختفاء حبيبكِ وحاولي بكل استطاعتكِ ان تنفي المستر هوسمر انجل من امام مخيلتك كما انتفى من حياتكِ . فقالت بلهفة اذاً لا تظن انني ساراهُ بعد . قال هذا الارجح عندي. قالت وماذا عساهُ ان يكون قد اصابهُ . قال هذا الذي سابحث عنهُ ولكنني اود الحصول على وصفهِ بدقة وعلى شيء من رسائلهِ التي تستغنين عنها ان امكن . قالت اني قد اعلنت عن فقدهِ وذكرت وصفهُ في هذه الجريدة فها كها وهذه اربع رسائل جاءَتني منهُ . قال وعنوانكِ . قالت رقم ٣١ من شارع ليون . قال واين محل شغل والدكِ . قالت انهُ وكيل محل وستهوس وشركائهِ وهو يسافر كثيراً لبيع خمورهم . فقال شرلوك انني اشكركِ فقد اعطيتني كل ما يهمني معرفتهُ فلا تنسي نصيحتي وانسي كل ما جرى . قالت اشكرك لاهتمامك بامري ولكنهُ يصعب عليَّ نسيان هوسمر بعد ان اقسمت ان احافظ على ودادهِ

فمتى رجع الى زوجتهِ سيراها مخلصة كما وعدت . ولما قالت هذا نهضت بهيئة شريفة فوضعت الاوراق على المائدة وحيَّت باحترام قائلةً اذا احتجت اليَّ يا سيدي تراني مستعدة لتلبية اول طلبٍ يأتيني منك

وبعد خروجها بقي شرلوك صامتاً بضع دقائق شاخصاً الى السماء ثم اخذ غليونهُ فملأهُ واشعلهُ وكانت غيوم الدخان ترتفع فوق رأسهِ . فقال ان في تأمل هذه الفتاة يا وطسن درساً تلذّ مطالعتهُ فقد قرأت في نظري اليها اكثر كثيراً من الرواية التي قصتها لنا فهل لاحظت انت شيئاً فيها . قلت لا غير انني لا ازال اتمثل لون قبعتها والريشة الحمراء التي عليها واتذكر ان ثوبها اسمر اللون وعليهِ ازرار سوداء وقفازها رمادي وقد بان على سبابتها اليمنى كثرة العمل . فصفق شرلوك بيديهِ وقال حسن يا وطسن فانك قد برعت في الملاحظة ولكنك اهملت كثيراً من الامور المهمة فلا تشغل نفسك بعد الآن بالامور الظاهرية فقط . اما انا فاول ما انظر اليهِ في المرأة كمها وفي الرجل ركبتهُ وقد نظرت الى كم هذه الفتاة فرايت طرفهُ من القطيفة وهي من اكثر المنسوجات قبولاً لانطباع الآثار عليها ورأيت عليهِ خطوطاً مزدوجة قرأت منها بوضوح انها تستعمل الآلة الكتابية ورأيت على جانبي انفها علامتين حمراوين علمت منهما انها تستعمل المنظار مما دل على انها قصيرة النظر . ثم انتقلت الى ملاحظة قدميها فوجدت ان الحذاءين متشابهان جدًّا ولكن احدهما مبطن الرأس والآخر بدون بطانة وان الواحد قد زُرَّ من ازرارهِ الخمسة اثنان فقط اما الثاني فقد زُرَّ من ازرارهِ الاول والثالث والخامس . فمتى رأيت فتاةً حسنة اللباس ولكنها لم تتم تزرير حذائها وقد غلطت فلبست احد الحذاءين من نوع والثاني من نوع آخر ادركت انها خرجت بمنتهى السرعة . وقد علمت ايضاً انها قبل خروجها من البيت كانت قد كتبت رسالة لما رايتهُ من اثر الحبر على قفازها الممزق وعلى طرف سبابتها فلابد ان تكون قد كتبتها اليوم قبل خروجها والا لما بقي اثر الحبر على اصبعها . ولكن لنعد الى ما هو اهمّ فهات الآن يا وطسن اقرأ لي ما كتبتهُ الفتاة في الجريدة عن خطيبها المستتر هوسمر انجل فاخذت الجريدة وقرأت ما يأتي

«انهُ في صباح الرابع عشر من الشهر الحالي فقد شابٌ يدعى هوسمر انجل طولهُ نحو خمس اقدام وسبع عُقَد قوي البنية جميل اللون اسود الشعر في رأسهِ شيء من الصلع لهُ شار بان كثيفان ضعيف النطق ضعيف العينين يسترهما بمنظار ملون وقد كان لباسهُ قبل فقدهِ ثوباً اسود وعليهِ سلسلة ساعة ذهبية وقد كان مستخدماً في شارع ليدنهال .... »

فقال شرلوك كفى ثم حوَّل نظرهُ الى الرسائل وبعد ان تأملها حيناً قال انها كتابة بسيطة لا يُستدَلّ منها على شيء كثير الاهمية الا ان التوقيع مكتوب بالآلة ايضاً ومع انهُ وضع التاريخ فقد اغفل العنوان اما حالة رسم التوقيع فهي دليل قاطع . قلت على ماذا . قال ألا ترى انهُ يراد بهِ التمويه . قلت ربما فعل ذلك كي لا يحاكَم رسميًّا اذا خدع الفتاة بتركهِ اياها . قال كلا ليس هذا ما أستنتجهُ ومهما يكن فانني اود ان اكتب رسالتين الآن يكون في جوابهما حل هذه المسألة احداهما الى شركة تجارية في البلدة والاخرى الى والد الفتاة المستر ونديبانك اسألهُ فيهِ ان يتكرم بزيارتنا غداً في الساعة السادسة مساءً واذ لا يمكننا صنع شيء قبل ورود جواب الرسالتين فلا يبقى الا ان نستريح الى الغد . وكنت اثق بمقدرة صديقي الغريبة حتى كنت متيقناً انني ساعود اليهِ في الغد فأرى في يديهِ مفاتيح اسرار ذلك الاختفاء الغريب فودعتهُ وتوجهت الى شغلي وما صدقت ان جاءَت الساعة المعينة في اليوم الثاني حتى توجهت اليهِ وانا لا اصدق ان احضر حل ذلك المعمى . فلما دخلت عليهِ وجدتهُ وحدهُ وهو مضطجع على كرسيهِ الطويل وحولهُ زجاجات الادوية وشممت رائحة الحوامض فعلمت انهُ كان كعادتهِ قد قضى نهارهُ في التجارب الكيماوية التي كان مغرماً بها . وبعد ان حييتهُ قلت هل كشفت السر يا شرلوك . قال نعم فان تحت سولفات الباريت واراد ان يتم شرحهُ عن الاجزاء الكيماوية فقاطعتهُ وقلت لا يهمني ذلك وانما اسألك عن سرّ امس . فقال لم يكن سرّ في مسألة امس يا وطسن كما تحققت ذلك من امس وان تكن بعض التفاصيل مهمة وذات لذة ولكنني آسف انهُ لا يوجد في بلادنا شريعة تعاقب ذلك الخائن .

فقلت يا للعجب وما هو غرضهُ من ترك الفتاة يوم زفافها . ولم اتمّ سوءالي حتى سمعنا وقع اقدام وقُرع الباب فقال شرلوك ان القادم هو زوج ام الفتاة المستر ونديبانك فقد كتب اليَّ جواباً يقول فيهِ انهُ سيحضر في الساعة السادسة وها هو. واذا بباب الغرفة قد فتح ودخل منهُ الرجل وهو معتدل القامة قوي البنية يبلغ الثلاثين من عمرهِ حليق الوجه لهُ نظر حادّ صوّبهُ الينا ثم حيّا وجلس الى جانب . فردّ شرلوك عليهِ التحية وقال اظن ان هذه الرسالة منك يا سيدي المستر ونديبانك تفيدني فيها انك ستحضر لمقابلتي في الساعة السادسة . فقال الرجل نعم يا سيدي واخشى ان اكون قد تأخرت عن الوعد فاعذرني لانني مرتبط باشغال تضطرني بعض الاحيان ان لا احافظ على مواعدي . وقد سآءني ان تكون الفتاة ماري سذرلند قد اتعبتك بامر قليل الاهمية مع انني نهيتها عن المجيء اليك ولكن النسآء لا يرجعنَ عن غاياتهنَّ الاَّ من انفسهنَّ. ومع انني اعلم انك لست من رجال الشحنة واعرف مركزك وما انطويت عليهِ فانني كنت افضل ان اموراً بيتية كهذه تبقى سرًّا بين افراد الاسرة التي حصلت فيها. هذا فضلاً عن ان ما حملتك اياهُ من المشقة سيقتضي اتعاباً ونفقاتٍ خالية من الفائدة لانهُ كيف يمكن ان يوجد هذا الرجل هوسمر المختفي

فقال شرلوك بفتور ان الامر بالعكس يا مولاي لانني اعتقد تمام الاعتقاد انني سأجدهُ . فبهت المستر ونديبانك حتى سقط قفازهُ من يدهِ وقال انهُ يسرني جدًّا سماع ذلك . فقال شرلوك وقد ظهر على وجهِ التبسم لا يخفى عليك يا مستر ونديبانك ان الآلة الكتابية قد يكون فيها احياناً من الادلة مثل ما في كتابة اليد لانهُ اذا لم تكن الآلات الكتابية كلها جديدة فلا يمكن ان تكون كتابة الآلة الواحدة منها مثل كتابة الاخرى تماماً لان الحروف بطول الاستعمال يذوب بعضها اكثر من بعض. وقد رأيت في رسالتك هذه ان حرف E حيثما جآء يكون ناقصاً من اسفلهِ وكذلك حرف R فانهُ لا يكاد يبين نصفهُ وهناك اربع عشرة علامة ذكرت لك الاهم منها . فقال المستر ونديبانك نعم يا سيدي فان الآلة الكتابية التي عندنا لا يوجد سواها في الادارة فنحن نكتب كل اشغالنا بها ولذلك تجد اكثر حروفها ذائبة

فهز شرلوك رأسهُ وقال اما الآن فسأريك بعض علامات تلذّ في الغاية واظن انني سأكتب عنها مقالة طويلة افصّل فيها العلاقة الكائنة بين الآلة الكتابية والجرم فانني قد خصصت لهذا الدرس وقتاً كافياً وقد رأيت هنا اربعة احرف هي نفس الاحرف التي كتبها الرجل المفقود . فوثب المستر ونديبانك عن كرسيهِ واخذ قبعتهُ وقال ان وقتي اثمن من ان اصرفهُ على سماع مثل هذه الترَّهات فاذا كان في امكانك القبض على الرجل المفقود فافعل وعرفني . فنهض شرلوك بكل تمهل الى الباب فاقفلهُ من الداخل واخذ مفتاحهُ ثم نظر الى الرجل وقال لهُ اذاً لي الشرف ان اخبرك بانني وجدت الشخص المفقود وقد قبضت عليهِ . ففتح المستر ونديبانك فاهُ ليتكلم فلم يستطع بل اصفرَّ وجههُ وارتعش جسمهُ وانطرح على كرسيهِ وكان العرق البارد يتحلب من جبينهِ . فقال شرلوك لا تحاول التخلص يا مستر ونديبانك فان الامر بسيط جدًّا وليس فيهِ من المهارة الا انك استعملت القساوة وحب الذات واظهرت عدم الشفقة كأنهُ ليس لك قلب واسمح لي ان اعيد عليك القصة كما جرت لاؤكد لك انني عرفتها بالتفصيل واذا وجدت في روايتي خطأً فارجو ان تنبهني . وكان الرجل قد حنى رأسهُ وهو كأنهُ قد أصيب بصاعقة فجلس شرلوك بازائهِ واخذ في الحديث وهو كأنهُ يكلم نفسهُ فقال

ان ونديبانك تزوج امرأة ارملة أكبر منهُ سنًّا لينتفع بمالها وقد تمتع ايضاً بمال الابنة مدة وجودها في بيتهِ وكان المبلغ كافياً لهم في حالتهم ويصعب عليهم فقدهُ ومن الظلم ان يعمد الرجل الى ابقاء الفتاة تحت سلطتهِ لينتفع بمالها ابداً . اما الفتاة فكانت رقيقة الطبع حسنة الخصال لطيفة ادبية ولكن لها قلب يحب وكان من الصعب ان تبقى بدون زواج كل حياتها واذا تزوجت ذهبت معها المئة ليرة السنوية فلم يبقَ لزوج والدتها سوى انهُ اجتهد باحتباسها في منزلهِ ومنعها من الاختلاط بالبشر ليبعدها عن المريدين . ولما رأى صعوبة ذلك وانها اصبحت ترغب في الخروج خطر لهُ فكر اوحاهُ لهُ رأسهُ لا قلبهُ فاتفق مع زوجتهِ على التنكر فاخفى عينيهِ الحادَّتي النظر بالمنظار الملوَّن وغير هيئة وجههِ بعارضين صناعيين وبدَّل

لهجة صوتهِ وظهر امام الفتاة تحت اسم هوسمر انجل العاشق الولهان ليرد عنها غيره من المحبين . ولما كان نظر الفتاة قصيراً ولاعتقادها ان زوج والدتها غائب في فرنسا راجت عليها الحيلة وصدقت المحبة وتمكنت فيها عند ما رأت استحسان والدتها ايضاً . ثم جعل المستر هوسمر يزورهم واتبع ذلك بالمقابلات الشخصية والخطبة وكل ذلك ليوجه انظار الفتاة اليهِ وحدهُ ويمنعها عن الافتكار باي بشر سواهُ . ولما لم يكن من المعقول ان الوالد يستمرّ على تكرار اسفارهِ الى فرنسا ليتمكن في اوقات غيابهِ من زيارة حبيبتهِ بصفة خطيبها رأى ان يجعل للامر حدًّا يضمن لهُ امتلاك الفتاة الى الابد فجعلها تقسم لهُ يمين الاخلاص وانها لن تنساهُ ولن تفتكر في غيرهِ مها عرض لهُ من الاخطار ومها جرى بينهما من الامور . وهكذا اراد المستر ونديبانك ان يربط الفتاة سذرلند بالمستر هوسمر انجل ثم يختفي هوسمر انجل فلا تزال الفتاة مرتبطة بهِ منتظرة على الاقل عشر سنوات قبل ان تنساهُ لتفتكر في غيرهِ. وهكذا تم الامر حتى انهُ قادها ووالدتها الى باب الكنيسة لعقد صيغة الاكليل وكان في عربة اخرى تتبعها . ولكنهُ اختفى بطريقة غريبة لم يعرفها احد حتى السائق نفسهُ مع انها بسيطة في الغاية يعرفها الاولاد وهي ان يدخل من الباب الواحد ويخرج من الباب الآخر . وهكذا عاد المستر ونديبانك الى الوجود وفُقد المستر هوسمر الى الابد وبقيت العروس المسكينة مقيمةً على عهودها تنتظر عود خطيبها وهي مقيدة ببيت زوج والدتها ليتمتع بالخير المستحَقّ لها

ولما اتم شرلوك كلامهُ نظر الى ونديبانك وقال ألم اوضح الحقيقة بالتمام ياسيدي . فنهض الرجل وعلامات الغضب على وجههِ وقال ان تكن الحقيقة او غيرها فاني لم افعل شيئاً يعاقبني عليهِ القانون اما انت فانك ترتكب جريمة القبض عليَّ في بيتك وتقييد حريتي فاذا لم تفتح الباب لخروجي في الحال حفظت لنفسي حق اقامة دعوى عليك

فنهض شرلوك الى الباب وفتحهُ وقال حقًّا ان القانون ليس فيهِ ما يعاقبك على هذا الفعل مع انهُ لم يوجد رجل يستحق العقاب اكثر منك . ولو كان للفتاة اخٌ

او صديق لما تأخر عن ضربك بعصاهُ على جمجمتك لتكسيرها ومع انني غريب عن الفتاة فلا ارى ما يمنعني عن القيام بذلك لاجلها . ولما قال هذا اسرع الى الحائط فاخذ عصاهُ ولكنهُ لم يكد يرفعها حتى وثب المستر وندبيانك الى الخارج ورأيناهُ من النافذة يعدو بمنتهى قوتهِ. فقال شرلوك ان هذا اللعين لا بد ان يتوغل في شروره اذ قد ابتدأ بها واسوف ينالهُ العقاب يوماً ما

اما انا فكنت لا ازال كالمأخوذ وقد هالني ما رايت من شرلوك . فنظر اليَّ وقال ان الامر بسيط يا وطسن فقد خطر لي عند سماع حديث الفتاة ان تصرُّف المستر هوسمر غريب وان الرجل الوحيد الذي يهمهُ امر الفتاة هو هذا الخبيث زوج والدتها . ومن عدم ظهور هوسمر الا حين سفر وندبيانك تحققت ان الاثنين واحد وعلمت ان المنظار الملون والعارضين والصوت ليست الا من ادوات التنكر . وزاد فكري ثبوتاً ان الخطيب لم يكتب توقيعهُ بخطهِ بل بالآلة الكتابية لان خط وندبيانك معروف لديها جيداً. فلما القيتُ الشبهة على هـذا الخبيث سهلت لديَّ وسائط التحقيق واذ ذاك كتبت الرسالتين وكانت الاولى الى المحل الذي ذكرتهُ الفتاة لارى هل في خدمتهم رجل بهذه الصفات والرسالة الثانية الى الرجل نفسهِ لاحصل على جوابهِ واقابل بين حروف الآلة الكتابية . وكان الامر على ما ظننت فقد جآءني جواب من المحل التجاري يذكرون فيهِ ان في خدمتهم رجلاً بالصفات التي ذكرتها واسمهُ وندبيانك . ثم جآءني جوابهُ هو ايضاً وفيهِ ادلّ برهان على ان رسائلهُ تحت اسم هوسمر قد كُتبت بنفس الآلة و باليد عينها

فلما فرغ من حديثهِ قلت لهُ لله درك ما اقدرك على كشف السرائر ومعرفة الغيوب فقد بلغت في ذلك ما لن يبلغهُ احد . ثم قلت لهُ والمس سذرلند ماذا ترى في امرها . قال كنت اود ان اطلعها على الحقيقة ولكني اعلم انها لا تصدق فقد جآء في امثال الفرس ان فصل اللبوءة عن شبلها اهون من تحويل المرأة عن اعتقادها



صدر الجزء الثالث من رواية غرائب الاتفاق المعربة بقلم فقيد النظم والنثر الروائي الشهير المرحوم شاكر شقير « اللبناني »

(ويليه الجزء الرابع)

وقد اجمع الذين قرأوا الجزء الاول والثاني من هذه الرواية على انها من خيرة الروايات العربية التهذيبية في حسن وقائعها ودقة تعريبها ورقة اسلوبها وغني عن كل ذلك كثرة الاقبال عليها

ويحتوي هذا الجزء على ٢٠٠ صفحة وهو كالاجزاء السابقة

« وثمنه ستة غروش صاغ »

(الثمن يرسل مقدماً مع الطلب)

تطلب الاجزاء الثلاثة من رواية « غرائب الاتفاق » من مكتبة المعارف بشارع الفجالة بمصر ومن مكتبة امين افندي هندية بالسكة الجديدة وجميع المكاتب الشهيرة في القطر المصري

مكتبة المعارف ومطبعتها
باول شارع الفجالة بمصر
نجيب متري

اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

وقال ابو تمّام

صَلَتانٌ اعدآؤهُ حيث كانوا في حديثٍ من ذكرهِ مستفاضِ

قال الآمديّ فاخطأَ في قولهِ مستفاض وانما هو مستفيض وقد احتجّ لهُ محتجٌّ بان قال انهُ اراد مستفاضٍ فيهِ . اه . قال في تاج العروس ومن المجاز استفاض الخبر والحديث ذاع وانتشر كفاض فهو مستفيضٌ ومستفاضٌ فيهِ ولا تقل مستفاض فهو لحن وهو قول الفرآء والاصمعي وابن السكّيت وعامّة اهل اللغة وكلام الخاصّ حديثٌ مستفيض . هكذا نقلهُ الازهري مطوَّلاً والجوهري والصاغاني او لُغَيَّةٌ من استفاضوهُ فهو مستفاض . قال شيخنا والقياس لاينافيهِ وقد استعملهُ ابو تمام كما في موازنة الآمديّ ونقل ما يؤيدهُ في المصباح . اه . قلنا وقد علمتَ ما قال الآمديّ وعبارة المصباح واستفاض الحديث شاع في الناس وانتشر فهو مستفيض اسم فاعل وافاض الناس فيهِ اي اخذوا ومنهم من يقول استفاض الناس الحديثَ وانكرهُ الحذاق . قال ولفظ الازهري قال الفرآء والاصمعي وابن السكّيت وعامّة اهل اللغة لا يقال حديثٌ مستفاض وهو عندهُ لحنٌ من كلام الحضر وكلام العرب مستفيض اسم فاعل . اه بالحرف . وجملة ما يؤخذ من ذلك كلهِ انهُ لايقال في الفصيح الا حديثٌ مستفيض ومن قال حديثٌ مستفاض فهو على لُغَيَّةٍ ضعيفة او على حذف الجارّ من باب ما يُعرَف بالحذف

والايصال وهو معنى قولهِ في تاج العروس والقياس لا ينافيهِ ولا يخفى ما في هذا ايضاً من الضعف وكلاهما لا يُعذَر مستعملهُ الا في الضرورة . وبعدُ فما ندري لمَ يحبّ هؤلآء الناس تأييد الغلط واطلاق العنان في اللغة حتى يفشو فيها الفساد واللحن . على ان كلام البدويّ لا بد من الحرص على تأويلهِ وتخريجهِ ما امكن الى ذلك السبيل بحيث لا يُحكَم بخطآئهِ الا بعد ان يتعذر ردّهُ الى وجهٍ صحيح واما مثل كلام ابي تمّام فلا داعي الى تخريجهِ بما يخلّ بقوانين اللغة ويفسد اوضاع العرب لانهُ ليس بحُجّة ولَأَنْ يُحكَم بخطآئهِ في كلمة اولى من ادخال خطآءٍ جديد على اللغة والا فلأبي تمام وطبقتهِ شيءٌ كثير من مثل هذا فاذا كان كل مولَّدٍ يغلط نصيّر غلطهُ حجةً لم تلبث اللغة ان يصير اكثرها غلطاً . وقال ابو تمام

لا تنشجِنَّ لها فانِ بكآءها ضحكٌ وانِ بكآءك استغرامُ

اراد بالاستغرام معنى الغرام وهو العذاب كما تدلّ عليهِ القرينة لكن الاستغرام لم يرد في اللغة اصلاً ولا معنى للاستفعال هنا . وقال ابو تمّام ايضاً

أَهابيَ تُسفَى في وجوه التجاربِ بانك لما استخذل النصر واكتسى

اراد باستخذل انقلب الى خذلان وكانهُ بناهُ على نحو استنوق الجمل ولكن هذا سُمِع في اسمآء الاعيان ولم يُسمَع في المعاني . وقال المعرّي

تستأسر العقبانَ في جوّها وتُنزِل الاعصمَ من فِندِهِ

اراد بتستأسر معنى تأسر المجرَّد وانما يقال استأسرَ اذا استسلم للأَسر وقد تقدم الكلام على هذا في لغة الجرائد . ومثلهُ قول الحلّي

تستأسر الابطالَ آرامهُ ‏ ‏ وتقنص الآسادَ غزلانهُ

ومن هذا القبيل قول ابن دقيق العيد

تهيم نفسي طرباً عند ما ‏ ‏ أستلمحُ البرق الحجازيّا

اراد عند ما ألمح البرق فعدلهُ الى بناء استفعل وهو غير منقولٍ عنهم ولا معنى لهذه الزيادة في هذا الموضع . وقال ابو تمام

لامن هوًى عكفت عليهِ شجونهُ ‏ ‏ لصدود مُهضَمة الحشا غيداء

اراد بمهضمة الحشا ضامرة البطن والذي في كتب اللغة يقال كشحٌ مهضوم وهضيم وأهضم ولم يُسمَع مهضَم وقد كان لهُ متَّسَع عن هذه اللفظة بان يقول ضامرة الحشا او طاوية الحشا ونحو ذلك . ومثل هذا قولهُ ايضاً

اذا ظلمات الرأي أُسدِل ثوبها ‏ ‏ تَطلّع فيها فجرهُ فتجلَّتِ

وانما يقال سَدَل الثوب بصيغة المجرّد ولا يقال أسدَلهُ اللهمّ الا ان يكون هناك غلطٌ في الرواية والاصل أُسبل بالباء مكان الدال . ومثلهُ قول ابن الدويك من المتأخرين

وافت وثوب الليل أُسدِل سترهُ ‏ ‏ حتى غدا كالثوب للعريانِ

ولا يخفى ان هذا الباب اي باب فَعَل وأفعَل من اكثر الابواب استدراجاً للكتاب وقد تقدم لنا شيء من امثلتهِ في الكلام على لغة الجرائد ومنهُ قول البهاء العامليّ من دوبيت

يا عاذلُ كم تطيل في إعتابي ‏ ‏ دع لومك وانصرف كفاني ما بي

اراد كم تطيل في عتبي فعبر بالإعتاب وهو عكس مرادهِ لانهُ يقال أعتبهُ

إعتاباً اذا ازال عتبهُ كما يقال اشكاهُ اذا ازال شكايتهُ . وقال الشهاب الخفاجي

ورُبَّ فرخٍ أَراشهُ زمنٌ فصار بالعزّ بيضة البلدِ

اراد بأراشهُ كساهُ ريشاً والمنقول في هذا راشهُ ولم يُسمَع أراشهُ . ومثلهُ قول ابن اللبانة

أراشوا جناحي ثم بلُّوهُ بالندى فلم استطع من ارضهم طَيرانا

وقول ابن معتوق

والقوس معترضٌ اراشت سهمهُ بقوادم النسرَين ايدي المشتري

وقول عبد الحي المعروف بطرز الريحان

وأَسهُمٌ قد اراشها حوَرٌ تقصدُ حَبَّ القلوب أَنصُلُها

وقال ابن معتوق ايضاً

زكيّ النفس محمود السجَايا مُصان العرض ممدوح الجنابِ

وصوابهُ مصون العرض لانهُ يقال صانهُ ولم يُسمَع اصانهُ . ومثلهُ قول طرز الريحان

ومراح الغزلان فيهِ مُصانٌ عن سواهُ وحقّهُ ان يُصانا

وقال ابن معتوق

وصغا الى رجع الحمـام بسجعهِ فاهاجت البلوى بلابل صدرهِ

وصوابهُ هاجت يقال هاج الشيء وهِجتُهُ انا يتعدّى ولا يتعدى ولم يُسمَع أَهاج الا في قولهم اهاجت الريح النبت اذا ايبستهُ . ومثلهُ قول ابن عبد العال المصري

ملكت سورة الرحيق عناني وأهاجت سواكن الاشجانِ

وقول ابرهيم السَفرجلاني

ولا اهاج الجوى لقلبي برقٌ لهُ في الدجى وميضُ

وقال ابن النحّاس

صفر اليدين غريب الدار منكسراً اتاك والذنب احنى ظهر فادحهِ

وانما يقال حَنَى الشيءَ يحنيهِ ويحنوهُ ولم يُسمَع احنى الا في قولهم احنت المرأة على ولدها أي اشفقت لغةٌ في حَنَت بتخفيف النون . وقال عليّ بن محمد الغزنوي

سقى الله اياماً ببغداد لي مضت حلَت فأَلذَّت وانقضت فأَمَضَّتِ

والذي في اللغة لذَّ الشيء يَلَذّ ولم يُسمَع أَلذَّ . وقول الزمخشري في مادة (ر ذ ذ) من الاساس ان السمآء مُرِذٌّ وان الغنآء مُلِذٌّ محمول على ما ورد من مثلهِ في القاموس مما تقدم سرد بعضهِ وانما استدرجهُ اليهِ قصد التجنيس بين سمآء وسماع ومُرِذّ ومُلِذّ ولذلك عدل الى تذكير السمآء وهي اضعف اللغتين . وقال اسمعيل المنيني

ثم عج بي نحو الربوع ففيها قد تركت الفؤاد بالحبّ مُؤسَر

فعبّر بمُؤسَر مكان مأسور وانما الكلام أَسَرَهُ من باب ضرب ولم يُنقَل آسَرَهُ يُؤسِرهُ وقد تقدم استعمالهم استأسرهُ ايضاً بهذا المعنى . ومن هذه القصيدة

وكساني ثوبَ السقام نحولاً ولقتلي سيفَ اللواحظ أَشهَر

وصوابهُ شَهَر بصيغة الثلاثيّ ايضاً وقد تقدم الكلام على هذا في لغة

الجرائد . وقال باقشير المكي

ابت صروف القضا المحتوم والقدرِ الا إشابة صفو العيش بالكدرِ

اراد بالاشابة المزج وانما يقال من هذا شاب الشيء يشوبهُ والمصدر الشَوْب ولم يُنقَل اشابهُ . وقال البابي الحلبي

أُنيط بهِ حتى لو اختار نزعَهُ لحنَّ اليهِ وهو ثكلان نادبُ

وصوابهُ نِيطَ بلفظ المجرَّد وقد تقدم التنبيه على هذا ايضاً . وقال البابيّ ايضاً

خليليَّ ما آليتما جهدَ ناصح ولكنَّ حيران القضا كيف يهتدي

اراد ما أَلَوْتما جهداً اي ما قصَّرتما في الجهد ولا يقال من هذا آلى بالمدّ انما هو من الأَليّة بمعنى القَسَم تقول آليت بالله إيلاء . وقال عبد اللطيف البهائي

وأَنعمَ حتى لم يدَع ليَ مطلباً وأَنكى بما أَسدى اليَّ الاعاديا

وانما يقال نكى العدوّ نكايةً ولا يقال أنكاهُ . والامثلة من هذا اكثر من ان تحصى فنقف منها عند هذا القدر (ستأتي البقية)

المرأة الشرقية

(تابع لما قبل)

واشتهر منهنَّ بالاندلس عدة شاعرات كنَّ يبارينَ الرجال وكان منهنَّ من تقول الشعر ارتجالاً وقد ذكر صاحب نفح الطيب جملةً منهنَّ اورد لهنَّ شعراً رائقاً . فمنهنَّ الشاعرة الغسانية البجانية وهي من اهل المئة

الرابعة ومن نظمها من ابيات

عهدتهمُ والعيش في ظل وصلهم انيقٌ وروض الوصل اخضرُ فينانُ
ليالي سعدٍ لا يُخاف على الهوى عتابٌ ولا يُخشى على الوصل هجرانُ

ومنهنَّ ام السعد بنت عصام الحِميَري من اهل قُرطبة ومن شعرها

آخِ الرجالَ من الأَبا عد والأَقاربَ لا تُقارِبْ
ان الاقارب كالعقا رب او اشدُّ من العقاربْ

ومنهنَّ حسّانة التميمية بنت ابي الحسين الشاعر تأدبت وتعلمت الشعر فلما مات ابوها كتبت الى الحكَم وهي اذ ذاك بكرٌ لم تتزوج

اني اليك ابا العاصي لناعيةٌ ابا الحسين سقتهُ الواكفَ الديَمُ
قد كنت ارتع في نعماهُ عاكفةً فاليوم آوي الى نعماكَ يا حكَمُ
انت الامام الذي انقاد الانام لهُ وملَّكتهُ مقاليد النُهَى الأُمَمُ
لاشيءَ اخشى اذا ما كنتَ لي كَنَفًا آوي اليهِ ولا يعرونيَ العدَمُ
لا زلتَ بالعزّة القعسآء مرتدياً حتى تذلّ اليك العُربُ والعجمُ

فلما وقف الحكَم على شعرها استحسنهُ وأمر لها باجرآء مرتب وكتب الى عاملهِ على البيرة فجهزها بجهازٍ حسن . ويُحكى انها وفدت على ابنهِ عبد الرحمن بشكيّة من عاملهِ جابر بن لبيد على البيرة وكان الحكم قد وقَّع لها بخط يدهِ تحرير املاكها فلم يفدها فدخلت الى الامام عبد الرحمن فاقامت بفِنآئهِ وتلطفت مع بعض نسآئهِ حتى اوصلتها اليهِ وهو في حال طرب وسرور فانتسبت اليهِ فعرفها وعرف اباها ثم انشدتهُ

الى ذي الندى والمجد سارت ركائبي على شَحَطٍ تصلى بنار الهواجرِ

ليجبرَ صدعي انهُ خير جابرٍ ويمنعني من ذي الظلامة جابرِ
فاني وأيتامي بقبضة كفهِ كذي الريش اضحى في مخالب كاسرِ
جديرٌ لمثلي ان يقال مرُوعةٌ لموت ابي العاصي الذي كان ناصري
سقاهُ الحيا لو كان حيًّا لما اعتدى عليَّ زمانٌ باطشٌ بطشَ قادرِ
ايمحو الذي خطَّتهُ يمناهُ جابرٌ لقد سام بالاملاك احدى الكبائرِ

ولما فرغت رفعت اليهِ خط والدهِ وحكت جميع امرها فرقَّ لها واخذ خط ابيهِ فقبّلهُ ووضعهُ على عينيهِ وقال تعدَّى ابن لبيدٍ طورهُ حتى رام نقض رأي الحكَم . انصرفي يا حسّانة فقد عزلتهُ لكِ ووقَّع لها بمثل توقيع ابيهِ وامر لها بجائزة

ومنهنَّ ام العلاء بنت يوسف الحجارية ذكرها صاحب المغرب وقال انها من اهل المئة الخامسة ومن شعرها

كلُّ ما يصدرُ منكم حسنُ وبعلياكم تحلى الزمنُ
تعطف العينُ على منظركم وبذكراكم تلذُّ الأُذُنُ
من يعش من دونكم في عمرهِ فهو في نيل الاماني يُغبَنُ

ومنهنَّ أَمَة العزيز الشريفة الحسنية ومن شعرها البيتان المشهوران رواهما لها صاحب كتاب المطرب من اشعار المغرب

لحاظكم تجرحنا في الحشا ولحظنا يجرحكم في الخدودْ
جرحٌ بجرحٍ فاجعلوا ذا بذا فما الذي أَوجبَ هذا الصدودْ

وقيل البيتان لولادة بنت المستكفي بالله الاديبة المشهورة التي كان يشبب بها ابن زيدون وكانت ذات شعرٍ فائق ومما كتبت بهِ اليهِ وقيل الى الاصبحيّ

ترقَّبْ اذا جنّ الظـلام زيارتي فاني رأيت الليـل اكتم للسرِّ
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تَلُحْ وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسرِ

ومن شعرها ايضاً

ودَّع الصبرَ محبٌّ وَدَّعَك ذائعٌ من سرّهِ ما استودعَك
يقرع السنَّ على أن لم يكن زاد في تلك الخُطَى اذ شيَّعَك
يا اخا البـدرِ سناءً وسنًى حفظ الله زماناً اطلعك
ان يَطُلْ بعدكَ ليلي فلكَمْ بتُّ اشكو قِصَرَ الليل معَك

ومنهنَّ عائشة بنت احمد القُرطبية قال ابن حسان لم يكن من حرائر الاندلس من تعادلها علماً وادباً وفصاحةً وشعراً وكانت تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجةٍ وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف . ومن شعرها قولها وقد دخلت يوماً على المظفَّر بن منصور ابن ابي عامر و بين يديهِ ولدٌ لهُ فارتجلت

اراكَ الله منـهُ ما تريدُ ولا برحت معاليهِ تزيدُ
فقـد دلّت مخايلهُ على ما تؤمّلهُ وطالعـهُ سعيدُ
تشوّقتِ الجياد لهُ وهزَّ الـ حسامُ لهُ واشرقت البنودُ
وكيف يخيب شبلٌ قد نمَتْهُ الى العُليا ضراغمهُ الاسودُ
فسوف نراهُ بدراً في سماءٍ من العليا كواكبهُ الجنودُ
فانتم آلَ عامرَ خـيرُ آلٍ زكا الابناءُ منكم والجدودُ
وليدكمُ لدى رأيٍ كشيخٍ وشيخكمُ لدى حربٍ وليدُ

(ستأتي البقية) وردة اليازجي

﴿ واجبات الزوج ﴾

اقترحت احدى المجلات العربية كتابة مقالة تجمع اهمّ واجبات الزوج واضمنها لسعادة الحياة البيتية فتنبه مني الخاطر للبحث في هذا الموضوع المفيد الذي قلَّ ان يبالي بهِ الشاب متى اقدم على الزواج لانهُ في تلك الحال يتصور نفسهُ كمن قطع مرحلةً من الحياة ثم انتهى بهِ المسير عند حديقة نضرة ذات ازهار واثمار لا يلزمهُ للتمتع بها واستنشاق زكي عرفها سوى متابعة المسير بين جنباتها ومدّ اليد لاجتناء طيّباتها . فيدخلها آمناً ويلهو حيناً بمظاهرها البديعة حتى اذا توسطها رأى فيها من الادغال والاشواك ما يدمي الجَنان فضلاً عن البنان ويحبب اليهِ الفرار من ذلك المكان . ولكن أَنَّى لهُ الهرب وقد التفّ من حولهِ عوسج البنين فامتصوا دمآءهُ ومزقوا اديمهُ فيجلس بينهم حائراً مبتئساً ينظر تارةً حولهُ وطوراً الى العلآء فيجد فوقهُ تلك الاغصان التي كانت قبلاً مجلبةً لظل الهنآء قد نبتت حولها فروع الهموم فاشتبك بعضها ببعض وحجبت عنهُ نسيم الحرية وانوار المسرات

ثم يرى الى جانبهِ تلك الزهرة التي طالما منّى النفس ان يستنشق منها شذا انفاس الحب ويتمتع بصفو الوداد قد ذبلت اوراقها واستحالت الوانها وذهبت بهجتها وجمال رونقها واصبحت كانها قطعةٌ من الجماد . فينهض كالمأخوذ وهو يقبّح دهرهُ ويذم حظهُ ويشكو تلوُّن النسآء ولو انصف لذمَّ نفسهُ وما جلب عليها من الويلات باهمالهِ ذلك الروض

وعدم تعهده اياهُ بالاعتناء والاهتمام ليبقى نضيراً زاهياً تقرُّ بهِ عيناهُ وينتعش بأريجهِ فؤادهُ. ولقد يظن البعض ان الزوجة وحدها كفيلة بصيانة النعيم المنزلي وذلك لما يرونهُ من شدة علاقتها بالمنزل واختصاصها بهِ وفاتهم انها ليست من الرجل الا بمنزلة الغصن من الشجرة وان الشجرة هي الرجل نفسهُ منهُ تستمدّ نضارتها وعليهِ تتوقف حياة الأُسرة ونعيمها مهما ظهر من بعدهِ عن العلائق المنزلية

فقد جرت العادة ان يزيد الرجل على عرسهِ سنّاً فهو لا بد ان يفوقها اختباراً ودُربةً فضلاً عن انهُ هو الموكل بمعيشتها وتوفير اسباب راحتها وسعادة مستقبلها فيلزم من ذلك ان يكون هو صاحب الأولوية في تدبير معيشتهِ البيتية بل من اهم واجباتهِ تكييفها على شكل ينطبق على مقدرتهِ وذوقهِ مع مراعاة جانب زوجتهِ والسير معها بما يماثل معيشتها السابقة في بيت ابيها . ولذلك وجب على الشاب ان لا يقترن الا بمن هو كفوءٌ لها لكي لا يدعها تشعر يوماً بنغص من حياتها الحاضرة او نقص من نعيمها السابق . وان يكون معها بمنزلة والد ومرشد تهتدي بنور نصائحهِ وتأنَس بلطف معاملتهِ ولاسيما وانها قد تركت اسرتها ولزمتهُ فينبغي ان يكون لها هو الاسرة بتمامها بل العالم باجمعهِ والاَّ رأت نفسها ذليلة حقيرة كزنبقة قُطعت عن غصنها لتلقى على الثرى . ولما كان الزوج يأبى ان يرى زوجتهُ على تلك الحال فعليهِ ان يبدد ضباب هذا الوهم بما يبعثهُ في نفسها دائماً من حرارة الحب وما يعكسهُ عن مرآة فؤادهِ من انوار الاخلاص وان يجتهد في اقناعها اولاً بانها ليست ضيفةً عندهُ تتوقع

منهُ المثابرة على الاحتفاء بها ولا دخيلةً في منزلهِ يمكن الاستغناء عنها ولا مليكةً مستقلة لتستبدّ بآرائها بل انها شطرٌ منهُ وهي واياهُ واحد . وذلك بان يفتح لها قلبهُ ويطلعها على دخائل امرهِ فتزداد ثقتها بهِ وتنصرف افكارها الى ما فيهِ خيرهُ ومصلحتهُ . اما العدوّ الازرق الذي يجب ابعادهُ فهو الغضب الذي اكثر ما يلازم الرجل وهو سواءٌ كان بحقٍّ ام بغير حقّ فان في نبرات صوتهِ وقسوة الفاظهِ ما يكفي وحدهُ لجرح عواطفها وضياع النتيجة المطلوبة من النصح الذي يتوخاهُ

ولا يخفى ان كثرة اشغال الرجل وعلاقاتهِ الخارجية تجعلهُ ادنى الى التقصير في واجباتهِ البيتية وادعى الى اقلاق راحة امرأتهِ وسلّ سيوف لومها وعتابها على ما يتبع ذلك من النفار والبغضاء . فلاجتناب ذلك عليهِ ان يغمرها بحنانهِ ويبدي لها من التساهل والتسامح فيما يراهُ من تقصيرها في واجباتها المنزلية احياناً ما يحفظ لهُ جميلاً عندها تكافئهُ عليهِ باظهار الرضى والسكوت عن تقصيرهِ

اما الغيرة فانها آفة الراحة والويل للازواج الذين سمحوا لبذورها ان تنبت بينهم فانها لا تلبث ان تنمو وتلتفّ حول ازاهر الحب فتخنقها وتترك فردوس حياتهم قاحلاً لا يجتنون منهُ سوى المرارة والالم . فليكن الرجل حازماً وليسلك مع قرينتهِ سبيل الامانة ويمنحها من الحرية ما يُظهِر لها ثقتهُ التامة بآدابها وبذلك تزيد نفسها كبراً وتشعر ان عليها وحدها تقوم صيانة مقامها وتعزيز منزلتها وبعكس ذلك ما لو رأت ان قيادها في يديهِ وان امر المحافظة عليها منوط بهِ فانها قد تلجأ حينئذٍ الى

خداعهِ والاحتيال في مرضاتهِ شأن الضعيف المستعبد الذي لا يهتم الا بامر النجاة من عقاب حاكمهِ . ولا يُستنتج من ذلك ان يهمل الرجل امرأتهُ تمرح في ميدان الحياة بلا رقيب بل ان يسهر عليها بقدر امكانهِ ويراقب حركاتها بطرفٍ خفيٍّ فان الضعف من طبع الانسان والحادثات اقوى محكّ على اظهار ذلك الضعف المدفون

اما التقتير فانهُ مدعاة النكد والشقاق فليفتح الرجل جيبهُ لزوجتهِ كما فتح لها قلبهُ ويطلعها على مقدار ثروتهِ كما اطلعها على مقدار حبهِ ثم يتفق واياها على توفير جانب من دخلهِ ويعين لها مبلغاً تنفقهُ على معيشتهما كما يحلو لها دون ان يعارضها في ذلك فانها لا تلبث حينئذٍ ان تشمر عن ساعد الهمة والاقتصاد فتدبر تلك المملكة الصغيرة على افضل ما يكون من النظام والترتيب

هذه امور جوهرية رأيت انها افضل ما يُستعان بهِ على حفظ الهناء بين الزوجين وبقي هناك امورٌ اقل اهمية ولكنها لازمة لكمال سعادتهما وصفاء ايامهما . وهي اولاً ان لا يدخل الزوج الى بيتهِ وعلى وجههِ آثار العبوس ودلائل التعب بل يجتهد في ان يطرح عنهُ جميع ما يثقل عليهِ من الافكار المزعجة قبل ان يلج الباب فيحفظ بهجة حياتهِ المنزلية ويعوّد قرينتهُ ان تقابلهُ بالسرور والابتسام . ثانياً ان لا يكثر من حديث الاشغال لديها او الشكوى من معاكسة الاقدار فتنفر من محادثتهِ وتستضعف عزيمتهُ وبدلاً من ذلك ليكن حازماً في اعمالهِ يجتنب الاشغال الخطرة ولو استشف من ورآئها وافر الكسب لان حياتهُ وثروتهُ ليستا

لهُ وحدهُ منذ زواجهِ فينبغي ان يحاذر كثيراً ويجعل خطواتهِ على قدر ساقيهِ فتستقيم امورهُ ولا يبقى ثمة ما يعاتب بهِ دهرهُ

على ان جميع ما ذكر يعود الى امرٍ واحد هو الذي يجب ان يوجّه اليهِ الزوج نظرهُ الا وهو الحب المتبادَل الذي يربط الزوجين ويمنحهما قوة جديدة تمكنهما من اجتياز شقة الحياة على ما فيها من الوعورة والمشاق . فعلى الرجل العاقل ان يسعى وراء هذه الغاية ولا يألو جهداً في استمالة قلب زوجتهِ في كل زمن وحال لئلا يتناقص حبهُ في فؤادها فتمسي عرضة للكدر والزيغ فان الهوى كالهوآء لا يلبث متى رأى مكاناً خالياً من القلب ان ينفذ اليهِ فليجتهد في ان يكون مالئاً فراغ فؤادها

وقبل ان تصير اماً عليهِ ان يفهمها ما هي الوالدية واين مكانها من الاسرة وليكن لها مثالاً تستفيد منهُ وعوناً لها على تربية الصغار وتهذيبهم . ومتى اصبح اباً فمن اول واجباتهِ ان ينظر الى قرينتهِ بعين الاحترام لدى صغارهِ وبذلك يعوّدها احترامهُ ايضاً فيشبّ الاولاد على توقيرهما معاً والامتثال لارادتهما

واخيراً يجب ان يكاشف زوجتهُ بكافة اسرار حياتهِ حتى اذا دنت ساعتهُ ومال عليهِ ساقي المنون بكأسهِ واولادهُ بعد صغار لا يقوون على سياسة انفسهم يشرب تلك الكأس مطمئناً بان زوجتهُ لا تحتاج الى خلفٍ يدير اعمالهُ ويهتم بصغارهِ بل تقوم باعباء ذلك المنصب الشاق فتكون لهم اباً واماً معاً

لبيبة هاشم

نسمات السحر

أَتيتُ الحديقةَ وقتَ السَحَرْ وقد فاحَ من جانبيها الزَهَرْ
ومن كلِّ غصنٍ تدلَّى ثَمَرْ وهاجَتِ الطيرُ فوق الشَجرْ
بقايا الكرى في عيون البَشرْ

وقفتُ الى روضِها الناضرِ وناجيتُ في وصفِهِ خاطري
برغمِ هوى قلبيَ الثائرِ ومن حسدِ القلبِ للناظرِ
تعهدتُّهُ باريج الزَهَرْ

كأَني وقفتُ الى معبدِ من النبتِ للمبدعِ الاوحدِ
فكم راكعٍ باسطٍ لليدِ وكم خاشعٍ وجهُهُ أَو ندي
وداعٍ دَعا ربَّهُ بالنظَرْ

وكم من مُصَلٍّ ومن منشدِ على غُصُنٍ ناضرٍ املدِ
وكم سامعٍ ذاكرٍ مُهْتدِ يفكّرُ في اليومِ دون الغدِ
مطيعاً إِلهَ القضا والقَدَرْ

وحيداً كأنيَ في صومعَهْ اسبّحُ في الروض من أَبدَعَهْ
أَذُودُ عن الطيرِ ما رَوَّعَهْ اذا طارَ طارَ فؤادي معَهْ
وحلَّقَ فوق أَعالي الشجرْ

كأَنَّ الشذا في حواشي النسيمْ غرامٌ أُصيبَ بهِ من قديمْ
فعاشَ صحيحاً ولكن سقيمْ يحاوِلُ كتمانَ سرٍّ عظيمْ
ومنهُ عليهِ ينمُّ الأَثَرْ

فيا نَسَمَ الصبح قولي بمَنْ شُغِفْتِ وما سِرُّ هذا الشَجَنْ
كلانا أُصيبَ بصَرْف الزمَنْ كلانا على سرّهِ مؤتمَنْ
اذا فَضَحَ الصبَّ سِرٌّ ظَهَرْ

أَراكِ متيَّمةً بالجمالْ جمالِ الخليقةِ ذاتِ الجلالْ
تحيينهُ في رواسي الجبالْ وفي السهل بين الرُّبى والظلالْ
وحيث تجلَّى ضيآء القمرْ

تحيينهُ في شطوط البحارْ اذا الموجُ أَنَّ أَنينَ انكسارْ
وقد ودَّعتهُ عروس النهار وفي المآء ينبعُ وَسْطَ القفارْ
ويهبطُ منها الى مستقَرّْ

تحيينهُ حينَ يبدو الصباحْ فيلْقي على الارضِ أَسنى وِشاحْ
عليهِ لآلئُ غرٌّ صحاحْ فتُكسى الرَّوابي بهِ والبطاحْ
وتُجْلى الرياضُ بتلك الدُرَرْ

رويدكِ يا نسمات الحديقه اذا كنتِ عاشقةً او عشيقه
أَجيبي محبًّا أَضاعَ الحقيقه فانتِ بكشفِ الخبايا خليقه
وقد قيل عند النسيم الخبَرْ

اذا كنتِ عاشقةً فاذهبي من البرّ والبحرِ في موكبِ
بحملكِ مِن نَفَسٍ طيبِ ومِن نغمٍ مُعجِبٍ مُطرِبِ
ومن قطرات النَّدى والمطَرْ

الى منزلٍ جاد ربُّ السمآءْ عليهِ فكانَ جليلَ العطآءْ

بأجملِ غانيةٍ في النسآء　　اذا بَرَزَتْ فقلوبٌ تُسآء

على الرغم من كلّ عينٍ تُسَرْ

هناك ففي وقفةَ العاشقينْ　　وكوني الرسولَ الى الساكنينْ

فإنكِ نِعمَ الرسولُ الامينْ　　لعلكِ ما بيننا تُصْلِحينْ

وتُحيين من أمَلٍ ما اندثرْ

ألاَ ذكّري مَن أحبَّ الفؤادْ　　بعهدٍ أضاعوهُ بعدَ البعادْ

فقد كان موعدُ ذكرِ الودادْ　　كما يشهد اللهُ ربُّ العبادْ

اذا خطرت نسماتُ السَحَرْ

عسى أن تُجَدَّدَ تلك العهودْ　　وعلَّ زماناً تولى يعودْ

فنرغمَ بالوصلِ انفَ الحسودْ　　ولا رَحِمَ اللهُ ماضي الصدودْ

فقد نالنا منهُ ضرٌّ وشَرْ

واما اذا كان حظي الجفآء　　وعيشَ القنوط وموتَ الرجآء

فَسُدّي عليَّ مهبَّ الهوآء　　لعلي اموتُ شهيدَ الوفآء

ويُعذَرُ صبٌّ قضى فاعتَذَرْ

نقولا رزق الله

اسئلة واجوبتها

القاهرة — في علم حضرتكم ان الافرنج اصطلحوا على ان يسمّوا المشتغلين بالفنون المعروفة عندهم بالصناعات الجميلة (Beaux-arts) بلفظٍ يميزهم عن سائر الناس من اصحاب الصناعة وغيرهم وهو كلمة ارتيست (Artiste). الا ان هذه الكلمة لا مرادف لها في لغتنا وكان الخليق ان يستعمل بمعناها لفظة « المتفنن » اشتقاقاً

من لفظ « الفنون » نفسهِ على نحو ما هو في الوضع الافرنجي . ولكن هذه اللفظة قد كثر ابتذالها بين الكتاب حتى اخرجوها عن معناها الوضعي وصارت كلمة مدح مجرَّد على حدّ قولهم الفاضل والعلاّمة والنطاسيّ وغيرها . ولذلك لم يكن بدٌّ من استبدالها بلفظةٍ اخرى تدلّ على المعنى المقصود بحدّه وقد وجدت اقرب ما يصلح لذلك كلمة « العبقريّ » وهو على ما جآء في فقه اللغة (الباب ٧ فـ ١٩) الحاذق الجيّد الصنعة في صناعتهِ . فاذا وجدتم هذه اللفظة تليق لهذا الموضع فمنّوا باثباتها في ضيآئكم الزاهر ولكم الفضل ق *

الجواب — لا نرى من اعتراضٍ على صلاحية هذه اللفظة للموضع الذي اخترتموها لهُ بعد ان يقع عليها التواطؤ بين اهل الصناعة بيد أننا لا نرى من موجبٍ للعدول عن لفظة المتفنن حالة كونها هي المقصود في المعنى فضلاً عن ان المقام يقتضيها دون غيرها على ما اومأتم اليهِ . وما ذكرتم من ان بعض الكتاب درجوا على استعمالها لمجرّد المدح ليس بالشيء الذي يُعبأ بهِ في نظر الخاصة بل لا يبعد انهُ اذا استُعمِل لفظ العبقريّ لهذا المعنى وتداولتهُ الاقلام لا يلبث زمناً حتى تروهم ادرجوهُ في الفاظ المدح . على أن الذي نراهُ ان العبقريّ مع صلاحيتهِ للمعنى المذكور فهو بحسب وضعهِ اقرب الى كلمة « Génie » من « Artiste » وذلك ان اصل هذه الكلمة عندهم بمعنى لفظة الجنّيّ عندنا ولعلها مأخوذةٌ منها كما يدل عليهِ لفظها ثم اطلقوها على كل من بلغ النهاية في المدارك العقلية . وقد جآء في تاج العروس ما نصّهُ « عبقر كجعفر موضعٌ بالبادية كثير الجنّ يقال في المثل كأنهُ جنّ عبقر » . وفي لسان العرب « قال ابن الاثير عبقر قريةٌ يسكنها الجن فيما زعموا فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عملهُ ويدقّ او شيئاً عظيماً في نفسهِ نسبوهُ اليها فقالوا عبقريّ » . وقال ابو عُبَيد « اصل العبقريّ صفةٌ لكل ما بُولِغ في وصفهِ وقيل العبقريّ الذي ليس فوقهُ شيء » . انتهى وكل هذا مما يوافق اللفظة الافرنجية وضعاً واستعمالاً كما ترون والله اعلم

فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ١٧ —

سرّ وادي بوسكومب

كنت يوماً اتناول طعام الصباح مع زوجتي فاذا بالخادمة قد دخلت علينا وفي يدها رسالة برقية فتناولتها حالاً فاذا هي من شرلوك هولمز يقول فيها « عزيزي وطسن - هل يمكنك الاستغناآء عن يومين من وقتك فقد طُلبت برسالة برقية الى غربي بريطانيا لاجل مأساة وادي بوسكومب ويسرّني جدًّا ان ترافقني فاذا امكنك المجيء فكن في محطة بادنجتون الساعة الحادية عشرة » . وكان قد بقي الى الموعد نصف ساعة فنهضت للحال وفي اقل من ربع ساعة جهزت حقيبتي الجلدية وركبت عربةً اوصلتني الى محطة بادنجتون واذا شرلوك يتمشى على الرصيف فلما رآني تقدم فصافحني وكان القطار على وشك المسير فركبنا . وكان شرلوك قد استحصب رزمة كبيرة من الاوراق والجرائد فاخذ يقرأها ويدون في مذكرته ما يتعلق بغرضهِ منها ولما انتهى نظر اليَّ فقال هل سمعت شيئاً عن الحادثة التي نحن بصددها . قلت كلا فاني لم اقرأ الجرائد منذ بضعة ايام . قال يظهر ان جرائد لندن لم يبلغها الخبر بالتفصيل وقد كنت ابحث في هذه الرزمة منها فلم استطع معرفة شيء الا ان الحادث من الامور البسيطة وحسب المعتاد سيكون في غاية الاشكال . قلت كيف يكون بسيطاً ومشكلاً في وقتٍ واحد . قال قد اخبرتك مراراً ان اشد الحوادث اشكالاً وغموضاً هي التي ترى بسيطة الظواهر . قلت وهل في الحادثة قتل . قال لا استطيع

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

الحكم قبل ان ارى بنفسي فاسمع ما علمتهُ حتى الآن

ان وادي بوسكومب ناحية لا تبعد كثيراً عن روس في هيرفردشير واعظم متملك في تلك الناحية رجل يدعى المستر جون ترنر كسب ثروتهُ في اوستراليا ثم عاد الى بلادهِ منذ بضع سنوات فاشترى اكثر بناياتها واراضيها . وان احدى مزارعهِ واسمها هاذرلي استأجرها منهُ رجل يدعى شارلس ماكرثي كان في اوستراليا ايضاً . وكان لماكرثي ولد وحيد في الثامنة عشرة من عمرهِ ولترنر ابنة في مثل ذلك العمر ولم يكن لاحدهما زوجة حية . وعلمت انهما كانا يعيشان عيشة انفرادية فلا يخالطان الأُسر الانكليزية المجاورة سوى ان ماكرثي وابنهُ كانا مغرمين بالصيد .

وحدث في الثالث من شهر يونيو اي يوم الاثنين الماضي ان ماكرثي خرج من منزلهِ في الساعة الثالثة بعد الظهر ومشى الى بحيرة صغيرة في بوسكومب تتجمع فيها مياه الجداول المتدفقة في الوادي . وكان قد خرج في الصباح مع خادمهِ الى روس وقال لهُ انهُ مضطر الى الرجوع عاجلاً اذ عليهِ مواجهة مهمة في الساعة الثالثة وتلك المواجهة هي التي ذهب اليها ولم يعد منها . اما المسافة من منزلهِ الى البحيرة فنحو ربع ميل وقد قابلهُ في طريقهِ امرأة لم يُذكر اسمها ورجل يدعى وليم كرودر من خدم المستر ترنر وقد قالا انهما رأياهُ سائراً وحدهُ بسرعة . اما الرجل فقال انهُ بعد مرورهِ ببضع دقائق رأى ابن المستر ماكرثي يتبع اباهُ وفي يدهِ بندقيتهُ . وقد نُظر الوالد وابنهُ ايضاً عند البحيرة مرة اخرى بعد ذلك فان البحيرة المذكورة كانت تحيط بها الزهور والاعشاب وكانت فتاةٌ في الرابعة عشرة من عمرها تدعى موران وهي ابنة ناظر الاملاك قد ذهبت الى تلك الناحية لتجمع باقةً من الزهور فرأت على ضفة البحيرة ماكرثي وابنهُ وظهر لها انهما يتخاصمان وسمعت الاب يشتم ابنهُ ورأت الابن قد رفع يدهُ كانهُ يريد ان يضرب اباهُ فاخافها المنظر واسرعت ركضاً الى البيت فاخبرت والدتها انها رأت ماكرثي وابنهُ يتخاصمان وربما اقتتلا . ولم تكد تتم كلامها لوالدتها حتى وصل ابن ماكرثي مسرعاً يقول انهُ وجد اباهُ ميتاً في الغابة وطلب المساعدة وكان في حالة قلقٍ شديد وهو بدون بندقيتهِ

ولا قبعته وعلى كمه الايمن اثر دم جديد . فلما خرج اصحاب المنزل وتبعوهُ وصلوا الى حيث وجدوا الاب ملقىً على العشب بجانب البحيرة وعلى رأسه اثر ضرب شديد يشبه انهُ كان بخشب بندقية ابنه التي وجدوها ملقاة على بضع خطواتٍ منهُ . فللحال القي القبض على الابن بتهمة القتل تعمداً ثم اخذوهُ في يوم الاربعاء الى روس للمحاكمة وتأجلت الجلسة الى الاسبوع القادم

ولما اتمَّ شرلوك حديثهُ قلت لا اظن انهُ وجد قط بينات تدل على القاتل اوضح مما ارى في هذه الحادثة . فتبسم شرلوك وقال ان البينات الواضحة كثيراً ما تكون خداعة يا وطسن ولا انكر ان الحالة كما سمعتها تقضي حتماً بان الابن هو القاتل ولكنهُ يوجد كثيرون من تلك الجيرة وخصوصاً ابنة المستر ترنر يعتقدون براءتهُ وان الابنة المذكورة قد استدعت لسترايد مفتش الشحنة لاحقاق الحق ولما لم يستطع شيئاً حوَّل الامر اليَّ ولذلك جئت واياك نجتاز خمسين ميلاً في الساعة لعلنا نخلص الفتى البريء ان امكن . فقلت اخشى ان تكون الادلة اوضح مما يمكنك ان تغالطها . فضحك شرلوك حتى بانت نواجذهُ وقال ان شدة الخطأ تكون في الغالب في الادلة الواضحة ومع ذلك فانا احب ان افحص بنفسي ما اؤكد ان لسترايد لم يرهُ . قلت وما الذي يؤخذ من اقرار الفتى . قال لم يكن فيهِ ما يساعدهُ الا القليل وهو منشور في الجريدة فخذ واقرأهُ . فاخذت الجريدة منهُ منهُ وجعلت اقرأ بمزيد الانتباه وكان فيها ما يأتي

« استدعى مجلس التحقيق المستر جيمس بن ماكرثي الوحيد ولدى استنطاقهِ أجاب - انني صرفت ثلاثة ايام بعيداً عن منزلي في بريستول ولم ارجع الا صباح يوم الاثنين الماضي في ٣ الشهر فلما بلغت البيت لم اجد والدي واخبرتني الخادمة انهُ ذهب الى روس ومعهُ خادمهُ . وبعد وصولي بقليل سمعت عجلات مركبتهِ فنظرت من النافذة واذا بوالدي قد ترجل واخذ يسير بسرعة ولكنني لم اعلم الى اية جهة ذهب . اما انا فاخذت بندقية الصيد وتوجهت قاصداً البحيرة حيث اعتدت ان اصيد الارانب البرية وفي طريقي قابلت وليم كرودر كما قال ولكنهُ اخطأ في

قولهِ انني كنت اتبع ابي لانهُ لم يخطر لي قط ان والدي سائر امامي في الطريق نفسها . ولما صرت على مسافة نحو مئة يرد من البحيرة سمعت صفيراً مخصوصاً كان علامة بين والدي وبيني فاسرعت الى الجهة التي سمعتهُ منها فوجدت والدي واقفاً قرب البحيرة ولكنهُ اظهر شدة الاستغراب من حضوري اليهِ وسألني بخشونة عما اوجب مجيئي الى ذلك المحل . ثم دار بيننا حديث افضى الى كلام عنيف وكاد ينتهي بنا الى الملاكمة لان والدي كان حادّ الطبع جدًّا . ولما رأيت ان سورة الغضب قد بلغت منهُ تركتهُ ورجعت الى مزرعة هاذرلي ولكنني لم ابتعد عنهُ الا نحو مئة يرد حتى سمعت ورآئي صراخاً مخيفاً فكررت راجعاً ولما وصلت وجدت والدي مطروحاً على الارض يلفظ روحهُ وقد شُقّ رأسهُ . فالقيت بندقيتي الى الارض واخذتهُ بين ذراعيّ فنظر اليّ يريد الكلام ولكنهُ لم يستطع وفاضت روحهُ فجثوت بجانبهِ بضع دقائق ثم اسرعت الى اقرب محل اطلب المساعدة وقصدت بيت ناظر املاك المستر ترنر لانهُ الاقرب . فسألهُ القاضي هل تكلم ابوك بشيء قبل وفاتهِ . قال تمتم ببعض كلمات لم افهم منها الا لفظة جرذ . فقال القاضي وماذا فهمت من ذلك قال لا شيء سوى اني ظننت ذلك من هذيان الموت . فقال القاضي وما هو الحديث الذي دار بينكما لما قابلتهُ في المرة الاولى . قال لا يمكنني اعادتهُ فانهُ خصوصي واوكد لكم ان ليس لهُ اقل دخل في المأساة التي حدثت بعدهُ . فقال القاضي يجب ان تعرفهُ المحكمة مهما كان واذا ابيت اعادتهُ اوقعت نفسك في اشد خطر . فقال مهما كان الخطر لا اراني استطيع ان ابوح بذلك الحديث . قال القاضي فهمت منك ان ذلك الصفير كان علامة خصوصية بينكما فكيف اعطى تلك العلامة وهو لم يرك بعد ولا عرف انك رجعت من بريستول . قال هذا ما اجهلهُ انا ايضاً . قال القاضي ولما عدت الى ابيك بعد سماعك الصراخ المخيف هل رأيت شيئاً يستوجب الانتباه . قال كنت في غاية القلق والارتباك ومع ذلك فانني لما رجعت ورأيت والدي ملقى على الارض اتذكر انني رايت على مسافة منهُ شيئاً اشبه بسترة رمادية اللون ولكنني بعد ان جثوت بجانبهِ وقمت لاطلب المساعدة لم ارَ السترة واؤكد

انها اختفت حين كنت امام الجثة وظهري الى ناحيتها »

ولما انتهيت الى هنا طرحت الجريدة من يدي وقلت لا شك ان قاضي التحقيق لا يرحم الفتى لان اجوبتهُ كلها تدل على عدم برآءتهِ . فضحك شرلوك مرةً اخرى وقال ان قاضي التحقيق وانت يا وطسن من رأي واحد فانكما تأخذان ببعض الادلة دون بعض فقد نظرتما الى قول الفتى انهُ سمع والدهُ تكلم بالفاظ لم يفهم منها سوى لفظة جرذ وانهُ راى سترة رمادية اختفت بعد نهوضهِ فحملتما ذلك منهُ على الاختلاق ولكنهُ من الجهة الاخرى لما سئل عن سبب الخصام بينهُ وبين والدهِ امتنع من ذكرهِ بتةً فلو كان من ذوي الاختلاق كما ظننتما لما عجز ان يخترع لهُ سبباً يستجلب بهِ شفقة القاضي . اما انا فاني ساخالفكما وانظر الى هذه الحادثة من وجه آخر وساصدق كلام الولد غير انني لا احب ان اقول شيئاً الى ان نبلغ محل الحادثة

وعند الساعة الرابعة بلغنا محطة روس فوجدنا المفتش لسترايد في انتظارنا فقادنا الى نزلٍ كان قد اعدّ لنا فيه غرفة لتناول الطعام وقال لشرلوك انني اعلم انك سريع الحركة لا يهمك التعب ولعلك تودّ ان تسير في الحال الى محل الحادثة فقد اعددت مركبة تقلنا الى هناك . فقال شرلوك اشكرك لاهتمامك ايها العزيز ولكنني لا اظن انني احتاج الى المركبة اليوم . فقال لسترايد بتبسم اظنك قد فهمت حقيقة الامر من الجرائد وان الحادثة في غاية البساطة لا تزداد على البحث الا وضوحاً . ولكن ابنة المستر ترنر لا تزال تعتقد عكس ما نراهُ وقد اجبرتني على استدعآئك مع انني قلت لها انهُ لا يوجد شيء يمكنك ان تفعلهُ ولم افعلهُ انا ولكن . . . . ها هي عربتها قد وصلت الى هنا

ولم يكد لسترايد يتم كلامهُ حتى وثبت من العربة فتاة من اجمل ما رأيت في حياتي وقد اعارها اضطرابها جمالاً فوق حسنها . فلما صارت بالقرب منا جعلت تنظر الينا حتى دلتها غريزتها النسآئية على شرلوك فقالت لهُ انني لاستبشر بحضورك يا مستر شرلوك هولمز وقد جئت لأسألك ان تبذل جهدك في هذه الحادثة ولا تعتقد الا ما اعتقدهُ من برآءة الفتى ماكرثي لانني اعرفهُ فقد ربينا معاً واختبرت

اخلاقهُ وخصالهُ . ولا انكر ان لهُ سقطات عديدة ولكنهُ رقيق القلب لا يحب اذية احد ولا يسمح لهُ قلبهُ الحنون ان يضر ذبابة فكيف يمكن ان توجه اليهِ تهمة قتل رجل هو والدهُ . فقال شرلوك خفف عنكِ يا سيدتي فسابذل جهدي وعسى ان اتمكن من تبرئتهِ . قالت انك قد علمت الحكاية فلا بد انك وصلت الى نتيجة أفلا تعتقد انهُ بريء . قال ذلك من المحتمل . فكادت الفتاة ترقص طرباً وقالت اشكر الله فانهُ يقوّي املي . فهز لسترايد كتفهُ وقال اخشى ان يكون المستر شرلوك قد اسرع في ابداء رأيهِ . فقالت ولكنهُ مصيب لانني اعتقد تمام الاعتقاد ان جيمس بريء . اما خصامهُ مع والدهِ وامتناعهُ من ان يبوح بسبب الخصام امام قاضي التحقيق فلأن الامر يختص بي وقد اوجبت الحال ان اخبركم بهِ الآن فان جيمس تخاصم مراراً مع ابيهِ بسببي لان المستر ماكرثي كان يودّ كثيراً ان يقترن جيمس بي . ومع اني كنت احبهُ ويحبني اكثر من محبة شقيق لشقيقة فانهُ كان لا يزال صغيراً لا يعلم شيئاً من امور الحياة فلم يشأ ان يفعل شيئاً اقتحاماً ولهذا السبب كثر الخصام بينهما ولا اشك ان خصامهما الاخير كان للسبب عينهِ . اما والدي فكان ضد هذا الرأي ولم يكن احد يهمهُ هذا الاقتران الا المستر ماكرثي فقط . وكان شرلوك يسمع حديثها باهتمام فقال لها اشكركِ على هذا الاعتراف وهل يمكنني ان ارى والدكِ المستر ترنر غداً . قالت اخاف ان يمنعك طبيبهُ فان صحتهُ تاخرت كثيراً في هذه المدة ولا سيما بعد هذه الحادثة فهو في الفراش وقد قال الطبيب ان اعصابهُ كلها في حالة سيئة . والآن فقد صار من الواجب ان اعود الى البيت لانني اخشى ان يطلبني والدي فاستودعكم الله واسألهُ ان يوفق مسعاك يا سيدي العزيز . ولما قالت ذلك انحنت بلطف وخرجت الى مركبتها

ولما فصلت عنا قال لسترايد انني خجلٌ عنك يا شرلوك فلماذا تعلق آمالاً لا تستطيع ان تحققها . فقال شرلوك اظنني وجدت وسيلة لتبرئة جيمس فهل يؤذن لنا ان نزورهُ في سجنهِ . قال قد حصلت على اذن لك ولي فقط . فقال شرلوك اذاً لنذهب الآن بدون ابطاء . ثم نظر اليَّ وقال اتأسف انك ستبقى وحدك

ولكنني لا اغيب عنك اكثر من ساعتين . ولما خرجا سرت معهما الى المحطة ثم تركتهما يذهبان وتمشيت قليلاً ثم عدت الى الفندق فانطرحت على مقعد واخذت كتاباً اقرأ فيهِ فوجدتهُ رواية فيها دسيسة غريبة تبين لي بعد تلاوتها انهُ كثيراً ما تغش الظواهر فانتبهت الى حادثـة ما كرثي وقلت لعل شرلوك مصيب . فرميت الكتاب من يدي وعدت الى تمثل الحادثة منذ اولها فشعرت بقوة اقتناع باطن يدلني على براءة جيمس فاني تصورت ان الولد لما فارق اباهُ اتى القاتل فأتمّ فعلتهُ قبل عودة الولد ثانيةً . واذ ذاك قرعت الجرس فجاء الخادم فطلبت منهُ جريدة المساء وجعلت اقرأ ما كُتب عن تلك الحادثة بتدبر . فوجدت في التقرير الطبي ان الثلث الايسر من العظم الخلفي من الجمجمة وُجد مكسوراً بضربة اداة غير حادَّة فظهر لي ان هذه الضربة لا يمكن الا ان تكون قد اتت من الوراء وهذا يؤيد قول الابن انهُ ليس الفاعل لان الشهود قالوا انهما كانا يتخاصمان وجهاً لوجه وعزمت ان انبه شرلوك الى ذلك . ثم افتكرت في لفظة جرذ التي سُمعت من فم المقتول وهي لا يمكن ان تكون عن هذيان منهُ فان الموت الفجائي بعد ضربة كهذه لا يحدث هذياناً بل لابد ان تشير الى شيء اراد القتيل ان يوضحهُ ولم يستطع . وكذا ما ذكرهُ الولد من امر السترة الرمادية اللون التي رآها ثم اختفت فانها لا بد ان تكون للقاتل وقد سقطت منهُ وانهُ رجع فاخذها حين جثا الولد عند جثة ابيهِ . واذ ذاك انحزت الى فكر شرلوك وشعرت بما يوحي اليَّ براءة الولد

ولما عاد شرلوك استقبلتهُ بشوق وسألتهُ عما فعل فقال كنت اود ان ازور مكان الجناية قبل ان ينزل المطر ويغير هيئة الارض ولكن فحص تلك الجهة يقتضي صفاء بال وراحة لم نحصل عليهما في سفرنا هذا فسأبقي ذلك الى الغد . اما السجين فلم استطع ان اعلم منهُ شيئاً سوى انهُ سليم القلب طيب السريرة وانهُ لا يمكن ان يكون هو القاتل . وكنت قد لمتهُ لعدم رغبتهِ في الاقتران بالفتاة مس ترنر ولكنني علمت ان لرفضهِ سبباً مؤثراً جدًّا فهو يحبها حبًّا لا حبَّ بعدهُ ولكنها في الخمس سنوات الاخيرة غابت عنهُ وقضت ذلك الوقت في مدرسة بعيدة واتفق انهُ ذهب

مرة الى بريستول فعلق حب غانية هناك وتزوجها سرًّا فلم يعد في وسعهِ ان يقترن بابنة ترنر ولا امكنهُ ان يبوح بما فعل وهذا هو السبب في خصامهِ مع والدهِ فان اباهُ كان يريد ان يجبرهُ على خطبة ابنة ترنر ولم يقبل لهُ في الامتناع عذراً . وكان الولد يعيش من مال ابيهِ وقد رأى من الجهـة الواحدة ان اباهُ قاسٍ شرس اذا خالفهُ استوجب لعنتهُ وطردهُ واذا اعلمهُ بزواجهِ السري كانت العاقبة اشد صعوبةً . وان الثلاثة الايام التي غابها في بريستول كان فيها عند زوجتـهِ ولم يعرف والدهُ بذلك . غير ان الامر المهم في هذه القصة والخير الذي نجم عن الشر هو ان زوجة الولد لما قرأت في الجرائد ما اتهم بهِ زوجها وانهُ سيحكم عليهِ بالاعدام نبذتهُ بتاتاً وكتبت اليهِ تقول انها متزوجة بغيرهِ ولا يزال زوجها حيًّا في برمودة وانها لا تعترف بوجود علاقة بينها وبينهُ . ولا ريب ان هذا الخبر سبب للولد شيئاً من التعزية بعد المصاب الذي هو فيهِ . ثم اذا ثبتت برآءة جيمس فلا بد من وجود قاتل ولمعرفتهِ لنا دليلان اولهما ان القتيل كان ينتظر مقابلة شخص عند البحيرة ولا يمكن ان يكون المنتظر ابنهُ لانهُ كان في بريستول ولم يُعرف وقت رجوعهِ . والثاني ان القتيل اعطى علامة بالصفير وهو لا يعلم ان ابنهُ قد عاد من سفرهِ . وهذان الامران يستوجبان مزيد التبصر على دعةٍ وراحة بال فهلمَّ الآن للنوم وسنرى ما يأتينا بهِ الصباح

وفي اليوم الثاني جآءنا المفتش لسترايد بمركبة اقلتنا لزيارة مزرعة هاذرلي وبحيرة بوسكومب وبينما نحن نقطع تلك المسافة قال لسترايد بلغني اليوم بعض اخبار مهمة وهي ان المستر ترنر على شفا خطر وقد يئس الطبيب منهُ . نعم انهُ لا يتجاوز الستين من عمرهِ ولكنهُ انفق قواهُ في الاغتراب واضناهُ العمل وقد علمت انهُ منذ اول حياتهِ كان صديقاً حميماً للقتيل ماكرثي ومحسناً اليهِ حتى انهُ اقطعهُ مزرعة هاذرلي يستغلها بدون مقابل وساعدهُ في عدة طرق اخرى كما يعلم الجميع هنا . فقال شرلوك حقًّا ان هذه الاخبار لا تخلو من الفائدة لانهُ من الغريب ان ماكرثي مع عدم امتلاكهِ شيئاً ووقوعهِ تحت منة واحسان ترنر لا يزال يؤمل ان يزوج ابنهُ

بابنة ذلك المثري وهي الوارثة الوحيدة لاملاك ابيها وذلك مع علمه بان ترنر نفسهُ غير راضٍ بهذا الرأي فلا بد من استنتاج شيء من ذلك . فتبسم لسترايد وقال اراك قد عدت الى الاستنتاج والمفروضات اما انا فقد استنتجت شيئاً واحداً وهو ان جيمس ماكرثي قتل اباهُ والسلام . وبلغنا مزرعة هاذرلي فدخلنا منزل ماكرثي وشرلوك امامنا يتفقد كل شيء ثم طلب من الخادمة فاحضرت لهُ الحذآء الذي كان يلبسهُ القتيل ثم حذآء الابن فاخذ قياسهما من عدة اوجه ثم انتقل بنا الى الحديقة وسرنا جميعنا في الطريق المؤدية الى البحيرة . وكان منظر شرلوك حينئذ غريباً كعادته اذا كان لديهِ امرٌ مهمّ فكان كلهُ عيوناً وآذاناً تارةً يسرع وطوراً يسير الهوينى واحياناً يترك الطريق ويذهب مسافة الى اليمين او الى الشمال وكنت ولسترايد نتبعهُ بسكوت كما يتبع الصياد كلبهُ الى مكامن الصيد حتى بلغنا البحيرة وكانت واقعة في منتصف المسافة بين مزرعة هاذرلي ومنزل المستر ترنر . وكانت الارض لينة التربة وعليها آثار اقدام فرأيت محل سقوط القتيل وعلمت ان شرلوك يرى اشيآء اخرى نجهلها نحن . ثم رأيتهُ قد اخذ منظارهُ وانطرح على الارض فجعل يفحص آثار الخطى ويتنقل من مكان الى آخر وجعل يكلم نفسهُ فيقول هذه آثار جيمس ماكرثي فقد اتى مرتين ماشياً ومرةً راكضاً بسرعة . انهُ محقّ في اقرارهِ فانهُ ركض لما رأى والدهُ قتيلاً . وهذه آثار اقدام الاب يسير ذهاباً واياباً . وهذا اثر خشب البندقية التي اسندها الولد الى الارض حين كان يكلم اباهُ . وهذه آثار اخرى غريبة وقد مشى صاحبها على رؤوس اصابعهِ ولها هيئة غير عادية وهي قادمة ثم راجعة ثم قادمة ايضاً فهي بدون شك آثار الشخص الذي قدم ليأخذ السترة الرمادية . ولكن من ابن اتت . ثم رأيناهُ نهض وجعل يسير من جهة الى اخرى تارةً يتفقد الآثار وطوراً يعود اليها حتى انتهينا جميعنا الى طرف الغابة وكان بقربها شجرة كبيرة فانطرح شرلوك بجانبها وقرأت على وجههِ علامات الاقتناع بما رأى وكان يفحص بمنظارهِ الاحجار والاعشاب وقشر الشجرة ايضاً . ثم اخذ شيئاً ظننتهُ من تراب الارض فوضعهُ في ورقة في جيبهِ . ولما انتهى سار

بنا ثانيةً حتى بلغنا الطريق فقال حقًّا ان هذه الجناية من الغرابة بمكان ويغلب على ظني ان هذا البيت الكائن امامنا هو بيت موران ناظر الاملاك فاودّ ان اقابل هذا الرجل وربما اكتب عندهُ رسالة فاذهبا وانتظراني الى ان اعود فنذهب معاً لتناول الطعام . وبعد نحو عشر دقائق عاد الينا فركبنا العربة ورجعنا . وكان شرلوك قد التقط من الغابة حجراً كبيراً لا يزال في يدهِ فقدمهُ الى لسترايد وقال هل علمت ان الجناية حصلت بهذا الحجر . فقال لسترايد مستغرباً كيف علمت ذلك وليس عليهِ اثر . قال التقطتهُ من حيث وُضع من بضعة ايام فقط بدليل ان النبات كان نامياً تحتهُ ولم يبن المحل الذي أُخذ منهُ فقد أُتي بهِ من مكان ابعد . ثم ان حالة الكسر في الجمجمة لا بدّ ان تكون بمثل هذا الحجر وقد عُلم انهُ لم يكن بسلاح حاد . فقال لسترايد هازئاً اذا كنت قد تحققت ذلك فلا بد ان تكون قد عرفت القاتل . قال ساعرفهُ قريباً بعلاماتهِ فانهُ طويل القامة اعسر اليدين يظلع من ساقهِ اليمنى ويلبس حذآء صيد ثقيلاً وسترة رمادية ويدخن من التبغ الهندي ويجعل لفافتهُ في فم مستعار ومعهُ سكين غير حاد ولهُ علامات اخر غير ان هذه كافية . واراك يا لسترايد تضحك من كلامي فلا بأس انهُ لا يعوقك عن الاستمرار على طريقتك فدعني اتمّ عملي . اما انا فساكون في شاغلٍ بقية هذا اليوم وربما ارجع الى لندن في المسآء . فقال لسترايد وهل تذهب قبل ان تتمم عملك . قال قد تممتهُ . قال والسرّ . قال قد اوضحتهُ . قال والقاتل . قال قد وصفتهُ وصار من السهل العثور عليهِ لان السكان هنا قليلون . ولما قال هذا ودّع لسترايد امام منزلهِ وبقيت واياهُ في العربة الى ان بلغنا الفندق وكان الطعام على المائدة . فنظر اليَّ شرلوك وعلامات الاهتمام على وجههِ وقال انني يا وطسن في حيرة عظيمة وقد عرفت اشيآء كثيرة ولكنهُ لا يزال ينقصني شيء فتعال نعيد هذه الحكاية عسى ان يُفتح علينا بكشف المستور منها . قرّر الولد ان اباهُ كلّمهُ قبل موتهِ كلاماً لم يفهم منهُ سوى كلمة جرذ ثم انهُ سمع الصفير وقد اعطانا نغمتهُ وهي غير مستعملة الاّ في استراليا ولا يمكن ان يكون القتيل قد اعطى تلك العلامة لابنهِ وهو يعتقد

انهُ لا يزال في بر يستول بل ان وجود الولد هناك كان اتفاقاً فلا بد ان الرجل الذي كان ما كرثي ينتظر مقابلتهُ هو رفيقٌ قديم لهُ من استراليا . اما كلمة جرذ فقد احضرت خريطة مستعمرة ڤكتوريا باستراليا وهي التي كان فيها الرجلان ترنر وما كرثي وقرأت اسمآء تلك البلاد فوجدت اسم بلدة صغيرة تدعى مارجرذ فكأن القتيل اراد ان يخبر ابنهُ بان قاتلهُ فلان من مارجرذ فلم يستطع الايضاح ولم يفهم الولد منهُ سوى الجزء الاخير من الكلمة . واذا صدقنا قول الولد انهُ رأى السترة الرمادية تحققنا ان القاتل رجل من مارجرذ باستراليا يلبس سترة رمادية ويقيم في هذه الناحية لان البحيرة واقعة في املاك ترنر فلا يقترب منها غريب . وقد عرفت ان الرجل طويل القامة من قياس مسافة خطواتهِ ونظرت في آثارها ما دلني على غرابة حذآئهِ وعلى انهُ يظلع من احدى ساقيهِ بدليل ظهور الاثر الواحد اكثر من الآخر . وقد ظهر لي انهُ ضرب ضربتهُ القاضية من ورآء القتيل وانهُ ضربهُ باليد اليسرى فان هيئة الضربة ومحل وقعها من رأسهِ يدلان على ذلك . وقد تحققت انهُ عند ما كان يتخاصم ما كرثي وابنهُ كان القاتل مختفياً ورآء النبات المحيط بالبحيرة يسمع كل كلمة وقد دخَّن هناك ايضاً بدليل ما رأيت من الرماد الذي عرفتهُ انهُ رماد التبغ الهندي . وقد بحثت في تلك الجهة حتى عثرت على عقب اللفافة فوجدت حزري في محلهِ وانها صنع روتردام ثم عرفت من عقبها انهُ لم يدخنهـا بفمهِ رأساً بل بواسطة فم مستعار وعلمت من هيئة قطعها انها مقطوعة بسكين غير حادّ . فلم اتمالك ان اظهرت مزيد العجب وقلت لهُ لله درك يا شرلوك انك جعلت القاتل محاطاً بالبراهين الدامغة فهيهات ان ينجو ولكن مَن هو . وقبل ان يجيبني شرلوك فُتح باب الغرفة ودخل الخادم يقول ان المستر جون ترنر يود مقابلتنا ودخل بعدهُ الزائر فرأيناهُ طويل القامة يعرج قليلاً ومع ضعفهِ تدل هيئتهُ على قوةٍ جسديةٍ وصلابةٍ في الرأي . اما لونهُ فكان مبيضًّا مائلاً الى لون الرماد فعلمت للحال انهُ مريض باحد الامراض التي لا يرجى لها شفآء . وحالما دخل نهض شرلوك لاستقبالهِ وقدم لهُ كرسيًّا وقال هل وصلت اليك رسالتي يا سيدي . فقال الرجل نعم فقد اوصلها اليَّ

ناظر الاملاك واراك تقول فيها انك تود مقابلتي هنا لمنع تقولات الناس . فقال شرلوك نعم انني لم اشأ ان اذهب الى منزلك لئلا يظن احد سوءا . فقال ترنر حسن وماذا تريد من مقابلتي . وكأنهُ قرأ في نظرات شرلوك جوابهُ فارتعش جسمهُ ثم ستر وجههُ بيدهِ وقال ارحمني يا الله . نعم انا قاتل ما كرثي فلا فائدة من الانكار امام شرلوك هولمز . ولكنني لم اكن اود ان يصاب ابنهُ باقل ضرر ولو حُكم عليهِ نهائيًّا لاعترفت امام القضاة ببرآءتهِ بل كنت اكون اعترفت منذ البدآءة لولا خوفي من كسر قلب ابنتي فانها ربما تموت اذا سمعت انهم القوا القبض عليَّ . انني رجل مريض والطبيب اكَّد لي انني لا اعيش اكثر من بضعة ايام فقط فانا اودّ ان اموت في منزلي لا في السجن . فقال شرلوك انا لست من رجال الشحنة لالقي القبض عليك ولكن ابنتك استدعتني من لندن لتخليص جيمس ما كرثي اعتقاداً منها انهُ بريء وقد ثبت ذلك فمن الواجب ان ننقذهُ . ولما قال ذلك نهض فاحضر ورقاً وقلماً وفهم المستر ترنر غرضهُ فقال لهُ ربما لا اعيش الى وقت المحاكمة فاكتب ما امليهِ عليك من اعترافي الصحيح وسأوقّع عليهِ ويشهد عليَّ صاحبك هذا وانت ثم ايسلّم ذلك الى مروءتك فافعل بهِ ما تشآء بشرط ان لا تكسر قلب ابنتي وان لا يضرّ ابن ما كرثي بسببي . ثم املى عليهِ ما يأتي

« ان القتيل ما كرثي شيطان في صورة انسان وقد القى يدهُ عليَّ منذ عشرين سنة فجعل حياتي في مرارة دائمة وشقآء

» ذهبت منذ حداثتي الى استراليا وكنت جسوراً قويًّا فاشتغلت في مناجم الذهب وما عتمت ان فسدت اخلاقي بعشرة من هناك من العمال فانحزت الى المسكر والميسر وانتهيت بان صرت من قطاع الطرق مع خمسة غيري جعلوني رئيسهم فكنا نسلب البريد ونغزو المحطات حتى اشتهر امرنا ودعوني من ذلك الحين جاك الاسود المارجرذي . واتصل بنا يوماً ان مبلغاً من الذهب سينقل من مارجرذ الى ملبورن فكمنّا كعادتنا وكانت ستة فرسان تحرس المركبة فهجمنا وقتلنا اربعة منهم باول طلق ثم اشتد الكفاح بيننا فقتل ثلاثة من رفاقي قبل ان استولينا

على الغنيمة . وبقي سائق العربة فوضعت غدارتي في رأسهِ ويا ليتني قتلتهُ في تلك الساعة ولكنهُ طلب الامان فابقيت عليهِ وهو ذلك اللعين ماكرثي . ولما اخذنا الغنيمة تركنا تلك الديار وانفصلت عن رفيقي فجئت موطني وابتعت هذه الاملاك وبدأت اعيش عيشة سكينةٍ احاول فيها ان اكفّر عن سيئاتي الماضية . ثم تزوجت وتوفيت زوجتي عن ابنة كانت منذ طفوليتها تقودني الى الطريق السويّ واؤكد للعالم اجمع بضمير صالح انني بدأت حياةً جديدة تكفّر حقيقةً عن الماضية الى ان تبعني ذلك اللعين ماكرثي فوضع يدهُ على عنقي . اما ملاقاتهُ لي فكانت انني ذهبت الى لندن لقضاء اشغالٍ لي فرأيت هذا الرجل امامي وعرفني للحال فوضع يدهُ على كتفي وقال مرحباً يا جاك فقد وجدتك وانا في احتياج اليك وستجدني خفيفاً عليك اذ ليس لي سوى ولد واروم ان نصرف بقية حياتنا في ضيافتك . ولما رأيت الرجل وانا اعرف شرهُ علمت انهُ لا يمكنني صدّهُ فاحضرتهُ وولدهُ الى هنا واسكنتهُ مزرعة هاذرلي مجاناً . ومن ذلك الحين لم اعد امتلك راحةً ولا دعةً لانني حيثما ذهبت ومهما فعلت ارى وجههُ المشؤوم ينظر اليَّ متهدداً متوعداً . ثم كبرت ابنتي فصرت اخاف انها تعلم ماضي سيرتي اكثر مما اخاف من الشرطة ورأى ماكرثي ضعفي فكان لا يفتر عن طلب الاموال والبنايات والاراضي وانا لا امنعهُ شيئاً حتى طلب اخيراً ابنتي فلم استطع ان اسمح لهُ بها . انني احب ابنهُ واعتبرهُ ولعلمي بأن أجلي قد اصبح قريباً فاني اود ان يكون جيمس وأليس صاحبي هذا الارث من بعدي ولكنني لا اريد ان يكون اللعين ماكرثي قيماً عليهما فيخرب كل ما بنيت . ولما الحّ عليَّ ورفضت وتوعدني فلم اقبل اتفقنا على ان نتلاقى في ذلك اليوم امام البحيرة ونتفاوض في الامر . فلما صرت الى المكان المعين سمعتهُ يتكلم مع ابنهِ فاشعلت لفافة وانتظرت وراء الشجرة الكبيرة الى أن يذهب ابنهُ ولكنني سمعت كلامهُ فاعاد ذلك اليَّ طبيعتي الاولى وأثار روح الشر التي كنت اظنها قد خمدت فيَّ عند ما سمعتهُ يلح على ابنهِ في الاقتران بابنتي لغايتهِ فقط سواء أحبها أم لم يحبها فكدت أجنّ عند ما تصورت اني أنا وما أملك بل وأعز شيء عندي رهن

ارادة ذلك الوغد . وعلمت اني قد شارفت نها ايامي وانني على كل حال مائت فعزمت ان أتخلص وأخلص العالم من هذا الشرير بل أن أوجد لابنتي راحةً دائمة اذا تمكنت من اخماد أنفاسهِ الى الابد . ولما صممت على ذلك يا مستر شرلوك فعلتهُ . نعم وانني افعلهُ الآن وفي كل دقيقة مهما كان الجزاء لانني افضل ان أرى رأسي على النطع ولا أرى ابنتي ايضاً في قبضة هذا الخبيث . فلما ابتعد ابنهُ اخذت حجراً وتقدمت من ورآئهِ فضربتهُ ضربة شديدة كما تضرب الافعى السامة لتتخلص من شرها ولما صرخ خفت ان يرجع ابنهُ فهربت الى ورآء الشجر وسقطت سترتي فعدت وأخذتها حين كان الولد منحنياً قرب ابيهِ . هذه هي الحقيقة وهذا اقراري امام الديان الذي سأقابلهُ عن قريب » .

ولما انتهى اخذ القلم فوقَّع اسمهُ بيد ثابتة . فقال لهُ شرلوك ليس لي أن أدينك ولكنني أسأل الله أن لا يدخلنا في تجربة كهذه . انني سأحفظ اقرارك هذا الآن وبما انك تعلم انك ستصير عن قريب الى امام المحكمة العليا فسأكتم امرهُ الاّ اذا حُكم على جيمس ماكرثي واما اذا حُكم ببرآءته فانا اعدك أن لا يرى أحد هذا الاقرار واذا بقيتَ حيًّا او لا فهو محفوظ بامان عندي . فقال ترنر اذاً أستودعكما الله وأسألهُ أن يهبكما عند انطراحكما على سرير الموت ان تكون أفكاركما الاخيرة أفكار سلام وهنآء . ثم خرج من الغرفة وهو يرتعش ويضطرب

ولما عُقدت المحكمة قررت برآءة جيمس ماكرثي بنآءً على ادلة كثيرة دامغة قدمها شرلوك هولمز لم يستطع احد ان ينقضها ولم يذكر فيها شيئاً عن القاتل الحقيقي . اما ترنر فمات بعد تلك الحادثة بسبعة اشهر ولما انقضت مدة الحداد اقترنت اليس ترنر بجيمس ماكرثي واصبحا صاحبي كل تلك الاملاك فعاشا عيشةً سعيدة وهنيئة ولم يعلما شيئاً من سابق سيرة والديهما وأعمالهما وكان الفضل في ذلك كلهِ لحذق شرلوك هولمز ومهارتهِ



اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

وعكس ذلك قول ابن النحّاس

نودّ لو كانَ مودوعاً بانفسنا ما تشتكيهِ بعينٍ منك رمدآءِ

فقولهُ مودوعاً صوابهُ مُودَعاً لانهُ يقال أودعتهُ الشيءَ ولا يقال وَدَعتهُ. ومن هذا قولهُ ايضاً

فالقلب صبٌّ ان دنا مذهولُ والصبّ قلبٌ ان نأى متبولُ

والذي في اللغة ذَهَلَ الشيءَ وذَهَلَ عنهُ اذا تركهُ لغفلةٍ او شغل فهو ذاهل ولا يقال مذهول. ولينُظَر ماذا اراد ان يقول في هذا البيت . وبعدهُ

والعقل شيءٌ لا لديّ ولا معي والسمع بابٌ بعدهُ مقفولُ

وانما يقال اقفلت الباب فهو مُقفَل ولا يقال قَفَلتهُ . وقال طرز الريحان

هندُ قِلّي من التجنّي فلسنا من يرضّيهِ فضلةٌ من فتيتِ

وصوابهُ أَقِلّي تقول أَقللتُ من الشيء اي جئت منهُ بقليل كما تقول في ضدهِ اكثرت . وقال احمد بن عيسى المرشدي

قد اتاني اعتذاركم بعد أني بتُّ من هجرك الاليم اقاسي

فتلقيتهُ بصدرٍ رحيبٍ ولَصَقتُ الكتاب عزًّا براسي

وانما يقال أَلصقتُ الشيء ولَصِقَ هو من بابِ تَعِبَ ولا يقال لَصَقتهُ .

وقال رجب الحريري

فيض المدامع نارَ وجدي ما طفا بل زدت منهُ تلهباً وتلهفا

ولا يقال طفأتُ النار بالمجرَّد وانما يقال اطفأتها وطَفِئت هي بالكسر . و بقي هنا تقديم نار على الفعل الناصب لها وهو غير جائز عند النحاة لان الفعل منفيٌّ بما وهي من ذوات الصدر لا يعمل ما بعدها فيما قبلها . ومثلهُ قول ابن مشعل

ولا طفا جمرَ خدٍّ منهُ ملتهباً وان يكن بالجفا والصدّ احرقني

وقال الحافظ ابن حجر

يا ربِّ اعضآء السجود عتقتها من فضلكَ الوافي وانت الواقي

وصوابه أعتقتها لان هذا الفعل لازم تقول اعتقت العبد اعتاقاً وعَتَق هو عِتقاً . وقال الدنوشري

اشكولهُ فرط وجدي علّ يرحمني ياليتهُ لو صفا يوماً لمكمودِ

ولم يُحكَ مكمود الا في قولهم اكمدت العضو اذا وضعتَ عليهِ الكمادة فهو مكمود وهو من نوادر اللغة كما نبه عليهِ صاحب لسان العرب. وجعل صاحب القاموس هذا من الكَمَد بمعنى الهمّ وهو سهوٌ منهُ كما او مأ اليهِ صاحب التاج وانما يقال من هذا مُكمَد على القياس . وقال الصفديّ

وقد لاح الهلال لمن يراهُ وذيل الليل عند الشرق مَرْخِي

كنونٍ او كنُؤْيٍ او كقوسٍ بلا وترٍ تراها او كفخّ

فقولهُ مَرْخِي صوابهُ مُرْخَى لانهُ يقال ارخيتهُ ارخآءً ولا يقال رَخَيتهُ .

ومثلهُ قول الوزير ابي عامر بن شهيد

هبَّ من مرقدهِ منكسراً مسبلاً للكمّ مرخيَّ الردا

ويتصل بذلك قول ابن النقيب

خفّض عليكِ اخا الظبآء الغيدِ   وارحم مدامع جفنيَ المسهودِ

فقولهُ المسهود خطأٌ لان الثلاثيّ من هذا الحرف لازمٌ تقول سَهِدَ الرجل من حدّ تَعِبَ وسهّدهُ الهمّ بالتثقيل وأسهَدَهُ إِسهاداً حكى هذا الاخير الزمخشري في الاساس . وقال ابن الوردي

وبعدُ فلي شوقٌ اليك ابوحهُ   وما كلُّ اسرارٍ عنتني ابوحها

ولا يقال بُحْتُ السرّ وانما يقال بُحْتُ بهِ وأَبَحْتُهُ وباح هو بؤوحاً اي ظهر . وقال محمد البيلوني

والدهر لو أنهُ عاداهُ لانقلصت   ظلالهُ ورأينا الناس قد حشروا

والذي في اللغة قَلَص الظلُّ وغيرهُ قلوصاً انقبض وانزوى وقلّصهُ غيرهُ تقليصاً فتقلّص ولا يقال انقلص لانهُ لم يُسمع قَلَص متعدياً . وقال ابو العباس النامي

وشكّك فيَّ عذّالي فقالوا   لرسم الدار ايكما العميدُ

اراد شكَّ فيَّ عذّالي اي خامرهم الشك في امري وانما يقال شكّك اذا حمل غيرهُ على الشك . ومثلهُ قول الصفيّ الحلّي

كانما صاغهُ الرحمن تذكرةً   لمن يشكّك في الولدان والحُورِ

وقال البهآء زهير

أغُصنَ النقا لولا القوامِ المهفهفُ   لما كان يهواك المعنّى المدنَّفُ

وانما يقال مريضٌ مُدْنَف بالتخفيف وبفتح النون وكسرها ولا يقال مدنَّف . وقال طرز الريحان

واعيا طلابي من زمانيَ صاحباً   يكون لحاليَ بالوفآء منهّضا

اراد يكون منُهضاً لحالي فجآءَ بهِ من باب التفعيل . وقال ابن زمرك

وبالخيف يوم النفر يا امَّ مالكٍ تخلّفتُ قلبي في حبالكِ عانيا

اراد خلَّفتُ قلبي اي تركتهُ خلفي فعدل الى تخلفت لاقامة الوزن . وفي طريقهِ قول الموسوي

اقولُ لركبٍ رائحين تعرَّجوا اريكم بهِ فرعاً من المجد ذاويا

واراد عرّجوا اي ميلوا فجآء بهِ على تفعّل . وأبعد منهُ قول حسين ابن الجزري

نتفدّاك ساقياً قد كساكـ ال حسنُ من فرقك المضيء لساقك

يريد نفديك ساقياً ولم ينُقَل تفدّاهُ في شيء من اللغة لا بهذا المعنى ولا بغيرهِ . وقولهُ كساك الحسن صوابهُ كُسيتَ الحسن لان الحسن هنا مشبَّه بالثوب وهو يكون مكسوًّا لا كاسياً . ومن قبيل هذا قول ابن حجة الحموي

سهام جفنيك في الحشا رَشَقَهْ رفقاً فما مهجة الشجي دَرَقَهْ

الرَشَقَة جمع راشق وصف بهِ السهام وهي انما تكون مرشوقةً لا راشقة .

وقال محمد الحُصري

أَدِر المدامةَ يا مليك الانفسِ ممزوجةً من ثغرك المتلعسِ

يعني بالمتلعس الذي بهِ لَعَس وهو سوادٌ مستحسنٌ في الشفة وصف بهِ الثغر على ارادة الشفة مجازاً وانما يقال من هذا أَلعَس كأحمر وقد لَعِس لَعَساً ولُعسةً ولم يسمع المتلعس الا بمعنى الكثير الأكل . وقال عليّ ابن الجهم

تنكَّر حالَ علتيَ الطبيبُ وقال ارى بجسمك ما يريبُ

يريد انكر الطبيب حال علتي فعبَّر بتنكَّر وانما يقال تنكَّر الشيء اذا تغيَّر عن حالهِ ولم يُسمَع تنكَّرهُ بمعنى انكرهُ . وقال ابو القاسم الزعفراني

وليلٍ دعاني فجرهُ فلقيتهُ بمجلس طلق الوجه سهل التخلُّقِ

واراد سهل الخُلُق فعبَّر بالتخلُّق وهو عكس مرادهِ لان التخلق بمعنى تكلفَ الانسان خلاف ما في خلقهِ . ونحوهُ قول ابن هاني

حسبوا التكحُّل في جفونك حليةً تالله ما بأَكُفِّهم كحلوكِ

يعني بالتكحل الكَحَل بفتحتين وهو ان تكون الاجفان سوداَء خلقةً وانما التكحل ما يكون بالصنعة وهو ما انكرهُ في عجز البيت . قال ابو الطيب

لان حلمك حلمٌ لا تَكلَّفهُ ليس التكحُّل في العينين كالكَحَلِ

(ستأتي البقية)

المرأة الشرقية

(تتمة ما سبق)

ومن تفقد كتب التاريخ والتراجم ولا سيما تاريخ الاندلس وجد من ذكر النسآء الشاعرات والمنشئات وما لهنَّ من بدائع النظم والنثر والبلاغة في المخاطبات والمكاتبات ما لا يمكن استيفآؤهُ في مثل هذه المقالة ولكني ذكرت ما ذكرتهُ من كلامهنَّ للدلالة على ما كانت عليهِ نسآء تلك العصور من الميل الى الآداب والاشتغال بما يرفع مقامهنَّ ويُظهِر ما تحلّت بهِ فِطَرهنَّ من الذكآء والفطنة مما لا يكدنَ ينزلنَ فيهِ عن مرتبة

الرجال . ولا ريب انهُ لو اشتغلت نسآء عصرنا بالامور الادبية والعقلية عوض ما هنَّ فيهِ من صرف العمر في الاباطيل والزخارف الخارجية والتقليد الفارغ لظهر منهنَّ نوابغ يحرزنَ جميل الذكر وجليل الفخر ويخلدنَ اسمآءهنَّ في صحيفة الدهر . فان نسآء ذلك العصر لم يكنَّ اسمى عقولاً منهنَّ ولا اوفر وسائط لو شئنَ ان يسلكنَ مسلكهنَّ وقد قال الشاعر

اذا اعجبتكَ خصال امرئٍ   فكُنْهُ تَكُنْ مثلما يُعجبُكْ
فليسَ عن الفضل والمكرماتِ   اذا رُمتَها حاجبٌ يحجبُكْ

على اننا لا نبرّئ الرجال من تبعة هذا التقصير فان المرأة اذا رأت اباها واخوتها وسائر من يتصل بها من الرجال الذين تعيش بينهم ذوي ادبٍ وعلم جذب ذلك رغبتها الى اقتفآء سبيلهم والجري على طريقتهم . واقرب شاهدٍ لنا على ذلك نسآء الجاهلية فانهنَّ مع فقد المدارس وعدم وجود التعليم ومع ان رجالهنَّ كانوا قوماً اميّين الاَّ من ندر منهم فقد كان اكثرهنَّ فصيحاتٍ بليغاتٍ وكان بينهنَّ ما لا يُحصَى من الشاعرات وربما وُجد منهنَّ من تخطب الخُطَب وتتكلم بما يُعجِز ابلغ الكتاب في هذا العصر وما ذلك الا لانهنَّ كيفما ذهبنَ لا يسمعنَ الا الشعر والكلام البليغ على ما هو معروف من شأن أولئك القوم الذين كانوا يسكنون الخيام ويتعاطون رعاية المواشي . ولكننا نجد الرجال في ايامنا قلما يلتفتون الى الامور الادبية او العلمية او يبالون بغير الترف واللهو وحشد الاموال والزخارف الفارغة والمتعلمون منهم لا يتجاوزون ما تقدم ذكرهُ في الكلام على النسآء من تعلم بعض اللغات الاوربية ثم قضآء الاوقات في مطالعة

الروايات التي اكثرها مفسد للاخلاق والآداب . وزد على ذلك ما ذُكر من تشبههم بالافرنج في كل شيء بحيث انهُ لم يبقَ عندنا للوطنية اثر واصبحت منازلنا وملابسنا ومجالسنا ومحادثاتنا كلها افرنجية وذلك مع خلوّنا من علوم الافرنج وصنائعهم وسائر مزاياهم فكاننا رضينا من ذلك التشبه بهذه القشور. ويا ليتنا مع هذا كلهِ نتشبه باخلاق اكابرهم واكارمهم فاننا لو تفقدنا الأُسَر الشريفة منهم لوجدناها على خلاف ما نفتخر بهِ من تلك الظواهر او النقائص التي اقتبسناها عن بعض ادنيآئهم كالخلاعة والتهتك في الملابس والمجاهرة بالامور المعيبة التي يخجل القلم من تسطيرها ووصفها

وفوق كل ذلك ما هو معروف عند بعض نسآئنا من الخرافات والاوهام والعقائد الباطلة مما لا يتكفل بنزعهِ الا العلم الصحيح . ولا تخفى نتائج ذلك في التربية لان الطفل اكثر ما يكتسب معارفهُ الاولى من والدتهِ لانهُ يربى بين يديها وتحت نظرها وارشادها ومن طبعهِ انهُ يسأل عن كل شيءٍ يراهُ او يجول في فكرهِ ولا يجد امامهُ من يسألهُ الا امهُ فاذا لم تكن متنورة تميز الصواب من غيرهِ لقنتهُ الخرافات والاباطيل فينشأ عليها وترسخ في ذهنهِ حتى يتعذر اقتلاعها منهُ وربما شاخ وهي عندهُ من الحقائق الراهنة . وبخلاف ذلك ما اذا كانت الامّ من المتعلمات العارفات بحقائق الاشيآء فانهُ لا يسألها عن شيء الا سمع عنهُ جواباً صحيحاً فينشأ على معرفة حقيقية بالامور حتى انهُ اذا كانت امهُ عارفةً ببعض الحقائق العلمية والطبيعية كانت تربيتها لهُ بمثابة دروس تمهيدية فاذا دخل

المدارس بعد ذلك كان عارفاً بكثيرٍ من تلك الحقائق قبل ان يلقَّنها

نعم ان بعض نسآء الغرب قد تطرفنَ في طلب العلميات الى حدٍّ لا تسمح بهِ حال المرأة ووظائفها الطبيعية كالاشتغال بالاعمال الكيماوية والحسابات الفلكية وما اشبه ذلك مما يستلزم التفرُّغ لهُ وهي ليس في وسعها ذلك لانهُ يفضي الى تعطيل المصالح البيتية التي هي المسؤولة عنها والتي لا تترك عندها وقتاً لتعاطي مثل هذه الاعمال . ولكن الاشغال البيتية لا تستغرق جميع اوقاتها وعلى الخصوص اذا كانت من ذوات اليسار وعندها من الخدم من يعاونها على خدمة منزلها فانهُ يفضل عندها من اوقات الفراغ ما يمكن ان يقدَّر بنصف العمر على الاقلّ فلا ينبغي لها ان تضيع هذه الاوقات سدًى ولا ان تهمل الموهبة العقلية التي منَّ عليها بها الخالق عزّ وجلّ . فاذا لم تكن من اللواتي درسنَ العلوم او من ذوات القريحة التي تمكنها من تعاطي الانشآء او الشعر يحسن ان تشغل اوقاتها بمطالعة الكتب المفيدة وخصوصاً كتب التاريخ التي من شأنها ان توسع دائرة العقل وترفعهُ عن الخرافات والخزعبلات وتفيد المطالع بصيرةً في كثيرٍ من الحقائق العلمية لان التاريخ يتعرض لجميع المباحث المتعلقة بالانسان من علمية وسياسية واجتماعية وغيرها . واذا كانت من ذوات المقدرة على الكتابة نثراً او نظماً فانها تستطيع ان تبقي لها اجمل اثر بما يسطرهُ بنانها من حكمةٍ او ادب او غير ذلك مما يكسبها رفعة المقام وبقآء الذكر ويمكن ان يكون منهُ للمطالع فائدةٌ تذكر .

هذا واني لا ابرئ نفسي من الاتصاف ببعض ما ذكرتهُ في هذه

المقالة من التقصير الذي وسمت بهِ غيري من النسآء ولكن الامر لا يخلو من ان قلة الكاتبات والمنشئات تدعو الى التقاعد والجبن ولا سيما واني مقرّة بقلّة المادّة وضيق الاطلاع فعسى ان يوجد في اديبات العصر من تنبههنَّ كلماتي هذه فينهضنَ لاصلاح حالتنا النسآئية ولا يخجلنَ ان يكتبنَ بلغتنا العربية ان كنَّ من القادرات على الانشآء فيها وهذه الجرائد والمجلات ترحب بكل مقالةٍ تأتيها من احداهنَّ فان لم تؤثر كتاباتهنَّ الاثر المطلوب كنَّ قد قمنَ بما عليهنَّ والله الهادي الى سوآء السبيل وردة اليازجي

الانتقاد

لا يخفى ان الانتقاد من ادقّ الامور مأخذاً واجلّها خطراً اذ هو المقياس الذي يتوقف عليهِ سداد الحكم في صحيح الامور وفاسدها والمرآة التي تتجلى فيها صُوَر الحقائق بارزةً عن الشكوك والشبهات فلا بدّ لمتعمدهِ ان يستعين لهُ بأداتهِ التي هي صدق النظر في الامور والوقوف منها موقف المنصف الخبير الذي لا يحكم الا بعد البيّنة ولا يأخذهُ في الحكم محاباةٌ ولا تحامل

ومع ما ذكر من شرف هذا الفن وخطر موضوعهِ فلم نجد فيمن تقدّم من تفرغ لبسط الكلام فيهِ وتفصيل الجهات التي يتعين على الناقد مراعاتها والتدقيق فيها الى حدٍّ تنتفي معهُ الجهالة واللَبْس ويؤمن الشطط والمجازفة . ولقد طالما كان يخالج صدرنا ان نكتب في ذلك الفصول المطوَّلة ولا سيما وقد انتشرت فوضى الاقلام لهذا العهد وكثر المتطفلون على هذا الفنّ الجليل يلغط كلٌّ منهم على قدر ما يملي عليهِ هواهُ ويوحي اليهِ مبلغ علمهِ وذوقهِ الى ان عثرنا منذ ايام على تأليفٍ حديث لحضرة صديقنا العالم اللوذعيّ الشاعر الناثر عزتلو قسطاكي بك الحمصي نزيل مصر حالاً سماهُ « منهل الورّاد في علم الانتقاد » وهو سفرٌ جليل بسط فيهِ القول

على قوانين النقد واحكامهِ وما تجب مراعاتهُ فيهِ من احوال الشيء المنتقَد وما يتصل بهِ من اختلاف الزمان والمكان والعادات والاذواق وسائر الامور العامّة والخاصّة مما يكشف عنهُ ويرشد الى وجه الحكم فيهِ . وقد احاط في هذا المؤلَّف بكل ما تدعو الحال الى انتقادهِ من الامور العلمية والادبية والصناعية وغيرها وتوسع فيهِ ما شآء في ايراد الامثلة والشواهد زيادةً في البيان وتعزيزاً لمكان الحقيقة التي هي ضالّة الناقد المنصف

والكتاب لا يزال بخط اليد ولعلهُ سيشرع في طبعهِ قريباً غير انهُ لما كان يهمّ المتأدبين الوقوف على شيءٍ من اسلوبهِ استأذنّا حضرتهُ في نشر نموذجٍ منهُ على صفحات الضيآء فبعث الينا بالفصل الآتي وهو الفصل الثاني من القسم الثاني منهُ وبمطالعة هذا الفصل تُعلَم مزية الكتاب ومقدار ما اودعهُ من الفوائد وما عانى فيهِ من الجهد في البحث . وهذه صورة الفصل المذكور

﴿ تعريف العلاقة بين الكاتب وانشآئهِ ﴾

اعلم انهُ لا يتيسر الكشف لمعرفة العلاقة بين الكاتب وانشآئهِ الا بالوقوف على الاسباب والمؤثرات التي دعت الكاتب ان يكتب الرسالة او الكتاب او القصيدة المنقودة على تلك الصورة فيما ان سواهُ يكتبها على وجه آخر. وهذا كلهُ يصدق على الكتابات الادبية او ما في معناها واما الكتب العلمية فلا تدخل في هذا البحث

واعلم ان الوقوف على هذه الاسباب يقوم بالبحث عن احوال الكاتب فيقتدي الناقد بالطبيب او الجرّاح الذي لا يكون نطاسيًّا ولا يكون حكمهُ على العلّة ومحلها في الجسم مصيباً حتى يحسن معرفة تشريح الجسم الانساني ووظيفة كل عضوٍ من اعضآئهِ

وبحث الناقد يجب ان يكون عن سنّ المؤلف لعهد تأليفهِ المنقود

وحالة دنياهُ من فرح او حزن وفقر او غنى وعن صحتهِ هل كان سليماً او سقيماً ، ضعيفاً او قوياً ، عصبيًّا او دمويًّا ، وعن اصلهِ هل كان كريماً او لئيماً او من اواسط الناس وهل تلقَّى في مدرسة او هو ابن اجتهادهِ وعن مسقط رأسهِ وهل المدينة التي نشأ فيها من المدن الشمالية او الجنوبية شديدة البرد والحرّ او معتدلتهما وهل كان متزوجاً او عزَباً وهل كان لهُ اولاد او لا وهل عشق او حزن حزناً مفرطاً على فقد عزيزٍ او مال وهل كان ممازحاً او وقوراً وهل كان يعاقر الخمرة او يقامر وهل كان شرهاً او عفيفاً . وبالجملة فعلى قدر البحث والامعان في التدقيق وقوة بصيرة الناقد تظهر العلاقة بين الكاتب وانشآئهِ للمطالع وكلما كانت اكثر خفآء واشد غموضاً ضعفت احكام الناقد الاَّ مَن أُوتوا الذكآء النادر والعلم الوافر وقليلٌ ما هم

وانت تعلم ان الراغب في معرفة اخلاق الفرد من البشر او في تصويرهِ يتقصّى في البحث عن ملامحهِ وسائر احوالهِ الظاهرة من الغضب او الحلم ، السهر او كثرة النوم ، الاستقامة او المكر ، الى غير ذلك مما يدلّ على اخلاقهِ اتم دلالةٍ . فبمثلهِ ناقد اقوالهِ اذ هي بنات افكارهِ وترجمان اسرارهِ يجب عليهِ ان يبحث ويدقق فمرآة المرء انشآؤهُ

وكما ان الانشآء يدلُّ على المنشئ فكذلك الوقوف على احوال المنشئ تساعد الناقد على كشف اسرار الانشآء . فانك اذا علمت ان الشاعر المأموني مثلاً هو من اولاد المأمون الخليفة العباسي وانهُ صاحب تلك النفس الشريفة والنسب الرفيع وانهُ كان يطمح ببصرهِ الى الخلافة ويمني

نفسهُ قصد بغداد في جيوش تنضمُّ اليهِ من خُراسان لفتحها لم تعجب من قولهِ

اراني اُبنَ عشرينَ او دونها　　　وقد طَبّقَ الارض شعري مسيرا
اذا قلت قافيـةً لم تزل　　　تجوبُ السهولَ وتطوي الوعورا
ولو كان يفخرُ ميتٌ بحيٍّ　　　لـكان ابو هاشمٍ بي فَخُورا
ولوكنتُ أَخطُبُ ما استحقُّ　　　لمـا كنتُ اخطبُ الا السريرا

ولا من قولهِ في قصيدةٍ اخرى

انا بين احشآء الليالي نارُ　　　هي لي دخانٌ والنجوم شرارُ
فمتى جلا فجرُ القضآء ظلامها　　　صَليتْ بيَ الاقطارُ والامصارُ
بي تحلم الدنيـا وبالخبر الذي　　　لي منـهُ بين ضلوعها اسرارُ
فبكلّ مملكةٍ عليَّ تلهفٌ　　　وبكل معركـةٍ عليَّ أُوارُ

واذا علمت ان ابا فراس الحمداني هو الامير المجيد والشجاع الوافر الادب والجود والنبل صاحب الـكلام الرشيق البليغ الرصين العالي وانهُ ابن عم سيف الدولة ملك حلب لم تعجب من قوله يعاتبهُ

قد كنتَ عُدَّتيَ التي اسطو بها　　　ويدي اذا اشتدَّ الزمان وساعدي
فرُميتُ منك بغـير ما أَمَّلتهُ　　　والمرءُ يَشرَقُ بالزلال البارد
فصبرتُ كالولد التـقيّ لبرّهِ　　　اغضى على أَلمٍ لضرب الوالدِ

ولم تعجب من قولهِ وقد كتب بها اليهِ من الاسر

فمثلك من يُدعى لـكل عظيمةٍ　　　ومثليَ من يُفدَى بكل مسوَّدِ
تَشبَّثْ بها اكرومةً قبل فوتها　　　وقم في خلاصي صادق العزم واُقعُدِ

فان تفتدوني تفتدوا شرف العلا | واسرع عوّادٍ اليكم معوّدِ
يدافع عن اعراضكم بلسانهِ | ويضرب عنكم بالحسام المهنّدِ
متى تُخلِفُ الايامُ مثلي لكم فتىً | طويلَ نجادِ السيف رَحْبَ المقلَّدِ
ولا وأَبي ما ساعدان كساعدٍ | ولا وأَبي ما سيّدان كسيّدِ

واذا علمت ان ابن الاثير الجزري صاحب كتاب المثل السائر كان وزير الملك الافضل ابن السلطان صلاح الدين الايوبي وانهُ كان ذا نفس الى المناصب طموحٍ وطبعٍ الى الغضب جموحٍ واطماعٍ وكبريآء وقساوةٍ وازدرآء اساء العشرة مع اهل الشام حتى كادوا يذيقونهُ كأس الحِمام وتعدد منهُ في مصر قبيح الفعل فهرب منها مستتراً خوف القتل وخرج من حلب مغاضبا ومن إربل وسنجار معاتبا اذا علمتَ ذلك كلهُ لم تعجب من خُيَلاَء الرجل واعجابهِ بنفسهِ وقولهِ في مقدمة المثل السائر « وهداني الله لابتداع اشيآء لم تكن من قبلي مبتدَعَه ومنحني درجة الاجتهاد التي لاتكون اقوالها تابعةً وانما هي متبَّعه » . ولا من قولهِ في موضع آخر « وهو مما يدلّ على حذاقة الكاتب وفطانتهِ وكثيراً ما تجدهُ في مكاتباتي التي انشأْتها » الخ . ولا من قولهِ بعد ذلك « ولقد مارستُ الكتابة ممارسةً كشفت لي عن اسرارها واظفرتني بكنوز جواهرها اذ لم يظفر غيري باحجارها » الى ان يقول « فمن وقف على ما ذكرتهُ علم اني لم آتِ شيئاً فريّا وان الله قد جعل تحتِ خواطري من بنات الافكار سريّاً » الى غير ذلك مما حشا بهِ كتابهُ المذكور حتى كدّر صفا احسانهِ وشوّه محاسنهُ . وليس هذا موضع نقد الكتاب وانما ذكرت

لك هذه الامثلة تعزيزاً لمعرفة اسرار العلاقة بين الكاتب وانشآئه وقد اختصرتُ ما امكن خوف الملل ولعلي اعود اليه في فصل آخر . والبحث في هذا المعنى يستدعي زيادةً في الافاضة والشرح مما ارجو ان يفيهُ حقَّهُ من يكتب فيهِ بعدي

على ان هذا الفرع من فروع علم النقد عند الافرنج اسهل منالاً واوفر ثمرةً مما هو عندنا وذلك لجِدّة حضارتهم وآداب لغاتهم وربما كان لقلة عدد ادبآء كل امة من اممهم وانحصارهم في بلاد معلومة من كل مملكة بالنسبة الى كثرة عدد ادبآء العرب وتنقلهم من مكانٍ الى آخر ومن مملكةٍ الى مملكة على اتساع الممالك التي دوّخوها بل تنقُّلهم من الغرب الى الشرق وبالعكس . ولهذا السبب والله اعلم قد ندّ عنا اكثر احوالهم وسني مواليدهم ووفياتهم بل ذهبت عنا اسمآء كثيرين من اعاظم ادبآئهم وشعرآئهم ممن اكلت مؤلفاتهم نيران الحروب . هذا فضلاً عن اهمال اكثر مؤرخي العرب ومترجمي اعلامهم ذكر الملامح وتفصيل السحنات التي يحتاج الى معرفتها الناقد فان المتنبي مثلاً مجهول الملامح عندنا فلا نعلم أقصيرٌ هو ام طويل، أمهزول ام سمين ، ابيض ام اسمر ، كبير الانف ام صغيرهُ ، اقناهُ ام اخنسهُ ، كبير العينين ام صغيرهما ، غائرها ام بارزهما ، مخروط الوجه ام مستديرهُ ، الى غير ذلك من وصف مزاجهِ واخلاقهِ وغرائزهِ كالبخل والكرم واللؤم والحلم وغيرها . ولكنهم كانوا حراصاً على ذكر الانساب والكنى والتعريف ، فقد تروم الوقوف على ترجمة الحافظ ابي حسن القدسي مثلاً وتفتش عنها كثيراً فلا تهتدي

اليها الا بمعجزة وذلك لكثرة الكنى قال ابن خلكان « ابو الحسن علي بن الانجب ابي المكارم المفضل بن ابي الحسن علي بن ابي الغيث مفرج ابن حاتم بن الحسن بن جعفر بن ابراهيم بن الحسن اللخمي المقدسي الاصل الاسكندراني المولد والدار المالكي المذهب »

وليس ذكر الاسمآء الكثيرة او النسب محل المؤاخذة في هذا الموضع لكن ذكر الاسمآء والكنى معاً وكان يُستغنى بذكر الاشهر من ذلك تخفيفاً واراحةً لذهن القارئ

ولو قلّبت كتاب الاغاني على ضخامتهِ لما وجدت ذكراً للملامح والسحنات او تفصيلاً لذلك الا لبعض افرادٍ كالحطيئة الشاعر قال « كان دميم الخلقة هجّآءً جشعاً سؤولاً مُلحِفاً دني النفس قبيح المنظر رثّ الهيئة » وهذا اكثر ما فيهِ وصف الاخلاق لا وصف السحنة . ولو قليت ديوان الحماسة ويتيمة الدهر وقلائد العقيان ومطمح الانفس ودمية القصر والوفيات ونفح الطيب وغير ذلك من كتب التراجم والتواريخ لما وجدت وصفاً صحيحاً وافياً بهذا الغرض غير وصف ابن خلكان لابي مسلم الخراساني فانهُ يقول « وصف المدائني ابا مسلم فقال كان قصيراً اسمر جميلاً حلواً نقيّ البشرة احور العين عريض الجبهة حسن اللحية وافرها طويل الشعر طويل الظهر قصير الساق والفخذ خافض الصوت لم يُرَ مازحاً او ضاحكاً الا في وقتهِ ولا يكاد يقطّب في شيء من احوالهِ واذا غضب لم يستفزّهُ الغضب تأتيهِ الفتوحات العظام فلا يظهر عليهِ اثر السرور وتنزل بهِ الحوادث الفادحة فلا يُرَى مكتئباً »

وهذا الوصف البديع وان كان ناقصاً لانهُ لم يذكر هيئة وجههِ هل كان مستديراً او مخروطاً ولا شكل انفهِ ولا فمهِ بيد انهُ وصفٌ يمكن بهِ تصوير الموصوف في مخيّلةِ الناقد . ومثل ذلك ما ذكرهُ عن ابي حنيفة النعمان قال « كان حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المؤاساة لاخوانهِ وكان ربعةً من الرجال وقيل كان طُوالاً تعلوهُ سُمرة احسنهم منطقاً واحلاهم نغمة » ووصف غير هذين العلَمين ايضاً بيد ان جل التراجم عُطُل من ذلك

وقل مثل ذلك في تواريخهم الا ما رُوي عن ملامح بعض الخلفاء قال ابن الاثير ما محصّلهُ « كان المنصور اسمر نحيفاً خفيف العارضين وكان من افصح الناس واحسنهم خُلقاً ما لم يخرج الى الناس واشد احتمالاً لما يكون من عبث الصبيان (كذا) فاذا لبس ثوبهُ اربدَّ لونهُ واحمرَّت عيناهُ وكان حازماً حليماً شجاعاً بصيراً بأمور الحرب والسياسة داهية وقد اجمع الرواة على شدة بخلهِ وحكمتهِ وفضلهِ وعدلهِ » . قال « وكان عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم اعور لهُ ضفيرتانِ وكان فصيحاً لسناً شاعراً حليماً عالماً حازماً سريع النهضة في طلب الخارجين عليهِ لا يخلد الى راحةٍ ولا يسكن الى دعةٍ ولا يكل الامور الى غيرهِ ولا يتفرد في الامور برأيهِ شجاعاً سخيّاً شديد الحذر وكان يقاس بالمنصور في حزمهِ وشدة ضبطهِ المملكة »

فاذا اضاف الناقد الى علم الفراسة التي لا بد لهُ منها شيئاً من الوقوف على المكان والزمان والاحوال التي كتب فيها الكاتب ذلك الكتاب او

الرسالة أو القصيدة لم يبطئ ان تجلي لهُ اسرارها فيعلم ان كلمة كذا أو جملة كذا لم تسقط من قلم المنشئ الا لتغلُّب الهم أو الحزن عليهِ أو الفرح الذي استخفهُ او لخمار الخمر او لغير ذلك من اسباب الخوف او الدعة او الطيش او السكون او لحدّة التصور او البلادة الى غير ذلك من آثار الاحداث النفسانية وانها لم تسمُ او تنحطّ عن سائر كتاباته الاّ للسبب المكتشَف ومتى تمكنت هذه الملكة من الناقد واطّلع على شيء من انشاء المؤلف ثم عرض لهُ من قلمهِ ما يسفل او يرتفع عما كان اطلع عليهِ اسرع في كشف السرّ وبيان السبب . وهذه الملكة وان كانت عزيزة المنال الا انها كسائر الملكات تحصل للرجل بادمان المطالعة وتحصيل العلوم اللازمة لها خصوصاً اذا أُوتي ذوقاً سليماً وقلباً عليماً وارادةً صادقة

فوائد

افضل طريقة لسلق البيض النيمرشت — العادة المتعارفة في ذلك ان يُغمس البيض في المآء الغالي مدة ثلاث دقائق ولكن هذه الطريقة لا يكون الانعقاد بها متساوياً في جميع اجزآء البيضة فان القسم الخارجي من البياض يقسو فيشقّ هضمهُ على المعدة حالة كون المُحّ اي الصفرة يبقى نيئاً . وذلك فضلاً عن صعوبة ضبط الوقت لان فرق نصف دقيقة زيادةً أو نقصاً يؤثر في حال البيضة

فالافضل على ما جآء في احدى المجلات العلمية ان يُعدَل في سلقهِ الى طريقةٍ اخرى وهي ان تؤخذ الكمية الكافية من المآء بالقياس الى

عدد البيض المراد سلقهُ كأن يؤخذ مقدار لتر لثلاث بيضات ويوضع الماء على النار فاذا بلغ الغليان يُنزَل عن النار ويوضع فيهِ البيض ويُترَك مدة عشر دقائق او نحوها. فاذا وُضع البيض في الماء كذلك ابتدأ الماء يبرد حين يبتدئ البيض في السخونة ثم يأخذ البيض في البرودة ايضاً حتى يبردا كلاهما معاً وعلى هذا الوجه تنتشر حرارة الماء في جميع اجزاء البيضة على السواء ويكون الانعقاد متساوياً كذلك

والبيض المسلوق على هذه الطريقة يختلف منظرهُ عن منظر البيض المسلوق على الطريقة المألوفة فان الآح اي البياض لا يكون شحميّ المنظر ولكنهُ يكون زيتيّ الهيئة او لبنيًّا صافياً والمُحّ يكون اجمد من الآح وهو عكس الحالة السابقة . واما تعيين المقدار اللازم من الماء لكل عددٍ من البيض أو تعيين الوقت اذا كان الماء زائداً على اللزوم فكلاهما يتوصل الى معرفتهِ بالاختبار

اسئلة واجوبتها

أزوا (دومينيكا) — ارجو الجواب على السؤالين الآتيين

(١) يقال انهُ يوجد جمهورية صغيرة في جبال ايطاليا في الجهة الشمالية منها مساحتها اثنان وعشرون ميلاً مربعاً وسكانها لا يزيدون على ثمانية آلاف نفس فماذا تسمى تلك الجمهورية وهل لها تاريخ معروف

(٢) قرأت في بعض الكتب ان اصل الاسبوع من القمر وان الناس منهُ اخذوا حساب الاشهر فهل ذلك صحيح حنا الياس العريان

الجواب — اما الجمهورية المذكورة فتسمى جمهورية سان مارين وهي اصغر حكومات اوربا وحدودها لا تتعدى قاعدة الجبل الذي هي قائمة فيهِ ويُعرَف بجبل تيتان وهو جبلٌ شاقّ المرتقى منطقع عن كل ما يجاورهُ من الجبال المؤلفة منها سلسلة جبال الابانين وفي قمتهِ مدينة سان مارين المسماة الجمهورية باسمها

اما تاريخ هذه الجمهورية فذكروا انهُ في اوائل القرن الرابع للميلاد في عهد الامبراطور ديوكليتيان اشتدّ الاضطهاد على اهل النصرانية وان رجلاً من الجند من اهل دلماسيا يقال لهُ مارين خاف من الاضطهاد ففرّ الى هذا الجبل وانقطع فيهِ للعبادة والنسك . وكان الجبل ملك امرأةٍ رومانية يقال لها فليشيسيما وكان لها ولدان شابّان فلما علما بفرارهِ الى الجبل خافا ان يلحقهما سوءٌ بسببهِ فطرداهُ منهُ ولما ضايقاهُ ابتهل الى الله ان يكفيهُ امرهما فاصيبا للحال بمرضٍ ثقيل فتركاهُ وتحاملا الى منزلهما . واشتدّ الداء عليهما حتى انقطع الرجاء من سلامتهما وخطر لوالدتهما ان ذلك لابد ان يكون بسبب تعرضهما لذلك الرجل الصالح فانطلقت اليهِ وسألتهُ ان يبتهل الى الههِ في شفائهما فاجابها الى ذلك وشُفي الولدان . واذ ذاك تنصرت المرأة وابناها وتبعهم خمسون شخصاً من انسبائهم وخوَلهم ولم يلبث امر الناسك ان اشتهر واخذ بعض المتورعين يقصدون مقرّهُ للتبرك بجوارهِ وابتنوا لهم مساكن اقاموا بها وبعد حين اصبح ذلك المكان مدينةً فيها اليوم لا اقلّ من ٥٠٠٠ نفس . وتوالى العمران بعد ذلك في سائر انحاء الجبل واقام اهلهُ حكومةً لهم يتولى الحكم فيها

مجلس شيوخ يتألف من ٦٠ عضواً وتنفذ الاحكام على يد نائبين ينتخبهما مجلس الشيوخ ويجدَّد انتخابهما كل ستة اشهر . ولهم مجلس شُورَى مؤلف من ١٢ شخصاً يجدَّد انتخاب ثلثهم كل سنة . واما الاحكام القضائية فيفصل فيها قاضٍ يُنتخَب من خارج الجمهورية ويكون انتخابهُ لمدة ثلاث سنوات فيقيم في الجمهورية مدة انتخابهِ

واما اصل تقسيم الايام الى اسابيع فهو كما ذكرتم لان من راقب القمر من الهلال الى الهلال يجد ان اشكالهُ يمكن ان تُقسَم الى اربعة اقسام احدها من اول ظهور الهلال الى ان يبلغ النور نصف قرصهِ والثاني من الحدّ المذكور الى ان يكمل ويصير بدراً والثالث من البدر الى ان يعود نصفاً والرابع الى ان يعود الى الهلال وكل واحد من هذه الاقسام او الارباع يتم في نحو سبعة ايام فجُعلت اقساماً للزمن وجُعِل مجموعها شهراً . ثم انهُ اذا رُوقِب مكان القمر من دائرة البروج وُجد انهُ يعود الى الصورة التي بدأ منها بعد اثني عشر شهراً على التقريب فجُعِل ذلك سنةً قمرية . وهذا الحساب مع انهُ اقلّ دقةً من الحساب الشمسي فهو ولا ريب اقدم عهداً لانهُ ظاهرٌ للعيان لا يحتاج الى مراقباتٍ دقيقة بخلاف الحساب الشمسي كما لا يخفى

آثار ادبيّة

بحر الآداب — أُهدي لنا الجزء الخامس من مؤلَّفٍ بهذا العنوان لحضرة واضعهِ الفاضل الاخ پلاج مفتش اللغة العربية في مدارس الفرير

بمصر . وهذا الجزء يتضمن طريقة تعليم الانشآء وقد سلك فيهِ احسن مسلكٍ في التبويب والترتيب مع التبسط في مباحث هذا الفن ومذاهبهِ واورد فيهِ من الامثلة والشواهد نظماً ونثراً من كل طبقةٍ من طبقات الكتّاب والشعرآء ما يكون افضل مثال يحتذيهِ المتعلم . فنثني على حضرة مؤلفهِ الفاضل لما يبذل من العناية في هذه اللغة ونحضّ الادبآء والدارسين على اقتنآء هذا السفر المفيد وهو يقع فيما يقرب من مئتي صفحة كبيرة ويباع في مدارس الفرير وفي المكاتب المشهورة في القطر وثمنهُ عشرة قروش مصرية خلا اجرة البريد

اثر حسن لفقيد الوطن — انتهت الينا نسخةٌ من كتاب بهذا العنوان يتضمن ترجمة المرحوم الطيب الذكر الدكتور سليمان الخوري الحمصي وما قيل فيهِ من التآبين والمراثي منسوقاً كل ذلك بقلم حضرة الاستاذ الفاضل رزق الله افندي عبود نزيل القطر المصري حالاً . وقد استوفى فيهِ كل ما يتعلق بالفقيد الكريم من ترجمة حياتهِ وبيان اخلاقهِ وصفاتهِ وما لهُ من الخِدَم بازآء الدولة والوطن وختمهُ بذكر ما كان من الاحتفال بكشف التمثال الذي نُصِب لهُ فوق ضريحهِ وما تُلي عليهِ من الخُطب والقصائد . فنثني على همة حضرة الاستاذ المشار اليهِ وعنايتهِ باحيآء ذكر اولي الفضل والاحسان كما نثني على سراة اهل حمص لمعرفتهم قدر من يقوم بينهم من اكابر الرجال ونسأل للفقيد جزيل الرحمة والرضوان

فكاهات

شرلوك هولمز [1]

— ١٨ —

خمس بزرات البرتقال

كانت سنة ١٨٨٧ كثيرة الحوادث اشتهر فيها شرلوك بكشفهِ عن عدة مخبآت عجزت رجال الشحنة عن ادراكها ولا بد ان اذكر تفاصيلها العجيبة في وقت آخر . وفي يوم من اواخر شهر سبتمبر من تلك السنة كان البرد قارصاً والجوّ شديد الرياح والزمهرير ولم ينقطع المطر النهار بطولهِ . ولما جاء المساء اشتدت العواصف فبقيت وشرلوك في غرفتهِ بازاء النار وقد سُجنّا فاخذ شرلوك بعض كتبهِ وجعل يبحث فيها ورأيت انا امامي رواية غرقت في تلاوتها الى ان سمعت الباب يقرع فقلت لهُ ان صديقاً قادمٌ لزيارتك . قال انا ليس لي صديق سواك فلا يزورني احد . قلت اذاً القادم غريب يود استشارتك في امرٍ ما . قال اذا كان كذلك فلا بد ان تكون القضية في منتهى الاهمية والا لما جاء في مثل هذا الوقت تحت هذه العواصف والامطار . ولما قال ذلك فُتح الباب فدخل فتى في الثانية والعشرين من عمرهِ حسن الهيئة واللباس وكان في لونهِ اصفرار وفي عينيهِ علامات خوف تدل على انهُ في قلقٍ شديد . ولما دخل قال ارجو اول كل شيء المعذرة لدخولي في هذه الحالة وتركي ارض غرفتكم ملطخة بالماء والوحل . فبش شرلوك في وجههِ وقال لا موجب للاعتذار فتفضل واجلس بقرب النار فانك في حاجة الى ذلك اذ يظهر انك قادم من هورشام بدليل الطين الكلسي الذي علق بحذائك .

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

فقال الفتى نعم وقد اتيت لاستشارتك وطلب مساعدتك فقد سمعت عنك من صديق لي خلصتهُ مرةً من بين مخالب الموت وقد قال لي انك تحل اصعب المشاكل ولذلك جئت اليك ولي كل الثقة انك تساعدني في امر غريب جدًّا لا اظنك سمعت بمثلهِ قط . فقال شرلوك قد ملأتني رغبةً فارجو ان تبدأ بحديثك بالتفصيل. ولما قال هذا اقترب من النار وجلس على كرسيهِ كعادتهِ ومدَّ رجليهِ و بدأ الفتى بحكايتهِ فقال

ان اسمي جون او بنشو واما شغلي فلا علاقة لهُ بما سأقصهُ عليكم لان الحادث لا يختص بي وحدي فهو يتصل بالارث على ما ظهر ولذلك يجب ان ارجع قليلاً الى تاريخ الاسرة . كان لجدي ولدان وهما عمي الياس وابي يوسف . وكان لابي معمل في مدينة كوفنتري زاد اتساعهُ وقت اختراع الدراجات فاحتكر صنفاً دعاهُ باسمهِ ونجح نجاحاً باهراً حتى تمكن اخيراً من بيع المعمل المذكور وتقاعد عن الاشغال ليعيش بريع الاموال الطائلة التي حصل عليها . اما عمي الياس فهاجر الى اميركا من صباهُ واشتغل بالزراعة في ناحية فلوريدا و يقال انهُ نجح ايضاً . ولما ثارت الحرب الاميركية تجند مع جكسن ثم مع هود فترقى الى رتبة كولونيل . ولما نزع القائد لي السلاح عاد عمي الى زراعتهِ حيث بقي اربع سنوات وفي سنة ١٨٦٩ او ٧٠ عاد الى اوربا واشترى مزرعة صغيرة في سسكس قرب هورشام. اما صفات عمي فكان رجلاً غريب الاطوار حادّ الطبع يكثر من شرب البرندي ويحب الوحدة حتى انهُ كان يمضي عليهِ اسابيع متوالية لا يخرج فيها من غرفتهِ . وكان يحبني جدًّا واول مرة نظرني كنت قد بلغت الثانية عشرة من عمري وذلك في سنة ١٨٧٨ اي بعد رجوعهِ الى انكلترا بثماني سنوات فطلب الى والدي ان يسمح لي بالاقامة عندهُ فذهبت اليهِ. و بعد مدة اخذ يدربني في ادارة اشغالهِ لأنوب عنهُ فيها فلم ابلغ السادسة عشرة من عمري حتى اصبحت كانني انا صاحب السيادة المطلقة وفي يدي كل شيء ادخل حيث اريد وافعل ما اشتهي بشرط ان لا ازعجهُ اذا كان في خلوتهِ . ومن الغريب انهُ كان في اعلى المنزل غرفة كبيرة لم يكن يسمح لي ولا لاحد سواي ان

يدخلها بل يحفظ مفتاحها في جيبهِ بكل احتراس . ودعاني يوماً حب الاطلاع الى معرفة ما في تلك الغرفة فنظرت مرةً من ثقب الباب فلم ارَ فيها سوى صناديق سفر ورزم كما يوضع عادة في غرف متروكة كهذه

وفي احد ايام شهر مارس سنة ١٨٨٣ رأيت على المائدة امام كرسي عمي رسالة احضرها البريد وعليها طوابع اجنبية ولم تكن تأتيهِ رسائل قط فاستغربت الامر ولما وقع نظر عمي على الرسالة اظهر العجب واخذها قائلاً « من الهند وعليها طابع بريد پونديشري فما عساها ان تكون يا ترى » . ثم فض الغلاف بسرعة فسقط منهُ خمس بزرات برتقال . فلما رأيت ذلك استغربت في الضحك ولكن ضحكي توقف فجأةً حين نظرت وجه عمي وعليه علامات الدهش واليأس فانفتحت شفتاهُ وجحظت عيناهُ واغبرَّ لونهُ وشخص الى الغلاف الذي بيدهِ وهي ترتجف وقال « ك . ك . ك . آه يا الهي يا الهي ان خطيئتي قد ادركتني» . اما انا فهالني الامر وقلت لهُ ما هذا يا عماه قال الموت يا بنيَّ . ثم نهض عن المائدة ودخل غرفتهُ تاركاً اياي في شدة الخوف والقلق فاخذت الغلاف فلم اجد فيهِ رسالةً ولا كتابة سوى الحرف ك مكرراً ثلاث مرات بالحبر الاحمر داخل الغلاف ولم يكن فيهِ شيء آخر سوى البزرات التي سقطت حال فتحهِ . فلم افهم شيئاً من ذلك المعمى ولما خرجت من غرفة المائدة رأيت عمي نازلاً من غرفتهِ وبيدهِ الواحدة مفتاح قد علاهُ الصدأ علمت انهُ مفتاح الغرفة السرية وباليد الاخرى صندوق نحاس صغير فقال دعهم يفعلون ما شاءُوا فلا بد لي من مقاومتهم بعد . ثم نظر اليَّ وقال قل للخادمة ماري تشعل النار في غرفتي وارسل استدعِ لي المحامي فوردهام . ففعلت كما امر ولما جاء المحامي امرني عمي ان ادخل غرفتهُ فوجدت النار فيها متقدة ورأيت كومة من الرماد الاسود كانهُ اوراق محرقة ووجدت الصندوق النحاسي مفتوحاً وفارغاً قرب النار ولكنني شعرت بقشعريرة عند ما رأيت على غطاء الصندوق من داخل حرف ك مكرراً ثلاث مرات فقال عمي اريد يا جون ان تشهد على وصيتي فانني اترك كل املاكي ومقتنياتي واموالي لابيك وهو يتركها لك من بعدهِ . فاذا تمتعت بها براحة وهناء فذلك ما

اتمناهُ لك والا فاذا وجدت في الامر عناءً فاعمل بنصيحتي وتنازل عن كل ذلك لأعدى اعدآئك . وإنهُ ليسوءُني ان القيك بين هذين الطرفين المتناقضين ولكنني لا اعرف ماذا تكون نتيجة حياتي . والآن وقّع على هذه الوصية حيث يرشدك المحامي فوردهام فوقّعت كما أُمرت واخذ المحامي الصك معهُ

وكان لما جرى اشد التأثير عليَّ فجعلت اقلّب كل ذلك في عقلي فلم استطع ادراك شيء زيادةً عما رأيت وسمعت . ومرَّت علينا بضعة اسابيع لم يحدث فيها شيء جديد فخفّ خوفي ولكنني رأيت انقلاباً في حياة عمي فانهُ صار يكثر من الشرب وزاد ابتعادهُ عن مقابلة الناس فكان يصرف اكثر الوقت في غرفتهِ وقد اقفل بابها من الداخل ثم يخرج منها احياناً فجأةً بحالة سكر شديد وفي يدهِ مسدسهُ فيجري الى الحديقة راكضاً وهو يصيح انهُ لا يخاف من احد ولا يبالي بالتهديد وما اشبه ذلك حتى اذا انقضت نوبة تهيجهِ يعود الى غرفتهِ فيقفل بابها باحتراس ويسجن نفسهُ داخلها

وسكر مرةً وخرج كعادتهِ في مثل تلك النوبات ولم يرجع وعند البحث عنهُ وجدناهُ مطروحاً على وجههِ في حوض صغير في الحديقة ولم يكن عليهِ اقل اثر جناية والمآء في الحوض لا يتجاوز علوهُ القدمين و بعد الفحص قرر القضاة انهُ انتحر على اثر احدى النوبات العصبية . اما انا فلم اقتنع بذلك الحكم لعلمي ان عمي يخاف الموت ولا يقدم عليهِ ولكن تنوسي الامر بعد حين وآلت الثروة والاملاك الى والدي بموجب الوصية . وكان شرلوك يسمع الحديث بمنتهى الاصغاء فقطع على الفتى قائلاً ان حكايتك لهي في الحقيقة من اغرب ما سمعت واحب منك ان تتمها بالتفصيل ولكن اسمح لي ان اسألك عن تاريخ وصول الرسالة الى يد عمك وتاريخ انتحارهِ المزعوم . فقال الفتى ان الرسالة وصلت اليهِ في العاشر من شهر مارس سنة ١٨٨٣ وموتهُ كان بعد سبعة اسابيع في ليل الثاني من شهر مايو . ثم عاد الفتى الى حديثهِ فقال . ولما استلم والدي زمام كل تلك التركة طلبت اليهِ ان يفتح تلك الغرفة السرية التي كانت دائماً مقفلة ففعل فوجدنا الصندوق النحاسي المذكور سابقاً وليس

فيه شيء وعلى غطائهِ من الداخل حرف ك مرسوماً ثلاث مرات وتحتهُ بعض مذكرات وقيود كانها بيان الاوراق التي كانت فيهِ والتي أتلفها عمي . ولم يكن في الغرفة شيء آخر يستحق الذكر

وفي اوائل سنة ٨٤ أتى والدي فسكن في منزل عمي في هورشام ولم نزل فيهِ في امن ورخاء الى شهر يناير سنة ٨٥ ففي الرابع منهُ دخلت مع والدي غرفة المائدة لتناول الطعام فما بلغ والدي كرسيهُ حتى سمعتهُ صرخ صراخاً مخيفاً فنظرت اليهِ واذا في يدهِ الواحدة غلاف رسالة مفتوح وفي اليد الاخرى خمس بزرات برتقال يابسة . وكان من عادتهِ ان يهزأ بي حين كنت أخبرهُ عما اصاب عمي غير انني رأيتهُ في ذلك الوقت قد اخذ منهُ الرعب عند ما رأى الرسالة بيدهِ وقد كتب فيها ك.ك.ك. بحبرٍ احمر وفوقها هذه العبارة «ضع الاوراق على المزولة» . فالتفت اليَّ وقال ايُّ اوراق يراد هنا يا ترى واي مزولة . قلت لاشك ان المزولة هي التي في الحديقة اما الاوراق فيغلب على ظني انها الاوراق التي احرقها عمي . فتمالك والدي قليلاً ثم ضحك وقال اننا في عالم متمدن فلا يجب أن يخيفنا مثل هذه الخزعبلات وأرى من طابع البريد ان الرسالة آتية من دندي فلا شك انها اضحوكة لانهُ ماذا يهمني من الاوراق والمزولة والاسرار . قلت أما انا فارى من الواجب ابلاغ الامر الى رجال الشحنة وسافعل قال اياك ان تفعل ذلك فانا لا اريد الاهتمام بامور تافهة كهذه . وكنت اعرف عناد والدي وصلابة رأيهِ فاذعنت ولكن بقلبٍ كسير وخوفٍ كامن . و بعد وصول الرسالة بثلاثة ايام ذهب والدي لزيارة صديق لهُ في بورتسدون فسرني ذهابهُ لانني اعتقدت انهُ سيبتعد عن الخطر غير انهُ بعد ذهابهِ بيومين اتتني رسالة برقية من صديق لهُ هناك يطلب سرعة حضوري لان والدي سقط عن شاهق فوجدوهُ محطم الرأس فاقد الشعور. فاسرعت الى محل الحادثة فوجدت والدي في غيبوبة وتوفي على الاثر . و بعد الفحص قررت المحكمة ان موتهُ كان بسقوطهِ قضاءً وقدراً لانهُ لم يظهر علامة جريمة اذ لا آثار أقدام بجانبهِ ولا شيء مفقود من جيوبهِ ولا اقل دليل في جسمهِ فاضطررت ان اكون من رأي القضاة مع ان قلبي كان يوحي اليَّ

انهُ لا بد من وجود دسيسة او مؤامرة لقتلهِ . وهكذا اصبحت الوارث الوحيد لتلك الاملاك ولم اعمل بنصيحة عمي في تركها لانني لم أعتقد ان تلك المصائب كانت لاجلها . وكانت وفاة والدي في شهر يناير سنة ٨٥ وقد مضى عليها الآن سنتان وثمانية أشهر وقضيت هذا الزمن في هورشام آمناً حتى بدأت اعتقد ان تلك اللعنة قد انتهت من اسرتنا وانقضت بوفاة والدي . ولكنني لسوء الحظ لم البث ان استبشرت بالخير لانهُ في صباح امس ادركني ما ادرك والدي . ثم أخذ من جيبهِ غلاف رسالة وارانا فيهِ خمس بزرات برتقال يابسة وقال قد اتاني هذا الغلاف وعليهِ طابع بريد لندن وهو كما ترون نظير الغلاف الذي وصل الى والدي وعليه الاحرف الثلاثة ونفس العبارة أن اضع الاوراق على المزولة . فآه اني لا أستطيع وصف ما حلّ بي وقد أيقنت بالهلاك وشعرت انني اصبحت في قبضة الموت لسبب اجهلهُ . فقال شرلوك خلِّ عنك اليأس يا هذا فالان وقت العمل والنشاط وليس وقت الخوف والاستسلام للموت والا هلكت لا محالة . فقال الفتى قد أخبرت مفتش الشحنة بما جرى فضحك مني هازئاً وقال ان الرسائل ليست الا خزعبلات وان عمي ووالدي ماتا موتاً معروفاً لا علاقة لهُ بتلك الرسائل كما قرر القضاة ومع ذلك فقد خصصوا لي شرطيًّا يحرس منزلي لتسكين جأشي . فقال شرلوك يا لهم من حمقى وهل صحبك الشرطي الى هنا . قال لا لان اوامرهُ كانت تقضي بان يبقى في الحديقة . فقال هولمز ولماذا اتيت اليَّ بل لماذا لم تأتِ لاول وهلةٍ امس . قال لم اكن اعرفك يا مولاي الا اليوم حين كنت اتكلم مع صديق لي فنصح لي بأن استشيرك في الامر . فقال شرلوك هذا اليوم الثاني لوصول الرسالة وكان يجب ان نشرع في العمل من امس فهل عندك شيء تقولهُ بعد . فقال الفتى نعم اني تذكرت انهُ لما احرق عمي الاوراق وجدت في ارض الغرفة بعضاً من اطراف تلك الاوراق لم تلتهمها النار فحفظتها عن غير قصد وقد بحثت عنها بالامس فوجدتها وها هي فلعلها تفيد في شيء . فاخذ شرلوك تلك الاوراق وجعل يفحصها وكانت من الورق الصفيق الازرق وكانها مقطوعة من دفتر مذكرات وعليها تاريخ مارس سنة ١٨٦٩

وتحتها كتابات متقطعة هكذا « في ٤ منهُ اتى هدسون نفس الرصيف القديم . في ٧ منهُ وضعت البزور على ما كولي و بارامور وجون سواين من سانت اوغستين . في ٩ منهُ ما كولي انتهى . في ١٠ منهُ جون سواين انتهى . في ١٢ منهُ زرنا بارامور »

فطوى شرلوك الاوراق واعادها الى الفتى وقال قد فهمت كل شيء والآن فلا تُضع دقيقةً واحدة لانهُ من العبث ان نضيع الوقت بالايضاح فارجع عاجلاً الى المنزل وضع هذه الاوراق في الصندوق النحاسي وضع معها تذكرة منك اكتب فيها ان عمك احرق الاوراق ولم يبقَ منها الا هذه ثم ضع الصندوق بما فيهِ على المزولة . ولا تهتم الآن بالانتقام لان الواجب ان نشتغل اولاً بتحامي الخطر الذي يتهددك و بعد ذلك نستجلي السر وننتقم من القتلة . واكرر عليك ان لا تضيع دقيقة واحدة وان تحترس لنفسك كثيراً و بما اننا الآن في الساعة التاسعة ولا تزال الشوارع مزدحمة فاظن ان لا خطر عليك . فنهض الفتى وقال اشكرك يا مولاي فانني اشعر الآن باني متكل عليك وقد بثثت فيَّ حياةً جديدة وسأرجع في القطار من واترلو فهل اراك غداً في هورشام . فقال شرلوك كلا بل يجب بقآئي في لندن لان السر هنا وأعدك انني سأشرع في هذا الامر من الآن . فقال الفتى اذاً تسمح لي ان ازورك غداً او بعدهُ لاطلعك على ما يتم في امر الصندوق والاوراق وآخذ نصيحتك في كل حين ثم ودعنا وانصرف

و بقي شرلوك بعد خروج الفتى حصة من الوقت غارقاً في تأملاته ثم قال لي يا وطسن ان هذه الحادثة من اغرب الحوادث التي مرت علينا . فقلت وهل استطعت ان تحكم بشيء ما مما سمعتهُ حتى الآن . قال ان احد العلمآء اكتشف عظمة واحدة عرف منها جنس حيوان انقرض من قبل زمن التاريخ ولكنهُ قبل الحكم بذلك استغرق وقتاً طويلاً في البحث والتحقيق فان اكن رأيت شيئاً في هذه الحادثة بمقدار تلك العظمة فلا يزال لديَّ بحث كثير وامتحانات جمة . ولكن دعنا نبدأ بالاهم فتكرم وناولني هذا المجلد من الموسوعات الذي فيه الحرف ك . واذ لا بد لنا من التخمين لتتبع الامر من بدآءته فلنفرض اولاً ان الكولونيل

او بنشاو عمّ الفتى لا بد لهُ من سبب مهم دعاهُ الى القيام من اميركا ومغادرة مناخ ومعيشة فلوريدا ليأتي ويسجن نفسهُ منفرداً في بلدة مثل هورشام . وان رغبتهُ في الانقطاع التام في منزلهِ تبرهن لنا انهُ كان يخاف من امر يفاجئهُ فنفترض ان هذا الخوف هو الذي جعلهُ يترك اميركا . اما ما يخافهُ فهو ما جآء في الرسائل التي بلغنا امرها . ومن ملاحظة جهات ارسالها يظهر ان الاولى جآءت من پونديشري والثانية من دندي والثالثة من لندن اي انها كلها جآءت من مواني بحرية مما يدل ان الذي ارسلها مسافر على ظهر مركب . ثم يجب ملاحظة امر آخر وهو ان رسالة پونديشري مضى عليهـا سبعة اسابيع قبل حصول الانتقام ورسالة دندي حصل القتل بعد وصولها بثلاثة او اربعة ايام فقط فيغلب على ظني ان الرجل او الرجال الذين بعثوا بتلك الرسائل كانوا يرسلونها قبلهم ليصل الانذار قبل وصولهم . ثم يظهر لي انهم حين ارسلوا الرسالة الاولى من پونديشري كانوا مسافرين في مركب شراعي فوصلوا بعـد وصول الرسالة بسبعة اسابيع وهو الفرق بين سرعة الباخرة التي تحمل البريد والمركب الشراعي الذي يقلهم . وقد اوصيت الفتى جون بان يتحذر ما امكن لان القتل كان يحصل في المرتين السابقتين عند حلول المدة اللازمة لوصول القاتل ولما كانت الرسالة الاخيرة قد جآءت من لندن فالامر لا يحتمل التأخير لان الخطر قريب . ويلوح لي ان الاوراق التي احرقها او بنشاو هي ذات اهمية عظمى للشخص او الاشخاص الذين في المركب المذكور واری ان الحرف ك المكرر ثلاثاً ليس مقتطعاً من اسم شخص بل هو رمز اسم جمعية فهل سمعت يا وطسن باسم جمعية كوكلوكس كلان

اما انا فكنت اسمع كلام شرلوك وكاني انتقلت الى عالم آخر ولما اتم كلامهُ لم ينتظر جوابي بل عمد الى المجلد الذي كنت قد ناولتهُ اياهُ فقلّب في صفحاتهِ قليلاً ثم قال ها هي جمعية كوكلوكس كلان واسمها مشتقٌ من صوت البندقية عند اطلاقها . وهي جمعية سرية مخيفة اسسها بعض الجنود الفارّين من ولايات اميركا الجنوبية بعد الحرب الاهلية ثم صار لها فروع في ولايات اخرى فانتشرت بسرعة ولا

سيما في ولايات تنسي ولويزيانا وكارولينا وجورجيا وفلوريدا . وكان غرضها سياسياً محضاً وهو قرض جنس السود وقتل او نفي من يخالف مقاصد تلك الجمعية وكانت افعالها كثيراً ما يسبقها انذار غريب مثل غصن زيتون او بزور بطيخ او بزور برتقال فاذا وصل الانذار الى الشخص المهدَّد وجب ان يقلع حالاً عما هو فيهِ او يغادر البلاد واذا لم يفعل يقتل بطريقة غريبة وغير منظورة . وقد كان ترتيب هذه الجمعية وقوانينها في غاية الدقة والانتظام حتى انهُ لم يسمع عن احد انهُ قاومها ونجا ولا ان حادثة واحدة من اعمالها عُرفت وحصل عنها عقاب . ومع شدة مقاومة حكومة الولايات المتحدة لهذه الجمعية لم تزل تتسع وتزداد الى سنة ١٨٦٩ حين سقطت دفعة واحدة ولم يبقَ منها الاَّ شراذم قليلة متفرقة تظهر وتختفي

ثم وضع شرلوك المجلد المذكور الى جانبهِ وقال هل لاحظت يا وطسن ان تاريخ سقوط الجمعية يوافق الوقت الذي فيهِ غادر او بنشاو اميركا ومعهُ الاوراق ويؤكد لنا ذلك انهُ اصبح عرضة الانتقام هو وذريتهُ لان بعض كبرآء تلك البلاد على ما يظهر دخلوا في تلك الجمعية وكتبت اسمآؤهم في اوراقها فهم يخشون الافشاء وبالطبع لا يطمئنون قبل استرجاع الاوراق . ولا يغرب عن بالك ان الاوراق التي انتشلها جون من النار وارانا اياها منذ هنيهة تؤكد لي هذا الزعم بدليل ما جاء فيها من تدوين الحوادث . فانهُ يقول فيها اننا ارسلنا البزور الى فلان وفلان اي التحذير ثم ان فلاناً انتهى اي مات او سافر وان فلاناً زرناهُ اي قتلناهُ . نعم نعم يا وطسن ان هذا هو الحل الوحيد لتلك الرموز ومن المؤكد ان الفتى جون او بنشاو لا خلاص لهُ الا بالطريقة التي اشرت عليهِ بها

ونمنا تلك الليلة ونحن في هاجس على الفتى ولما كان الصباح نزلت الى غرفة الطعام فوجدت شرلوك في انتظاري فقال اعذرني فقد سبقتك لانني ساكون مشغولاً طول النهار في قضية صديقنا بالامس . قلت وماذا عزمت ان تفعل . قال اظن انني سأضطر ان اذهب الى هورشام فاقرع الجرس للخادمة ان شئت لتحضر لك الطعام . وبينما انا انتظر الخادمة اخذت جريدة الصباح ففتحتها وما وقعت عيني

عليها حتى شعرت بقشعريرة وانقباض في قلبي فقلت لهُ يا هولمز قد فات الوقت . فوضع فنجان الشاي من يدهِ وقال آه قد خفت ان يحصل ذلك ولكن كيف تم الامر . فقلت وقعت عيني على هذا العنوان « مأساة عند جسر واترلو » ثم رأيت اسم « اوبنشاو » اما المقالة فهي هذه « ان الشحني الواقف عند جسر واترلو سمع مساء امس بين الساعة التاسعة والعاشرة صراخ مستغيث وتبعهُ سقوط جسم في المياه . وكان الليل حالك السواد والمطر يتساقط والعواصف مشتدة الهبوب فكان من المحال ان يوجد من يلبي تلك الاستغاثة . ثم انهُ بمساعدة النوتية تمكنوا من انتشال الغريق فوجدوهُ جثة باردة وعلموا من رسالة في جيبه ان اسمهُ جون اوبنشاو ومحل سكنهِ هورشام . ويظهر انهُ اسرع ليركب القطار من محطة واترلو ولشدة الظلام والمطر لم يأخذ الرصيف الموصل الى القطار فزلت قدمهُ وسقط الى حافة الجسر ومنها الى البحر . ولدى فحص الجثة لم يظهر فيها اقل دليل على حصول مشاجرة او تعدٍ واصبح من المؤكد ان هلاك الفتى كان قضاءً وقدراً وهو مما يستوجب نظر الحكومة في اصلاح ذلك المحل وانارتهِ »

وبعد تلاوة ذلك بقيت وشرلوك صامتين وكان تأثرهُ شديداً جدًّا وبعد هنيهة قال ان هذا الامر شقَّ عليَّ جدًّا يا وطسن واعدّهُ زلة عظيمة وخطأً مني ولكنني ارجو ان اكفّر عن ذلك بمساعدة الله بان اقبض على هؤلاء البغاة . آه وا اسفاه يأتي الفتى اليَّ طالباً معونتي فارسلهُ الى حتفهِ . . . . وانقطع فجأةً عن الكلام ثم وثب عن كرسيهِ وجعل يخطو في الغرفة ذهاباً واياباً وترتعش اعصابهُ ثم قال انهم بدون شك ابالسة فكيف تمكنوا من اخذهِ الى تلك الجهة مع انها ليست في طريقهِ الى المحطة ولكن لابد لي من اتمام عملي وها انا ذاهب الآن . ولما رأيت انهُ يفضل الذهاب وحدهُ تركتهُ وعدت الى منزلي فقضيت نهاري في صناعتي ولما كان المساء عدت الى غرفتهِ ولم يكن قد عاد بعد فانتظرتهُ الى الساعة العاشرة واذا بهِ قد دخل وعليهِ علامات التعب والخور . فتقدم توًّا الى المائدة واخذ رغيفاً من الخبز وجعل يلتهمهُ بشرَه ثم نظر اليَّ وقال اكاد أموت جوعاً لاني نسيت نفسي

فلم آكل شيئاً منذ الصباح . قلت وماذا فعلت . قال أنهم جميعهم في قبضة يدي فلا يذهب دم جون او بنشاو بدون انتقام . ثم تبسم وقال أحب أن أبعث اليهم بنفس علامتهم ولما قال هذا وثب الى المائدة فأخذ برتقالة قطعها وأخذ خمس بزرات منها فوضعها في غلاف وكتب في داخلهِ « س . ه عن ج . و » ثم ختم الغلاف وعنونهُ باسم الربان جيمس كلهون في المركب لون ستان بساڤانا وقال سيكون لهُ في هذه الرسالة ما يحرمهُ النوم ويعذبهُ عذاباً أشد من عذاب جون او بنشاو . فقلت ومن يكون الربان كلهون . قال هو رئيس العصابة فسأقبض عليهِ أولاً وبعد ذلك اقبض على الباقين . قلت وهل لك ان تخبرني كيف عرفتهم . فأخذ من جيبهِ ورقة مغطاة بالاسماء والتواريخ وقال انني قضيت يومي كلهُ باحثاً في دفاتر ادارة اللويد وبحثت عن كل باخرة مرّت في پونديشري في شهر يناير سنة ٨٣ فوجدت ستًّا وثلاثين باخرة تذبهت منها لاسم مركب يدعى لون ستار لاني وجدت في قيود دندي ان نفس المركب وصل اليها في يناير سنة ٨٥ ثم وجدت انهُ وصل الى لندن في الاسبوع الماضي فنزلت الى الميناء فعلمت انهُ سافر راجعاً الى اميركا ووجهتهُ ساڤانا . وبما ان الريح موافقة فانا متحقق انهُ قد اجتاز الآن الحدود البريطانية ولكني سأسعى بارسال بلاغ برقي الى شحنة ساڤانا ان الربان المذكور واصحابهُ مطلوبون في انكلترا لجريمة قتل ومتى عادوا مقبوضاً عليهم فسينالون من يد العدالة البريطانية ما يخفف من حزني على فقد الفتى وابيهِ وعمهِ . . . .

ولكن قضت التقادير ان لا تصل بزرات البرتقال الى اولئك القتلة وان لا يعلموا بوجود رجل اكتشف مؤامرتهم واظهر مهارة تفوق مهارتهم فان العواصف كانت شديدة جداً في البحر فمضى الوقت الطويل ولم نسمع شيئاً عن مركب لون ستار وبعد مدة نشرت الجرائد ان مركباً بخاريًّا وجد في عرض البحر بقايا مركب وقطعة من مؤخرهِ عليها حرفا « ل . س » اي لون ستار وكان ذلك آخر ما عُرف عن المركب واصحابهِ

الحقيبة الزرقاء

نقولا افندي مراد

بقلم الروائي المشهور

رواية عصرية ادبية غرامية

الحب يزيد النفوس الكبيرة رفعة ويلين القلب الضعيف – لولا الحب لما طلب العلى ولا اتقدت في صدره الغيرة – الغلاب – فالنبيل يترفع عن الدنايا ولو في الكوخ – والوضيع يميل الى الهوى الشائن ولو كان في القصر الباذخ

في هذه الرواية كثير من المغازي الادبية والاخلاقية والاجتماعية . وشرح دقيق لكثير من العواطف البشرية

فانك تقرأ فيها آي الحب الشريف بلغة الحشمة والادب . وتتعلَّم منها ان الحب لا ينشأ عن محاسن خارجية كالغنى والجاه والجمال بل عن توافق الطبعين . والقلب لا يمكن ان يغتر بالمحاسن مهما تنوعت اذا لم يكن بينه وبين القلب الآخر تفاهم . و الحب منحة من اله الحب فلا طوق للانسان ان يوجههُ كيفما شاء بل هو يوجّه القلب كيف اتّجه . وان العشرة منذ الحداثة تقوي الحب الاخوي على الحب الجنسي

وترى فيها ان الانفس الشماء اذا ارتفعت على سلم المبادئ القويمة سمت واعتزت وكانت الفائزة في كل تنازع . وان الدم الجاري في عروق السلالات الشريفة يمثل افرادها همةً واقداماً وعزيمةً وانفةً وذكاءً . وانهُ مهما فعلت طوارئ الحدثان فلن تمحو سجايا النبالة ومزايا الشرف لان الدم النابض في القلوب الكبيرة يسير بها دائماً نحو الخير

اقرأ على مهل وتأمل ما تقرأ تجد فكاهة سارة وفائدة لاذة ومغازي ادبية مهذبة مدمثة ترتفع بالنفوس وتقوي القلوب

ثمن النسخة من هذه الرواية خمسة قروش صاغ واجرة البريد قرش واحد

وهي تطلب من مكتبة المعارف بمصر بالفجالة ومن مكتبة الغرزوزي بالاسكندرية ومن مكتبة البصير بالمنصورة وجميع المكاتب الشهيرة في القطر [illegible] والسودان

[illegible]

صاحب مكتبة المعارف ومطبعتها

باول شارع الفجالة بمصر

اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

وقال الصفيّ الحلّي

ان في ذلك اعتباراً وذِكرَى　　يتوعّى بها ذوو الالبابِ

قولهُ يتوعى اي يتنبه ونحوهُ وهي كلمةٌ عاميّة . وقال ابن النحاس

ما زلت أقترع المصائب صابراً　　حتى انفردتُ لها وقلّ عديدي

يريد اقارع المصائب من مقارعة الفرسان في الحرب ولم يُسمَع الاقتراع الا من معنى القُرعة يقال تقارع القوم واقترعوا . على انهُ لا يمتنع في القياس ان يقال اقترعوا من المعنى الآخر كما يقال تقارعوا الا انهُ سواءٌ كان باحد المعنيين ام بالآخر فهو لا يكون الا لازماً تقول قارعت فلاناً واقترعنا ولا تقول اقترعتهُ . وقال ابن عبد الملك العزازي

يا خدّهُ ما أُحيلَى　　للعاشقين التثامَك

يريد بالالتثام اللثم اي التقبيل وهو غير محكيٍّ عنهم بهذا المَعنى وانما يقال التثم اذا شدَّ اللثام . ومثلهُ قول المقّري صاحب نفح الطيب

أَنّى لهـا ثغرٌ حلا　　ذوقاً لمن رام التثامَهْ

ومن الغريب ان ابن الفارض مع رسوخ قدمهِ في اللغة واحاطتهِ بغريبها اتفق لهُ مثل هذا حيث قال

وفي التثامي ثغر الـكأس مرتشفاً　　ريقَ المدامة في مُستنزَهٍ فَرِجِ

والمستنزَه قال الشيخ البوريني هو بفتح الزاي على صيغة اسم المفعول والمراد

منهُ اسم المكان اي في مكانٍ يستنزه فيهِ الانسان اي يكتسب النزهة . قال وفَرِج بفتح الفآء وكسر الرآء على وزن فَرِح مكان فرجة وهي انشراح الصدر . اه . وكل ذلك مما خلت عنهُ كتب اللغة . ومن هذا قول ابي العباس الضّبي يصف فرساً

لَوَانَّ خدود الوردِ ارضٌ لأَرضهِ　　لما مسَّها منهُ اذًى بارتكاضهِ

قولهُ ارضٌ لأرضهِ الارض الثانية بمعنى اسفل قوائمهِ . واراد بالارتكاض الركض اي العَدْو وهو لا يُستعمَل بهذا المعنى انما الارتكاض بمعنى الاضطراب ومنهُ ارتكاض الولد في البطن وارتكاض المآء في البئر وغير ذلك ولا يجيء من معنى الركض الا في قولك ارتكضوا في الحلبة اي تراكضوا وهو بمعنى المشاركة فليس مما ذكر . وقال بعدهُ

يريك نحول السهم عند اقبالهِ　　ويبدي مثول الطود عند اعتراضهِ

يريد اذا اقبل عليك بصدرهِ رأيتهُ نحيلاً اي ضامر الجسم غير مُجفَر البطن فتراهُ منتصباً كالسهم واذا مرّ امامك معترضاً رأيتهُ عالي الظهر قائماً كالطود اي الجبل . فعبَّر عن الإقبال بالاقتبال وهو لا يجيء بهذا المعنى ولكن لهُ معانٍ كثيرة كلها بعيدة عن مرادهِ . وقال عبد الصمد الصفّار

فاشرب عليهِ فانهُ وقتٌ اذا　　ولّى تفاوَتَ ان يُنالَ فيوجدا

فعبَّر عن فاتَ بتفاوَت وانما يقال تفاوت الشيئان اذ تباعد ما بينهما لم يُحكَ فيهِ غير ذلك . وقال الوزير ابو عامر بن شهيد

ولما دهتني الحادثات ولم اجد　　لها وَزَراً اقبلت نحوك أعتدي

الوَزَر بفتحتين الملجأ وقولهُ أعتدي اراد استعدي اي استعين واستنصر

نحوّلهُ الى صيغة افتعل وهي لا تكون بهذا المعنى ·　　وبعدهُ

ومثلك من يُعدي على كل حادثٍ　　رمى بسهامٍ للردى لم ترصَّدِ

اراد لم تُتَرصَّد بتـآءين اولاهما مضمومة من قولك ترصّدت الشيء اي ترقبتهُ. وحذفُ احدي التآءين لا يجوز الا اذا كانتا كلتاهما مفتوحتين واما اذا كانت الاولى مضمومةً فلم يُسمَع في شيءٍ من كلامهم لان ايتهما حُذِفت ادَّى حذفها الى الالتباس ·　　وقال الحاجري

بِتْ ناعم البال بعيشٍ خلي　　الوجد والاحزان والهمُّ لي
حسّاد لذّاتك تُبلى بما　　بتُّ من الشوق بهِ مبتلي

فاستعمل ابتلى لازماً كانهُ مطاوع بلاهُ وانما هو متعدٍّ تقول ابتلاهُ الله بكذا كما تقول امتحنهُ واختبرهُ وهو مُبتلَى بفتح اللام ·　　ومثلهُ قول ابن السمان

رقيقة خصرٍ لا ترقّ لمغرمٍ　　قسيّة قلبٍ لا تلين لمبتلي

وقال ابن مشعل

أمَا رأيتَ الاسود رابضةً　　أما رأيت السيوفَ مُنتَضِيَهْ

وصوابهُ منتضاة لان هذا الحرف متعدٍّ تقول نضوت السيف وانتضيتهُ اذا جرَّدتهُ من غمدهِ فهو مُنتضَى ·　　وقال السلاميّ

ليَ فيك التي ترى البحتريَّ امـــتازَ　　ــفي نظمها ابا تمـامِ

يعني امتاز على ابي تمّام فعدَّى الفعل بنفسهِ ·　　وقال ابو سعيد الرستميّ

شانئ ايامهِ يذوب شجًى　　من كمدٍ والحسود يزدهقُ

اراد يزهق اي يهلك فجآء بهِ على يفتعل ·　　وقال ابن محمد الشديد المالقيّ

رؤوفٌ قادرٌ يغضي ويعفو وان عَظُمَ اجتناءٌ واجترامُ

يريد بالاجتناء اتيان الجناية على حدّ الاجترام من الجرم الا ان هذا لم يُحكَ كما لم يُحكَ اجترَّم من الجريرة ولا اذدَنَب من الذَنْب. وقال لسان الدين بن الخطيب

ما كنت احسب ان انوار الحجى تلتاح في قُنَنٍ وفي احجارِ

اراد بتلتاح تلوح اي تظهر ولا يقال تلتاح بهذا المعنى انما هو من اللُّواح بمعنى العطش . ومثلهُ قول استاذهِ ابن الجيّاب

يلتاح منهُ بأُفق الملك نور هُدًى تضآءلُ الشمس مهما لاح زاهرُهُ

وقال الصابي

أُؤازرُهُ فيما عرا وأُمدُّهُ برأيٍ يريهِ الشمس والليل اغسقُ

اي والليل مظلم وانما يقال من هذا غاسق ومُغسِق ولم يُسمَع اغسق . ومثلهُ قولهُ ايضاً

وبدّلني صَلَعًا شاملاً من الشَعَر الفاحم الاغسقِ

وقال ابن عبد ربّهِ

بادر الى التوبة الخلصآء مجتهدا والموت ويحك لم يمدد اليك يدا

يريد بالخلصآء المُخلَصة ومقتضاهُ انها مؤنث الاخلص مثل حمرآء واحمر ولم يرد هذا اللفظ في اللغة ولا وجه لبنآئهِ من هذه المادّة . وقال لسان الدين

وقفرآءَ اما ركبها فمُضلَّلٌ ومربعها من آنسٍ غيرِ مأنوسِ

يريد بالقفرآء الارض المقفرة على انها اسمٌ كبيدآء او مؤنث اقفر وكلاهما

غير منقول وقد تقدمت الاشارة الى ذلك في لغة الجرائد . ومن هذا قول طرز الريحان

يخيَّلُ لي في كل قفرآء أنَّما بها الآل اشراك الهوان فأنفرُ

وقال ابن هاني

باتت مودّعةً بجيدٌ معرضٌ يوم الوداع ونظرةٌ شزرآءُ

يريد بالنظرة الشزرآء ما كانت شزراً وهي ان ينظر الانسان بمؤخر عينيهِ او ينظر عن يمين وشمال ولا يقال من هذا نظرٌ اشزر ولا نظرةٌ شزرآء .

وقال البهآء زهير

فكونوا رفاعيين في الحب مرةً وخوضوا لظى نارٍ لشوقيَ حرّآءِ

اراد حرَّى بالقصر مؤنث حرّان فمدَّهُ ضرورةً وانما الحرَّى العطشى لا الحارّة . وقال ابو طاهر الجيّاني يصف قلماً

خَرْسانُ الاّ حين يرضع ثديها فتراهُ ينطق ما يشآء ويذكرُ

يريد ان هذا القلم اخرس فاذا استمدَّ حبر الدواة نطق فعبَّر عن اخرس بخرسان . ومثلهُ قول النابلسي

تعبانُ بي كمحمَّدٍ لا زال تعباناً حَسُودُهُ

وقول ابن ابي حجلة المغربي صاحب ديوان الصبابة

زار الحبيب ووجه الورد خجلانُ فاصفرَّ حين تثنَّى قدُّهُ البانُ

وانما يقال هو تَعِبٌ وخَجِلٌ بفتحٍ فكسر فيهما ولا يقال تعبان ولا خجلان

(ستأتي البقية)

التنويم المغناطيسي

لا يزال التنويم المغناطيسي من الغوامض التي لم يجتلِ سرّها العلمآء والعُقَد التي حار في حلها ارباب العقول . وهم اليوم يبحثون في ثلاثة امور من هذا الفن اولها تنويم العجماوات وثانيها التنويم عن بعد وثالثها تنويم المحتضرين . اما تنويم العجماوات فيؤخذ من كتاب حديث للمسيو لافونتيان انهم قد نجحوا فيهِ . واما التنويم عن بعد فيظهر انهم سيتوفقون الى حلهِ على رغم ما يعترضهُ من العقبات والصعوبات فقد قيل ان رجلاً في احدى مدن المانيا توفّق الى تنويم فتاةٍ في برلين كان يهواها ثم امرها ان تقتل خطيبها وتتزوجهُ ففعلت كذلك ولكن الحكومة برّأتها لما علمت بحقيقة الامر وعاقبت المنوّم

اما تنويم المحتضرين فقد جآء عنهُ في احد الكتب الانكليزية فصل لا يخلو من فائدة وتفكهة نقلاً عن لسان احد الاطبآء الانكليز . قال الطبيب

اكملت دروسي الطبيّة في مدرسة ادنبرج الجامعة ونلت الشهادة التي تبيح لي تعاطي الطب فعزمت ان اقوم بسياحة كبيرة فازور اهمّ مدن اوربا واميركا ترويضاً للنفس ورغبة في الوقوف على الاكتشافات الحديثة في فن الطب ومشاهدة الامراض الغريبة . وكنت في اثنآء درسي الطب أميل كثيراً الى فن التنويم المغناطيسي والوقوف على كنه اسرارهِ لما لهُ من العلاقة بالطب ولذلك عزمت على درسهِ والتعمّق فيهِ مهما صادفني من

المشاق . فلم تمرّ عليّ سنة بعد نيلي شهادة الطب حتى اصبحت ذا خبرةٍ واسعةٍ في هذا الفن واخذت امارسهُ في كثير من الامراض التي كانت تُعرَض عليّ

و بعد ان جلت في اشهر مدن اوربا واميركا الشمالية القيت عصا الترحال في مدينة نيويورك فاقمت فيها لاتعاطى حرفتي وانا في اثنآء ذلك مكبٌّ على درس التنويم الصناعي آنآء الليل واطراف النهار فاقف كل يوم على سرٍّ جديدٍ منهُ لان هذا الفن على تقادم عهدهِ لا يزال في مهد طفوليتهِ

وفي ذات يوم استُدعيت لعيادة صديق لي من العلمآء يقال لهُ المستر ارنست ڤلديمار وكان كهلاً يناهز الاربعين من عمرهِ ربعة القوام اسود الشعر عصبيّ المزاج وقد نوّمتهُ عدة مرار ولكنني لم افلح قطّ في امتلاك ارادتهِ . فلما ذهبت لأعودهُ رأيتهُ ممدوداً على فراش الموت وحولهُ الدكتور جوزيف راڤيدس والدكتور فيليب فرّند وقد ايقن كلاهما بدنوّ اجلهِ . وكان وجههُ اصفر وعيناهُ مظلمتين وعظام وجههِ تكاد تبرز من خديهِ وهو لا ينتبه لشيء . واذ استكشفت الطبيبين المذكورين عن تفاصيل حالتهِ علمت ان الرئة اليسرى قد تصلّبت بتمامها واليمنى قد بدأ فيها التصلّب من قمتها ويظهر ان سير التصلّب كان سريعاً جدًّا اذ لم يكن لهُ من اثر قبل ذلك بشهر . و بعد قليل افاق العليل ولكننا علمنا ان ساعتهُ قد اقتربت فاستشرت رفيقيّ في تنويمهِ فلم يريا رأيي بل قالا ان ذلك قد يعجّل منيّتهُ . اما انا فاطلعت العليل على قصدي واخبرتهُ انني عازم على تنويمهِ لعلّ في ذلك تأخيراً لأجلهِ . فاستسلم اليّ واذن لي ان افعل ما يحسن في عينيّ فاشهدت

الطبيبين المذكورين على قولهِ ثم شرعت في تنويمهِ فاخذت أمرّ كفي على جبهتهِ من اليمين الى اليسار وكانت هذه الطريقة أفعل الطرق التي اختبرتها في تنويمهِ سابقاً . على ان العليل لم تبدُ فيهِ علامات النوم هذه المرَّة فاضطُررت ان اغيّر الطريقة مراراً ولم احصل على نتيجة مرضية الا بعد ساعتين وعشر دقائق اذ استغرق العليل في سبات النوم المغناطيسي . وكان نبضهُ ضعيفاً جدًّا وانفاسهُ متقطعة وجسمهُ بارداً ولم تمضِ على نومهِ بضع دقائق حتى انقلب لون عينيهِ فجأةً وعاد اليهما لمعانهما . فامرتهُ ان يطبق جفنيهِ ويضطجع بهيئةٍ لا تتعبهُ وان لا يتحرَّك البتة ففعل كذلك . واذ فحصهُ الطبيبان الآخران تحقق لهما انهُ في سباتٍ صناعي لا ريب فيهِ . وكان الليل قد تناصف فذهب الدكتور دافيدس ووعدنا ان يرجع في الصباح التالي . اما انا فلم يمكني اطالة السهر لانني كنت قد تعبت في الليلة الفائتة فنمت قليلاً ولكنني استيقظت على صوت الدكتور دافيدس في الساعة الخامسة صباحاً . فنهضت فوجدت المستر فلديمار مستغرقاً في سباتٍ عميق فسألتهُ هل انت نائم . فقال نعم انا نائم . وكان صوتهُ اشبه بصوت رجل يتكلم من عالم الارواح فكنّا نسمع الصوت ولا نرى حركة في شفتي العليل . فسألتهُ ايضاً هل تريد ان اوقظك . فقال دعني استريح في سباتي الهنيء . فسألتهُ ألا تشعر بألم . قال واي ألم يلمّ بالموتى . فقلت أوَتعلم اين انت الآن . قال دعني استريح واتمتَّع بهذا النوم

فلم ازعجهُ بعد ذلك بالاسئلة بل تركتهُ يستريح ومضيت . وعند الظهر عدت اليهِ انا والطبيبان فوجدناهُ نائماً وجسدهُ اشبه بلوح من خشب لا

يتحرّك الا قطعةً واحدة . وكان نبضهُ ضعيفاً جدًّا لا يكاد يُشعَر بهِ وعيناهُ مطبقتين فسألتهُ قائلاً ألا تزال نائماً يا مستر ڤلديمار . فاجاب نعم ولكنني مائت لا محالة . ثم سكن نبضهُ وجمدت عيناهُ وخمدت انفاسهُ وبطل صوتهُ فلم يعد عندنا ريب في انهُ قد مات . فقمنا لتكفينهِ واذا بهِ قد تحرّك قليلاً ثم سمعنا منهُ صوتاً لا ازال كلما ذكرتهُ يقشعرّ بدني ويستولي عليَّ الرعب والفزع لانهُ كان يشبه هزيم رعدٍ آتٍ عن بعدٍ شاسع اوكأنهُ خارج من المغاور والكهوف أو من بطن الارض ولكن النطق كان فصيحاً والمقاطع واضحة . واستولى على الجميع هلَع عظيم ولاسيما الدكتور داڤيدس اذ اوشك ان يُغمَى عليهِ . ثم لاحظنا انهُ كان يحاول التكلّم ولكنهُ قد فقد قوّة الارادة فلم يستطع النطق ولم يكن يجاوب احداً من السائلين غيري مع انني حاولت ان اصل بينهم وبينهُ بالسائل المغناطيسي فلم افلح

ولما تناصف النهار تركناهُ وانطلقنا ولم نرجع اليهِ حتى وقت الغروب فوجدناهُ على ما كان عليهِ ثم تفاوضنا في هل نوقظهُ من نومهِ أم لا فاجمع الرأي على تركهِ على حالتهِ خوفاً من ان نعجّل حتفهُ

فظل العليل سبعة اشهر على هذه الحالة وانا اعودهُ كل يوم فلا ارى فرقاً أو تغييراً في حالهِ حتى اتفقنا اخيراً على ايقاظهِ فأخذت أُمِرّ يديَّ على وجههِ بحسب العادة المألوفة فلم يأتِ ذلك بفائدةٍ في اول الامر ولكن بعد قليل لحظت ان عين العليل قد انخفض بؤبؤها ثم افرزت مادة صفراء . وعند ذلك سألت العليل ان يصف لنا وجدانهُ وان ينطق بوصيتهِ الاخيرة فارتجف لسانهُ في فمهِ بسرعةٍ وشدةٍ كأنهُ ينتفض بمجرى كهربائي واخيراً

سمعنا صوتاً كالصوت الذي ذكرتهُ سابقاً يقول «اسرعوا اسرعوا نوّموني فانني مائت» . فحاولت بأسرع من لمح البصر ان اوقظهُ فما كاد يستيقظ حتى رأيناهُ امامنا جثةً بلا حراك لينة كالعجين فأمرنا بتكفينهِ ودفنهِ

سليم عبد الاحد

معبودات المصريين

لا يخفى ان تاريخ المصريين الاولين من اغمض التواريخ واخفاها آثاراً لقِدَم هذه الامة وبُعد العهد باوائلها الى ما قبل زمن التاريخ بمُدَد متطاولة. واقدم ما يتناقلهُ الرواة من امرها لا يتعدى خمسة آلاف سنة قبل التاريخ الميلادي وهو العهد الذي قامت فيهِ اول سلالة من ملوكهم بعد عهد الكهنة الا ان الآثار الباقية عنها تدلّ على ان الحضارة كانت منتشرة بينها قبل ذلك بآلاف من السنين

اما اصل هذه الامة فاكثر المؤرخين على انها من بلاد النوبة وكان اول من وزد منها على وادي النيل شراذم من الرعاة نزلوا على جوانبهِ فرتعوا منها في ارضٍ طيبة ومرعًى خصيب ثم كانوا يتبسطون شمالاً كلما اتسعت الارض امامهم بما تزيد اتربة النيل في اطرافها . وهو محصَّل قول ديودورس وجماعةٍ من المتأخرين استدلالاً بما يُرَى من الشبه بين ملامح المصريين الاولين وسكان النوبة الحاليين . الا ان هذه الملامح انتسخت على تراخي الزمن بما طرأ على السلالة المصريةِ من الامتزاج بالامم التي استولت على البلاد طوراً بعد طور بحيث لم يبقَ فيهم شيءٌ من شبه اسلافهم

لاولين . وفي رأي بعض المحققين ان المصريين يرجعون الى سلالة سامية الاصل وردت مصر عن طريق برزخ السويس فدحرت من وجدته على شواطئ النيل من السلالة النوبية الى داخل البلاد واستقرّت في مكانها . ومن هذه السلالة كان مبدأ الحضارة المصرية خلافاً لما ذهب اليه ديودورس من ان المصريين اخذوا معبوداتهم عن الحبشة لان اقدم ما يُرى في بلاد الحبشة من آثار المعبودات المصرية لا يتعدى زمن البطالسة فهي ولا ريب مما اقتبسته الحبشة عن مصر عند توحيد السلطة في البلادين في العهد المذكور

على ان المعبودات الاولى سوآء كانت في مصر ام الحبشة لم تكن تخرج عن العوامل الطبيعية من نحو النار والمآء والهوآء وعن بعض الحيوانات النافعة او الضارّة على ما هو معروف من شأن كل امة في حال بداوتها الاولى . على ان المصريين كانوا يعبدون خلا ذلك بعض الاجرام السماوية كالشمس والقمر وغيرهما من معبودات الصابئة وقد كان هذا المذهب لذلك العهد فاشياً بين العرب وغيرهم من سكان غرب آسيا وهو مما يؤيد ما تقدم ذكره من اصل الحضارة المصرية . ثم ان هذه العبادات استمرّت بينهم يتنحلها الخلف عن السلف الى آخر عهدهم وحين بلوغهم اقصى مبالغ العلم والفلسفة فضلاً عما زادوا عليها مما لا يخرج عن مشاكلتها بيد ان معنى تلك المعبودات كان عند ذوي العلم منهم على خلاف ما كان عليه عند العامة وعلى غير ما كان في اعتبار المتقدمين من اسلافهم على ما سنعود الى بيانه

وذكر هيرودوطس ووافقه ديودورس ومانيتون انه كان قبل عهد

مَنَس رأس السلالة الاولى من الفراعنة ثلاث سلائل من الآلهة كان الكهنة يصدرون عن وحيهم ويبرمون الاحكام باسمآئهم وكانت مدّة ملكهم جميعاً على ما قدّرهُ مانيتون ١٦٩٧٢ سنة . واقدم تلك الآلهة اوزيريس وايزيس وهما توأمان وُجدا من تلقآء انفسهما ثم تزوج اوزيريس بايزيس فولدت هُورُوس وهو الشمس فكان الثلاثة الهاً واحداً هو اله الخير . الاّ ان اوزيريس كان مسلّطاً على مملكة الاموات ولذلك كان كلّ محنّطٍ يسمى اوزيريان . وكان لاوزيريس اخٌ يسمى تِيفُون وهو اله الشرّ والظلمة والجدب ولهُ توأمةٌ ايضاً تسمى نفتيس تزوج بها ولم يُذكَر انها ولدت لهُ لكنها ولدت من اوزيريس ولداً سُمّي انوبيس وهو اله الجحيم

وبنى اوزيريس مدينة ثيبة ووضع الشرائع والعبادات وسنّ الزواج واستنبط الكتابة والصنائع . ودار في خَلَده بعد ذلك ان يعمّم المَدَنية في الارض فجمع جيشاً كبيراً وانطلق بهِ شرقاً حتى بلغ الهند ودوّخ هذه البلاد كلها واخضعها لسلطانهِ . وكان عند خروجهِ قد فوّض الى اخيهِ تيفون ان يتسلط على الصحرآء شرقيّ مصر ولكن تيفون طمحت نفسهُ الى الاستيلآء على البلاد بأسرها فوجهت اليهِ ايزيس دجُوم وهو هركول عند اليونان فدحرهُ . فلما قفل اوزيريس من رحلتهِ احتال عليهِ تيفون حتى اغتالهُ ثم جعل جثتهُ في تابوت والقاهُ في النيل . فاشتدّ الامر على زوجتهِ ايزيس وبعثت من يبحث عنهُ في النيل حتى عثرت على جثتهِ فدفنتها ولكن تيفون اخرج الجثة من القبر وقطّعها اربع عشرة قطعةً فرّقها في كل ارض مصر فعادت ايزيس ودفنت تلك القِطَع في مواضعها الا واحدةً

منها وشادت فوق مدفن كلٍّ منها هيكلاً . ثم جرّدت جيشاً على تيفون سيّرتهُ تحت إمرة ابنها هوروس فكانت بينهما واقعتان اجات الثانية منهما عن قتل تيفون . وشاع بين المصريين بعد ذلك ان نفس اوزيريس حلّت في ثور ومن هنا نشأت عبادتهم للعجل المسمى آپيس لاعتقادهم انهُ هو اوزيريس بعينهِ وكانوا يقيمون لهُ عيداً سنويّاً فكان كل مصريٍّ يذبح في ذلك اليوم خنزيراً على باب منزلهِ

وكان من اشهر قبور اوزيريس قبرٌ لهُ في جزيرة فيلي بالصعيد وهي المعروفة اليوم بجزيرة الهَيْف او البربا وكانت مقدساً لعبادتهِ يؤمّها المصريون من كل بلد ولا يزال فيها بقايا هيكلٍ لهُ وهيكلين آخرين احدهما لايزيس والآخر لتيفون . وكانوا يمثلون اوزيريس بهيئة رجلٍ على رأسهِ تاجٌ مُصفَح او رجلٍ برأسِ ثور او رأس باشقٍ او كُركيٍّ ويمثلون ايزيس بشكل فتاةٍ على رأسها قرنان او هلال . وكانوا يبنون بجانب كل هيكل من هياكل آلهة الخير هيكلاً صغيراً لتيفون يسمونهُ بالهيكل الاسود وكان يُحتفَل بتيفون في مدينة هيرَكليوپوليس الصغرى ولذلك أُطلق عليها تيفونوپوليس اي مدينة تيفون　　　　(ستأتي البقية)

الحشرات السامّة

ما زال هذا الوجود مُعترَكاً يتنازع فيهِ الاحيآء اسباب البقآء فلا يستتبّ بقآء فريقٍ الا بفنآء غيرهِ سُنّة الله في خلقهِ الى ان تدورعلى الكل دائرة الفنآء . فاذا تأملت الاحيآء من كل نوع وجدتها جنوداً مجنّدة

قد خصّت الطبيعة كلاًّ منها بسلاحٍ يسطو بهِ تارةً ويدفع بهِ عن نفسهِ اخرى فجعلت لذوات البأس منها الظفر والناب وللضعيفة السموم تشلّ بها اعضآء القويّ فيقف من دونها مكبَّلاً وتخبل اعضآء الضعيف فتقيّدهُ عن الدفاع او الهرب حتى يكون لها مغنماً بارداً

الا أن اعظم الخطر على الانسان انما هو من ذوات السموم ولا سيما اصغرها جرماً لبقآئها مجاورةً لهُ في اكثر البلدان حتى في ارقاها حضارةً واحفلها مجتمعاً . وهي اما من ذوات الفقار كبعض اصناف الثعابين مما سنفرد الكلام عليهِ في فصلٍ مخصوص واما من الحيوانات المفصلية كالعقرب والعنكبوت والنحل والزنبور والبعوض وامثالها . ولكل واحدٍ من هذه الانواع سلاحٌ مخصوص يستعين بهِ على نفث ما يفرزهُ من السمّ في جسم الملسوع . وهو اذا دخل الجسم انحصر فعلهُ تارةً في موضع الجرح كسمّ النحل والبعوض فيحدِث فيهِ التهاباً وتعدّى تارةً الى سائر البنية بتخللهِ اجزآء الدم وجريهِ معهُ في الدورة فيؤدي الى فسادهِ

على ان اكثر الحشرات المذكورة انما جُعِل الجهاز السميّ فيها آلةً للصيد تستخدمها في افتراس صغار الحيوان ولا تكاد تتعمد اذى الانسان الا من قبيل الدفاع عن نفسها وندر منها ما يسطو على الانسان بقصد الافتراس كبعض اصناف البعوض التي تغتذي من دمهِ

واغرب انواع تلك الحشرات العنكبوت فقد خصّتها الطبيعة بهذا النسيج الذي تبسطهُ امام مكمنها فيكون لها بمنزلة شركٍ تأسر فيهِ فريستها من الهوامّ الصغرى فاذا نشبت فيهِ وثبت عليها فغرزت فيها حُمَتها ثم

جذبتها الى داخل مقرّها . وللنسيج المذكور منفعةٌ اخرى وهي ان يكون منذراً للعنكبوت وهي في مخبأها فانها اذا رأت خيوطهُ تضطرب علمت ان هنالك فريسةً او عدوًّا فتستعدّ للوثوب او الهرب

ومن العنكبوت صنف يُعرَف بالرُتَيلآء وهي اكثر ما تكون في الاراضي المشمسة فتحفر في الارض بئراً عمودية يبلغ عمقها الى ٤٠ سنتيمتراً وتبني عند اعلاها برجاً من دُقاق العيدان والصاصال وتبطنها من داخل بشبكة من نسيجها تسهّل عليها التسلق الى الاعلى . فاذا استهوى شيئاً من صغار الحيوان منظر ذلك البرج فوقع عليهِ وثبت اليهِ في اسرع من لمح البصر فلا يستطيع التخلص منها ولو كان من امضى ذوات الاجنحة سلاحاً كالنحلة والزنبور لانهُ يموت قبل ان يتمكن من الدفاع عن نفسهِ

الا ان اهول انواع المفصليات العقرب فان سمها افعل من سم الرُتيلآء بحيث انهُ يقتل صغار الحيوان والعصافير للحال . ومنها اصنافٌ بالمكسيك والهند وارض مصر ذات خطرٍ على الانسان حتى لقد تقتل الاطفال والشيوخ . واخوف ما تكون العقرب اذا دبّت ليلاً لطلب الصيد فانها تدخل المساكن حتى تتغلغل في الفُرش والاسرّة طلباً لفريستها فإذا اتفق ان يتحرك النائم حركةً تروعها ضربتهُ بابرتها على غير قصدٍ فينتبه على شدة الالم الذي ينالهُ من حدّة تلك اللسعة

اما الزنابير فلا تسطو ما لم توجس خطراً على اعشاشها واذ ذاك فانها تتألب للدفاع بحدّةٍ غريبة . وكذلك تفعل اذا ارادت صيد شيءٍ من انواع الهوام كالذباب والجراد والفراش والنحل وهي انما تصطادها بقصد تغذية

صغارها فتحمل ما تصطادهُ منها وتنزع اجنحتهُ وقوائمهُ وكل ما فيهِ من الاعضاء الصلبة وتلوك باقيهُ ثم تفرغهُ في افواه انقافها فتزدردهُ على السهولة

على ان من الزنابير ما يعيش منفرداً فاذا ارادت الانثى ان تبيض اعدّت عشها بنفسها وجعلت فيهِ من الطعام ما يغذو أنقافها فتصطاد ما يتفق لها صيدهُ من الحيوان وتتركهُ الى ذلك الحين . ومن عجيب امرها والحالة هذه انها مخافة ان تفسد تلك الجُثث اذا طال عليها الزمن ولا سيما في اوان شدة الحرّ لا تعمد الى قتلها ونزع اطرافها على ما تقدم ذكرهُ ولكنها تخدّرها تخديراً شديداً ثم تجرها الى عشها وتضع بيضها على الجثة نفسها فيلتصق بها فاذا نقفت الصغار بعد ذلك وجدت امامها غذاءً طرياً . وهذا التخدير يتم بأن تنفث سمها في المراكز العصبية من الفريسة فتفقد كل شعور وتلبث كالنائمة وبذلك يمكن ان تبقى شهراً كاملاً ولا يعرض لها فساد وهذا مما حيّر عقول الحكماء في هذا الالهام الغريب

ويقرب من ذلك ما تفعلهُ النحل فقد ذكر احد المراقبين من علماء طبائع الحيوان ان النحلة قبل ان تختم بيتها تغمس ابرتها في العسل وتعصر فيهِ قطرةً من سمها وهذا السمّ بما يشتمل عليهِ من الحامض النمليك والجواهر العطرية يمنع اختمار ما في العسل من المادّة السكّرية ويحميهِ من من المكروبات فلا تقربهُ

بقي ان نذكر هنا ان النحل والزنبور اذا لسع خلّف ابرتهُ في الجرح فينبغي عند معالجة لسعهِ ان تُنزَع تلك الابرة غير انهُ مع ذلك يترك معها غُدّةً صغيرة هي المتصلة بأصل الابرة وهذه الغدّة يكون فيها بقية من السمّ فاذا

عولجت الابرة لنزعها انعصر هذا السم في الجرح فيزيد الالم. ولذلك يجب قبل نزعها ان تُقطَع الغدة اولاً بالمقصّ ثم تُستخرَج الابرة وبعد ذلك يكمَّد الموضع بالمآء الصِرف او المحمَّض بالخلّ او محلول اسيتات الرصاص او سائل الامونياك . ولسع هذه الحشرات لا خوف منهُ على حياة الملسوع الااذا كثر وهو شديد الالم ويحدث عنهُ ورمٌ مستديرٌ جاسٍ وحمرة التهابية الا انهُ محدود الامتداد . واما لسعة العقرب فتُحدِث اولاً التهاباً موضعياً يصحبهُ ورمٌ عظيم ويعقبها حمى وقيء واضطرابٌ عامٌ في الجسم وعرقٌ غزير فتعالج هذه الاعراض بالامونياك من الداخل والخارج وبالمكمّدات المحلّلة للاورام . ومن الناس من يعالجها بزيت العقرب .وهو علاجٌ قديم وصِفَتهُ ان تُنقَع العقرب في زيت الزيتون ويُحفظ هذا الزيت الى حين الاقتضآء ويقال انهُ من العلاجات النافعة والله اعلم

اسئلة واجوبتها

القاهرة — جآء في كلام احد الكتاب ان دخول أل على القسطنطينية غلط فانها من الاسمآء التي لا يدخل عليها حرف التعريف مثل مكة ومصر ودجلة وغيرها فما قولكم في ذلك مستفيد

الجواب — الصحيح ان القسطنطينية ونحوها لا تُستعمَل الا مقرونةً بأل ولا يجوز تجريدها منها الا في الضرورة وذلك انها موضوعةٌ في الاصل وضع الصفات لا وضع الاعلام اذ هي منسوبةٌ الى قسطنطين الملك فكأنهُ قيل المدينة القسطنطينية مثلاً ثم صارت علماً عليها . ومثلها الاسكندرية

والصالحية والعباسية والتوفيقية والمأمونية والمنوفية والشرقية وما جرى مجراها من الاسمآء المنسوبة . ويلحق بها كل ما قُصد بهِ في الاصل معناهُ الوضعي وصفاً كان كالقاهرة والمنصورة والمحصَّب والزوراء ام اسم جنس كالجزيرة والعقبة والقدس والحَرَم والمدينة . وبخلاف ذلك نحو مكة ومصر ودجلة لان هذه الاسمآء وما شاكلها وُضِعت من اصلها اعلاماً على الاماكن التي سميت بها ومثلها في اسمآء الناس نحو خالد ومسعود وعثمان وبكر واسد وصخر فانهُ يراد بها مجرَّد الدلالة على المسمَّين بها دون القصد الى معانيها الوضعية كما هو ظاهر . ولذلك لا تكون أل في هذه الاسمآء وامثالها الا زائدةً كما في الحَسَن والحارث والخليل ما لم يُقصَد ببعضها المدح أو الذمّ أو التفآؤل فتدخل عليها أل للمح المعنى الوضعيّ فيها وحينئذٍ يكون استعمالها كذلك من قبيل التورية

ويلحق بما ذُكر ألقاب الأُسَر من نحو الحدّاد والخياط والنجار والكاتب والتاجر والحمصي والحموي وغيرها فان أل لازمةٌ لها لانها وُضِعت في اصلها وضع الصفات لتحقق معانيها فيمن أُطلقت عليهِ اولاً ثم غلبت على اصحابها غلبة الاعلام ولزمت أُسَرهم من بعدهم بخلاف ما وُضع منها وضع العَلَم كفاضل وبشير وغيرها مما مرّ في اعلام الافراد. ولذلك لا بد في هذه الاسمآء من استصحاب أل حكايةً لاصل الوضع وان لم تكن معانيها مقصودةً في الحال

حيفا — قرأت في كلام بعض علمآء عصرنا مَن مراسلي مجلة الشرق

ان حيث تأتي حرف تعليل خلافاً لما ذكرتموهُ في لغة الجرائد من انها لا تكون الا ظرفاً للمكان وقد استشهد على ذلك بكلام لسيبويه في كتابهِ المشهور كقولهِ « فمن ذلك لفظ ستّ وانما اصلها سدس وانما دعاهم الى ذلك حيث كانت مما كثر استعمالهُ في كلامهم » اه . ولا يخفى ان ورود حيث على هذا الوجه في كلام مثل سيبويه مما يصعب نقضهُ فأرجو ان تفيدوني في ذلك رأيكم ولكم الفضل

احد المشتركين

الجواب — افضل ما نجيبكم بهِ على هذا السؤال ان نردكم الى ما ذكرنا في صدر مقالتنا « اغلاط المولدين » مما تجدون فيهِ تبصرةً تغني عن الاطالة في هذا الموضع . بيد أنّا لا بد ان نقول ان صاحبكم قد غفل في عبارة سيبويه عن امرٍ كان ينبغي ان يتفطن لهُ قبل استظهارهِ بورود حيث فيها حرفاً للتعليل . وذلك انكم اذا بحثتم في العبارة المذكورة لا تجدون فاعلاً لقولهِ « دعاهم » فقد كان الاولى أن يجعل حيث حرفاً مصدرياً حتى تُسبَك مع الفعل الذي بعدها بمصدرٍ يكون هو فاعل الفعل المذكور . وحينئذٍ فهي مثل الواو في قول الآخر « فما راعها الا والحبّ جارٍ مجرى الدم في مفاصلها » فان الواو من قولهِ « والحبّ » ينبغي ان تكون مصدريةً ايضاً تُسبَك مع الخبر الذي بعدها بمصدرٍ هو فاعل « راعها » ولعل هذا اقل غرابةً من جعل فاعل راعها « ضمير الشأن » كما زعم وهي بدعة لم يقل بها احدٌ قبلهُ كما يمكن ان يستفيد ذلك من اصغر تلامذة المدارس

فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ١٩ —

الشفة المقلوبة

كان لي في لندن صديق عرفتهُ لان زوجتهُ كانت رصيفة زوجتي في المدرسة وكان استاذاً في كلية القديس جورج واسمهُ هويتني . وحدث ان قرأ يوماً عن فعل الافيون والحالة التي يشعر بها من يتعاطاهُ فاراد ان يختبر ذلك في نفسهِ فابتدأ بوضع بعض نقط لودنم على التبغ الذي يدخنهُ وما عتم ان الف هذه العادة ووجد كما وجد غيرهُ ان الدخول من باب هذه العادة يسير جدًّا ولكن الخروج عسير . وقضى سنوات عديدة مستعبداً لهذه العادة القتالة فكنت تراهُ في اكثر اوقاتهِ مصفرّ اللون مرخى الجفون وقد جثم على كرسيٍّ بحالةٍ مزرية لا نسبة بينها وبين حالتهِ الاولى الشريفة

وحدث ذات ليلة من شهر يونيو سنة ٨٩ انني عند ما دخلت لانام سمعت جرس الباب يقرع بعنف ثم سمعت باب المنزل قد فتح وتبودلت بعض كلمات تبعها وقع اقدام وبعد ذلك فتح باب الغرفة ودخلت منهُ سيدة بلباس اسود وقد سدلت على وجهها نقاباً اسود فقالت ارجو المعذرة لقدومي في هذه الساعة المتأخرة . ثم وقع نظرها على زوجتي فاسرعت اليها وطوقت عنقها بذراعيها وهي تنتحب وقالت انني سيئة البخت يا عزيزتي وارجو مساعدتكم . فاستغربت زوجتي ذلك ورفعت نقاب المرأة فعرفتها انها صديقتها زوجة هويتني فقالت لها ما بالكِ يا كتي فقد هالني امركِ .

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

فاجابت اني يا عزيزتي في منتهى اليأس وقد اتيت اليكِ بل الى زوجكِ الدكتور وطسن راجية ارشادهُ ومساعدتهُ . وكانت قد سبقت فجآءت مراراً تستشيرني في امر زوجها وعادة الافيون فخطر لي انها انما قدمت الآن لمثل ذلك . اما هي فاردفت حديثها بقولها اتيت لاخبركم عن زوجي هويتني فانهُ غاب عن المنزل منذ يومين ولم يعد وانا في قلق عظيم وقد عرفت مؤخراً انهُ يختلف احياناً الى قهوة حشيش دنيئة في طرف البلدة ويعود منها منهوك القوى غائب الرشد . ولا يبعد ان يكون غيابهُ في ذلك المكان الملعون ولكنني لا استطيع ان اذهب للبحث عنهُ في ذلك الجحيم وانتشلهُ من بين الاوباش المحيطين بهِ . وادركتُ للحال ما يجب ان افعلهُ وكنت في اثنآء معالجتي لهويتني قد اكتسبت بعض السطوة عليهِ فوعدتها ان اذهب بنفسي واركبهُ عربة توصلهُ الى بيتهِ . وبعد بضع دقائق كنت في عربةٍ اقلّتني الى المكان المذكور وانا لا اعلم ما ثمَّ من امور الغيب . ولما بلغت القهوة امرت السائق ان ينتظرني ودخلت بعد صعودي في سلم صغير قد تكسرت درجاتهُ الحجرية الى دهليز منحدر اوصلني الى باب كهفٍ فتحتهُ فرأيت ورآءهُ غرفة واسعة ولكنها تكاد تكون مظلمة لما انتشر فيها من دخان الافيون والحشيش المتلبد في فضآئها فضلاً عن الرائحة القتالة المنبعثة منهُ . ولما أَلفت عيني المنظر رأيت الاشخاص او بالحري الاشباح المتوسدين الارض ومناظرهم تقشعرّ لها الابدان فمنهم من فقدوا الحركة كالاموات وغيرهم لا يظهر من حركتهم الا تألق نار اللفائف وهم يمتصون سمها المحترق وبعضهم يتكلمون همساً بضع كلمات ويعودون الى سكوتهم. ورايت في اقصى الغرفة مستوقداً تشتعل فيهِ النار والى جانبهِ كرسي صغير عليهِ رجل طويل القامة رقيق الجسم قد اسند ذراعيهِ الى ركبتهِ ووجههُ الى راحتيهِ وهو يتأمل في النار . ثم جآءني فتى اسمر اللون هندي وفي يدهِ الغليون فقدمهُ لي واشار الى كرسي بجانبي فقلت لهُ اشكرك يا هذا ولكنني لم آتِ لاجلس بل لي صديق هنا يدعى هويتني اود ان اكلمهُ . فنظر الفتى الى يميني وسمعت من تلك الجهة حركة خفيفة فحولت نظري فرأيت هويتني بنفسهِ وهو اصفر اللون مهزول الجسم منفوش الشعر

وقد حدّق ببصرهِ اليَّ ثم قال آه يا الهي هذا وطسن . ثم اجتهد في لمّ نفسهِ وقال كم تبلغ الساعة الآن يا عزيزي وطسن . قلت انها الساعة الحادية عشرة . قال وما هو اليوم . قلت الجمعة ١٩ يونيو . فقال يا رباهُ انا اظنهُ الاربعاء بل اؤكد ان اليوم الاربعاء فلماذا تغشني وتخيفني . ثم ستر وجههُ براحتيهِ وجعل ينتحب . فقلت لهُ ان اليوم هو الجمعة كما اعلمتك وزوجتك في اشد القلق لغيابك هذين اليومين أفلا تخجل من نفسك يا هذا . قال بلى ولكنك واهم يا وطسن فانني لم ادخل الى هنا الا من حصة وجيزة ولم ادخن الا ثلاث او اربع لفائف ولكن على كل حال سأذهب معك لكي لا اقلق زوجتي . هات يدك . هل يوجد عربة . قلت نعم وهي بانتظارنا . قال لكن يجب ان ادفع ما يطلب مني وانا الآن لا اقدر ان اجمع فكري فهل لك يا عزيزي وطسن ان تسدد حسابي . فتركتهُ وسرت بين صفين من النيام وقد حبست نَفَسي تخلصاً من تلك الرائحة السامة . وكانت طريقي قرب المستوقد فلما بلغت الرجل الضعيف الجالس بجانبهِ شعرت انهُ جذب ثوبي وقال هامساً اذا تجاوزتني فانظر الى ورآئك . فاستغربت مخاطبتهُ لي بهذا الكلام والتفتُّ اليهِ وللحال كدت اصبح كمن مسهُ جنون لانني عند قدومي كنت رأيتهُ شيخاً مجعد الوجه اصفر اللون وقد تدلى غليون الحشيش بين رجليهِ كأن قواهُ لم تعد تستطيع حملهُ فلما كلمني رأيت نفس ذاك الشيخ قد عاد فتىً وعيناهُ الغائرتان قد عادتا الى لمعانهما الحادّ وذلك المجهول عندي قد صار اقرب الناس اليَّ واعزّهم وهو شرلوك هولمز . فاشار اليَّ ان اقترب منهُ ففعلت وقلت يا عزيزي شرلوك ماذا تفعل هنا . فقال اخفض صوتك واياك ان يلحظ احد بل اسرع وارسل صديقك الى بيتهِ وابعث بتذكرةٍ الى زوجتك كي لا تقلق لغيابك وانتظرني خارجاً فانني اتبعك بعد خمس دقائق وسأحتاج اليك الليلة . وكانت كلمات صديقي دائماً مختصرة واوامرهُ لا تحتمل المراجعة فاسرعت ودفعت حساب هويتني ثم قدتهُ الى العربة واوصيت السائق ان يوصلهُ الى منزلهِ وبعثت برسالة الى زوجتي اعلمها سبب غيابي . ولم انتظر الا قليلاً حتى رأيت ذلك الحشاش الهرم قد صار بجانبي فسرنا معاً حتى قطعنا

شارعين ولما بلغنا الشارع الثالث نفض عنهُ آثار الكبر وقوَّم قامتهُ ونظر اليَّ ضاحكاً وقال اظنك يا وطسن تعتقد انني الفت عادة الافيون فوق ما بي من العيوب . قلت الحق يقال ان وجودك في هذا الجحيم العالمي غريب . قال وقد استغربت انا ايضاً وجودك فيهِ . قلت اما انا فقد جئت للبحث عن صديق . قال وانا جئت للبحث عن عدوّ . اجل انهُ لعدوّ مخيف واعلم يا وطسن انني لو عُرفت داخل ذلك المكان لما بقيت حيًّا دقيقة واحدة ولكنهم مع مهارتهم لم يعرفوني مع اني دخلت المكان وخرجت منهُ مراراً . وقد علمت ان داخل تلك المغارة يتصل بباب سرّي يقود الى مينا القديس بولس وهو المكان الذي لو نطق لاخبرنا بتواريخ عجيبة . قلت وهل تعني الجثث التي كانت توجد طافية في ذلك المرفأ . قال نعم فانها كانت تصير جثثاً حال دخولها من تلك القهوة الى الباب السري الذي يقود الى حيث ترتكب افظع الجرائم ويغلب على ظني ان صديقنا نيڤيل سانت كلار قد دخل من ذلك الباب ولكن يعود . اما نحن فبابنا السرّي هنا . ولما قال ذلك وضع اصابعهُ في فيهِ وصفر شديداً فعلمت ان تلك علامة متفق عليها وللحال سمعنا صفيراً نظيرهُ ثم صوت عجلات ووقع حوافر واذا بعربة قد صارت امامنا وانارت مصابيحها ظلمة الليل . فقال شرلوك هل لك ان ترافقني . قلت نعم اذا كنت نافعاً لك . قال الصديق الامين ومدوّن التاريخ ينفعني في كل حين وعندي في مدينة لي غرفة جميلة وسرير مزدوج ننام فيهِ معاً براحة . فقلت مستغرباً وهل انتقلت انت الى لي وتركت لندن . قال كلا بل انا هناك الى حين في منزل سانت كلار حيث اقوم بالتحقيق الحالي وهو على بعد سبعة اميال من هنا . ولكنك لا تعلم شيئاً عن ذلك فاصعد الى المركبة ثم صعد هو ايضاً وقال للخادم بعد ان نقدهُ قبضة من الدراهم انصرف يا جون فلا حاجة بنا اليك الليلة وقابلني غداً عند الساعة الحادية عشرة . ثم اخذ السوط فضرب جواد المركبة فاندفع بنا بين شوارع مقفرة ضيقة صارت تتسع في تقدمنا الى ان بلغنا الخلاء . وكان شرلوك صامتاً مفكراً ولعلمي باطوارهِ لم اكلمهُ قط مع اني كنت في منتهى الشوق لسماع حديثهِ وبعد ان اجتزنا عدة اميال انتفض فجأةً وهز كتفيهِ

ثم اشعل غليونهُ وقد دلت هيئتهُ على انهُ مسرور من نتيجةٍ وفق اليها . ثم قال لي ان لك يا وطسن موهبة صمت غريبة وقد اعجبتني بسكوتك هذه المسافة اما انا فكنت افكر في ماذا اقول الليلة لتلك الزوجة المسكينة عند ما تقابلني على الباب . قلت لا تنسَ انني لا اعلم شيئاً من ذلك . قال نعم وساخبرك فامامي معمًّى غريب ولديَّ مفاتيحهُ ولكنني لا استطيع القبض عليها وساتلو عليك الامر لعلك تنبهني الى ما يفيد فاسمع

انهُ في شهر مايو سنة ١٨٨٤ اتى الى مدينة لي رجل يدعى نيفيل سانت كلار وظهر عليهِ انهُ مثرٍ فاخذ قصراً كبيراً واصلحهُ وسكن فيهِ وعاش عيشة شريفة . ثم جعل يصاحب الجيران شيئاً فشيئاً الى سنة ٨٧ حين اقترن بابنة تاجر من تلك البلدة ورُزق منها ولدين . ولم يكن للرجل عمل خاص بل ظهر ان لهُ اسهماً في شركات عديدة وكان يذهب يوميًّا الى لندن في الصباح ويعود في قطار الساعة الخامسة . والرجل يبلغ السابعة والثلاثين من عمرهِ اما طباعهُ فحسنة وتصرفهُ في بيتهِ على غاية الاعتدال وهو محب لبنيهِ لطيف مع معارفهِ وليس عليهِ من الدين على ما علمنا حتى الآن الا مطاليب قليلة لا تتعدى ٨٨ ليرة ولهُ في البنك من الفوائض المستحقة التي لم يقبضها ٢٢٠ ليرة . وبناءً عليهِ فلا تكون علاقة للاسباب المالية فيما جرى . فلما كان يوم الاثنين الماضي ذهب الى لندن ابكر من العادة وقد قال ان لديهِ اشغالاً يودّ قضاءها ووعد انهُ سيحضر معهُ الى ابنهِ صندوق لُعَب . واتفق انهُ بعد سفر الرجل بقليل وصلت رسالة برقية الى زوجتهِ من وكيل شحن في مدينة لندن يقول فيها ان صندوق بضاعة ثمينة كانت قد طلبتها من الخارج وصل ويكلفها ان تحضر لاستلامهِ . فبعد ان تناولت الغداء ركبت القطار وتوجهت الى لندن فقضت بعض الاشغال ثم توجهت الى وكيل الشحن ومركزهُ في نفس الشارع الذي وجدتني فيهِ الليلة . ولما اتمت عملها قصدت المحطة ومرّت في الشارع المذكور في الساعة الرابعة والنصف . وقد كان يوم الاثنين الماضي يوماً حارًّا فكانت مسس سانت كلار تسير الهوينى وهي تنتظر ان تلتقي بعربة فارغة تقلها الى المحطة . وبينما

هي سائرة قرب المكان الذي التقينا فيهِ سمعت صراخاً فنظرت واذا زوجها يدعوها من نافذة في الطبقة الثانية في منزل على الشارع . وقد كانت النافذة مفتوحة ورأت وجههُ بوضوح وكما قالت انهُ كان في تهيج عظيم وكان يشير اليها بيدهِ بحركة جنونية ثم اختفى فجأةً من النافذة كأن احداً دفعهُ من الداخل . واعتقدت المسكينة انهُ لا بد من وجود خطر على زوجها فاسرعت الخطى و بلغت السلم لان البيت المذكور لم يكن الا قهوة الحشيش التي رأيتني فيها الليلة . فاجتازت المدخل الاول وعزمت ان تصعد في السلم المؤدية الى الطبقة العلوية فعرض لها رجل يدعى لاسكار ورفيق لهُ دنمركي الاصل فدفعاها الى الورآء وطرداها الى الشارع . فاسرعت كالمجنونة حتى بلغت شارع فرسنو فصادفت احد رجال الشحنة ومعهُ عدد من الشرطة فطلبت مساعدتهم . ولما علموا بامرها تبعها الشحني وشرطيان وحاول صاحب المنزل ان يمنع دخولهم ولكنهم تمكنوا من الدخول جبراً الى الغرفة التي كانت مسس كلار قد رأت زوجها فيها فلم يجدوا فيها سوى رجل مقعد تدل هيئتهُ على شرهِ ولدى سؤالهِ اقسم هو ولاسكار المذكور انهما لم يريا سانت كلار في تلك الغرفة وانهُ لم يدخل اليها احد في ذلك النهار . واقتنع الشحني بكلامهما حتى انهُ عزم على الخروج معتقداً ان السيدة عرض لها ضرب من الوهم . ولكنهُ ما عتم ان رأى السيدة المذكورة قد وثبت الى صندوق على المائدة ففتحتهُ فاذا ضمنهُ اللُعب التي وعد زوجها ان يحضرها لابنهِ في في المسآء . فكان ظهور هذا الصندوق مع مابدا على وجه الرجل المقعد من الارتباك مما جعل الشحني يعتقد ان في الامر سرًّا ذا بال فجعل يبحث في المنزل وكانت الدلائل تزداد على حدوث جناية فظيعة . وكانت الغرفة الاولى الامامية كغرفة استقبال ومنها باب يوصل الى غرفة صغيرة للنوم ولها نافذة تطل على النهر و بين هذه الغرفة والنهر علامة خشبية تجف عند جزر النهر وتبتل عند مدهِ الى علو اربع اقدام ونصف . وكانت نافذة غرفة النوم كبيرة وتفتح من اسفلها وعند البحث وجد الشحني آثار دم على خشب النافذة ثم قطرات دم اخرى متفرقة في ارض الغرفة . ثم عثر ورآء بعض الستائر على ثياب المستر نيفيل سانت كلار كلها حتى حذآئهِ وقبعتهِ وساعتهِ

ما عدا السترة فانها كانت مفقودة ولم يكن في ملابسهِ ما يدل على حصول عراك او عنف . وغير ذلك لم يوجد شيء من آثار المستر سانت كلار فيظهر انهُ رُمي بهِ من النافذة لانهُ لا مخرج سواها وقد ظهر من قطرات الدم ما يؤيد ذلك وان الرجل لم يكن في امكانهِ ان يخلص نفسهُ بالسباحة لان المدّ كان في معظم ارتفاعهِ وقت حصول تلك المأساة . اما الرجلان فظهر من انكارهما السابق ثم الادلة التي بدت ان لهما يداً في العمل . وكان لاسكار مشهوراً بسوء اعمالهِ ولكن تقرير مسس سانت كلار انها رأتهُ في اسفل السلم بعد ان رأت زوجها ببضع ثوانٍ يظهر انهُ ليس الفاعل بل المساعد . ولدى سؤالهِ عن الرجل المفقود اظهر تمام التجاهل وسئل عن الرجل المقعد الساكن عندهُ فقال انهُ ليس مسؤولاً عن اعمالهِ وانهُ لا يعلم ما يصنع لانهُ منفردٌ عنهُ في غرفتهِ . واما الثياب المخبوءة وراء الستائر فلم يعلم عنها شيئاً

وكان الرجل المقعد يسكن في الطبقة الثانية من ذلك المنزل ولا شك انهُ هو آخر من رأى المستر سانت كلار ويدعى ذلك الرجل بون . اما هيئتهُ ففظيعة ووجههُ مخيف وهو مستعطٍ يخشى ان تقبض عليه الشرطة فكان يبيع علب الثقاب في الشوارع مستنداً على عكازهِ وكان مركزهُ على الغالب في منعطف في طرف الشارع حيث يجلس على مقعد حجري ويضع علب الثقاب امامهُ فلا يكاد يمر انسان من تلك الجهة الا ويراهُ فيتحنن عليهِ ويلقي في يدهِ شيئاً من النقود . وقد رأيتهُ مراراً عديدة في مروري من ذلك المكان قبل ان انتبه اليهِ او الى صناعتهِ ولكن من رآهُ مرة واحدة لا ينساهُ ابداً فشعرهُ برتقالي اللون ووجههُ مصفرّ فيهِ اثر جرح قد امتدّ الى شفتهِ العليا فانقلبت الى الاعلى ولهُ لحية عريضة وعينان سوداوان حادّتا النظر جدًّا يستغرب وجودهما مع شعرهِ المحمرّ

ولنرجع الى حديثنا . فلما رأت مسس سانت كلار آثار الدم أُغمي عليها فامر الشرطي ان تنقل في عربة الى منزلها لان وجودها لا يفيد شيئاً في البحث . ثم عاد الشحني الى متابعة الفحص فلم يجد في المنزل ولا في جوارهِ ما يلقي اقل نور على هذه الغوامض غير انهم لما قبضوا على المقعد راوا على كم قميصهِ الايمن بعض نقط دم فاراهم اصبع

اليد الثانية مجروحة وقال ان الدم من هذا الجرح وانهُ توجه الى النافذة واستند اليها وما رأوهُ عليها وفي ارض الغرفة من الدم لم يكن الا من الجرح المذكور . وقد انكر بتاتاً انهُ يعرف سانت كلار كما انكر ما ذكرتهُ المرأة من انها رأت زوجها من النافذة . واما وجود ثياب الرجل في تلك الغرفة فسرٌّ لا يدركهُ اكثر مما يدركهُ رجال الشحنة

ولما نقلوهُ الى دار الشحنة بقي الشرطي ينتظر هبوط المياه وجزرها لعلهُ يكتشف شيئاً جديداً . فلما انتهى الجزر وجدوا على رمال النهر لكن لا جثة نيقيل سانت كلار بل سترتهُ المفقودة . واغرب من ذلك انهم عند ما فحصوها وجدوا في جيوبها مبلغاً من البنسات وانصاف البنسات ولما عدوها وجدوا مجموعها اربعمئة وواحداً وعشرين بنساً ومئتين وسبعين قطعة من انصاف البنس . فالظاهر ان المسكين الذي في الماء عرياناً ولما علم المقعد ان زوجة سانت كلار ذهبت تستدعي الشرطة اراد التخلص من الثياب وعلم انهُ لو القاها الى النهر لا تغرق فعمد الى حيث خزن القطع التي يجمعها من بيع الثقاب فملأ جيوب السترة والقاها من النافذة وقبل ان يتمكن من عمل مثل ذلك ببقية الثياب كانت الزوجة قد عادت برجال الشحنة . وعلى كلٍ يجب ان نفترض ذلك الى ان نرى وجهاً آخر . ولما أُخذ بون الى دار الشحنة لم يظهر ان لهُ اقل سابقة تشين سلوكهُ بل كان معروفاً من سنوات انهُ مستعطٍ يعيش من بيع الثقاب واحسان المارة وان عيشتهُ بسيطة هادئة . بقي علينا ان نعلم ماذا كان يفعل سانت كلار في ذلك المنزل وماذا جرى لهُ فيهِ واين هو الان واي علاقة بين اختفائهِ والمقعد بون . حقاً يا وطسن ان الحادثة في منتهى الغرابة ولم ارَ ما يضاهيها في جميع الحوادث التي بدأت ببساطة نظيرها

و بعد ان عاد شرلوك الى سكوتهِ والعربة تسرع بنا راينا عن بعد منزلاً فخماً وسط حديقة غناء ورأينا نوراً بين اشجارها فقال شرلوك هوذا منزل الرجل ولا شك ان تلك المرأة المسكينة قد سمعت صوت المركبة فهي بالانتظار. قلت ولمَ لم تشتغل بهذه القضية في منزلك بشارع باكر كعادتك وآثرت المجيء الى هنا . قال لانهُ لا بد من الحصول على بعض افادات هنا وقد سمحت لي السيدة مسس كلار

بغرفتين وكنت اودّ ان لا اواجهها الآن لانني لا استطيع ان افيدها شيئاً عن زوجها. وبلغت العربة المكان فوقفنا وجآء خادم اخذ الجواد فترجلنا واذا بالباب قد فتح وخرجت منهُ فتاة بيضآء اللون مرتدية ثوباً من الحرير الابيض اما جسمها وجمالها فمما لا استطيع ان افيهُ حق الوصف . ولما رأت شرلوك وبصحبتهِ شخص آخر ظنتهُ زوجها فهجمت كالمأخوذة ولكنها ماعتمت ان رأت خطأها فوقفت فجأةً وتنهدت تنهداً كسر قلبي . فقال شرلوك هذا صديقي الدكتور وطسن فقد كان عضدي في عدة مسائل مهمة وقد ساقتني التقادير الى مقابلتهِ فاحضرتهُ معي لنتشارك في عملنا الحالي . ولما دخلنا وجلسنا نظرت السيدة الى شرلوك وقالت لهُ ما ورآءك . قال لا شيء . قالت لا تظن يا مولاي انني عصبية المزاج تؤثر فيَّ الاخبار مهما كانت ولذلك ارغب اليك ان تجيبني بمنتهى الصراحة كما تخاطب رجلاً نظيرك فهل تعتقد الاعتقاد التام ان زوجي نيفيل حيّ . ولما ظهرت على شرلوك علامات الارتباك ولم يجب قالت استحلفك بشرفك ان تتكلم بما يوحيهِ ضميرك . فقال اذاً اقول لكِ بكل حرية يا مولاتي انني لا اعتقد ذلك . قالت وهل تظن انهُ مات . قال هذا ما ارجحهُ . قالت وفي اي يوم كان موتهُ . قال يوم الاثنين . فجحظت عيناها وقالت اسألك اذاً ان تفسر لي كيف وصلتني هذه الرسالة منهُ اليوم . وما سمع شرلوك ذلك حتى وثب عن كرسيهِ كانهُ بفعل الكهربائية وقال ماذا تقولين . فتبسمت وقالت نعم في هذا النهار اوصل لي البريد منهُ هذه الرسالة وها هي . فاخذها شرلوك بلهفة في يدهِ ووقفتُ بجانبهِ فوجدنا الغلاف صفيقاً وعليهِ طابع بريد جرافساند وقد وُسم بتاريخ ذلك اليوم . وبعد ان قرأ شرلوك العنوان قال هذا الخط الغليظ ليس خط زوجك . قالت كلا بل الرسالة نفسها بخطهِ . قال ويظهر ان الذي ارسل الرسالة ذهب الى محل آخر ليكتب العنوان لان الاسم لا يزال حبرهُ اسود مما يدل على انهُ جفّ لنفسهِ مع ان بقية العنوان بحبرٍ اقل سواداً مما يدل انهُ كُتب ونشف بالورق النشاف . ثم نظر في الرسالة فقال وهل انتِ متحققة ان هذا هو خطهُ . قالت نعم . فقرأ شرلوك ما يأتي — « عزيزتي الوحيدة . لا يخيفك غيابي فالنهاية

حسنة . اما غيابي فلسوء فهم لا بد من اصلاحهِ قريباً فانتظري بصبر . نيفيل » —
ثم قلَّب شرلوك الرسالة في يدهِ وقال الورق مقطوع من دفتر والكتابة بالقلم الرصاص
وقد وُضع في البريد بتاريخ اليوم الذي نحن فيه فان كنت يا سيدتي متيقنة ان هذا الخط
هو خط زوجك فهو حيٌّ يرزق ما لم يكن في الامر سرٌّ يفوق ادراك البشر . قالت
انني شاعرة بانهُ لا يزال حيًّا . فقال شرلوك قد علمنا مما مضى ان زوجكِ لم يقل
شيئاً عن غيابهِ عند خروجهِ من البيت وانكِ نظرتهِ في النافذة وانهُ اشار بيدهِ ثم
اختفى عنكِ وانهُ لم يعتد تدخين الافيون فما الذي اوصلهُ الى ذلك المنزل يا ترى.
ولكن مهما يكن فلا بد لنا من ترك البحث في هذا الامر الى الغد

ثم قمنا لتناول العشآء و بعد ذلك دخلنا غرفة كبيرة فيها سريران فخلع شرلوك
ثيابهُ وجلس على كرسيٍّ وقد وضع امامهُ كمية من التبغ فعلمت انهُ لن ينام في
تلك الليلة كما هو شأنهُ اذا كان لديهِ معمًّى ولم يستطع حلهُ . اما انا فكان قد ادركني
التعب والنعاس فنمت حالاً الى الصباح ولما استيقظت وجدتهُ لا يزال كما كان .
فنظر اليَّ وقال هيا بنا يا وطسن و بينما ترتدي ثيابك اكون احضرت العربة بنفسي
لان الخدم لم يستيقظوا بعد . فنظرت الى ساعتي واذا بها النصف بعد الرابعة . ولم
اكد اتمُّ لبسي حتى عاد بالعربة وهو يتبسم وقد رأيتهُ مشرق الوجه بعكس ما كان
عليهِ امس فقال ربما تعتقد يا وطسن انني قد فقدت عقلي اما انا فاظن انني تمكنت
من كشف القناع عن هذا الحادث وقد وجدت برهاني في غرفة الحمَّام وهو الآن
في حقيبتي هذه . ولما قال ذلك خرجنا فركبنا العربة والهب ظهر الجواد بسوطهِ فجعل
يعدو بنا بسرعة البرق وكان شرلوك يتبسم وهو يقول اجل قد كنت اعمى عن
حقيقة واضحة فما احرى الانسان ان لا يهمل شيئاً مما يراهُ . ولم نزل سائرين حتى
بلغنا لندن وتوجهنا توًّا الى دار الشحنة ولما دخلنا سأل شرلوك عن الضابط ولما
عرف اسمهُ طلب مقابلتهُ فقابلهُ هذا بسرور وسألهُ عن حاجتهِ فقال شرلوك اتيت
لاسألك عن المستعطي بون المتهم في قضية اختفآء المستر سانت كلار . فقال الضابط
نعم قد حبسناهُ هنا لاتمام التحقيق وهو على ما يظهر رجل بسيط سكوت ولكنهُ قذر

للغاية قد تشمئزّ من منظره وقد اجتهدنا كثيراً ان نحمله على غسل وجهه ويديه فامتنع . فقال شرلوك كنت اود جدًّا ان اواجهه . فقال الضابط لا اسهل من ذلك فدع حقيبتك هنا واتبعني . قال بل اوثر ان آخذها معي . ثم سار الضابط امامنا وتبعناه حتى بلغ غرفة السجين ففتح بابها ودخلنا فوجدنا الرجل نائماً . فقال الضابط ارايتم كم هو قذر حتى يكاد الوسخ يخفي لونه . فتبسم شرلوك وقال قد علمت هذا ولذلك احضرت له في حقيبتي هذه ما يلزم لتنظيفه . ثم فتح الحقيبة واخرج منها اسفنجة كبيرة جدًّا فبلها بالماء واقترب امامنا من الرجل النائم وبخفة زائدة مسح وجهه بعنف ثم التفت الينا فقال يا عزيزي وطسن ويا حضرة الضابط اسمحا لي ان اقدم لكما المستر نيفيل سانت كلار

فلم اعجب في كل حياتي وما صادفني فيها كما عجبت عند ما رأيت ان ذاك المقعد السجين القذر الاسود اللون الاشقر الشعر قد تحول فجأةً تحت يد شرلوك هولمز الى رجل شريف الهيئة اسود الشعر ابيض الوجه وقد زال منه اثر الجرح وانقلاب الشفة . واستيقظ الرجل فنظر الينا مبهوتاً ولما رأى نفسه قد انكشفت هيئته خرّ بوجهه الى الارض وجعل ينتحب . فقال الضابط يا لله ان هذا هو بالحقيقة نفس الرجل المفقود كما تدل صورته وقد قضيت سبعاً وعشرين سنة في خدمتي بين المسجونين فلم ارَ اغرب من هذا الامر . وهدأ الرجل روعه فقال نعم انا هو نيفيل ولكن هل ارتكبت جرماً حتى تسجنوني . فقال شرلوك انك لم ترتكب جريمة ولكن كان يجب على الاقل ان تطلع زوجتك على سرك هذا . فقال الرجل بحزن لا تهمني زوجتي بقدر ما يهمني اولادي فانني لا اريد ان يخجلوا بابيهم فآه آه ماذا افعل الآن . فعمد شرلوك الى ملاطفته وقال ان امرك اذا اتصل بالمحكمة لا يعود في امكانك تلافي الفضيحة ولكني انصح لك ان تطلعنا على سرك فاذا لم يكن فيه شيء يخالف العدالة فانا اضمن لك ان حضرة الضابط يكتمه . فقال نيفيل اشكرك يا مولاي فقد كنت افضل السجن بل الموت على ان اجعل سرّ حياتي لطخة سوداء في اعين اولادي واليكم قصتي

كان والدي استاذاً في مدرسة شسترفيلد حيث تربيت انا ولما شببت سافرت واشتغلت بالتمثيل في الملاعب ثم صرت منشئاً لجريدة . واراد يوماً صاحب الجريدة ان يكتب شيئاً عن المستعطين في العاصمة فتطوعت لذلك واردت ان اختبر بنفسي ما سأكتب عنهم وكنت قد اتقنت على ملعب التمثيل طريقة تغيير هيئتي بان اضع على رأسي وفرة من الشعر البرتقالي اللون واصبغ وجهي بلون قذر واظهر فيه علامة الجرح وانقلاب الشفة العليا فكنت افعل ذلك واقف في نقطة من الشارع المأهول مدة سبع ساعات . ولما رجعت الى منزلي اول ليلة وجدت انني قد جمعت من الاستعطآء لا اقل من ستة وعشرين شليناً . ثم كتبت مقالتي الاولى في الجريدة فكان لها وقع عظيم .واتفق بعد ذلك ان ضمنت صديقاً على قيمة ٣٥ ليرة ولم يدفعها فطالبني الدائن ولم يكن عندي ما ادفع فحرت في امري ثم خطر لي امر الاستعطآء فطلبت من الدائن مهلة اسبوعين كنت في أثنآئهما ابدل هيئتي كما ذكر واستعطي فلم يمض عليَّ عشرة أيام حتى جمعت القيمة وسددت الحساب . أما دخلي من شغلي فلم يكن اكثر من ليرتين في الاسبوع فسئمت ذلك العمل ولا سيما عند ما رأيت انهُ يمكنني بالاستعطآء أن أربح مثل هذا المبلغ في يوم واحد بمجرد تغيير هيئتي قليلاً . وقد نازعت ضميري كثيراً بين شرف نفسي وهذه الصناعة الدنيئة ولكن حب المال غلب اخيراً فتركت الجريدة وعمدت الى هذه الصناعة ولم يعلم احد قط بامري الا رجل يدعى لاسكار صاحب قهوة حشيش اجرني غرفة عندهُ . فكنت آتيه في الصباح واخرج من غرفتي عندهُ مستعطياً ثم اعود في المسآء فاغسل وجهي واعود الى حالتي وكنت ادفع لهُ اجرة كافية تضمن لي انهُ يحفظ سري . ومرت بي الايام وما اتظاهر بهِ من تلك الحالة يستدعي شفقة الناس عليَّ فتنهال عليَّ الصدقات وكان اقل معدل ما اجمعهُ سنوياً سبعمئة ليرة لانهُ لم يتفق ان اجمع يوماً اقل من ليرتين . وكنت كلما زادت ثروتي يزيد طمعي فابتعت منزلي الحالي وتزوجت ولم يسأل احدٌ عن مهنتي او عملي اما زوجتي فقد علمت ان شغلي في لندن ولم تعرف ما هو . ويوم الاثنين الماضي بعد ان فرغت من عمل النهار ذهبت الى غرفتي لأغير هيئة

الاستعطآء واعود الى منزلي ونظرت من النافذة فرأيت زوجتي فحملني الاستغراب على ان صحت صياح التعجب ورفعت ذراعيّ لاستر وجهي واسرعت الى داخل الغرفة وقد سألت لاسكار ان يمنع ايًّا كان من الدخول عليّ . ثم سمعت صوت زوجتي في اسفل السلم وخشيت ان تصعد فعدت الى زيّ الاستعطآء لاخفي هيئتي حتى على عين الزوجة . ولما خفت ان تنمّ ثيابي عليّ اخذت سترتي واسرعت الى النافذة ولمحاولتي فتحها بعنف علقت اصبعي في زجاجها فجرحت والقيت السترة الى النهر وكانت جيوبها ملأى بدخل نهاري فغرقت للحال . وكنت مزمعاً ان اتبعها ببقية ثيابي غير انني سمعت وقع اقدام رجال الشحنة ولما دخلوا الغرفة فبدلاً ان يعرفوني مع زوجتي انني نيفيل سانت كلار قبضوا عليّ كقاتلهِ . هذا هو حديثي بتمامهِ .وكنت اود ان ابقى متخفياً ما امكن ولهذا السبب لم اقبل ان اغسل وجهي وادركت ان زوجتي ستكون في اشد القلق فكتبت اليها تذكرة وسلمتها الى لاسكار في ساعة لم يرني فيها السجان وامرتهُ ان يرسلها اليها

فقال شرلوك ولكن الاستعطآء ممنوع في بلادنا افلم يعلم الشرطة باستعطآئك . قال بلى وقد امسكوني مراراً وغرّموني ولكن ماذا تهمني تلك الغرامة اليسيرة بازآء دخلي الجزيل . فقال الضابط قد عرفنا القصة بتمامها الآن فاذا كنت تريد ان لا يشيع هذا الامر فعليك ان تقف عند هذا الحد وان لا يظهر بعد الآن المستعطي بون . وانا اعدك انني اطمس هذه القضية في سجلاتنا في الوقت الحاضر اما اذا عدت الى هذه الصناعة فاعلم انهُ لا يصعب عليّ فتح السجل القديم . فقال الرجل وهو لا يصدق بالخلاص والكتمان اقسم لكم يا سادتي باعز الايمان انني لن اعود الى مثل ذلك ابداً . فنهضنا وتركناهُ وخرج معنا الضابط مودعاً وهو يثني على براعة شرلوك وذكائهِ

اغلاط المولدين

(تابع لما قبلَ)

وقال ابن خلدون

حتى انتحاني الكاشحون بسعيهم فصددتهم عني وكنتَ منيعي

اي كنت مانعاً لي وانما المنيع صفة مَن امتنع بنفسهِ من قولهم مَنُعَ بالضمّ مَناعةً اذا كان لا يُقدَر عليه . وقال ابن بقيّ من موشح

ايها الناس فؤادي شَغِفُ وهو من بغي الهوى لا ينصفُ

اراد بالشَغِف المشغوف وهو الذي اصاب الحبّ شغافهُ اي غلاف قلبهِ وكأَنهُ توهم الشَغَف مصدراً من باب تَعِبَ فبنى منهُ الوصف على شَغِف كما يقال كَلِف فهو كَلِف وانما الشَغَف مصدر شَغَفهُ بالفتح على حدّ الطَلَب من طَلَبَ وقد شُغِف الرجل على ما لم يُسمَّ فاعلهُ فهو مشغوف ولا يقال شَغِف . وقال المعرّي

ابا فلانٍ دعاك الله مقتدراً اخا المكارم وابنَ الصارم الخَلِسِ

قال الشارح الخَلِس الذي يختلس الارواح ولم يرد الخَلِس في شيءٍ من اللغة ولا يحتملهُ القياس في هذا الحرف . وقال ابن النحاس

تمشَّى الندى في حسن حالي فانجحت نجاحةَ جرحٍ في زواياهُ مرهمُ

اراد بالنجاحة مصدر نجح الثلاثيّ وصوابهُ نجاح بدون هاءٍ . لان وزن فَعالة مخصوصٌ ببابي كَرُمَ وعَلِمَ كظرافة وسلامة الا ما شذّ منهُ كشَفاعة وضَراعة . ومثلهُ قول القائل من القصيدة التي زعموا انهُ ادّعاها سبعون شاعراً

قال لي والدلال يعطف منهُ　　قامةً كالقضيبِ ذات لَيانَه

وانما يقال لانَ لِيناً ولَياناً ولم يُسمَع ليانة .　　وقال الوزير المهلَّبي

لقد ظفرَت والحمد لله منيتي　　بما كنت اهوى في الجهارة والنجوى

يريد بالجهارة الجَهْرَ خلاف السرّ وانما الجهارة بمعنى رفع الصوت وهي مصدر جَهُر الرجل بضمّ الهآء اذا كان كذلك .　　وقال ابن لطف الله

والفضل ما شهدت بهِ الـ　　اعدآءُ لا اهل الرَحامَه

يريد ذوو الرَحِم فعبَّر بالرحامة على توهم انها اسمٌ من هذا المعنى على حد القرابة مثلاً ولم يُسمَع الرَحامة الا من قولهم رَحُمَت الناقة وغيرها بالضم اذا اشتكت رحمها بعد الولادة .　　وقال المعرّي

مؤدَّب النفس اكّالٌ على سغبٍ　　لحمَ النوائب شرّابٌ بأنقاعِ

قولهُ شرّابٌ بأنقاع اراد بهِ قولهم في المثل هو شرّابٌ بأَنقُعٍ قال الزمخشري يُضرَب للمجرَّب شُبِّه بالطائر الذي يرد مناقع الفلوات ولا يرد المياه المعروفة خيفة القنّاص . قال الازهري والأَنقُع جمع النَقْع وهو كل مآءٍ مستنقع من عِدٍّ أو غدير اه . وقد تقدم ان فَعْلاً الساكن العين لا يُجمَع قياساً على افعال فضلاً عن ان العبارة مثلٌ والامثال لا تغيَّر عن مواردها .

ومثلهُ قول المرّار من مخضرَمي الدولتين

بِيض الخواصر بُدَّنٌ ابدانها　　رُجُح الروادف ضُمَّر الأَخصارِ

فجمع الخصر على اخصار والمنقول في جمعهِ خصور وهو القياس .　　وقال ابرهيم الانسي

كسرتَ قلبي بتكسير الجفون كما　　نصبتَ حالي لأسهام الجفا غرضا

وانما يُجمع السهم على اسهُم وسهام . وقال الجُنيد الدمشقي

تراهُ يصمص الأعظام جوعاً كأنّ اباهُ بغدادي زبيدي

فجمع العظم على أعظام . وقولهُ يصمص اراد المبالغة في المص كأنهُ بمعنى التكرار لهُ كما يقال صلصل السلاح مثلاً وانما المصمصة بمعنى المضمضة قال في اللسان وقيل الفرق بينهما ان المصمصة بطرف اللسان والمضمضة بالفم كلهِ وهذا شبيه بالفرق بين القبصة والقبضة . وقال ابن زكيّ الدين

وفتحك القلعة الشهبآء في صفرٍ مبشرٌ بفتوح القدس في رجبِ

اراد مبشرٌ بفتح القدس فعبّر بفتوح وانما هو جمع فتح لا مصدر فتَح . وعكسهُ قول الامير منجك

حاشا صدودك ان تُذَمّ فانما تحلو لديَّ وان أُسيغت علقما

فجعل الصدود جمعاً للصدّ وانما هو مصدرٌ آخر بمعناهُ وهذا كقول بعض كتابنا عبثت بهِ كرور الايام على ما تقدم لنا ذكرهُ في لغة الجرائد . وقال ابن التعاويذي

رزيئةٌ لو يعرف الصخرُ الاسى ذابَ بها او القِطارُ لجمَدْ

يريد بالقطار القطر وهو المطر وانما القِطار جمع قَطْر او قَطْرة مثل سهم وسِهام وصَحْفة وصِحاف . وعكسهُ قول ابن منجك

ذهب الشراع وضلّت الملاّحُ في جنح ليلٍ ما لذاك صباحُ

فاستعمل الملاّح جمعاً وكانهُ توهمهُ جمع مالح مثل عاقل وعُقّال وانما الملاّح مفرد وهو بفتح الميم على حدّ البحّار والجمّال . ومثلهُ قول الصفيّ الحلّي

او شواظاً للقرى رُفِعت تترآءى في ذُرَى كُثُبِ

انّث الشواظ وهو لهب النار على توهم انهُ جمع وانما هو مفرد مثل الدُخان والأُوار والشين تُضَمّ وتكسر . وقال عبد الرحمن العمادي

أثامٌ كُفيتُ اليوم بالترك شرّها ... لعلّي غداً في الحشر أُكفى شرارها

اراد بالاثام جمع الاثم ولذلك انث الضميرين بعدهُ وانما الاثام مفرد ويراد بهِ عقوبة الاثم واما جمع الاثم فهو آثام بالمدّ . وقال عبد الرحمن النقيب

من شرابٍ ظلت أَفاويَةُ العطر ... بهِ ذات نفحةٍ سيّارَه

اراد بالافاوية الأَفاويه مثال اقاويل لما يعالَج بهِ الطيب وهي جمع أَفواه جمع فُوه بالضم على حدّ ظُفر وأظفار واظافير فظن الهآء في آخرها للتأنيث مثلها في رفاهية وعلانية . ومن هذا قول ابي بكر الداني

ونحن من لُعَب الشطرنج في يدهِ ... وربما قُمرت بالبيذق الشاةُ

وانما هو الشاه بالهاء بمعنى الملك فجعلهُ بالتآء كانهُ مفرد الشياه وأَلحق بفعلهِ علامة التأنيث . وعكسهُ قول ابي تمام

احدى بني بكر بن عبد مَناهِ ... بين الكثيب الفرد فالأَمواهِ

يريد عبد مناة فأبدل من التآء هآءً كانهُ اعتبرها موقوفاً عليها لوقوعها في القافية وليس بشيء لان القوافي المطلقة بمنزلة الدَرْج . وقال ابن النحاس يذكر المشيب

وحاك في الرأس ضياهُ خيمةً ... ذات طنابَين الى الأَفوادِ

اراد ذات طُنبَين مثنى طُنب بالضم و بضمتين وهو الحبل تُشدّ بهِ الخيمة فعدلهُ الى طناب . وقال الزهيري

وكم من صاحبٍ اضحى صخيباً ... وكم خلٍّ يداني وهو ماكر

اي اضحى صاخباً فردَّهُ الى صخيب .   وقال ابن قلاقس

سقى مصراً وساكنها مُلِثٌّ   طليل البرق صخّاب الرعودِ

اراد بالطليل ذا الطلّ وهو المطر الضعيف ويمكن ان يكون من قولهم طلَّت السمآء اذا اشتدّ وقعها وهو اليق بالمقام لكن لم يُسمَع الطليل الا في قولهم طُلَّ دمهُ اي أُهدِر فهو مطلولٌ وطايل .   وقال محمد بن عمر العرضيّ

ورعياً لدهرٍ اثرنا بهِ   نقيع المباحث في المزدحَم

اراد بالنقيع الغبار استعارةً من غبار الحرب وانما هو النَقْع بفتح فسكون . وقال ابو فراس الحمداني

فليتك تحلو والحياة مريرةٌ   وليتك ترضى والانام غضابُ

اي والحياة مُرَّةٌ ولم يُسمَع مريرة بهذا المعنى   (ستأتي البقية)

الحسد

وهَبْني قلت هذا الصبح ليلٌ   أيعمى العالمون عن الضيآء

الحسد صفة النفوس الخاملة وعنوان الهمم السافلة وهو يكون في اكابر الناس وعقلآئهم كما يكون في اراذلهم وجهلآئهم ويكون في موسريهم واغنيآئهم كما يكون في معدميهم وفقرآئهم والحاسد لا يقتصر حسدهُ على ثروةٍ ورثتها من ابآئك او مالٍ جمعتهُ بكدّك وعنآئك بل الغالب انهُ يحسد كل نعمةٍ ومزيّةٍ جليلة . فهو يحسدك لغناك ولفضلك ولجاهك ولعقلك ولأنك تُحِبّ وتُحَبّ وفي الجملة فهو لا يصفو عيشهُ الا اذا تكدر عيشك . وقد عرّف بعض علمآء الاخلاق الحسد فقال انّهُ شعور

او ميل الى الشر ومن خصائصهِ انهُ يجعل صاحبهُ متألماً من نجاح غيرهِ حزيناً لكل نعمةٍ يُرزَقها سواهُ وباعثهُ الغيرة والرغبة في ان يكون هو الاوّل المتقدم وهي رغبةٌ ينغّصها الخوف تارةً ويعذبها وسواس التأخر الموهوم طوراً . وعلى الجملة فالحسد حالة بغضٍ وغيظ يثيرهما في الحاسد نجاح المحسود أو فضلهُ كأنهُ يتخيّل ان نجاح المحسود مُذهِبٌ لكل ما كسبهُ سواهُ فهو داعٍ للغضب على من لا ذنب لهُ ومثير سوءٍ لا يعادل دناءتهُ الاَّ الندم الذي يصيب صاحبهُ وكفى باحتقار الناس للحاسد عقاباً

وللحسّاد اختراعات واساليب يتفننّون فيها لاطفاء نار حسدهم أو لكظم غيظهم . فمنهم الحاسد الصامت وهو الذي يرى بسكوتهِ خير كفيل لاخفاء فضلك واطفاء ضياء علمك وكتمان نجحك وبراعتك وطيّ منشور احسانك . فاذا أُعجب الناس بمزاياك الحسان واثنوا عليها بألف لسان كان بينهم كالاخرس أو الحيوان وان زارك للتهنئة برتبةٍ نلتها أو نعمةٍ حزتها خفق جنانهُ وتلعثم لسانهُ وارتجفت شفتهُ وتغيرت سحنتهُ وإن قدر أن يختفي منك أو يتوارى عنك عدّ ذلك يداً لاحكام التوفيق . ولو ظهرت بأسنى مظاهر الكمال والاحسان واتيت من الفضائل ما تسطرهُ لك يد الانصاف في لَبّة الزمان لما استرقت منهُ كلمة تقريظٍ ولا اصبت منهُ اشارة استحسان وهو يحسب انهُ بسكوتهِ قد وضع من رفيع قدرك وخفض من عالي منزلتك وما احراك ان تمثل عندئذٍ بقول المتنبي

واذا خفيتُ على الغبيّ فعاذرٌ ان لا تراني مقلةٌ عمياءُ

ومنهم الحاسد المخرق وهو الذي يجتهد ان يغشّي على الابصار بخرقتهِ ويحاول ان يغطّي كمالاتك برقاعتهِ فان ذُكر لهُ غناك جرَّ محدّثهُ الى ذكر مشاهير الاغنياء وبات يبالغ ويتبجح بمقدار ثروتهم كانهُ شريكهم وقد يكون مفلساً سبروتا كجائعٍ راح يذمّ القوتا

وان أُثني امامهُ على فضلك وادبك تجاهل بمعرفة اسمك ان وجد الى التجاهل سبيلا او اثنى عليك ثناءً ضئيلا يصغّرك في اعين السامع والمادح ويجرّئُ عليك العدوَّ والقادح وان يئس من مغالطة مادحيك أو قنط سعل أو عطس أو مخط . . .

ومنهم الحاسد المموّه وهو الذي ان قرأتَ لهُ من شعرك ما يقعد ويقيم ويزري بالدرّ النظيم عمد الى الترنّم ببيتٍ لابي نواس أو للمتنبي أو لعنترة أو لغيرهم من مشاهير الشعراء المتقدمين ثم يأخذ في تقريظهِ والاعجاب ببلاغتهِ وحسن اسلوبهِ وبراعتهِ الى آخر ما يمليهِ عليهِ حسدهُ من الاطراء . وكذا لو حدثتهُ بربح اصبتهُ أو فخر كسبتهُ اخذ يقص عليك ما يظن انهُ يصغّر نفسك اليك وان حدّثهُ عنك محدّثٌ اجتهد ان يجعل حسناتك سيئات أو يخلق لك من العيوب ما يستر بهِ وجوه فضائلك ولو كانت من الآيات البيّنات

ومنهم الحاسد المخادع وهو الذي سبق اقرارهُ بفضلك ولم يستطع انكار نجابتك ونُبلك وقد تعطرت باسمك الافواه وطربت المسامع وتفاخرت بذكرك الاندية والمجامع فكنت المراد بقول الشاعر

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم باخفاء شمسٍ ضوؤها متكاملُ .

فتراهُ يستنجد باعدآئك ويحرّك ضغائنهم واحقادهم بما ينقل اليهم ويتقوّل عنك من الافك والبهتان ليخدع المغفّلين والجهلآء بكثرة مشايعيه زاعماً ان الصواب في جنبهِ وان القول ما قال الاكثرون . وقد فات هذا المخادع ان الحق حق وان قلّ النصير وللّه در السموأل حيث يقول

تعيّرُنا أنّا قليلٌ عديدنا　　فقلت لها ان الكرام قليلُ
وما ضرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا　　عزيزٌ وجار الاكثرين ذليلُ
وننكرُ ان شئنا على الناس قولهم　　ولا ينكرون القول حين نقولُ
سلي ان جهلتِ الناس عنّا وعنهمُ　　فليس سوآءً عالمٌ وجهولُ

والشواهد على فِساد مزاعم هؤلآء الحسّاد المخادعين كثيرة نكتفي بذكر شاهدٍ من اشهرها وهو ما جرى لغليلاي العالم الفلكي المشهور فهو وان لم يكن اوّل من قال بدوران الارض فانّهُ اول من جاهر بهِ وتبع في ذلك مذهب كوبرنيك وغيرهِ من الفلاسفة القدمآء ولكنهُ فاقهم بمكتشفاتهِ وجادل وناضل عن هذه الحقيقة التي ظل العالم يجهلها قروناً لا يعلمها الاّ الله . فحرّك الحسد كثيرين من العلمآء معاصريهِ ونهضوا لمقاومة آرآئهِ هذه نهضةً واحدة وانكروها عليهِ وحرّموها في حديثٍ ليس هذا موضعهُ . لكنّ العلمآء المنصفين وجدوا بعد ذلك ان القول ما قال غليلاي فأثبتوا آرآءهُ واوجبوا تعليم ذلك في المدارس كافةً ولم يستنكف احد من الجهر بغلط اكابر العلمآء الاقدمين في ذلك وفساد القول بثبوت الارض مع قِدَمهِ وكثرة القائلين بهِ

على ان امر القِدَم في المذاهب العلمية والاقوال الفلسفية ما زال عند

كثيرين يُعَدّ اقوى حجةٍ لثبوت تلك المذاهب والاقوال وعصمة اربابها حتى ان من اعترض عليها يُعَدّ كانهُ هدم قاعدةً من قواعد العلم أو انكر حقيقةً مؤيدة بالبرهان بل ربما حسبوا القدَم عنوان الاحسان في كل فنٍ وعلم حتى كأن الاصابة كانت وقفاً عليهم وكل ما يأتيهِ المتأخر معدودٌ عندهم من سقط المتاع ولو بلغ من الاجادة ما لم يحم حولهُ المتقدمون فاذا مرّ بهم مثل قول القائل من الجاهليين

يوم ارتحلت برحلي قبل برذعتي والعقل متّلهٌ والقلب مشغولُ
ثم انصرفت الى نضوي لأبعثهُ إثر الحدوج الغوادي وهو معقولُ

عدّوهُ ارقّ معنىً واوفر بلاغةً من قول الشاعر المولَّد

املّت ُساعةَ ساروا كشف معصمها ليلبث الحيُّ دون السير حيرانا

الى ان يقول

ابدو فيسجد من بالسوء يذكرني فلا اعاتبهُ صفحاً وإهوانا
وهكذا كنت في اهلي وفي وطني ان النفيس غريبٌ حيثما كانا
محسَّدُ الفضل مكذوبٌ على اثري القى الكميَّ ويلقاني اذا جانا

وحسبوا الجاهليَّ الآخر القائل

مريضات اوبات التهادي كأنما تخاف على احشآئها ان تقطّعا
تسيب انسياب الأيم اخصرهُ الندى فرفّع من اعطافهِ ما ترفّعا

ألطف تشبيهاً واكثر جزالةً وبياناً من القائل

بدت قمراً ومالت خُوطَ بانٍ وفاحت عنبراً ورَنت غزالا
وجارت في الحكومة ثم ابدت لنا من حسن قامتها اعتدالا

الى ان يقول منها

ومن يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ　　يجد مُرًّا بهِ الماءَ الزلالا

ورأوا معدان الكندي القائل

ان كان ما بُلّغتَ عني فلامني　　صديقي وشلت من يديَّ الانامل

وكفّنت وحدي منذراً في ردآئهِ　　وصادف جوطاً من اعاديَّ قاتلُ

اقدر على التصرف في المعاني وأعلى طبقةً في الفصاحة من القائل

فواعجبا كم يدّعي الفضل ناقصٌ　　ووا أسفا كم يظهر النقص فاضلُ

اذا وصف الطآئيَّ بالبخل مادرٌ　　وعيّرَ قُسًّا بالفهاهة باقلُ

فيا موتُ زُرْ ان الحياةَ ذميمةٌ　　ويانفس جدّي ان سبقكِ هازلُ

ويترتب على هذا الزعم الفاسد ان جميع الشعرآء والكتّاب المتأخرين هم دون مَن تقدّمهم من منتحلي صناعة الادب . ولعل هؤلآء المماحكين ليسوا من الجهل بهذه المنزلة وانما الحسد يجرّ ذويهِ الى الفضيحة والهوان فبينما هم يرجون ايصال كيدهم الى محسودهم اذا بهم يذوقون عاقبة الخسران والاخفاق　وقد زاد قدر المحسود عزًّا فاشرأبّت اليهِ الاعناق　وطبّقت شهرة فضلهِ وفضائلهِ الآفاق

واذا اراد الله نشر فضيلةٍ　　طويت اتاحَ لها لسان حسودِ

لولا اشتعال النار فيما جاورت　　ما كان يُعرَف طيب عرف العودِ

قسطاكي الحمصي

اختراعٌ عصري

لتفتيش المعارف المصرية

ظفرنا من ايام بكرّاسة عنوانها « طريقة كتابة الالفاظ الانكليزية والفرنسية بالحروف العربية » صادرة من « نظارة المعارف العمومية » تحت اسم « قلم التفتيش » ذُكر في مقدّمتها ان النظارة « شكلت » لجنة قررت الامور الآتية

اولاً ان يصطلح على استعمال الحروف والاشكال المبينة في التعليمات المرسلة مع هذا (كذا)

ثانياً ان تضبط هذه الالفاظ (اي الالفاظ التي من غير العربية) بالشكل دائماً . . .

ثالثاً ان توضع علامة الفصل (كذا) بين الاسم واللقب وبين كلمات اللفظ المركب . اه

هذه براعة استهلال هذه الرسالة ومنها يستدلّ اللبيب على ما وراءها ولكن لا بأس ان ننقل لهُ مجمَل ما وضعتهُ لجنة النظارة من الاصطلاحات المشار اليها تنويهاً بما لصنيعها من باهر الحكمة والسداد وتعميماً لمبتكرات فوائدها في جميع انحاء البلاد

فمن ذلك للحروف ما صورتهُ مع الاختصار

حرف P يمثَّل بحرف الباء الفارسية هكذا پ

حرف V يمثل بحرف الفاء منقوطة بثلاث نقط « من فوق » هكذا ڤ وتسمى ڤاء . . . . .

حرف J الفرنسية يمثل بحرف الزاي الفارسية هكذا ژ وكذا حرف G في الاحوال التي ينطق بهِ فيها مثل حرف J . اما حرف J الانكليزية فيمثل بحرف الزاي منقوطة بنقطتين « من فوق » هكذا ز ويسمى زايا وكذا حرف G في الاحوال التي ينطق بهِ فيها مثل حرف J

حرف G الانكليزية والفرنسية يمثل بحرف الكاف الفارسية هكذا گ عند ما ينطق بهِ كما في الكلمات الانكليزية gas (گاس) . . وفي الكلمات الفرنسية gage (گاژ)

حرفا CH الانكليزيان يمثلان بحرف الجيم الفارسية هكذا چ

هذه العلامة تمثل الفصل بين الاسم واللقب وبين كلمات اللفظ المركب ومثال ذلك Thomas Brown (تومس — براون) Henri Martin (هنري — مرتن)

ومنهُ للحركات

الضمة توضع «فوق الحرف» للدلالة على ان حركتهُ من جنس الحركة التي في الكلمات الانكليزية bull (بُل) . . وفي الكلمات الفرنسية courge (كُرژ) . .

ويوضع هذا الشكل بعينهِ تحت الحرف (ويسمى اشماما) للدلالة على ان حركته من جنس الحركة التي في الكلمات الفرنسية pur (پر) .

هذا الشكل يسمى نخامة ويوضع فوق الحرف للدلالة على ان

حركته من جنس الحركة التي في الكلمات الانكليزية fox
(فكس) . . وفي الكلمات الفرنسية col (كل) .
ويوضع الشكل بعينه تحت الحرف ويسمى تقليلاً (زه) للدلالة
على ان حركته من جنس الحركة التي في الكلمات الفرنسية un
(ان) وفي الكلمات الانكليزية cur (كور) . .
الفتحة توضع فوق الحرف للدلالة على ان حركته من جنس
الحركة التي في الكلمات الانكليزية antic (انتك) . . والكلمات
الفرنسية banc (بَنْ) . .

ﻤ هذا الشكل ويسمى امالة يوضع فوق الحرف للدلالة على ان
حركته من جنس الحركة التي في الكلمات الانكليزية met
(مت) . . والكلمات الفرنسية net (نت) . .

٧ هذا الشكل ويسمى بينية (٢) (زه زه) يوضع فوق الحرف
للدلالة على ان حركته من جنس الحركة التي في الكلمات الفرنسية
pain (پن) . .

الكسرة توضع تحت الحرف للدلالة على ان حركته من جنس
الحركة التي في الكلمات الانكليزية thin (ثِن) والكلمات
الفرنسية fisc (فِسك) . . انتهى

هذا ملخص ما في الكراسة المذكورة وغالبه كما ترى مجرّد اصطلاح

---

(٢) الاظهر ان هذه اللفظة مأخوذة من كلمة pain الفرنسوية اي خبز وعليهِ
فكان ينبغي ان تكتب پينية اي بالپاء الفارسية ولا بأس فيما نرى ان نعرّبها بخبزوية

شخصيّ لا يرجع الى رابطة ولا يقوم على اساس . وكنا من مدةٍ طويلة قد شعرنا بالحاجة الى مثل ذلك كما شعر سوانا من الكتّاب والمعربين فوضعنا رسماً لبعض الحروف والحركات التي لا توجد في لغتنا بعد ان رجعنا الى الاصول التي ينبغي ان يُبنَى عليها مثل هذه المصطلحات الفرعية كما بسطنا ذلك مفصَّلاً في فصل التعريب من مجلد السنة الثانية من هذه المجلة (ص ٤٥٥ وص ٥١٥ وما يليها) . ولا بأس قبل ان نتكلم على ما وضعتهُ لجنة النظارة من الاصطلاحات المذكورة ونقابل بين الاصطلاحين ان نعيد ما ذكرناهُ هناك ليكون المطالع من كليهما على بيّنةٍ واضحة . وهذه صورة ما ذكرناهُ في الموضع الاول

« وجآء في مقدمة ابن خلدون ما نصهُ بعد كلام « ونجد للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضاً حروف ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلآء من العجم . ثم ان الكتّاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة باوضاع حروفٍ مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف وبآء وجيم ورآء الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملاً عن الدلالة الكتابية مُغفَلاً عن البيان وربما يرسمهُ بعض الكتّاب بشكل الحرف الذي يليهِ من لغتنا قبلهُ او بعدهُ وليس ذلك بكاف في الدلالة بل هو تغيير للحرف من اصلهِ . ولما كان كتابنا مشتملاً على اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمآئهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطُررنا الى بيانهِ ولم نكتفِ برسم الحرف

الذي يليهِ فاصطلحت في كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف المعجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتنفانهِ ليتوسط القارئ بالنطق بهِ بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تأديتهُ . وانما اقتبست ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط في قرآءة خلَف فان النطق بصادهِ متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودلّ ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين . فكذلك رسمت انا كل حرفٍ يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم أو القاف مثل اسم بلكين فأضعها كافاً وانقطها بنقطة الجيم واحدةً من فوق أو اثنتين فيدل ذلك على انهُ متوسط بين الكاف والجيم أو القاف . . . »

وذكرنا في صفحة ٥١٥ ما نصّهُ

«على ان هذه الاسمآء اليوم من اصعب الاشيآء مراساً على المعرّبين لكثرة ورودها في الكتب والجرائد واضطرارنا الى نقلها في معرّباتنا ولا تكاد تجد اسماً منها يتأدى على حقهِ لكثرة ما يدور فيها من المقاطع التي لا وجود لها في لساننا . واعظمها إشكالاً امر هذه الحركات عندهم التي يعبرون عنها بالاحرف اللينة فان عندهم خلا الحركات الثلاث التي عندنا حركاتٍ مركبة يُلفَظ بها بينَ بين كالحركة التي بين الضم والفتح (o) والتي بين الكسر والفتح (e) وبين الضم والكسر (u) والجامعة للحركات الثلاث (eu) ولبعضها كيفياتٌ تتشكل بها الحركة الواحدة على انحآء مما ليس عندنا علامةٌ لشيءٍ منهُ . وكنا قد وضعنا لهذه الحركات رموزاً تدل

عليها بطلب بعض ارباب المطابع ولا بأس ان نصوّرها في هذا الموضع لعلها توافق استحساناً من اصحاب هذا الشأن فيستعينون بها في مواطن الإشكال ولا سيما في كتب التعليم التي يُقصَد فيها تصوير اللفظ الاعجمي بالحرف العربي فقد وقفنا على عدة مؤلفات من هذا النوع ولم نكد نرى كلمةً قد صُوّرت على حقها . . .

« والطريقة التي جرينا عليها في ذلك تقرب من الوجه الذي ذكرهُ ابن خلدون اي ان يعبَّر عن اللفظ المتوسط بين حرفين برسم الحرفين مقترنين حتى يكون اللفظ ممتزجاً منهما فجعلنا علامة الحركة التي بين الضم والفتح (o) مركبة من ضمة وفتحة مقترنتين هكذا (ُ) والتي بين الكسر والفتح (e) من كسرة وفتحة هكذا (˟) والتي بين الضم والكسر (u) من ضمة وكسرة هكذا (˟) والجامعة للحركات الثلاث (eu) بمقارنة الحركات الثلاث هكذا (˟) . على ان هذا التركيب مما جرى عليهِ الاعاجم انفسهم فانهم قد يعبّرون عن الضم المال الى الفتح بالحرفين اللذين يتركب منهما فيرسمونهُ هكذا (au) وكذا الكسر المال الى الفتح فانهم قد يعبرون عنهُ بهذين الحرفين (ai) . . .

« واما سائر الحروف الصحيحة فقد كان ينبغي على مذهب ابن خلدون ان يُكتَب الحرف الذي بين الباء والفاء مثلاً فآءً منقوطة بنقطتين احداهما من اعلى الحرف والثانية من اسفلهِ او يكتَب بآءً منقوطة كذلك وكذا الحرف الذي بين الفاء والواو ان يكتب واواً منقوطةً من إعلاها وكذلك هي تكتب في العبرية الا انهم يرسمون النقطة في جوفها

وهو مجرّد اصطلاحٍ لهم وليس في شيء من الاصل الذي ذكرهُ ابن خلدون . الا ان كتابنا اصطلحوا ان يرسموا الاول باءً منقوطة بثلاث نقط والثاني فاءً منقوطة كذلك وهو اصطلاحٌ لا بأس بهِ مع بعدهِ عن الالتباس . وبقي عندنا الجيم التي تُلفَظ بين الجيم والكاف وهذه منهم من يكتبها غيناً ومنهم من يكتبها كافاً وكلاهما يبعد عن اصلها واهل مصر يكتبونها جيماً لموافقتها للفظ الجيم عندهم . الا ان هذا انما هو اصطلاحٌ خاصٌّ كما لا يخفى وفيهِ فضلاً عن ذلك ان الجيم عند الافرنج لها لفظان احدهما هذا والآخر ان تُلفَظ من الشَجْر كما في جيرار (Girard) مثلاً وهناك جيمٌ اخرى هي التي في نحو جوزنال (journal) وهذه عند من يلفظها جيماً شَجْريةٌ ابداً وحينئذٍ فلابد من التمييز بين لفظٍ ولفظ . والذي عندنا انه ينبغي ان تُرسَم الشجرية منقوطةً بنقطةٍ من اسفل وثلاث نُقَطٍ من فوق هي نُقَط الشين والتي بين الجيم والكاف يُرسم فوقها همزة الكاف وفي هذا جريٌ على مُصطلَح ابن خلدون وان خالفهُ في نفس الرسم على ما مرّ في النقل عنهُ . واما رسم هذه الاخيرة بثلا ث نقط من اسفل كما رأيناهُ لبعضهم فغلط لانها حينئذٍ تُلفَظ من مقطع مركب من التاء والشين وهو لفظها الفارسي كما في چنبر ونحوهِ » . انتهى

فترى ان ما قرّرناهُ من هذا الاصطلاح المحكم لم يكن عن مجازفةٍ او مجرّد اختيار ولكنا بنيناهُ على اصلٍ صحيح ووضعٍ معقول استندنا فيهِ الى مثل العلاّمة ابن خلدون ومن سبقهُ من اصحاب القراءات وايدناهُ بصنيع علماء الافرنج في التعبير عن المقطع المتوسط بين مقطعين مما جاء موافقاً

لما اصطلحنا عليهِ تمام الموافقة . وقد اتى على اصطلاحنا هذا سبع سنواتٍ ونحن نستعملهُ في الضياء وصادفنا من كل من وقف عليهِ من ذوي النظر واهل العلم استحساناً وقد اقتدى بنا فيهِ غير واحدٍ من المؤلفين عند الاضطرار الى ضبط بعض الاسماء الاعجمية في كتبهم . وانظر اين ما شرحناهُ في هذا الموضع من صنيع لجنة المعارف بحيث انك اذا تبصرت فيما يصحّ ان يقال انهُ من وضعها لم تجد لشيءٍ منهُ اصلاً يُرَدّ اليهِ او اساساً يُبنى عليهِ سوى الجهل باحكام الاوضاع العلمية . ومما اضحكنا من ذلك الا رسم الضمة والفتحة والكسرة والتنبيه على كيفية التلفظ بهذه الحركات كانها من وضع اللجنة المشار اليها . وكذا رسمهم حرف الپاء والڤاء والچيم مع ان هذه الاحرف الثلاثة شائعة الاستعمال في مطابعنا العربية وبين كتابنا من زمن بعيد وقد نبهنا عليها في كلامنا كما مرّ بك فيما نقلناهُ

اما الزاي المراد بها لفظ الجيم الشَجْرية فمن الغرابة بمكان لان لهذا الحرف رسماً عندنا وهو الجيم في لفظ غير اهل القاهرة من عامة الناطقين بهذا اللسان فرسمها بصورة الزاي مع بعد ما بين الحرفين في اللفظ من دواعي الاشكال والالتباس على المتعلم . وقد رأيت اننا تركنا هذا الحرف على رسمهِ وميزنا الشجريّ منهُ بوضع ثلاث نقط من فوقهِ اشارةً الى انهُ من مقطع الشين كما نبه عليهِ علماء الصرف لا على جهة انهُ مركب من الجيم والشين وبذلك حافظنا على صورة هذا الحرف بحيث انهُ كيفما لُفِظ بهِ لا يتغير شكلهُ على القارئ . وهذا عين ما تجدهُ في اللغات الاوربية فان الجيم بلفظيها لها عندهم رسمٌ واحد لا يختلف باختلاف مخرجها

وبقي هنا العلامة التي زعموا انها تمثل الفصل بين الاسم واللقب وبين كلمات اللفظ المركب وهي اغرب ما وضعوهُ في هذا الاصطلاح . وذلك اما اولاً فلأن المقصود بهذه العلامة في اللغات الاوربية الوصل لا الفصل ولذلك يسمونها خط الوصل (trait d'union) لاخط الفصل (trait de séparation.[1]) وهو ما تقتضيهِ البداهة لانهم يرسمون هذا الخط حيث يريدون ربط احدى الكلمتين بالاخرى حتى تصيرا بمنزلة كلمة واحدة كما في قولهم moi-même ، grand-père ، dix-neuf وما اشبه ذلك . واما ثانياً فلزعمهم ان هذا الخط يُرسَم بين الاسم واللقب وهو غير صحيح وانما يرسمونهُ بين اجزاء الاعلام المركبة من كلمتين فاكثر كالاسمين اللذين مثّلوا بهما وهو اشبه بالتركيب المزجيّ عندنا . واما اذا كان ثاني اللفظين لقباً كما في قولهم Philippe le Bon و Charles le Mauvais ونحو ذلك فلا يُربَط بالاسم . ولينظَر بعد ذلك ما الفائدة من رسم هذا الخط مع كتابة هذه الاسماء بالحروف العربية وماذا يفهم منهُ المطالع العربيّ

وقد اطلنا في النقد على هذه الرسالة الى ما لا تستحقهُ وانما اردنا بذلك الدلالة على ما وصلت اليهِ المعارف في هذا القطر بفضل هذه النظارة الحكيمة وعمالها ونحن على يقينٍ من ان تنبيهنا سيصادف منها آذاناً صمّاء ولكنهُ واجبٌ دعانا اليهِ النصح في الخدمة والله الهادي الى سواء السبيل

---

(١) هو في اصطلاحهم الخط الذي يضعونهُ في المحاورات في مكان قال واجاب ونحو ذلك تفادياً من تكرار هذه الكلمات وانظر اين هذا من مراد لجنة النظارة

آثار ادبيّة

الاقلام — مجلة عمومية تبحث في كل فنّ ومطلب يصدرها حضرة الاديبين جورج افندي طنوس ومحمود افندي ابي حسين ويشترك في تحريرها جماعةٌ من افاضل الشعراء والمنشئين . وقد وقفنا على العدد الاول منها فوجدناهُ مشتملاً على عدة مقالات وقصائد ونبذ ادبية من اقلام مختلفة . وهي تصدر مرةً في الشهر في ٤٨ صفحة وقيمة اشتراكها السنوي ٤٠ غرشاً في القطر المصري و١٥ فرنكاً في خارجهِ فنرجو لها الثبات والنجاح

المناهج في النحو والمعاني عند السريان — هو مصنَّفٌ جليل وضعهُ حضرة العالم العامل اللغويّ القس جبريل القرداحي الشهير مدرّس العربية والسريانية في المدرسة الاوربانية برومة . وقد استوفى فيهِ قواعد هذين العلمين في اللغة المشار اليها بما لم يستوفهِ مؤلّفٌ قبلهُ مع حسن التقسيم والتبويب وسهولة المأخذ الى ما لا غاية بعدهُ وصدّرهُ بمقدمةٍ نفيسة في تاريخ هذه اللغة واصل نشأتها وما طرأ عليها من الاطوار الى ما يتصل بذلك من الحقائق التاريخية . فنثني على حضرة المؤلف العلاّمة بما هو اهلهُ ونحضّ طلاب هذه اللغة على مقتنى هذه الذخيرة النفيسة والانتفاع بما فيها من الفوائد

فكاهات

شرلوك هولمز [١]

— ٢٠ —

حادثة الجوهرة الزرقاء

ذهبت لازور صديقي شرلوك هولمز في صباح ثاني عيد الميلاد لاهنئهُ بالعيد فوجدتهُ قد توسد مقعداً وهو بلباس النوم وامامهُ عدد من جرائد ذلك الصباح . وكان بالقرب منهُ كرسي خشبي وعليهِ قبعة من اللباد قديمة العهد قذرة مقطعة وبجانبها بلورة عدسية وملقاط مما دلني على ان القبعة المذكورة كانت تحت الفحص والاستكشاف . فبعد ان حييتهُ قلت لعلك كنت في شغل شاغل ايها الصديق وقد قطعتك بدخولي . فقال كلا بل قد سررت لقدومك وانت تعلم انهُ يسرني حضورك ايها العزيز عند ما اريد ان اباحثك واستمدّ رأيك في ما اتوصل اليهِ . ثم اشار الى القبعة وقال ان الامر بسيط في الغاية ولكنني ارى ان لهُ علاقة مهمة قد تكون ذات لذة وفائدة . فقلت اظن ان في الامر حادثة قتل وانت تحاول ان تستنتج من هذه القبعة ما يوصلك الى اكتشاف الجريمة . فضحك وقال كلا فليس في الامر جناية بل احدى الحوادث البسيطة التي تحصل في كل بلدة تكون مساحتها بضعة اميال مربعة وسكانها يفوقون الاربعة ملايين من النفوس فانهُ اذ ذاك تحدث امور كثيرة هي وان لم تكن جنائية فانها غريبة في بابها وتستدعي الفحص والفكر . فانت تعرف المستر بيترسون . قلت نعم . قال ان هذا الاثر يتعلق بهِ . قلت وهل هذه قبعتهُ . قال لا بل هو الذي وجدها اما صاحبها فمجهول واودّ منك ان

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

تدقق النظر فيها لا بالنسبة الى ما يرى من ظاهرها بل باعتبارها لغزاً يجب حله . واعلم انها وصلتني صباح امس مع اوزةٍ سمينة لا اشك ان المستر بيترسون يتنعم الآن بالتهامها . وذلك انهُ عند الساعة الرابعة من صباح امس كان المستر بيترسون عائداً الى منزلهِ فبلغ شارع توتنهام فوجد امامهُ رجلاً طويل القامة سائراً وعلى كتفهِ اوزّة فلم يزل سائراً امامهُ حتى بلغ منعطف شارع جورج ومرَّ بجماعة من الغلمان فأخذوا يهزأون بهِ وضربهُ احدهم على رأسهِ فسقطت قبعتهُ فرفع عصاهُ ليدافع عن نفسهِ فاصابت زجاج مخزن بالقرب منهُ فكسرتهُ . ولما رأى بيترسون ذلك اسرع ليخلص الرجل الذي لما شعر بكسرهِ الزجاج ورأى بيترسون مسرعاً اليهِ خاف العاقبة فترك قبعتهُ والاوزّة واطلق ساقيهِ للريح ثم اختفى في الشوارع الضيقة المتصلة بشارع توتنهام وهرب الغلمان ايضاً فبقي بيترسون وحدهُ وامامهُ غنيمة تلك المعركة وهي الاوزة السمينة وهذه القبعة . وكان على فخذ الاوزّة اليسرى ورقة مكتوب عليها « امانة مسس هنري باكر » وعلى طرف القبعة حرفا « ه . ب . » ايضاً. ولكن لما كان يوجد الوف ينتسبون الى اسرة باكر في لندن ومئات باسم هنري باكر رأى بيترسون ان يحضر غنيمتهُ اليَّ لعلمهِ انني اهتم بهذه الامور البسيطة . فرأيت ان الاوزّة لا يجوز بقاؤها لئلا تفسد فسمحت لبيترسون ان يأخذها ويطبخها طعاماً ليوم العيد وابقيت هذه القبعة لعلي اتوصل الى معرفة شيء عن صاحبها . فخذ هذه العدسية وافحصها وقل لي هل يمكنك ان تعرف شيئاً عن الرجل الذي كان يلبسها

فاخذت تلك القبعة القديمة بيدي وقلبتها فوجدت انها قبعة سوداء من القبعات العادية سوى انها مستعملة كثيراً حتى لا تكاد تلبس وكانت بطانتها من الحرير الاحمر ولكنها قد فقدت لونها لما كان عليها من الاوساخ وليس عليها اسم المعمل بل عليها الحرفان « ه . ب » . وكانت قد كسيت بالغبار وعليها بقع كثيرة ورأيت ان صاحبها اراد اخفاء قذارتها فصبغها في محلات عديدة بالحبر الاسود . فلما اكملت فحصي ارجعتها الى شرلوك قائلاً انني لم اجد فيها شيئاً يستحق الذكر . فتبسم وقال

بل رأيت فيها تاريخاً طويلاً مسهباً لو شئت ان تتأمل فيهِ فانني رأيت منها ان الرجل صاحب دهآء وانهُ كان على الاقل منذ ثلاث سنوات في رخآء وسعة ثم خانهُ دهرهُ لكن يظهر لي انهُ اجتهد ان يبقي لنفسهِ شيئاً من منزلتهِ الشخصية . وهو رجل عيشتهُ معتدلة متوسط العمر ذو شعر جعد قد قصهُ من وقت قريب وهو يدهن رأسهُ بدهان الكاس ويغلب على ظني انهُ لا ينير بيتهُ بالغاز . فلما سمعت ذلك منهُ لم اتمكن من ضبط نفسي فقهقهت ضاحكاً وقلت ايها العزيز شرلوك اما انك تهزأ بي أو انك قد فقدت رشدك . فنظر اليَّ طويلاً ثم قال انت لا تريد ان تفهم الا بالبرهان فانظر . ثم لبس القبعة فغطت كل رأسهِ الى قرب أنفهِ فقال ان الرجل الذي يكون لهُ رأسٌ كبير بهذا المقدار لا يمكن ان يكون فارغاً . ثم ان هذه القبعة تدل على انها مشتراة منذ ثلاث سنوات وهي من احسن جنس كما يدل عليها نسيجها و بطانتها الحريرية فاذا كان في استطاعة الرجل ان يشتري قبعة ثمينة كهذه من ثلاث سنوات ثم يبقى كل هذه المدة بدون ان يجددها فلا شك انهُ كان في سعةٍ ثم تضايق في ماليتهِ . ثم ان محاولتهُ اخفآء البقع القذرة بصبغها بالحبر يدل على ان الرجل لم يفقد كرامتهُ واعتبار منزلتهِ الشخصية . ثم انني بمساعدة العدسية رأيت بقايا الشعر المقصوص بمقص الحلاق لاصقة في طرف القبعة وهو جعدٌ مختلط السواد بالبياض ولا يزال على القبعة آثار الدهان الكلسي . ووجدت ايضاً ان عليها آثار شمع عديدة ولو كانت اثراً واحداً او اثنين لقلت انهُ اصابهُ اتفاقاً ولكن كثرتها تدلني على انهُ كان يدخل البيت فيمسك قبعتهُ باليد الواحدة والشمعة بالاخرى فيقع الشمع على القبعة ولو كان في بيته غاز لما اضطر الى انارة الشمعة . فهل اقتنعت الآن ياوطسن بهذه الايضاحات . فقلت لا شك انك غريب الادراك يا شرلوك وعندك لكل سؤال جواب ولكن بما انهُ ليس في الامر جناية ولم تكن النتيجة سوى فقد الاوزة فما الذي دعاك الى اضاعة الوقت في هذا الفحص المتعب الخالي من الفائدة

وقبل ان يفتح شرلوك فاهُ ليجيبني فُتح باب الغرفة ودخل منهُ بيترسون وعليهِ علامات الاضطراب والتعجب فقال آه يا مستر شرلوك لو تدري ان الاوزة . م

الاوزّة . . فقال شرلوك ماذا هل عادت اليها روحها وطارت منكم . فقال كلا يا سيدي ولكن لما شقتها زوجتي وجدت في حوصلتها هذه الجوهرة الثمينة . ثم ارانا حجراً بعرض الابهام يتالق نورهُ الازرق بلمعان غريب . فقال شرلوك حقاً ان هذه لقطة ثمينة فهل تدري ما هي يا بيترسون . فقال لا شك انها ألماسة ثمينة جدًّا وقد امتحنتها على الزجاج فحزَّتهُ كما يحزّ السكين الورق . فقال شرلوك أجل انها لألماسة ثمينة لا بل هي الألماسة الثمينة لو تدري . فقلت لعلها ألماسة الكونتة موركار الشهيرة . قال هي هي بعينها . وقد قرأت وصفها من ايام في جريدة التيمس وهي ثمينة في الغاية وقد جعلوا جزاء من يجدها الف ليرة استرلينية وليس ذلك الا جزءا من عشرين من ثمنها . فقال بيترسون الف ليرة استرلينية وكأنهُ هالهُ عظم المبلغ فسقط الى كرسي بجانبهِ . فقال شرلوك نعم وليس ذلك فقط بل انا اعلم ان الكونتة يسهل عليها بذل نصف ثروتها لتستعيد جوهرتها هذه التي سرقت منها او فقدت في نزل كوسمو بوليتان في الثاني والعشرين من هذا الشهر اي منذ خمسة ايام . وقد اتهموا رجلاً يدعى جون هورنر انهُ سرقها من صندوق مصوغات الكونتة وكانت الشبهة قوية عليهِ حتى طُلب للمحاكمة وقد قرأت عنها منذ هنيهة في الجرائد. ولما قال ذلك اخذ الجرائد التي كانت بقربهِ فقلّبها قليلاً ثم اخذ احداها وقرأ فيها ما يأتي

« في الثاني والعشرين من الشهر الحالي اتهم جون هورنر المستخدَم في فندق كوسمو بوليتان بسرقة الجوهرة الشهيرة الثمينة الزرقاء من علبة جواهر الكونتة موركار . وقد اقر جيمس ريدر مدير الفندق المذكور انهُ ادخل هورنر المذكور الى غرفة الكونتة في ذلك اليوم لكي يصلح انابيب النور التي كان قد طرأ عليها بعض الاختلال ولما رجع ثانيةً الى الغرفة وجد ان هورنر قد اختفى وان خزانة الكونتة مفتوحة وعلى المائدة حقيبة مفتوحة ظهر ان الكونتة كانت تحفظ الجوهرة فيها . فللحال ابلغ المدير الامر الى الشرطة فالقي القبض على هورنر في المساء ولكنهم لم يجدوا الجوهرة معهُ ولا في منزلهِ . وقد شهدت كاترين كوساك خادمة الكونتة الخصوصية انها سمعت صراخ المدير عند اكتشافهِ امر السرقة وانها اسرعت الى الغرفة فوجدت الامر كما قال

المدير . ولما ظهر على هورنر انهُ اتهم قبلاً بسرقة اخرى رفضت النيابة ان تسلمهُ الى المحلفين وأرسل رأساً الى المحاكمة »

ولما اتمّ شرلوك التلاوة رمى بالجريدة وقال هذا ما يختص بالقآء القبض على الجاني ولكنهُ يهمني جدًّا ان اعرف كيف وصلت الجوهرة من علبة جواهر الكونتة الى حوصلة اوزّة في شارع توتنهام فهل رأيت يا وطسن ان ملاحظاتنا البسيطة قد اوصلتنا الى امر في غاية الاهمية والخفآء . فهذه هي الجوهرة وقد كانت في الاوزّة والاوزة كان يحملها المستر هنري باكر الذي اخبرتك عن حالته فصار من الواجب ان نجد هذا الرجل ونتحقق اي علاقةٍ تربطهُ بهذا السر ولكي نصل الى حل هذا المعمى يجب ان نجرب اولاً ابسط الوسائط اي ان نعلن الامر في جميع جرائد هذا المسآء واذا لم يظهر الرجل لاسترجاع اوزّتهِ وقبعتهِ نتخذ طريقة اخرى . ثم اخذ قلماً وكتب ما يأتي « اعلان - وجد عند زاوية شارع جورج اوزة وقبعة من اللباد وعرف ان صاحبهما هو المستر هنري باكر فاذا احب ان يسترجعهما فليأتِ في الساعة السادسة والنصف مسآء الى شارع باكر رقم ٢٢١ » . فقلت لهُ وهل تظن انهُ يقرأ هذا الاعلان . قال ان لم يقرأهُ فلا بد ان يوجد في الذين يقرأونهُ من يعرفهُ فينبههُ اليهِ فخذ هذا الاعلان يا بيترسون وانشرهُ في الجرائد التي تصدر اليوم كلها

ولما خرج بيترسون بالاعلان اخذ شرلوك الجوهرة فحفظها عندهُ ثم ارسل فابتاع اوزّة لكي يعطيها للرجل اذا جآء ليطلبها بدل اوزّتهِ ثم قل لي هل تعلم يا وطسن ان هذه الجواهر الثمينة تكون دائماً سبب الجرائم وقد صدق من سماها شرك الشيطان . اما هذه الجوهرة فليست قديمة فقد وجدت على شاطىء نهر آموري بجنوبي الصين من نحو عشرين سنة وهي نادرة في نوعها لزرقة لونها ومع انها حديثة العهد فلها تاريخ محزن لانهُ بسببها ارتكب جريمتا قتل وحدث مرةً تفرقع ديناميت ومرةً انتحار وعدة سرقات مختلفة كل ذلك بسبب هذه القطعة من الفحم المتبلور التي لا يزيد ثقلها على اربعين قمحة . اما الآن فهي محفوظة في صندوقي الحديدي وسأكتب للكونتة اعلمها باننا وجدناها . قلت وهل تعتقد ان الخادم هورنر بريء وهل تظن

ان لصاحب الاوزّة علاقة بالسرقة . قال لا اعلم ولكن يغلب على ظني ان الاخير بريء لم يكن لهُ اقل المام بما يوجد في معدة أوزّتهِ ولكنني لا استطيع ان احكم بشيء من ذلك قبل ان نحصل على جواب اعلاننا . قلتَ اذاً لا ينتظر اجرآء شيء قبل المسآء فسأذهب الى شغلي واعود مسآء لانني اود ان اعلم نتيجة هذه الحادثة . فضحك وقال نعم وانا اود ان تأتي وتتعشى معي وعشآئي هذه الليلة ديكٌ كبير وسأفحص حوصلتهُ بيدي لعلنا نجد في كافة الطيور مثل هذه الجوهرة

وفرغت من اشغالي في الساعة السادسة والنصف فتوجهت الى منزل شرلوك فوجدت على بابهِ رجلاً فدخلنا معاً . وما وقع نظر شرلوك على الداخل الآخر حتى استقبلهُ بتبسم وقال اظنك المستر هنري باكر . قال نعم . قال تفضل يا سيدي الى قرب النار فان البرد قارس . ثم اراهُ القبعة وقال ألك هذه . قال نعم هي لي . وتأملت الرجل فوجدتهُ كبير الجسم عريض الكتفين ضخم الرأس والوجه عليهِ سمات الذكآء وشعرهُ جعدٌ قد وخطهُ الشيب فتذكرت ملاحظات شرلوك . وكانت سترتهُ السودآء مزررة الى عنقهِ وفي حركاتهِ وتأنيهِ وكلامهِ ما يدل على انهُ كان في نعمةٍ وقد اخنى عليهِ الدهر . فلما جلس قال لهُ شرلوك اننا حفظنا الاوزّة والقبعة حتى الآن لاننا انتظرنا انك تعلن عنهما لنرسلها اليك . فقال الرجل بخجل نعم ياسيدي ولكنني في هذه الايام قد ضاقت ذات يدي وقد تحققت ان أولئك الاشرار الذين طاردوني ذهبوا بما سقط مني فرأيت من العبث ان ابذل اجرة الاعلانات على غير فائدة . فقال شرلوك ولكن اسمح لي ان اخبرك اننا قد اكلنا الاوزّة لانهُ لا يخفى عليك ان طائراً مذبوحاً نظيرها اذا طالت عليهِ المدة فانهُ يفسد ولذلك قد احضرنا لك عوضاً عنها أوزّة جديدة . فظهرت على الرجل علامات الاستيآء الشديد عند ما سمع ان الاوزّة قد أكلت ولكنهُ ما لبث ان ظهرت عليهِ علامات السرور عند ما اخبرهُ شرلوك بانهُ ابتاع لهُ أوزّة أخرى عوضاً عنها . ثم قال شرلوك ومع ذلك فقد حفظنا لك رأس أوزّتك ورجليها وحوصلتها فاذا شئت ان تأخذ هذه الاشيآء كتذكار لاوزّتك المفقودة فهي تحت طلبك . فقهقه الرجل ضاحكاً وقال

بل قد سمحت بهذه الاشيآء كلها. فنظر اليَّ شرلوك نظرة تدل على ان ليس للرجل علمٌ بالجوهرة ثم اعطاهُ الاوزّة والقبعة ونهض الرجل لينصرف. فقال لهُ شرلوك قد استحسنتُ جدًّا أوزّتك يا سيدي ولم يسبق لي ان رأيت نظيرها فهل لك ان تخبرني من اين ابتعتها . قال اعلم يا سيدي اننا نشتغل في دار التحف ونختلف الى نادٍ بالقرب منها وقد ارتأى يوماً صاحب النادي ان يجمع مني ومن العملة رصفائي بضعة بنسات كل اسبوع ويقدم لكلٍ منا بقيمتها اوزّةً يوم عيد الميلاد لانهُ يصعب علينا ابتياعها دفعة واحدة . فكنت ادفع لهُ في نهاية كل اسبوع ما يتوفر لديَّ بعد نفقاتي من البنسات وفي المسآء السابق لعيد الميلاد اعطانا لكلٍ أوزّة فسرني ذلك وجئت بأوزّتي الى البيت كما علمت . ثم انحنى الرجل مسلماً وخرج . فقال شرلوك اننا لا نستفيد شيئاً من هذا الرجل لانهُ لا يعرف شيئاً غير ما ذكر ولكن اود ان نتابع سيرنا فهل لك ان تصحبني يا وطسن قلت لا احبَّ اليَّ من ذلك . فخرجنا من البيت وركبنا عربةً اقلتنا الى قرب دار التحف و بلغنا النادي الذي ذكرهُ لنا المستر باكر فدخلناهُ فطلب شرلوك كاسين من الجعة فاسرع صاحب النادي واحضرهما . فقال لهُ شرلوك أؤمل ان تكون هذه الجعة لذيذة الطعم مثل الاوزّ الذي عندك . فقال ايَّ اوزٍّ تعني يا سيدي . قال انيِ كنت من ساعة مع المستر هنري باكر وقد اخبرني عن الاوزّة اللذيذة التي اعطيتهُ اياها . فقال الرجل اجل قد فهمت الان ولكن انا لا اربي الاوز هنا يا سيدي انما ابتعت اربعاً وعشرين اوزّة من تاجر طيور يسمى بركنردج في شارع كوفنت في نفس اليوم الذي وزعتهنَّ فيهِ على العملة الذين يترددون عليَّ ولم اعطهم اياهنَّ مجاناً لانني كنت اجمع ثمنهنَّ منهم اسبوعيًّا . وقبل ان يتم الرجل كلامهُ دفع شرلوك ثمن ما شربناهُ وخرجنا فقال لي هيا بنا الآن الى بركنردج تاجر الطيور لان قصتنا هذه مع بساطتها تبتدي باوزةٍ وتنتهي برجلٍ اما تثبت برآءتهُ او يقاد الى السجن المؤبد . ولم نزل سائرين حتى بلغنا الشارع الذي يجتمع فيهِ باعة الطيور فرأينا محلاً كبيراً على بابهِ اسم بركنردج ولما دخلناهُ استقبلنا صاحبهُ و بعد التحية سألهُ شرلوك ألا يزال عندهُ اوز للبيع.

فقال الرجل اذا احتجت الى خمسمائة أوزة استطيع ان اسلمك اياها صباحاً. فقال شرلوك لكن احب ان تكون الاوزات التي اطلبها مثل التي ارسلتها الى النادي الذي بقرب دار التحف . قال نعم قد ارسلت الى هناك من بضعة ايام اربعاً وعشرين اوزة . ثم كأنه انتبه فقال ان سؤالك ياسيدي فيهِ شيء غير ما يظهر منهُ فلماذا لا تعرّفني عن مطلوبك بصراحة. فقال شرلوك نعم انني اريد ان اعرف من باعك ذلك الاوز . فقال التاجر وهذا السؤال لا اجيبك عليهِ لاني لا اخبرك عن الذين اشتري منهم الاوزّ. فقال شرلوك بتبسم لا يقلقك سؤالي ياصاح فليس في الامر مايوجب الاهمية لكني اكلت من ذلك الاوز عند صديق وقلت لهُ انهُ برّي فاكد لي عكس ذلك ولما كنت مقتنعاً انهُ برّي راهنتهُ على خمس ليرات وجئت لاتحقق ذلك منك . فقهقه الرجل وقال اذاً قد خسرت الرهان ياسيدي لان الاوز الذي ارسلتهُ الى النادي ليس بريًّا . فقال شرلوك لا يمكنك ان تقنعني الا بالبرهان وانا اراهنك على ليرة اخرى اذا استطعت ذلك . فضحك الرجل حتى بانت نواجذهُ ثم عمد الى دفترهِ ففتحهُ و بعد ان قلّب فيهِ قليلاً اشار الى شرلوك وقال اقرأ لتقتنع . فاخذ شرلوك الدفتر وقرأ « ٢٤ اوزة مشتراة من مسس اوكشوت بشارع بركستون رقم ١١٧ ومبيعة للمستر وندجات صاحب نادي المتحف . فاظهر شرلوك استياءهُ لخسرانهِ الرهان ثم رمى الليرة للرجل وقال قد ربحت رهاني ايضاً وعلى كلٍ فانا اشكرك . ولما خرجنا وابتعدنا قليلاً ضحك شرلوك وقال لو دفعت الف ليرة للرجل لما اعلمني من اين جاءهُ الاوزّ وقد احتلت عليهِ بمسئلة الرهان فعرفت ذلك بدفع ليرة واحدة . وعلى كلٍّ فارانا نقترب الى النهاية وقد بقي علينا ان نذهب الى مسس اوكشوت وافضّل ان نراها الليلة ايضاً . و بينما نحن في انتظار مركبة تمر لتقلنا سمعنا صياحاً في محل بركنردج فاقتربنا فسمعناهُ يخاصم رجلاً امامهُ وهو يقول قد ضايقتموني بسؤالاتكم عن الاوزّ يا هذا فان شئت فدع مسس اوكشوت تحضر بنفسها تسألني لانني اشتريت ذلك منها ولم اشترِ منك . فقال الرجل المخاطب صدقت يا سيدي ولكن احدى الاوزات التي اشتريتها من مسس اوكشوت كانت تخصني . فقال التاجر اذهب اذاً واطلبها

منها . قال قد طلبتها منها فارسلتني اليك . فقال التاجر اعيد عليك ما قلتهُ اولاً انني اشتري وابيع ولست مسؤولاً لاحد فان لم تخرج دعوت الخدم ليخرجوك بالقوة . وكان شرلوك يسمع ذلك فتبسم وقال تعال يا وطسن فلعلّ في هذا الرجل ما يوفر علينا الذهاب الى مسس اوكشوت . فتقدمنا حتى بلغنا الرجل فوضع شرلوك يدهُ على كتفهِ فذُعر الرجل شديداً ونظر الينا وقد تغير لونهُ وقال مَن انت يا هذا وماذا تريد مني . فقال شرلوك قد سمعت ما دار بينك وبين المستر بركنردج من الحديث واظن ان في استطاعتي مساعدتك . فنظر اليهِ الرجل باستغراب وقال ومن تكون يا هذا وكيف يمكنك ان تعرف طلبي. فقال شرلوك انني ادعى شرلوك هولمز وشغلي ان اعلم ما لا يعلمهُ الغير وقد عرفت انك تطلب اوزةً باعتها مسس اوكشوت للمستر بركنردج وباعها هذا لمدير نادي المتحف والاخير باعها لرجل يسمى هنري باكر . فظهرت للحال على وجه الرجل علامات الدهشة والسرور فمد يدهُ مصافحاً وقال اشكرك جدًّا ياسيدي نعم ان هذا ما اطلب معرفتهُ

ومرَّت عربة فاستوقفها شرلوك وقال هلمَّ بنا اذاً الى حيث نتكلم عن الاوزة المفقودة . ولما ركبنا العربة قال لهُ هل لي الشرف ان اعرف اسمك يا سيدي . فنظر اليهِ الرجل بحذر وقال اسمي جون روبنصن . فتبسم شرلوك وقال ارجو ان تطلعني على اسمك الحقيقي . فظهرت على الرجل علامات الاستغراب والحيرة ثم قال نعم ان اسمي الحقيقي ليس ذلك بل جيمس ريدر . فقال شرلوك الآن نطقت بالصواب وانت مدير الفندق المسمى كوسمو بوليتان . وكان الرجل ينظر الينا وهو كفاقد العقل ولم تزل العربة تقطع بنا المسافات والشوارع حتى بلغنا منزل شرلوك فدخلناهُ . ولما جلسنا جميعنا حول النار والرجل لا يدري ماذا تكون النتيجة نظر اليهِ شرلوك وقال قد علمنا ياسيدي انك مهتم بالبحث عن الاوزّ الذي باعتهُ مسس اوكشوت وبعبارة اصرح تبحث عن اوزّة واحدة منها بيضاء اللون مخططة الذيل بالسواد . فقال الرجل بلهفةٍ نعم نعم يا سيدي فاين هي . قال شرلوك قد كانت من نصيبنا ولكنها على الحقيقة اوزّة نفيسة تستحق ان تهتم بها لانها قبل موتها وضعت

لنا بيضةً ثمينة للغاية زرقاء اللون يتألق نورها . ولما قال هذا فتح صندوقهُ الحديدي واخرج منهُ الجوهرة فما كاد يقع نظر الرجل عليها حتى وثب على قدميهِ ثم استند الى الكرسي لكي لا يقع وهو لا يعلم اينكر الجوهرة ام يدعيها . ثم كأنهُ اشرق عليهِ الامر فاصفرَّ وجههُ وكاد يقع مغمًى عليهِ لو لم اتداركهُ فاجلستهُ على كرسيهِ وسقيتهُ كأساً من الكنياك . ولما انتعش قليلاً قال لهُ شرلوك قد رايت يا مستر ريدر انني عالم بهذه الجوهرة وانها جوهرة الكونتة موركار وفي يدي براهين الامر بتمامهِ حتى لا اكاد اضطر الى سؤالك عن شيء ولكن لا بأس اذا سمعنا حديثك . فقال الرجل بتردد نعم ان كاترين كوساك خادمة الكونتة هي التي اخبرتني عن هذه الجوهرة

فقال شرلوك يظهر انك لما علمت بها ساقك الطمع كما ساق غيرك الى الحصول عليها ولكنك استعملت وسائط غيرحسنة واتهمت الخادم هورنر لانهُ سبق لهُ تهمة مثل هذه فتيقنت ان احتجاجهُ لا يبرئهُ . وقد تواطأت مع الخادمة فاخترعت حجةً دخل بها الخادم الى غرفة الكونتة ولما خرج اخذت الجوهرة انت وفتحت الخزانة واخرجت العلبة ثم اذعت امر السرقة واتهمت ذلك المسكين فقبضوا عليهِ وساقوهُ الى المحاكمة . ثم ..... ولم يمهلهُ ريدر ان يتم كلامهُ بل جثا امامهُ وقبَّل قدميهِ ثم تساقطت دموعهُ وقال بربك يا سيدي ارحمني انني لم افعل ما يشين شرفي في كل حياتي ولا اعلم كيف اطغاني الشيطان هذه المرة . فاتوسل اليك ان لا توصل امري الى المحاكم لان بذلك سقوط شرفي وكسر قلب والديَّ وانا اعدك انني لن افعل نقيصة في حياتي بعد . فانهضهُ شرلوك الى كرسيهِ وقال سكن روعك يا هذا واعلم انك لم تفتكر مثل هذه الافكار عند ما رأيت المسكين هورنر يقاد الى المحاكمة . فقال ريدر اعذرني . سامحني . ارحمني وانا اعدك انني اسافر الليلة الى حيث لا يعلم احد واذ ذاك تسقط قضية هورنر وينجو . فقال شرلوك مهلاً ان سلامتك تتوقف على سرد الحقيقة كما هي فاخبرني كيف وصلت الجوهرة الى حوصلة الاوزة وكيف وصلت الاوزة الى مسس اوكشوت لتبيعها

فاطرق المسكين هنيهة ثم قال انهُ لما القي القبض على هورنر خفت جدًّا لانني

توهمت ان الشرطة ستأتي لتفتشني وتفتش غرفتي واردت ان اتخلص من الجوهرة فلم اجد محلاً في الفندق يمكنني ان اخفيها فيهِ بامان فخرجت الى بيت شقيقتي التي هي المسس اوكشوت وهي تتاجر ببيع الطيور وكنت على طريقي كلما رأيت شبحاً اظنهُ الشرطي ومع ان البرد كان على اشدّهِ والثلج يغطي الطريق كان العرق يتصبب من وجهي وجسمي . ولما رأت شقيقتي حالي واضطرابي قلقت وسألتني عن السبب . فقلت لها ان سرقة الجوهرة من الفندق اثرت فيَّ جدًّا ثم انطلقت الى الحديقة واشعلت غليوني وجلست افكر فيما يجب ان افعل . وكان قد اتفق لي ان عرفت رجلاً اشتهر بالسرقة والجرائم وسجن لاجلها مراراً فخطر لي ان اقصدهُ واستشيرهُ في الامر ليساعدني في بيع الجوهرة والحصول على المال وايقنت انهُ لا يخونني لانني اعرف من جرائمهِ ما لم تعرفهُ الحكومة بعد . غير اني خفت ان انا خرجت الى الشارع ان اصادف الشرطة في انتظاري فاذا امسكوني يجدون الجوهرة في جيبي . وانني لكذلك اذ خطر لي ان شقيقتي وعدتني باوزة تعطيني اياها لاجل عيد الميلاد فللحال دبرت في فكري ما يعجز امهر رجال الشحنة عن تصورهِ فاسرعت واخترت من بين الاوز واحدة بيضآء اللون ذيلها مخطط بالسواد فاخذتها الى جانب وفتحت فمها ووضعت فيهِ الجوهرة دافعاً اياها بسبابتي حتى نزلت الى معدتها . واذ ذاك جآءت شقيقتي وسألتني عما افعل فقلت لها انني ابحث بين الاوز لاختيار الاوزة التي وعدتِني بها . فقالت لا تتعب نفسك فان عندي ستًّا وعشرين اخترت منها اثنتين واحدة لك وواحدة لنا والباقي برسم البيع . قلت نعم لكنني اريد ان آخذ هذه الاوزة التي كانت في يدي لانها اعجبتني . قالت كلا بل التي اخذتها لك قد علفتها جيداً وهي تزيد عن هذه حسناً ووزنها يزيد نحو اربعة ارطال . اما انا فالححت عليها باخذ الاوزة البيضآء التي كانت في يدي ولما رأت الحاحي قالت انتَ وشأنك فخذها واذبحها . وما صدقت ان سمحت لي بذلك حتى رجعت الى الاوز فاخذتُ تلك الواحدة وذبحتها وحملتها شاكراً شقيقتي ثم توجهت رأساً الى الصديق الذي ذكرتهُ فأطلعتهُ على الامر

فذكر لي ان لديهِ طريقة لبيع الجوهرة سرًّا بدون ان يعلم احد . ثم شققنا الاوزة ولا اقدر ان اصف لكما غمي ودهشتي عند ما رأيت جوفها فارغاً وليست الجوهرة فيهِ فكدت افقد عقلي . ثم عدت الى منزل شقيقتي في اليوم الثاني وسألتها بدون ان اتركها تعلم شيئاً عن رغبتي فعلمت منها انهُ كان بين الاوز اثنتان بيضاوان اذنابهما مخططة بالسواد الواحدة اخذتها انا والاخرى باعتها مع البواقي لتاجر يدعى بركنردج فعلمت اذ ذاك ان الجوهرة في الاوزة الاخرى ولم اتأخر عن الذهاب الى محل بركنردج فوجدت انهُ باع الاوز حال وصولهِ ولكنهُ لم يذكر لي اسم المشتري فاجتهدت كثيراً ان ابتاع منهُ ذلك السر فاصرّ على الكتمان . فتركتهُ ثم جئتهُ في اليوم الثاني والثالث فرفض اجابتي كالسابق وقدّر الله حضوركما وقد سمعتما ما كان وعرفتما ما جرى . فآه الويل لي انني فقدت شرفي واصبحت لصًّا دنيئاً ومع ذلك لم اكسب شيئاً ثم استخرط في البكاء وتصعيد الزفرات

وتلا ذلك سكوت طويل وكلٌّ منا يناجي افكارهُ ثم نهض شرلوك ففتح باب الغرفة واشار الى ريدر قائلاً اخرج يا هـذا . فنهض ذاك مسترحماً وهو يقول بربك يا سيدي ارحمني . فقال شرلوك بصوت الآمر لا لزوم لزيادة كلمة واحدة فاخرج في الحال . وما صدق ذاك ان بلغ الباب حتى وثب الى الشارع وسمعنا وقع اقدامهِ يبتعد ركضاً . ثم نظر اليَّ شرلوك وقال اعلم يا وطسن ان الشحنة لم تستخدمني لاظهار الهفوات التي يرتكبونها • ولو كان هورنر في خطر أن يحكم عليهِ لفعلت شيئاً آخر ولكن لا يمكن بعد الآن ان يظهر هذا الرجل ريدر في كرسي الشهادة والشكوى وستكون النتيجة حفظ اوراق الدعوى • ولا انكر ان عملي هذا قد يكون فيهِ شيء من مخالفة القانون ولكنني معتقد انني خلصت نفساً من الهلاك فان ريدر لن يقع في نقيصةٍ اخرى فقد كفاهُ ما احتمل من الخوف ولو سعيت في ارسالهِ الى السجن لجعلتهُ شقيًّا ما بقي من حياتهِ • والآن عليَّ درس قضية اخرى ليست اقل غرابةً من هذه وللطير فيها حديث ايضاً

﴿ اغلاط المولدين ﴾

(تابع لما قبل)

وقال الخشّاب

قَطَّعَ قلبي بحبّهِ أَرَبا وصدَّ عنّي فلم انل أَرَبا

اراد التجنيس بين أَزب وأَرَب فاخطأ لان الاول صوابهُ إِرْب بكسرٍ فسكون ومعناهُ العضو وهو يُستعمَل في مثل هذا التركيب مكرراً يقال قطَّعهُ إِرباً إِرباً اي قطعهُ عضواً عضواً ولا معنى لأن يقال قطَّعهُ إِرباً بالافراد كما لا يخفى . وقال الامير احمد بن معصوم

فتلك مغانٍ لا تزال تحلّها مدملجةُ الساقين مهضومة المِعَى

يريد مهضومة البطن اي ضامرتهُ فعبَّر بالمعى . وقال ابن بسّام

فيُرَى هلالاً زاهراً ويُرَى قضيباً ناضراً ويُرَى كثيباً امـلدا

الاملد الرَخص وهو انما يوصف بهِ الغصن والقدّ ونحوهما فجعلهُ وصفاً للكثيب وهو التلّ من الرمل . وقال محمد بن بشير الرياشي .

أَخلِق بذي الصبر ان يحظى بحاجتهِ ومدمن القرع للابواب ان يَلِجا

اراد ان يظفر بحاجتهِ فعبّر بيحظي ولا يكون يحظى بهذا المعنى كما نبهنا عليهِ في لغة الجرائد . قال في لسان العرب الحُظوة والحِظَة المكانة والمنزلة للرجل من ذي سلطان ونحوهِ وقد حَظِي عندهُ ورجلٌ حظيٌّ اذا كان ذا حظوةٍ ومنزلة . اهـ . ومثلهُ في سائر كتب اللغة ولم ينقل احدٌ حظيت بكذا بالمعنى المتقدم ولا ورد في كلامٍ قديم لكن غاية ما هنالك إنهُ يمكن

ان يقال حظي فلانٌ عند الامير بصدق خدمتهِ مثلاً اي كان صدق خدمتهِ سبباً لحظوتهِ عند الامير ومن هذا قول ابي نُوَاس

وما لك غيرَ ما قدَّمتَ زادٌ   اذا جعلَت الى اللهوات ترقى
وما احدٌ بزادٍ منك أَحظَى   ولا احدٌ بذنبٍ منك أَشقَى

قولهُ اذا جعلت الى اللهوات ترقى يريد النفس عند الاحتضار كما جآء في سورة القيامة كلاّ اذا بلغت التراقي فاضمر لها من غير ذكر لدلالة المقام عليها . وقولهُ فما احدٌ بزادٍ منك احظى اي لا يكون احدٌ احظى بواسطة هذا الزاد منك كما لا يكون احدٌ اشقى بذنبك منك وعبّر بلفظ التفضيل وهو غير مراد والمعنى لا يسعد احدٌ بالزاد الذي تقدّمهُ سواك كما انهُ لا يشقى احدٌ بالذنب الذي تقترفهُ سواك . ومثل قول محمد بن بشير قول الصفيّ الحلّي

من لي بقربك والمزار عزيزُ   طوبى لمن يحظى بهِ ويفوزُ

وقول ابن التعاويذي

لم احظَ منها بسوى نظرةٍ   خالستُها من جانب الخدرِ

وهو استعمالٌ عاميٌّ كما اشرنا اليهِ في موضعهِ . وقال الخشّاب

دُم في سرادق حفظ الله معتصماً   بالأَمنِ واليمن مأموناً من الغيَرِ

يريد آمناً من الغيَر فعبّر بمأموناً وانظر ما يكون المعنى حينئذٍ . وقال ابو الحسن العقيلي

تسمح قبل السؤال انفسُنا   بخلاً على مآء وجه من يَسَلُ

اراد نسمح بالعطآء قبل السؤال بخلاً بمآء وجه السائل ان يُبذَل في الطلب

فعبّر مكان البآء بعلى فانعكس المراد واضطرب معنى البيت كلهِ . ونحوهُ قول ابن زمرك

كفٌّ ابت ان لا تكفَّ عن الندى ابداً فان ضنّ الحيا تسترسلُ

اراد ابت ان تكفّ فعبّر بلا تكفّ فانقلب المعنى . وقال لسان الدين ابن الخطيب

سلّمي يا نفس في حكم القضا واعمري الوقتَ برُجعى ومتاب

دَعكِ من ذكرى زمانٍ قد مضى بين عُتبى قد تقضّت وعتاب

يريد دعي عنكِ ذكرى الزمان الماضي فعبّر بدَعكِ وفيهِ أولاً انهُ جعل فاعل دَعْ ومفعولهُ ضميرين لواحد وهذا لا يكون الا في افعال القلوب وما حُمِل عليها مما هو مذكورٌ في مواضعهِ . وثانياً انهُ جعل احد الضميرين مذكراً وهو الضمير المستتر في دع والآخر مؤنثاً وهو الكاف مع ان المخاطَب بكليهما واحدٌ وهو النفس فكان ينبغي لو صحّ هذا التركيب ان يقول دَعيكِ بتأنيث الضميرين جميعاً . وقال محمد بن بشير

واذا رأيتَ صديقهُ وشقيقهُ لم تدرِ ايُّهما ذوو الارحامِ

يريد لم تدرِ ايهما ذو الرحم اي الشقيق فأخبر عنهُ بالجمع . وفي مذهبهِ قول ابي تمام

اطلَّ على كلا الآفاق حتى كأنّ الارض في عينيهِ دارُ

يريد كل الارض فعبّر بكلا واضافهُ الى المجموع . ومثلهُ قول ابنَ سالم من المتأخرين

هاك بكراً زففتها لاعتذارٍ وقبولٍ لعذرك المفضالِ

فعليها كن مسبلاً بالتغاضي ستر عذرٍ على كلا الاحوالِ

ومن هذه القصيدة

منك زُفّت عروس بكرٍ الينا حين عزّت في حسنها عن مثال

اراد عروسٌ بكرٌ على الوصف فاضطرّهُ الوزن فأضاف ويمكن ان يكون منع صرف عروس وكلاهما من غريب الضرورات . ومثلهُ قول عليّ ابن لؤلؤ الكاتب

كأنّ صفاء الجوّ ناظرُ ازرقٌ لهُ الغيم جفنٌ هدب اجفانهِ القطرُ

وانظر كيف يكون الجوّ ازرق صافياً وهو غائمٌ ممطر . على ان الناظر انسان العين لاحدَقتها وهو لا يكون الاّ اسود . وقول ابي السعود الكوراني

كانما الوجه والخال الكريم بهِ مع العذار الذي اسودّت غدائرهُ

بيتُ العتيقُ الذي في ركنهِ حجرٌ قد أُسبلت عن اعاليهِ ستائرهُ

اراد البيت العتيق فحذف أل للوزن . وقولهُ في البيتِ الاول اسودّت غدائرهُ الغدائر جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر فجعل للعذار غدائر . على ان تشبيه العذار بستائر البيت ووصفها بانّها قد أُسبلت عن اعاليهِ يدلّ على انهُ يفهم بالعذار شعر الرأس ولذلك جعل لهُ غدائر . ويتصل بذلك قول الامير احمد بن معصوم

هو الحسن بل حسن الورى منهُ مجتدًى وكلهمُ يُعزَى لجوهر فردهِ

اراد لجوهرهِ الفرد فأخّر الضمير وبقي الوصف معترضاً بينهُ وبين ما اضيف اليهِ . على ان مقتضى صنيعهِ انهُ نزّل اللفظين منزلة كلمة واحدة اضافها الى الضمير على حدّ قول القائل في ايامنا مفتش اول المدارس وطبيب ثاني

المركز وما اشبه ذلك وهو من غريب الصِيَغ . ومثلهُ قول ابن النحاس

الجودَ بحرٌ وهو دُرٌّ يتيمهِ والمجد بيتٌ وهو فيهِ قوامُ

واغرب من هذا قول ابن طَبَاطَبَا

يا فرحةً لو كنتَ بين القوم يا من لا يطيب لنا المقام سوى بهِ

فاعترض بالبآء بين سوى وما اضيفت اليهِ أو بسوى بين البآء ومتعلّقها الذي هو يطيب . وتظهر لك غرابة هذا التركيب بصورةٍ اوضح اذا بدّلت لفظ سوى بغير فقلت لا يطيب لنا المقام غير بهِ وانظر كيف تنطق بغير والحالة هذه وقد تقدم لنا التنبيه على مثل هذا غير مرة . ومنهُ قول محمد ابن يوسف الكريمي

وطاب لمغرم الحب التصابي ولذَّ سوى عن المعشوق صبرُ

وقال ابن معتوق

يا قلب اينك من بلوغ بدورهم ولو اتخذت حبال شمسك سُلَّما

اراد اين انت فأضاف اين الى الضمير وهو تعبيرٌ عاميٌّ . وقال ابن خصيب

ومدّت شراكَ دُجَى شعرها فصادت لطائر قلبي ولي

اراد بالشراك جمع الشَرَك بفتحتين وهو حبالة الصياد وانما الشراك السير الذي تشدّ بهِ النعل وقد تقدم الكلام عليهِ في غير هذا الموضع . وقولهُ فصادت لطائر قلبي اراد صادت طائر قلبيَ فزاد اللام خطأً لان هذه اللام لا تزاد الا على المفعول المقدَّم أو على ما عاملهُ شبه فعل من مصدر أو وصف . وقال ابو دلامة

فبينَ ذاك كذا اذ جآء صاحبها يبغي الدراهم بالميزان ذي الكِفَفِ

فاضاف بين الى الجملة بعدها والاضافة الى الجُمَل مخصوصةٌ بظروف الزمان فاذا عرض وقوع بين هذا الموقع فُصل بينها وبين الجملة بما او أُشبعت فتحتها حتى يتولد منها أَلِف وقد تقدّم الكلام على هذا ايضاً . وقال محمد بن بشير الرياشي

لاتذكري لوعةً إثري ولاجزعا ولا تقاسين بعدي الهمّ والهلعا

فرفع الفعل بعد لاالناهية . وقال البهآء زهير

وما شبتُ الامن مواقع نحرها على أَنَّ عهدي بالصِبَى لقريبُ

فقرن خبر انَّ باللام مع وقوعها معمولةً للجارّ ووجوب فتح همزتها والحالة هذه لان الجارّ لا يعمل في الجُمَلُ. ويتصل بذلك قولهُ ايضاً

واني وان هزّ القوام معاطفي لما ازددتُ الانخوةً وتعرُّبا

فادخل اللام على خبر انَّ المنفيّ وهي لا تدخل الافي الاثبات . وقال ابن النحاس

لست اشكو حال جفني والكرى لو يكن بيني وبين النوم صلحُ

فجزم الفعل بلو وهي لا تجزم في الفصيح على انها لو كانت جازمة لما صح الجزم بها لفظاً في هذا الموضع لتقدم جوابها او ما هو بمعناهُ عليها ولذلك يلتزمون في مثل هذا التركيب ايراد الشرط بلفظ الماضي . على ان البيت كلهُ مجال نظر للناقد . وقال السنجاري

قُولا لنجل ابنِ معصومٍ اذا نظرت اليهِ عيناكما عني ولا تخَفا

فحذف عين الاجوف هنا كما تُحذَفُ في قولك لا تخَفْ او لا تخَفِ الرجل مثلاً مع ان الجزم هنا انما يكون بحذف النون لا باسكان الآخر فتبقى

صورة المجزوم فيما سوى ذلك كصورة المرفوع . وانما تستمرّ العين محذوفة في مثل لا تَخَفِ الرجل لان حركة اللام عارضة لا لتقآء الساكنين فلا يُرَدّ المحذوف بسببها . وكذا اذا حُرّكت في القافية كما في قولهِ « يا كعبةً بسواها الطرف لم يَطُفِ » لان حركتها عارضة لا لتقآء الساكنين ايضاً بينها وبين اليآء المقدّرة بعد الرويّ كما تقرّر كل ذلك في اماكنهِ

(ستأتي البقية)

الشعر وزينة الرأس

ما زال الانسان منذ وُجد مولعاً بهذا الشعر النابت على رأسهِ يقلّبهُ على هيئاتٍ واشكالٍ مختلفة وهو لا يدري لهُ منفعةً ولا معنى . فمنهم من كان يرسلهُ ويزعم انهُ دليل القوّة ولذلك كان يُعدّ من شارات الابطال ويُتَّخذ عنواناً للحرّية وبعكسهِ الشعر القصير فانهُ كان دليل الضعف والرقّ والهوان . فكان الهنود والمصريون والعبرانيون والفرس واليونان والجرمان والقُوط يطلقون شعورهم وكذلك الرومان في مدة القرون الاربعة الاولى من تاريخهم وكان العبيد عندهم وعند اليونان يحلقون شعر رؤوسهم وبذلك كانوا يميَّزون من الاحرار

ولما كان الشعر القصير دليل الانكسار والذلّة اتخذوهُ دليلاً على الحزن والاسف الشديد فكان العبرانيون واليونان اذا رُزئوا بموت عزيز او بمصاب شامل يقصّون شعورهم وكان البحارة من اليونان والرومان اذا نجوا من غرق يقصون شعورهم كذلك ويجعلونها تقدمةً لاحد الآلهة .

وقد تفننت اليونان في الشعر تفنناً غريباً فكانوا يصلحونهُ على هيئات شتى تُرَى اشكالها الى اليوم في تماثيل الآلهة التي كانوا يصنعونها منها ان يهيأ الشعر على شكل شعر الاسد فيُرفع من فوق وسط الجبهة الى الاعلى بعد فرقهِ من الوسط ويُرسَل على جانبيها وما يليهما من الصدغين فتسقط اطرافهُ فوق العارضين على شكل عُرًى ملتفّة ويتصل بشعر اللحية بحيث يكون الوجه محاطاً من كل جانب بالشعر الكثيف . وهذه الهيئة يمثَّل بها المشتري او جوپيتِّير وكذلك كل من كانوا يزعمون انهُ من ذرّيتهِ مثل اسكولاپ واسكندر الكبير وغيرهما . وكانوا يمثلون عطارد بشعر قصير مفتّل وهركول بشعرٍ قصير جعد يشبه الشعر الذي بين قرني الثور

وقد تقدم ان الرومان كانوا قديماً يتخذون الشعر طويلاً الا انهم تركوا هذه العادة نحو سنة ٣٠٠ قبل التاريخ الميلادي . واما عند الشعوب الجرمانية فلبث طول الشعر عنواناً للعزة والسيادة حتى في الاحوال الاجتماعية بحيث انهم كانوا في فرنسا لعهد السلالتين الاوليين اذا خلعوا احد ملوكهم او ارادوا ان يحرموا وارثهُ الشرعي ولاية العهد يحلقون شعر رأسهِ . ولم يكن بينهم اذ ذاك من يقصّر شعرهُ سوى خدّام الدين لما في ذلك من الرمز الى العبودية الروحية التي نذروا لها انفسهم باختيارهم فكانوا لا يتركون من شعرهم الا اكليلاً ضيقاً . غير انهُ في مدة كارلوس الاصلع (في اثناء القرن التاسع) كان الناس مجاملةً للملك يحلقون كل شعر رؤوسهم ولكنهم كانوا يلبسون قلانس مفرّاة حتى اذا انقضت ايامهُ عادوا الى الشعر الطويل . وكان منهم من يلوّن شعرهُ بغير لونهِ ومنهم من يذرّ عليهِ

مسحوقاً ابيض او اشقر يتخذ الاول من ناعم النشاء يضاف اليهِ شيء من المواد العطرية والثاني من دقيق الذُرَة او الزعفران ونحو ذلك . وكان المترَفون في عهد الامبراطورية الرومانية يذرّون على شعرهم مسحوقاً من الذهب

اما اتخاذ الوَفرة وهي الشعر المستعار فهو قديمٌ جدًّا وفي كلام اكزنيفون انها كانت مستعملةً عند المادَويين والفُرس وذكر غيرهُ من مؤرخي اليونان انها كانت شائعةً عند المصريين والقرطاجيين وفي اكثر الممالك الصغرى من اعمال اليونان . واما عند الرومان فعمّ استعمالها في ايام الامبراطورية واستمرّت في القرون الاولى للنصرانية مع تشديد رؤساء الدين في تحريمها ولبثت كذلك الى القرن الثاني عشر ثم اخذت تقلّ شيئاً فشيئاً الى ان أُهملت بتاتاً . ولكنها عادت في القرن السادس عشر وكان فيمن استعملها رجال الدين انفسهم فلبثت شائعةً مدةً تزيد على ثلاث مئة سنة بلا معارض لكنها كانت تتبدل شكلاً وحجماً وكان منها ما هو فاحش الطول والكثافة حتى اضطُرّوا ان يعقدوا خُصَلها المدلاّة منعاً لانتشارها ثم صاروا يجعلونها في اكياسٍ من حرير او غيرهِ يرسلونها على الظهر واشتدّت مغالاتهم بها حتى كانت ذوات اللون الاشقر منها تباع بثلاثة آلاف فرنك . وما زالوا يتفننون فيها على انحاء يطول شرحها الى ان بطل استعمالها قبل حدوث الثورة الاخيرة بقليل ولم يبقَ من يستعملها سوى بعض الشيوخ ممن يحافظون على العادات القديمة . واما اليوم فلا يستعملها الا من ابتُلي بصلعٍ باكر

اما عند العرب فلم نرَ ذكراً للوفرة الا في كلام صاحب الاغاني عند ذكر جميلة واخبارها قال جلست جميلة ولبست برنساً طويلاً وألبست من كان عندها برانس دون ذلك وكان في القوم ابن سريج وكان قبيح الصلع قد اتخذ وفرة شعر يضعها على رأسه . قال ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها ودعت للقوم بمثل ذلك . انتهى المقصود منهُ . والذي يظهر من هذا الكلام الاخير ان الوفرات كانت تُصنعَ وتباع لان ذلك لا يمكن ان يُصنعَ بالحضرة كما لا يخفى

وكان العرب في زمن الجاهلية يطلقون شعر رؤوسهم كما يؤخذ من خبر اليوم المعروف بيوم تحلاق اللِمَم وهو يومٌ كان بين بكر وتغلب بجعل بنو بكر شعارهم حلق رؤوسهم واعطوا كل امرأةٍ من نسآئهم هراوةً وقربة مآء فكنَّ اذا مررنَ بجريح منهم عرفنهُ بتلك العلامة فاقبلنَ عليه يسقينهُ ويأخذنَ بيدهِ واذا مررنَ بجريح من بني تغلب ضربنهُ بالخشب فقتلنهُ . واللِمَم جمع لِمّة وهي الشعر المجاوز شحمة الاذن وهي فوق الوفرة فاذا بلغت المنكبين فهي الجُمّة . وفي البخاري حدّثنا اسحق . . حدّثنا أنَس عن النبيّ (ص) انهُ كان يضرب شعرهُ منكبيهِ . وفي ابن خلكان في ترجمة الحجاج بن يوسف ان عمر بن الخطاب (رضه) طاف ليلةً في المدينة فسمع امرأةً تنشد في خدرها

هل من سبيلٍ الى خمرٍ فاشربها ام من سبيلٍ الى نصر بن حجّاج

فقال عمر (رضه) لا ارى في المدينة رجلاً تهتف بهِ العواتق في خدورهنَّ عليَّ بنصر بن حجّاج فأُتي بهِ فاذا هو احسن الناس وجهاً واحسنهم شعراً .

فقال عمر عزيمةٌ من امير المؤمنين لتأخذنَّ من شعرك فاخذ من شعره فخرج له وجنتان كانهما شقتا قمر فقال اعتم فاعتم ففتن الناس بعينيه . فقال عمر والله لا تساكنني ببلدةٍ انا فيها ونفاه الى البصرة

لكن يؤخذ مما تقدم ان العرب كانت تأخذ من اطراف شعرها فلا يتجاوز المنكبين والى هذا الاشارة في الحديث لعن الله المجمِّمات قال في النهاية هنَّ اللواتي يتخذنَ شعورهنَّ جُمّةً تشبهاً بالرجال . على انهُ ربما اتخذ الرجل منهم عقيصتين وهما الضفيرتان يرسلهما عن يمين وشمال وربما جمع شعرهُ وعقدهُ في قفاهُ وهو التجمير . واما حلق الرؤوس فلم يكن مألوفاً عندهم ولم نقف على الزمن الذي بدأوا يحلقون فيهِ بعد الاسلام لكن لا ريب ان اطلاق شعر الرأس كان باقياً الى زمن العباسيين كما يُتناول من خبر جميلة وابن سريج حتى كان من اصيب منهم بالصلع يتخذ الوفرة

واما لباس الرأس فكان العرب يلبسون العمائم واستمرّت هذه العادة بعدهم في الاسلام الى يومنا هذا الا في الاندلس فقد جاء في نفح الطيب للمقَّري ما صورتهُ . واما زيّ اهل الاندلس فالغالب عليهم ترك العمائم لا سيما في شرق الاندلس فان اهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيهاً مشاراً اليهِ الا وهو بعمامة . ولقد رأيت عزيز بن خطاب اكبر عالمٍ بمرسيةَ حضرة السلطان وهو حاسر الرأس وشيبهُ قد غلب على سواد شعرهِ . واما الاجناد وسائر الناس فقليلٌ منهم من تراهُ بعمّة في شرق او في غرب . وابن هود الذي ملك الاندلس في عصرنا رايتهُ في جميع احوالهِ ببلاد الاندلس وهو دون عمامة وكذلك ابن الاحمر الذي معظم

الاندلس اليوم في يدهِ . قال واكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان الا انهُ لا يضعهُ على رأسهِ منهم الا الاشياخ المعظمون وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً والصفر مخصوصة باليهود ولا سبيل ليهودي ان يتعمم البتة والذؤابة لا يرخيها الا العالم ولا يصرفونها بين الاكتاف وانما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى

وفي خطط المقريزي كان رجال الدولة الجركسية في مصر من الامرآء والمماليك والاجناد يلبسون الطواقيّ بغير عمائم ويمرّون كذلك في الشوارع والاسواق وكانت هذه الطواقي ما بين احمر واخضر وازرق وغير ذلك . وكانت اولاً ترتفع نحو سدس ذراع ويُعمَل اعلاها مدوَّراً مسطحاً وفي زمن الملك الناصر كان نوعٌ منها يُعرَف بالطواقي الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية نحو ثلثي ذراع واعلاها مدور مقبَّب . وكان الرسم في الدولة التركية ان السلطان والامرآء وسائر العسكر يلبسون على رؤوسهم كُمّةً يسمونها بالكلوتة[1] صفرآء اللون مضرَّبة تضريباً عريضاً ولا عمامة فوقها وتكونُ شعورهم مضفورة مدلاّة في كيس حرير احمر او اصفر ويسمون ذلك الكيسَ بالدقّوقة . انتهى تحصيلاً

واما النسآء فكانت اليونانيات منهنَّ يمشطنَ شعرهنَّ مشطاً بسيطاً وكذلك الرومانيات الى عهد الامبراطورية وهو الزمن الذي انتقلت فيهِ المملكة الى الترَف والزينة فاخذنَ يهيئنهُ على هيئاتٍ يطول وصفها لكثرتها وتنوُّع اشكالها كما يظهر من التماثيل الباقية لهذا العهد . وكثر

(١) لعلها تعريب calotte

تفننهنَّ بعد ذلك عصراً بعد عصر الى ان بلغنَ اقصى مبلغ من الغرابة والهُجنة كما ترى في الشكل الاول وفيهِ رسم ضربٍ من الكمام (جمع كُمّة وهي في الاصل القلنسوة المدوَّرة والمراد بها هنا كل ما يُلبَس على الرأس) اصطلحنَ عليهِ في القرن الرابع عشر لهُ جناحان فاحشا الكبر يذهبان عن يمين وشمال ويعمّ الرأس كلهُ الى نقرة القفا فلا يظهر معهُ شيءٌ من الشعر ويُعرَف في لغتهم بالقرون... (Cornes) . ثم انهُ في سنة ١٤٢٨ ظهر نوعٌ من الطرطور وصلنَ به الى حدّ فاحشٍ في الطول

(ش ١)

كما ترى في الشكل الثاني حتى كان ارتفاعهُ احياناً يبلغ الى متر وكنَّ يغطينهُ بملاءَة تطيلها نساء الامراء حتى تجرّ على الارض وتجعلها نساء الاشراف الى العَقِبَين ونساء العامة الى الخصر . وهو اشبه شيءٍ بالطرطور اللبناني الذي كان مصطلحاً عليهِ الى اواسط القرن الماضي الا ان الطرطور اللبناني لم يكن يزيد طولهُ على نصف متر . ولبث هذان الزيّان الى آخر القرن الخامس عشر ثم أُهملا فكنَّ بعد ذلك يلبسنَ قُبَّعات متطأمنة ولبثنَ على ذلك الى اواخر القرن السابع عشر . واتفق في سنة ١٦٨٠

(ش ٢)

ان مادام دُفُونْتانْج خرجت الى نواحي فُونْتَنْبلُو فهبت ريحٌ شديدة ضربت شعرها فتشعث وانتقضت مِشطتهُ فشدّتهُ بشريطةٍ جعلت

عقدتها الى الامام وسقط طرفاها على جبهتها فلما كان الغد اذا كل نسآء البلاط بشرائط وسمّي هذا الزيّ بالفُونتانج . ثم اخذنَ يتفنَّنَّ فيهِ ويزدنَ عليهِ حتى صار اشبه بالطرطور فكنَّ يتخذنَ عدداً كبيراً من اسلاك الصفر الطويلة ويعقدنها بالشرائط ثم يزيّنّها بكل نوع من الحلي والزخارف ويجعلنَ ذلك كلهُ فوق اعلى الجبهة وكان طول الفونتانج يبلغ من نصف متر الى متر فما فوق

ثم انهُ في مدة لويس السادس عشر عادت الكمام العالية ولم تلبث ان أُفرط فيها إفراطاً عجيباً فكانت ازيآء الشعر تتبدل على ما لا يُحصَى من الاشكال والهيئات وكان رأس المرأة يُرى تارةً كأَنهُ قطعةٌ من حديقة ذات ازهار واطيار وتارةً اشبه بحانوتٍ يتضمن نوادر الطُرَف والمصنوعات. ومن اغرب ما وصل اليهِ تفننهنَّ انهُ في سنة ١٧٧٨ حدثت واقعةٌ بين الفرنسيس والانكليز فازت فيها احدى بوارج الفرنسيس المسماة بَلّ پُول فكنَّ يصطنعنَ بوارج صغيرة على شكل البارجةَ المذكورة يضعنَها على رؤوسهنَّ ويشبكنَها باسلاكٍ من الحديد بعد ان يهيئنَ الشعر تحتها على شكل بحر ذي امواج كما ترى في الشكل الثالث



(ش ٣)

وبين كل ذلك ضروبٌ لا تُحصي من الازيآء اجتزأنا عن ذكرها خوف الملل كما اضربنا عن ذكر ما يختص من ذلك ببعض الامم البعيدة كأهل الهند والصين واليابان وغيرهم لانا لو شئنا ان نتتبع كل ما جآء من

هذا القبيل لطال بنا القول الى ما لا تحتملهُ هذه المجالة . على ان هذه الأزياء لا تزال تتجدد على الايام بحيث انهُ لو اخذ كاتبٌ في وصف الازياء الحاليّة وحدها لاستغرقت مجلداً كبيراً بل لما انتهى فيها الى حدٍ يقف عندهُ لاننا كل يوم في زيّ جديد

متفرقات

الطب المصري القديم — عثر البروفسور رَيسنر في الدير البحري وهو الموضع الذي كانت قائمةً فيهِ مدينة ثيبة على صحيفةٍ من البَرديّ بعث بها الى كلّية كاليفورنيا وقد استُفيد منها مع ما تقدَّمها من المعلومات الاثرية زيادة بيانٍ في معرفة ما كان عليهِ الطب القديم في مصر . والذي يظهر من جملتها انهم كانوا يذهبون الى ان الامراض تنشأ عن طائفٍ من الجنّ اوعن روحٍ خبيث يدخل جسم الانسان وكانوا يعالجونها بالرُقَى السحرية . الا انهم مع ذلك كانوا يستخدمون المعالجات الدوائية واكثرها مما تصفهُ العجائز من موادّ طبيعية او مصنوعة فيعتمدون منها ما ثبت نفعهُ بالتجربة . فكانوا يستعملون خلا العقاقير النباتية المعادن السحرية او غيرها واللحم الحيّ من قلبٍ او كبد او مرارة والدم العبيط وشعر الأيّل او قرنهُ ولبن المرأة ورجيع الاسد ودماغ السلحفاة وغير ذلك وهم يعزون استنباط هذه الادوية الى الآلهة او الى ملوك السلائل الاولى . على ان المصريين كانوا ملمّين بمعرفة بعض الحقائق الطبيّة وكانوا على بيّنةٍ من دورة الدم

التي عاد فاكتشفها في اوربا ميشيل سرفاي في القرن السادس عشر . ومما لا بدّ من التنبيه عليهِ هنا ان هذه المدوَّنات كُتبت في زمن اقدم كثيراً من المدوَّنات اليونانية لان تاريخها يرجع الى عهد السلالة الثامنة عشرة من فراعنة مصر اي الى نحو ١٥٠٠ سنة قبل التاريخ الميلادي

الاتّجار بالذباب — ذكرت احدى الجرائد الفرنسوية ان شحناً غريباً فُرّغ في العهد الاخير في ساحة الشحن والتفريغ بلندرا وهو عدة اكياس مملوءة من الذباب الميت بعث بها احد تجار البرازيل الى مخزن حبوب كبير بلندرا

والغرض من طلب اصحاب المخزن المذكور لهذا الذباب ان يُخلَط بالحبّ الذي يُلقَى طعاماً للدجاج والبط والطيور المحبوسة في الاقفاص وغيرها . وهو يُصطاد من جوار الامازون يركب قومٌ من اهل البلاد في زوارق منبسطة القعر ويتخذون شَبَكاً من الغزّيّ (وهو نسيج متباعد الخيوط) والذباب هنالك ينتشر فوق المستنقعات اشبه بسحابٍ كثيف فيأخذونهُ بالالوف وبعد ان يموت يجففونهُ في الشمس ويشحنونهُ في الاكياس . قالت على ان الحكومة هناك غير راضية عن هذا الشحن وفي عزمها ان تعلن منعهُ . . .

نظر المأمون الى ابنٍ صغير لهُ في يدهِ دفتر فقال ما هذا بيدك فقال بعض ما تسجَّل بهِ الفطنة وينبه من الغفلة ويؤنس من الوحشة . فقال المأمون الحمد لله الذي رزقني من ولديّ من ينظر بعين عقلهِ اكثر مما ينظر بعين جسمهِ

آثار ادبية

الوقاية من السل الرئوي — هو تأليف جليل وضعهُ حضرة النطاسي الفاضل الكاتب المشهور الدكتور خليل افندي سعادة بسط فيهِ الكلام على هذا الدآء الوبيل ببيان اسبابهِ وطرق عدواهُ وشرح اعراضهِ وعلاماتهِ الطبيعية وسيرهِ وطرق علاجهِ وتوقّيهِ . وكل ذلك بالتفصيل المُسهَب اخذاً عن اختبارات اكابر العلمآء في المستشفيات والمصاحّ وبعبارةٍ هي غاية في السهولة والوضوح واجتناب الاصطلاحات الخاصة ما امكن بحيث يفهمهُ العاميّ كغيرهِ . ولا يخفى ما في وضع مثل هذا الكتاب على الوجه المذكور من الفائدة الشاملة لجميع الطبقات بحيث انهُ اذا تداولتهُ الايدي وشاعت مطالعتهُ بين عامّة القرّآء كان ولا ريب سبباً في تقليل حوادث هذا الدآء المشؤوم اذ من المعلوم ان اعظم الممهدات لانتشارهِ الجهل بطرق عدواهُ وكيفية توقّيهِ

فنحن نشكر حضرة الدكتور الفاضل على ما تجشمهُ في وضع هذا التأليف المفيد ونحرّض عامّة القرّآء ولا سيما ارباب العيال على مقتناهُ ومطالعتهِ بالتدبر والاستبصار . والكتاب يبلغ نحو مئتي صفحة وهو يباع في مكتبة المعارف بالفجالة بمصر وثمن النسخة منهُ عشرة قروش

احسن ما سمعتُ — هو عنوان كتابٍ نفيس جمعهُ الامام العلاّمة ابو منصور الثعالبي الشهير صاحب التصانيف العديدة في اللغة والادب ضمّنهُ احسن ما سمعهُ من الشعر في اهمّ الاغراض المطروقة من الالهيّات .

والنَبَويّات والملوكيات والاخوانيات والادبيات الى آخر ما هنالك ورتبهُ على اثنين وعشرين باباً قد اشتملت على كل ما هو من عيون الشعر ولُباب القرائح وحسبك أن منتقيها مثل العلامة الثعالبي على ما عُرف بهِ من قوة النقد وسداد النظر . ولا ريب ان جمع الكتاب على هذا الترتيب من اعون الذرائع للاديب على اصابة غرضهِ منهُ والتمثل بهِ في مجالس المحاضرة ومقامات الانشآء اذ لا يخفى ان ايراد البيت من الشعر في بعض مواقع الكلام قد يكون لهُ من الوقع في نفس السامع ما لا يُستوفى بالعبارة المُسهبَة من النثر مهما بولغ في تنسيق لفظها وتقوية معناها

وقد تولى تصحيحهُ حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي صادق عنبر احد اساتذة المدرسة التحضيرية بالقاهرة فتدارك ما امكن تداركهُ من غلط النسخ وعلّق عليهِ شرحاً لطيفاً كشف عن معاني الغريب من الفاظهِ وصدّرهُ بمقدّمة نفيسة وصف فيها محاسن هذه اللغة الشريفة وما امتازت بهِ على سائر اللغات وحرّض سراة الامة وعلمآءها على رفع منارها واحيآء آثارها لو أنّ ثَمّةَ ناراً اذا نفختَ فيها تلمع أو حيًّا اذا ناديتَهُ يسمع

وقد طُبع هذا الكتاب بالتزام حضرة الاديبين محمد افندي اسحاق ومحمد محمود افندي الخادم مدير مطبعة الجمهور بالقاهرة وهو جيد الورق والطبع يقع في نحو مئتي صفحة متوسطة ويُطلَب من المطبعة المشار اليها بجانب دار الكتب الخديوية ومن سائر مكاتب القاهرة وثمنهُ خمسة قروش مصرية .

فكاهات

شرلوك هولمز (1)

— ٢١ —

الحية الرقطاء

من الحوادث الغريبة التي تستحق التسطير الحادثة الآتي شرحها وهي مما حصل عند اول معرفتي بصديقي شرلوك ولكنني لم استطع تدوينها قبلاً بناء على وعدٍ صدر مني . اما الآن وقد ماتت السيدة التي يهمها شيوع هذه الحادثة فلا اجد مانعاً يمنع من نشرها لتخليد ذكر ذلك الصديق العجيب بل من الضروري ان تنشر الحادثة ليتبين سبب وفاة الدكتور رويلوت الآتي ذكرهُ الذي استغربهُ كل من سمع بهِ ولم يعرف حقيقتهُ احد

كنت لا ازال عزَباً اسكن وشرلوك هولمز بيتاً واحداً فحدث في اوائل شهر ابريل سنة ١٨٨٣ انني استيقظت صباحاً فوجدت شرلوك لابساً وواقفاً بجانب سريري . فعجبت لقيامهِ قبل عادتهِ واستأت لانهُ ايقظني قبل وقتي . ولحظ ذلك مني فقال اتأسف جدًّا يا عزيزي وطسن اني ايقظتك باكراً ولكن ليس الذنب ذنبي فان الخادمة استيقظت فايقظتني فايقظتك . قلت وما الداعي الى ايقاظك فهل احترق المنزل او حدث امر عظيم اوجب ذلك . قال كلا بل قد جاءني زائر يطلب مساعدتي وتقول الخادمة ان الزائر سيدة جاءت في منتهى السرعة والتهيج والحثّ في طلب مقابلتي وهي تنتظر في غرفة الجلوس . ولا شك ان فتاة تنهض في مثل هذه الساعة وتوقظ الناس من اسرّة نومهم لا بد ان يكون الدافع لها في غاية الاهمية

(1) بقلم نسيب افندي المشعلاني

واذ ذاك فمن الواجب ان نتتبع الامر من بدآءتهِ ولذلك احببت ان اخبرك كي لا ادع لك سبيلاً لملامتي

ولم يكن لديَّ الذ واشهى من اتباع شرلوك في القضايا المسلمة اليهِ ودرس ملاحظاتهِ وكيفية توصلهِ الى النتائج فنهضت للحال وفي أقل من خمس دقائق ارتديت ملابسي ونزلت معهُ الى غرفة الاستقبال فوجدنا سيدة بثوب اسود وعلى وجهها برقع صفيق ولما دخلنا نهضت قائمةً فحياها شرلوك قائلاً انا ياسيدتي شرلوك هولمز وهذا صديقي الدكتور وطسن فيمكنكِ ان تتكلمي امامهُ بكل حرية ولكنني اراكِ ترتجفين فاقتربي من النار . فقالت انني لا ارتجف من البرد يا سيدي بل من شدة خوفي وخطورة امري ثم رفعت برقعها فرأينا على وجهها علامات الخوف الشديد . وظهر لنا انها لا تكاد تبلغ الثلاثين من عمرها مع بدء ظهور الشيب في شعرها وتغضُّن جلد وجهها . فنظر اليها شرلوك بلطف وقال سكني روعكِ يا سيدتي فاننا سنتمكن ان شآء الله من نفي مخاوفكِ . فقالت اشكر فضلك يا سيدي فانني قد اصبحت في حالة لا صبر لي عليها وليس لي من اشكو اليهِ حالتي الا شخصٌ واحد يهتم بامري ولكنهُ وا اسفاه ضعيف لا يقدر على شيء وقد سمعت عنك يا مستر هولمز من صديقةٍ لي تدعى مسس فارنتوش فاتيتك للحال راجيةً مساعدتك او على الاقل نصيحتك . واعلم انهُ لا يمكنني ان اكافئك الآن ولكنني سأتزوج بعد شهرين واصير مطلقة التصرف في مالي الموروث فترى اذ ذاك انني لست بخيلة

وكان شرلوك قد عمد الى دفتر مذكراتهِ عند سماعهِ اسم فارنتوش و بعد ان قلَّب فيهِ قليلاً قال نعم قد كانت لي يد في قضية مسس فارنتوش وذلك قبل ان اتفقت واياك يا وطسن . ثم نظر الى الزائرة وقال انني اعدكِ يا سيدتي ببذل جهدي اما المكافأة فان اعمالي تكافئ نفسها واما اذا شئتِ ان تدفعي ما ربما يلزمنا من النفقات فانتِ وما ترين متى شئتِ . والآن ارجو منكِ ان تطلعينا على امركِ

فتنهدت الزائرة وقالت آه ان حالتي مجرد خوف من امور لعلك اذا ذكرتها لك تهزأ بها والشخص الوحيد الذي يهمهُ امري حين اطلعتهُ عليها ضحك وقال

انها اوهام ولَّدها فيَّ مزاجي العصبي ولكنني سمعت عنك يا سيدي ما جعلني اعتقد انك تنظر الى كل شيء باهتمام ودقة مهما ظهرت دلائله بسيطة وصبيانية . فاعلم ان اسمي هلن ستونر وانا اقيم مع زوج والدتي وهو الحيّ الوحيد الباقي من اسرةٍ قديمة سكسونية في انكلترامن ايالة موران . وقد كانت هذه الاسرة من الغنى على جانب عظيم وامتدّت املاكها الى بركشيد غرباً ولكن في القرن الغابر تعاقب على ارث الاسرة اربعةٌ مسرفون انفقوا اكثر من نصف قيمتها ثم آلت بعدهم الى مقامرٍ اجهز على الباقي ولم يترك بعدهُ سوى بضعة افدنة من الارض ومنزل قديم جدًّا تتداعى جدرانهُ الى السقوط تحت اثقال الرهون وورثهُ حمو والدتي وهو الذي ذكرتهُ لك ويسمى المستر رويلوت فكان عاقلاً ولكنهُ بقي ساكناً في ذلك المنزل يعيش عيشة الذل المستتر شأن الاشراف اذا افقرهم الدهر . ورأى ابنهُ ان يعتمد على نفسهِ في تحسين حالتهِ فاستدان مالاً من احد الاصدقآء ودرس الطب ولما نال شهادة تلك الصناعة سافر الى كلكتا واخذ يتعاطى حرفتهُ فنجح نجاحاً باهراً . ولكنهُ شعر يوماً ان خادمهُ الهندي يسرقهُ فضربهُ ضرباً برَّح بهِ واماتهُ ولم ينجُ من الاعدام الا بالجهد ولكنهُ سُجن مدة طويلة ولما أُطلق سراحهُ عاد الى انكلترا في منتهى اليأس والحزن . وكان المستر رويلوت هذا في اثنآء اقامتهِ في الهند قد تزوج بوالدتي وهي اذ ذاك ارملة الجنرال ستونر من مدفعية بنكال ولها ابنتان توأمتان انا وشقيقتي جوليا ولنا اذ ذاك من العمر سنتان . وكانت والدتي مثرية يبلغ دخلها السنوي الف ليرة استرلينية فكتبت ما تملكهُ لزوجها رويلوت بشرط انهُ متى تزوجنا يدفع لنا مبلغاً سنوياً معيناً . وبعد ان رجعنا الى انكلترا بوقت قليل قُتلت والدتي باصطدام القطار الحديدي وذلك منذ ثماني سنوات وظهر ان هذا الحادث زاد في كآبة الدكتور رويلوت فترك صناعتهُ في لندن وذهب بنا لنعيش في المنزل القديم المذكور آنفاً في موران . وكانت الاموال التي تركتها والدتي كافية لمعيشتنا فلم يكن ما يقف في سبيل راحتنا وسعادتنا غير ان اطوار الدكتور تغيرت كثيراً فصار يبتعد عن الاصدقآء والمعارف ويسجن نفسهُ في غرفتهِ ولا يخرج منها الا ليخاصم من

يجدهُ امامهُ وكانت حدة الطبع موروثة في اسرته بما يقارب الجنون ولا شك ان اقامتهُ في البلاد الحارة مدة طويلة زادت فيه تلك الحدة . وحدث في الاسبوع الماضي انهُ تنازع مع حداد فضربهُ ثم قذفهُ من مكانٍ عالٍ الى النهر ولكن الحدّاد سلم واضطررت ان اذهب بنفسي واسترضيهُ بشيء من المال حتى اشتريت سكوتهُ . اما الاصحاب الوحيدون الذين يحبهم الدكتور فهم النوَر المتجولون فيسمح لهم بنصب خيامهم في حديقته ويختلط بهم واحياناً يغيب معهم اسبوعاً بتمامهِ . وهو مولع بالحيوانات الهندية وله عميل يرسلها اليهِ وعندهُ الآن منها جرو نمر ونمس اطلقها في الحديقة فصار اهل البلدة يخافون الدنوّ من منزلنا . فتصوّر يا سيدي كم كانت حياتي وحياة شقيقتي جوليا شقية ولا سيما وان الخدامين عافوا خدمتنا فاضطررنا ان نقوم نحن باعمال البيت . ومع ان شقيقتي لم يكن عمرها الا ثلاثين سنة عند وفاتها فان شعرها كان قد وخط الشيب اكثرهُ كما ابتدأت ان اكون انا الآن

فقال شرلوك وهل ماتت شقيقتكِ . قالت نعم منذ سنتين وحديثي يتعلق بوفاتها . ان حياتنا كانت مملة ومتعبة كما ذكرت لاننا لم نكن نرى احداً من البشر سوى خالةٍ كان يسمح لنا بزيارتها من حين الى آخر وهي متقدمة في العمر وحدث منذ سنتين ان زرناها فتعرفت شقيقتي جوليا عندها بضابطٍ في البحرية فاحبها وطلب ان يقترن بها . ولما عرف الدكتور بذلك لم يظهر اقل اهتمام ولكن قبل زواجها باسبوعين حدثت تلك المصيبة المخيفة

فنهض شرلوك باهتمام وقال ارجو منكِ ان تتكلمي بكل تفصيل . فقالت ان منزلنا كما اخبرتك سابقاً قديم العهد لا يُسكَن الاّ في ناحيةٍ منهُ حيث نقيم وغرف النوم في الطبقة السفلى اولاها للدكتور رويلوت وبجانبها غرفة شقيقتي جوليا ثم غرفتي ولا يوجد بينها اتصال بل كلها تشرع الى الدار ونوافذها تطل على الحديقة . ففي الليلة التي اخبرك عنها دخل الدكتور غرفتهُ باكراً وعلمنا انهُ لم ينم لان شقيقتي كانت تشمّ رائحة التبغ الهندي الذي يدخنهُ فتركت غرفتها واتت اليَّ فجلسنا نتكلم عن زواجها . وعند الساعة الحادية عشرة نهضت لتخرج فما بلغت الباب حتى

وقفت ونظرت اليَّ فقالت يا هلن هل سمعتِ في عمركِ صفيراً في منتصف الليل . قلت لا . قالت ولا اظن انكِ تصفرين في نومكِ . قلت لا . قالت عجباً فانهُ في الثلاث ليالي الاخيرة عند الساعة الثالثة صباحاً كنت اسمع صفيراً واضحاً يوقظني من نومي ولكنني لم اعلم هل كان من خارج المنزل او من الغرفة المجاورة فقد خطر لي ان اسألكِ لعلكِ سمعتهِ ولكن ليس للامر اهمية فربما كان ذلك من جماعة النوَر . ولما قالت هذا ودعتني وخرجت الى غرفتها وسمعتها تقفل بابها من الداخل فاقفلت غرفتي ايضاً وكنا نفعل ذلك خوفاً من النمر والنمس اللذين كان الدكتور كما ذكرت قد اطلقهما في المنزل كانهما كلبان داجنان . ولكنني لم استطع الرقاد تلك الليلة وقد استولى عليَّ شعور غريب ينبئني بحلول مصيبة وكانت تلك الليلة مظلمة والريح تعصف بشدة والمطر يتساقط بغزارة ومع ذلك فانني سمعت صراخ امرأة تستغيث بلهفة وجزع فعرفتهُ للحال انهُ صوت شقيقتي فوثبت من سريري والتحفت بالملاءة وخرجت الى الدار ولما بلغت باب غرفتي سمعت صفيراً خفيفاً واضحاً كالذي ذكرتهُ لي شقيقتي ثم تبعهُ رنَّة اشبه بوقوع قطعة معدنية . فاسرعت الى غرفة شقيقتي فوجدت انها قد فتحت القفل ولكنها لم تستطع ان تدفع الباب الى الداخل فوقفت لحظة مذعورة لا اعلم ماذا سيخرج اليَّ من تلك الغرفة . وكان مصباح الدار قد اوصل اشعتهُ الى داخل الغرفة فرأيت شقيقتي وقد امتقع وجهها من شدة الخوف ومدت ذراعيها طلباً للمساعدة وهي تترنح كالسكرى . فاسرعت واخذتها بين ذراعيَّ وكانت ركبتاها قد عجزتا عن حملها فسقطت الى الارض وكانت ترتعش شديداً بتألم . ولما شعرت بوجودي صاحت بي فجأةً بصوتٍ لن انساهُ وقالت « آه يا الهي ! يا هلن ! الحبل ! الحبل المخطط » وكانت تود ان تزيد على ذلك شيئاً فلم تتمكن ولكنها كانت تشير باصابعها الى غرفة الدكتور ثم استولى عليها ارتعاش شديد . ولما رأيت ذلك اسرعت لادعو الدكتور فوجدتهُ آتياً بلباس النوم ولما بلغ شقيقتي كانت قد فقدت الشعور فجرعها شيئاً من الكونياك وارسل يستدعي المساعدة الطبية من البلدة فلم يأتِ كل ذلك باقل نفع لانها لم تعد تفيق من غيبوبتها ولفظت نفسها الاخير

ولما نمي الامر الى موضع الايجاب اخذ قاضي التحقيق في البحث المدقق ودرس الامر بمزيد الاعتناء وكان جميع اهل البلدة يخشون الدكتور رويلوت ويخافون اعماله ُ ولكنهم لم يتمكنوا من نسبة الوفاة الى سببٍ ما . وكنت قد اكدت لهم انني سمعت شقيقتي تقفل بابها من الداخل ورأوا ان النافذة محصنة بالقضبان الحديدية ثم فحصوا الجدران فوجدوها متينة وليس فيها ولا في ارض الغرفة ما يدل على مدخلٍ سري وتقرر بكل تأكيد ان شقيقتي كانت وحدها في غرفتها عند حصول الحادثة فضلاً عن انهُ لم يُرَ في جسدها ما يدل على اعتدآء . ولذلك يغلب على ظني ان وفاتها تسببت عن خوفٍ عظيم من امرٍ لا اعلم ما هو . اما كلام شقيقتي الاخير عن الحبل المخطط فلا اعلم ما هو ويخطر لي احياناً انهُ كلام هذيان الموت واحياناً انها تشير الى افراد النَوَر الذين حماهم الدكتور واسكنهم ارضهُ وربما كانت تريد ان تشير الى لباسهم المخطط

وقد مرت عليَّ سنتان منذ وفاة شقيقتي وانا في حياة الوحدة التامة الى ان كان الشهر الماضي فزارنا فتىً يدعى برسي ارميتج كنت اعرفهُ من زمنٍ مديد وطلب الاقتران بي فلم يعارض الدكتور في ذلك وتقرر موعد زواجنا في الربيع القادم. ومنذ يومين شرع الدكتور في عمل بعض اصلاحات في المنزل ولما كانت هذه الاصلاحات تقتضي هدم شيء من جدار غرفتي اضطررت ان انتقل الى الغرفة التي توفيت فيها شقيقتي وانام في سريرها . ولكنني بينما كنت لا ازال مستيقظة على السرير سمعت نفس الصفير الذي كان نذير وفاتها فوثبت من سريري كالمجنونة وانرت المصباح فلم ارَ شيئاً ولكني لم اعد استطع الرقاد تلك الليلة فارتديت ثيابي وبقيت على كرسي ولم اصدق ان لاح نور النهار حتى خرجت فاكتريت عربةً اوصلتني الى محطة القطار فركبتهُ واتيت اليك . وقد اطلعتك على حديثي بتمامهِ فارجو ان لا تبخل عليَّ بارشادك

فقال شرلوك قد فعلتِ حسناً بمجيئكِ اليَّ لكن يظهر لي انك ابقيتِ من حديثكِ شيئاً كانكِ تريدين ابعاد اللوم عن الدكتور رويلوت فانكِ اخفيتِ عني ذكر

سبب هذه العلامات الحمرآء على معصمكِ التي تدل على محل ابهام واربع اصابع يدٍ قبضت عليكِ بعنف . فتلون وجه الفتاة من الخجل وحاولت ان تخفي يدها وقالت لم اذكر لك انهُ منعني من الخروج ولم احسب لذلك اهمية اما علامة اصابعهِ فلا انكر انهُ رجل شديد القوة وهو نفسهُ يجهل مقدار قدرتهِ

وعقب ذلك سكوت كان في اثنائهِ قد اسند شرلوك رأسهُ الى راحتهِ وشخص ببصرهِ الى نار الموقد ثم كانهُ انتبه فجأةً فقال ان هذه الحادثة في غاية الاهمية فلا ينبغي ان نضيع شيئاً من الوقت فاذا ذهبنا معكِ الآن الى موران فهل يمكننا ان نرى غرف المنزل بدون ان يعلم زوج والدتكِ . قالت انهُ ذكر لي اليوم صباحاً انهُ سينزل الى لندن لاشغال ضرورية ومن المؤكد انهُ سيغيب كل النهار فاذا اتيتما لا يعلم احد بزيارتكما الا الخادمة وهي عجوز ضعيفة العقل لا يصعب عليَّ ان اخفي حضوركما عنها . والآن فان لديَّ بعض حاجاتٍ اقضيها هنا فسأذهب لقضآئها واعود الى موران في قطار الظهر . ورأى شرلوك فيَّ رغبةً لمرافقتهِ فقال لها حسنٌ ونحن سنتبعكِ في اول قطار بعد الظهر . فشكرتهُ الفتاة ثم انزلت برقعها وخرجت وهي تقول الى الملتقى

وبعد خروجها قال شرلوك لا شك ان قصة هذه الفتاة غريبة الحوادث فانهُ ما دامت جدران الغرفة وبابها ونافذتها في تمام الحفظ فكيف ماتت شقيقتها وما هو معنى الصفير الذي سمعتهُ وما هو مغزى كلمات المائتة . ثم ان ما سمعتهُ الفتاة من الرنة المعدنية ووجود قبيلة النوَر التي يحبها الدكتور ويحميها مما يجعل باباً للافتكار. وقد تحققت واقتنعت ان الدكتور لا يحب ان تتزوج الفتاتان وهذا طبيعي لانهُ بزواجها يضطر الى ان يدفع لها سنويًّا ما اوصت بهِ والدتهما ولا اظن انهُ يمكنني الحكم بشيء قبل ان اذهب بنفسي فارى المنزل عسى ان يظهر لي في نفس الغرفة ما يوضح بعض المبهمات . ولم يكد شرلوك يتم كلامهُ حتى فُتح باب غرفتنا فجأةً ودخل منهُ رجل ضخم الجثة بلباس يختلط بين لباس قروي وطالب علم ثم رفع قبعتهُ العالية وجعل ينقل نظرهُ الحادّ النحيف من الواحد الى الآخر ثم قال من

منكما المستر هولمز . فقال لهُ شرلوك انا هو ولكن مَن انت وماذا تريد . فقال الرجل وقد بانت على وجههِ علائم الغيظ الشديد انا الدكتور رويلوت من بلدة موران وقد اتت ابنتي الى هنا وعلمت ذلك لانني كنت اتعقبها وقد اتيت لاعلم ماذا فعلت وماذا قالت لك ولاخبرك يا شرلوك انني سمعت عنك واعرفك انك رجلٌ شرير تتداخل في ما لا يعنيك وتهتم باشغال غيرك و . . فقاطعهُ شرلوك ببرود قائلاً ان حديثك لا يسرّ يا هذا فاسألك ان تقفل الباب من الخارج لان الهوآء البارد يضايقنا. فزاد هياج الرجل وارغى وقال كلا لن اخرج قبل ان انبهك ان لا تتداخل في اموري فاني رجل مخيف والويل لك اذا وقفت في طريقي. ولما قال هذا عمد الى قضيب حديدي غليظ فقبض عليهِ بيديهِ وثناهُ ثم رمى بهِ الى الارض كانهُ يرينا مقدار قوتهِ ثم خرج مسرعاً . فتبسم شرلوك واخذ القضيب الحديدي واعادهُ الى حالتهِ بسهولة وقال لو بقي زائرنا دقيقة لأريتهُ ان قوتي تعادل قوتهُ ولكنهُ قد زاد ثقتي بانهُ شرير لا يخلو من ان لهُ يداً في مقتل الفتاة وسنرى من منا يفوز وارجو ان لا يكون في تأثرهِ الفتاة ما يسبب لها خطراً قريباً

وتناولنا طعام الصباح ثم خرج شرلوك لبعض حاجات وعاد في الساعة الواحدة بعد الظهر وفي يدهِ ورقة عليها كتابة دقيقة وارقام فقال لي قد استقصيت خبر ثروة والدة الفتاة فعلمت ان املاكها عند وفاتها كان ريعها السنوي ١١٠٠ ليرة ولكن الآن اصبح دخلها لا يزيد على ٧٥٠ ليرة بسبب هبوط الاسعار فلو تزوجت كل واحدة من الفتاتين لحقّ لها ٢٥٠ ليرة سنويًّا فلا يبقى للدكتور الا ما لا يكفيهِ ولذلك لم يبقَ عندي شك انهُ يجتهد في منع الفتاتين عن الزواج . واعتقد ان الخطر قريب الآن ولا سيما بعد ان عرف بانني تداخلت في الامر فيجب ان لا نضيع الوقت فاتبعني يا وطسن ولا تنسَ ان تحضر مسدسك معك لانهُ لا بد ان يلزمنا في منزل رجل يلوي القضبان الحديدية كما رأيت . وكانت المركبة التي احضرها شرلوك في انتظارنا فركبناها الى محطة القطار ومنها الى بلدة موران فركبنا عربة اخرى وسار بنا سائقها الى جهة منزل الدكتور رويلوت . ولما قاربناهُ رأى شرلوك

الفتاة عند طرف الحديقة فمر السائق بالوقوف ونقدهُ اجرتهُ ثم تقدمنا على اقدامنا وكانت الفتاة قد اتت لاستقبالنا فقالت كنت انتظر كما بمزيد القلق لانني تحققت بعد عودتي ان الدكتور في لندن ولا يرجع قبل المسآء . فقال شرلوك نعم وقد شرفنا بزيارتهِ بعد خروجك ثم اخبرها بما جرى . فاظهرت الفتاة علامات الدهشة والخوف فقال لها شرلوك لا شك ان الدكتور سيحترس كثيراً متى رأى امهر منهُ في كشف اعمالهِ ولكن على كل حال يجب ان تحترسي منهُ هذه الليلة . والآن دعينا نشاهد الغرف قبل فوات الوقت فسارت امامنا وتبعناها . وكان المنزل مبنيًّا من حجر مسودّ ولهُ جناحان احدهما تدل نوافذهُ المكسرة وحالتهُ المتداعية انهُ خربٌ ومهجور اما الجناح الاخر فكان في حالة صالحة . وكان شرلوك يسير ببطءٍ يراقب ويتبصر في كل شيء حتى بلغنا الغرف فقالت الفتاة هذه هي غرفة الدكتور والغرفة الملاصقة لها هي التي كانت لشقيقتي والتي بجانبها هي غرفتي ولكنني كما ذكرت قد انتقلت الى غرفة شقيقتي بسبب الاصلاحات التي يجرونها الآن في هذه الجدران . فوقف شرلوك حيناً يتأمل وقال ان الترميمات الجارية لا تستدعي ان تغيري غرفتكِ وكان يمكنكِ البقآء فيها . ثم عمد الى نافذة الغرفة الوسطى فاقفلها من الداخل ثم خرج وجعل يحاول فتحها بكل عنف فلم يستطع ثم اخرج عدسيتهُ ففحص المفاصل الحديدية وجوانب الجدران و بعد تأملٍ قليل قال هيا بنا الى داخل الغرفة لنرى . فدخلنا الى الغرفة التي ماتت فيها الفتاة وكان شرلوك يسير في مقدمتنا كأنهُ هو صاحب المنزل . وكانت الغرفة صغيرة قريبة السقف وفيها سرير ومائدة ومغسلة وخزانة ثياب فاخذ شرلوك كرسيًّا وجلس عليهِ وجعل يتأمل في الغرفة بكل دقة وكان اثاثها قديماً جدًّا ثم وقع نظرهُ على حبلٍ متدلٍّ بجانب السرير يتصل طرفهُ بالمخدة فقال للفتاة ان هذا ولا بد حبل الجرس و يظهر انهُ جديد اكثر من باقي موجودات الغرفة فهل كانت شقيقتكِ تستعملهُ . فقالت هو حبل جرس يتصل بغرفة الخادمة وقد وضع منذ سنتين فقط ولكن شقيقتي لم تكن تستعملهُ لندآء الخادمة لاننا كنا نقضي حوائجنا بانفسنا . فعاد شرلوك الى تأملهِ وكان كأنهُ في غيبوبة ثم اخذ حبل الجرس بيدهِ

وشدّهُ شدًّا عنيفاً فلم يقرع . واذ ذاك ابرقت اسرّتهُ فقهقه ضاحكاً وقال ان هذا ليس متصلاً بجرس بل هو حبل مربوط بمسمار حديدي في السقف بقرب تلك النافذة الضيقة التي عُملت على ما اظن لادخال الهوآء الى الغرفة. ولكن من الغريب ان يفتح البنّآء مثل هذه النافذة الصغيرة للهوآء ويجعلها بين هذه الغرفة والغرفة المجاورة ولا يفتحها الى الخارج او يجعلها على الاقل اوسع مما هي مرةً اخرى . فاقتربت الفتاة وهي تتعجب وقالت لم يكن يخطر لنا قط ان نجرّب هذا الجرس ولكنني الان ارى حقيقة انهُ ليس بجرس . واما النافذة فليس الذنب فيها على البنّآء بل هي من جملة اصلاحات عملها زوج والدتي في البيت . فقال شرلوك واظنهُ فتح هذه النافذة عند ما وضع هذا الحبل اي منذ سنتين فلا ريب ان ههنا اموراً في منتهى الغرابة . ثم تبسم ثانيةً وقال قد بقي علينا زيارة غرفة الدكتور

اما انا فرأيت من ملامح شرلوك انهُ قد وقف على سر الامر مع اني لم افهم منهُ شيئاً . وكانت غرفة الدكتور اكبر من الاولى و بسيطة الاثاث جدًّا فيها سرير ورفّ عليهِ كتب وكرسي بجانب السرير وآخر قرب الحائط ثم مائدة مستديرة وصندوق حديدي كبير . وكان شرلوك يتنقل من قطعةٍ الى اخرى يفحصها بدقتهِ المعهودة حتى بلغ الصندوق الحديدي فسأل الفتاة عمّا يوجد فيهِ فقالت اني لم ارهُ مفتوحاً الا مرة واحدة وهو يحتوي على اوراق الدكتور الخصوصية المتعلقة باشغالهِ . ورأى شرلوك صحناً صغيراً فيهِ قليل من اللبن فقال ولمَ هذا فهل يربي الدكتور قطًّا في غرفتهِ . قالت لا ولكنني قد اخبرتك انهُ يربي جرو نمر ونمساً . فقال شرلوك عفواً ياسيدي فان امثال الحيوانين اللذين ذكرتهما لا يكون طعامها من اللبن ولا يجعل في صحن صغير كهذا . ثم حانت منهُ التفاتة فرأى بجانب السرير سيراً جلديًّا كالذي تربط بهِ الكلاب وهو ملفوف ومعقود فنظر اليهِ يتأملهُ ثم هز رأسهُ وقال الويل الويل للاشرار نعم ان الانسان اذا حول قوتهُ الفكرية الى عمل الشر تحول كلهُ الى ابليس بنفسهِ . ولما قال هذا خرج ونحن نتبعهُ حتى بلغنا الحديقة فنظر الى الفتاة وقال يا مس ستونر انهُ من اللازم المحتَّم ان تعملي بنصيحتي حرفيًّا لان الامر

في غاية الاهمية وتتوقف عليهِ حياتكِ . فقالت مرني يا سيدي بما تشآء ترني اطوع من بنانك . وكان في البلدة فندق بازآء المنزل فقال شرلوك يجب ان ابيت الليلة مع صديقي وطسن في غرفتكِ وسنذهب الآن الى الفندق اما انتِ فالزمي غرفتكِ واحتجي بصداع اليم يمنعكِ من الخروج ومتى عاد الدكتور ودخل الى غرفتهِ لينام فافتحي النافذة التي ترمي الى الحديقة وضعي مصباحكِ فيها علامةً لنا ثم خذي ما يلزمكِ واذهبي الى الغرفة الثانية التي كانت غرفتكِ الاصلية ونامي فيها فاننا نأتي نحن الى هذه الغرفة وسنصرف الليل فيها عوضاً عنكِ ونرى ما يكون. وقد صار من الواجب الآن ان نسرع في الخروج لانهُ اذا عاد الدكتور ووجدنا هنا فسد عملنا كلهُ فلا تنسي ما اوصيتكِ بهِ وتشجعي فلا بأس عليكِ

وذهبنا الى الفندق فاكترينا غرفتين كانت نوافذهما تطل على المنزل المذكور وعند غروب الشمس رأينا الدكتور قد عاد بعربتهِ ثم ما عتمنا ان رأينا النور في غرفتهِ . وبعد قليل قال لي شرلوك اعلم يا وطسن انني أراجع فكري في أخذك معي هذه الليلة لانهُ مع أن وجودك برفقتي قد يكون أثمن من كل شيء فانا أعلم أنهُ تحف بهِ اخطارٌ مخيفة أود أن اكفيك التعرض لها . فقلت ان كلامك هذا يزيدني رغبةً في ان لا أدعك تتعرض للخطر وحدك ويظهر لي انك رأيت في تلك الغرفة ما لم أرهُ أنا . قال كلا بل قد رأينا كلانا نفس الشيء ولكنني أعملت تصوراتي اكثر منك . قلت انني لم أرَ ما يستحق الفكر الا وجود حبل الجرس المربوط بالحائط فلم أفهم المقصود منهُ ورأيت النافذة التي للهوآء بين الغرفتين ولكن وجود مثل هذه النوافذ طبيعي في البنآء وفضلاً عن ذلك فانها صغيرة جدًّا لا يكاد الجرذ يستطيع المرور منها . فقال شرلوك نعم انني علمت بوجودها قبل ان اجيء الى المنزل لان مس ستونر في حديثها اخبرتنا ان شقيقتها كانت تشم رائحة التبغ الذي يدخنهُ الدكتور . ثم ان هذه النافذة لم تكن في اصل البنآء بل هي حديثة وكان عملها في نفس الوقت الذي علق فيهِ حبل الجرس وتبع ذلك وفاة الفتاة على سريرها . وقد لاحظت ايضاً ان السرير في تلك الغرفة قوائمهُ مثبتة في الارض على غير المعتاد .

وذلك لكي يبقى السرير تحت النافذة المذكورة والحبل فلا تستطيع الفتاة نقلهُ الى جهة اخرى من الغرفة . واذ ذاك اشرق عليَّ وميض من فكر شرلوك فصحت بهِ لله درك يا صديقي شرلوك وأرانا في وقت يجب ان نمنع فيهِ حدوث فظاعة هائلة . فقال نعم انها فظاعة هائلة وارى اننا سنصرف ليلاً مخيفاً جدًّا فلنكن على استعداد

وعند الساعة التاسعة اطفئ النور من منزل الدكتور رويلوت وساد السكون والظلام ومرت بنا ساعتان ونحن نترقب الى الساعة الحادية عشرة فرأينا نوراً يلمع في النافذة فنهض شرلوك وقال هذه هي العلامة المتفق عليها فهلمَّ بنا . فخرجنا بعد ان اوصينا صاحب الفندق ان لا ينتظرنا لاننا ربما نغيب الى الصباح والتحفنا الظلام حتى بلغنا الحديقة فتسلقنا جدارها وسرنا بين الاشجار يقودنا المصباح الضعيف الذي تركتهُ لنا الفتاة الى ان اقتربنا من النافذة فتسلقناها ودخلنا الغرفة وأغلق شرلوك النافذة وراءنا بدون اقل صوت . ثم نقل المصباح الى الداخل وجعل يكلمني همساً خفيفاً جدًّا فقال اياك والحركة فان اقل اشارة تدل على وجودنا تهدم آمالنا ويجب ان نبقى في الظلمة لئلا يرانا من النافذة واياك ان تنام لان حياتك ربما تتوقف على ذلك وأبقِ مسدسك بالقرب منك واجلس على ذاك الكرسي اما انا فسأبقى على جانب السرير . فجلست كما امرني ووضعت مسدسي بيدي وجلس شرلوك على السرير وبيدهِ عصاً كان احضرها معهُ وشمعة وعلبة ثقاب ثم اطفأ المصباح فساد علينا الظلام „

انني لن انسى تلك الليلة المخيفة المظلمة فاننا لم نكن نسمع فيها اقل صوت الا حفيف اجنحة الطيور الليلية حيناً بعد آخر في الحديقة وضربات ساعة الكنيسة التي كانت تقرع كل ربع ساعة وكانت تلك الساعات تظهر لنا اعواماً . وكنت اعد الساعات الى ان قرعت الساعة الثالثة واذا بنور ضعيف قد ظهر فجأة عند النافذة الصغيرة ثم اختفى حالاً وتبعهُ رائحة قوية من الزيت المحترق والمعدن المحمى فعلمت ان الدكتور في الغرفة المجاورة قد انار فانوسهُ السري ثم سمعت حركة خفيفة وعاد السكون . وبعد نصف ساعة سمعت حركة اخرى تبعها صوت اشبه بخروج البخار

المحصور وفي تلك اللحظة عينها رأيت شرلوك قد اشعل الثقاب فانار الشمعة واخذ يضرب بعصاهُ الحبل المدلى فوق السرير بعنف شديد ونظرت اليهِ فاذا وجههُ اصفر اللون وعليهِ علامات القلق والارتياع . ثم توقف عن ضرب الحبل وشخص الى النافذة و بعد اقل من نصف دقيقة سمعنا صوتاً مخيفاً لم اسمع صوت توجع وتألم نظيرهُ في حياتي وكان يستطيل و يزيد قوةً حتى وقفت مع شرلوك ننظر بعضنا الى بعض بخوف وقد جمد الدم في عروقنا . واذ ذاك قال لي شرلوك قد قضي الامر يا وطسن فخذ مسدسك وتعالَ معي الى غرفة الدكتور ثم انار المصباح وسار امامي فتبعتهُ وخرجنا الى الدار ومنها الى الغرفة الملاصقة فقرع بابها مرتين ولما لم يسمع جواباً دفع الباب فانفتح ودخلنا معاً والمسدس مشهور بيدي فرأينا في الغرفة منظراً مخيفاً . وجدنا على المائدة الفانوس السري وقد فُتح نصفهُ فقط وكان الصندوق الحديدي مفتوحاً والدكتور جالساً بلباس النوم على كرسي بقرب المائدة وفي يدهِ الجلد المعقود الذي كان قد رآهُ شرلوك قرب السرير وكانت عيناهُ شاخصتين الى زاوية السقف وفيهما علامة الخوف الشديد. ورأينا حول جبهتهِ حبلاً ثخيناً اصفر وفيهِ نقط سمرآء . فلما دخلنا لم ينتبه او يظهر علامة شعور اما شرلوك فاشار الى رأس الرجل وقال لي انظر الى الحبل المخطط الذي اشارت اليهِ القتيلة . واذ ذاك رأيت الحبل المربوط على رأس الرجل قد اخذ يتحرك من نفسهِ ثم ظهر لي انها افعى وقد بان رأسها وعنقها . فقال شرلوك انها تدعى صلّ الغاب وهي اشد افاعي الهند سمًّا وقد لدغت الدكتور فمات في اقل من عشر ثوانٍ وصدق قول المثل من حفر حفرةً لاخيهِ وقع فيها . والآن فلنرجع هذا الحيوان الى مخبإهِ وننقل مس ستونر الى محل امين ونعلم رجال الشحنة بالامر . ولما قال هذا اخذ السير الجلدي من يد الميت ورماهُ برشاقة غريبة فالتف حول عنق الافعى فسحبها الى الصندوق الحديدي واقفلهُ عليها. وكانت مس ستونر قد سمعت الاصوات ولم تجسر ان تخرج من غرفتها فلما ذهبنا اليها وجدناها تكاد تموت خوفاً فاخبرناها بالواقع ثم ابلغنا الامر لرجال القضآء . ولما عدنا الى لندن في القطار اخذ شرلوك يحدثني بما جرى فقال

اني اول ما سمعت قصة الفتاة ظننت ان لقبيلة النوَر دخلاً في مقتلها ولكنني لما فحصت المنزل والغرفة وجدت انهُ يستحيل دخول احد الى الغرفة وليس فيها ممرّ سوى النافذة الضيقة في اعلى الجدار وهذه لا يكاد الجرذ يمر منها. ولكن لما لم يكن سواها ورأيت الحبل المربوط بجانبها خطر لي ان ذلك ليس الاّ آلة الهلاك وان لم اكن اعلم ما هي وبعد التفكر خطر لي انهُ ربما يكون ذلك الحبل كطريق لافعى تدخل من النافذة وتنزل على الحبل الى الشخص النائم . وزاد فكري هذا ثبوتاً ما عرفتهُ عن الرجل انهُ كان في الهند وانهُ يستحضر منها الحيوانات الشرسة فتحققت انهُ انما يودّ ان يسمّ الفتاة بشيءٍ لا يظهرهُ الفحص الطبي . اما الصفير فكان الدليل القاطع لاستعمالهِ الافعى لتلك الغاية لانهُ بعد انزالها الى الغرفة كان يصفر لها لتعود اليهِ كما علمها ويطعمها اللبن الذي اعدّهُ لها. ولا شك انهُ ربّى الافعى ودرّبها على ذلك مراراً فكان يدخلها من النافذة فتنزل على الحبل الى السرير وربما نزلت مراراً ولم تؤذِ النائم ولكن لا بد لها اخيراً من لدغهِ لان طبيعتها مؤذية سامة . وكنت قد تحققت كل ذلك قبل ان دخلت غرفتهُ اول مرة ولما فحصت الكرسي الموجود فيها وجدت آثار اقدامهِ عليهِ مما دلني على انهُ كان يقف على الكرسي لكي يصل الى النافذة المذكورة وكان الصندوق الحديدي وصحن اللبن والسير الجلدي مما اكد لي ظني . وعلمت ان الرنة المعدنية التي سمعتها الفتاة هي صوت قفل الصندوق الحديدي بعد ان كان يرجع الافعى اليهِ . فلما تقرر لديَّ كل ذلك عزمت ان ابيت في الغرفة بنفسي وكنت مواظباً على تمام الانتباه الى ان سمعت صوت فحيح الافعى فللحال انرت الشمعة وضربتها بعصاي كما رأيت . ولما لم تكن تنتظر تلك المهاجمة عادت راجعةً الى النافذة في الحال وكان ألم الضربات التي أصابتها قد أيقظ فيها طبيعتها المؤذية لتنتقم من أول شخص تصادفهُ فنفثت سمها في نفس صاحبها الدكتور وقتلتهُ . وعلى ذلك اكون عن غير قصد أنا السبب في قتلهِ ولكن ضميري مستريح من هذه الجهة فلا يوبخني على اهلاك شرّير كهذا

اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

وقال ابن معتوق

وبَنُوا الحجالَ على الشموس فوكلوا   شهب السهاد برجم زوّار البنا

فقوله وبنوا الحجال مقتضى الوزن ان يكون بضم النون وصوابهُ بفتحها مع ضمّ الواو كما هو مقرَّر في موضعهِ. ومثلهُ قول الحاجريّ

أَبقُوا الأسى لي بعدهم مطعماً   والدمعَ حتى نلتقي مشربا

وقول عبد الرحمن بن النقيب

ليت شعري اين استقلَّ بنو بر   مكَ من بعد ما تولُّوا الوزارَه

والامثلة من هذا كثيرة. وقال ابن هاني

أُهدي السلام الى الكؤوس فطالما   حَتَّيتَها صِرفاً الى الشُّرَباء

اراد حَثَثتَها فابقى الادغام وفصل بين الفعل والضمير بياء وهو من استعمالات العامّة ولعل هذا الاصطلاح سرى اليهم من العبرية فان المضاعف في هذه اللغة يُفصَل بينهُ وبين الضمير الصحيح بواو ممالة يقولون من رَصَّ مثلاً اي رَضَّ رَصُّوتي رَصُّوتم اي رَضَضتُ رَضَضتم وهلمَّ جرًّا [1]. ومن

(١) واغرب من هذا انك تجد اهل القطر المصري عامّةً يقدّمون تاء افتعل على فائهِ فيقولون في امتلا مثلاً اتملا وفي اجتمعوا اتجمعوا وهذا عن السريانية. وهم يستعملون هذه الصيغة مكان انفعل ايضاً فيقولون في انكسر وانفلق اتكسر واتفلق وفي هذا متابعةٌ للسريان ايضاً لان صيغة انفعل لا وجود لها عندهم. قلنا وقد كان هذا اولى بان يكون في لغة السوريين لا في لغة المصريين لان السريان لم يكونوا في مصر قط فوصول هذه الصيغة الى لغتهم من العجب بمكان

هذا قول ابن النقيب

وكلما حلَّيتَ في منزلٍ　　　قابلَك الاقبال والجَدُّ

وقول ابن حجة الحموي صاحب الخزانة

ولرقّةٍ فيكم اظنّ بانكم　　　حنَّيتمُ طرباً لرجع حنيني

وقولهُ اظنّ بانكم من زيادة البآء قبل أَنْ وأَنَّ المصدريتين على ما تقدم الكلام عليهِ في لغة الجرائد وهو كثيرٌ في كلام المولدين وقد مرّ من امثلتهِ هناك ما يغني عن الاسهاب في هذا الموضع . وقال ابو القاسم بن ابي العلآء يذكر فرساً

أَقَبُّ يروق العين حسناً ومنظراً　　　ويرجعها يوم الحضار كليلا

فجآء بقولهِ كليلا مجرداً من التآء لذهاب وهمهِ الى انهُ من قبيل قتيل وجريح اي من باب فعيل بمعنى المفعول وانما هو صفة مشبَّهة من قولهم كلَّ بصرهُ اذا عجز عن تحقيق المنظورات فهو كليل وعينٌ كليلة . وقال عبد الصمد بن الصفّار

وشقائقٌ شقّ القلوب كانهُ　　　خدٌّ مليحٌ ضمّ صدغاً اسودا

فذكّر الضمير العائد الى الشقائق على توهم انهُ اسم جنس وانما هو جمع شقيقة واسم الجنس شقيق . وعكسهُ قول المقَّري

امسى بقبرٍ مفرداً　　　والتُرْبُ قد جمعت عظامَهْ

فأنّث الضمير العائد الى التُرْب لظنّهِ انهُ جمع وانما هو مفرد كالتراب . وقال الشريف الرضي

فليهُونِ المرءِ بايامهِ　　　ان مقام المرء فيها قليل

اراد فليستهن المرء باياميهِ فعبَّر بيهْوِن ورفع المرء بعدهُ فاعلاً وجرّ ما يليهِ بالبآء على انهُ مفعول بهِ غير صريح وكل ذلك خطأٌ لان هذه الصيغة مخصوصة بباب التعجب تقول أهوِن بهذا الامر وما أهوَنهُ بتصحيح العين فيها ولا تقول أهوَنتُ بهِ لان هذا الفعل لا يتصرف

وقد أطلنا في هذا الفصل الى ما لعلهُ ادّى الى ملل المطالع فنمسك عنان القلم عند هذا القدر اذ ليس من غرضنا استقصآء كل ما ورد من هذا القبيل وانما القصد مما اوردناهُ تنبيه المطالع الى وجوب التثبُّت عند النقل عن المولدين وأنهم لم يكونوا ابعد من اهل هذا العصر عن الخطأ واللحن وان تقدم زمانهم . بل قد عُلِم مما سبق ان الذي جآء حتى في الصدر الاول للاسلام لم يكن ابصر بقوانين اللغة وضوابطها من الذي جآء بعد عشرة قرون لان ملكة اللسان العربي كانت قد فسدت من ذلك الحين واصبحت اللغة لا تُتَناول الا من بين الواح المصاحف ولا تُملَك الا بادمان الدرس والحفظ . ولا يخفى ان الكتب لذلك العهد كانت عزيزة المنال لا تكاد توجد الا في خزائن بعض الكبرآء والموسرين لانها كانت تُنسَخ بخط القلم وتباع باثمانٍ باهظة ولذلك كان اكثرهم يعتمد في اثبات اللغة على محفوظهِ مما يمرّ بسمعهِ الحين بعد الحين . وانت تعلم ان اكثر المحفوظ انما كان من الشعر لعنايتهم بهِ وسهولة استظهارهِ فضلاً عن انهُ كان هو الصناعة الوحيدة الباقية بعد السَلَف الاول يتخذها الادبآء حرفةً يستعينون بها على ما نزل بهم من حرفة الادب . . . وقد اسلفنا ان الشعر هو المزلّة الكبرى للكتّاب والشعرآء لكثرة ما يعرض فيهِ من الضرورات القاضية على الشاعر بالعدول

عن الوجوه المُثلَى فضلاً عن انهُ ليس من شرط النظم الاضطلاع بضوابط اللغة والوقوف على اسرارها لانهُ امرٌ يتعلق بالسجية ويؤدَّى بالفصيح والركيك فكانت كل غلطةٍ تصدر من الشاعر عن ضرورةٍ كانت ام جهل يتلقاها غيرهُ بدون نكير ويزيد عليها ما شآء مبلغ علمهِ ومقدرتهِ على مزاولة القوالب اللفظية . وهذا هو السبب فيما نرى من شيوع الغلط وانتشارهِ بين الشعرآء والمنشئين عصراً بعد عصر حتى انتهى الى الحدّ الذي وقفت على نموذجهِ في هذه المقالة

واين ما ذُكر مما نحن عليهِ في هذا العصر عصر الطباعة من توفر الكتب بين ايدينا والحصول على اعظمها حجماً بالثمن التافه فنحن اليوم ولا ريب اقدر على اعطآء اللغة حقها من التمحيص بالوقوف على حقائقها المودعة في بطون الاسفار والرجوع الى صحيح النقل عن العرب الاولين ولولا ذلك لم يكن لنا اذ نطالب احداً بالتزام الصحة في لفظهِ والوقوف عند ما نصّ عليهِ علمآء اللغة وأثباتها ولا ان نضنّ على كتّابنا بالعذر الذي كنا ننتحلهُ لمن تقدم ذكرهُ من اهل العصور السوالف

ومع ما نبهنا عليهِ من اغلاط اولئك الادبآء فنحن نبرأ الى المطالع من ان يكون في قصدنا الازرآء بأحدٍ منهم او ان نعدّ ما اخذناهُ عليهم من الهفوات نقيصةً فيهم أو مثلبةً تقدح فيما اشتهر من فضلهم والا فنحن كما قال بعض رصفآئنا الادبآء لا نسلم من مثل ما اخذناهُ على سوانا وهو قولٌ حريٌّ بأن يكون صحيحاً لاننا لم نتلقَّ اللغة الا مما نقرأهُ في الكتب أو نسمعهُ من الالسنة فلا غرو ان نُستدرَج بمثل ما استُدرِج بهِ اولئك الاعلام. وقد وقع

لنا من ذلك اشيآء نذكر ما يحضرنا منها في هذا الموضع حتى لا يقلدنا فيها من اعارنا ثقتهُ ولا يطمئنّ الا الى ما وقف على ثبتهِ من مواضعهِ

فمن ذلك ما ورد لنا في قصيدةٍ نظمناها سنة ١٨٦٨ تهنئةً للمرحوم نصر الله فرنكو باشا عند توليتهِ متصرفية جبل لبنان قلنا في مطلعها

نسائمَ نجدٍ هل تحمّلتِ من نجدِ　　اليَّ سوى حرّ الصبابة والوجدِ

ولفظة النسائم هنا من المشكلات فان النَسَمة لا تُجمَع على نسائم ولا يصحّ ان تكون جمعاً للنسيم لان فعيلاً لا يُجمَع على فعائل وان ورد من ذلك الفاظ شاذّة كأصائل وأفائل في جمع أَصيل وأَفيل ولكن الشاذ لا يقاس عليهِ . وانما جرّنا الى استعمال هذه اللفظة انّا قرأناها في كلام غير واحدٍ من اكابر الشعرآء فاسترسلنا الى استعمالها من غير بحث وذلك كقول الشيخ عبد الغني النابلسي

احنُّ لومْض البرق من جهة الحمى　　وأشتاق إن هبَّت عليَّ النسائمُ

ومثلهُ قول القاضي ابي الحسن عليّ بن النبيه

واستطابت ريّا نسائم بغدا　　دَ فكادت لولا البُرَى ان تطيرا

وورد لنا في موضع آخر من مرثية .

حدَثٌ دونهُ العُلَى مُطرِقاتٌ　　جانبَ المجد والمكارمُ جَفْلَى

ولفظة جَفْلَى غريبةٌ في الاستعمال لانها اما ان تكون مؤنث جَفْلان مثل سكران وسَكْرَى او جمع جفيل مثل جريح وجَرْحَى وكلاهما لم يرد في كتب اللغة ولا وجه لبنائهِ من هذا الحرف . ولكن هذه اللفظة مرّت بنا في ديوانٍ لبعض المعاصرين ممن لا نذكر اسمهُ فقلّدناهُ فيها والقصيدة

مما نظمناهُ في ايام الحداثة اي في نحو التاريخ المذكور قبل

وانشدنا في احدى الجمعيات العلمية سنة ١٨٦٧ قصيدةً مطلعها * سلامٌ ايها العرب الكرامُ * جاء فيها

اذا قُطِعَت غصون الدوح يوماً　　فلا تيأس اذا بقي الحُطامُ

واردنا بالحطام ما يبقى من الشجرة بعد قطع الغصون وهو الساق او الجِذم والصحيح ان الحطام كل ما تحطّم من شيء فهو على الغصون اصدق وحينئذٍ فالبيت لا معنى لهُ . وهذه لك ان تحملها على انّا رأينا مرةً هذه اللفظة مستعملةً بهذا المعنى أو على اننا توهمنا انها تُستعمَل كذلك

وورد لنا من قصيدةٍ اخرى

على مثل ما تشكو الحياةُ وانما　　ارى جزَع المُبلَى بليّتهُ الأُخرَى

والذي في كتب اللغة يقال بلاهُ بكذا وابتلاهُ بهِ ولا يقال أبلاهُ انما هذا من معنى بلى الثوب ونحوهِ . قال ابو تمام

يا لابساً ثوب الملاحة أبلِهِ　　فلأنتَ اولى لابسيهِ بلبسهِ

وانما كان استعمالنا هذه اللفظة باستدراج اللغة العاميّة لانّ العامّة لا تفرق بين بأبي فعَل وأفعل على ما قدّمنا في هذا الفصل واوردنا من امثلتهِ في كلام الشعراء

ووقع لنا اشياء من ذلك في تعريب الاسفار المقدسة المطبوعة بالتزام الآباء اليسوعيين في بيروت منها ما ذكرناهُ في مجلد السنة الماضية (ص٦٢٦) ومنها ما وقع في تعريب سفر الخروج (ف ١٧ : ١١) وقد جاء في هذا الموضع ما صورتهُ « فكان موسى اذا رفع يدهُ يستظهر بنو اسرائيل

واذا حطَّها تغلب العمالقة » . فلفظ يستظهر هنا خطأٌ لان الكلمة العبرانية بمعنى يغلب وهي عين اللفظة التي في الجملة التاليـة وانما الاستظهار بمعنى الاستعانة لا بمعنى الغلبة فكان الصواب ان يقال هناك « يغلب بنو اسرائيل » او اذا اريد تغيير اللفظ اجتناباً للتكرار ان يقال « يَظهر » . قال في لسان العرب « استظهرهُ عليهِ استعانهُ واستظهر عليهِ بالامر استعان » وقال بعد ذلك « ابن سيده * الظهور الظفر ظهر عليهِ يظهر ظهوراً وأَظهرهُ الله عليهِ وظهرتُ على الرجل غلبتهُ » . اه . وهذه ايضاً مما كتبنا بهِ الى قيّم المطبعة نكلفهُ تصحيحهُ على ما تقدم ذكر ذلك في الموضع المشار اليهِ

(ستأتي البقية)

زُحَل

هو اله الزمن والتقادير والزراعة عند القدماء وقد طالما عبدوهُ وشادوا لهُ الهياكل الفخيمة واقاموا لهُ الاحتفالات والاعياد التي كانوا يتقاطرون لحضورها من جميع الاطراف . وكان المنجمون يعدونهُ من كواكب النحس وادلّة المصائب والاحزان لما رأَوا من كمدة لونهِ وبطء حركتهِ في القبة الزرقاء ولا يزال هذا الاعتقاد مستولياً على بعض الافكار الضعيفة الى يومنا هذا

وهو السيار السادس من السيارة الدائرة حول الشمس يكتنفهُ المشتري من جهة الشمس واورانوس من جهة الفضاء غير انهُ قبل اكتشاف هذا الاخير اي من نحو ١٢٥ سنة كان يُعَدّ آخر السيارة الدائرة حول الشمس

والحد الفاصل بين عالمها وبقية عوالم الفضاء اللانهائي فلما اكتُشف اورانوس ونبتون تأخرت حدود العالم الشمسي الى ما يزيد على ضعفي بُعد زحل

ولم يكن القدماء يعرفون شيئاً من احوال هذا السيار لبعده ولعدم وجود آلات الرصد عندهم فلما اخترع غاليلاي المرقب سنة ١٦١٠ رصده به فرآهُ وعلى جانبيهِ نجمان اصغر منهُ كأنهما على تشبيههِ غلامان يتوكأ عليهما ذلك الشيخ في مسيرهِ الطويل . ثم انهُ مع تكرار الرصد رآهما يصغران شيئاً فشيئاً حتى تواريا تماماً بعد مضي نحو سنتين ثم لم يعد يراهما فحار في امره وغلب على ظنهِ انهُ كان مخدوعاً في الرؤية وعاش بعد ذلك نحو ثلاثين سنة ولم يعد الى رصدهِ ولم يعلم الحقيقة . غير ان بقية العلماء ما برحوا يوالون الرصد عليهِ الى سنة ١٦٥٩ فرأى هويجنس حقيقة ما حيّر العلماء وهي ان هذا السيار محاط بحلقةٍ رقيقة منفصلة عنهُ تمام الانفصال وهي مائلة على دائرة البروج بحيث تظهر وتخفى تبعاً لميلها بالقياس الى مكان الارض منها على ما سنعود الى بيانه

ومعدَّل بُعد هذا السيار عن الشمس نحو ٨٨٢ مليون ميل فهو ابعد منا بنحو عشر مرات فيُرَى قطر الشمس منهُ مثل عشر قطرها الظاهر لنا وبالتالي فان سطحها لا يزيد على واحد من ٩٠ من سطحها المرئيّ من هنا. وهو يتم دورتهُ حول الشمس في ٢٩ سنة و٦٧ يوماً في فلكٍ مائل ٢° و٣٠َ على دائرة البروج ويدور حول نفسهِ في مدة ١٠ ساعات و١٤ دقيقة و٢٤ ثانية وقطرهُ يبلغ نحو عشر مرات من قطر الارض وحجمهُ نحو ٧٢٠ مرة من حجمها فهو بعد المشتري أعظم الاجرام الدائرة حول الشمس . ومع

هذا الجرم العظيم فانهُ لا يزن اكثر من ٩٢ ضعفاً من ثقل الارض مما يدل على ان مادتهُ اخفّ من مادتها بكثير فهو لو وضع على اوقيانوس لعام عليهِ . وهو غير تام الكروية بل مسطح من القطبين فان قطرهُ الاستوآئي يبلغ نحو ٧٥٨٠٠ ميل وقطرهُ القطبي نحو ٦٨٢٠٠ ميل فهو ينقص عن الاستوآئي نحو ٧٦٠٠ ميل وهذا المقدار ناتج ولا شك عن سرعة دورانهِ حول نفسهِ لانهُ يدور في نحو عشر ساعات فقط كما تقدم ولهذا السبب ايضاً يختلف الوزن على سطحهِ فان المواد اقل ثقلاً منها على الارض في النواحي الاستوآئية لعظم القوة الدافعة عن المركز واعظم ثقلاً في النواحي القطبية لتلاشي القوة المذكورة هناك ولذلك فان الجسم الذي في سقوطهِ على الارض تكون سرعتهُ ٤ امتار و٩٠ سنتيمتراً في الثانية الاولى اذا سقط على زحل كانت سرعتهُ ٥ امتار و٣٤ سنتيمتراً في الجهات القطبية و٤ امتار و٥٢ سنتيمتراً فقط في الجهات الاستوآئية وقد حُسب انهُ اذا زادت سرعة دوران زحل حول نفسهِ مرتين ونصفاً فقط لم يبقَ للمواد وزن البتة في الجهات الاستوآئية منهُ وكانت اخف ريح اذا هبت تجرف كل ما في طريقها واذا وثب احدٌ عليهِ بضعة قراريط لا يعود اليه ابداً

ثم ان ميلهُ على دائرة البروج يبلغ ٢٥° و٤٢َ وذلك يقرب من ميل الارض عليها ولهذا يكون فيهِ مناطق حارّة ومعتدلة ومتجمدة وفصول مختلفة كما هي الحال هنا الا ان الفرق أن المناطق هناك اعظم امتداداً بما لا يقاس من مناطقنا وكذلك فصولهُ فان كلاًّ منها يدوم نحو سبع سنين متتابعة من سنينا و يبقى احد قطبيهِ معرَّضاً للشمس نحو ١٤ سنة و٨ اشهر

بينما يكون القطب الاخر كل هذه المدة غائصاً في الظلام الحالك

ويُرى عليهِ في المرقب مناطق مظلمة كما في المشتري الا انها اعظم من تلك عرضاً واخفى رؤيةً ويُستدَلّ من مؤازاتها لخطّهِ الاستوآئي على انها سابحة في جوّ السيار ويظهر انها ناتجة مما يشبه مجاري الرياح المطَّردة في الارض وكذلك بعض البُقَع التي عرفوا من رصد سيرها مدة دورة السيار حول نفسهِ . وقد رُؤِي في نواحيهِ القطبية بعض تغيرات في لونها ظهر انها تابعة للفصول ولذلك يظن انها ثلوج او غيوم من مثل ما يرى في المريخ

(ستأتي البقية)　　فريد البرباري

معبودات المصريين

(تابع لما في الجزء السادس عشر)

وكان لكل مدينةٍ من أُمهّات مدنهم الهٌ خاصٌّ تقيم لهُ العبادات والاحتفالات فكان لثيبة آمون ولمنفيس فتاح ولسائيس نيث ولاّ لفنتين كنُوفيس ولبُو بَسْتيس (تل بسطة) بَسْت او بسطة وهلمَّ جرًّا . ومعنى آمون الاله المحجوب وكان لهُ هيكل مشهور بثيبة هو الذي تُرى بقاياهُ العظيمة بالكرنك . وكانوا يرمزون اليهِ بالحَمَل ولذلك كان هيكلهُ لا يخلو من حمل يربّونهُ على الدوام وكانوا يصورونهُ على الجدران تارةً برأس حَمَل وتارةً برأس انسان لهُ قرنان فوق اذنيـهِ وتارةً يجعلون فوق رأسهِ قرصاً مستديراً يمثل قرص الشمس وريشتين طويلتين ويجعلون في احدى يديهِ صولجاناً وفي الثانية صليباً في رأسهِ عروة وهو رمز الى الروح الكلي

واما فتاح فذكر بلوطرخس انهُ كان عندهم بمنزلة المهندس الاكبر للعالم وهو ونيث وكنوفيس اسمآءٌ لمسمًّى واحد الا ان الاول اسمٌ لهُ باعتبار ذاتهِ والثاني باعتبار حكمتهِ والثالث باعتبار خيريّتهِ فكان يُعبَد في كلٍّ من العواصم المذكورة باعتبار احد هذه المعاني وهي بمنزلة ثلاثة اقانيم لالهٍ واحد احدها مولِّد والثاني مُستولَد والثالث ثمرةٌ عنهما . وكان لكل بلدٍ ثالوثٌ خاصٌّ يتألف كذلك من ابٍ وأمٍّ وولد وكانت تلك الثواليث تزداد عصراً بعد عصر الى اواخر عهد البطالسة لكن كان اشهرها واعظمها آلهة ثيبة ومنفيس والفنتين وكانت المزيّة الاولى من هؤلآء لاله ثيبة اي آمون وهو الثالوث المؤلف من اوزيريس وايزيس وهورُوس لانهُ كان اله العاصمة والى هؤلآء الثلاثة تنتهي جميع الرموز والاساطير المنسوبة الى بقية الآلهة اذ كانت باسرها تشير اليهِ وهي من الكثرة بحيث لا يحيط بها احصآءٌ حتى كانت ايزيس تلقَّب بذات الاسمآء الالف

واما بَست او بسطة فهي بنت اوزيريس وكانوا يمثلونها بشكل امرأة بديعة التكوين برأس هرّة ولذلك كانوا يؤلّهون هذا الحيوان ويتخذونهُ بمنزلة مثالٍ حيّ لهذه الالاهة فكان من يقتل هرًّا ولو خطأً يقاد بهِ ولذلك لم يُسمَع قطّ على ما ذكرهُ شيشرون ان مصريًّا جرح هرًّا . وحكى ديودورس ان جنديًّا رومانيًّا قتل هرًّا عن غير عمد فهاج عليهِ الرعاع ومزقوهُ قطعاً ولم يراعوا توسط الملك في امرهِ ولم يهابوا اسم رومية الرهيب . وكان هرّ كل بيت منزّلاً منزلة واحد من اهلهِ واذا مات كانوا جميعهم يحلقون حواجبهم ويُحِدّون عليهِ ثم يُحنَّط ويُجعَل في صندوق ويُدفَن في مدفنٍ مخصوص

وكانت عبادة بَسْت فاشية في جميع ارض مصر من لدن الدلتة الى ما وراء الجنادل الا ان هيكلها الخاص كان في مدينة بوبستيس وكان يقام لها كل سنةٍ عيدٌ حافل ذكر هيرودوطس انهُ كان يجتمع اليهِ من كل اطراف المملكة ما لا يقلّ عن سبع مئة الف نفس من رجال ونساء ما خلا الاولاد

وكان كل الهٍ عند المصريين يمثَّل بثلاثة اشكال مختلفة احدها شكل انسانٍ خالص مع الرموز الدالّة على الاله المقصود بهذا التمثيل والثاني شكل انسانٍ يعلوهُ رأس الحيوان الذي يُرمَز بهِ اليهِ تبعاً لما يُعتبَر في هذا الحيوان من المعاني التي تلائم بعض مزاياهُ او تشير الى بعض افعالهِ والثالث شكل الحيوان نفسهِ مع الرموز المختصّة بذلك الاله وربما جُعِل الحيوان الواحد رمزاً الى عدة آلهة باعتبار ما في طبيعة هذا الحيوان من الخصائص المختلفة . وعليهِ فقد كانت عبادتهم للحيوانات على جهة انها رمزٌ الى الآلهة لا على ان تلك العبادة موجهة اليها بانفسها لكن الظاهر ان هذا انما كان في اعتبار المتأخرين واما في القديم فكانت تلك الحيوانات تُعبَد لذواتها بناءً على انها تنفع او تضرّ . على ان من عبادة الحيوانات ما استُحدِث في عهدٍ متأخر كعبادة العجل التي احدثها الملك شوس من السلالة الثانية وهو الذي تُنسَب اليهِ عبادة التيس في منداس

وكان المصريون يؤلّهون ثلاثة عجول وهي منيڤيس واُونوفيس وآپيس . وكان الاول يُعبَد في اُون(١) وهي هليوپوليس وهو اله النور والظاهر

(١) كذا فيما نقلنا عنهُ ولعل الاقرب ان الذي كان يعبد في اون هو

ان عبادته كانت اقدم من عبادة آپيس والثاني يُعبد في نواحي الصعيد وهو اله الخير وكلاهما يكون اسود اللون منتصب الشعر . واما آپيس فكان يُعبَد في منفيس وهو انما يولد من بقرةٍ بكر قد القحها شعاعٌ سماوي ويُعرَف بأن يكون اسود اللونِ وعلى جبهتهِ مثلَّثٌ ابيض وتحت لسانهِ غُدّة شبيهة بالجُعَل . فمتى وُجِد عجلٌ جامعٌ لهذه الخصائص ساروا اليهِ في احتفالٍ عظيم ورشحوهُ للعبادة فينقلونهُ الى بناءٍ مخصوص يشرع بابهُ الى الشرق ويغذونهُ هناك مدة اربعة اشهر ثم يقيمون لهُ عيداً كبيراً يبدأ مع ظهور الهلال وبعد انقضاء العيد يأخذونهُ الى هليوپوليس فيُترَك مدة اربعين يوماً في الهيكل ويقدّم لهُ الكهنة طعامهُ وبعد ذلك يُنقَل الى منفيس الى هيكل فتاح فتنهال عليهِ الهدايا وتُرفَع اليهِ العبادات من جميع ارضِ مصر . فاذا مات او علموا انهُ قد دنا اجلهُ اقاموا لهُ مأتماً حافلاً يستمرّ الى ان يوجد لهُ خلف ويدفنهُ الكهنة بقرب منفيس في الهيكل المعروف بالسراپيوم . وهو عندهم مثال القدرة الخالقة ويعبرون عنهُ بالوجود الثاني لفتاح لانهم يعتقدون ان هذا الاله متجسدٌ فيهِ .

ومن معبوداتهم الطائر المعروف باللَقلَق وهو طائرٌ مآئيٌّ يأكل الحيّات التي تكون على جوانب النيل وكانوا يربّونهُ في الهياكل ويقولون انهُ لو اتخذت الآلهة صورةً جسمانية لما تجسمت الا بشكلهِ . وكان اذا مات يُعنَون بتحنيطهِ عنايتهم بتحنيط ذويهم حفظاً لهُ من الفناء ولذلك يوجد في القبور عددٌ كبيرٌ منهُ . وعلى الجملة فقلما وُجِد حيوانٌ الا عبدهُ

اونوفيس كما يدل عليهِ اشتراك اللفظين .

اهل مصر لمعنىً من المعاني يتصوَّرونهُ فيهِ فكان لتلك الحيوانات اعظم حرمةٍ عندهم حتى يقال ان كمبيز اقام امام عسكرهِ صفًّا من الحيوانات المقدسة فاضطرَّ المصريون ان ينهزموا امامهُ حتى لا يوجهوا اسلحتهم على تلك الحيوانات　　(ستأتي البقية)

مطالعات

نموّ الاولاد — من المعلوم ان قامات الناس تختلف كثيراً في الطول والقصر الا ان القصار منهم والمتوسطين اكثر من الطوال . وقد بدا للدكتور ڤاريوّ احد اطباء مستشفى الأَحداث في باريز ان يبحث عن السنّ التي يبدأ فيها هذا التفاوت فاستقرى ذلك في ٤٤٠٠ ولد تتبع مبلغ النموّ وزيادة الوزن فيهم من عمر سنة الى ١٥ فظهر لهُ انهُ الى تلك السنّ لا يكاد يحدث فرقٌ يُعتَدّ بهِ بين شخصٍ وآخر اللهمّ الا في حالات خاصّة واردة من قبيل الارث او بسبب حادثٍ من الحوادث الطارئة على الفطرة . وبعد ان اخذ معدَّل ما وقف عليهِ من ذلك خرج لهُ البيان الآتي

	الذكور				الاناث			
السنة	القامة	الزيادة	الوزن	الزيادة	القامة	الزيادة	الوزن	الزيادة
١ - ٢	٧٤،٢ سم	٠،٠	٩،٥٠٠ كغ	٠،٠	٧٣،٦ سم	٠،٠	٩،٣٠٠ كغ	٠،٠
٢ - ٣	٨٢،٧	٨،٥	١١،٧٠٠	٢،٢	٨١،٨	٨،٢	١١،٤٠٠	٢،١
٣ - ٤	٨٩،١	٦،٤	١٣،٠٠٠	١،٣	٨٨،٤	٦،٦	١٢،٥٠٠	١،١
٤ - ٥	٩٦،٨	٧،٧	١٤،٣٠٠	١،٣	٩٥،٨	٧،٤	١٣،٩٠٠	١،٧
٥ - ٦	١٠٣،٣	٦،٥	١٥،٩٠٠	١،٦	١٠١،٩	٦،١	١٥،٢٠٠	١،٣
٦ - ٧	١٠٩،٩	٦،٦	١٧،٥٠٠	١،٦	١٠٨،٩	٧،٠	١٧،٤٠٠	٢،٢

السنة	القامة	الزيادة	الوزن	الزيادة	القامة	الزيادة	الوزن	الزيادة
٧ - ٨	١١٤،٤	٤،٥	١٩،٠٠٠	١،٥	١١٣،٨	٤،٩	١٩،٠٠٠	١،٦
٨ - ٩	١١٩،٧	٥،٣	٢١،١٠٠	٢،١	١١٩،٥	٥،٧	٢١،٢٠٠	٢،٢
٩ - ١٠	١٢٥،٠	٥،٣	٢٣،٨٠٠	٢،٧	١٢٤،٧	٤،٨	٢٣،٩٠٠	٢،٧
١٠ - ١١	١٣٠،٣	٥،٣	٢٥،٦٠٠	١،٨	١٢٩،٥	٥،٢	٢٦،٦٠٠	٢،٧
١١ - ١٢	١٣٣،٦	٣،٣	٢٧،٧٠٠	٢،١	١٣٤،٤	٤،٩	٢٩،٠٠٠	٢،٤
١٢ - ١٣	١٣٧،٦	٤،٠	٣٠،١٠٠	٢،٤	١٤١،٥	٧،١	٣٣،٨٦٠	٤،٨
١٣ - ١٤	١٤٥،١	٧،٥	٣٥،٧٠٠	٥،٦	١٤٨،٦	٧،١	٣٨،٣٠٠	٤،٥
١٤ - ١٥	١٥٣،٨	٨،٧	٤١،٩٠٠	٦،٢	١٥٢،٩	٤،٣	٤٣،٢٠٠	٤،٩
١٥ - ١٦	١٥٩،٦	٥،٨	٤٧،٥٠٠	٥،٦	١٥٤،٢	١،٣	٤٦،٠٠٠	٣،٢

ويتبين من هذه الارقام ان كلاًّ من الذكر والانثى يتكافآن في نموّ القامة من السنة الاولى الى الحادية عشرة ثم تزيد الانثى الى الرابعة عشرة وبعد ذلك ينعكس الامر بينهما . واما في الوزن فهما يتكافآن الى السنة الثامنة ومن هناك الى الخامسة عشرة تكون الزيادة في جانب الانثى

زلزال سان فرنشيسكو — ظهر للجنة الباحثين في كاليفورنيا ان الزلزال الذي حدث في سان فرنشيسكو في ١٨ ابريل من هذه السنة نشأ عن حركةٍ حدثت في احد جانبي صدع كبير في الارض يعرفهُ علماء الجيولوجية هنالك وهو يمتدّ مسافة ٦٠٠ كيلومتر بحيال الجبل المعروف بجبل پينوس . وقد تبين لهم ان الشفير الغربيّ منهُ تزحزح في التاريخ المذكور فحدثت فيهِ حركة افقية انتقل بها مسافة مترين نحو الشمال الشرقي وعلى هذا الخط بعينهِ كان كل ما حدث من الخراب . فيكون سبب هذا الحادث هذه الحركة السطحية لا حركة في باطن الارض كما توُهم بادئ بدء

الحالة الصحيحة في المدن — جآء في احدى المجلات العلمية انهُ في سنة ١٨٨٢ لم تكن مساحة الطرق في برلين تزيد على مليونين و٥٠٠ الف متر مربع فاصبحت في سنة ١٩٠٤ عشرة ملايين و٥٠٠ الف متر مربع موزعة على خطوط يبلغ طولها ٤٨٧ كيلومتراً لا يقل عدد المستخدمين في كنسها ورشها عن ١٥٠٠ رجل و٥٠٠ غلام

اقتراح

نقترح على حضرات الشعرآء المجيدين نظم بيتين من الشعر تاريخاً لوفاة الطيب الذكر الاب انطون بلوني المعروف بابي الايتام ينقشان على ضريحهِ وقد جعلنا للمجيد منهم بعد حكم الضيآء خمسين فرنكاً

توفي رحمهُ الله سنة ١٩٠٣ بعد ان قضى حياتهُ الطاهرة في خدمة الدين والانسانية وجعل نفسهُ وقفاً على اغاثة اليتيم وتخفيف بلآء المنكوبين وقد تألفت بعد وفاتهِ لجنة من قدمآء تلامذتهِ وفتحوا اكتتاباً لاقامة اثرٍ لهُ اقراراً بفضلهِ وتخليداً لذكرهِ وهو تمثال من المرمر النقي يمثل ابا الايتام فوق ضريحهِ وامامهُ يتيم جاثٍ باكٍ يحمل في يديهِ طاقة من الازهار

فالمرجو من حضرات شعرآئنا الاجلآء ان يرسلوا ما تجود بهِ قرائحهم الى ادارة الضيآء في اثنآء شهر سبتمبر القادم ليعلن نتيجة هذا الاقتراح في الجزء الاول من سنتهِ الآتية

بيت لحم في ١٥ تموز سنة ١٩٠٦

احد تلامذة المرحوم الاب
انطون بلوني القدمآء

اسئلة واجوبتها

زحلة (لبنان) — جآء في محيط المحيط في مادة (خ ف ض) « وعيشٌ خافض ذو رفاهةٍ ودعة وهو كعيشةٍ راضية اي مرضيّة لانهُ بمعنى مخفوض » اه . يشير الى ان فيهِ مجازاً عقلياً ببنآء « خافض » للفاعل واسنادهِ الى المفعول كما هو الامر في « عيشة راضية » ولكني لا ارى فيهِ ذلك لانهُ يقال « خَفُضَ عيشهُ يَخفُض خفضاً سهُل ووَطِئَ » كما في محيط المحيط نفسهِ فليس الفعل بهذا المعنى متعدياً حتى يصاغ منهُ اسم مفعول كما انهُ لا داعي الى تأويل اسم الفاعل بمعنى المفعول حتى يكون اسنادهُ الى الفاعل مجازاً فارجو ان تتكرموا بايضاح ذلك ولكم الفضل

لويس الضدّي

احد متخرجي الكلية الشرقية بزحلة

الجواب — اما الداعي الى تأويل خافض في هذا التركيب فهو ان الفعل في هذا المعنى من باب كَرُمَ وهذا الباب لا يُبنَى منهُ اسم فاعل الا اذا اريد بهِ معنى الحدوث ولكن يجيء الوصف منهُ على فعيل مثل كريم وظريف وقد ورد عيشٌ خفيض على القياس . وما نقلتموهُ عن محيط المحيط هو عبارة الزمخشري في الاساس الا ان الزمخشري اقتصر هناك على قولهِ « وقولهم عيشٌ خافض كعيشةٍ راضية » ولم يزد . فقول صاحب محيط المحيط بعد ذلك « اي مرضيّة لانهُ بمعنى مخفوض » لا يخلو من تسرُّع في فهم المراد وكأن الذي استدرجهُ الى ذلك انهُ ورد ايضاً عيشٌ مخفوضٌ

بمعنى خافض وهو من شواذّ الابنية لانهُ لايقال خفُض عيشهُ بالبناء للمجهول وكأنهم بنوهُ على توهم خفيض بمعنى المفعول . وانما اراد الزمخشري ان قولهم عيشٌ خافض بمعنى ذي خفض كما ان قولهم عيشةٌ راضية بمعنى ذات رضى وهو احد قولين في تأويل هذه العبارة . قال في المفصَّل بعد الكلام على نحو لابن وتامر بمعنى ذي لبن وذي تمر « وقال الخليل انما قالوا عيشة راضية اي ذات رضى » اه . فهو ولا ريب يشير الى هذا المعنى لكن كان الاولى ان يمثل بعيش ناصب لانهُ ابعد عن الاشتباه . وبقي هنا كتابتهُ اي كتابة صاحب محيط المحيط همزة وطئ بصورة الياء ذهاباً الى انهُ من باب علم كما ضبطهُ بالرسم وهذا ايضاً عن الاساس والظاهر انهُ هناك غلط في الطبع او في النسخ وصوابهُ وَطُؤ بالضمّ

آثار ادبيّة

الاتقان في صرف لغة السريان — هو سفرٌ مطوَّل في صرف هذه اللغة تصنيف سيادة العالم العلّامة المحقق المطران يوسف دريان مطران طرسوس والنائب البطريركي الماروني جرى فيهِ على خطّةٍ لم تسبق لغيرهِ من المؤلفين في حسن التبويب والترتيب وتحرير قواعد هذا العلم وتقريب منالها على الطالب مع بذل الطاقة في ايضاح مشتبهاتهِ وضبط اقيستهِ . فجاء كتاباً وافياً سديد المنهج واضح الأداء حريًّا بأن يتناول المبتدئ فوائدهُ من اقرب سبيل ويستبصر المنتهي بما تضمنهُ من بدائع التحقيق والتعليل فنشكر سيادة مؤلفهِ العلّامة لما توخاهُ في هذا التأليف من افادة الطلّاب ونسأل الله ان يحقق ما ينوي بهِ من النفع وان يجزيهُ جميل الثواب

فكاهات

شرلوك هولمز (١)

— ٢٢ —

ابهام المهندس

الحادثة التي ارويها هذه المرة ليست من الحوادث التي تتضمن ما اعتاد القارئ ان يراه لشرلوك من المهارة في تطبيق الحوادث والبراهين ولكنها من الحوادث الغريبة في نفسها . وهي وان كانت قد ذكرت مراراً في الجرائد فانها لم تذكر بالتفاصيل التي عرفناها نحن فكانت كأنها لم تذكر ولم تظهر في نشرها كيفية الاطلاع على اسرارها بحيث كان كل اكتشاف يقدمنا خطوة جديدة الى الحقيقة

وقد جرت وقائع هذه الرواية في صيف سنة ١٨٨٩ بعد زواجي بمدة قصيرة وكنت قد عدت الى ممارسة الطب وترك شرلوك في منزلهِ بشارع باكر . فلما كان صباح احد الايام ايقظتني الخادمة قبل الساعة السابعة واخبرتني ان رجلاً ينتظرني في غرفة المعالجة. ففي اقل من خمس دقائق ارتديت ثيابي واسرعت الى الغرفة المذكورة فوجدت رجلاً جالساً بجانب المائدة عليهِ ثوب من الجوخ الرمادي اللون وكانت احدى يديهِ ملفوفة بمنديل تظهر عليهِ آثار دم . وكان الرجل في نحو الخامسة والعشرين من عمرهِ تلوح على وجههِ علامات الرجولية غير انهُ كان اصفر اللون مما دلني على ان بهِ الماً شديداً وانهُ يستعمل كل قوة ارادتهِ ليخفي ذلك الألم . ولما صرت بجانبهِ قال اعذرني يا سيدي الدكتور اذا كنت قد ازعجتك باكراً فانني قد اصبت بحادثة اليم في الليل الماضي واتيت في قطار الصباح ولما سألت عن طبيب

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

يمكنني استشارتهُ دلني بعض الذين سألتهم عليك فجئتك توًّا وقد بعثت اليك ببطاقتي مع الخادمة ولكنها قد تركتها هنا على ما ارى . فنظرت الى حيث اشار فوجدت البطاقة وعلمت منها ان اسمهُ المستر فكتور هاذرلي مهندس بشارع فكتوريا. فقلت لهُ ليس على العليل ان يعتذر عن ازعاجهِ الطبيب بل عليَّ ان اعتذر اذا كنت قد تأخرت عن الحضور ويظهر انك قد قضيت ليلتك في القطار فلا ريب ان مثل هذا السفر قد كان مزعجاً ومملاً . قال نعم ولا سيما وانهُ قد نزف مني في هذا الليل دمٌ كثير . فاخذت كأساً من الماءِ وضعت لهُ فيهِ شيئاً من الكنياك وناولتهُ اياهُ فشربهُ وللحال اخذ لونهُ الطبيعي يعود اليهِ فقال انني شاعر بانني صرت الآن اصلح وصار يمكنك يا سيدي ان تعالج ابهامي او بالحري المحل الذي كانت فيهِ ابهامي . ولما قال هذا حل رباط يدهِ فرأيت اصابعهُ الاربع سليمة والى جانب السبابة في موضع الابهام بقعة حمراء دامية مما يدل على ان الابهام قد قطعت من اصلها. فلم اتمالك ان اقشعرَّ جسمي من ذلك المنظر ثم أخذت في فحص الجرح فقلت انهُ حصل بآلةٍ ثقيلة حادّة قال نعم بآلةٍ حادّة ارادوا بها قتلي . قلت انك تخيفني بهذا الكلام فهل لك ان تخبرني كيف حصل ذلك . وكانت يداي قد ابتدأتا بالعمل فغسلت الدم عن الجرح ووضعت عليهِ الادوية اللازمة ولففتهُ بالقطن المعقَّم والعصائب . وكان في اثناء العمل قد استلقى على ظهرهِ فلم يبدِ اقل صوت او علامة توجع سوى انهُ كان من حين الى آخر يعض شفتهُ حتى يكاد يدميها . ولما فرغت قال اشكرك يا سيدي فإن الكنياك الذي شربتهُ وهذا الرباط الآن قد جعلاني انساناً جديدا . اما قصتي فمن اغرب القصص ولا بد لي بعد تلاوتها عليك من سردها ثانيةً امام رجال الشحنة على انهُ لولا هذا الجرح لما كان لي امل انهم يصدقون كلامي لانهُ ليس لي اقل برهان على ما حصل بل لو صدقوا كلامي لما وجدوا فيهِ على ما اظن ما يدعوهم الى البحث عن الجاني لمعاقبتهِ . فقلت اذا كان امرك في هذه المنزلة من الخفاء فانا انصحك ان تستشير صديقي شرلوك هولمز قبل ان تسلم الامر الى رجال الشحنة . قال قد سمعت كثيراً عن هذا الرجل الداهية

واودّ كثيراً ان اطلعهُ على امري ولو لم يكن بدٌّ من تسليمهِ الى رجال الشحنة ايضاً فهل لك ان تكتب لي توصية الى صديقك المذكور. قلت انني افعل احسن من ذلك فاني ارافقك اليهِ وسنصل قبل ان يكون قد تناول طعام الصباح فنشاركهُ فيهِ وتخبرنا بقصتك . فشكرني الفتى على ذلك وخرجت فامرت الخادم فاحضر لنا عربة ركبتها مع المهندس وتوجهنا الى شارع باكر . ولما دخلنا منزل شرلوك استقبلنا استقبالاً حسناً ثم قادنا الى غرفة المائدة فجلسنا واكلنا مريئاً حتى اذا انتهينا اجلس شرلوك المهندس على مقعدٍ ووضع الى جانبهِ زجاجة من الكنياك وقال لهُ يظهر يا مستر هاذرلي ان امرك ليس باليسير فخذ راحتك التامة اولاً ثم قص علينا الامر بالتفصيل واذا شعرت بتعب فلا تجهد نفسك. فقال اشكرك يا سيدي وقد رأيت في معاملة الطبيب وحسن ضيافتك ما نفى عني كل ألم ولكي لا اضيع كثيراً من وقتكما ابدأ بحديثي للحال

أنا رجلٌ لا اهل لي واست بمتزوج اسكن بيتاً في لندن وصناعتي الهندسة وقد مارستها مدة سبع سنوات في محل فنر وماثيسون المشهورين في غرينويش. ومن مدة سنتين اتممت مدة خدمتي وكنت قد استوليت على مبلغ من المال انتهى اليَّ بالارث عن والدي فآثرت ان استقلّ فاستأجرت محلاً في شارع فكتوريا لهذه الغاية . غير انني في مدة هاتين السنتين لم احصل الا على عمل زهيد في الغاية لم يكن دخلي منهُ زيادة على سبع وعشرين ليرة ومع ذلك كنت لا ازال اواظب على البقآء في محلي من الصباح الى المسآء حتى بلغ مني اليأس . وحدث امس انهُ بينما كنت عازماً على ان اترك محلي وانصرف الى عمل آخر اذا بخادمي قد دخل وبيدهِ بطاقة عليها اسم الكولونيل ليساندر ستارك واخبرني انهُ يودّ مواجهتي لاجل شغل. وقبل ان اجيبهُ اذا بالكولونيل قد دخل وهو رجل فوق الربعة معروق العظام لا اذكر انني رأيت قط شخصاً في رقة جسمهِ فكان لا يظهر من وجههِ سوى انفهِ الاقني وذقنهِ اما جلد خدَّيهِ فكان مشدوداً على عظمهِ شداً وليس في كل جسمهِ شيء من اللحم . وظهر لي ان ذلك من خلقتهِ وليس عن سبب مرض فان عينيهِ كانتا حادتي النظر وخطوهُ ثابتاً

وقدماهُ راسختين . فحياني وقال يا مستر هاذرلي قد أُخبرت عنك انك ماهر في صناعتك وانك فوق ذلك رجل جدّ يعتمد عليهِ في قضآء الحاجات الخاصة وحفظ الاسرار . فشكرتهُ على هذا الاطرآء وقلت هل لي ان اعلم اسم الذي زينني بهذا الوصف لديك . قال سأطلعك على اسمهِ فيما بعد لكن ازيدك انهُ ذكر لي ايضاً انك عزَب وليس لك ههنا اهل وانك تقيم وحدك في لندن واذا ظهر لك ان هذا لا علاقة لهُ بالشغل الذي اتيت لاستشيرك فيهِ فستعلم غرضي منهُ متى اطلعتك على حقيقة ذلك الشغل وهو يستدعي الكتمان التام ولا شك ان السر العظيم يسهل كتمانهُ عند رجل فرد نظيرك اكثر من رجل لهُ اسرة تحيط بهِ وتعرف احوالهُ فهل تعدني انك تكتم الامر . قلت اني اعدك بذلك واؤكد لك انني لن ابوح بشيء مما ستطلعني عليهِ ولا اشير اليهِ بكلام ولا كتابة . فقال حسنٌ جدًّا وهذا ما اطلبهُ . ثم قال هل تكفيك خمسون ليرة اجرة عمل ليلة واحدة . قلت نعم . قال اني احتاج الى مساعدتك في فحص مكبس قد توقف عن العمل وكل ما نطلبهُ منك ان تفحصهُ لنا وتعرّفنا السبب الذي يمنع حركتهُ ونحن نصلحهُ . قلت يظهر ان العمل سهل والاجرة كثيرة . قال نعم ويجب ان تحضر في آخر قطار في هذه الليلة الى ايفورد وهي بلدة صغيرة على حدود اوكسفوردشير وعلى بعد سبعة اميال من ريدن وهناك قطار يقوم من بادنجتون في الساعة الحادية عشرة والربع مسآء وساقابلك على المحطة . فقلت اذاً لا نبلغ المنزل قبل نصف الليل وبما انهُ لا يوجد قطار يرجع في الليلة نفسها فساضطر ان ابقى هناك ولكن لمَ هذا الموعد الغريب أوَلا يمكنكم تعيين وقت آخر . فقال قد رأينا الافضل ان تأتي في الوقت المذكور وقد قبلنا ان ندفع لك تلك الاجرة الكبيرة في مقابلة ما تتحملهُ من المشقة في هذا الليل ومع ذلك فاذا لم تشأ ان تقوم بهذا العمل فيمكنك ان تستقيل من الآن . ففكرت قليلاً ثم خطر لي ان عملاً سهلاً كهذا باجرة خمسين ليرة لم احصل عليها في كل مدة شغلي لا يسهل عليَّ فوتهُ فقلت لهُ كلا يا سيدي انني لا استقيل بل اكون على ما تريدون ولكن هل لك ان تخبرني بما يطلب مني عملهُ بعبارة اوضح . فقال نعم وانا لا إلومك في

ذالك لان الحاحي عليك بطلب الكتمان قد جعل في نفسك شيئاً من الاستغراب فانا لا احب ان اكلفك امراً لا تكون على بينة منهُ . وبما انك قد اقسمت على ان تكتم الامر فاعلم ان المعدن المعروف بتراب القصّارين هو من اثمن ما اخرجت الارض ولا يوجد في كل انكلترا الا في موضعين فقط . وقد اتفق انني من عهد قريب ابتعت قطعة ارض صغيرة على بعد عشرة اميال من ريدن ولحسن خظي وجدت ان في جانبٍ منها شيئاً من هذا المعدن غير ان مقدارهُ زهيد وهو يتصل بمنجمين اكبر منهُ يميناً وشمالاً لكن المنجمين المذكورين واقعان في ملك جيراني وهم يجهلون ان في ارضهم ركازاً اثمن من الذهب واذ ذاك رأيت ان اشتري تلك الارض منهم قبل ان يكتشفوا قيمتها غير ان رأس مالي كان اقلّ من ان استطيع المشترى فاطلعت بعض اصدقآئي على سري واتفقنا على ان نعمل سرًّا في ارضي حتى اذا صار لدينا المال الكافي اشترينا الحقلين المجاورين وادركنا غايتنا . وقد شرعنا في العمل من مدة واستحضرنا لهُ مكبساً ولكن المكبس بعد ان استعملناهُ مدة توقف كما اخبرتك ولم نعلم كيف نصلحهُ . ونحن نحافظ على هذا السر محافظتنا على حياتنا لان اقل شبهةٍ تفضي الى ظهورهِ تقضي على آمالنا فلذلك قرنا حضورك على الطريقة التي ذكرتها وجعلتك تقسم لي أن لا تبوح بالامر وأن لا تخبر أحداً بذهابك الليلة الى ايفورد . فهل كفاك هذا الايضاح . قلت نعم ولكنني لم اعلم منفعة المكبس . فقال اننا بعد ان نحفر الارض ونأخذ التراب الذي فيهِ المعدن نكبسهُ ليصير قطعاً مربعة ويسهل علينا نقلهُ بدون ان يشك فيهِ احد وها انا قد اطلعتك على كل سرنا يا مستر هاذرلي وفي ذلك ما يدلك على ثقتنا بك . ولما قال هذا وقف واخذ قبعتهُ منصرفاً وقال اذاً سانتظرك في ايفورد مع قطار الساعة الحادية عشرة والربع ثم خرج مسرعاً . ولما بقيت وحدي جعلت اردد ما دار بيننا فاستغربت جدًّا هذهِ المهمة ولا انكر انني من جهةٍ كنت مسروراً لحصولي على تلك الاجرة الوافية ولكنني من الجهة الاخرى رأيت ان هيئة الرجل وكلامهُ وتصرفهُ مما يدعو الى الخوف والحذر ولم اقتنع بان المعدن الذي اكتشفهُ هو السبب

الوحيد لكل هذا الاحتراس حتى اذهب ليلاً ولا اخبر احداً بذهابي • ولكنني طرحت كل مخاوفي جانباً ولما كانت الساعة المعينة ركبت القطار وقد اطعت الرجل في كل شيء حتى في عدم ترك خبر في محلي عن ذهابي . ولما بلغت ريدن غيرت القطار الى ايفورد ولما بلغتها كنت المسافر الوحيد الى تلك البلدة الصغيرة ولم ارَ على محطتها احداً فنزلت وما سرت قليلاً حتى رأيت الرجل المعهود قد قدم اليَّ من ناحية ليس فيها نور ولم يكلمني بل اخذ بيدي وقادني الى عربة فدخلناها وانزل ستائرها ثم نقر على النافذة التي وراء الحوذي فسارت بنا المركبة على اشد عدو الجواد• فقطعنا مسافة ساعةٍ على الاقل وكان الكولونيل قد اخبرني ان المسافة ليست اكثر من سبعة اميال ولكنني رأيت من سرعة السير وطول المسافة اننا اجتزنا اكثر من اثني عشر ميلاً . وكانت الطريق وعرة والمركبة تهتز بنا فوق الحجارة وقد اجتهدت ان ارى الطريق من النافذة ولكنها كانت من الزجاج المكلَّح فلم ارَ شيئاً سوى مرور نور من وقت الى آخر . ثم شعرت اننا انتقلنا الى طريق احسن فسارت المركبة بنا بسهولة وبعد قليل وقفت فترجل الكولونيل امامي وتبعتهُ فلم اطأ الارض حتى جذبني بعنفٍ الى داخل باب أُقفل وراءنا فلم يترك لي اقل وقت لارى البيت من الخارج او لاعلم الجهة التي نحن فيها وتبع ذلك صوت العربة وقد عادت من حيث اتت

وكان داخل البيت ظلمة حالكة فجعل الكولونيل يسير امامي متلمساً ثم فُتح امامنا باب فجأةً وظهر منـهُ وميض نور كان يزداد شيئاً فشيئاً ثم بانت منهُ امرأة بيدها مصباحٌ قد رفعتهُ فوق رأسها وظهر لي انها جميلة الصورة ولباسها ثمين فتكلمت مع الكولونيل بلغةٍ اجنبية لم افهمها كانها تسألهُ عن شيءٍ فاجابها بصوت اجش جعلها تقفز الى الوراء مذعورة حتى كاد يقع المصباح من يدها . فاقترب منهـا الكولونيل وهمس في أذنها شيئاً ثم دفعها الى داخل الغرفة التي خرجت منها وعاد اليَّ بالمصباح ففتح باباً آخر وأدخلني غرفةً صغيرة بسيطة الاثاث في وسطها مائدة مستديرة عليها بعض الكتب الالمانية والى جانب الباب آلة موسيقية وضع عليهـا المصباح وقال ارجو ان تنتظرني هنا قليلاً وسأعود سريعاً . ولما قال ذلك تركني واختفى في

الظلام. فعمدت الى الكتب لاسلي نفسي بها ومع جهلي تلك اللغة علمت ان بعضها من الكتب العلمية و بعضها دواوين شعرية . ثم اقتربت من النافذة على امل ان ارى الخارج والبقعة التي انا فيها فوجدت انَ غَلَق النافذة من خشب السنديان الغليظ وقد سُمّر من الخارج وكان المنزل في سكوت تام ما عدا ساعة كبيرة تسمع دقاتها في الرواق الخارجي . ولما جلست منتظراً شعرت بقلقٍ قد استولى عليّ وقلت من عسى ان يكون هؤلآء الالمان وما هو عملهم وما سبب اقامتهم في هذا المكان البعيد بل اين موقع المكان لانني علمت انني على بعد نحو عشرة اميال من ايفورد ولكن الى الشمال ام الجنوب ام الشرق ام الغرب لا اعلم غير ان السكون التام في ذلك الليل جعلني أتحقق اننا في برية لا في مدينة. ولما رأيت ان أفكاري ستصل بي الى ما يحول نظري عن كسب أجرتي ابعدتها عني وجعلت اسير في الغرفة ذهاباً واياباً وأترنم بنغمةٍ مألوفة بصوت ضعيف . و بعد مدة قصيرة فتح باب غرفتي بدون سابق اشارة ورأيت المرأة التي رأيتها سابقاً قد وقفت امامي والظلام ورآءها والمصباح الاصفر يلقي نورهُ الضئيل على وجهها الجميل ورأيت لاول وهلة انها خائفة جدًّا فأثر فيّ ذلك ولكنها وضعت سبابتها على شفتيها كأنها تأمرني بالسكوت وجعلت تكلمني همساً بلغة انكليزية محرَّفة وهي تنظر الى الورآء كأنها تخاف ان يتبعها احد فقالت يجب ان تذهب فلا خير لك في البقآء هنـا . فقلت ولكنني لم اتم العمل الذي أتيت لاجلهِ فلذلك لا يمكنني ان اذهب قبل أن أرى الآلة . قالت بل انصرف بغير امهال ويمكنك ان تخرج من هذا الباب فلا يستوقفك احد . ولما رأتني أتبسم غير مصدقٍ كلامها ظهرت عليها علامات الاهتمام فتقدمت اليّ ووضعت يديها على صدرها وقالت استحلفك باسم السمآء ان تنجو بنفسك قبل ان يفوت الوقت . وكان من طبعي التصلب والعناد ولا سيما اذا رأيت امامي عراقيل تقف دون بلوغ غايتي وتمثلت امامي الخمسين ليرة وذلك السفر الشاق والليل العصيب فلم اشأ ان اترك كل ذلك ولا أحصل على ثمرة لمجرد كلمة امرأة ربما كانت مصابة في عقلها فنظرت اليها هازًّا رأسي غير مكترث مع انها كانت قد اوجدت فيَّ شيئاً

من الخوف . ولما رأت عدم اهتمامي حاولت ان تكرر الالحاح واذا بباب قد أُقفل بشدة فوق رأسنا وسمعنا وقع اقدام ثقيلة على السلم الحجري فاصغت المرأة لحظةً ثم رفعت يديها علامة الاستغاثة واليأس واختفت كما ظهرت فجأةً و بدون صوت . ولم تكد تبتعد حتى دخل غرفتي الكولونيل ليساندر ومعهُ رجل قصير القامة غليظ الجسم لهُ لحية اثيثة عرَّفني بهِ الكولونيل بقوله انهُ المستر فرغوسن وكيلهُ وكاتب اسرارهِ . ثم قال هلمَّ بنا لاريك الآلة فسرنا جميعاً الى الطبقة العليا من المنزل وكان الكولونيل في مقدمتنا و بيدهِ المصباح . ورأيت ان المنزل قديم البنآء فيهِ كثير من الممرّات الضيقة والسلالم المستديرة وكانت اعتابهُ قد ذابت من كثرة المرور عليها ولم أرَ شيئاً من البُسط او المفروشات بل ان الدهان الذي على الجدران قد سقط من اماكن عديدة وظهرت آثار الرطوبة وقد كست كثيراً من الجدران بالنبات الاخضر وانبعث منهُ رائحة قتالة . اما أنا فاجتهدت ان لا يظهر عليَّ شيء من الخوف او الحذر مع ان الحاح المرأة كان لا يزال امام مخيلتي فسرت معهما كأني لا ابالي ومع ذلك فكنت اراقبهما بدقة فوجدت ان فرغوسن رجل سكوت مطيع وكفاني انهُ من ابنآء وطني . و بعد قليل وقف الكولونيل ليساندر امام باب صغير فتحهُ فاوصلنا الى غرفة مربعة صغيرة لا تسعنا ثلاثتنا معاً فبقي فرغوسن خارجاً ودخل الكولونيل واشار اليَّ فتبعتهُ . ولما صرنا داخلاً قال نحن الآن ضمن المكبس لان هذه الغرفة هي الآلة التي اخبرتك عنها ولو شآء احد ان يحرك الدولاب الآن لقضي علينا معاً لان سقف هذه الغرفة هو آخر الكابس الذي يهبط بقوة عدة قناطير الى ان يبلغ الارض التي هي صفيحة معدنية قوية . ويوجد في الخارج أنابيب عديدة للمياه التي تعمل الآلة بقوتها ومع ان الآلة لا تزال تعمل كما نريد فانها قد فقدت شيئاً من سهولتها ومن قوتها فلذلك نرجو ان تفحصها بدقة وتخبرنا عن موضع الخلل لنصلحهُ

فاخذت المصباح منهُ وجعلت افحص الآلة فرأيت انها في الحقيقة آلة مخيفة ذات قوّة فائقة ولما خرجت وحرَّكت اليد التي تديرها سمعت صوتاً اشبه بالصفير فعلمت للحال انهُ يوجد ثقب تهرب منهُ المياه في بعض الانابيب فتوجهت الى فحص

تلك الجهة فوجدت ان قطعة من المطاط قد يبست وضمرت حتى لم تعد تقف دون المياه فأريتهم اياها . وكان الكولونيل ووكيله يتبعان تفاصيلي بدقة ولما عرفا الخلل طلبا اليَّ ان افهمهما كيف يمكن تلافيه فشرحت لهما كل ذلك . ولما انتهيت عدت الى داخل الآلة وجعلت انتقدها فعلمت لاول وهلة ان ما ذكرهُ لي الكولونيل من امر الركاز المعدني ليس لهُ اقل صحة لانهُ لا يعقل ان تستعمل مثل تلك القوة العظيمة لمجرد كبس التراب. ورأيت ان جدران تلك الغرفة كانت من الخشب اما ارضها فمن قطعة حديدية واحدة غليظة ورأيت عليها شبه قشرة معدنية فانحنيت وجعلت اكشطها لاعلم ما هي واذا بصوت يتكلم بالالمانية بحدة ورأيت امامي وجه الكولونيل المكفهرّ فقال لي بغضب ماذا تفعل يا هذا . وكنت قد ساءني ما لفَّقهُ عليَّ من حديث المعدن فقلت لهُ انني كنت اعجب بهذا التراب الذي تكبسهُ في آلتك واظن انك لو اطلعتني على حقيقة قصدك منها ربما كنت افدتك كيف تستعملها بطريقة اسهل واحسن . ولم اكد اتم كلامي حتى شعرت بتهوري لانهُ نظر اليَّ بوجهٍ مخيف وعينين تبرق فيهما نار الغضب وقال حسنٌ وستعرف كل ما يتعلق بهذه الآلة . ثم رجع خطوة الى الوراء فصار خارج تلك الغرفة الصغيرة ثم اغلق بابها بعنفٍ واقفلهُ بالمفتاح . اما انا فاسرعت الى الباب وجعلت اعالجهُ بمنتهى قوتي فلم يتحرك فاخذت اصيح وادعو الكولونيل ليفتح لي ويخرجني فلم يكن من مجيب . وبعد قليل سمعت في ذلك السكون صوتاً اجمد الدم في عروقي فاني سمعت حركة الآلة وصفير المياه في الانابيب فعلمت انهُ قد اعمل المكبس ورأيت على نور المصباح الذي كان لا يزال بجانبي ان السقف الاسود ينخفض شيئاً فشيئاً فتحققت من معرفتي قوتهُ الغريبة انهُ في اقل من دقيقة سيسحقني ويصيرني كتلة معجونة من لحم وعظام. ولما تحققت هول ذلك رميت بنفسي الى الباب وجعلت استغيث واستحلف الكولونيل ان يشفق عليَّ وهيهات من يسمع . ثم رأيت الحديد قد صار على علو قدم واحدة فوق رأسي وبعد لحظة شعرت انهُ قد بلغ رأسي ولم اعد أستطيع الانتصاب فكدت افقد رشدي . وقد ذكرت ان الجدران كانت من الخشب فبينما انا في الحالة التي

ذكرتها اذا بنور ضعيف قد ظهر بين عارضتين في الجدار ثم رأيت عارضة من تلك الاخشاب قد نُزعت فلم اكد اصدق نظري أنهُ يوجد ذلك المنفذ لانجو بهِ من الموت . وفي اسرع من لمح البصر قذفت بنفسي من تلك الفرجة الضيقة فصرت في خارج المكان وأنا غير مصدق بالنجاة وفي تلك اللحظة نفسها رأيت العارضة الخشبية قد عادت الى مكانها ثم سمعت تكسير المصباح الذي بقي في المكبس وتبعهُ صوت التصاق السقف بالارض فعلمت شدة الخطر وهول الموت الذي كان يترقبني . ولما عدت الى نفسي شعرت بيد تضغط على معصمي ووجدت نفسي ملقىً على ارض الممرّ وبجانبي تلك المرأة اللطيفة التي لم اسمع نصحها وبيدها شمعة موقدة فقالت تعالَ تعالَ اسرع فانهم سيكونون هنا بعد دقيقة واحدة ويعلمون انك نجوت فلا تضع الوقت الثمين هذه المرة ايضاً . فلم ازدرِ بالحاحها هذه المرة بل نهضت وسرت معها مسرعاً في درج ملتف الى ان بلغنا ممرًّا واسعاً فسمعنا وقع اقدام بسرعة وصراخ صوتين يجاوب احدهما الآخر وكان الواحد في الطبقة العليا فوقنا والآخر تحتنا . اما المرأة فوقفت لحظة كانها لا تدري ماذا تفعل ثم فتحت باباً موصلاً الى غرفة نوم ولها نافذة قد دخل منها نور القمر فاشارت الى النافذة وقالت هذا أملك الوحيد والنافذة مرتفعة عن الارض ولكنهُ لا يصعب عليك الوثوب منها . ولم تتم كلامها حتى ظهر لنا نور في طرف الممر البعيد ورأيت الكولونيل قادماً بسرعة وقد اخذ مصباحاً باليد الواحدة وبالاخرى فأساً حادّة . وكان في ذلك المشهد ما جعلني اصمم للحال فوثبت الى النافذة ورأيت الحديقة تحتها ينيرها القمر الصافي وعلمت انها لا تبعد اكثر من ثلاثين قدماً عن النافذة . وللحال خرجت من النافذة ودليت نفسي الى الخارج وبقيت ممسكاً بطرف النافذة لارى ما سيجري بين الرجل ومنقذتي لانني مع عظم الخطر الذي كنت فيهِ صممت ان اعود الى مساعدتها وحمايتها اذا تعرض لها ذلك اللعين بسوء . اما الكولونيل فانهُ تقدم حتى دخل الغرفة ولم يلتفت اليها بل توجه الى النافذة غير انها وثبت اليهِ والقت بذراعيها حول جسمهِ الدقيق كانها تمنعهُ وصاحت بهِ بالانكليزية « فريتز .

فريتز . اذكر وعدك بعد تلك المرة الاخيرة فانك وعدت ان لا تفعل ذلك ثانيةً .
انهُ يصمت ويكتم الامر» . أما ذلك الوحش فكان يجاهد في التخلص منها وهو
يقول انتِ مجنونة يا ألسي بل ستكونين سبب خرابنا فاتركيني . انهُ قد رأى اكثر
مما يجب فينبغي ان يموت . ثم دفعها عنهُ فعلمت أنهُ سيصل اليَّ وان لا خطر على
المرأة فتدليت بتمهلٍ وبقيت اصابعي على طرف النافذة ونظرت لارى الارض التي
سأصل اليها وفي تلك الفترة كان قد وصل الى النافذة والفأس بيدهِ فضربني ضربةً
كادت تكون القاضية لو لم تكن تلك السيدة لا تزال متعلقة بهِ لتمنعهُ فوقعت ضربتهُ
على يدي وسقطت الى الحديقة . وارتج جسمي من السقطة ولكنهُ لم يصبني ضرر
فنهضت وتوغلت بين الادغال بمنتهى السرعة لانني علمت ان الخطر لا يزال
محدقاً بي . وكنت اشعر في اثناء سيري بدوار يستولي عليَّ ثم نظرت الى يدي وكانت
تلتهب كالنار فرأيت ان ابهامي قد قطعت والدم يتدفق من الجرح فحاولت أن أربط
الجرح بمنديلي ولكن غشاوة الدوار سقطت على عينيَّ فوقعت بين نبات الورد
المشتبك فاقد الرشد . ولا اعلم كم بقيت على تلك الحالة وهي ولا بد كانت طويلة
لانني لما أفقت منها كان القمر قد غاب ولاح الفجر وكانت ثيابي مبللة بالندى وكمُّ
يدي مغمساً بالدم فوثبت للحال وأنا خائف ان يكون مطارديَّ بالقرب مني . ولكن
من الغريب اني لما نظرت حولي لم أرَ البيت ولا الحديقة بل وجدتني مطروحاً في
زاوية من الطريق على الشارع العمومي ورأيت امامي بناية مستطيلة اقتربت منها
فوجدتها المحطة التي أوصلني اليها القطار في الليلة السابقة . ولو لم يكن هذا الجرح في
يدي لما صدّقت ما حصل لي ولاعتقدت انهُ من أضغاث الاحلام . وسرت كالثمل
الى أن بلغت المحطة فسألت عن موعد القطار فقيل لي انهُ في أقل من ساعة يمر
القطار المتوجه الى ريدن . ورأيت ناظر المحطة فسألتهُ هل يعرف رجلاً يدعى
الكولونيل ليساندر ستارك وهل انتبه للعربة التي انتظرتني في الليل الماضي فقال انهُ
لا يعرف رجلاً بهذا الاسم ولم يرَ العربة . فسألتهُ هل يوجد دار شحنة بالقرب فقال
ان أقرب مركز للشحنة على بعد ثلاثة أميال . فرأيت من ضعفي وتعبي ما منعني عن

الذهاب وصممت أن أجيء الى لندن فركبت القطار حال وصوله و بلغت لندن الساعة السادسة والنصف فتوجهت توًّا الى الدكتور لينظر ما يلزم للجرح وهو من فضله قد احضرني اليك يا مستر شرلوك وهذه قصتي أضعها بين يديك وأعدك انني أفعل كل ما تشير بهِ عليَّ

و بعد انتهاء المهندس من قصتهِ بقينا حيناً متعجبين من تلك الحادثة ثم نهض شرلوك الى خزانتهِ واخرج بعض الاوراق فاخذ واحدة منها وقال اقرأ هذا الاعلان يا صاح لعل فيهِ ما يفيدك وقد نشرتهُ الجرائد منذ سنة واذا بهِ يقول «فُقد في ٩ من الجاري المستر جرميا هايلن وهو شابٌّ عمرهُ ٢٦ سنة صناعتهُ الهندسة ترك منزلهُ الساعة ١٠ ليلاً ولم يعد يظهر لهُ اثر وصفاتهُ الخ» . ثم قال شرلوك يظهر ان هذا المهندس فقد حين احتاج الكولونيل الى من يصلح لهُ الآلة في المرة الاولى ويُستدلّ على ذلك من قول المرأة لهُ انك وعدت في المرة السابقة ان لا تعيد هذا العمل . وعلى كلٍ فيظهر لي ان الكولونيل من رجال العزم والجسارة فهو يحتاج الى من يصلح لهُ الآلة ولكنهُ لا يريد ان يبقي على حياة الرجل الذي يخدمهُ لانهُ لا يضمن الصمت عن سرّهِ الا بالموت . واذا شئت يا مستر هاذرلي ولم يكن عندك مانع نذهب الآن الى دار الشحنة ومنها الى ايفورد

وبعد نحو ثلاث ساعات ركبنا القطار من ريدن الى ايفورد وكنا نحن الثلاثة ومعنا مفتش الشحنة واسمهُ براد ستريت . وكان المفتش قد اخذ بيدهِ خريطة ايفورد وضواحيها الى محيط عشرة اميال . فنظر الى المهندس وقال لهُ تقول انكم ابتعدتم نحو عشرة اميال عن المحطة بالعربة . قال اظن ذلك لانها سارت بنا بسرعةٍ اكثر من ساعة . قال ومع ذلك فقد قلت انك لما عدت الى رشدك بعد الحادثة وجدت نفسك بقرب المحطة فهل تعتقد انهم احضروك والقوك هناك وانت غائب عن الرشد . قال ربما كان ذلك اما انا فلم اعِ شيئاً . فقلت انا ولكن كيف ارتضوا ان ينقلوهُ وهو في الغيبوبة مع انهم كانوا مصممين على اهلاكهِ فهل يا ترى اثرت توسلات المرأة في ذلك الخبيث . فقال المهندس لا اظن ذلك لان وجه الرجل

يدل على التوحش فلا تؤثر فيهِ توسلات احد . فقال المفتش سنرى ونتحقق كل ذلك قريباً فها ان الخريطة في يدي وسنجد المكان بكل سهولة . فقال شرلوك اظنني وجدت المكان . فقال المفتش اذاً انت من رأيي يا شرلوك فالمكان الى الجهة الجنوبية . فقلت انا بل اظنهُ الى الشمال لانهُ الجهة الوحيدة التي ليس فيها هضاب ولم يذكر صديقنا ان العربة اجتازت هضاباً ووهاداً . فتبسم شرلوك وقال كلا كما مخطئ فالمكان ليس ببعيد عن ايفورد بل هو في نفس القرية وقريب من المحطة . فقال المفتش وكيف اذاً اجتازت العربة مسافة الاثني عشر ميلاً . قال هي ستة اميال ذهاباً وستة اميال اياباً وذلك انهُ عوض ان يصل بهِ رأساً الى المنزل اخذ في طريق البرّ حتى اوغل مسافة ثم عاد في الطريق نفسهِ ليوهمهُ ان المنزل بعيد عن القرية ويدل على ذلك ان العربة كما يقول صديقنا سارت اولاً في طريق سهلة ثم سارت في الوعر ثم عادت الى طريق سهلة . وانا اؤكد لكم ان الكولونيل واصحابهُ من مزيفي النقود العظام ولم تكن الآلة الا لضرب قِطَع السكة التي يزيفونها وقد اخذوا كل هذه التحوطات لستر امرهم . فقال المفتش حقّاً اننا من مدة قد لاحظنا وجود الوف من المسكوكات الفضية المزيفة وتتبعنا مصدرها حتى ريدن غير اننا لم نستطع التقدم زيادة على ذلك لمهارة اولئك المزيفين الذين استعملوا على ما يظهر كل دهآئهم لاخفآء مكانهم أما الآن فانني اشكر التقادير التي ولا بد قد جعلتهم في قبضة يدي

وكنا قد بلغنا محطة ايفورد فنزلنا من القطار واستوقف نظرنا حريق هائل ارتفع من بيت ضمن حديقة ورآء المحطة فسألنا ناظر المحطة عن ذلك فقال انهُ منزل بدأ حريقهُ في منتصف ليل أمس ولا يزال يشتعل بالرغم عن الوسائل والمضخات المستعملة لاخماد النار وهو بيت طبيب يدعى الدكتور بخر . فقال المهندس وهل هذا الرجل الماني الجنس ورقيق الجسم . قال كلا بل هو انكليزي قصير القامة سمين ولكن عندهُ عليل على ما قيل غريب الجنس طويل القامة يكاد يظهر كعمود لشدة هزالهِ . اما نحن فاسرعنا الى جهة الحريق فوجدنا بيتاً ابيض اللون تندلع السنة اللهيب من كل جهاتهِ وكانت ثلاث مضخات في الحديقة المحيطة بهِ تصب المياه

الغزيرة لاطفآئهِ . ولما نظر هاذرلي ذلك قال نعم نعم هـذا هو البيت وهذه هي الحديقة والورود التي سقطت بينها وهذه النافذة في الطبقة الثانية هي التي رميت نفسي منها . فقال شرلوك اذاً قرَّ عيناً فقد انتقمت لك التقادير من هذا الظالم فانظر بين الجموع المزدحمة حول البيت لعلك ترى احداً من اصحابك بالامس على انني اعتقد انهم الآن على بعد مئة ميل من هنا

وكان ظن شرلوك في محلهِ لانهُ حتى الآن لم يُرَ ولم يُسمع شيء عن تلك المرأة الجميلة ولا الكولونيل الهزيل او الانكليزي السمين . وقد قال احد القرويين انهُ رأى في اول الفجر عربةً فيها عدة اشخاص وصناديق كثيرة كبيرة الحجم تجدّ السير الى جهة ريدن . ولما اخمدت النار تعجب رجال المضخات من المعدات التي وجدوها ضمن المنزل ومن ابهام انسان كانت لا تزال لاصقة بخشب النافذة . وكانت النار قد أتلفت كل شيء فلم يبن من الآلات التي كانوا يستخدمونها سوى بضعة أنابيب حديدية شوهها اللهيب ووجدوا كمية وافرة من النكل والزنك محفوظة في مستودع من الحديقة ولكنهم لم يروا شيئاً من النقود التي ولا بد قد أخذوها معهم في الصناديق التي أخبر عنها القروي

أما كيفية نقل المهندس من الحديقة الى قرب المحطة فقد كانت تكون بقيت سرًّا غامضاً لو لم يهتم شرلوك بدرسها فوجد من آثار الاقدام أن شخصين رفعا المهندس وعلم من الآثار ان الشخص الواحد هو المرأة والثاني الرجل الانكليزي الذي على ما يظهر لم يكن دمويًّا كرفيقهِ الكولونيل فنقلا المسكين الى محل ينجو بهِ من الخطر

ولما كان ميعاد القطار التالي رجعنا الى لندن ومعنا المهندس وهو قد فقد ابهامهُ ولم يحصل من الاجرة التي كان يرجوها على طائل . أما الكولونيل وأصحابهُ فلم يُعرَف مقرُّهم ولم يعلم أحد أي البلاد اشتملت عليهم حتى ان دهآء شرلوك نفسهِ لم يتمكن من اقتفآء أثرهم

اغلاط المولدين

(تتمة ما سبق)

وقد اتفق مثل هذا للمرحوم الوالد ايضاً ولا بأس ان نورد ههنا شيئاً من امثلتهِ درءًا للظنون واخلاصاً في القصد من كتابة هذا الفصل . فمن ذلك قولهُ رحمهُ الله من قصيدة

يا دار من اهواه حيّاكِ الحيا وكساكِ بُردَ خزامهِ واقاحهِ

وقد تقدم لنا في لغة الجرائد كلامٌ عن لفظة الاقاح وان المولدين يغلطون فيها فيستعملونها محذوفة اليآء في كل حال وانما ورد عليهم ذلك من وقوعها في بعض القوافي المقيَّدة بهذه الصورة كما في قول البحتري

كانما يضحك عن لؤلؤٍ منظَّمٍ او بَرَدٍ او أَقاحْ

فتوهموا ان هذه اللفظة موضوعةٌ على ذلك . وقد ذكرنا ان اكثر الشعرآء كانوا يكتفون من اللغة بالالفاظ الدائرة في الاستعمال ولا سيما في الشعر الذي هو صناعتهم الخاصة فالذي سمع الاقاح اول مرةٍ ولم يتفطن لاصلها توهمها اسم جنس بمنزلة البشام والأَراك فاستعملها كذلك وتناقلها من جآء بعدهُ على تلك الصورة حتى تُنوسي اصلها بالمرّة وصارت اسماً مفرداً يذكّرونهُ في اللفظ كما في قول ابن الرقّاق

ومدَّ لمبسمهِ راحةَ تخلتُ الأَقاحَ دنا قطفهُ

وربما افردوا الواحدة منها بالتآء فقالوا أَقاحة كما يقال لواحدة البَشام بَشامة ولواحدة الأَراك أَراكة ومن هذا قول لسان الدين بن الخطيب :

شمل الرضى فكأنَّ كل أَقاحةٍ تومي بثغرٍ للسلام شنيبِ

وهذا غريبٌ من مثل لسان الدين على طول باعهِ في اللغة ورسوخ قدمهِ فيها . ومثلهُ قول ابن زمرك

فضح الغزالة والاقاحة والقنا مهما تثنى او تبسم او نَظَرْ

وقال ايضاً رحمهُ الله

البستهُ من مديحي خاتماً نقشت فيهِ شهادتها الاملاك والرسلُ

فجمع المَلَك الذي هو واحد الملائكة على أملاك ولم يُسمَع هذا الجمع منهم لانهم يردّونهُ عند الجمع الى اصلهِ الذي هو ملأَك ثم يجمعونهُ على ملائك او ملائكة ولكنهُ جمعهُ على لفظهِ كما قيل في جمع الريح ارياح بالياء . ومثلهُ قول البهاء العاملي من دوبيت

استنكفُ ان مشيتُ في روضتها فالمشي على اجنحة الأَملاكِ

وقول ابن زمرك

يا خير مَن ملك الملوكَ بجودهِ وبفضلهِ قد اشبه الأَملاكا

ومن ذلك قولهُ

فتّاكة اللحظ غرّتني لواحظها لما رأيتُ عليها فترة النَعَسِ

وانما النَعَس من كلام العامّة لانهم يقولون في الفعل نَعِسَ بالكسر من حدّ تَعِبَ فيكون المصدر النَعَس على القياس ولكن المنصوص عليهِ في كتب اللغة نَعَسَ بالفتح من باب مَنَع والمصدر النُعاس بالضم على حد الزُكام والعُطاس . وهذا البيت من قصيدةٍ بعث بها الى المرحوم الشيخ ابرهيم الاحدب الطرابلسي وقد اجابهُ عليها بقصيدةٍ من بحرها وقافيتها جاء فيها

ايضاً وهو بيت المطلع

قد غازلتني مهاة السرب والانسِ　　فنبّهتني لحب الغيد بالنَعَسِ

على ان الذي عندنا ان لغة العامّة في هذا الحرف أَقيَس لانهُ من الافعال الدالّة على الاحوال الطبيعية مثل خَدِرَ وسَدِرَ وثَمِلَ وسَكِرَ فحقهُ ان يكون ماضيهِ بالكسر وأن يكون مصدرهُ على فَعَل بفتحتين لا على فُعال لان هذا مخصوص بالادوآء وما جرى مجراها كالزُكام والصُداع والسُعال . ويؤيّدهُ ان العرب تقول بمعناهُ وَسِنَ وَسَناً وكَرِيَ كَرًى من باب تَعِبَ فيهما وربما قالوا في الوصف منهُ نَعسان كما يقولون وَسْنان وكَرْيان ولكن كذا جرى هذا الفعل على السنتهم . ومن ذلك قولهُ

انا عبدٌ لهُ لي رفعُ رأسٍ　　بذاك وللحواسد رغمُ انفِ

وانما الحواسد جمع حاسدة لا جمع حاسد وهو غير مرادهِ كما لا يخفى ولكن الشعرآء استباحوا مثل هذا وهو كثيرٌ في كلامهم كقول القاضي الفاضل

ماذا تقول اللواحي ضلَّ سعيهمُ　　وما تقول الاعادي زاد معناهُ

كذا يروى عجز هذا البيت واراد باللواحي جمع اللاحي كما يدل عليهِ الضمير من قولهِ سعيهم . ومثلهُ قول ابن نباتة

وليت عواذلي في الحبّ كفّوا　　حديثاً قطُّ ما اجدى لَدَيَّا

وقال رحمهُ الله في مطالع بديعيتهِ

عاجَ المتيَّم بالاطلال في العلمِ　　فأبرع الدمع في استهلالهِ العَرِمِ

فاستعمل العَرِم وصفاً بمعنى الغزير وانما العَرِم جمع عَرِمَة بفتحٍ فكسرٍ وهي السدُّ يُعترَض بهِ الوادي وقيل هو المطر الشديد لا يُطاق وبكليهما فُسِّر

سيل العَرِم المشهور ولكن هذا الاستعمال سبق لغيرهِ ومنهُ قول الصفيّ الحلّي

أمن عمىً نزل الناس الربى فنجوا　　　وأنتمُ نُصب سيل الفتنة العَرِم

واما قولهُ ابرع فاراد بهِ جآء بالبراعة كما يقال أبدع اذا جآء بامر بديع وأغرب اذا جآء بشيءٍ غريب وأملح اذا جآء بمُلحةٍ اي بكلمة مليحة وهو كثيرٌ في اللغة . وقد اسلفنا فيما اخذناهُ على القاموس ان ليس كل لفظةٍ خلت عنها نصوص اللغة تُعَدّ خطأً ولكن كل ما وافق القياس عُدَّ صحيحاً وكان حريًّا بان يُلحَق بكلامهم وان لم ينطقوا بهِ . ونحن ذاكرون هنا ما اتفق لنا العثور عليهِ من مثل ذلك في كلام الشعرآء كقول ابي نواس

يا حسننا وبحار القصف تغمرنا　　　في لجة الليل والاوتار تغترد

تغترد تفتعل من غَرِدَ الطائر وزان فَرِحَ اذا طرَّب في صوتهِ استعارهُ للاوتار واراد انها تشترك في التغريد كما يقال اصطخبت الطير اذا اختلطت اصواتها . ومعلومٌ ان افتعل كثيراً ما يأتي للمشاركة نحو اضطربت الامواج واعترك القوم واعتلجوا واشتوَروا وائتمروا وهو قياس وان لم يطّرد سماعهُ من كل مادّة .　　وقال ابو العتاهية

غـدا هرون يرعد بالمنايا　　　ويبرق بالمذكَّرة العِضاب

اراد بالمذكَّرة السيوف شفراتها من الحديد الذكَر وهو خلاف الانيث والعضاب القاطعة مفردها عَضْب ولم ينقل العِضاب في جمع العَضْب ولكنهُ قاسهُ على نحو صَعْب وصِعاب وضَخْم وضِخام وفِعال في جمع فَعْل الساكن الوسط كثيرٌ سوآءٌ كان وصفاً كما ذُكر ام اسماً مثل سَهْم وسِهام

ونَصْل ونِصال ۰ وقال بَشّار

فاصبحتَ تجري سادراً في طريقهم ولا تتقي اشباه تلك النقائمِ

يريد بالنقائم النِقَم واقرب ما يكون اراد بها ان تكون جمع نقيمة ولم يُنقَل من هذا الا قولهم فلان ميمون النقيمة اي النفس وهي لغة في النقيبة لكن بَشّاراً عاد بهذه اللفظة الى القياس فاخرجها على مثال الفضيلة والجريرة والبليّة وما اشبه ذلك من الاسمآء ۰ ومثلهُ قول ابي نواس

فلست اخشى نفسي على طمعٍ اخاف فيهِ دريكة العارِ

والمنقول في الدريكة انها بمعنى الطريدة واراد بها تبعة العار على حدّ الدَرَك مثلاً فاخرجها على مثال ما تقدّم ۰ وقال ابن دُرَيد

لا تسألنّي واسأل المقدار هل يعصم منهُ وَزَرٌ او مُذدَرَى

اراد بالمُذدرَى المكان يتّخذ ذَرًى اي كِنًّا يُستَر بهِ والمعروف من هذا استذرى بالشيء وتذرَّى بهِ ولكن افتعل كثيراً ما يأتي مرادفاً لتفعّل كما يقال تردَّى الثوب وارتداهُ وتعمَّم واعتمَّ وتنطَّق وانتطق۰ ومن هذا القبيل قولهُ من هذه القصيدة

ما انصفت امُّ الصبيَّين التي اصبت اخا الحلم ولمّا يُصطَبَى

والمنقول في اللغة تصبَّتهُ اذا دعتهُ الصَبوة ولم يُحكَ اصطَبَتهُ ولكنهُ اخرجهُ على ما ذكر من الترادف بين افتعل وتفعل كما جآء في قولهِ

مَن لك بالمهذَّب الندب الذي لا يجد العيبُ اليهِ مُختطَى

المُختطَى اسم مكان من اختطى وهو وتخطَّى بمعنى وكلاهما محكيّان عنهم ۰

وقال ابن عابد الهاشمي

وارحمتاهُ لذي الهوى من جاهلٍ　　متعـاقلٍ　ومغفَّـلٍ　يتذاكى

اراد بيتذاكى يُري من نفسهِ الذكآء وهو غير منقولٍ عنهم ولكنهُ قاسهُ على يتعاقل وهو بابٌ مشهور في اللغة .　　ومثلهُ قول ابي النصر الهزيمي

يتسابق الادبآء في ميدانهم　　وابو الفوارس خلفهم متحاجلُ

اي يُري من نفسهِ انهُ يحجل .　　ومن هذا قول الحريري في المقامات

تعارجتُ لا رغبةً في العَرَج　　ولكن لأقرع باب الفَرَج

وقال ابن الرومي

هم استلدغوا رُقش الافاعي ونبهوا　　عقارب ليلٍ نائماتٍ حُماتُها

ولم يُنقَل استلدغ الحية في كتب اللغة اذا حملها على لدغهِ ولكنهُ قاسهُ على استنبح الكلب اي حملهُ على النباح واستعدى الفرس واستحضرهُ اي حملهُ على العَدْو او الحُضر وهو يستنزل العُصْم اي يدعوها الى النزول وغير ذلك وهو كثير .　　وقال الحسين بن حجّاج

يا حدّة الرمد الذي　　لا يستفيق من القَطُورِ

اراد بالقَطُور ما يُقطَر في العين الرمدآء من الادوية وهو غير محكيٍّ عنهم بهذا المعنى ولكنهُ قاسهُ على ذَرُور وسَفُوف ووَجُور وسَعُوط وغير ذلك من اسمآء الادوية .　　وقال تميم بن معدّ

لئن وعدتني وصلها وعد عاتبٍ　　يجاحدني وعدي وينكرني حقّي

اراد بيجاحدني يجحدني مرةً بعد اخرى كما حققنا من معنى هذه الصيغة في مقالة اللغة والعصر ولم يجئ جاحَدَهُ في اللغة ولكنهُ قاسهُ على طالَبَهُ وماطَلَهُ وراقَبَهُ وما اشبه ذلك .　　وقال المعرّي

والناس في غمراتٍ من مقالهمِ   لا يظفرون بغير المنطق الوَدِسِ

اراد بالوَدِس المعيب ولم يحكوا من هذا الا الوَدَس بفتحتين بمعنى العيب وهو اشبه ان يكون مصدراً من باب تَعِبَ فصاغ منهُ فعلاً واشتقّ الوصف منهُ على فَعِل بفتحٍ فكسر كما يقال من تَعِبَ تَعِبٌ ومن حَذِرَ حَذِرٌ وهو القياس

وهذا بابٌ واسع نجتزئ منهُ بهذا القدر وفيهِ غنآءٌ للّبيب ومن أوتي رويّةً نقّادة وكان بصيراً بمعاني اوضاع اللغة عارفاً بطُرُق اشتقاقها ومجازها كفتهُ في مثل هذا اللمحة الدالّة والاّ لزمْنا ان نضع في تلك الالفاظ معجماً مخصوصاً . ومما ذكرنا في هذا الفصل تعْلم مرادنا بما طالما حثثنا عليهِ من التزام طريقة العرب في الوضع والقصد من ذلك انما هو الحرص على وحدة اسلوب اللغة وتواطؤ قديمها وحديثها على وجوهٍ من الوضع لا تنافُر بينها ولا تبايُن . وهذا انما يكون بمتابعة سُنّة الواضع في صوغ القوالب اللفظية وتفريع بعض المعاني من بعض بحيث تتوفر المجانسة بينها ويتهيأ رد كل فرعٍ الى اصلهِ وهو ما يشفّ عنهُ صنيع الواضعين الاولين فيما نُقِل الينا من الفاظهم الا ما شذّ عن ذلك مما سبق لنا التنبيه عليهِ في اوائل هذا الفصل . وفي مراجعة ما كتبناهُ في فصل اللغة والعصر زيادة تبصرةٍ في هذا المعنى والله سبحانهُ وتعالى اعلم وهو الهادي الى سوآء السبيل

سمع الكنديّ وهو يعقوب بن الصباح المسمى في وقته فيلسوف الاسلام انساناً ينشد

وفي اربعٍ مني حلت منكِ اربع   فما انا ادري ايها هاجَ لي كربي

خيالكِ في عيني ام الذكر في فمي   ام النطق في سمعي ام الحب في قلبي

فقال والله لقد قسمها تقسيماً فلسفياً

معبودات المصريين

(تابع لما في الجزء السابق)

على ان المصريين كانوا مع ذلك يذهبون الى التوحيد كما اثبتهُ هيرودوطس وبرفيرس وبلوطرخس وغيرهم فانهم كانوا يعترفون بكائنٍ اعلى لا شريك لهُ ولا يمثَّل بصورةٍ محسوسة . وقد وُجِد منقوشاً في احد هياكلهم ما تعريبهُ « انا الكائن والذي كان والذي سيكون والستار الذي يحجبني لم يمِطهُ بشر » . ووُجِد في هيكل آخر « اليكِ يا من هي واحدة وهي الكل ايتها الالاهة ايزيس » وقد تقدم ان ايزيس واوزيريس وهورُوس ثلاثةٌ في واحد فأيُّ هذه الاسمآء أُطلق فمدلولهُ مدلول الثالوث بجملتهِ . على ان هذا انما كان عند الكهنة ولم يكونوا يطالعون بهِ الا المرشَّحين وكانوا يعبّرون عنهُ دائماً بالرموز ولذلك كان العامّة على عقيدة الشرك لان كل رمز كان عندهم بمنزلة اله . وفضلاً عن ذلك فقد كان من عادتهم ان ينصبوا تماثيل الحكمآء والعظمآء في المعابد فكان العامّة يتخذون تلك التماثيل من جملة الآلهة

وكان ملوكهم يُعَدّون ممثلين للاله اوزيريس لانهم خلفآؤهُ على مُلك مصر على ما تقدمت الاشارة اليهِ وكانوا يلقَّبون بابنآء الشمس اي ابنآء هوروس الذي هو اقنوم الابن في الثالوث المشار اليهِ وكانوا يعبرون عنهم في الكتابة على الجدران بسلائل الشمس او بالشموس وربما صُوِّر بعضهم وهو يرفع العبادة الى نفسهِ يشيرون بذلك الى ان الفرعون الآدمي

يعبد الذات الالهية التي هو مثالها الارضي · ومن الملوك من عُبِدوا بعد موتهم واشهرهم منَس اول ملوكهم ورَعمسيس الثاني من السلالة التاسعة عشرة فانهما استحالا عندهم الى الهين

قيل والمصريون هم اول من قال ببقآء النفس بعد موت الجسد وفي معتقدهم ان النفس اذا خرجت من جسدها تمثل امام اوزيريس والاثنين والاربعين قاضياً من آلهة الجحيم فيتولون محاسبتها عما كان منها في الحياة الدنيا فاذا وُجدت مجرمةً أُعيد خلقها في جسم انساني فتعيش عيشةً شقية تقاسي فيها الوان العذاب عدة من القرون حتى تستوفي عقابها ثم تموت موتاً ثانياً لا تحيا بعدهُ. واذا حكم ببرآءتها سِيمَت ضروباً من التجارب الى ان يتمّ تطهيرها واذ ذاك تلبس جسدها فتعيش في الارض مدةً اخرى الى ان يُقضَى أجلها الثاني فتصعد الى الحضرة الصمدانية وتتمتع بمشاهدة الانوار القدسية وجهاً الى وجه . ولهذا كانوا يصرفون جل عنايتهم الى بقآء الجسد سليماً من الانحلال فكانوا يحنّطون الجثث ويجعلونها في مدافن خاصة تحت الارض تنتظر فيها ما شآء الله من الزمن تحت صولجان اوزيريس وايزيس الى ان تعاودها نفوسها وترجع الى الحياة

وجآء في دَرْج من البَرديّ ما محصَّلهُ « ان النفس اذا خرجت من الجسد اقتادها انوبيس قيّم الانفس فترفع ابتهالاتها الاولى الى اوزيريس ملك الجحيم وتقدّم هداياها الى الآلهة الذين معهُ ثم تقاتل بعض الحيوانات المتألهة من تماسيح وثعابين وسلاحف وبعد ذلك تقاتل حمار الجحيم ثم الثعبان الاكبر ابوفيس . فاذا فرغت من ذلك اخذ الميت يطوف في كل

ناحيةٍ من اقطار الجحيم بعد ان يكون قد وقف كل عضوٍ من جسمهِ على واحدٍ من الآلهة يوكلهُ بذلك العضو . ولما أن مدة الموت لا تنتهي في يوم واحد يتعين عليهِ في تلك المدة ان يحرث الحقول التي تحيط بها المياه السماوية فيزرع ويحصد عدة مرات ويرفع ما يستغلّهُ الى الاله پيوءُو وهو النيل السماوي ابو الآلهة الذي يرجع اليهِ امر تلك الحقول . ويلبث على ذلك الى ان يأتي موعد الدينونة وحينئذٍ يكون قد أُرصِد لهُ تعداد المآثم التي تزعم النفس انها بريئةٌ منها فيتوجه الى الهٍ فإِله من الموكلين بالحساب على انواع الجرائم واخيراً يكون اوزيريس هُو الحاكم الاعلى فيدوّن ثوث الحكم . فاذا كان المتوفى قد كفّر ما عليهِ قرّر ان قلبهُ موازنٌ تمام الموازنة لمعيار العدل الذي في كِفّة الميزان واذ ذاك ينتقل الاوزيريان (اي الميت الذي يكون قد جال في مملكة اوزيريس) الى الكُرات النورانية حيث يعبد الشمس »

وجاء في درج آخر في معنى توزيع اعضاء الميت على الآلهة النصّ الغريب الآتي « يوكّل بشعر الميت پيوءُو (وهو النيل السماوي اله المياه الاولى) وبرأسهِ الاله فرّاي (الشمس) وبعينيهِ الالاهة هاتور وباذنيهِ الاله ماكيدو وبصدغهِ الايسر الروح الحيّ في الشمس وبصدغهِ الايمن روح أتمُو المقيم بمسكن سيو وبانفهِ انوبيس في مسكن ساخيم وبشفتيهِ انوبيس وبلحيتهِ ماكيدو وبعنقهِ الالاهة ايزيس وبذراعيهِ ربّ المقيل الابدي وهو اوزيريس وبركبتيهِ الالاهة نيث سيدة سائيس وبمرفقيهِ الاله السائد في ناحية جِّيلي وبظهرهِ الاله سيشو وبفخذيهِ الاله بَلْهُور ربما هنالك الاله اوزيريس والإلاهة كُوهْت وبساقيهِ الالاهة نتفي

وبقدميهِ الاله فتاح وباصابعهِ الأُوزِيرُيس الاحيآء » . انتهى

على ان عقائد المصريين تبدلت كثيراً في الزمن الاخير ولا سيما بعد استيلآء اليونان على الديار المصرية وانتقال عاصمة الملك الى الاسكندرية وهي مدينة يونانية فان ذلك كان سبباً في دخول كثيرين من فلاسفة اليونان ارض مصر بعد ان كان ذلك ممتنعاً عليهم فيما سلف واضطرَّ غالب ارباب الدين من المصريين ان يتعلموا اللسان اليوناني الذي هو لسان الفاتحين واذ ذاك تهيأ لهم ان يطّلعوا على الفلسفة الافلاطونية والفيثاغورية فانحازوا اليها لما وجدوا من الموافقة بينها و بين فلسفتهم وقد يكون ذلك لانها اقتُبست قديماً عن فلسفة حكمآء ثيبة ومنفيس . وبهذا السبب اختلطت المذاهب المصرية باليونانية كما اختلطت اسمآء كثير من آلهة الفريقين وتداخلت الاساطير المنسوبة الى كلٍّ من الامتين على نحو ما حدث عندما اتخذ اليونان آلهة الفينيقيين . بل كثيراً ما أدّى ذلك الى التباس بعض آلهة المصريين ببعض لانهم ربما سموا الاله الواحد باسم غير واحدٍ من آلهة اليونان تبعاً لما يعتقد من الوحدة بين الالهين واضافوا الى كل اسم ما يتعلق بهِ من الرموز والاساطير وبذلك اضحى التمييز بين تلك الآلهة من المشكلات التي يتعذر حلها ولا تزال الشغل الشاغل لعلمآء الآثار

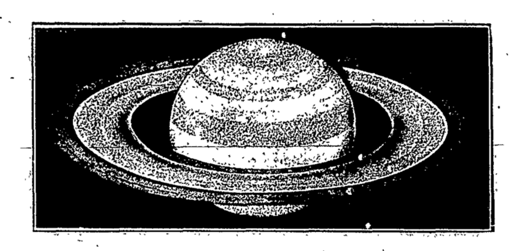
زحل

(تابع لما قبل)

واغرب شيء يشاهدهُ الراصد في منظر زحل هو تلك الحلقات

العجيبة المحيطة بهِ وهي بديعة المنظر وحيدة في نوعها لا يرى شيء مثلها بين جميع الاجرام الظاهرة من هنا

وهذه الحلقات ذات شكلٍ تامّ الاستدارة وموازية لخط زحل الاستوائي الا انها لا تظهر لنا مستديرة مطلقاً وذلك لانها لا توجه الينا سطحها تماماً بحيث تكون الارض على خطٍ عمودي عليهِ اي مسامتة لاحد قطبي السيار بل هي مائلة على سطح فلك البروج بمقدار ٢٨ درجة تقريباً فنرى سطحها في معظم اتجاههِ الينا مائلاً بهذا المقدار فتظهر لنا اذ ذاك



بشكل اهليلجيّ لا يتعدى عرضهُ نصف طولهِ ويحدث احياناً ان يكون موقع الارض على خطٍّ موازٍ لسطح الحلقات فلا نرى منها الا حرفها الضيق بهيئة خط دقيق لا يظهر الا بأقوى المراقب وهذا يحدث كل ١٥ سنة مرة وهو الذي حير غاليلاّي لانهُ وافق حدوثهُ سنة ١٦١٢ وهي السنة التي رصدهُ فيها كما مر

وقد كان المتعارَف لعهد اكتشاف هذه الحلقات انها حلقة واحدة غير انهُ في سنة ١٦٦٤ رؤي ان تلك الحلقة هي بالحقيقة حلقتان منفصلتان

احداها في داخل الاخرى وقد شوهد في سنة ١٨٥٠ حلقة ثالثة في داخلها فصار مجموع الحلقات ثلاثاً انورها الحلقة الوسطى ويليها الخارجية ثم الداخلية وهي حلقة مظلمة ولكنها شفافة يرى جرم السيار من خلال جميع اجزآئها التي امامهُ كما ترى كل ذلك في الرسم بعكس الخارجيتين فانهما لا يظهر من خلالهما شيء من جرمهِ

وهي عظيمة المساحة يبلغ قياس قطر الحلقة الخارجية منها من احد جانبي محيطها الى الآخر ١٧٦٤٠٠ ميل وقطر الوسطى ١٥٢٠٠٠ ميل والمسافة بين الحلقة الوسطى والسيار ٢٣١٠٠ ميل ويبلغ قياس عرض الحلقة الخارجية ١٠٥٠٠ ميل وعرض الوسطى ١٧٢٠٠ ميل ومع ذلك فلا تزيد ثخانة هذه الحلقات عن ٣٥ الى ٤٠ ميلاً فقط وهذا هو السبب في عدم رؤيتها عند توجيه حرفها الينا الا بالمراقب الكبيرة كما ذكر

ومعلوم ان الحلقات والسيار تستمد النور من الشمس كبقية الاجرام الدائرة حول الشمس ولذلك يرى ظل الحلقات على السيار كخط اسود على سطحهِ ملاصق لحرفها كما يرى ظل السيار عليها بقرب القسم منها المار من ورآئهِ

اما تركيب هذه الحلقات فقد ظهر لهم انها لا يمكن ان تكون جامدة كما انها ليست سائلة او غازيّة بل قد ترجح الآن انها مركبة من حُصيّات متجمعة تدور حول السيار مسرعةً بقربهِ ومتباطئة كلما بعدت عنهُ وهي متكاثفة في الحلقتين الخارجيتين ولكنها متخلخلة كثيراً في الداخلية وهو السبب في عدم ظهور السيار من بين اجزآء تلك وظهورهِ من بين اجزآء

الداخلية . وهي ليست ذات سطح مستوٍ ولذلك يرى نتوءات على سطحها عند ما توجه حرفها الينا يُظنّ انها مسببة عن جذب الاقمار لبعض تلك الحصيات فتخرج عن موازاة البقية وتظهر لنا على الهيئة المذكورة

ثم ان هذا السيار عدا ما ذكر من تلك الحلقات الغريبة لهُ عشرة اقمار تدور حولهُ وقد كان المكتشف منها الى سنة ١٨٤٨ ثمانية فقط يبلغ بُعد اولها عن السيار نحو ١٢٨٦٠٠ ميل وبعد الثامن نحو ٢٤٦٢١٠٠ ميل والاول يدور حول زحل في مدة ٢٢ ساعة و٣٧ دقيقة و٢٣ ثانية والآخر يدور حولهُ في ٧٩ يوماً و٧ ساعات و٥٣ دقيقة و٤٠ ثانية . ثم انهُ في سنة ١٨٩٩ اكتشف القمر التاسع وهو يبعد عن السيار نحو ٧٤٥٠٠٠٠ ميل ويدور حولهُ في مدة ٤٨٤ يوماً تقريباً وفي سنة ١٩٠٥ اكتشف العاشر والى الآن لم يتعيّن بُعدهُ ولا مدة دورته حول السيار . وبما ان هذه الاقمار على هذا البعد الشاسع لم يمكن ان تقاس اقطار جميعها قياساً مدققاً غير ان اعظمها جرماً وهو السادس المسمى تيتان قيس قطرهُ فوُجد نحو ٤٠٠٠ ميل وهو اعظم من قطر عطارد وقيس قطر الثامن المسمى يابيتوس فبلغ نحو ٢٥٠٠ ميل والخامس المسمى ريّا يظهر انهُ بحجم قمرنا تقريباً والبقية تختلف اقطارها بين ٥٠٠ و ١٢٥٠ ميلاً ولم يميز على سطحها شيء من المحو غير انهُ ظهر تغير في نورها وعلى الاخص في الثامن لوحظ انهُ يكون دائماً متى كان في النصف الشرقي من فلكهِ فترجح منهُ ان هذه الاقمار تدور حول زحل موجهة اليهِ دائماً الصفحة نفسها كما هي الحال بين القمر والارض

ومن الغريب فيهِ ايضاً ان القمر الاول مثلاً يتم دورتهُ حول السيار في نحو ٢٢ ساعة وفي هذه المدة تتبدل مناظرهُ جميعها من المحاق الى المحاق فاذا طلع في اول ليلة هلالاً طلع في الثانية بدراً وعاد في الثالثة هلالاً وهلمَّ جرًّا حالة كون التاسع لا ينتقل من الهلال الى البدر الا في ثمانية اشهر فلا شك ان مناظر هذه الاقمار من هناك من ابدع ما يتصور واذا اضفت اليها منظر الحلقات كان هنالك ولا ريب اغرب المناظر الكونية

فريد البرباري

مطالعات

ردّ لون الشعر باشعة رُونتجِن — رُفع الى ندوة العلماء الفرنسوية مذكّرة من الدكتور أمبِر استاذ مدرسة الطب في مونبِلّياي ورئيس المعالجة بالكرباَئية والتصوير بأشعّة رُنتجِن في مستشفيات هذه المدينة ذكر فيها انهُ وُفّق الى ردّ لون الشعر الطبيعي باستخدام الأشعة المذكورة وقد اثبت ذلك بشهادة عدة صور فوتغرافية اخذ فيها رسم الشخص قبل استخدام هذه الاشعة وفي أثنائهِ وبعدهُ فان الشعر الاشيب عاد الى لونهِ الاصلي بعد ان كان قد شاب منذ سنين والشعر الاشقر اكتسب لوناً مُشبَعاً . قال والذي يتلون بهذه الطريقة هو الشعر الاشيب نفسهُ فلا حاجة الى قصّهِ لينبت باللون الجديد وهذا اللون يثبت مدة اشهر متوالية واذا أُخذ من الشعر استمرّ على نبتتهِ باللون نفسهِ . وقد بعث مع هذه المذكرة بصورة فوتغرافية لرجل عالجهُ بأشعة رونتجِن من علةٍ جلدية كانت بوجههِ

فكان تأثير الاشعة على الجانب الذي سلطها عليهِ من الوجه والرأس فتغير لون الشعر من ذلك الجانب فقط

الطيور والقبعات — جاء في المجلة الانكليزية المسماة بصديق الحيوان (Animal's friend) انهُ اجتلب الى انكلترا سنة ١٩٠٥ ثلاثون مليوناً من الطيور التي يصلح ريشها لزينة قبعات النساء وان قد انتهى الى احد اصحاب المعامل في لندرا مليون و٤٥٠ الف طائر من الهند الشرقية منها ٤٠٠ الف من البلبل و٦٠٠ الف من الطائر المسمى بطائر الفردوس و٤٥٠ الفاً من انواع واصناف أُخَر. وذكرت المجلة المشار اليها ان ما يُقتل من الطير كل سنة في جميع الممالك المتمدنة يبلغ من ٢٩٠ الى ٣٠٠ مليون طائر تذهب كلها ضحايا في سبيل الزينة النسائية

مجازر الخيل والكلاب في المانيا — ذكرت جريدة الباديشي لَندَس تسَيتُنغ الالمانية ان مقدار ما يؤكل من لحم الخيل يزداد في المانيا منذ سنوات زيادةً كبيرة. قالت وفي الاشهر الاخيرة من سنة ١٩٠٥ كان عدد الكلاب التي بيعت للمجازر عظيماً جدًّا. وفي سنة ١٩٠٤ أُرسل الى المجازر ما يزيد على ١٢٠ الف رأس من الخيل من كل صنف وازداد هذا العدد في سنة ١٩٠٥ الى ١٨٠ الف رأس. وكان عدد الكلاب التي دخلت المجازر سنة ١٩٠٤ سبعة آلاف كلب وفي سنة ١٩٠٥ كان عددها ٩٦٠٠

مدرسة مار يوسف المارونية

لا نزيد المطالع علماً بحالة المدارس في هذا القطر وما في طريقة التعليم فيها من النقص والخلل لاقتصارها من الدروس على القدر الذي تتطلبهُ خدمة المصالح الاميرية واقلّ ما في ذلك ان يخرج الطالب منها فلا يجد بين يديهِ من طرق الانتفاع بما تعلمهُ سوى طريقٍ واحد هو الطريق الموصل الى ابواب تلك المصالح فان اصاب منفذاً بين المئات بل الالوف المزدحمين عليها والا انقلب آئساً من نفسهِ وقد ايقن بضياع ماضيهِ ومستقبلهِ واصبح كلاًّ على ذويهِ وعلى البلاد

ولقد طالما نادت الجرائد وجهرت الخطبآء بالشكوى من هذه الحال والحضّ على انشآء مدارس اهلية تتكفل باخراج رجالٍ ذوي علمٍ صحيح ومقدرة على تعاطي الاعمال المختلفة في البلاد ومعما كان من نهضة بعض كبرآء الامة ومو سريها الى تلبية ذلك الندآء فان تلك المدارس جآءت على غير ما يترقب الداعون الى انشآئها لانها لم تلبث ان انقلبت الى مماثلة المدارس الاميرية والتزام طريقتها في التعليم فلم تزد الآمال الا عقماً والدآء الا تعاصياً واستفحالاً

وقد وقفنا في هذه الايام على منشور صادر من سيادة الحبر العلاّمة المطران يوسف دريان النائب البطريركي الماروني في هذه الديار يعلن فيهِ عزمهُ على انشآء مدرسةٍ حرّة تتلقى تلك الامنية بقضآئها فتدرّس العلوم التي تقتضيها حالة الاشغال على انواعها بحيث تتسع امام الطالب وجوه

النفع والانتفاع فلا يكون مقصوراً على باب واحد من ابواب الارتزاق والعمل ولا يعدم مع ذلك الذرائع التي تهيئهُ للحصول على بكالورية نظارة المعارف اذا احبَّ بحيث يكون جامعاً بين الطرفين مستولياً على كلتا الامنيّتين

وسيكون افتتاح هذه المدرسة في اوائل شهر سبتمبر القادم في دار النيابة البطريركية بشارع حمدي وقد فُوّضت رئاستها الى حضرة الاب الفاضل المجتهد الخوري بولس قَرَأَلي احد الكهنة المتضلعين من العلوم العصرية والدارسين في اشهر مدارس اوربا وممن لهم تمام الخبرة في امر التدريس والتهذيب . وقد نشر لائحةً مختصرة اودعها بيان اهمّ الدروس التي رأى ان يقف عندها في الوقت الحاضر وهي اللغة العربية واللغتان الفرنسوية والانكليزية والحساب والخط والتاريخ والجغرافية وخصوصاً ما يتعلق منهما بالبلاد الشرقية مع تخريج الطالب في الترجمة وتدريبهِ على الانشآء بانواعهِ مما يتعلق بالاعمال التجارية والزراعية واشغال المصارف والدواوين وغيرها وكل ذلك على اسهل الطرق واضمنها للنجاح علماً وعملاً

فنرفع اطيب الثنآء واجزلهُ الى سيادة الحبر المشار اليهِ لما توخاهُ في انشآء هذه المدرسة من الخير العميم ونحن على يقين من ان الاقبال عليها سيكون عامًّا من جانب النزلآء والوطنيين جميعاً مما يدعو الى توسيع نطاق دروسها والبلوغ بها الى غاية ما يتمثل منها في الآمال وتحقيق ما ارتسم في نية منشئها المفضال والله الموافق الى الخير بفضلهِ تعالى وتسديدهِ

فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ٢٣ —

العزب الشريف

اتفق قبل زواجي ببضعة اسابيع اذ كنت لا ازال اقيم مع شرلوك في منزلهِ بشارع باكر اني بقيت يوماً في غرفتي ولم استطع الخروج مع شرلوك لشدة البرد والامطار في ذلك اليوم ولمعاودة الم في رجلي كان ينتابني بعد ان اخترقتها رصاصة الافغان حين كنت مرافقاً للجيش في تلك البلاد . فجلست حذآء النار على كرسي طويل وجمعت حولي جرائد المسآء والصباح . وكان قد ورد الى صديقي رسالة في غيابهِ علمت من هيئة الغلاف والاحرف المطبوعة عليهِ انهُ من كبار القوم وجعلت افتكر لعلي اهتدي الى اسم مرسلهِ . فلما عاد شرلوك ودخل عليَّ ناولتهُ الرسالة ففض غلافها وقرأها ثم قال يظهر انها لا تخلو من اهمية عظمى . قلت وهل هي من شريف . قال من احد اعاظم اشراف انكلترا وأرى هذه الجرائد المجموعة حولك فأظن انك كنت تقرأ اخبارها ومن المحتمل انك تساعدني في العمل اذا كنت وجدت شيئاً فيها . فقلت انت تعلم انني لا اقرأ من الجرائد سوى اخبار الجرائم والحوادث كما علمتني . قال حسناً تفعل فهل قرأت شيئاً عن زواج اللورد سانت سيمون . قلت نعم انها تتضمن بعض الشيء من ذلك . فقال ان هذه الرسالة هي من اللورد نفسهِ وساقرأها لك فتبحث لي فيما قرأتهُ من الجرائد عن كل ما يتعلق بهذا الامر . ثم قرأ الرسالة فاذا فيها ما يأتي

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

« حضرة المستر شرلوك هولمز

» قد علمت من اللورد بالك واتر انني استطيع الثقة بك والاعتماد على رأيك ومساعدتك فلذلك عزمت ان استشيرك في شأن الحادثة المؤلمة المتعلقة بزواجي . ان المستر لسترايد مفتش دار الشحنة يسعى في ذلك ولكنهُ قال لي انهُ لا يمانع في اطلاعك على الامر ويظن انهُ ربما يكون في استطاعتك المساعدة . فسأزورك في منزلك اليوم في الساعة الرابعة بعد الظهر فاذا كان لديك عملٌ آخر في هذا الوقت ارجو ان تؤجلهُ لان قصتي شديدة الاهمية جدًّا »

« روبرت سانت سيمون »

ثم طوى شرلوك الرسالة وقال الآن الساعة الثالثة فلدينا ساعة ينبغي ان لا نضيعها سدى فهات ما قرأتهُ في الجرائد . فأخذت اقرأ لهُ في جريدةٍ فجريدة بحسب تواريخها وكانت الجريدة الاولى المورنن پوست وفيها ما يأتي - « سيحتفل قريباً بعقد قران اللورد روبرت سانت سيمون الابن الثاني للدوق بالمورال على الآنسة هتي دوران الابنة الوحيدة للمستر الويسيوس دوران من سان فرنسيسكو بالولايات المتحدة الاميركية » . - ثم في جريدة اخرى - « يظهر ان فتيات الاميركان يزاحمنَ فتياتنا في زواج رجال بلادنا وان ادارة بيوت شرفائنا تنتقل الواحدة بعد الاخرى الى ايدي بنات عبر الاوقيانوس الاتلنتيكي فان اللورد سانت سيمون الذي حسبناهُ مدة اكثر من عشرين سنة لا تؤثر فيهِ عوامل الحب قد خضع اخيراً لسلطان الهوى واعلن عزمهُ على الزواج بالآنسة هتي موران ابنة المثري الكاليفورني الشهير . والآنسة موران المذكورة التي شغفت انكلترا عموماً بجمالها الرائع هي وحيدة لوالدها ويقال ان البائنة التي ستأخذها يوم زفافها تتجاوز ستة ارقام عدا الارث الذي ستنالهُ من والدها » . - وفي جريدة اخرى - « ان الاحتفال بهذا الزواج سيكون مقصوراً على ستة مدعوين من خالص الاصدقاء ويتم في كنيسة القديس جاورجيوس بساحة هنوڤر وبعد الاكليل يذهب المدعوون الى منزل المستر دوران والد العروس في باب لانكستر » . - وفي جريدة اخرى - « قد صيغ عقد

الزواج وسيصرف العروسان شهر العسل في قصر اللورد باك واتر بيتر سفيلد » .
ولما فرغت من التلاوة قلت لشرلوك هذا كل ما كتبتهُ الجرائد قبل اختفآء العروس.
فوثب شرلوك عن كرسيهِ وقال قبل ماذا . . وهل اختفت العروس . . ومتى كان ذلك . قلت في اثنآء الجلوس الى مائدة الغدآء . قال اذاً المسئلة اهمّ مما ظننت لان العادة ان تختفي العرائس قبل الاكليل او في اثنآء شهر العسل لا على اثر الفراغ من الاكليل فارجو ان تتمّ تلاوة ما جآء بعد ذلك مما يختص بهذا الشأن فاخذت الجريدة الباقية وقرأت لهُ فيها ما يأتي - « ان أسرة اللورد سانت سيمون في اسف شديد لما حدث عند زواجهِ فقد جرى عقد الاكليل صباح امس كما ذكرنا ولا يسعنا الا ان ننشر ما تمّ بعد ذلك لانهُ قد شاع وذاع مع اجتهاد الاصدقآء في كتمانهِ . ان حفلة الاكليل قد تمت بسكون في كنيسة القديس جاورجيوس بساحة هنوفر و بعد الاكليل انتقل المدعوون الى منزل والد العروس حيث اعدّت لهم مأدبة فاخرة . ويظهر ان امرأة يجهلون اسمها حاولت الدخول الى المنزل المذكور بعد المدعوين بحجة انها تود مقابلة اللورد سانت سيمون فمنعها الخدم من الدخول و بعد محاولة عظيمة واصرار شديد رجعت من حيث اتت .
ثم انهُ بينما كانت العروس على المائدة مع المدعوين شكت صداعاً اليماً فقامت الى غرفتها ولما طال غيابها تبعها والدها ليرى ما الخبر فعلم من خادمتها انها لم تبقَ في الغرفة الا دقيقتين ريثما وضعت على رأسها قبعةً والتحفت بملآءة وعادت في الحال.
ثم قال احد الخدم انهُ رأى سيدة بهذا اللباس قد خرجت من المنزل ولم يخطر لهُ قط انها العروس . فلما تحقق المستر دوران اختفآء ابنتهِ اطلع صهرهُ اللورد على ذلك . فاستدعيا رجال الشحنة للبحث عنها والى منتصف ليل امس لم يُعلم شيء عن العروس المفقودة . وقد القت الشحنة القبض على المرأة التي جآءت تريد مقابلة اللورد وهم يزعمون انهُ ربما كان لها يد في هذا الإختفآء الغريب لقصدٍ نشأ عن غيرةٍ أو أسباب أخرى مجهولة . أما هذه المرأة فتدعى الآنسة فلورا ميلر واصلها من البنات الراقصات في ملعب الليجرو ويقال انها كانت تعرف اللورد من سنوات »

فقال شرلوك حقًّا ان هذا الحادث لشديد الغرابة واني لاودّ ان لا يفوتني السعي فيهِ مهما كلفني ذلك وها أنا أسمع قرع الجرس وبما ان الساعة قد بلغت الرابعة فلابد أن يكون القادم زائرنا الشريف فاياك ان يخطر لك الذهاب ياوطسن فانني أود بقاءك لتذكرني عند الحاجة بما لعلهُ يغرب عن ذاكرتي

وبعد هنيهة فتح الخادم الباب ودخل اللورد روبرت سانت سيمون وهو رجل طلق الوجه اشمّ الانف اصفر اللون حسن الفم وفي هيئتهِ دلائل على انهُ اعتاد ان يأمر وان يطاع . فتقدم ببطء وهو يدير رأسهُ من الشمال الى اليمين ويلاعب في يمناهُ الشريطة المعلق بها منظاراهُ الذهبيان وللحال نهض شرلوك لاستقبالهِ فانحنى امامهُ وبعد ان حياهُ قال انني اقدم لك صديقي ورفيقي الدكتور وطسن ثم دعاهُ الى الجلوس على كرسي بجانب المستوقد فحيَّا اللورد وجلس . ثم قال ان امري يا مستر شرلوك مهمّ في الغاية وقد بلغني انك فزت في اكتشاف امور عديدة من هذا النوع فارجو منك النظر في أمري وانا مستعدّ لاجيبك عن كل ما تسألني عنهُ مما يمهد لك الوصول الى برهان او نتيجة . فقال شرلوك أني قد قرأت كل ما ذكرتهُ الجرائد في هذا الشأن فهل كل ما روتهُ صحيح . قال نعم . فقال شرلوك اذاً تأذن لي ان القي عليك بعض الاسئلة مما يزيد الامر جلاءً . قال سل ما تشاء فانني لا اكتم عنك امراً من كل ما يمكن ان يوصلني الى حل هذا المعمى الذي كاد يفقدني رشدي . فقال شرلوك في اي وقت كانت مقابلتك الاولى للآنسة هتي دوران . قال منذ سنة وذلك في اثناء سياحتي في سان فرنسيسكو . قال وهل خطبتها حينئذٍ . قال لا ولكني ملت اليها وقد علمت هي ذلك مني . قال وهل والدها مثرٍ جدًّا كما يقال . قال نعم وهو اغنى رجال الاميركان على السواحل الباسيفيكية وقد جمع ثروتهُ من التعدين لانهُ لم يكن شيئاً منذ بضع سنوات ثم عثر على منجم ذهب وساعدتهُ التقادير فاصاب مقادير كبيرة من الذهب وكان ذلك سبباً لغناهُ . فقال شرلوك وهل لك ان تخبرني ما هو فكرك الخصوصي في صفات الفتاة زوجتك . فجعل اللورد يسرع في اللعب بشريطة منظاريهِ وهو شاخص الى موقد النار ثم نظر

الى شرلوك وقال ان زوجتي كانت قد بلغت العشرين من عمرها قبل ان يصير والدها مثرياً وكانت في تلك المدة مطلقة الحرية تجول وحدها بين المعدّنين وفي الغابات والجبال فكانت نشأتها طبيعية اكثر مما كانت مدرسية وبالتالي فهي كما يقال عنها في انكلترا فتاة جنديّة لها طبيعة قوية مطلقة لا تتقيد وهي قوية الارادة بركانيتها اي انها سريعة جدًّا في حكمها واسرع من ذلك في تنفيذ رغائبها بدون خوف . وما كنت لاسمح لمثلها بحمل اللقب الشريف الذي نويت ان القبها بهِ لو لم اعتقد انها مع كل ما ذكر امرأة شريفة تضحي كل عزيز لديها لتبتعد عما ربما يشين شرفها . فقال شرلوك وهل معك صورتها . قال نعم ثم فتح ذخيرة وارانا صورة وجه امرأة بارعة في الجمال ولم تكن صورة شمسية بل صورة يد مرسومة على قطعة من العاج وقد اتقن المصور فيها رسم الشعر الاسود اللامع والعيون السوداء البديعة الجمال والفم الذي لن يكون اكمل منهُ تكويناً . فقال شرلوك وقد سمعت ان لديها بائنة غير زهيدة . قال نعم ولكنها ليست غير عاديّة لرجال اسرتنا . فقال شرلوك اذاً ستبقى البائنة لك لان الزواج قد تم شرعيًّا . قال انني بالحقيقة لم اسأل عن ذلك حتى الآن . فقال شرلوك وهل رأيت الآنسة دوران في اليوم السابق للزفاف وكيف كانت حالتها . قال نعم رأيتها في اليوم السابق وكانت على احسن ما رأيتها في زماني وقد كانت تكلمني عما سنفعلهُ بعد اقتراننا وفي صباح يوم الاكليل كانت براقة العينين متهللة الوجه و بقيت كذلك الى ما بعد انتهاء الحفلة . فقال شرلوك وهل رأيت فيها تغيراً بعد ذلك . قال لا يخلو انني لاحظت فيها حينئذٍ شيئاً من حدة الطبع لم ارهُ قبلاً ولكن لا اظن ان ذلك لهُ علاقة بامرنا . فقال شرلوك ارجو يا سيدي ان لا تكتمني شيئاً مهما ترآءى لك انهُ قليل الاهمية فهل لاحظت شيئاً غير هذا . فقال اللورد اننا في مرورنا في الكنيسة سقطت من يدها باقة الزهور على المقعد الاول فتوقفنا لحظة وكان رجل جالساً على ذلك المقعد فتناول الباقة للحال وردها اليها ولم يكن قد لحقها شيء من الضرر ومع ذلك فانني لما ذكرت لها هذا الامر اجابتني بنفور وظهر لي عند رجوعنا من الكنيسة انها كانت في العربة لا تزال متأثرة من ذلك

الامر الطفيف . فقال شرلوك قلت ان الرجل كان جالساً على المقعد حيث سقطت الباقة فيظهر انهُ كان في الكنيسة غير المدعوين الى حفلة الاكليل . قال نعم وانهُ يستحيل منع الناس عن دخول الكنيسة متى فتحت ابوابها اما الرجل فلم يكن من معارفنا ولا من أهل زوجتي وكان يظهر عليهِ انهُ من العامة ولكن اظن اننا نضيع الوقت في التكلم عنهُ بما لا يفيد . اما زوجتي فانها عادت من الكنيسة اقل سروراً من ذهابها اليها ولما دخلنا منزل والدها رأيتها تكلم خادمتها وهي اميركية جاءت معها من كاليفورنيا واسمها أليس . ويظهر لي ان الخادمة المذكورة كاتمة اسرار لمولاتها لاني رأيتها مراراً تكلمها بغير كلفة . فقال شرلوك وهل سمعت شيئاً من حديثها مع الخادمة . قال كلا لانها لم تكلمها الا دقيقة ولكني سمعتها تقول « الوثوب فوق الدعوى » فلم اهتم لهذه الالفاظ لاني اعتدت ان اسمعها تكلم خادمتها بامور مختلفة . ولما انتهت من مخاطبة الخادمة مشت الى غرفة المائدة ولم تستند على ذراعي لانها دائماً كانت تود ان تكون مستقلة في الامور الطفيفة كهذه . وبعد ان جلسنا الى الطعام وقفت بسرعة فتمتمت ببعض كلمات اعتذار وخرجت من غرفة المائدة فلم تعد . وقد اخبرتنا خادمتها انها رأتها قد دخلت غرفتها فلبست قبعة والتحفت برداء يستر جسمها وخرجت . وقد رؤيت بعد ذلك سائرة في هيد بارك بصحبة امرأة تدعى فلورا ميلر وهذه الآن قد القي القبض عليها لانها حاولت الدخول الى بيت المستر دوران عنوةً صباح يوم الاكليل . فقال شرلوك نعم قد سمعت بذلك وبلغني ان لهذه المرأة علاقة بك فهل لك ان تخبرني عن ذلك . فهز اللورد كتفيهِ ورفع حاجبيهِ وقال نعم اننا كنا متصادقين بضع سنوات وهي من الراقصات في منتدى الليجرو وكانت قد احبتني حبًّا شديداً فلما سمعت بخبر زواجي المنويّ كتبت اليَّ رسائل قوية اللهجة ولذلك آثرت أن اعقد زواجي ببساطة وسكون خوفاً من حصول ما يكدر الحفلة في الكنيسة . ولكنها جاءت الى منزل والد زوجتي بعد دخولنا بقليل وحاولت ان تدخل قسراً وهي تستشيط غيظاً وتشتم زوجتي وتتهددها . وكنت قد حسبت ذلك فاوصيت الخدم ان يطردوها اذا جاءت ولما رأت انها لا تستطيع الدخول

عادت بسكون وكنت احمد الله أن زوجتي لم تعلم بذلك . ولما أخبرني المستر استرايد مفتش الشحنة أنهُ رأى زوجتي سائرة برفقتها استغر بنا ذلك جدًّا وداخلنا ريب في ان هذه الفتاة قد اغرت زوجتي على الخروج وقد نصبت شركاً لهلاكها مع انني لا اعتقد ذلك لما أعرفهُ من رقة شعور الفتاة حتى انها لا تكاد تؤذي ذبابة . وكان شرلوك يلقي اسئلتهُ و يسمع الاجوبة بمنتهى الاصغاء والانتباه فقال ارجو ان تجيبني على هذا السؤال الاخير هل كان لغرفة المائدة نوافذ وكيف كان جلوسكم على المائدة . فقال اللورد كانت زوجتي بجانبي ونحن جالسان بازاء نافذة تطل على الطريق فتراها منها . فقال شرلوك حسن وقد عرفت الآن كل ما اروم معرفتهُ منك يا سيدي اللورد وسيصلك خبر مني قريباً . فنهض اللورد يريد الانصراف وقال انتظر اذاً أن اسمع منك انك توفقت الى حل هذا المعمى الغريب . فتبسم شرلوك وقال قد حللتهُ من الآن يا سيدي . فقال اللورد بلهفة أصحيح واين زوجتي اذاً . قال قلت لك اني قد حللت المعمى اما التفاصيل فيلزمها وقت لشرحها ولكنني اعدك ان لا ادعك تنتظر طويلاً . فهز اللورد رأسهُ وقال اما انا فاظن هذا الحادث يحتاج الى رأس اكبر من رأسك او رأسي لادراك خوافيهِ ثم انحنى مسلماً وخرج . ولما صار الى الشارع قال شرلوك قد شرفني اللورد بجعلهِ رأسي مُساوياً لرأسهِ ثم ضحك وقال قد طالت مدة الاستنطاق فلا بأس من جرعة وسكي مع الصودا يا وطسن ولا اكتمك انني حللت المعمى قبل دخول اللورد علينا . فقلت لهُ أتمزح يا شرلوك . قال كلا وقد مرَّ عليَّ عدة حوادث كهذه ولكن لم يكن حلها بهذه السرعة وما كان الاستنطاق الذي أجريتهُ الا ليؤكد لي ما افتكرتهُ . وبينما هممت أن أسألهُ عن سر الامر اذا بلسترايد مفتش الشحنة قد دخل علينا فرحبنا بهِ لاجلس بالقرب منا فنظر اليهِ شرلوك وقال ما لك يا لسترايد فاني أراك غير مسرور . وكان لسترايد لابساً ثوب نوتي وبيدهِ كيس اسود فقال نعم إني لست مسروراً فانني في امر زواج اللورد سانت سيمون لم استطع أن أقف على شيء يعوّل عليهِ . فقال شرلوك انني استغرب ذلك ولكنني ارى ثيابك مبلولة فلماذا . فقال لسترايد انهُ لم يقع اماسي

مثل هذا الحادث المختلط الوقائع وكلما شعرت اني اقتربت من الحقيقة ارى ما يبعدني عنها . اما ما تراهُ في ثوبي من البلل فهو نتيجة عملي منذ الصباح فانني كنت ابحث في النهر عن جثة زوجة اللورد سانت سيمون . فضحك شرلوك حتى بانت نواجذهُ وقال وهل بحثت عنها ايضاً في بركة ساحة ترافلفار . فقال لستراد لماذا وماذا تعني بذلك . قال لان الامل في وجود الجثة في المحل الواحد ليس اقرب من وجودها في المحل الآخر . فنظر لستراد الى شرلوك نظرة غضب وقال اذاً انت تعرف حقيقة الامر . قال قد سمعت الآن بعض التفاصيل فكانت كافية لمعرفتي الحقيقة . فقال لستراد اذاً تظن ان بحثي عن الجثة في النهر لم يكن تحتهُ طائل . قال لااظن ان لهُ اقل نفع . فتبسم لستراد وقال لذاً تكرَّم وقل لي لماذا وجدنا هذه الاشياء في النهر . ولما قال هذا فتح الكيس واخرج منهُ حلة اكليل من الحرير الابيض وحذاءين من الحرير ثم اكليلاً من زهر البرتقال و برقعاً من الحرير الناعم ثم خاتماً من الذهب . وكان كانهُ فاز على فكر شرلوك فتبسم بمكر وقال لهُ قل لي بربك ياشرلوك ماذا تقول عن هذه . وكان شرلوك ينفخ الدخان من فيهِ حلقات الى الهواء وينظر اليها فقال لهُ وهل أخرجت هذه الاشياء من قعر النهر . قال كلا بل رآها انسان طافية على وجه المياه فأحضرها اليَّ ولدى التحقيق ظهر ان هذه الملابس هي نفس ملابس العروس المفقودة ولذلك علمت أنهُ حيث تكون الملابس يجب أن تكون الجثة. فتبسم شرلوك وقال اذاً من رأيك ان كل شخص يفقد يجب أن يكون ضمن خزانة ملابسهِ. فقال لستراد ما لنا ولهذا ولكن هنالك أمراً يؤكد لي ما اعتقدتهُ منذ البداءة وهو ان للفتاة فلورا ميلر يداً في هذا الاختفاء . فقال شرلوك وهذا ما لا اظنهُ ايضاً . فقال لستراد اراك تكابر دائماً يا شرلوك ولو رأيت الحقيقة بعينك فاعلم اننا قد وجدنا في ثوب العروس جيباً فيهِ محفظة وفي هذه ورقة مكتوب عليها هذه الكلمات « تريني عند ما يجهَّز كل شيء . تعالي حالاً . ف . ه . م » فهل يبقى لديك شك في ان هذه الاحرف هي أوائل اسم فلورا ميلر وانها اغوت الزوجة بطريقة لم نعرفها بعد حتى خرجت الى حيث كان ينتظرها القتلة فاعدموها

الحياة . واذا كنت تود ان ترى الرقعة المذكورة فها هي . فاخذ شرلوك الورقة ونظر اليها قليلاً ثم ما عتم ان ظهرت على وجهه علامات السرور وقال آه ما أهم هذه الورقة . وحانت من لسترايد التفاتة فرآهُ ينظر في قفا التذكرة المذكورة فقال لهُ انك تقرأ القفا يا شرلوك . قال كلا بل الوجه . قال لعلهُ اصابك مس افلا ترى الكتابة بقلم الرصاص على الوجه الآخر . قال ولكنني ارى على هذا الوجه حساب الفندق الذي أخذت هذه الورقة منهُ وهذا ما يهمني جدًّا فانني أرى فيها تاريخ ٤ اكتوبر ثم أجرة غرفة ٨ شلينات . طعام الصباح شلينان . نصف كاس كنياك شان واحد . غداء شلينان ونصف . كاس خمر شلينان ونصف . أجل ان هذه التذكرة ثمينة جدًّا ولاسيما الاحرف التي وُقّعت عليها ف . ه . م . فقال لسترايد وقد نهض يريد الانصراف قد أضعت من الوقت هنا اكثر مما ينبغي فانا اعتقد ان العمل والحركة انفع من الجلوس قرب النار والتأمل فاستودعك الله يا شرلوك وسنرى من يصل الى الغاية اولاً ثم ارجع الملابس والاشياء الى كيسهِ وخرج . ولم يكد يذهب حتى نهض شرلوك فارتدى ثوبهُ وقال قد صدق لسترايد ان العمل والحركة أنفع من الجلوس والافتكار والآن فسأخرج يا وطسن وأتركك هنا مع جرائدك وكتبك

خرج شرلوك بعد الساعة الخامسة بقليل ولم اكد أشعر بوحدتي حتى رأيت رجلين قد دخلا عليَّ يحملان صندوقاً كبيراً فيهِ أنواعٌ عديدة من الطعام الشهي وزجاجات من المشروب المعتق فتركاهُ في الغرفة وخرجا وأنا أنظر اليهما وقد خيل لي انني اقرأ كتاب الف ليلة وليلة وانهما الجنيان اللذان يأتيان بدون انتظار ولم أعرف منهما شيئاً سوى ان الطعام المذكور مدفوع ثمنهُ وقد طلب منهما ايصالهُ . وعند الساعة التاسعة دخل شرلوك فجأةً فقال هل جاء الطعام . قلت نعم وقد أعدّت المائدة وظهر لي انهُ يوجد طعام لخمسة أشخاص فهل انت في انتظار ضيوف الليلة . قال نعم وانا مستغرب عدم حضور اللورد سانت سيمون حتى الآن ولكن . . . ها هو قد جاء . واذا باللورد قد دخل فاستقبلهُ شرلوك وقال اذاً قد بلغك رسولي . فقال اللورد نعم ولا أنكر ان رسالتك أدهشتني جدًّا فهل أنت واثق مما ذكرتهُ .

قال تمام الثقة . فجلس اللورد على كرسي وأمرَّ يدهُ على جبهتهِ وقال آه ماذا يقول الدوك عند ما يسمع ان احد أفراد أسرتهِ قد أهين الى هذه الدرجة . فقال شرلوك ليس في الامر اهانة وما ذلك سوى اتفاق بسيط ولست اعلم من الملوم في هذا الامر ولا أدري كيف كان يقع في امكان السيدة أن تتصرف بغير ما تصرفت بهِ . نعم لا انكر ان سرعة عملها مما يؤاخذ عليهِ ولكن بما أنهُ ليس لها والدة ترشدها لم تعلم كيف ينبغي ان تتصرف على وجه ينفي عنهـا الملام . وبينما هو يتكلم اذ قرع الجرس فنهض شرلوك وفتح الباب وادخل رجلاً وسيدة وقال يا سيدي اللورد سانت سيمون اسمح لي ان اقدم لك المستر فرنك هاي مولتن وقرينتهُ واظن انك قد رأيت هذه السيدة قبلاً . ولما رأى اللورد القادمين نهض عن كرسيهِ ووقف منتصباً وقد حنى ظهرهُ ووضع يديهِ في جيوب صدرتهِ فكان مثال الشهامة التي اسيء اليها . وكانت السيدة قد تقدمت اليهِ ومدت يدها ولكنهُ لم يلتفت اليهـا فقالت لهُ هل أنت مغتاظ يا روبرت . نعم انهُ يحق لك ذلك . فقال اللورد كفى انني لا اقبل منك اعتذاراً . قالت نعم انا عالمة باني عاملتك معاملة سيئة وكان يجب ان اكلمك قبل ذهابي من المنزل ولكنني كنت كفاقدة العقل ومن الدقيقة التي رأيت فيها فرنك في الكنيسة لم اعد اعلم ماذا افعل او ماذا اقول وانني متعجبة من نفسي كيف لم يغمَ عليَّ امام المذبح . فقلت ربما تودين يا سيدتي ان نعتزل الى الغرفة الثانية ريثما تتكلمان وتوضحان الامر . فقال زوجها كلا انهُ لم يبقَ من سرّ في الامر بل انني ان اود ان يُعرَف في اوربا واميركا حقي الشرعي

فقالت السيدة اذاً اخبركم بقصتي بتمامها فاسمعوني - كانت اول مقابلة بيني وبين زوجي فرنك هذا سنة ٨١ في المعادن التي كان والدي يعمل فيها فاحبني واحببتهُ وخطبني الى والدي . واتفق بعد ذلك ان عثر والدي على ما كان سبب غناه وبقي فرنك يعمل وهو لا يصيب شيئاً وكان كلما ازداد والدي غنى يزداد فرنك فقراً واخيراً لم يعد والدي يرضى بأن أبقى مخطوبة لهذا الفقير فذهب بي الى سان فرنسيسكو . ولكن فرنك لم يحل عن محبتي فتبعني الى سان فرنسيسكو وقابلني

بدون علم والدي وتعاهدنا ان نثبت على ارتباطنا وانهُ سيعود اليَّ بعد أن يجهد جهدهُ في اصابة ثروةٍ كما فعل والدي ووعدتهُ أن لا اقترن بسواهُ ما دام حيًّا . فقال وما يمنع ان نتكافل للحال فاضمن بقاءكِ لي ويبقى زواجنا سرًّا الى أن أعود. قلت لا شيء يمنع من ذلك وأحضرنا كاهناً فعقد لنا اكليلاً شرعيًّا وذهب فرنك الى عملهِ في المعادن ورجعت أنا الى منزل أبي . ولم أعد أسمع شيئاً عن فرنك حتى بلغني أنهُ في مونتانا ثم انتقل الى اريزونا ثم كتب اليَّ من المكسيك وبعد مدة قرأت في بعض الجرائد ان الهنود هاجموا جماعة المعدّنين فسلبوا اموالهم وقتلوهم ووجدت اسم فرنك بين القتلى فالقيت الجريدة من يدي وقد أغمي عليَّ وبقيت مريضة في الفراش اكثر من شهر . ولما مضت السنة الاولى والثانية ولم أعد اسمع شيئاً عن فرنك ولم يأتني منهُ خبر لم يبقَ عندي شك في أنهُ قتل . ثم جاء اللورد سانت سيمون الى سان فرنسيسكو وجئنا نحن الى لندن واتفقنا على الاقتران وكان والدي مسروراً جدًّا بذلك أما انا فشعرت في نفسي انهُ لن يوجد شخص في العالم بأسرهِ يستطيع ان يحل في قلبي محل فرنك حبيبي . ومع ذلك فاذا اقترنت باللورد سانت سيمون اكون قد قضيت كل ما يجب عليَّ لهُ لاننا وان لم نستطع ان نحكم على قلوبنا في الحب فاننا نستطيع الحكم على اعمالنا . ولما دخلنا الكنيسة سرت معهُ الى المذبح وقد صممت ان اكون لهُ زوجةً امينةً صادقة . ولكن تصوروا حالتي وما شعرت بهِ عند ما بلغت المقعد الاخير واذا بزوجي فرنك واقف ينظر اليَّ وقد خلتهُ لاول وهلة روحهُ ولكنني لما نظرت ثانيةً تحققتهُ ورأيت عينيهِ تسألانني هل أنا مسرورة او مستاءة من مرآهُ . واني اعجب من نفسي كيف لم اسقط الى الارض حالاً وقد شعرت بدوار شديد ولم اسمع كلمة من الكاهن بل لم اعرف ماذا افعل وهل استوقف صلاة الاكليل واجلب الهزء والسخرية . ثم نظرت اليهِ ثانيةً وكأنهُ عرف ما يجول في صدري فرفع سبابتهُ الى شفتيهِ يأمرني بالسكوت ثم رأيتهُ يكتب على رقعة صغيرة فعلمت انهُ يكتب لي ولما مررت بقرب مقعدهِ عند خروجنا اسقطت باقة الزهور بقربهِ فالتقطها عن الارض وارجعها اليَّ وقد دسَّ الرقعة التي

كتبها في يدي ولم يكن ما كتبهُ سوى سطرٍ واحد يسألني فيهِ ان اتبعهُ عند ما يشير اليَّ بذلك . ولا احسبكم تنكرون ان اول حقّ يجب عليَّ هولهُ ولذلك صممت على ان افعل ما يريدهُ مني . ولما بلغنا المنزل اخبرت خادمتي بما جرى وكانت تعرفهُ من كاليفورنيا وامرتها ان لا تعلم احداً بذلك وان تجهز لي بعض اللوازم والرداء والقبعة. وانا اعلم انهُ كان يجب عليَّ ان اكلم اللورد سانت سيمون في هذا ولكنني لم اجترئ على ذلك ولاسيما امام والدتهِ واولئك المدعوين العظام ولذلك خطر لي ان اهرب اولاً ثم اوضح عما فعلتهُ في فرصةٍ اخرى . ولم نكد نجلس على مائدة الطعام عشر دقائق حتى رأيت فرنك من النافذة على الطريق فاشار اليَّ باتباعهِ وسار نحو الحديقة العمومية فاستأذنت المدعوين ان اذهب الى غرفتي قليلاً ولما بلغتها لبست قبعتي والتحفت بردائي وانسللت فتبعتهُ وكان قد استأجر عربة فركبنا واخذني الى منزل اكتراهُ في ساحة غوردون . وقد علمت ان فرنك كان مسجوناً عند هنود المكسيك ولكنهُ تمكن بعد حين من الهرب وجاء الى سان فرنسيسكو حيث علم انني ظننتهُ قد قتل وسافرت الى انكلترا فتبعني وجعل يبحث عن محل وجودي حتى اهتدى اليَّ في نفس صباح اليوم الذي هو موعد زفافي الثاني

ثم ان زوجي فرنك اخذ حلة عرسي وما يتبعها وجعلها رزمة القاها في النهر لكي يضيع كل ما يكون سبباً لاقتفاء اثري . وكنا قد عزمنا على الذهاب الى باريز غداً لولم يزرنا في هذا المساء المستر شرلوك هولمز ولا ازال استغرب كيف اهتدى الينا وجعل يكلمني ويقنعني بوجوب ايضاح الامر لاربابهِ كما حصل وكما اقصهُ الآن ثم وعدنا انهُ يسهل لنا مقابلة اللورد سانت سيمون وحدهُ ودعانا الى منزلهِ . ثم التفتت الى اللورد وقالت والآن يا روبرت قد سمعت الحقيقة بتمامها ويسوءني جداً ان اكون قد سببت لك هذا الامر المكدر ولكنني ارجو ان لا تحقد عليَّ ولا تحتقرني

وكانت قد زالت عن وجه اللورد علامات الغيظ وكان يسمع الحديث بجبهة عابسة وشفتين مطبقتين فقال اعذريني يا سيدتي فانني لم اعتد قط ان اتحدث

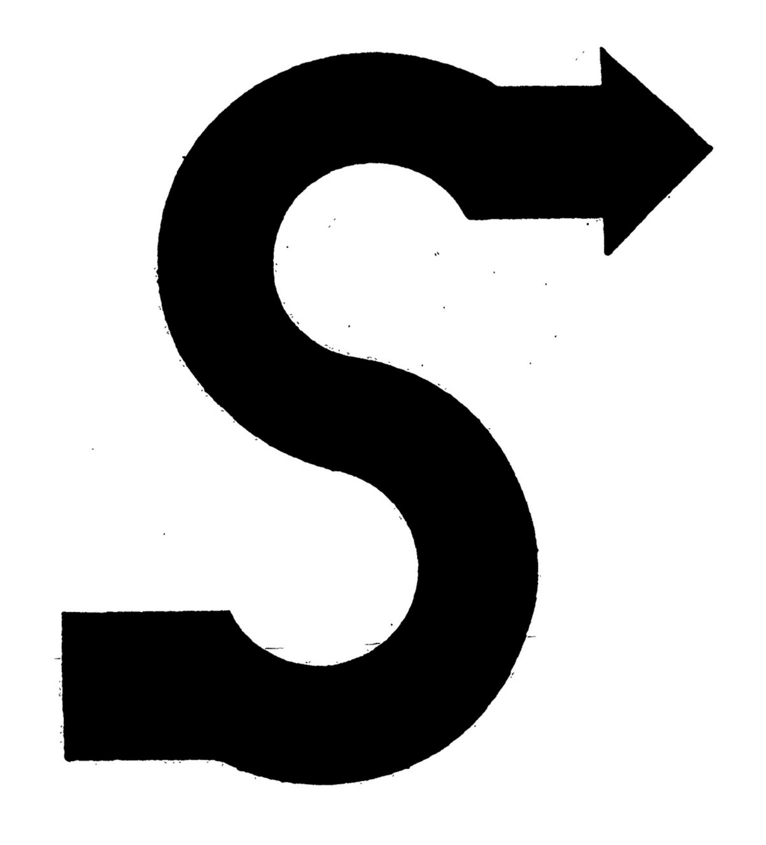
باموري الخصوصية في جلسة عمومية كهذه . فقالت ألا تسامحني اذاً او لا تريد ان تصافحني . قال اذا كان ذلك يسرُّكِ فلا بأس ثم اعطاها يدهُ بفتور ونهض للانصراف . فقال شرلوك كنت حسبت انك تتنازل يامولاي لتناول العشآء معنا . فقال اللورد ان هذا لا يمكنني لانكم اجبرتموني على سماع هذا الحديث المكدر فلا يمكنكم ان تجعلوني اسرّ بعدهُ في مأدبة اقيمت لاجله واظنكم تسمحون لي بالانصراف وان اتمنى لكم جميعاً مسآء سعيداً . ولما قال ذلك انحنى مرة واحدة للجميع وخرج

ثم نظر شرلوك الى المستر فرنك مولتون وقال اذاً تشرفني انت بمشاركتي في الطعام يا سيدي فانهُ يسرني جدًّا ان اجالس الاميركان ولستُ من اولئك الذين يعتقدون ان حماقة ملك وغلطة وزير في الزمان الماضي يجب أن تمنع اولادنا من الاختلاط بأولاد عبر الاوقيانوس الذين يخفق على بلادهم لوآء ليس هو سوى لوآئنا الانكليزي وان يكن قد زيد عليهِ بعض النجوم . فقبل الرجل شاكراً وجلس مع زوجتهِ فتناولنا عشآء في تمام اللذة والسرور

ولما انصرف ضيفانا قال شرلوك ان هذه الحادثة كانت من الذ الحوادث وهي تظهر بساطة ايضاح الامر الذي يظهر في بدآءتهِ معقداً وغير ممكن الحل فان ظاهرها كان من اشدّ الامور ابهاماً ولكنها كما روتها السيدة لايوجد أبسط وأسهل منها ولا يوجد أغرب من نتيجتها اذا نظر اليها الانسان كما نظر اليها صديقنا لسترايد . اما انا فمنذ البدآءة عرفت الحقيقة ولكن اشكل عليَّ امران اولهما أن السيدة لم تمانع في عقد اكليلها على اللورد والثاني ندمها السريع على ذلك بعد رجوعها الى المنزل فقدَّرت انهُ لا بد ان يكون قد حصل شيء في نفس ذلك الصباح جعلها تغير خطتها فما هو ذلك الشيء . ولا يحتمل أنها تمكنت من محادثة احد وهي برفقة اللورد وان كانت قد رأت احداً فلا بد ان يكون الذي رأتهُ من معارفها في اميركا لان اقامتها القصيرة في انكلترا غير كافية لان تتعرف برجل يستولي على ارادتها حتى تغير خطتها بمثل هذه السرعة واذا تحقق ان الشخص الذي رأتهُ اميركي بقي علينا ان نعرف من هو وما هو وجه تسلطهِ عليها فهل هو عشيقها او زوجها . ولما اخبرنا

اللورد بالقصة وذكر وجود رجل غريب في الكنيسة وما لاحظهُ من التغير في طبع العروس ووقوع باقة الازهار والتقاطها وهي ولا ريب طريقة ظاهرة لمبادلة او ايصال رسالة ثم مسارّة السيدة لخادمتها والعبارة التي سمعها تقولها « الوثوب فوق الدعوى » وهذه من كلام المعدنين الاصطلاحي كما اعلم ومعناها ان يأخذ الشخص ما يخص غيره . لما وعيت ذلك كلهُ وضحت لي جميع تلك الخفايا وتحققت انها قد ذهبت مع عشيق سابق او زوج اول وكان الثاني الارجح

وكنت اسمع كلام صديقي وانا اتعجب من قوة ادراكه فقلت لهُ ولكن قل لي كيف اهتديت اليهما . قال لا شك ان ذلك كان في غاية الصعوبة غير ان صديقنا لسترايد كان يحمل في يده هذا الخبر وهو يجهل قيمتهُ . نعم ان الاحرف التي على التذكرة المكتوبة كان لها اهمية كبيرة ولكن ما كتب على ظهرها كان لهُ اهمية اكبر عرفت منهُ ان الرجل كان منذ اسبوع في فندق من اعظم فنادق لندن وذلك لما رايت في تلك التذكرة من غلاء الاسعار فان اجرة السرير الواحد ثمانية شلينات وثمن كاس خمر شلين ونصف وهذا لا يكون الا في فنادق الطبقة الاولى التي ليست عديدة في لندن . فذهبت لابحث عن الفندق واول فندق بلغتهُ في شارع نورثمبرلاند فعلمت من مراجعة كتاب الزائرين ان فرنك مولتن رجل اميركي قد خرج من الفندق في اليوم السابق ولما راجعت حساب الرجل وجدت نفس الاصناف التي في التذكرة وعلمت انهُ قد ترك خبراً في الفندق ليبعث اليهِ ما يرد باسمهِ الى رقم ٢٢٦ بساحة غوردون . فتوجهت للحال الى المنزل المذكور وساعدني الحظ ان وجدت العروسين في منزلها فنصحت لهما ان يوضحا حقيقة الامر لا للورد سانت سيمون فقط بل لكل من سمع بهذه القصة وذكرت لهما اني سادعو اللورد الى هنا كما حصل . والآن أدن كرسيك وهات لي هذه الكمنجة لانهُ بعد ان حللنا هذا المشكل قد بقي علينا حلّ مشكل آخر وهو كيف يمكننا ان نقضي هذه السهرات الباردة الطويلة



Suite sur une autre bobine

NF Z 43-120-6